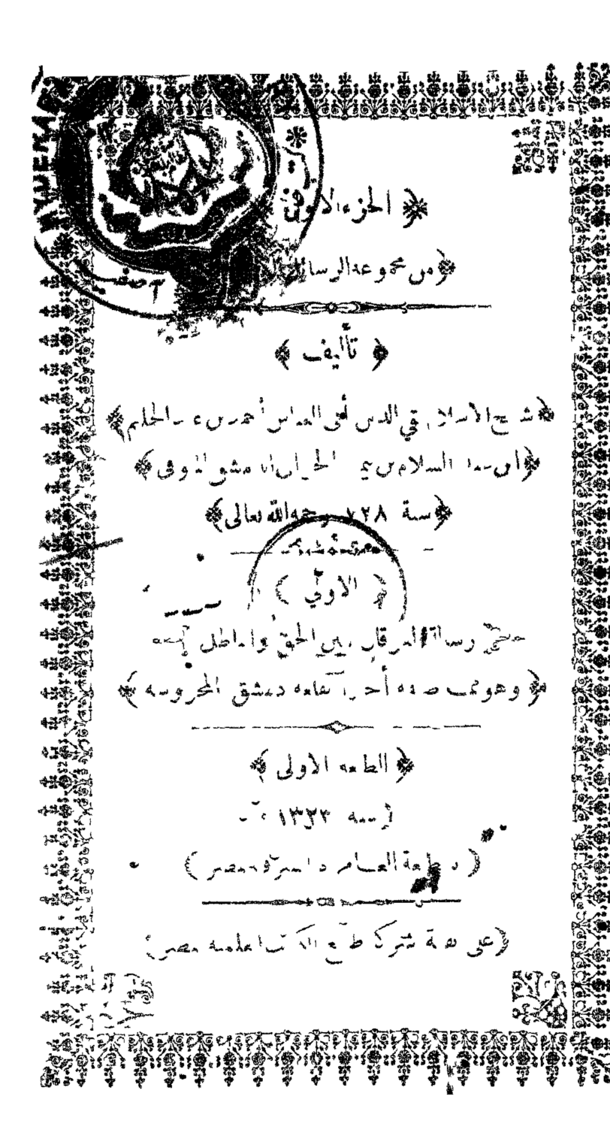


﴿ الجزء الأول ﴾

﴿ من مجموعة الرسائل ﴾

﴿ تأليف ﴾

﴿ شيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم ﴾

﴿ ابن عبد السلام بن تيمية الحراني الدمشقي المتوفى ﴾

﴿ سنة ٧٢٨ رحمه الله تعالى ﴾

(الأولى)

رسالة الفرقان بين الحق والباطل

﴿ وهو جواب سؤال أحد فقهاء دمشق المحروسة ﴾

﴿ الطبعة الأولى ﴾

سنة ١٣٢٣ هـ

(بمطبعة العالم [illegible] بمصر)

(على نفقة شركة طبع الكتب العلمية بمصر)

ماله) ويسمى الكلام المقرر [illegible] وهو [illegible] في [illegible]

ورأيت [illegible] فاسد [illegible] الشيطان [illegible] كان الكلام هو اسم مصدر

كلم تكليما و كلم [illegible] ويراد به الكلام [illegible] وذلك لان لا [illegible] اذا

تكلم كان كلامه فعل [illegible] وحركة هي مسمى المصدر وحصل عن الحركة

صوت يقطع حروف هو مسمى الكلم والكلام و [illegible] ونحو ذلك [illegible]

[illegible] وهذا وكذا كان الكلام [illegible] نوعا من [illegible] اذ أريد به

المصدر وتارة يحمل قسيما له اذا اريد [illegible] وهو [illegible] هذا وهذا

وهذا مبسوط في غير هذا الموضع

والمقصود هنا ان [illegible] المصدر كان [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] والفعل وهو

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

يفرق بين الحق والباطل كما تقدم كما سمي هدى باعتبار أنه يهدي الى الحق وشفاء باعتبار أنه يشفي القلوب من مرض الشبهات والشهوات ونحو ذلك من أسمائه وكذلك أسماء الرسول كالمقفي والماحي والحاشر وكذلك أسماء الله الحسنى كالرحمن والرحيم والملك والحكيم ونحو ذلك والقدوس تكون باعتبار الأسماء والصفات وان كان المسمى واحداً كقوله (سبح اسم ربك الأعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى) *وقوله (هو الأول والآخر والظاهر والباطن) ونحو ذلك *وهنا ذكر انه نزل الكتاب فانه نزله مفرقاً وانه انزل التوراة والانجيل وذكر انه انزل الفرقان وقد أنزل سبحانه وتعالى الايمان في القلوب وانزل الميزان والايمان والميزان مما يحصل به الفرقان أيضاً كما يحصل بالقرآن واذا انزل القرآن حصل به الايمان والفرقان ونظير هذا قوله (ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرا) قيل الفرقان هو التوراة وقيل هو النصر كما نصره على فرعون كما في قوله (ان كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان)

وكذلك قوله (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين) قيل النور هو محمد عليه الصلاة والسلام وقيل هو الاسلام *وقوله (قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نوراً مبيناً) قيل البرهان هو محمد وقيل هو الحجة والدليل وقيل القرآن والحجة والدليل تتناول الآيات التي بعث بها محمد صلى الله عليه وسلم لكنه هنا جاء بلفظ آتينا وجاءكم وهنا قال وأنزل الفرقان جاء بلفظ الانزال فانه شاع بينهم ان القرآن والفرقان يحصل بالعلم والبيان

كما حصل بالقرآن وتحصل بالنظر والتمييز بين أهل الحق والباطل بأن
ينجي هؤلاء وينصرهم ويعذب هؤلاء فيكون قد فرق بين الطائفتين
كما يفرق الفرقان بين أولياء الله وأعدائه بالاحسان الي هؤلاء وعقوبة
هؤلاء وهذا كقوله في القرآن في قوله (إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على
عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير) قال الوالبي
عن ابن عباس يوم الفرقان يوم بدر فرق الله فيه بين الحق والباطل
قال ابن أبي حاتم وروى عن مجاهد ومقسم وعبيد الله بن عبد الله
والضحاك وقتادة ومقاتل بن حيان نحو ذلك وبذلك فسر أكثرهم (إن
تتقوا الله يجعل لكم فرقانا) كما في قوله (ومن يتق الله يجعل له مخرجا)
أي من كل ضيق شدة قال الوالبي عن ابن عباس في قوله إن
تتقوا الله يجعل لكم فرقانا أي مخرجا قال ابن أبي حاتم وروى عن
مجاهد وعكرمة والضحاك وقتادة والسدي ومقاتل بن حيان كذلك
غير أن مجاهدا قال مخرجا في الدنيا والآخرة وروى عن الضحاك عن
ابن عباس قال نصرا قال وفي آخر قول ابن عباس والسدي نجاة وعن
عروة بن الزبير يجعل لكم فرقانا أي فصلا بين الحق والباطل يظهر
الله به حقكم ويطفئ به باطل من خالفكم وذكر البغوي عن مقاتل
ابن حيان قال مخرجا في الدنيا من أسباب الكفر قد يكون هذا تفسيرا
من مقاتل بن حيان كما ذكر أبو الفرج بن الجوزي عن ابن عباس
ومجاهد وعكرمة والضحاك وابن قتيبة انهم قالوا هو المخرج ثم قال
والمعنى يجعل لكم مخرجا في الدنيا من الضلال وليس مرادهم وانما

مرادهم المخرج المذكور فى قوله ومن يتق الله يجعل له مخرجا والفرقان المذكور فى قوله وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان وقد ذكر عن ابن زيد أنه قال هدى فى قلوبهم يعرفون به الحق من الباطل ونوعا الفرقان فرقان الهدى والبيان وهو النصر والنجاة وهو نوعا الظهور فى قوله تعالى هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله يظهره بالبيان والحجة والبرهان ويظهره باليد والنصر والسنان وكذلك السلطان فى قوله واجعل لى من لدنك سلطانا نصيراً فهذا النوع وهو الحجة والعلم كما فى قوله أم أنزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون وقوله الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان أتاهم ان فى صدورهم الا كبر وقوله ان هى إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان وقد فسر السلطان بسلطان القدرة واليد وفسر بالحجة والبيان ومن الفرقان ما نعته الله به فى قوله ورحمتى وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبى الامى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والاغلال التى كانت عليهم ففرق بين المعروف والمنكر امر بهذا ونهى عن هذا وبين الطيب والخبيث أحل هذا وحرم هذا

ومن الفرقان أنه فرق بين اهل الحق المهتدين المؤمنين المصلحين أهل الحسنات وبين أهل الباطل الكفار والضالين المفسدين أهل

السيئات قال تعالى أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم
كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون وقال
تعالى أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم
نجعل المتقين كالفجار وقال تعالى أفنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف
تحكمون وقال تعالى مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع
هل يستويان مثلا أفلا تذكرون وقال تعالى أمن هو قانت آناء الليل
ساجداً وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوي الذين
يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولو الألباب وقال تعالي وما
يستوي الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور
وما يستوي الأحياء ولا الأموات إن الله يسمع من يشاء وما أنت
بمسمع من في القبور إن أنت إلا نذير إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً
وقال تعالي أومن كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس
كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها وقال تعالى أفمن كان مؤمنا
كمن كان فاسقا لا يستوون فهو سبحانه يبين الفرق بين أشخاص أهل
الطاعة لله والرسول ومعصية لله والرسول كما بين الفرق بين ما أمر به
وبين ما نهى عنه

وأعظم من ذلك أنه بين الفرق بين الخالق والمخلوق وأن المخلوق
لا يجوز أن يسوى بين الخالق والمخلوق في شيء ويجعل المخلوق نداً
للخالق قال تعالى (ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم
كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله) وقال تعالى (هل تعلم له سمياً ولم

يكن له كفواً أحد ليس كمثله شيء وضرب الأمثال في القرآن على من
لم يفرق بل عدل بربه وسوى بينه وبين خلقه كما قالوا وهم في النار
يختصمون تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين
وقال تعالى أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون وان تعدوا نعمة الله
لا تحصوها ان الله لغفور رحيم والله يعلم ما تسرون وما تعلنون والذين
تدعون من دون الله لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون اموات غير أحياء
وما يشعرون أيان يبعثون .

فهو سبحانه الخالق العالم الحق الحي الذي لا يموت ومن سواه
لا يخلق شيئاً كما قال ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو
اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب
والمطلوب ما قدروا الله حق قدره .

وهذا مثل ضربه الله فان الذباب من أصغر الموجودات وكل من
يدعى من دون الله لا يخلقون ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئاً
لا يستنقذوه منه فاذا تبين انهم لا يخلقون ذبابا ولا يقدرون على انتزاع
ما سلبهم فهم عن خلق غيره وعن مغالبه أعجز وأعجز .

والمثل هو الأصل والنظير المشبه به كما قال ولما ضرب ابن مريم
مثلا اذا قومك منه يصدون أي لما جعلوه نظيرا قاسوا عليه آلهتهم وقالوا
اذا كان قد عبد وهو لا يعذب وكذلك آلهتنا فضربوه مثلا لآلهتهم
وجعلوا يصدون أي يضجون ويعجبون منه احتجاجا به على الرسول
والفرق بينه وبين آلهتهم ظاهر كما بينه في قوله تعالى ان الذين سبقت

لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون وقال في فرعون وجعلناه سلفا ومثلا للآخرين أي مثلا يعتبر به ويقاس عاقبة غيره فمن عمل بمثل عمله جوزي بجزائه ليتعظ الناس به فلا يعمل بمثل عمله وقال تعالى ولقد أنزلنا اليكم آيات مبينات ومثلا من الذين خلوا من قبلكم وهو ما ذكره من أحوال الامم الماضية التي يعتبر بها ويقاس عليها أحوال الامم المستقبلة كما قال لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب فمن كان من أهل الايمان قيس بهم وعلم ان الله يسعده في الدنيا والآخرة ومن كان من اهل الكفر قيس بهم وعلم ان الله يشقيه في الدنيا والآخرة كما قال في حق هؤلاء أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة في الزبر وقد قال قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين وقال في حق المؤمنين وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وقال وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين وقال في قصة أيوب رحمة من عندنا وذكرى للعابدين رحمة منا وذكرى لاولي الالباب وقال اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقال أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا ان نصر الله قريب وقال وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك * فلفظ المثل يراد به النظير الذي يقاس عليه ويعتبر

به ويراد به مجموع القياس قال سبحانه وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم أي لا أحد يحييها وهي رميم * فمثل الخالق بالمخلوق في هذا الذي يجعل هذا مثل هذا لا يقدر على احيائها سواء بطريقة قياس تمثيل أو قياس شمول كما قد بسط الكلام على هذا في غير هذا الموضع وبين ان معنى القياس قياس بالشمول وقياس بالتمثيل وان المثل المضروب المذكور في القرآن فاذا قال النبيذ مسكر وكل مسكر حرام وأثبت الدليل على المقدمة الكبرى بقوله صلى الله عليه وسلم كل مسكر حرام فهو كقوله صلى الله عليه وسلم قياساً على الخمر لان الخمر انما حرمت لأجل الاسكار وهو موجود في النبيذ فقوله ضرب مثل فاستمعوا له جعل ماهو من أصغر المخلوقات مثلا ونظيراً يعتبر به فاذا كان أدون خلق الله لا يقدرون على خلقه ولا منازعته فلا يقدرون على خلق ماسواه فعلم بها من عظمة الخالق وان كل ما يعبدون من دون الله في السماء والارض لا يقدرون على ماهو أصغر مخلوقاته وقد قيل انهم جعلوا آلهتهم مثلا لله فاستمعوا لذكرها وهذا لانهم لم يفهموا المثل الذي ضربه الله جعلوا المشركين هم الذين ضربوا هذا المثل ومثل هذا في القرآن قد ضربه الله تبين أنه لا يقاس المخلوق بالخالق ويجعل له نداً ومثلا كقوله قل من يرزقكم من السماء والارض أم من يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الامر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق الا الضلال فانى تصرفون كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا انهم

لا يؤمنون قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده قل الله يبدأ
الخلق ثم يعيده فأنى تؤفكون قل هل من شركائكم من يهدي الى
الحق قل الله يهدي للحق أفمن يهدي الى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي
الا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون وما يتبع أكثرهم الا ظنا ان الظن
لا يغني من الحق شيئا ان الله عليم بما يفعلون

ولما قرر الوحدانية قرر النبوة كذلك فقال وما كان هذا القرآن
أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب
لا ريب فيه من رب العالمين أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة من مثله
وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين بل كذبوا بما لم
يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله وهؤلاء مثلوا المخلوق بالخالق وهذا من
تكذيبهم اياه ولهذا كان المشركون يسوون بين آلهتهم وبين الله في كل
شيء بل كانوا يؤمنون بأن الله هو الخالق المالك لهم وهم مخلوقون
مربوبون له ولكن كانوا يسوون بينه وبينها في المحبة والتعظيم والدعاء
والعبادة والنذر لها ونحو ذلك مما يخص به الرب فمن عدل بالله غيره في
شيء من خصائصه سبحانه وتعالى فهو مشرك بخلاف من لا يعدل به
ولكن يذنب مع اعترافه بأن الله ربه وحده وخضوعه له خوفا من
عقوبة الذنب فهذا يفرق بينه وبين من لا يعترف بتحريم ذلك .

(فصل) وهو سبحانه وتعالى كما يفرق بين الامور المختلفة فانه
يجمع ويسوي بين الامور المتماثلة فيحكم في الشيء خلقا وأمرا بحكم مثله
لا يفرق بين متماثلين ولا يسوي بين شيئين غير متماثلين بل ان كانا

مختلفين متضادين لم تسو بينهما

ولفظ الاختلاف في القرآن يراد به التضاد والتعارض لا يراد به مجرد عدم التماثل كما هو اصطلاح كثير من النظار ومنه قوله ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيراً وقوله انكم لفي قول مختلف يؤفك عنه من افك وقوله ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر

وقد بين سبحانه وتعالى ان السنة لا تبدل ولا تحول في غير موضع * والسنة هي العادة التي تتضمن أن يفعل في الثاني مثل مافعل بنظيره الاول ولهذا أمر سبحانه وتعالى بالاعتبار وقال لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب

والاعتبار أن يقرن الشيء بمثله ويعلم أن حكمه مثل حكمه كما قال ابن عباس هلا اعتبرتم الاصابع بالاسنان فاذا قال فاعتبروا ياأولي الابصار وقال لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب أفاد أن من عمل مثل أعمالهم جوزي مثل جزائهم ليحذر ان يعمل مثل أعمال الكفار وليرغب في أن يعمل مثل أعمال المؤمنين اتباع الانبياء قال تعالى قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين وقال تعالى وان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها واذا لا يلبثون خلافك الا قليلا سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا وقال تعالى لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا

ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا وهذه الآية أنزلها الله بعد الاحزاب وظهور الاسلام وذل المنافقين فلم يستطيعوا أن يظهروا بعد هذا ما كانوا يظهرونه قبل ذلك قبل بدر وبعدها وقبل أحد وبعدها وأخفوا النفاق وكتموه فلهذا لم يقتلهم النبي صلى الله عليه وسلم

وهذا يجب من لم يقبل الزندقة ويقول اذا أخفوا زندقتهم لم يمكن قتلهم ولكن اذا أظهروها قتلوا بهذه الآية بقوله ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا

قال قتادة ذكر لنا ان المنافقين كانوا يظهرون ما في أنفسهم من النفاق فاوعدهم الله بهذه الآية فلما أوعدهم بهذه الآية أسروا ذلك وكتموه سنة الله في الذين خلوا من قبل يقول هكذا سنة الله فيهم اذا أظهروا النفاق قال مقاتل ابن حيان قوله سنة الله في الذين خلوا من قبل يعني كما قتل أهل بدر وأسروا فذلك قوله سنة الله في الذين خلوا من قبل

قال السدي كان النفاق على ثلاثة أوجه نفاق مثل نفاق عبد الله ابن أبي وعبد الله بن نبتل ومالك بن داعس فكان هؤلاء وجوها من وجوه الانصار فكانوا يستحيون أن يأتوا الزنا يصونون بذلك أنفسهم والذين في قلوبهم مرض قال الزناة ان وجدوه عملوا به وان لم يجدوه لم يتبعوه ونفاق يكابرون النساء مكابرة وهم هؤلاء الذين يجالسون على

الطريق ثم قال فلعوبن ثم قصات الآية أينما ثقفوا يعملون هذا العمل مكابرة النساء * قال السدي هذا حكم في القرآن ليس نعمل به لو أن رجلا أو أكثر من ذلك اقتصوا أثر امرأة فغلبوها على نفسها ففجروا بها كان الحكم فيهم غير الجلد والرجم أن يؤخذوا وتضرب أعناقهم

قال السدي قوله سنة كذلك كان يعمل بمن مضى من الامم قال فمن كابر امرأة على نفسها فقتل فليس على قاتله دية لانه مكابر

قلت هذا على وجهين أحدهما أن يقتل دفعا لصوله عنها مثل أن يقهرها فهذا دخل في قوله من قتل دون حرمته فهو شهيد وهذه لها أن تدفعه بالقتل لكن اذا طاوعت ففيه نزاع وتفصيل وفيه قصتان عن عمر وعلى معروفتان وأما اذا أخرها مستكرها ولم تجد من ينصرها عليه فهؤلاء نوعان أحدهما أن يكون له شوكة كالمحاربين لاخذ المال وهؤلاء محاربون للفاحشة فيقتلوا قال السدي وقد قاله غيره وذكر أبو الليث أن هذه حرمت عنده ورأى أن هؤلاء أحق بأن يكونوا محاربين والثاني أن لا يكونوا ذوي شوكة بل يفعلون ذلك غيلة واحتيالا حتى اذا صارت عندهم المرأة أكرهوها فهذا المحارب غيلة كما قال السدي فيقتل أيضا وان كانوا جماعة في المصر فهم كالمحاربين في المصر وهذه المسائل لها مواضع أخر

والمقصود ان الله أخبر ان سنته لن تبدل ولن تتحول وسنته عادته التي يسوي فيها بين الشيء وبين نظيره الماضي وهذا يقتضي انه سبحانه يحكم في الامور المتماثلة بأحكام متماثلة ولهذا قال أكفاركم خير من أولئكم وقال احشروا الذين ظلموا وأزواجهم أي أشباههم ونظراءهم

وقال وإذا النفوس زوجت قرن النظير بنظيره وقال تعالى أم حسبتم
أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم وقال قد كانت
لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم
ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء
أبدا وقال والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم
بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري من تحتها
الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم

فجعل التابعين لهم بإحسان مشاركين لهم فيما ذكر من الرضوان
والجنة وقد قال تعالى والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم
فأولئك منكم وقال تعالى والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا
ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا
إنك رؤف رحيم وقال تعالى وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز
الحكيم فمن اتبع السابقين الأولين كان منهم وهم خير الناس بعد الأنبياء
فإن أمة محمد خير أمة أخرجت للناس وأولئك خير أمة محمد كما ثبت في
الصحاح من غير وجه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال خير القرون القرن
الذي بعثت فيهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم * ولهذا كان معرفة أقوالهم
في العلم والدين وأعمالهم خيرا وأنفع من معرفة أقوال المتأخرين وأعمالهم
في جميع علوم الدين وأعماله كالتفسير وأصول الدين وفروعه والزهد
والعبادة والأخلاق والجهاد وغير ذلك فإنهم أفضل ممن بعدهم كما دل
عليه الكتاب والسنة فالاقتداء بهم خير من الاقتداء بمن بعدهم ومعرفة

اجماعهم ونزاعهم في العلم والدين خير وأنفع من معرفة مايذكر من اجماع غيرهم ونزاعهم

وذلك أن اجماعهم لايكون الا معصوما واذا تنازعوا فالحق لايخرج عنهم فيمكن طلب الحق في بعض أقاويلهم ولايحكم بخطأ قول من أقوالهم حتى يعرف دلالة الكتاب والسنة على خلافه قال تعالى أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا

وأما المتأخرون الذين لم يتحروا متابعتهم وسلوك سبيلهم ولاهم خبرة بأقوالهم وأفعالهم بل هم في كثير مما يتكلمون به في العلم ويعملون به ولايعرفون طريق الصحابة والتابعين في ذلك من أهل الكلام والرأى والزهد والتصوف فهؤلاء تجد عمدتهم في كثير من الامور المهمة في الدين انما هو عما يظنونه من الاجماع وهم لايعرفون في ذلك أقوال السلف البتة أو عرفوا بعضها ولم يعرفوا سائرها فتارة يحكون الاجماع ولايعلمون الاقولهم وقول من نازعهم من الطوائف المتأخرين طائفة أوطائفتين أو ثلاث وتارة عرفوا أقوال بعض السلف والاول كثير في مسائل أصول الدين وفروعه كما تجد كتب أهل الكلام مشحونة بذلك يحكون اجماعا ونزاعا ولايعرفون ماقال السلف في ذلك البتة بل قد يكون قول السلف خارجا عن أقوالهم كما تجد ذلك في مسائل أقوال الله وأفعاله وصفاته مثل مسئلة القرآن والرؤية والقدر وغير ذلك وهم

اذا ذكروا اجماع المسلمين لم يكن لهم علم بهذا الاجماع فانه لو أمكن العلم
باجماع المسلمين لم يكن هؤلاء من أهل العلم به لعدم علمهم بأقوال السلف
وكيف اذا كان السلف يتنازعون بعد القطع بجماعهم في مسائل النزاع
بخلاف السلف فانه يمكن العلم باجماعهم كثيرا واذا ذكروا نزاع
المتأخرين لم يكن بمجرد ذلك أن يجعل هذه من مسائل الاجتهاد التي
يكون كل قول من تلك الاقوال سائغا لم يخالف اجماعا لان كثيرا من
أصول المتأخرين محدث مبتدع في الاسلام مسبوق باجماع السلف على
خلافه والنزاع الحادث بعد اجماع السلف خطأ قطعا كخلاف الخوارج
والرافضة والقدرية والمرجئة ممن قد اشتهرت لهم أقوال خالفوا فيها
النصوص المستفيضة المعلومة واجماع الصحابة بخلاف ما يعرف من نزاع
السلف فانه لا يمكن أن يقال فيه خارج عن الاجماع وانما يرد بالنص واذا
قيل قد أجمع التابعون على أحد قوليهم فارتفع النزاع فمثل هذا مبني على
مقدمتين احداهما العلم بأنه لم يبق في الامة من يقول بقول الآخر وهذا
متعذر * الثاني ان مثل هذا هل يرفع النزاع مشهور فنزاع السلف
يمكن القول به اذا كان معه حجة على خلافه ونزاع المتأخرين
لا يمكن هذا لان كثيرا منه قد تقدم الاجماع على خلافه كما دلت
النصوص على خلافه ومخالفة اجماع السلف خطأ قطعا وأيضا فلم يبق
مسئلة في الدين الا وقد تكلم فيها السلف فلا بد أن يكون لهم قول يخالف
ذلك القول أو يوافقه وقد بسطنا في غير هذا الموضع ان الصواب في
أقوالهم أكثر وأحسن وان خطأهم أخف من خطأ المتأخرين وان

المتأخرين أكثر خطأ وأفحش وهذا في جميع علوم الدين ولهذا أمثلة
كثيرة يضيق هذا الموضع عن استقصائها والله سبحانه أعلم

(فصل ومما ينبغي أن يعلم أن القرآن والحديث) إذا عرف
تفسيره من جهة النبي صلى الله عليه وسلم لم يحتج في ذلك إلى أقوال أهل
اللغة فإنه قد عرف تفسيره وما أريد بذلك من جهة النبي صلى الله عليه وسلم
لم يحتج في ذلك إلى الاستدلال بأقوال أهل اللغة ولا غيرهم ولهذا قال
الفقهاء الأسماء ثلاثة أنواع نوع يعرف حده بالشرع كالصلاة والزكاة
ونوع يعرف حده باللغة كالشمس والقمر ونوع يعرف حده بالعرف
كلفظ القبض ولفظ المعروف في قوله وعاشروهن بالمعروف

وكان من أعظم ما أنعم الله به عليهم اعتصامهم بالكتاب والسنة
فكان من الأصول المتفق عليها بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان أنه
لا يقبل من أحد قط أن يعارض القرآن لا برأيه ولا ذوقه ولا معقوله ولا
قياسه ولا وجده فإنهم ثبت عنهم بالبراهين القطعيات والآيات البينات
أن الرسول جاء بالهدى ودين الحق وأن القرآن يهدي للتي هي أقوم فيه
نبأ من قبلهم وخبر ما بعدهم وحكم ما بينهم هو الفصل ليس بالهزل من
تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله هو حبل الله
المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم وهو الذي لا تزيغ به
الأهواء ولا تلتبس به الألسن فلا يستطيع أن يزيغه إلى هواه ولا يحرف
به لسانه ولا يخلق عن كثرة الترداد فإذا ردد مرة بعد مرة لم يخلق ولم يمل
كغيره من الكلام ولا تنقضي عجائبه ولا تشبع منه العلماء من قال به

صدق ومن عمل به اجر ومن حكم به عدل ومن دعى اليه هدى الى صراط مستقيم

فكان القرآن هو الامام الذى يقتدى به ولهذا لا يوجد فى كلام أحد من السلف أنه عارض القرآن بعقل ورأى وقياس ولا بذوق ووجد ومكاشفة ولا قال قط قد تعارض في هذا العقل والنقل فضلا عن أن يقول فيجب تقديم العقل والنقل يعني القرآن والحديث وأقوال الصحابة والتابعين اما أن يفوض واما أن يؤول * ولا فيهم من يقول ان له ذوقا أو وجدا أو مخاطبة أو مكاشفة تخالف القرآن والحديث فضلا عن أن يدعي أحدهم انه أخذ من حيث يأخذ الملك الذى يأتي الرسول * وانه يأخذ من ذلك المعدن علم التوحيد والانبياء كلهم يأخذون عن مشكاته أو يقول الولى أفضل من النبي ونحو ذلك من مقالات أهل الالحاد * فان هذه الاقوال لم تكن حدثت بعد في المسلمين * وانما يعرف مثل هذه اما من ملاحدة اليهود والنصارى فان فيهم من يجوز ان غير النبي أفضل من النبي كما قد يقوله فى الحواريين فانهم عندهم رسل وهم يقولون أفضل من داود وسليمان بل ومن ابراهيم وموسى وان سموهم أنبياء الى أمثال هذه الامور * ولم يكن السلف يقبلون معارضة الآية الا بآية أخرى تفسرها وتنسخها أو بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم تفسرها * فان سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم تبين القرآن وتدل عليه وتعبر عنه وكانوا يسمون ما عارض الآية ناسخا لها فالنسخ عندهم اسم عام لكل ما رفع دلالة الآية على معنى باطل وان كان ذلك المعنى لم يرد بها

وان كان لا يدل عليه ظاهر الآية بل قد   وقد فهمه

منها قوم فيسمون ما رفع ذلك الايهام والافهام نسخا   هذه

التسمية لا تؤخذ عن كل واحد منهم وأصل ذلك   الشيطان

ثم يحكم الله آياته فما ألقاه الشيطان في الاذهان من ظن دلالة الآية

على معنى لم تدل عليه سمي هؤلاء ما رفع ذلك الظن نسخا كما سموا

قوله فاتقوا الله ما استطعتم ناسخا لقوله فاتقوا الله حق تقاته وقوله لا يكلف

الله نفسا الا وسعها ناسخا لقوله ان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه

يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وامثال ذلك مما ليس

هذا موضع بسطه

اذ المقصود انهم كانوا متفقين على ان القرآن لا يعارضه الا قرآن

لا رأي ومعقول وقياس ولا ذوق ووجد والهام ومكاشفة

وكانت البدع الاولى مثل بدعة الخوارج انما هي من سوء فهمهم

للقرآن لم يقصدوا معارضته لكن فهموا منه ما لم يدل عليه فظنوا انه

يوجب تكفير أرباب الذنوب اذ كان المؤمن هو البر التقي قالوا فمن لم

يكن برا تقيا فهو كافر وهو مخلد في النار ثم قالوا وعثمان وعلي ومن

والاهما ليسوا بمؤمنين لانهم حكموا بغير ما أنزل الله فكانت بدعتهم لها

مقدمتان الواحدة ان من خالف القرآن بعمل أو برأي أخطأ فيه فهو

كافر والثانية ان عثمان وعليا ومن والاهما كانوا كذلك ولهذا يجب

الاحتراز من تكفير المسلمين بالذنوب والخطايا فانه أول بدعة ظهرت

في الاسلام فكفر أهلها المسلمين واستحلوا دماءهم وأموالهم وقد ثبت

عن النبي صلى الله عليه وسلم الأحاديث الصحيحة في ذمهم والأمر بقتالهم قال الامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه صح فيهم الحديث من عشرة أوجه ولهذا قد أخرجها مسلم في صحيحه وافرد البخاري قطعة منها وهم مع هذا الذم انما قصدوا اتباع القرآن فكيف بمن يكون بدعته معارضة القرآن والاعراض عنه وهو مع ذلك يكفر المسلمين كالجهمية ثم الشيعة لما حدثوا لم يكن الذي ابتدع التشيع قصده الدين بل كان غرضه فاسداً وقد قيل انه كان منافقاً زنديقاً فاصل بدعتهم مبنية على الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتكذيب الأحاديث الصحيحة ولهذا لا يوجد في فرق الامة من الكذب أكثر مما يوجد فيهم بخلاف الخوارج فانه لا يعرف فيهم من يكذب

(والشيعة) لا يكاد يوثق برواية أحد منهم من شيوخهم لكثرة الكذب فيهم ولهذا أعرض عنهم أهل الصحيح فلا يروي البخاري ومسلم أحاديث علي الا عن أهل بيته كأولاده مثل الحسن والحسين ومثل محمد ابن الحنفية وكاتبه عبيد الله بن أبي رافع أو أصحاب ابن مسعود وغيرهم مثل عبيدة السلماني والحرث التيمي وقيس بن عباد وأمثالهم اذ هؤلاء صادقون فيما يروونه عن علي فلهذا أخرج أصحاب الصحيح حديثهم

وهاتان الطائفتان الخوارج والشيعة حدثوا بعد مقتل عثمان وكان المسلمون في خلافة أبي بكر وعمر وصدراً من خلافة عثمان في السنة الاولى من ولايته متفقين لا تنازع بينهم ثم حدث في أواخر خلافة عثمان أمور أوجبت نوعاً من التفرق وقام قوم من أهل الفتنة والظلم فقتلوا

عثمان فتفرق المسلمون بعد مقتل عثمان ولما اقتتل المسلمون بصفين واتفقوا على تحكيم حكمين

خرجت الخوارج على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وفارقوه وفارقوا جماعة المسلمين الى مكان يقال له حروراء فكشف عنهم أمير المؤمنين وقال لكم علينا أن لا نمنعكم حقكم من الفيء ولا نمنعكم المساجد الى أن استحلوا دماء المسلمين وأموالهم فقتلوا عبد الله بن خباب وأغاروا على سرح المسلمين فعلم علي أنهم الطائفة التي ذكرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم وقراءته مع قراءتهم يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية آيتهم فيهم رجل مخدج اليد عليها بضعة عليها شعرات وفي رواية يقتلون أهل الاسلام ويدعون أهل الاوثان فخطب الناس وأخبرهم بما سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هم هؤلاء القوم قد سفكوا الدم الحرام وأغاروا على سرح الناس فقاتلهم ووجد العلامة بعد أن كاد لا يوجد فسجد لله شكراً

وحدث في أيامه الشيعة لكن كانوا مختفين بقولهم لا يظهرونه لعلي وشيعته بل كانوا ثلاثة طوائف

طائفة تقول انه اله وهؤلاء لما ظهر عليهم أحرقهم بالنار وخدلهم أخاديد عند باب مسجد بني كندة وقيل انه أنشد

لما رأيت الامر أمراً منكراً * أججت ناري ودعوت قنبرا

وقد روى البخاري في صحيحه عن ابن عباس قال اتي علي بزنادقة

يحرقهم بالنار ولو كنت أنا لم أحرقهم لنهي النبي صلى الله عليه وسلم أن يعذب بعذاب الله ولضربت أعناقهم لقوله من بدل دينه فاقتلوه

وهذا الذي قاله ابن عباس هو مذهب أكثر الفقهاء وقد روى أنه أجلهم ثلاثا

(والثانية) السابة وكان قد بلغه عن أبي السوداء انه كان يسب أبا بكر وعمر فطلبه قيل انه طلبه ليقتله فهرب منه

(والثالثة) المفضلة الذين يفضلونه على أبي بكر وعمر فتواتر عنه انه قال خير هذه الامة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر وروى ذلك البخاري في صحيحه عن محمد بن الحنفية انه سأل أباه من خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر قال ثم من قال عمر وكانت الشيعة الاولى لا يتنازعون في تفضيل أبي بكر وعمر وانما كان النزاع في علي وعثمان ولهذا قال شريك ابن عبد الله ان أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر فقيل له تقول هذا وأنت من الشيعة فقال كل الشيعة كانوا على هذا وهو الذي قال هذا على اعواد منبره أفتكذبه فيما قال ولهذا قال سفيان الثوري من فضل عليا على أبي بكر وعمر فقد ازرى بالمهاجرين والانصار وما أرى يصعد له الى الله عز وجل عمل وهو كذلك رواه أبوداود في سننه وكأنه يعرض بالحسن بن صالح بن حي فان الزيدية الصالحة وهم أصلح طوائف الزيدية ينسبون اليه

ولكن الشيعة لم يكن لهم في ذلك الزمان جماعة المسلمين ولا امام ولا دار ولا سيف يقاتلون به المسلمين وانما كان هذا للخوارج تميزوا

بالامام والجماعة والدار وسموا دارهم دار الهجرة وجعلوا دار المسلمين دار كفر وحرب

وكلا الطائفتين تطعن بل تكفر ولاة المسلمين وجمهور الخوارج يكفرون عثمان وعليا ومن تولاهما والرافضة يلعنون أبا بكر وعمر وعثمان ومن تولاهما ولكن الفساد الظاهر كان في الخوارج من سفك الدماء وأخذ الاموال والخروج بالسيف فلهذا جاءت الاحاديث الصحيحة بقتالهم والاحاديث في ذمهم والامر بقتالهم كثيرة جداً وهي متواترة عند أهل الحديث مثل أحاديث الرؤية وعذاب القبر وفتنته وأحاديث الشفاعة والحوض

﴿ وقد رويت أحاديث في ذم القدرية والمرجئة ﴾ روى بعضها أهل السنن كأبي داود وابن ماجه وبعض الناس يثبتها ويقويها ومن العلماء من طعن فيها وضعفها ولكن الذي ثبت في ذم القدرية ونحوهم هو عن الصحابة كابن عمر وابن عباس

﴿ وأما لفظ الرافضة ﴾ فهذا اللفظ أول ما ظهر في الاسلام لما خرج زيد بن علي بن الحسين في اوائل المائة الثانية في خلافة هشام بن عبد الملك واتبعه الشيعة فسئل عن أبي بكر وعمر فتولاهما وترحم عليهما فرفضه قوم فقال رفضتموني رفضتموني فسموا الرافضة فالرافضة تتولى أخاه أبا جعفر محمد بن علي والزيدية يتولونه ويتولون أباه ومن حينئذ انقسمت الشيعة الى زيدية والرافضة امامية

﴿ ثم في آخر عصر الصحابة حدثت القدرية ﴾ وأصل بدعتهم كانت من

محر عمولهم عن الايمان بقدر الله والايمان بامره ونهيه ووعده ووعيده وظنوا ان دلك ممتنع وكانوا قد آمنوا بدين الله وأمره ونهيه ووعده ووعيده وظنوا انه اذا كان كذلك لم يكن قد علم قبل الامر من يطيع ومن يعصي لانهم ظنوا أن من علم ماسيكون لم يحسن منه أن أمر وهو يعلم أن المأمور يعصيه ولا يطيعه وظنوا ايضا انه اذا علم انهم يفسدون لم يحسن أن يخلق من يعلم انه يفسد فلما بلغ قولهم بانكار القدر السابق للصحابة أنكروا انكارا عظيما وتبرؤا منهم حتى قال عبد الله بن عمر أخبر أولئك أني بريء منهم وانهم مني برآء والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو أن لاحدهم مثل أحد ذهبا فانفقه ماقبله الله منه حتى يؤمن بالقدر وذكر عن أبيه حديث جبريل وهذا أول حديث في صحيح مسلم وقد أخرجه البخاري ومسلم من طريق أبي هريرة أيضاً مختصرا

ثم كثر الخوض في القدر وكان أكثر الخوض فيه بالبصرة والشام وبعضه في المدينة فصار مقصودهم وجمهورهم يقرون بالقدر السابق وبالكتاب المتقدم وصار نزاع الناس في الارادة وخلق أفعال العباد فصاروا في ذلك حزبين* النفاة يقولون لاارادة الا بمعنى المشيئة وهو لم يرد الا ماأمر به ولم يخلق شيأ من أفعال العباد* وقابلهم الخائضون في القدر من المجبرة مثل الجهم بن صفوان وامثاله فقالوا ليست الارادة الا بمعنى المشيئة والامر والنهي لايستلزم ارادة وقالوا العبد لافعل له البتة ولا قدرة بل الله هو الفاعل القادر فقط وكان جهم مع ذلك ينفي الاسماء والصفات يذكر عنه انه قال لايسمى الله شيأ ولا غير ذلك من

الاسماء التى اسمى بها العباد الا القادر فقط لأن العبد ليس بقادر * وكان الخوارج قد تكلموا في تكفير أهل الذنوب من أهل الملة وقالوا انهم كفار مخلدون في النار فخاض الناس فى ذلك وخاض فى ذلك القدرية بعد موت الحسن البصرى فقال عمرو بن عبيد وأصحابه لاهم مسلمون ولا كفار بل لهم منزلة بين المنزلتين وهم مخلدون فى النار فوافقوا الخوارج على انهم مخلدون وعلي انه ليس معهم من الاسلام والايمان شيء ولكن لم يسموهم كفارا واعتزلوا حلقه أصحاب الحسن البصرى مثل قتادة وايوب السختيانى وأمثالهما

﴿ فسموا معتزلة من ذلك الوقت بعد موت الحسن ﴾ وقيل ان قتادة كان يقول أولئك المعتزلة

وتنازع الناس في الاسماء والاحكام أى فى أسماء الدين مثل مسلم ومؤمن وكافر وفاسق وفى أحكام هؤلاء فى الدنيا والآخرة فالمعتزلة وافقوا الخوارج على حكمهم فى الآخرة دون الدنيا فلم يستحلوا من دمائهم وأموالهم ما استحلته الخوارج وفي الاسماء أحدثوا المنزلة بين المنزلتين وهذه خاصة المعتزلة التي انفردوا فيها وسائر أقوالهم قد شاركهم فيها غيرهم

﴿ وحدثت المرجئة ﴾ وكان أكثرهم من أهل الكوفة ولم يكن أصحاب عبد الله من المرجئة ولا ابراهيم النخعي وأمثاله فصاروا نقيض الخوارج والمعتزلة فقالوا ان الاعمال ليست من الايمان وكانت هذه البدعة أخف البدع فان كثيرا من النزاع فيها نزاع في الاسم واللفظ

دون الحكم اذ كان الفقهاء الذين اضاف اليهم هذا القول مثل حماد بن أبى سليمان وأبى حنيفة وغيرهما هم مع سائر أهل السنة متفقين على ان الله يعذب من يعذبه من أهل الكبائر بالنار ثم يخرجهم بالشفاعة كما جاءت الاحاديث الصحيحة بذلك وعلي انه لابد فى الايمان أن يتكلم بلسانه وعلى ان الاعمال المفروضة واجبة وتاركها مستحق للذم والعقاب وكان فى الاعمال هل هي من الايمان وفي الاستثناء ونحو ذلك وعامته نزاع لفظى فان الايمان اذا أطلق دخلت فيه الاعمال لقول النبي صلى الله عليه وسلم الايمان بضع وستون شعبة أو بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لااله الا الله وأدناها اماطة الاذى عن الطريق والحياء شعبة من الايمان واذا عطف عليه العمل كقوله ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات فقد ذكر مقيدا بالعطف فهنا قد يقال الاعمال دخلت فيه وعطفت عطف الخاص على العام وقد يقال لم تدخل فيه ولكن مع العطف كما في اسم الفقير والمسكين اذا أفرد أحدهما تناول الآخر واذا عطف أحدهما على الآخر فهما صنفان كما في آية الصدقات كقوله انما الصدقات للفقراء والمساكين وكما فى آية الكفارة كقوله فكفارته اطعام عشرة مساكين وفى قوله وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم فالفقير والمسكين شيء واحد وهذا التفصيل فى الايمان هو كذلك فى لفظ البر والتقوي والمعروف وفي الاثم والعدوان والمنكر تختلف دلالتها في الافراد والاقتران لمن تدبر القرآن وقد بسط هذا بسطاً كثيرا في الكلام فى الايمان وشرح حديث جبريل الذي فيه بيان ان الايمان

أصله في القلب وهو الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله كما في المسند عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال الاسلام علانيه والايمان في القلب وقد قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح الا ان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح لها سائر الجسد واذا فسدت فسد لها سائر الجسد ألا وهى القلب فاذا كان الايمان في القلب فقد صلح القلب فيجب أن يصلح سائر الجسد فلذلك هو ثمره مافي القلب فلهذا قال بعضهم الاعمال ثمرة الايمان وصحه لما كانت لازمه لصلاح القلب دخلت فى الاسم كما نطق بذلك الكتاب والسنة في غير موضع وفى الجملة الذين رموا بالارجاء من الاكابر مثل طلق بن حبيب وابراهيم التيمى ونحوهما كان ارجاؤهم من هذا النوع

﴿ وكانوا أيضا ﴾ لا يستثنون في الايمان وكانوا يقولون الايمان هو الايمان الموجود فينا ونحن نقطع بانا مصدقون ويرون الاستثناء شكا وكان عبد الله بن مسعود وأصحابه يستثنون وقد روى في حديث انه رجع عن ذلك لما قال له بعض أصحاب معاذ ماقال لكن أحمد أنكر هذا وضعف هذا الحديث وصار الناس في الاستثناء على ثلاثة أقوال قول انه يجب الاستثناء ومن لم يستثن كان مبتدعا وقول ان الاستثناء محظور فانه يقتضى الشك في الايمان والقول الثالث أوسطها وأعدلها انه يجوز الاستثناء باعتبار وتركه باعتبار فاذا كان مقصوده انى لا أعلم انى قائم في كل ماأوجب الله على وانه يقبل أعمالى ليس مقصوده الشك فيما فى قلبه فهذا استثناؤه حسن وقصده أن لا يزكى نفسه وأن لا يقطع بأنه

عمل عملا كما أمر وقبل منه والذنوب كثيرة والنفاق مخوف على عامة الناس قال ابن أبي مليكة أدركت ثلاثين من أصحاب محمد كلهم يخاف النفاق على نفسه لا يقول واحد منهم ان ايمانه كايمان جبريل وميكائيل والبخاري في أول صحيحه بوب أبوابا في الايمان والرد على المرجئة وقد ذكر بعض من صنف في هذا الباب من أصحاب أبي حنيفة قال وأبو حنيفة وأبو يوسف ومحمد كرهوا أن يقول الرجل ايماني كايمان جبريل وميكائيل قال محمد لانهم أفضل يقينا أو ايماني كايمان جبريل أو ايماني كايمان أبي بكر أو كايمان هذا ولكن يقول آمنت بما آمن به جبريل وأبو بكر

وأبو حنيفة وأصحابه لا يجوزون الاستثناء في الايمان بكون الاعمال منه ويذمون المرجئة والمرجئة عندهم الذين لا يوجبون الفرائض ولا اجتناب المحارم بل يكتفون بالايمان وقد علل تحريم الاستثناء وبانه لا يصح تعليقه على الشرط لان المعلق على الشرط لا يوجد الا عند وجوده كما قالوا في قوله أنت طالق ان شاء الله فاذا علق الايمان بالشرط كسائر المعلقات بالشرط لا يحصل الا عند حصول الشرط قالوا وشرط المشيئة الذي يرجاه القائل لا يتحقق حصوله الى يوم القيامة فاذا علق العزم بالفعل على التصديق والإقرار فقد ظهرت المشيئة وصح العقد فلا معنى للاستثناء ولان الاستثناء عقيب الكلام يرفع الكلام فلا يبقى الاقرار بالايمان والعقد مؤمنا وربما يوهم هذا القائل الفارق بالاستثناء على الايمان بقاء التصديق وذلك يزيله

(قلت) فتعليلهم في المسألة انما يتوجه فيمن يعلق انشاء الايمان

على المشيئة كالذى يريد الدخول فى الاسلام فيقال له آمن فيقول أنا او من ان شاء الله أو آمنت ان شاء الله أو أسلمت ان شاء الله أو أشهد ان شاء الله أن لااله الا الله وأشهد ان شاء الله أن محمدا رسول الله والذين استثنوا من السلف والخلف لم يقصدوا فى الانشاء وانما كان استثناؤهم في اخباره عما قد حصل له من الايمان فاستثنوا اما ان الايمان المطلق يقتضي دخول الجنة وهم لايعلمون الخاتمة كانه اذا قيل للرجل أنت مؤمن قيل له أنت عبد الله مؤمن من أهل الجنة ويقول أنا كذلك ان شاء الله أو لانهم لايعرفون انهم أتوا بكمال الايمان الواجب ولهذا كان من جواب بعضهم اذا قيل له أنت مؤمن آمنت بالله وملائكته وكتبه ويجزم بهذا ولا يعلقه أو يقول ان كنت تريد الايمان الذى يعصم دمي ومالي فأنا مؤمن وان كنت تريد قوله انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقا وقوله انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله اولئك هم الصادقون فأنا مؤمن ان شاء الله وأما الاستثناء لم يستثن فيه أحد ولا شرع الاستثناء فيه بل كل من آمن وأسلم آمن وأسلم جزما بلا تعليق

وتبين ان النزاع فى المسئلة قد يكون لفظيا فان الذي جزم به هؤلاء غير الذى استثنيه وأمر به أولئك ومن جزم جزم بما فى قلبه من

احال وهـذا حق لاينافي تعلق الكمال والعاقبة ولكن هؤلاء عندهم الاعمال ليست من الايمان فصار الايمان هو الاسلام عند أولئك

﴿ والمشهور عند أهل الحديث أنه لا يستثني في الاسلام ﴾ وهو المشهور عن أحمد رضي الله عنه وقد روي عنه فيه الاستثناء كما قد بسط هذا في شرح حديث جبريل وغيره من نصوص الايمان التي في الكتاب والسنة

﴿ ولو قال لامرأته أنت طالق ان شاء الله ﴾ ففيه نزاع مشهور وقد رجحنا التفصيل وهو ان الكلام يراد به شيآن يراد به ايقاع الطلاق تارة ويراد به منع ايقاعه تارة فان كان مراده أنت طالق بهذا اللفظ فقوله ان شاء الله مثل قوله بمشيئة الله وقد شاء الله الطلاق حين أتى بالطلاق فيقع وان كان قد علق لئلا يقع أو علقه على مشيئة توجد بعد هذا لم يقع به الطلاق حتى يطلق بعد هـذا فانه حينئذ شاء الله أن يطلق وقول من قال المشيئة تنجزه ليس كما قال بل نحن نعلم قطعا أن الطلاق لا يقع الا اذا طلقت المرأة بان يطلقها الزوج أو من يقوم مقامه من ولي أو وكيل فاذا لم توجد بطلاق لم يقع طلاق قط فاذا قال أنت طالق ان شاء الله وقصد حقيقة التعليق لم يقع الا ان يطلق بعد ذلك وكذلك اذا قصد تعليقه لئلا يقع الآن وأما ان قصد ايقاعه الآن وعلقه بالمشيئة توكيدا وتحقيقا فهذا يقع به الطلاق

وما أعرف أحداً أنشأ الايمـان فعلقه على المشيئة فاذا علقه فان كان مقصوده أنا مؤمن ان شاء الله أنا أؤمن بعد ذلك فهذا لم يصر مؤمنا

مثل الذي يقال له هل تصير من أهل دين الاسلام فقال أصير ان شاء الله فهذا لم يسلم بل هو باق على الكفر وان كان قصده انه قد آمنت وايماني بمشيئة الله صار مؤمنا لكن اطلاق اللفظ يحتمل هذا وهذا فلا يجوز اطلاق مثل هذا اللفظ في الانشاء وأصحاب الاصل انه انما تعلق بالمشيئة ما كان مستقبلا فأما الماضي والحاضر فلا يعلق بالمشيئة والذين استثنوا لم يستثنوا في الانشاء كما تقدم كيف وقد أمروا أن يقولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وقال تعالى آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله فأخبر انهم آمنوا فوقع الايمان منهم قطعا بلا استثناء •

وعلى كل احد أن يقول آمنا بالله وما أنزل الينا كما أمر الله بلا استثناء وهذا متفق عليه بين المسلمين ما استثني أحد من السلف قط في مثل هذا وانما الكلام اذا أخبر عن نفسه بأنه مؤمن كما يخبر عن نفسه بأنه برّ تقي فقول القائل له أنت مؤمن هو عندهم كقوله هل أنت برّ تقي فاذا قال أنا برّ تقي فقد زكى نفسه فيقول ان شاء الله وأرجو أن أكون كذلك وذلك ان الايمان التام يعقبه قبول الله له وجزاؤه عليه وكتابة الملك له فالاستثناء يعود الى ذلك لا الى ما علمه هو من نفسه وحصل واستقر فان هذا لا يصح تعليقه بالمشيئة بل يقال هذا حاصل بمشيئة الله وفضله واحسانه وقوله فيه ان شاء الله بمعنى اذ شاء الله وذلك تحقيق لا تعليق والرجل قد يقول والله ليكونن كذا ان شاء الله وهو جازم

بأنه يكون فالمعلق هو الفعل كقوله لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله والله عالم بأنهم سيدخلونه وقد يقول الآدمي لأفعلن كذا ان شاء الله وهو لا يجزم بأنه يقع لكن يرجوه فيقول يكون ان شاء الله ثم عزمه عليه قد يكون جازما ولكن لا يجزم بوقوع المعزوم عليه وقد يكون العزم مترددا معلقا بالمشيئة أيضا ولكن متى كان المعزوم عليه معلقا لزم تعلق بقاء العزم فانه بتقدير ان يعلق العزم ابتداء أو دواما في مثل ذلك ولهذا لم يجب المطلق المعلق وخرف أن لا يكون لا يبقى العزم ولا بد اذا دخل على الماضي صار مستقبلا تقول ان جاء زيد كان كذلك فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وان تولوا فانما عليك البلاغ واذا أريد الماضي دخل حرف كان كقوله ان كنتم تحبون الله فاتبعوني فيفرق بين قوله أنا مؤمن ان شاء الله وبين قوله ان كان الله شاء ايماني* وكذلك اذا كان مقصوده اني لا أعلم بما يختم لي كما قيل لابن مسعود ان فلانا يشهد انه مؤمن قال فليشهد أنه من أهل الجنة فهذا مراده اذا شهد انه مؤمن عند الله يموت على الايمان وكذلك ان كان مقصوده ان ايماني حاصل بمشيئة الله * ومن لم يستثن قال أنا لا أشك في ايماني قلبي ولا جناح عليه اذا لم يزك نفسه ويقطع بأنه عامل كما أمر وقد تقبل الله عمله وان لم يقل ان ايمانه كايمان جبريل وأبي بكر وعمر ونحو ذلك من أقوال المرجئة كما كان مسعر بن كدام يقول أنا لا أشك في ايماني قال أحمد ولم يكن من المرجئة فان المرجئة الذين يقولون الاعمال ليست من الايمان وهو كان يقول هي من الايمان لكن أنا لا أشك في ايماني

وكان الثورى يقول لسفيان بن عيينة ألا تنهاه عن هذا فانهما من قبيلة واحدة وقد بسط الكلام على هذا فى غير هذا الموضع

والمقصود هنا أن النزاع فى هذا كان بين أهل العلم والدين من جنس المنازعة فى كثير من الاحكام وكلهم من أهل الايمان والقرآن

﴿ وأما جهم ﴾ وكان يقول ان الايمان مجرد تصديق القلب وان لم يتكلم به وهذا القول لا يعرف عن أحد من علماء الائمة وأئمتها بل أحمد ووكيع وغيرهما كفروا من قال بهذا القول ولكن هو الذى نصره الاشعرى وأكثر أصحابه ولكن قالوا مع ذلك ان كل من حكم الشرع بكفره حكمنا بكفره واستدللنا بتكفير الشارع له على خلو قلبه من المعرفة وقد بسط الكلام على أقوالهم وأقوال غيرهم فى الايمان

والاصل الذى منه نشأ النزاع اعتقاد من اعتقد أن من كان مؤمنا لم يكن معه شيء من الكفر والنفاق وظن بعضهم ان هذا اجماع كما ذكر الاشعرى ان هذا اجماع فهذا كان أصل الارجاء كما كان أصل القدر عجزهم عن الايمان بالشرع والقدر جميعا فلما كان هذا أصلهم صاروا حزبين قالت الخوارج والمعتزلة قد علمنا يقينا أن الاعمال من الايمان فمن تركها فقد ترك بعض الايمان واذا زال بعضه زال جميعه لان الايمان لا يتبعض ولا يكون فى العبد ايمان ونفاق فيكون أصحاب الذنوب مخلدين فى النار اذا كان ليس معهم من الايمان شيء وقالت المرجئة مقتصدهم وغلاتهم كالجهمية قد علمنا ان أهل الذنوب من أهل القبلة لا يخلدون فى النار بل يخرجون منها كما تواترت بذلك الاحاديث

وعلم ؛ بالكتاب والسنة واجماع الأئمة انهم ليسوا كفارا مرتدين فان الكتاب قد أمر بقطع السارق لا بقتله وجاءت السنة بجلد الشارب لا بقتله ولو كان هؤلاء كفارا مرتدين لوجب قتلهم وبهذا ظهر للمعتزلة ضعف قول الخوارج مخالفوهم في أحكامهم في الدنيا

والخوارج لا يتمسكون من السنة الا بما فسر مجملها دون ما خالف ظاهر القرآن عندهم فلا يرجمون الزاني ولا يرون للسرقة نصابا وحينئذ فقد يقولون ليس في القرآن قتل المرتد فقد يكون المرتد عندهم نوعين

وأقوال الخوارج انما عرفناها من نقل الناس عنهم لم نقف لهم على كتاب مصنف كما وقفنا على كتب المعتزلة والرافضة والزيدية والكرامية والاشعرية والسالمية وأهل المذاهب الاربعة والظاهرية ومذاهب أهل الحديث والفلاسفة والصوفية ونحو هؤلاء وقد بسط الكلام على تفصيل القوم في أقوال هؤلاء في غير هذا الموضع

﴿ وان الناس في ترتيب أهل الاهواء على أقسام ﴾ منهم من يرتبهم على زمان حدوثهم فيبدأ بالخوارج ومنهم من يرتبهم بحسب خفة أمرهم وغلظه فيبدأ بالمرجئة ويختم بالجهمية كما فعله كثير من أصحاب أحمد رضي الله عنه كعبد الله ابنه ونحوه وكالخلال وأبي عبد الله بن بطة وأمثالهما وكأبي الفرج المقدسي وكلا الطائفتين تختم بالجهمية لانهم أغلظ البدع وكالبخاري في صحيحه فانه بدأ بكتاب الايمان والرد على المرجئة وختمه بكتاب التوحيد والرد على الزنادقة والجهمية ولما صنف الكتاب في الكلام صاروا يقدمون التوحيد والصفات فيكون الكلام أولا مع

الجهمية وكذلك رتب أبو القاسم الطبري كتابه في أصول السنة والبيهقي أورد لكل صنف مصنفا فله مصنف في الصفات ومصنف في القدر ومصنف في شعب الايمان ومصنف في دلائل النبوة ومصنف في البعث والنشور وبسط هذه الامور له موضع آخر

والمقصود هنا أن منشأ النزاع في الاسماء والاحكام في الايمان والاسلام انهم لما ظنوا انه لا ينقص قال أولئك فاذا فعل ذنبا زال بعضه فيزول كله فيخلد في النار فقالت الجهمية والمرجئة قد علمنا أنه ليس يخلد في النار وانه ليس كافرا مرتدا بل هو من المسلمين واذا كان من المسلمين وجب أن يكون مؤمنا تام الايمان منه بعض الايمان لان الايمان عندهم لا يتبعض فاحتاجوا أن يجعلوا الايمان شيأ واحدا يشترك فيه جميع اهل القبلة فقال فقهاء المرجئة هو التصديق بالقلب والقول باللسان فقالت الجهمية بل تصديق القلب فقد لا يجب اذا كان الرجل أخرس أو كان مكرها فالذي لا بد منه تصديق القلب وقالت المرجئة الرجل اذا أسلم كان مؤمنا قبل أن يجب عليه شيء من الافعال وأنكر كل هذه الطوائف أنه ينقص (والصحابة) قد ثبت عنهم ان الايمان يزيد وينقص وهو قول أئمة السنة وكان ابن المبارك يقول هو يتفاضل ويتزايد ويمسك عن لفظ ينقص وعن مالك في كونه لا ينقص روايتان والقرآن قد نطق بالزيادة في غير موضع ودلت النصوص على نقصه كقوله لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ونحو ذلك لكن لم نعرف هذا اللفظ الا في قوله في النساء ناقصات عقل ودين وجعل من نقصان

فيها انها اذا حاضت لا تصوم ولا تصلي وبهذا استدل غير واحد على أنه ينقص

وذلك ان أصل أهل السنة ان الايمان يتفاضل من وجهين من جهة أمر الرب ومن جهة فعل العبد أما الاول فانه ليس الايمان الذي أمر به شخص من المؤمنين هو الايمان الذى أمر به كل شخص فان المسلمين في أول الامر كانوا مأمورين بمقدار من الايمان ثم بعد ذلك أمروا بغير ذلك وأمروا بترك ما كانوا مأمورين به كالقبلة فكان من الايمان في أول الامر الايمان بوجوب استقبال بيت المقدس ثم صار من الايمان تحريم استقباله ووجوب استقبال الكعبة فقد تنوع الايمان في الشريعة الواحدة وأيضا فمن وجب عليه الحج والزكاة أو الجهاد يجب عليه من الايمان أن يعلم ما أمر به ويؤمن بان الله أوجب عليه ما لا يجب على غيره الا مجملا وهذا يجب عليه فيه الايمان المفصل وكذلك الرجل أول ما يسلم انما يجب عليه الاقرار المجمل ثم اذا جاء وقت الصلاة كان عليه ان يؤمن بوجوبها ويؤديها فلم يتساو الناس فيما أمروا به من الايمان وهذا من أصول غلط المرجئة فانهم ظنوا انه شئ واحد وانه يستوى فيه جميع المكلفين فقالوا ايمان الملائكة والانبياء وأفسق الناس سواء كما انه اذا تلفظ الفاسق بالشهادتين أو قرأ فاتحة الكتاب كان لفظه كلفظ غيره من الناس فيقال لهم قد تبين أن الايمان الذى أوجبه الله على عباده يتنوع ويتفاضل ويتباينون فيه تباينا عظيما ويجب على الملائكة من الايمان ما لا يجب على البشر ويجب على الانبياء من الايمان

مالا يجب على غيرهم ويجب علي العلماء مالا يجب على غيرهم ويجب على الامراء مالا يجب على غيرهم وليس المراد انه يجب عليهم من العمل فقط بل ومن التصديق والاقرار فان الناس وان كان يجب عليهم الاقرار المجمل بكل ماجاء به الرسول فاكثرهم لا يعرفون تفصيل كل ماأخبر به ومالم يعلموه كيف يؤمرون بالاقرار به مفصلا ومالم يؤمر به العبد من الاعمال لايجب عليه معرفته ومعرفة الآمر به فمن أمر بحج وجب عليه معرفة ماأمر به من أعمال الحج والايمان بها فيجب عليه من الايمان والعمل مالا يجب على غيره وكذلك من أمر بالزكاة يجب عليه معرفة ماأمر الله به من الزكاة ومن الايمان بذلك والعمل به مالا يجب على غيره فيجب عليه من العلم والايمان والعمل مالا يجب على غيره اذا جعل العلم والعمل ليسا من الايمان وان جعل جميع ذلك داخلا في مسمى الايمان كان أبلغ فبكل حال قد وجب عليه من الايمان مالا يجب على غيره

ولهذا كان من الناس من قد يؤمن بالرسول مجملا فاذا جاءت أمور أخرى لم يؤمن بها ويصير منافقا مثل طائفة نافقت لما حولت القبلة الى الكعبة وطائفة نافقت لما انهزمت المسلمون يوم أحد ونحو ذلك

ولهذا وصف الله المنافقين في القرآن بانهم آمنوا ثم كفروا كما ذكر ذلك في سورة المنافقين وذكر مثل ذلك في سورة البقرة فقال مثلهم كمثل الذى استوقد نارا فلما أضاءت ماحوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لايبصرون صم بكم عمى فهم لا يرجعون وقال

طائفة من السلف عرفوا ثم أنكروا وأبصروا ثم عموا

فمن هؤلاء من كان يؤمن أولا ايمانا مجملا ثم يأتي أمورا يؤمن بها فينافق في الباطن وما يمكنه اظهار الردة بل يتكلم بالنفاق مع خاصته وهذا كما ذكر الله عنهم في الجهاد فقال واذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون اليك نظر المغشى عليه من الموت فأولى لهم طاعة وقول معروف فاذا عزم الامر فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم

وبالجملة فلا يمكن المنازعة ان الايمان الذى أوجبه الله يتباين فيه أحوال الناس ويتفاضلون في ايمانهم ودينهم بحسب ذلك ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في النساء ناقصات عقل ودين وقال في نقصان دينهن انها اذا حاضت لا تصوم ولا تصلي وهذا مما أمر الله به فليس هذا النقص دينا لها تعاقب عليه لكن هو نقص حيث لم تؤمر بالعبادة في هذا الحال والرجل كامل حيث أمر بالعبادة في كل حال فدل ذلك على ان من أمر بطاعة ففعلها كان أفضل ممن لم يؤمر بها وان لم يكن عاصيا فهذا أفضل دينا وايمانا وهذا المفضول ليس بمعاقب ومذموم فهذه زيادة كزيادة الايمان بالتطوعات لكن هذه زيادة بواجب في حق شخص وليس بواجب في حق شخص غيره فهذه الزيادة لو تركها هذا لا استحق العقاب بتركها وذاك لا يستحق العقاب بتركها ولكن أعمال ذلك أكمل قال النبي صلى الله عليه وسلم أكمل المؤمنين ايمانا أحسنهم خلقا

فهذا يبين تفاضل الايمان في نفس الامر به وفي نفس الاخبار

التي يجب التصديق بها والنوع الثاني وهو تفاضل الناس في الاتيان به مع استوائهم في الواجب وهذا هو الذي يظن أنه محل النزاع وكلاهما محل النزاع وهذا أيضا يتفاضلون فيه فليس ايمان السارق والزاني والشارب كايمان غيرهم ولا ايمان من أدى الواجبات كايمان من أخل ببعضها كما انه ليس دين هذا وبره وتقواه مثل دين هذا وبره وتقواه بل هذا أفضل دينا وبرا وتقوى فهو كذلك أفضل ايمانا كما قال النبي صلى الله عليه وسلم أكمل المؤمنين ايمانا أحسنهم خلقا وقد يجتمع في العبد ايمان ونفاق كما في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها اذا حدث كذب واذا اؤتمن خان واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر

وأصل هؤلاء ان الايمان لا يتبعض ولا يتفاضل بل هو شيء واحد يستوي فيه جميع العباد فيما أوجبه الرب من الايمان وفيما يفعله العبد من الاعمال فغلطوا في هذا وهذا ثم تفرقوا كما تقدم

وصارت المرجئة على ثلاثة أقوال فعلماؤهم وأئمتهم أحسنهم قولا وهو ان قالوا الايمان تصديق القلب وقول اللسان

وقالت الجهمية هو تصديق القلب فقط فمن تكلم به فهو مؤمن كامل الايمان لكن ان كان مقرا بقلبه كان من أهل الجنة وان كان مكذبا بقلبه كان منافقا مؤمنا من أهل النار

(وهذا القول هو الذي انفردت به الكرامية وابتدعته) ولم يسبقها

أحد الى هذا القول وهو آخر ما أحدث من الاقوال في الايمان وبعض
الناس يحكي عنهم ان من تكلم به بلسانه دون قلبه فهو من أهل الجنة
وهو غلط عليهم بل يقولون انه مؤمن كامل الايمان وانه من أهل النار
ويلزمهم ان يكون المؤمن الكامل الايمان معذباً في النار بل يكون مخلداً فيها

وقد تواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه يخرج منها من كان في
قلبه مثقال ذرة من ايمان وان قالوا لا يخلد وهو منافق لزمهم أن يكون
المنافقون يخرجون من النار والمنافقون قد قال الله فيهم ان المنافقين في
الدرك الاسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا

وقد نهى الله نبيه عن الصلاة عليهم والاستغفار لهم وقال له استغفر
لهم أو لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم وقال
ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله
ورسوله وماتوا وهم فاسقون وقد أخبر انهم كفروا بالله ورسوله فان
قالوا هؤلاء فقد كانوا يتكلمون بألسنتهم سراً فكفروا بذلك وانما
يكون مؤمناً اذا تكلم بلسانه ولم يتكلم بما ينقضه فان ذلك ردة عن الايمان
قيل لهم ولو أضمروا النفاق ولم يتكلموا به كانوا منافقين قال تعالى يحذر
المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزؤا ان الله
مخرج ما تحذرون وأيضاً قد أخبر الله عنهم أنهم يقولون بألسنتهم ما ليس
في قلوبهم وانهم كاذبون فقال تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم
الآخر وما هم بمؤمنين وقال تعالى اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك
لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم الاسلام علانية والايمان فى القلب
وقد قال الله تعالى قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا
ولما يدخل الايمان فى قلوبكم وفى الصحيحين عن سعد ان النبي صلى الله
عليه وسلم أعطى رجالا ولم يعط رجلا فقلت يارسول الله أعطيت فلانا
وفلانا وتركت فلانا وهو مؤمن فقال أو مسلم مرتين أو ثلاثا وبسط
الكلام في هذا له مواضع أخر وقد صنفت فى ذلك مجلداً غير ماصنفت
فيه غير ذلك

وكلام الناس فى هـذا الاسم ومسماه كثير لأنه قطب الدين الذى
يدور عليه وليس فى القول اسم علق به السعادة والشقاء والمدح والذم
والثواب والعقاب أعظم من اسم الايمان والكفر ولهذا سمى هذا الاصل
مسائل الاسماء والاحكام. وقد رأيت لابن الهيصم فيه مصنفاً فى أنه قول
اللسان فقط ورأيت لابن الباقلانى فيـه مصنفاً أنه تصديق القلب فقط
وكلاهما في عصر واحد وكلاهما رد على المعتزلة والرافضة

﴿ والمقصود هنا ان السلف كان اعتصامهم بالقرآن والايمان ﴾
فلما حدث في الامة ماحدث من التفرق والاختلاف صار أهل التفرق
والاختلاف شيعاً صار هؤلاء عمدتهم فى الباطن ليست على القرآن
والايمان ولكن على أصول ابتدعها شيوخهم عليها يعتمدون فى التوحيد
والصفات والقدر والايمان بالرسول وغـير ذلك ثم ماظنوا أنه يوافقها
من القرآن احتجوا به وما خالفها تأولوه فلهذا تجـدهم اذا احتجوا
بالقرآن والحـديث لم يعتنوا بتحرير دلالتهما ولم يستقصوا مافى القرآن

من دلك المعى اد كان اعمادهم فى نفس الامر الي عير دلك والآيات
الى محالفهم شرعون فى أويلها شروع من قصد ردها كيف أمكن
ليس مقصوده ان فهم مراد الرسول بل ان بدفع ممارعه عن
الاحتجاح بها

ولهـدا قال كثر منهم كأبى الحسن البصرى ومن سعه كالرازى
والآمدى واس الحاحب ان الامـه ادا احلفت فى تأويل الآية على
قولين حاز لمن بعدهم احـداث قول ثالث بخلاف ما ادا اختلفوا فى
الاحكام على قولين فحوزوا ان تكون الامة مجمعة على الضلال فى
تفسير القرآن والحـديث وان يكون الله أنزل الآيه وأراد بها معى لم
يفهمه الصحابه والتابعون ولكن قالوا ان الله أراد معى آخر وهم لو
تصوروا هده المقالة لم يقولوا هـدا فان أصلهم أن الأمة لا تجتمع على
ضلالة ولا يقولون قولين كلاهما خطأ والصواب قول ثالث لم يقولوه
لكن قد اعتادوا ان يتأولوا ما خالفهم والتأويل عندهم مقصوده بيان
احتمال في لفظ الآية بجوز ان يراد دلك المعى بدلك اللفظ ولم يستشعروا
أن المتأول هو مبين لمراد الآية مخبر عن الله تعالى أنه أراد هدا المعى
ادا حملها على معى وكدلك ادا قال يجوز أن يراد بها هدا المعى والامة
قبله لم يقولوا أريد بها الا هدا أو هدا فقد جوزوا أن يكون ما أراده
الله لم يخبر به الامة وأخبرت أن مراده غير ما أراده لكن الدى قاله
هؤلاء يتمشى اداكان التأويل أنه يجوز أن يراد هدا المعى من غير حكم
بانه مراد وتكون الامه قبلهـم كانها كانت جاهـلة بمراد الله ضالة عن

معروفة وانقرض عصر الصحابة والتابعين وهم لم يعلموا الآية ولكن طائفة قالت يجوز أن يريد هذا المعنى وطائفة قالت يجوز أن يريد هذا المعنى وليس فيهم من علم المراد فجاء الثالث وقال ههنا معنى يجوز ان يكون هو المراد فاذا كانت الامة من الجهل بمعانى القرآن والضلال عن مراد الرب بهذه الحال توجه ماقالوه وبسط هذا له موضع آخر

والمقصود ان كثيراً من المتأخرين لم يصيروا يعتمدون فى دينهم لا على القرآن ولا على الايمان الذى جاء به الرسول بخلاف السلف فلهذا كان السلف أكمل علماً وايماناً وخطؤهم أخف وصوابهم أكثر كما قدمناه وكان الاصل الذى أسسوه هو ماأمرهم الله به فى قوله ياأيها الذين آمنوا لاتقدموا بين يدى الله ورسوله واتقوا الله ان الله سميع عليم فان هذا أمر للمؤمنين بما وصف به الملائكة كما قال تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون لايسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون يعلم مابين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ومن يقل منهم انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزى الظالمين فوصفهم سبحانه بأنهم لا يسبقونه بالقول وانهم بأمره يعملون فلا يخبرون عن شىء من صفاته ولا غير صفاته الا بعد أن يخبر سبحانه بما يخبر به فيكون خبرهم وقولهم تبعاً لخبره وقوله كما قال لا يسبقونه بالقول وأعمالهم تابعة لأمره فلا يعملون الا ماأمرهم هو أن يعملوا به فهم مطيعون لأمره سبحانه وقد وصف سبحانه بذلك ملائكة النار فقال قوا أنفسكم وأهليكم ناراً

وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وقد ظن بعضهم ان هذا توكيد وقال بعضهم بل لا يعصونه في الماضي ويفعلون ما أمروا به في المستقبل وأحسن من هذا وهذا أن العاصي هو الممتنع من طاعة الامر مع قدرته على الامتثال فلو لم يفعل ما أمر به لعجزه لم يكن عاصياً فاذا قال لا يعصون الله ما أمرهم لم يكن في هذا بيان انهم يفعلون ما يؤمرون فان العاجز ليس بعاص ولا فاعل لما أمر به فقال ويفعلون ما يؤمرون ليبين أنهم قادرون على فعل ما أمروا به فهم لا يتركونه لا عجزاً ولا معصية والمأمور انما يترك ما أمر به لأحد هذين اما أن لا يكون قادراً واما أن يكون عاصياً لا يريد الطاعة فاذا كان مطيعاً يريد طاعة الأمر وهو قادر وجب وجود فعل ما أمر به فكذلك الملائكة المذكورون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وقد وصف الملائكة بأنهم عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين

فالملائكة مصدقون بخبر ربهم مطيعون لأمره ولا يخبرون حتى يخبر ولا يعملون حتى يأمر كما قال تعالى لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون وقد أمر الله المؤمنين أن يكونوا مع الله ورسوله كذلك فان البشر لم يسمعوا كلام الله منه بل بينهم وبينه رسول من البشر فعليهم أن لا يقولوا حتى يقول الرسول ما بلغهم عن الله ولا يعملون الا بما

أمرهم به كما قال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله واتقوا الله ان الله سميع عليم

قال مجاهد لا تفتاتوا عليه بشيء حتى يقضيه الله على لسانه تقدموا معناه تتقدموا وهو فعل لازم وقد قرئ تقدموا تقال قدم وتقدم كما يقال بين وتبين وقد يستعمل قدم متعديا أى قدم غيره لكن هنا هو فعل لازم فلا تقدموا معناه لا تتقدموا بين يدى الله ورسوله

فعلى كل مؤمن أن لا يتكلم في شيء من الدين الا تبعاً لما جاء به الرسول ولا يتقدم بين يديه بل ينظر ما قال فيكون قوله تبعاً لقوله وعلمه تبعاً لأمره فهكذا كان الصحابة ومن سلك سبيلهم من التابعين لهم باحسان وأئمة المسلمين فلهذا لم يكن أحد منهم يعارض النصوص بمعقوله ولا يؤسس ديناً غير ما جاء به الرسول واذا أراد معرفة شيء من الدين والكلام فيه نظر فيما قاله الله والرسول فمنه يتعلم وبه يتكلم وفيه ينظر ويتفكر وبه يستدل فهذا أصل أهل السنة وأهل البدع لا يجعلون اعتمادهم فى الباطن ونفس الأمر على ما تلقوه عن الرسول بل على ما رأوه أو ذاقوه ثم ان وجدوا السنة توافقه والا لم يبالوا بذلك فاذا وجدوها تخالفه أعرضوا عنها تفويضاً أو حرفوها تأويلا

فهذا هو الفرقان بين أهل الايمان والسنة وأهل النفاق والبدعة وان كان هؤلاء لهم من الايمان نصيب وافر من اتباع السنة لكن فيهم من النفاق والبدعة بحسب ما تقدموا فيه بين يدى الله ورسوله وخالفوا الله ورسوله ثم ان لم يعلموا ان ذلك يخالف الرسول ولو علموا

لمـا قالوه لم يكونوا منافقين بل اقصى الاعمال مبتدعين وحظوظهم مغمور
هم لا يعلمون علمه وان نقصوا به

﴿ فصل ﴾ وكل من خالف ماجاء به الرسول لم يكن عنـده علم
بذلك ولا عدل بل لايكون عنـده الا جهـل وظلم وظن وما تهوي
الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى وذلك لان ماأخـبر به الرسول
فهو حق باطنا وظاهرا فلا يمكن أن يتصور أن يكون الحق في نقيضه
وحينئذ فمن اعتقد نقيضه كان اعتقاده باطلا والاعتقاد الباطل لايكون
علما وما أمر به الرسول فهو عدل لاظلم فيه فمن نهي عنه فهو نهى عن
العدل ومن أمر بضده فقد أمر بالظلم فان ضد العدل الظلم فلا يكون
مايخالفه الا جهـلا وظلما ظنا وما تهوى الانفس وهو لايخرج عن
قسمين أحـدهما أن يكون كان شرعا لبعض الانبياء ثم نسخ وأدناها
أن يكون ماشرع قط بل يكون من المبـدل فكل ماخالف حكم الله
ورسوله فاما شرع منسوخ واما شرع مبـدل ماشرعه الله بل شرعه
شارع بغير اذن من الله كما قال أمهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن
به الله لكن هذا وهذا قد يقعان في خفي الامور ودقيقها باجتهاد من أصحابها
استفرغوا فيه وسعهم في طلب الحق ويكون لهم من الصواب والاتباع
ما يغمر ذلك كما وقع مثـل ذلك من بعض الصحابة في مسائل الطلاق
والفرائض ونحو ذلك ولم يكن منهم مثل هذا في جلي الامور وجليلها
لان بيان هـذا من الرسول كان ظاهرا بينهم فلا يخالفه الا من يخالف
الرسول وهم معصومون بفضل الله يحكمون الرسول فيما شجر بينهم لا يتقدمون

بين هدى الله ورسوله فضلا عن تعمد مخالفة الله ورسوله

ولما طال الزمان خفي على كثير من الناس ما كان ظاهرا لهم ودق على كثير من الناس ما كان جليا لهم فكثر من المتأخرين مخالفة الكتاب والسنة ما لم يكن مثل هذا في السلف

وإن كانوا مع هذا مجتهدين معذورين يغفر الله لهم خطاياهم ويثيبهم على اجتهادهم

وقد يكون لهم من الحسنات ما يكون للعامل منهم أجر خمسين رجلا يعملها في ذلك الزمان لأنهم كانوا يجدون من يعينهم على ذلك وهؤلاء المتأخرون لم يجدوا من يعينهم على ذلك لكن تضعيف الأجر لهم في أمور لم يضعف للصحابة لا يلزم أن يكونوا أفضل من الصحابة ولا يكون فاضلهم كفاضل الصحابة فإن الذي سبق إليه الصحابة من الإيمان والجهاد ومعاداة أهل الأرض في موالاة الرسول وتصديقه وطاعته فيما يخبر به ويوجبه قبل أن تنتشر دعوته وتظهر كلمته وتكثر أعوانه وأنصاره وتنتشر دلائل نبوته بل مع قلة المؤمنين وكثرة الكافرين والمنافقين وإنفاق المؤمنين أموالهم في سبيل الله ابتغاء وجهه في مثل تلك الحال أمر ما بقي يحصل مثله لأحد كما في الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه

وقد استفاضت النصوص الصحيحة عنه أنه قال

خير القرون قرني الذين بعثت فيهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم

فجملة القرن الاول أفضل من القرن الثاني والثاني أفضل من الثالث والثالث أفضل من الرابع لكن قد يكون في الرابع من هو أفضل من بعض الثالث وكذلك في الثالث مع الثاني وهل يكون فيمن بعد الصحابة من هو افضل من بعض الصحابة المفضولين لا الفاضلين هذا فيه نزاع وفيه قولان حكاهما القاضي عياض وغيره ومن الناس من يفرضها في مثل معاوية وعمر بن عبد العزيز فان معاوية له مزية الصحبة والجهاد مع النبي صلى الله عليه وسلم وعمر له مزية فضيلته من العدل والزهد والخوف من الله تعالى وبسط هذا له موضع آخر

والمقصود هنا ان من خالف الرسول فلا بد وأن يتبع الظن وما تهوى الانفس كما قال تعالى في المشركين الذين يعبدون اللات والعزى ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى

وقال في الذين يخبرون عن الملائكة انهم اناث ان الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الانثى وما لهم به من علم ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغني من الحق شيأ فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى وهم جعلوهم اناثا كما قال وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا وفي القراءة الاخرى عند الرحمن اناثا اشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسألون وهؤلاء قال عنهم ان يتبعون الا الظن لا بخبر مخصوص لهن وقد عمل وهناك وما تهوى الانفس لانهم كانوا يعبدونها ويدعونها فهناك عبادة وعمل بهوى أنفسهم

فقال ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس * والذي جاء به الرسول كما قال والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى علمه شديد القوي وكل من خالف الرسول لا يخرج عن الظن وما تهوى الانفس فان كان ممن اعتقد ما قاله وله فيه حجة يستدل بها كان غايته الظن الذي لا يغني من الحق شيأ كاحتجاجهم بقياس فاسد أو نقل كاذب أو خطاب ألقي اليهم اعتقدوا انه من الله وكان من القاء الشيطان

وهذه الثلاثة هي عمدة من يخالف السنة بما يراه حجة ودليلا اما أن يحتج بادلة عقلية ويظنها برهانا وأدلة قطعية وتكون شبهات فاسدة مركبة من ألفاظ مجملة ومعاني متشابهة لم يميز بين حقها وباطلها كما يوجد مثل ذلك في حجج من يحتج بها من خالف الكتاب والسنة انما تركب حججه من الفاظ متشابهة فاذا وقع الاستفسار والتفصيل تبين الحق من الباطل وهذه هي الحجج العقلية وان تمسك المبطل بحجج سمعية فاما أن تكون كذبا على الرسول أو تكون غير دالة على ما احتج بها أهل الباطل فانه اما في الاسناد واما في المتن ودلالته على ما ذكر وهذه الحجة السمعية هذه حجج أهل العلم الظاهر

وأما حجج أهل الذوق والوجد والمكاشفة والمخاطبة فان أهل الحق من هؤلاء لهم (خطابات صحيحة) مطابقة كما في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال قد كان في الامم قبلكم محدثون فان يكن في أمتي أحد فعمر وكان عمر يقول اقتربوا من أفواه المطيعين واسمعوا

منهم مايقولون فانها تجلي لهم أمور صادقه * وفي الترمذى عن أبى سعيد عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله ثم قرأ قوله ان في ذلك لآيات للمتوسمين * وقال بعض الصحابة أظنه والله للحق يقذفه الله على قلوبهم وأسماعهم* وفي صحيح البخارى عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ولا يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التي يمشى بها * وفي رواية فبى يسمع وبى يبصر وبى يبطش وبى يمشي وهذا أخبرانه يسمع بالحق ويبصر به

وكانوا يقولون ان السكينة تنطق على لسان عمر رضى الله عنه * وقال صلى الله عليه وسلم من سأل القضاء واستعان عليه وكل اليه ومن لم يسأله ولم يستعن عليه أنزل الله عليه ملكا يسدده وقال الله تعالى نور على نور الايمان مع نور القرآن * وقال تعالى أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه وهو المؤمن على بينة من ربه ويتبعه شاهد من الله *وهو القرآن شهد الله في القرآن بمثل ماعليه المؤمن من بينة الايمان وهذا القدر مما أقر به حذاق النظار لما تكلموا فى وجوب النظر وتحصيله للعلم فقيل لهم أهل الصوفية والرياضة والعبادة والتأله يحصل لهم المعارف والعلوم اليقينية بدون النظر كما قاله الشيخ الملقب بالكبرى (بدارى) ورفيقه وقد قالا له ياشيخ بلغنا أنك تعلم علم اليقين فقال نعم فقالا كيف تعلم ونحن نتناظر فى زمان طويل كلما ذكر شيأ أفسده وكلما ذكرت شيأ أفسده فقال هو واردات ترد على النفوس تعجز

النفوس عن ردها لحصـلا يعجزان من ذلك ويكرران الكلام وطلب أحدهما أن يحصل له هذه الواردات فعلمه الشيخ وأدبه حتى حصلت له وكان من المعتزلة الغلاة

فبين له ان الحق مع أهل الاثبات وان الله سبحانه فوق سمواته وعلم ذلك بالضرورة رأيت هذه الحكاية بخط القاضي نجم الدين أحمد ابن محمد بن خلف المقدسي وذكر ان الشيخ الكبري حكاها له وكان قد حدثني بها غير واحد حتى رأيتها بخطه وكلام المشايخ في مثل هـذا كثير وهـذا الوصف الذي ذكره الشيخ جواب لهم بحسب مايعرفون فانهم قد قسموا العلم الى ضروري ونظري والنظري مستند الى الضروري والضروري هو العـلم الذي يلزم نفس المخـلوق لزوما لايمكنه معه الانفكاك عنه هـذا حد القاضي أبي بكر الطيب وغيره فخاصته انه يلزم النفس لزوما لايمكن مع ذلك دفعه فقال لهم علم اليقين عندنا هو من هذا الجنس وهو علم يلزم النفس لزوما لايمكنه مع ذلك الانفكاك عنه وقال واردات لانه تحصـل مع العلم طمأنينة وسكينة توجب العمل به فالواردات تحصل بهذا وهذا وهذا قد أقر به كثير من حذاق النظار متقدميهم كالكيا الهراسي والغزالي وغيرهما ومتأخريهم كالرازي والآمدي وقالوا نحن لاننكر أن يحصل لناس علم ضروري بما يحصل لنا بالنظر هـذا لاندفعه لكن ان لم يكن علما ضروريا فلابد له من دليل والدليل يكون مستلزما للمدلول عليه بحيث يلزم من انتفاء الدليل انتفاء المدلول عليه قالوا فان كان له دفع ذلك الاعتقاد

الذي حصل له لزم دفع شيء مما يعلم بالضرورة فهذا هو الدليل وان لم يكن كذلك فهذا هوس لا يلتفت اليه وبسط هذا له موضع آخر

والمقصود ان هذا الحدس واقع لكن يقع أيضا ما يظن انه منه كثير أولا يميز كثير منهم الحق من الباطل كما يقع في الادلة العقلية والسمعية فمن هؤلاء من يسمع خطابا او يرى من يأمره بقضية ويكون ذلك خطاب من الشيطان ويكون ذلك الذي يخاطبه الشيطان وهو يحسب أنه من أولياء الله من رجال الغيب

ورجال الغيب هم الجن وهو يحسب انه انسي وقد يقول له أنا الخضر أو الناس بل أنا محمد أو ابراهيم الخليل أو المسيح أو أبو بكر أو عمر أو أنا الشيخ فلان أو الشيخ فلان ممن يحسن بهم الظن وقد يصير به في الهواء أو يأتيه بطعام أو شراب أو نفقة فيظن هذا كرامة بل آية ومعجزة تدل على ان هذا من رجال الغيب أو من الملائكة ويكون ذلك شيطانا لبس عليه فهذا ومثله واقع كثيرا أعرف منه وقائع كثيرة كما أعرف من الغلط في السمعيات والعمليات فهؤلاء يتبعون ظنا لا يغني من الحق شيأ ولو لم يتقدموا بين يدي الله ورسوله بل اعتصموا بالكتاب والسنة لتبين لهم ان هذا من الشيطان وكثير من هؤلاء يتبع ذوقه ووجده وما يجده محبوبا اليه بغير علم ولا هدى ولا بصيرة فيكون متبعا لهواه بلا ظن وخيارهم من يتبع الظن وما تهوى الأنفس وهؤلاء اذا طلب من أحدهم حجة ذكر تقليده لمن يحسن به الظن من آبائه وأسلافه كقول المشركين انا وجدنا آباءنا على أمة وانا

على آثارهم مقتـدون وان عكسوا احتجوا بالقدر وهو ان الله أراد هذا وسلطنا عليه فهم يعملون بهواهم وارادة نفوسهم بحسب قدرتهم كالملوك السلاطين وكان الواجب عليهم أن يعملوا بما أمر الله فيتبعون أمر الله وما يحبه و يرضاه لا يتبعون ارادتهم وما يحبونه هم ويرضونه وأن يستعينوا بالله فيقولون اياك نعبد واياك نستعين لا حول ولا قوة الا بالله لا يعتمدون على ماأوتوه من القوة والتصرف والحال فان هـذا من الجد وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول عقب الصلاة وفي الاعتدال بعد الركوع اللهم لامانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد

فالذوق والوجـد هو يرجع الى حب الانسان ووجده بحلاوته وذوقه وطعمه وكل صاحب محبة فله في محبوبه ذوق ووجد فان لم يكن ذلك بسلطان من الله وهو ماأنزله على رسوله صلى الله عليه وسلم كان صاحبه متبعا لهواه بغير هدى وقد قال الله تعالى ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله وقال تعـالى ومالكم أن لا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصـل لكم ماحرم عليكم الا مااضطررتم اليه وان كثيرا ليضلون باهوائهم بغير علم ان ربك هو أعلم بالمعتدين

وكذلك من اتبع مايرد عليـه من الخطاب أو مايراه من الانوار والاشخاص الغيبية ولا يعتبر ذلك بالكتاب والسنة فانما يتبع ظنا لا يغني من الحق شيأ

فليس في المحدثين الملهمين أفضل من عمر كما قال صـلي الله عليه

وسلم انه قد كان فى الامم قبلكم محدثون فان يكن في أمتي منهم أحد فعمر منهم وقد وافق عمر ربه فى عدة أشياء ومع هذا فكان عليه أن يعتصم بما جاء به الرسول ولا يقبل مايرد عليه حتى يعرضه على الرسول ولا يتقدم بين يدى الله ورسوله بل يجعل ماورد عليه وكان اذا تبين له من ذلك أشياء خلاف ما وقع له فيرجع الى السنة وكان أبو بكر يبين له أشياء خفيت عليه فيرجع الى بيان الصديق وارشاده وتعليمه كما جرى يوم الحديبية ويوم مات الرسول ويوم ناظره فى مانع الزكاة وغير ذلك وكانت المرأة ترد عليه ما يقوله وتذكر الحجة من القرآن فيرجع اليها كما جرى فى مهور النساء ومثل هذا كثير

فكل من كان من أهل الالهام والخطاب والمكاشفة لم يكن أفضل من عمر فعليه أن يسلك سبيله فى الاعتصام بالكتاب والسنة تبعا لما جاء به الرسول لا يجعل ماجاء به الرسول تبعا لما ورد عليه وهؤلاء الذين أخطؤا وضلوا وتركوا ذلك واستغنوا بما ورد عليهم وظنوا أن ذلك يغنيهم عن اتباع العلم المنقول

وصار أحدهم يقول أخذوا علمهم ميتا عن ميت وأخذنا علمنا عن الحى الذى لايموت فيقال له أما ما نقله الثقات عن المعصوم فهو حق ولولا النقل المعصوم لكنت أنت وأمثالك اما من المشركين واما من اليهود والنصارى وأما ماورد عليك فمن أين لك انه وحي من الله ومن أين لك انه ليس من وحى الشيطان

والوحى وحيان وحى من الرحمن ووحي من الشيطان قال تعالى

وان الشيـطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم وقال تعالي وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الي بعض زخرف القول غرورا وقال تعالي هل أنبئكم على من تنزل الشياطين وقد كان المختار بن أبي عبيد من هذا الضرب حتى قيل لابن عمر وابن عباس قيل لاحدهما انه يقول انه يوحي اليه فقال وان الشياطين ليوحون الي أوليائهم ليجادلوكم وقيل للآخر انه يقول انه ينزل عليه فقال هل أنبئكم على من تنزل الشياطين فهؤلاء يحتاجون الى الفرقان الايماني القرآني النبوي الشرعي أعظم من حاجة غيرهم وهؤلاء لهم حسيات يرونها ويسمعونها والحسيات يضطر اليها الانسان بغير اختياره كما قد يرى الانسان اشياء ويسمع أشياء بغير اختياره كما ان النظار لهم قياس ومعقول وأهل السمع لهم أخبار منقولات وهذه الانواع الثلاثة هى طرق العلم الحس والخبر والنظر وكل انسان من هذه الثلاثة في بعض الامور لكن يكون بعض الانواع أغلب علي بعض الناس فى الدين وغير الدين كالطب فانه تجربات وقياسات وأهله منهم من يغلب عليه التجربة ومنهم من يغلب عليه القياس والقياس اصله التجربة والتجربة لابد فيها من قياس لكن مثل قياس العاديات لا تعرف فيه العلة والمناسبة وصاحب القياس من يستخرج العلة المناسبة ويعلق الحكم بها والعقل خاصة القياس والاعتبار والقضايا الكلية فلا بد له من الحسيات التي هي الاصل ليعتبر بها والحس ان لم يكن مع صاحبه عقل والا فقد يغلط

والناس يقولون غلط الحس والغلط تارة من الحس وتارة من صاحبه فان الحس يرى أمرا معينا ويظن صاحبه فيه شيأ آخر فيؤتى من ظنه فلا بد له من العقل

ولهذا النائم يرى شيأ وتلك الامور لها وجود وتحقيق ولكن هى خيالات وأمثلة فلما غرب ظنها الرائي نفس الحقائق كالذى يرى نفسه فى مكان آخر يكلم أمواتا ويكلمونه ويفعل أمورا كثيرة وهو في النوم يجزم بانه نفسه الذى يقول ويفعل لان عقله غرب عنه وتلك الصورة التى رآها مثال صورته وخيالها لكن غاب عقله عن نفسه حتى ظن ان ذلك المثال هو نفسه فلما ثاب اليه عقله علم ان ذلك خيالات وأمثالات ومن الناس من لا يغيب عقله بل يعلم في المنام أن ذلك في المنام وهذا كالذى يرى صورته فى المرآة أو صورة غيره فاذا كان ضعيف العقل ظن أن تلك الصورة هي الشخص حتى انه يفعل به ما يفعل بالشخص وهذا يقع للصبيان والبله كما يخيل لاحدهم في الضوء شخص يتحرك ويصعد وينزل فيظنونه شخصا حقيقة ولا يعلمون انه خيال فالحس أحس صحيحا لم يغلط لكن معه عقل لم يميز بين هذا العين والمثال فان المميز قد عقل قبل هذا أن مثل هذا يكون مثالا وقد عقل لوازم الشخص بعينه وانه لايكون في الهواء ولافى المرآة ولايكون بدنه في غير مكانه وأن الجسم الواحد لايكون في مكانين

وهؤلاء الذين لهم مكاشفات ومخاطبات يرون ويسمعون ماله وجود فى الخارج ومالا يكون موجوداً الا فى أنفسهم كحال النائم وهذا يعرفه

كل أحد ولكن قد يرون في الخارج أشخاصاً يراها عياناً وما في خيال الانسان لا يراه غيره ويخاطبهم أولئك الأشخاص ويحملونهم ويذهبون بهم الى عرفات فيقفون بها وإما الى غير عرفات ويأتونهم بذهب وفضة وطعام ولباس وسلاح وغير ذلك يخرجون الي الناس ويأتونهم أيضاً بمن يطلبونه مثل من يكون له ارادة في امرأة أو صبي فيأتونه بذلك اما محمولاً في الهواء واما بسعي شديد ويخبر أنه وجد في نفسه من الباعث القوي ما لم يمكنه المقام معه أو يخبر أنه سمع خطاباً وقد يقتلون له من يريد قتله من أعدائه أو يمرضونه فهذا كله موجود كثيراً لكن من الناس من يعلم ان هذا من الشيطان وأنه من السحر وان ذلك حصل بما قاله ويعلمه من السحر ومنهم من يعلم أن ذلك من الجن ويقول هذا كرامة أكرمنا تسخر الجن لنا ومنهم من لا يظن أولئك الاشخاص الا آدميين أو ملائكة فان كانوا غير معروفين قال هؤلاء رجال الغيب وان يسموا قالوا هذا هو الخضر وهذا هو الياس وهذا هو أبو بكر وعمر وهذا هو الشيخ عبد القادر أو الشيخ عدي أو الشيخ أحمد الرفاعي أو غير ذلك ظن أن الامر كذلك فهنا لم يغلط لكن غلط عقله حيث لم يعرف ان هذه شياطين تمثلت على صور هؤلاء وكثير من هؤلاء يظن أن النبي صلى الله عليه وسلم نفسه أو غيره من الأنبياء أو الصالحين يأتيه في اليقظة ومن يرى ذلك عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم أو الشيخ وهو صادق في أنه اياه من قال انه النبي أو الشيخ أو قيل له ذلك فيه لكن غلط حيث ظن صدق أولئك والذى له عقل وعلم يعلم ان هذا ليس هو النبي صلى الله عليه وسلم تارة لما يراه

منهم من مخالفة الشرع مثل أن يأمروه بما يخالف أمر الله ورسوله وتارة بأن يعلمه أن النبي صلى الله عليه وسلم ما كان يأتي أحداً من أصحابه بعد موته في اليقظة ولا كان يخاطبهم من قبره فكيف يكون هذا لي وتارة يعلم أن الميت لم يقم من قبره وأن روحه في الجنة لا تصير في الدنيا هكذا وهذا يقع كثيراً لكثير من هؤلاء ويسمون تلك الصورة رقيقة فلان وقد يقولون هو معناه تشكل وقد يقولون روحانيته ومن هؤلاء من يقول اذا مت فلا تدعوا أحداً يغسلني ولا فلانا يحضرني فاني أنا أغسل نفسي فاذا مات رأوه قد جاء وغسل ذلك البدن ويكون ذلك جنياً قد قال لهذا الميت انك تجيء بعد الموت واعتقد ذلك حقاً فانه كان في حياته يقول له أموراً وغرض الشيطان أن يضل أصحابه وأما بلاد المشركين كالهند فهذا كثيراً ما يرون الميت بعد موته جاء وفتح حانوته ورد ودائع وقضي ديونا ودخل الي منزله ثم ذهب وهم لا يشكون أنه الشخص نفسه وانما هو شيطان تصور في صورته

﴿ ومن هؤلاء ﴾ من يكون في جنازة أبيه أو غيره والميت على سريره وهو يراه آخذاً يمشي مع الناس عند انه وأنه قد جعل شيخاً عند أبيه فلا يشك انه أن أباه نفسه هو كان الماشي معه الذي رآه هو دون غيره وانما كان شيطانا ويكون مثل هذا الشيطان قد سمى نفسه خالداً وغير خالد وقال لهم انه من رجال الغيب وهم يعتقدون أنه من الانس الصالحين ويسمونه خالداً الغيبي وينسبون الشيخ اليه فيقولون محمداً الخالدي ونحو ذلك

﴿ فان الجن مأمورون ومنهيون ﴾ كالانس وقد بعث الله الرسل من الانس اليهم والى الانس وأمر الجميع بطاعة الرسل كما قال تعالى يامعشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على أنفسهم انهم كانوا كافرين وهذا بعد قوله ويوم يحشرهم جميعاً يامعشر الجن قد استكثرتم من الانس وقال أولياؤهم من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا قال النار مثواكم خالدين فيها الا ماشاء الله * قال غير واحد من السلف أي كثر من أغويتم من الانس وأضللتموهم قال البغوي قال بعضهم استمتاع الانس بالجن ما كانوا يلقون لهم من الاراجيف والسحر والكهانة وتزيينهم لهم الأمور التي يهوونها ويسهل سبيلها عليهم واستمتاع الجن بالانس طاعة الانس لهم فيما يزينون لهم من الضلالة والمعاصي قال محمد بن كعب هو طاعة بعضهم لبعض وموافقة بعضهم بعضاً وذكر ابن أبي حاتم عن الحسن البصري قال ما كان استمتاع بعضهم ببعض الا أن الجن أمرت وعملت الانس * وعن محمد بن كعب قال هو الصحابة في الدنيا وقال ابن السائب استمتاع الانس بالجن استعاذتهم بهم واستمتاع الجن بالانس ان قالوا قد أسرنا الانس مع الجن حتى عاذوا بنا فيزدادون شرفا في أنفسهم وعظماً في نفوسهم وهذا كقوله وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا * قلت الاستمتاع بالشيء هو ان يتمتع به ينال به مايطلبه ويريده ويهواه ويدخل في ذلك استمتاع الرجال بالنساء

بعضهم ابعض كما قال فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة ومن ذلك الفواحش كاستمتاع الذكور بالذكور والاناث بالاناث

ويدخل في هذا الاستمتاع بالاستخدام وأئمة الرياسة كما تمتع الملوك والسادة بجنودهم ومماليكهم ويدخل في ذلك الاستمتاع بالاموال كاللباس ومنه قوله ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره وكان من السلف من يمتع المرأة بخادم فهي تستمتع بخدمته ومنهم من يمتع بكسوة أو نفقة ولهذا قال الفقهاء أعلى المتعة خادم وأدناها كسوة يجزى فيها الصلاة

وفي الجملة استمتاع الانس بالجن والجن بالانس يشبه استمتاع الانس بالانس قال تعالى الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين وقال تعالى وتقطعت بهم الاسباب قال مجاهد هي المودات التي كانت لغير الله وقال الخليل انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضاً وقال تعالى أفرأيت من اتخذ الهه هواه فالمشرك يعبد مايهواه واتباع الهوى هو استمتاع من صاحبه بما يهواه وقد وقع في الانس والجن هذا كله

وتارة يخدم هؤلاء لهؤلاء في أغراضهم وهؤلاء لهؤلاء في أغراضهم فالجن تأتيه بما يريد من صورة أومال أوقتل عدوه والانس تطيع الجن فتارة يسجد له وتارة يسجد لما يأمره بالسجود له وتارة يمكنه من نفسه ويفعل به الفاحشة وكذلك الجنيات منهن من يريد من الانس الذي يخدمه مايريد نساء الانس من الرجال وهذا كثير في رجال الجن

و اسائهم فكثير من رحالهم يبال من اساء الانس ما ساله الانسى وقد يفعل دلك بالد كران

﴿ وصرع الجن للانس هو لأسباب ثلاثة ﴾ تارة يكون الجني يحب المصروع فصرعه ليتمتع به وهذا الصرع يكون أرفق من غيره وأسهل وتارة يكون الانسى آذاهم اذا بال عليهم أو صب عليهم ماء حاراً أو يكون قتل بعضهم أو غير دلك من أنواع الاذى هـذا أشد الصرع وكثيراً مايقتلون المصروع وتارة يكون بطريق العبث به كما يعبث سفهاء الانس بابناء السبيل

ومن استمتاع الانس بالجن استخدامهم في الاخبار بالامور الغائبة كما يخبر الكهان فان في الانس من له غرض في هـذا لما يحصل به من الرياسة والمال وغير دلك فان كان القوم كفاراً كما كانت العرب لم تبال بأن يقال انه كاهن كما كان العرب كهانا وقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وفيها كهان وكان المنافقون يطلبون التحاكم الى الكهان وكان أبو أبرق الاسلمي أحد الكهان قبل أن يسلم وان كان القوم مسلمين لم تظهر أنه كاهن بل يجعل دلك من باب الكرامات وهو من جنس الكهان فانه لايخدم الانسى بهذه الاخبار الا لما يستمتع به من الانسى بان يطيعه الانسى في بعض مايريده اما في شرك واما في فاحشة واما في أكل حرام واما في قتل نفس بغير حق فالشياطين لهم غرض فيما نهى الله عنه من الكفر والفسوق والعصيان ولهم لذة في الشر والفتن يحبون دلك وان لم يكن فيه منفعة لهم وهم يقولون بأمر السارق أن يسرق ويذهب الى

أهل المال فيقولون فلان سرق متاعكم ولهذا قال القوة الملكية والبهيمية والسبعية والشيطانية فان الملكية فيها العلم النافع والعمل الصالح والبهيمية فيها الشهوات كالاكل والشرب والسبعية فيها الغضب وهو دفع المؤذى وأما الشيطانية فشر محض ليس فيها جلب منفعة ولا دفع مضرة والفلاسفة ونحوهم ممن لا يعرف الجن والشياطين لا يعرفون هذه وانما يعرفون الشهوة والغضب والشهوة والغضب خلقا لمصلحة ومنفعة لكن المذموم هو العدوان فيهما وأما الشيطان فيأمر بالشر الذى لا منفعة فيه ويحب ذلك كما فعل ابليس بآدم لما وسوس له وكما امتنع من السجود له فالحسد يأمر به الشيطان والحاسد لا ينتفع بزوال النعمة عن المحسود لكن يبغض ذلك وقد يكون بغضه لفوات غرضه وقد لا يكون

ومن استمتاع الانس بالجن استخدامهم فى احضار بعض ما يطلبونه من مال وطعام وثياب ونفقة فقد يأتون ببعض ذلك وقد يدلونه على كنز وغيره واستمتاع الجن بالانس استعمالهم فيما يريده الشيطان من كفر وفسوق ومعصية

ومن استمتاع الانس بالجن استخدامهم فيما يطلبه الانس من شرك وقتل وفواحش فتارة يتمثل الجنى فى صورة الانسى فاذا استغاث به بعض أتباعه أتاه وظن انه الشيخ نفسه وتارة يكون التابع قد نادى شيخه وهتف به يا سيدى فلان فينقل الجنى ذلك الكلام الى الشيخ بمثل صوت الانسى حتى يظن الشيخ انه صوت الانسى بعينه ثم ان الشيخ يقول نعم ويشير اشارة يدفع بها ذلك المكروه فيأتى الجنى بمثل ذلك الصوت والفعل

يظن ذلك الشخص أنه شيخه نفسه وهو الذي أجابه وهو الذي فعل ذلك حتى ان نادم الشيخ قد يكون يده في اناء يأكل فيضع الجني يده في صورة يد الشيخ ويأخذ من الطعام ويظن ذلك النادم انه شيخه حاضر معه والجني يمثل للشيخ نفسه مثل ذلك الاناء فيضع يده فيه حتى يظن الشيخ انه يده في ذلك الاناء فاذا حضر المريد ذكر له الشيخ ان يدي كانت في الاناء فيصدقونه ويكون بينهما مسافة شهر والشيخ موضعه ويده في مكانه ولكن الجني مثل للشيخ ومثل للمريد حتى ظن كل منهما ان أحدهما عند الآخر وانما كان عنده ما مثله الجني وخيله واذا سئل الشيخ المخدوم عن أمر غائب اما سرقة واما شخص مات وطلب منه أن يخبر بحاله أو عله في السماء أو غير ذلك فان الجني قد يمثل ذلك فيريه صورة المسروق ويقول الشيخ ذهب لكم كذا وكذا ثم ان كان صاحب المال معظما وأراد أن يدله على سرقته مثل له الشيخ الذي أخذه أو المكان الذي فيه المال فيذهبون اليه فيجدونه كما قال والاكثر منهم أنهم يظهرون صورة المال ولا يكون عليه لان الذي سرق المال معه أيضا جني يخدمه والجن يخاف بعضهم من بعض كما ان الانس يخاف بعضهم بعضا فاذا دل الجني على حال أولياء السارق قاتلوه وأحيانا لايدل لكون السارق وأعوانه يخدمونه ويرشونه كما يصنع ترفق اللصوص من الانس تارة يعرف السارق ولا يعرف به اما لرغبة ينالها منه واما لرهبة وخوف منه واذا كان المال المسروق اكبر نخافه ونحوه عرف سارقه فهنا واشباهه من استمتاع بعضهم ببعض

﴿ والجن مكلفون كتكليف الانس ﴾ ومحمد صلى الله عليه وسلم مرسل الى الثقلين الجن والانس وكفار الجن يدخلون النار بنصوص واجماع المسلمين ﴿ وأما مؤمنهم ﴾ ففيهم قولان وأكثر العلماء على انهم مثابون أيضا ويدخلون الجنة وقد روى أنهم يكونون في ربضها يراهم الانس من حيث لا يرون الانس عكس الحال في الدنيا وهو حديث رواه الطبراني في معجمه الصغير يحتاج النظر في اسناده * وقد احتج ابن أبي ليلى وأبو يوسف على ذلك بقوله تعالى ولكل درجات مما عملوا وقد ذكر الجن والانس الابرار والفجار في الاحقاف والانعام * واحتج الاوزاعي وغيره بقوله تعالى لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان وقد قال تعالى في الاعراف أولئك الذين حق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين ولكل درجات مما عملوا وقد تقدم قبل هذا ذكر أهل الجنة وقوله أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة ثم قال ولكل درجات مما عملوا وليوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم درجات أهل الجنة تذهب علوا ودرجات أهل النار تذهب سفلا وقد قال تعالى عن قول الجن منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قددا وقالوا وانا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا ففيهم الكفار والفساق والعصاة وفيهم من فيه عبادة ودين بنوع من قلة العلم كما في الانس وكل نوع من الجن يميل الى نظيره من الانس

فاليهود مع اليهود والنصاري مع النصاري والمسلمون مع المسلمين والفساق مع الفساق وأهل الجهل والبدع مع أهل الجهل والبدع

واستخدام الانس لهم مثل استخدام الانس للانس اشيء* فمنهم من يستخدمهم في المحرمات من الفواحش والظلم والشرك والقول على الله بلا علم وقد يظنون ذلك من كرامات الصالحين وانما هو من افعال الشياطين * ومنهم من يستخدمهم فيأمور مباحة اما احضار ماله أو دلالة على مكان فيه مال ليس له مالك معصوم أودفع من يؤذيه ونحو ذلك فهذا كاستعانة الانس بعضهم ببعض في ذلك * والنوع الثالث أن يستعملهم في طاعة الله ورسوله كما يستعمل الانس في مثل ذلك فيأمرهم بما أمر الله به ورسوله وينهاهم عما نهاهم الله عنه ورسوله كما يأمر الانس وينهاهم وهذه حال نبينا صلي الله عليه وسلم وحال من اتبعه واقتدي به من أمته وهم أفضل الخلق فانهم يأمرون الانس والجن بما أمرهم الله به ورسوله وينهون الانس والجن عما نهاهم الله عنه ورسوله اذ كان نبينا محمد صلي الله عليه وسلم مبعوثا بذلك الى الثقلين الانس والجن وقد قال الله له قل هذه سبيلي ادعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما انا من المشركين وقال قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم ﴿ وعمر رضي الله عنه لما نادي ياسارية الجبل قال ان لله جنودا يبلغون صوتي ﴾ وجنود الله هم من الملائكة ومن صالحي الجن فجنود الله بلغوا صوت عمر الى سارية وهو أنهم نادوه بمثل صوت عمر والا فنفس صوت عمر لا يصل نفسه

في هذه المسافة البعيدة وهذا كالرجل يدعو آخر وهو بعيد عنه فيقول يافلان فيعان على ذلك فيقول الواسطة بينهما يافلان وقد يقول لمن هو بعيد عنه يافلان أحبس الماء ببئر الفلانية وهو لا يسمع صوته فاذنه الواسطة على ذلك يافلان احبس الماء ارسل الماء انما يمثل صوت الاول ان كان لا يحمل الاصوته والا فلا يصير بأي صوت كان اذا عرف ان صاحبه قد ناداه وهذا حكاية كان عمر مرة قد أرسل جيشا فجاء شخص وأخبر أهل المدينة بانتصار الجيش وشاع الخبر فقال عمر من أين لكم هذا قالوا شخص صفته كيت وكيت فأخبرنا فقال عمر ذاك ابو الهيثم بريد الجن وسيجيء بريد الانسان بعد ذلك بأيام

وقد يأمر الملك بعض الناس بأمر ويستكتمه اياه فيخرج فيرى الناس يتحدثون به فان الجن تسمعه وتخبر به الناس والذين يستخدمون الجن في المباحات يشبه استخدام سليمان لكن أعطي ملكا لا ينبغي لاحد بعده وسخرت له الانس والجن وهذا لم يحصل لغيره والنبي صلى الله عليه وسلم لما تفلت عليه العفريت ليقطع عليه صلاته قال فأخذته فذعته حتى سال لعابه على يدي وأردت أن أربطه الى سارية من سواري المسجد ثم ذكرت دعوة أخي سليمان فأرسلته (فلم يستخدم) الجن أصلا لكن دعاهم الى الايمان بالله وقرأ عليهم القرآن وبلغهم الرسالة وبايعهم كما فعل بالانس * والذي أوتيه صلى الله عليه وسلم أعظم مما أوتيه سليمان فانه استعمل الجن والانس في عبادة الله وحده وسعادتهم في الدنيا والآخرة لا لغرض

يرجع إليه إلا ابتغاء وجه الله وطلب مرضاته واختار أن يكون عبداً رسولاً على أن يكون نبياً ملكاً فداود وسليمان ويوسف أنبياء ملوك وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد رسل عبيد فهو أفضل كفضل السابقين المقربين على الأبرار أصحاب اليمين وكثير ممن يرى هذه العجائب الخارقة يعتقد أنها من كرامات الأولياء وكثير من أهل الكلام والعلم لم يعرفوا الفرق بين الأنبياء والصالحين في الآيات الخارقة وما لأولياء الشيطان من ذلك من السحرة والكهان والكفار من المشركين وأهل الكتاب وأهل البدع والضلال من الداخلين في الإسلام جعلوا الخوارق جنساً واحداً وقالوا كلها يمكن أن تكون معجزة إذا اقترنت بدعوى النبوة والاستدلال بها والتحدي بمثلها.

وإذا ادعى النبوة من ليس نبي من الكفار والسحرة فلابد أن يسلبه الله ما كان معه من ذلك وأن يقيض له من يعارضه ولو عارض واحد من هؤلاء الذي لا أعجزه الله فخاصة المعجزات عندهم مجرد كون المرسل إليهم لا يأتون بمثل ما أتى به الذي كان معتاداً للناس قالوا إن عجز الناس عن المعارضة خرق عادة فهذه هي المعجزات عندهم وهم صالحوا سلفهم من المعتزلة الذين قالوا المعجزات هي خرق العادة لكن أنكروا كرامات الصالحين وأنكروا أن يكون السحر والكهانة إلا من جنس الشعبذة والحيل لم يعلموا أن الشياطين تعين على ذلك وأولئك أثبتوا الكرامات ثم زعموا أن المسلمين أجمعوا على أن هذه لا تكون إلا لرجل صالح أو نبي قالوا فإذا ظهرت على يد رجل كان صالحاً بهذا الإجماع

وهؤلاء أنفسهم قد ذكروا أنها تكون للسحرة فهو مثلها و قد افصو في ذلك كما قد بسط في غير هذا الموضع

فصار كثير من الناس لا يعلمون ما للسحرة والكهان وما تفعله الشياطين من العجائب وظنوا أنها لا تكون الا لرجل صالح فصار من ظهرت هذه له يظن أنها كرامة فيقوى قلبه بأن طريقته هي طريقة الاولياء وكذلك غيرهم يظن فيه ذلك ثم يقولون الولي اذا تولى لا يعترض عليه فمنهم من يراه مخالفاً لما علم بالاضطرار من دين الرسول مثل ترك الصلاة المفروضة وأكل الخبائث كالخمر والحشيشة والميتة وغير ذلك وفعل الفواحش والفحش والتفحش في المنطق وظلم الناس وقتل النفس بغير حق والشرك بالله وهو مع ذلك يظن فيه أنه ولي من أولياء الله قد وهبه هذه الكرامات بلا عمل فضلا من الله تعالى ولا يعلمون ان هذه من أعمال الشياطين وان هذه من أولياء الشياطين يضل به الناس ويغويهم

(ودخلت) الشياطين في أنواع من ذلك فتارة يأتون الشخص في النوم يقول أحدهم أنا أبو بكر الصديق وأنا أتوبك لي وأصير شيخك وأنت توب الناس لي ويلبسه وصح وعلى رأسه ما ألبسه فلا يشك ان الصديق هو الذي جاءه ولا يعلم أنه الشيطان وقد جرى مثل هذا لعدة من المشايخ بالعراق والجزيرة والشام وتارة تقص شعره في النوم فيصبح فيجد شعره مقصوصاً وتارة يقول أنا الشيخ فلان فلا يشك ان الشيخ نفسه جاءه وقص شعره

وكثيراً مايستغيث الرجل بشيخه الحي أو الميت فيأتونه في صورة ذلك الشيخ وقد يخلصونه مما يكره فلا يشك ان الشيخ نفسه جاءه أو ان ملكا تصور بصورته وجاءه ولا يعلم ان ذلك الذي تمثل انما هو الشيطان لما اشرك بالله أضلته الشياطين والملائكة لاتجيب مشركا وتارة يأتون الى من هو خائف في البرية وقد يكون ملكا أو أميراً كبيراً ويكون كافراً وقد انقطع عن أصحابه وعطش وخاف الموت فيأتيه في صورة انسي ويسقيه ويدعوه الى الاسلام ويتوبه فيسلم على يديه ويتوبه ويطعمه ويدله على الطريق ويقول من أنت فيقول أنا فلان ويكون في موضع

(كما جرى مثل هذا لي) كنت في مصر في قلعتها وجري مثل هذا الى كثير من الترك من ناحية المشرق وقال له ذلك الشخص أنا ابن تيمية فلم يشك ذلك الامير اني أنا هو وأخبر بذلك ملك ماردين وأرسل بذلك ملك ماردين الى ملك مصر رسولا وكنت في الحبس فاستعظموا ذلك وأنا لم أخرج من الحبس ولكن كان هذا جنياً يحبنا فيصنع بالترك التتر مثل ما كنت أصنع بهم لما جاؤا الى دمشق كنت أدعوهم الى الاسلام فاذا نطق أحدهم بالشهادتين أطعمتهم ماتيسر فعمل معهم مثل ما كنت أعمل وأراد بذلك اكرامي ليظن ذاك اني أنا الذي فعلت ذلك

(قال لي طائفة من الناس فلم لايجوز أن يكون ملكا قلت لا) ان الملك لايكذب وهذا قد قال أنا ابن تيمية وهو يعلم أنه كاذب في ذلك

(وكثير من الناس) رأى من قال اني أنا الخضر وانما كان جنياً

ثم صار من الناس من يكذب بهذه الحكايات انكار الموت الخضر والذين قد عرفوا صدقها يقطعون بحياة الخضر وكلا الطائفتين مخطئ فان الذين رأوا من قال اني أنا الخضر هم كثيرون صادقون والحكايات متواترات لكن اخطؤا في ظنهم انه الخضر وانما كان جناً ولهذا يجري مثل هذا لليهود والنصارى فكثيرا مايأتيهم في كنائسهم من يقول انه الخضر وكذلك اليهود يأتيهم في كنائسهم من يقول انه الخضر وفي ذلك من الحكايات الصادقة مايضيق عنه هذا الموضع يبين صدق من رأى شخصاً وظن أنه الخضر وانه غلط في ظنه أنه الخضر وانما كان جنياً وقد يقول أنا المسيح أو موسى أو محمد أو أبو بكر أو عمر أو الشيخ فلان فكل هذا قد وقع والنبي صلى الله عليه وسلم قال من رآني في المنام فقد رآني حقاً فان الشيطان لايتمثل في صورتي قال ابن عباس في صورته التي كان عليها في حياته وهذه رؤية في المنام وأما في اليقظة فمن ظن أن أحداً من الموتى يجيئ بنفسه للناس عياناً قبل يوم القيامة فمن جهله أتى

(ومن هنا) ضل النصارى حيث اعتقدوا ان المسيح بعد ان صلب كما يظنون انه أتى الى الحواريين وكلمهم ووصاهم وهذا مذكور في أناجيلهم وكلها تشهد بذلك وذاك الذي جاء كان شيطانا قال انا المسيح ولم يكن هو المسيح نفسه ويجوز أن يشتبه مثل هذا على الحواريين كما اشتبه على كثير من شيوخ المسلمين ولكن ما أخبرهم المسيح قبل أن يرفع بتبليغه فهو الحق الذي يجب عليهم تبليغه ولم يرفع حتى بلغ

رسالات ربه فلا حاجة الى مجيئه بعد ان رفع الي السماء

﴿ وأصحاب الحلاج ﴾ لما قتل كان يأتيهم من يقول أنا الحلاج فيرونه في صورته عيانا وكذلك شيخ بمصر يقال له الدسوقي بعد أن مات كان يأتي أصحابه من جهته رسائل وكتب مكتوبة وأراني صادق من أصحابه الكتاب الذي أرسله فرأيته بخط الجن وقد رأيت خط الجن غير مرة وفيه كلام من كلام الجن وذاك المعتقد يعتقد ان الشيخ حيّ وكان يقول انتقل ثم مات وكذلك شيخ آخر كان بالمشرق وكان له خوارق من الجن وقيل كان بعد هذا يأتي خواص أصحابه في صورته فيعتقدون أنه هو وهكذا الذين كانوا يعتقدون بقاء عليّ أو بقاء محمد بن الحنفية قد كان يأتي الى بعض أصحابهم جنيّ في صورته وكذا منتظر الرافضة قد يراه أحدهم احيانا ويكون المرئي جنيا فهذا باب واسع واقع كثيراً وكلما كان القوم أجهل كان عندهم أكثر ففي المشركين أكثر مما في النصارى وهو في النصارى كما هو في الداخلين في الاسلام وهذه الامور يسلم بسببها ناس ويتوب بسببها ناس يكونون أضل من أصحابها فينقلون بسببها الى ماهو خير مما كان عليه كالشيخ الذي فيه كذب وفجور من الانس قد يأتيه قوم كفار فيدعوهم الى الاسلام فيسلمون ويصيرون خيراً مما كانوا وان كان قصد ذلك الرجل فاسداً وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وبأقوام لاخلاق لهم وهذا كان كالحجج والادلة التي يذكرها كثير من أهل الكلام والرأي فانه ينقطع بها كثير من أهل الباطل ويقوى بها قلوب كثير من اهل

الحق وان كان في نفسها باطلة فغيرها أبطل منها والخير والشر درجات فينتفع بها أقوام ينتقلون مما كانوا عليه الى ما هو خير منه وقد ذهب كثير من مبتدعة المسلمين من الرافضة والجهمية وغيرهم الى بلاد الكفار فأسلم على يديه خلق كثير وانتفعوا بذلك وصاروا مسلمين مبتدعين وهو خير من أن يكونوا كفاراً وكذلك بعض الملوك قد يغزو غزواً يظلم فيه المسلمين والكفار ويكون آثماً بذلك ومع هذا فيحصل به نفع خلق كثير كانوا كفاراً فصاروا مسلمين وذاك كان شراً بالنسبة الى القائم بالواجب وأما بالنسبة الى الكفار فهو خير وكذلك كثير من الاحاديث الضعيفة في الترغيب والترهيب والفضائل والاحكام والقصص قد يسمعها أقوام فينتقلون بها الى خير مما كانوا عليه وان كانت كذبا وهذا كالرجل يسلم رغبة في الدنيا ورهبة من السيف ثم اذا أسلم وطال مكثه بين المسلمين دخل الايمان في قلبه فنفس ذل الكفر الذي كان عليه وانقهاره ودخوله في حكم المسلمين خير من أن يبقى كافراً فانتقل الى خير مما كان عليه وخف الشر الذي كان فيه ثم اذا أراد الله هدايته أدخل الايمان في قلبه والله تعالى بعث الرسل بتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها والنبي صلى الله عليه وسلم دعا الخلق بغاية الامكان ونقل كل شخص الى خير مما كان عليه بحسب الامكان ولكل درجات مما عملوا وليوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون وأكثر المتكلمين يردون باطلا بباطل وبدعة ببدعة لكن قد يردون باطل الكفار من المشركين وأهل الكتاب بباطل المسلمين فيصير الكافر

مسلما مبتدعا وأخص من هؤلاء من رد البدع الظاهرة كبدعة الرافضة بدعة أخف منها وهي بدعة أهل السنة وقد ذكرنا فيما تقدم أصناف البدع

ولا ريب ان المعتزلة خير من الرافضة ومن الخوارج فان المعتزلة تقر بخلافة الخلفاء الاربعة وكلهم يتولون أبا بكر وعمر وعثمان وكذلك المعروف عنهم انهم يتولون عليا ومنهم من يفضله علي أبي بكر وعمر ولكن حكي عن بعض متقدميهم أنه قال فسق يوم الجمل احدى الطائفتين ولا أعلم عينها وقالوا انه قال لو شهد علي والزبير لم اقبل شهادتهما لفسق أحدهما لا بعينه ولو شهد علي مع آخر ففي قبول شهادته قولان وهذا القول شاذ فيهم والذي عليه عامتهم تعظيم علي

ومن المشهور عندهم ذم معاوية وأبي موسى وعمرو بن العاص لاجل علي ومنهم من يكفر هؤلاء ويفسقهم بخلاف طلحة والزبير وعائشة فانهم يقولون ان هؤلاء تابوا من قتاله وكلهم يتولي عثمان ويعظمون أبا بكر وعمر ويعظمون الذنوب فهم يتحرون الصدق كالخوارج لايختلقون الكذب كالرافضة ولا يرون أيضا اتخاذ دار غير دار الاسلام كالخوارج ولهم كتب في تفسير القرآن ونصر الرسول ولهم محاسن كثيرة يترجحون علي الخوارج والروافض وهم قصدهم اثبات توحيد الله ورحمته وحكمته وصدقه وطاعته وأصولهم الخمس عن هذه الصفات الخمس لكنهم غلطوا في بعض ماقالوه في كل واحد من أصولهم الخمس فجعلوا من التوحيد نفي الصفات وانكار الرؤية والقول بان القرآن

محوق فوافقوا في ذلك الجهمية وجعلوا من العدل انه لايشاء ما يكون ويكون مالا يشاء وانه لم يخلق أفعال العباد فنفوا قدرته ومشيئته وخلقه لاثبات العدل وجعلوا من الرحمة نفي أمور خلقها لم يعرفوا مافيها من الحكمة وكذلك هم والخوارج قالوا بانفاذ الوعيد ليثبتوا ان الرب صادق لايكذب اذ كان عندهم قد أخبر بالوعيد العام فمتى لم يقل بذلك لزم كذبه وغلطوا في فهم الوعيد وكذلك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بالسيف قصدوا به طاعة الله ورسوله كما قصده الخوارج والزيدية وغلطوا في ذلك وكذلك انكارهم للخوارق غير المعجزات قصدوا به اثبات النبوة ونصرها وغلطوا فيما ظنوه فان النصر لايكون بتكذيب الحق وذلك لكونهم لم يحققوا خصائص آيات الانبيا والاشعرية ماردوه من بدع المعتزلة والرافضة والجهمية وغيرهم وبينوا مابينوه من تناقضهم وعظموا الحديث والسنة ومذهب الجماعة فحصل بما قالوه من بيان تناقض أصحاب البدع الكبار وردهم ماانتفع به خلق كثير

فان الاشعرى كان من المعتزلة وبقي على مذهبهم أربعين سنة يقرأ على أبي علي الجبائي فلما انتقل عن مذهبهم كان خبيرا باصولهم وبالرد عليهم وبيان تناقضهم وأما ما بقي عليه من السنة فليس هو من خصائص المعتزلة بل هو من القدر المشترك بينهم وبين الجهمية وأما خصائص المعتزلة فلم يوافقهم الاشعري في شيء منها بل ناقضهم في جميع أصولهم ومال في مسائل العدل والاسماء والاحكام الى مذهب جهم ونحوه وكثير من الطوائف كالنجارية أتباع حسين النجار والضرارية أتباع

ضرار بن عمرو ويخالفون المعتزلة في القدر والأسماء والأحكام وإنفاذ
الوعيد والمعتزلة من أبعد الناس عن طريق أهل الكشف والخوارق
والصوفية يذمونها ويعيبونها وكذلك يبالغون في ذم النصارى أكثر
مما يبالغون في ذم اليهود وهم إلى اليهود أقرب كما أن الصوفية ونحوهم
إلى النصارى أقرب فإن النصارى عندهم عبادة وزهد وأخلاق بلا
معرفة ولا بصيرة فهم ضالون واليهود عندهم علم ونظر بلا قصد
صالح ولا عبادة ولا زهد ولا أخلاق كريمة فهم مغضوب عليهم والنصارى
ضالون

قال أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم ولا أعلم في هذا الحرف
اختلافا بين المفسرين وروى بإسناده عن أبي روق عن ابن عباس وعن
طريق الضالين وهم النصارى الذين أضلهم الله بفريتهم عليه يقول فألهمنا
دينك الحق وهو لا إله إلا الله وحده لا شريك له حتى لا تغضب علينا كما
غضبت على اليهود ولا تضلنا كما أضللت النصارى فتعذبنا كما تعذبهم
يقول امنعنا من ذلك برفقك ورحمتك ورأفتك وقدرتك قال ابن أبي
حاتم ولا أعلم في هذا الحرف اختلافا بين المفسرين وقد قال سفيان
ابن عيينة كانوا يقولون من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود ومن
فسد من عبادنا ففيه شبه من النصارى

فأهل الكلام أصل أمرهم هو النظر في العلم ودليله فيعظمون
العلم وطريقه وهو الدليل والسلوك في طريقه وهو النظر

وأهل الزهد يعظمون الإرادة والمريد وطريق أهل الإرادة

فهؤلاء نبذوا أمرهم علي الارادة وأولئك نبذوا أمرهم علي النظر وهذه هي القوة العلمية ولا بد لاهل الصراط المستقيم من هذا وهذا ولا بد أن يكون هذا وهذا موافقا لما جاء به الرسول

فالايمان قول وعمل وموافقة السنة وأولئك عظموا النظر وأعرضوا عن الارادة وعظموا جنس النظر ولم يلتزموا النظر الشرعي فغلطوا من جهة كون جانب الارادة لم يعظموه وان كانوا يوجبون الاعمال الظاهرة فهم لايعرفون أعمال القلوب وحقائقها ومن جهة ان النظر لم يميزوا فيه بين النظر الشرعي الحق الذي أمر به الشارع وأخبر به وبين النظر البدعي الباطل المنهى عنه

وكذلك الصوفية عظموا جنس الارادة ارادة القلب وذموا الهوى وبالغوا في الباب ولم يميز كثير منهم بين الارادة الشرعية الموافقة لامر الله ورسوله وبين الارادة البدعية بل أقبلوا على طريق الارادة طريقة الدخول

وأعرض كثير منهم فدخل عليهم الداخل من هاتين الجهتين ولهذا صار هؤلاء يميل اليهم النصارى ويميلون اليهم وأولئك يميل اليهم اليهود ويميلون اليهم وبين اليهود والنصاري غاية التنافر والتباغض وكذلك بين أهل الكلام والرأي وبين أهل التصوف والزهد تنافر وتباغض وهذا وهذا من الخروج عن الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا

نسأل الله العظيم أن يهدينا وسائر اخواننا الصراط المستقيم صراط

الذين أنعم الله عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين آمين

(فصل) فإن قيل فإذا كان في كتب الأناجيل التي عندهم أن المسيح صلب وأنه بعد الصلب بأيام أتى إليهم وقال لهم أنا المسيح ولا يقولون إن الشيطان تمثل على صورته فإن الشيطان ليس هو لحم وعظم وهذه أثر المسامير أو نحو هذا الكلام فإن الإنجيل الذي قال الله عز وجل فيه وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه وقال قبل هذا وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون وقد قال قبل هذا وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء وقال أيضا ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم وقال أيضا قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تأس على القوم الكافرين وهذا أمر للنبي صلى الله عليه وسلم بأن يقول لأهل الكتاب الذين بعث إليهم وهو من كان في وقتهم ومن يأتي من بعدهم إلى يوم القيامة لم تؤمر أن يقول ذلك

لمن قد تاب منهم وكذلك قوله وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله اخبار عن اليهود الموجودين وان عندهم التوراة فيها حكم الله وكذلك قوله

وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه هو أمر من الله على لسان محمد لاهل الانجيل ومن لا يؤمن على لسان محمد صلى الله عليه وسلم قيل قبل هذا انه قد نقل لنا في العالم نسخة بنفس ما أنزل الله في التوراة والانجيل بل ذلك مبدل فان التوراة انقطع تواتره والانجيل بما أحدث عن أربعة ثم من هؤلاء من زعم ان كثيرا مما في التوراه او الانجيل باطل ليس من كلام الله ومنهم من قال بل ذلك قليل وقيل لم يحرف احد شيئا من حروف الكتب وانما حرفوا معانيها بالتأويل وهذان القولان قال كلا منهما كثير من المسلمين والصحيح القول الثالث وهو ان في الارض نسخا صحيحة وبقيت الى عهد النبي صلي الله عليه وسلم ونسخا كثيرة محرفة ومن قال انه لا يحرف شيء من النسخ فقد قال مالا يمكنه نفيه ومن قال جميع النسخ بعد النبي صلي الله عليه وسلم حرفت فقد قال مايعلم انه خطأ والقرآن يأمرهم أن يحكموا بما أنزله الله في التوراة والانجيل ويخبران فيهما حكمه وليس في القرآن خبر انهم غيروا جميع النسخ واذ كان كذلك فنقول هو سبحانه قال وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه وما أنزله الله هو ما تلقوه عن المسيح فاما حكايته لحاله بعد ان رفع فهو مثلها في التوراة ذكر وفاة موسى عليه السلام ومعلوم ان هذا الذي في التوراه والانجيل من الخبر عن موسى

وعيد ى بعد توفيهما ليس هو مما أنزله الله ومما تلقوه عن موسى وعيسى بل هو مما كتبوه مع ذلك للتعريف بحال توفيهما وهذا خبر محض من الموجودين بعدهما عن حالهما ليس هو مما أنزله الله عليهما ولا هو مما أمرا به في حياتهما ولا مما أخبرا به الناس

وكذلك لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم وقوله ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل اليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم فان اقامة الكتاب العمل بما أمر الله به في الكتاب من التصديق بما أخبر به على لسان الرسول وما كتبه الذين نسخوه من بعد وفاة الرسول ومقدار عمره ونحو ذلك ليس هو مما أنزله الله على الرسول ولا مما أمر به ولا أخبر به وقد يقع مثل هذا في الكتب المصنفة يصنف الشخص كتابا فيذكر ناسخه في آخره عمر المصنف ونسبه وسنه ونحو ذلك مما ليس هو من كلام المصنف

﴿ ولهذا ﴾ أمر الصحابة والعلماء تجريد القرآن وان لا يكتب في المصحف غير القرآن فلا يكتب أسماء السور ولا التخميس والتعشير ولا آمين ولا غير ذلك والمصاحف القديمة والتي كتبها أهل العلم على هذه الصفة وفي المصاحف من قد كتب ناسخها أسماء السور والتخميس والتعشير والوقف والابتداء وكتب في آخر المصحف تصديقه ودعا وكتب اسمه ونحو ذلك وليس هذا من القرآن فهكذا ما في الانجيل من الخبر عن صلب المسيح وتوفيه ومجيئه بعد رفعه الى الحواريين ليس

هو مما قاله المسيح وإنما هو مما رآه من بعده والذي أنزله الله هو ما سمع
من المسيح المبلغ عن الله

فإن قيل فإذا كان الحواريون قد اعتقدوا أن المسيح صلب وأنه أتاهم بعد أيام وهم الذين نقلوا عن المسيح الإنجيل والدين فقد دخلت الشبهة

قيل الحواريون وكل من نقل عن الأنبياء إنما يجب أن يقبل منهم ما نقلوه عن الأنبياء فإن الحجة في كلام الأنبياء وما سوى ذلك فموقوف على الحجة إن كان حقاً قبل وإلا رد ولهذا كان ما نقله الصحابة عن النبي صلى الله عليه وسلم من القرآن والحديث يجب قبوله لا سيما المتواتر كالقرآن وكثير من السنن وأما ما قالوه فما أجمعوا عليه فإجماعهم معصوم وما تنازعوا فيه رد إلى الله والرسول وعمر قد كان أولاً أنكر موت النبي صلى الله عليه وسلم حتى رد ذلك عليه أبو بكر وقد تنازعوا في دفنه حتى فصل أبو بكر بالحديث الذي رواه وتنازعوا في تجهيز جيش أسامة وتنازعوا في قتال مانعي الزكاة فلم يكن هذا قادحا فيما نقلوه عن النبي صلى الله عليه وسلم والنصارى ليسوا متفقين على صلب المسيح ولم يشهد أحد منهم صلبه فإن الذي صلب إنما صلبه اليهود ولم يكن أحد من أصحاب المسيح حاضراً وأولئك اليهود الذين صلبوه قد اشتبه عليهم المصلوب بالمسيح وقد قيل إنهم عرفوا أنه ليس هو المسيح ولكنهم كذبوا وشبهوا على الناس والأول هو المشهور وعليه جمهور الناس وحينئذ فليس عند النصارى خبر عمن يصدقونه بأنه صلب لكن عندهم

على دلك الشخص الدى حاء بعد أيام وقال أنا المسيح وداك شيطان
وهم يعرفون بأن الشياطين كثيراً ماتجيء ويدعي أنه نبي أو صالح
ويقول أنا فلان النبي أو الصالح ويكون شيطانا وفى دلك حكايات
متعددة مثل حكاية الراهب الدى جاءه جاء وقال أنا المسيح جئت
لاهديك فعرف أنه الشيطان فقال أنت قد بلغت الرسالة ونحن نعمل
بها فان جئت اليوم بشيء يخالف دلك لم نقبل منك

فليس عند النصارى واليهود علم بأن المسيح صلب كما قال تعالى
وان الدين اختلفوا فيه لفي شك منه مالهم به من علم الا اتباع الظن
وأضاف الخبر عن قتله الي اليهود بقوله وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى
ابن مريم رسول الله فانهم بهذا الكلام يستحقون العقوبة اذ كانوا
يعتقدون جواز قتل المسيح ومن جوز قتله فهو كمن قتله فهم في هدا
القول كادبون وهم آثمون وادا قالوه خبرا لم يحصل لهم الفخر لانهم
لم يقتلوه وحصل الوزر لاستحلالهم دلك وسعيهم فيه وقد قال النبي
صلى الله عليه وسلم ادا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار
قالوا يارسول الله فما بال المقتول قال انه كان حريصاً على قتل صاحبه
وقوله وان الدين اختلفوا فيه لفي شك منه قيل هم اليهود وقيل النصارى
والآية تعم الطائفتين وقوله لفي شك منه قيل من قتله وقيل منه أي
في شك منه هل صلب ام لا كما اختلفوا فيه فقالت اليهود هو ساحر
وقالت النصارى انه اله فاليهود والنصارى اختلفوا هل صلب ام لا وهم
في شك من دلك مالهم به من علم وقد كان هدا في الصلب وكذلك في

الذى جاء بعد الرفع وقال انه هو المسيح

فان قيل كان الحواريون الذين أدركوه قد حصل هذا فى ايمانهم فأين المؤمنون به الذين قال فيهم

وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا وقوله فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين

قيل ظن من ظن منهم أنه صلب لايقدح فى ايمانه اذا كان لم يحرف ماجاء به المسيح بل هو مقر بأنه عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها الي مريم وروح منه فاعتقاده بعد هذا أنه صلب لايقدح في ايمانه فان هذا اعتقاد موته على وجه معين وغاية الصلب أن يكون قتلا له وقتل النبى لايقدح فى نبوته وقد قتل بنو اسرائيل كثيراً من الانبياء وقال تعالي وكأين من نبىّ قتل معه ربيون كثير الآية وقال تعالى وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم وكذلك اعتقاد من اعتقد منهم أنه جاء بعد الرفع وكلهم هو مثل اعتقاد كثير من مشايخ المسلمين ان النبى صلى الله عليه وسلم جاءهم فى اليقظة فانهم لايكفرون بذلك بل هذا كان يعتقده من هو من أكثر الناس اتباعاً للسنة واتباعاً لها وكان في الزهد والعبادة أعظم من غيره وكان يأتيه من يظن انه رسول الله فهذا غلط منه لايوجب كفره وكذلك ظن من ظن الحواريين ان ذلك هو المسيح لايوجب خروجهم عن الايمان بالمسيح ولايقدح فيما نقلوه عنه وعمر لما كان يعتقد أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يمت ولكن ذهب الي ربه كما ذهب موسى وانه لايموت

حتى يموت أصحابه لم يكن هذا قادحا في ايمانه وانما كان غالطاً ورجع عنه

﴿ فصل وقوله تعالى في هـذه مالهم به من علم الا اتباع الظن ﴾

هو ذم لهم على اتباع الظن بلا علم وكذلك قوله ان هي الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى وكذلك قوله ومالهم به من علم ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغني من الحق شيئا وقوله تعالى وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون وقوله أفمن يهدي الي الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي الا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون وما يتبع أكثرهم الا ظناً ان الظن لا يغني من الحق شيئا ان الله عليم بما يفعلون

فهذه عدة مواضع يذم الله فيها الذين لا يتبعون الا الظن وكذلك قوله قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان أنتم الا تخرصون قل فلله الحجة البالغة مطالبة بالعلم وذم لمن يتبع الظن وما عنده علم وكذلك قوله ائتوني بعلم ان كنتم صادقين وقوله وان كثيراً ليضلون بأهوائهم بغير علم وامثال ذلك ذم لمن عمل بغير علم وعمل بالظن

وقد ثبت في السنة المتواترة واجماع الامة ان الحاكم يحكم بشاهدين وان لم يكن شهود صاحب الخصم*وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال انكم تختصمون الي ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض وانما أقضي بنحو مما أسمع فمن قضيت له من حق أخيه فلا يأخذه فانما أقطع له قطعة من النار

والاجتهاد فى تحقيق المناط مما اتفق المسلمون عليه ولابد منه كحكم ذوى عدل بالمثل فى جزاء الصيد وكالاستدلال على الكعبة عند الاشتباه ونحو ذلك فلا نقطع به الانسان بل يجوز أن يكون الصلاة في غير جهة اجتهاده كما يجوز اذا حكم أن يكون قد قضى لاحدهما بشئ من حق الآخر وأدلة الاحكام لابد فيها من هذا فان دلالة العموم في الظواهر قد تكون محتملة للنقيض وكذلك خبر الواحد والقياس وان كان قوم نازعوا في القياس فالفقهاء منهم لم ينازعوا فى خبر الواحد كالظاهرية ومن نازع في هذا وهذا لم ينازع فى العموم كالمعتزلة البغداديين وان نازع فى العموم والقياس من نازع كبعض الرافضة مثل الموسوى ونحوه لم ينازع فى الاخبار فان الامامية عمدتهم على ما ينقل عن الائمة فلابد لهم من الرواية ولا يوجد من يستغنى عن الظواهر والاخبار والاقيسة بل لابد أن يعمل ببعض ذلك مع تجويز نقيضه وهذا عمل بالظن والقرآن قد حرم اتباع الظن وقد تنوعت طرق الناس فى جواز هذا فطائفة قالت لا نتبع قط الا العلم ولا نعمل بالظن أصلا وقالوا ان خبر الواحد يفيد العلم وكذلك يقولون في الظواهر بل يقولون نقطع بخطأ من خالفنا ونقض حكمه كما يقوله داود وأصحابه وهؤلاء عمدتهم انما هو ما يظنونه ظاهراً واما الاستصحاب والاستصحاب فى كثير من المواضع من أضعف الادلة وهم فى كثير مما يحتجون به قد لا يكون ما احتجوا به ظاهر اللفظ بل الظاهر خلافه وطائفة قالت لما قام الدليل على وجوب العمل بالظن الراجح

كـذا متعبدين للعلم فنحن نعمل بالعلم عند وجود العلم لا نعمل بالظن وهذه طريقه القاضي ابى بكر واتباعه

وهنا السؤال المشهور في حد الفقه انه العلم بالاحكام الشرعية العملية وقال الرازي العلم بالاحكام الشرعيــة العمليه المستدل على اعيانها بحيث لا يعلم كونها من الدين ضرورة قال

(فان قيل) الفقه من باب الظنون فكيف جعلته علما

(قلنا) المجتهد اذا غلب على ظنه مشاركة صورة لصورة في مناط الحكم قطع بوجوب العمل بما أدى اليه ظنه فالحكم حاصل قطعا والظن واقع في طريقه وحقيقة هذا الجواب ان هنا مقدمتين احداهما انه قد حصل عندي ظن والثانية قد قام الدليل القطعي على وجوب اتباع هذا الظن فالمقدمة الاولى وجدانيه والثانية قطعية استدلالية فليس الظن مقدمة في الدليل كما توهمه بعضهم لكن يقال العمل بهذا الظن هو حكم أصول الفقه ليس هو الفقه بل الفقه هو ذلك الظن الحاصــل بالظاهر وخبر الواحــد والقياس والاصول يفيد أن العــمل بهذا الظن واجب والا فالفقهاء لا يتعرضون لهذا فهذا الحكم العملي الاصولي ليس هو الفقــه وهذا الجواب جواب القاضي أبي بكر وهو بناه على أصله فانه عنــده كل مجتهد مصيب وليس في نفس الامر أمر مطلوب ولا على الظن دليل يوجب ترجيح ظن على ظن بل الظنون عنده بحسب الاتفاق

وقال الغزالي وغيره ممن نصر قوله قد يكون بحسب ميل النفس الى أحد القولين دون الآخر كميل ذي الشدة الى قول وذي اللين الى

قول وحينئذ فعندهم متى وجد المجتهد ظنا في نفسه فحكم الله في حقه اتباع هذا الظن وقد أنكر أبو المعالى وغيره عليه هذا القول انكارا بليغا وهم معذورون فى انكاره فان هذا أولا مكابرة فان الظنون عليها أمارات ودلائل يوجب وجودها ترجيح ظن على ظن وهذا أمر معلوم بالضرورة والشريعة جاءت به ورجحت شيأ على شيء والكلام في شيئين في اتباع الظن وفى الفقه هل هو من الظنون

اما الاول فالجواب الصحيح هو الجواب الثالث وهو ان كل ما أمر الله تعالى به فانما أمر بالعلم وذلك انه في المسائل الخفية عليه أن ينظر في الادلة ويعمل بالراجح وكون هذا هو الراجح أمر معلوم عنده أمر مقطوع به وان قدر أن ترجيح هذا على هذا فيه شك عنده لم يعمل به واذا ظن الرجحان فانما ظنه لقيام دليل عنده على ان هذا راجح وفرق بين اعتقاد الرجحان ورجحان الاعتقاد وأما اعتقاد الرجحان فقد يكون عاما وقد لايعمل حتى يعلم الرجحان واذا ظن الرجحان أيضا فلابد أن يظنه بدليل يكون عنده أرجح من دليل الجانب الآخر ورجحان هذا غير معلوم فلابد أن ينتهى الامر الى رجحان معلوم عنده فيكون متبعا لما علم انه أرجح وهذا اتباع للعلم لاللظن وهو اتباع الاحسن كما قال فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا باحسنها وقال الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه وقال واتبعوا أحسن ماأنزل اليكم من ربكم فاذا كان احد الدليلين هو الارجح فاتباعه هو الاحسن وهذا معلوم

فالواجب على المجتهد أن يعمل بما يعلم انه أرجح من غيره وهو العمل بارجح الدليلين المتعارضين وحينئذ فما عمل الا بالعلم وهذا جواب الحسن البصري وأبي وغيرهم والقرآن ذم من لا يتبع الا الظن فلم يستند ظنه الى علم فان هذا أرجح من غيره كما قال مالهم به من علم ان يتبعون الا الظن وقال هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وهكذا في سائر المواضع يذم الذين ان يتبعون الا الظن فعندهم ظن مجرد لا علم معه وهم يتبعونه والذي جاءت به الشريعة وعليه عقلاء الناس انهم لا يعملون الا بعلم بان هذا أرجح من هذا فيعتقدون الرجحان اعتقادا علميا لكن لا يلزم اذا كان أرجح أن لا يكون المرجوح هو الثابت في نفس الامر وهذا كما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض وانما أقضي بنحو مما أسمع فاذا أتى أحد الخصمين بحجة مثل بينة تشهد له ولم يأت الآخر بشاهد معها كان الحاكم عالما بان حجة هذا أرجح فما حكم الا بعلم لكن الآخر قد يكون له حجة لا يعلمها أولا يحسن أن يبينها مثل أن يكون قد قضاه أو أبرأه وله بينة تشهد بذلك وهو لا يعلمها أولا يذكرها أولا يحسن ان يتكلم بذلك ويكون هو المضيع لحقه حيث لم يبين حجته والحاكم لم يحكم الا بعلم وعدل وضياع حق هذا كان من عجزه وتفريطه لا من الحاكم وهكذا أدلة الاحكام فاذا تعارض خبران أحدهما مسند ثابت والآخر مرسل كان المسند الثابت أقوى من المرسل وهذا معلوم لان المحدث بهذا قد علم عدله وضبطه والآخر لم يعلم عدله ولا

ضبطه كشاهدين زكى أحدهما ولم يزك الآخر فهذا المزكى أرجح وان جاز أن يكون في نفس الامر قول الآخر هو الحق لكن المجتهد انما عمل بعلم وهو علمه برجحان هذا على هذا الناس ممن لم يتبع الا الظن ومن يكن تبين له الا بعد الاجتهاد التام ومن أرسل ذلك الحديث وفي تزكية هذا الشاهد فان المرسل قد يكون راويه عدلا حافظا كما قد يكون هذا الشاهد عدلا ولكن ليس معنا علم بانتفاء عدالة الراوي لكن معنا عدم العلم بعدالتهما وقد لا يعلم عدالتهما مع ثبوتها ورجحانها في نفس الامر فمن هنا يقع الخطأ في الاجتهاد لكن هذا لا سبيل الي أن يكلفه العالم أن يدع ما يعلمه الي أمر لا يعلمه لامكان ثبوته في نفس الامر فاذا كان لابد من ترجيح أحد القولين وجب ترجيح هذا الذى علم ثبوته على مالا يعلم ثبوته وان لم يعلم انتفاؤه من جهته فانهما اذا تعارضا وكانا متناقضين فاثبات أحدهما هو نفي الآخر فهذا الدليل المعلوم قد علم أنه يثبت هذا وينفي ذلك وذلك المجهول بالعكس فاذا كان لابد من الترجيح وجب قطعا ترجيح المعلوم ثبوته على مالم يعلم ثبوته ولكن قد يقال انه لا يقطع بثبوته وقد قلنا فرق بين اعتقاد الرجحان ورجحان الاعتقاد أما اعتقاد الرجحان فهو علم والمجتهد ما عمل الا بذلك العلم وهو اعتقاد رجحان هذا على هذا وأما رجحان هذا الاعتقاد على هذا الاعتقاد فهو الظن لكن لم يكن ممن قال الله فيه ان يتبعون الا الظن بل هنا ظن رجحان هذا وظن رجحان ذاك وهذا الظن هو الراجح ورجحانه معلوم فحكم بما علمه من الظن الراجح ودليله الراجح

وهذا معلوم له لا يطعون عنده وهذا يوجد في جميع العلوم والصناعات كالطب والتجارة وغير ذلك

وأما الجواب عن قولهم الفقه من باب الظنون فقد أجاب طائفة منهم أبو الخطاب بجواب آخر وهو ان العلم المراد به العلم الظاهر وان جوز أن يكون الامر بخلافه كقوله فان علمتموهن مؤمنات

والتحقيق أن عنه جوابين أحدهما أن يقال جمهور مسائل الفقه التي يحتاج اليها الناس ويفتون بها هي ثابتة بالنص أو الاجماع وانما يقع الظن والنزاع في قليل مما يحتاج اليه الناس وهذا موجود في سائر العلوم وكثير مسائل الخلاف هي في أمور قليلة الوقوع ومقدرة وأما ما لابد للناس منه من العلم مما يجب عليهم ويحرم ويباح فهو معلوم مقطوع به وما يعلم من الدين ضرورة جزء من الفقه واخراجه من الفقه قول لم يعلم أحد من المتقدمين قاله ولا اعتبر بهذا القيد أحد الا الرازي ونحوه وجميع الفقهاء يذكرون في كتب الفقه وجوب الصلاة والزكاة والحج واستقبال القبلة ووجوب الوضوء والغسل من الجنابة وتحريم الخمر والفواحش وغير ذلك مما يعلم من الدين ضرورة

وأيضا فكون الشيء معلوما من الدين ضرورة أمر اضافي فحديث العهد بالاسلام ومن نشأ ببادية بعيدة قد لا يعلم هذا بالكلية فضلا عن كونه يعلمه بالضرورة وكثير من العلماء يعلم بالضرورة أن النبي صلى الله عليه وسلم سجد للسهو وقضى بالدية على العاقلة وقضى أن الولد للفراش وغير ذلك مما يعلمه الخاصة بالضرورة وأكثر الناس لا يعلمه

الله * الجواب الثاني أن يقال الفقه لا يكون فقها الا من المجتهد المستدل وهو قد علم ان هذا الدليل أرجح وهذا الظن أرجح فالفقه هو علمه برجحان هذا الدليل وهذا الظن لدى الفقه قطعه بوجوب العمل أي بما أدى اليه اجتهاده بل هذا القطع من أصول الفقه والاصولي يتكلم في جنس الادلة ويتكلم كلاما كليا فيقول يجب اذا تعارض دليلان أن يحكم بأرجحهما ويقول ايضا اذا تعارض العام والخاص فالخاص أرجح واذا تعارض المسند والمرسل فالمسند أرجح ويقول أيضا العام المجرد عن قرائن التخصيص شموله الافراد أرجح من عدم شموله ويجب العمل بذلك

فاما الفقيه فيتكلم في دليل معين في حكم معين مثل أن يقول قوله وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم خاص في أهل الكتاب ومتأخر عن قوله ولا تنكحوا المشركات وتلك الآية لا تتناول أهل الكتاب وان تناولتهم فهذا خاص متأخر فيكون ناسخا ومخصصا فهو يعلم أن دلالة هذا النص على الحل أرجح من دلالة ذلك النص على التحريم وهذا الرجحان معلوم عنده قطعا وهذا الفقه الذي حصل به الفقه وهو علم قطعي لا ظني ومن لم يعلم كان مقلدا للائمة الاربعة والجمهور الذين جوزوا نكاح الكتابيات واعتقاد المقلد ليس فقها ولهذا قال المستدل على أعيانها والفقيه قد استدل على عين الحكم المطلوب والمسؤل عنه وحيث لا يعلم الرجحان فهو متوقف لا يقول له واذا قيل له فقد قال ولا تمسكوا

بعصم الكوافر قال هـذا نزل عام الحديبية والمراد به المشركات فان سبب النزول يدل على انهن مرادات قطعا وسورة المائدة بعد ذلك فهي خاص متأخر وذاك عام مقدم والخاص المتأخر أرجح من العام المقدم وهذا لما نزل قوله ولا تمسكوا بعصم الكوافر فارق عمر امرأة مشركة وكذلك غيره فدل على انهم كانوا ينكحون المشركات الى حين نزول هذه الآية ولو كانت آية البقرة قد نزلت قبل هذه لم يكن كذلك فدل على أن آية البقرة بعد آية الممتحنة وآية المائدة بعد آية البقرة *فهذا النظر وامثاله هو نظر الفقيه العالم برجحان دليل على دليل وهذا علم لاظن

وقد تبين أن الظن له أدلة تقتضيه وان العالم انما يعلم بما يوجب العلم بالرجحان لا بنفس الظن الا اذا علم رجحانه وأما الظن الذي لا يعلم رجحانه فلا يجوز اتباعه وذلك هو الذي ذم الله به من قال فيه ان يتبعون الا الظن فهم لا يتبعون الا الظن ليس عندهم علم ولو كانوا عالمين بانه ظن راجح لكانوا قد اتبعوا علما لم يكونوا ممن يتبع الا الظن والله أعلم

﴿فصـل﴾ فهنا ثلاثة أشياء، أحدها الظن الراجح في نفس المستدل المجتهد

والثاني الادلة التي يسميها بعض المتكلمين أمارات التي تعارضت وعلم المستدل بأن التي أوجبت ذلك الظن أقوى من غيرها

الثالث انه قد يكون في نفس الامر دليل آخر على القول الآخر

ثم نعلم به المستدل وهذا هو الواقع في عامة موارد الاجتهاد فان الرجل قد يسمع نصا عاما كما سمع ابن عمر وغيره أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن قطع الخفين وانه أمر أن لا يخرج أحد حتى يودع البيت وأن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن لبس الحرير وظاهره العموم وهذا راجح على الاستصحاب النافي للتحريم فعملوا بهذا الراجح وهم العالمون فظنوا أن النهي أولى من الاستصحاب لكن يجوز أن يكون مع الاستصحاب دليل خاص ولكن لم يعلموه ولم يجز لهم أن يعدلوا عما علموه الى ما لم يعلموه فكانوا يفتون بأن الحائض عليها الوداع وعليها قطع الخفين وان قليل الحرير وكثيره حرام وان الزبير كان يحرمه على الرجال والنساء لعموم قوله من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة وكان في نفس الامر نصوص خاصة بأن النبي صلى الله عليه وسلم رخص للحائض أن تنفر بلا وداع وانها تلبس الخفين وغيرهما مما نهى عنه المحرم ولكن يجتنب النقاب والقفازين وانه رخص في موضع أصبعين أو ثلاث أو أربعة من الحرير كما بين ذلك في الصحيح في رواية عمر ولم يعرف به ابنه عبد الله وكان له جبة مكفوفة بالحرير فلما سمع ابن عمر ونحوه هذه النصوص الخاصة رجعوا وعلموا حينئذ انه كان في نفس الامر دليل أقوى من الدليل الذي يستصحبوه ولم يعلموا انه وهم في الحالين انما حكموا بعلم لم يكونوا ممن لم يتبع الا الظن فانهم أولا رجحوا العموم على استصحاب البراءة الاصلية وهذا ترجيح بعلم فان هذا راجح بلا ريب والشرع طافح بهذا

فما أوجبه الله أو حرمه كتابه كالوضوء والصلاة والحج وغيرها هي نصوص عامه وما حرمه كالميتة والدم ولحم الخنزير حرمه نصوص عامة وهي الحجة ومقدمة على البراءة الاصلية النافية للوجوب والتحريم فمن رجح ذلك فقد حكم بعلم وحكم بأرجح الدليلين المعلوم الرجحان ولم يكن ممن لم يتبع الا الظن لكن لتجويزه أن يكون النص مخصوصا صار عنده ظن راجح ولو علم انه لاتخصيص هناك قطع بالعموم وكذلك لو علم ارادة نوع قطع بانتفاء الخصوص وهذا القول في سائر الادلة مثل أن تمسك بنصوص وتكون منسوخة ولم تبلغه الناسخ كالذين نهوا عن الانتباذ في الاوعية وعن زيارة القبور ولم يبلغهم النص الناسخ وكذلك الذين صلوا الى بيت المقدس قبل أن يبلغهم النسخ مثل من كان من المسلمين بالبوادي وبمكة والحبشة وغير ذلك وهؤلاء غير الذين كانوا بالمدينة وصلى بعضهم صلاة الى القبلتين بعضها الى هذه القبلة وبعضها الى هذه القبلة لما بلغهم النسخ وهم في أثناء الصلاة فاستداروا في صلاتهم من جهة بيت المقدس الى جهة الكعبة من جهة الشام الى جهة اليمن

فالقاضي أبو بكر ونحوه من الذين يجوزون أن يكون في الباطن حكم مطلوب بالاجتهاد أو دليل عليه يقولون ماثم الا الظن الذي في نفس المجتهد والامارات لاضابط لها وليست أمارة أقوى من امارة فانهم اذا قالوا ذلك لزمهم أن يكون الذي عمل بالمرجوح دون الراجح مخطئا وعندهم ليس في نفس الامر خطأ

وأما السلف والائمة الاربعة والجمهور فيقولون بل الامارات بعضها أقوى من بعض في نفس الامر (وعلى الانسان ان يجتهد) ويطلب الاقوى فاذا رأى دليلا أقوى من غيره ولم ير مايعارضه عمل به ولا يكلف الله نفسا الا وسعها واذا كان في الباطن ماهو أرجح منه كان مخطئا معذورا وله أجر على اجتهاده وعمله بما بين له رجحانه وخطؤه مغفور له وذلك الباطن هو الحكم لكن بشرط القدرة على معرفته فمن عجز عن معرفته لم يؤاخذ بتركه

فاذا أريد بالخطأ الاثم فليس المجتهد بمخطئ بل كل مجتهد مصيب مطيع لله فاعل ماأمره الله به واذا أريد به عدم العلم بالحق في نفس الامر فالمصيب واحد وله أجران كما في المجتهدين في جهة الكعبة اذا صلوا الى أربع جهات فالذى أصاب الكعبة واحد وله أجران لاجتهاده وعمله كان أكمل من غيره والمؤمن القوى أحب الى الله من المؤمن الضعيف ومن زاده الله علما وعملا زاده أجرا بما زاده من العلم والعمل قال تعالى وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء قال مالك عن زيد بن أسلم بالعلم وكذلك قال في قصة يوسف ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك الا أن يشاء الله نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذى علم عليم

وقد تبين ان جميع المجتهدين انما قالوا بعلم واتبعوا العلم وان الفقه من أجل العلوم وانهم ليسوا من الذين لايتبعون الا الظن لكن بعضهم قد يكون عنده علم ليس عند الآخر اما بان سمع مالم يسمع الآخر

واما بان فهم مالم يفهم الآخر كما قال تعالى وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما

وهذه حال أهل الاجتهاد والنظر والاستدلال في الاصول والفروع ولم يفرق أحد من السلف والأئمة بين أصول وفروع

بل جعل الدين قسمين أصولا وفروعا لم يكن معروفا في الصحابة والتابعين ولم يقل أحد من السلف والصحابة والتابعين ان المجتهد الذي استفرغ وسعه في طلب الحق يأثم لافي الاصول ولا في الفروع ولكن هذا الفريق ظهر من جهة المعتزلة وأدخله في أصول الفقه من نقل ذلك عنهم وحكوا عن عبيد الله بن الحسن العنبري انه قال كل مجتهد مصيب ومراده انه لايأثم

وهذا قول عامة الائمة كابي حنيفة والشافعي وغيرهما

ولهذا يقبلون شهادة أهل الاهواء و يصلون خلفهم ومن ردها كمالك وأحمد فليس ذلك مستلزما لأنهما لكن المقصود انكار المنكر وهجر من أظهر البدعة فاذا هجر ولم يصل خلفه ولم تقبل شهادته كان ذلك منعا له من اظهار البدعة ولهذا فرق أحمد وغيره بين الداعية للبدعة المظهر لها وغيره وكذلك قال الخرقي ومن صلى خلف من يجهر ببدعة أو منكرا عاد وبسط هذا له موضع آخر

والذين فرقوا بين الاصول والفروع لم يذكروا ضابطا يميز بين النوعين بل تارة يقولون هذا قطعي وهذا ظني وكثير من مسائل

الاحكام قطعي وكثير من مسائل الاصول على عند بعض الناس فان كون الشيء قطعيا او ظنيا أمرا اضافي وتارة يقولون الاصول هي العلميات الخبريات والفروع العمليات وكثير من العمليات من جحدها كفر كوجوب الصلاة والزكاة والصيام والحج وتارة يقولون هذه عقليات وهذه سمعيات واذا كانت عقليات لم يلزم تكفير المخطىء فان الكفر حكم شرعي يتعلق بالشرع وقد بسط هذا في غير هذا الموضع

واذا تدبر الانسان تنازع الناس وجد عند كل طائفة من العلم ماليس عند الاخرى كما في مسائل الاحكام مثال ذلك متقدمو المعتزلة في الاصول الخمسة التوحيد والعدل والمنزلة بين المنزلتين ومسائل الاسماء والاحكام وانفاذ الوعيد وهي التي توالي المعتزلة من وافقهم عليها ويتبرؤن ممن خالفهم فيها وقد قدمنا انهم قصدوا توحيد الرب واثبات عدله وحكمته ورحمته وصدقه وطاعة أمره لكن غلطوا في كل واحدة من هذه الامور كما تقدم وكذلك الذين ناقضوهم من الجهمية ومن سلك مسلكهم كابي الحسن الاشعري وأصحابه فانهم ناقضوهم في الاصول الخمسة وكان عندهم علم ليس عند أولئك وكان عند أولئك علم ليس عند هؤلاء وكل من الطائفتين لم تحط علما بما في الكتاب والسنة من بيان هذه الامور بل علموا بعضا وجهلوا بعضا فان هؤلاء المجبرة هم في الحقيقة لا يثبتون لله عدلا ولا حكمة ولا رحمة ولا صدقا واولئك قصدوا اثبات هذه الامور أما العدل فعندهم كل ممكن فهو عدل والظلم عندهم هو الممتنع فلا يكون ثم عدل يقصد فعله وظلم يقصد تركه ولهذا

يجوزون عليه فعل كل شيء وان كان قبيحا ويقولون القبيح هو ما نهي عنه وهو لا ناهي له ويجوزون الامر بكل شيء وان كان منكرا وشركا والنهي عن كل شيء وان كان توحيدا ومعروفا فلا ضابط عندهم للفعل فاذا ألزموهم جواز اظهار المعجزات على يد الكاذب ولم يكن لهم عن ذلك جواب صحيح ولم يذكروا فرقا بين المعجزات وغيرها ولا مابه يعلم صدق النبي صلى الله عليه وسلم الا دعاوى نقضوا أصلهم وقد قال الله تعالى شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط وعندهم هذا لا فائدة فيه فليس في الممكن قسط وجور حتى يكون قائما بهذا دون هذا وقد بسط هذا في غير هذا الموضع

وكذلك الحكمة عندهم لا تفعل لحكمة وقد فسروا الحكمة اما بالعلم واما بالقدر واما بالارادة ومعلوم ان القادر قد يكون حكيما ويكون غير حكيم كذلك المريد قد يكون ارادته حكمة وقد يكون سفها والعلم بطابق المعلوم سواء كان حكمة أو سفها فليس عندهم في نفس الامر ان الله حكيم وكذلك الرحمة ما عندهم في نفس الامر الا ارادة ترجح احد المثلين بلا مرجح بسببها الى نفع العباد وضررهم سواء فليس عندهم في نفس الامر رحمة ولا محبة أصلا وقد بسط هذا في غير هذا الموضع وبين تناقضهم في الصفات والافعال حيث أثبتوا الارادة مع نفي المحبة والرضا ومع نفي الحكمة وبين تناقضهم وتناقض كل من أثبت بعض الصفات دون بعض وان المتفلسفة نفاة الارادة أعظم تناقضا منهم فان الرازي ذكر في المطالب العالية مسئلة الارادة ورجح فيها نفي الارادة

لانه لم يمكنه أن يجيب عن حجة الفلسفة على أصول أصحابه الجهمية والمعتزلة ومن اتبعهم وكذلك في غير هذا من المسائل فهو تارة يرجح قوله وقول المتفلسفة وتارة يرجح قول الكلامية وتارة يحار ويقف واعترف في آخر عمره بان طريق هؤلاء وهؤلاء لا تشفي عليلا ولا تروي غليلا وقال قد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي عليلا ولا تروي غليلا ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن اقرأ في الاثبات الرحمن على العرش استوى اليه يصعد الكلم الطيب واقرأ في النفي ليس كمثله شيء ولا يحيطون به علما ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي فقد تبين انهم لا يثبتون عدل الرب ولا حكمته ولا رحمته وكذلك الصدق فانهم لما أرادوا أن يقيموا الدليل على ان الله صادق تعذر ذلك عليهم فقالوا الصدق في الكلام النفساني واجب لانه يعلم الامور ومن يعلم يمتنع أن تقوم في نفسه خبر بخلاف علمه وعلى هذا اعتمد الغزالي وغيره فقيل لهم هذا ضعيف لوجهين أحدهما الصدق في ذلك المعنى لا ينفع ان لم يثبت الصدق في العبارات الدالة عليه وتمنع بين الافعال عندهم الثاني انهم أثبتوا الخبر النفساني فان الانسان يخبر بالكذب فيقوم في نفسه معنى ليس هو العلم وهو معنى الخبر فهذا ينقض انهم يقولون ان العلم قد يقوم في نفسه خبر بخلاف علمه والرازي لما ذكر مسألة انه لا يجوز أن يتكلم بكلام ولا يعني به شيئا خلافا للحشوية قيل له هل قال أحد من طوائف الامة ان الله لا يعني بكلامه شيئا وانما النزاع هل يتكلم بما لا يفهم العباد معناه وقيل لهم هب ان في

هذا راغبا فهو لم يقم دليل على امتناع ذلك بل قال هذا عيب أو نقص والله منزه عنه فقيل له اما أن يريد المعنى القائم بالذات أو العبارات المخلوقة أما الأول فلا يجوز ارادته هنا لان المسألة هي فيمن يتكلم بالحروف المنظومة ولا نعني به شيئا وذلك القائم بالذات هو نفس المعنى وان أردت الحروف وهو مراده فتلك عندك مخلوقة ويجوز عندك أن يخلق كل شيء ليس منزها عن فعل من الافعال والعبث عندك هو مالا تريده فهذا مع فنين انه ليس لهم حجة لا على صدقه ولا على تنزيهه عن العيب في خطابه فان ذلك انما يكون ممن نزيهه عن بعض الافعال وتبين بذلك أنهم لا يثبتون عدله ولا حكمته ولا رحمته ولا صدقه والمعتزله قصدهم اثبات هذه الامور ولهذا يذكرونها في خطبة الصفات كما يذكرها أبو الحسن البصري وغيره كما ذكر في أول صور الادلة خطبة مضمونها ان الله واحد عدل لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون وانه بالناس لرؤف رحيم وأطنب فيها اثبات صدقه ولهذا يكفرون من يجوزه أو يكذبه أو يسفهه أو يشبهه ولكن قد غلطوا في مواضع كثيرة كما قد نبه على هذا في غير موضع فكلا الطائفتين معها حق وباطل ولم يستوعب الحق الا من اتبع المهاجرين والانصار وآمن بما جاء به الرسول كله على وجهه لم يؤمن ببعض ويكفر ببعض وهؤلاء هم أهل الرحمة الذين لا يختلفون بخلاف أولئك المختلفين قال تعالى ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم

(فصل)والجهمية والمعتزلة مشتركون في نفي الصفات وابن كلاب

ومن تبعه كالاشعري وأبي العباس القلانسي ومن تبعهم أثبتوا الصفات لكن لم يثبتوا الصفات الاختيارية مثل كونه يتكلم بمشيئته ومثل كون ندائه لآخر يقوم بذاته ومثل كونه يحب ويرضى عن المؤمنين بعد اعمالهم ويغضب ويبغض الكافرين بعد كفرهم ومثل كونه يرى أعمال العباد بعد ان يعملوها كما قال تعالى وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون فاثبت رؤية مستقبلة وكذلك قوله تعالى ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون ومثل كونه نادي موسى حين اتى لم ناده قبل ذلك نداء قائم بذاته فان المعتزلة والجهمية يقولون خلق نداء في الهواء والكلابية والسالمية يقولون النداء قائم بذاته وهو قديم لكن سمعه موسى فاحدثوا سماع موسى والا فما زال عندهم مناديا

والقرآن والاحاديث وأقوال السلف والائمة كلها تخالف هذا وهذا وتبين انه ناداه حين جاء وانه تكلم بمشيئته في وقت تكلم كما قال ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم وقال تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون والقرآن فيه مئون من الآيات تدل على هذا الاصل وأما الاحاديث فلا تحصى وهذا قول أئمة السنة والسلف وجمهور العقلاء وهذا قال عبد الله بن المبارك والامام أحمد بن حنبل وغيرهما لم يزل متكلما اذا شاء وكيف شاء وهذا قول عامة أهل السنة فهم اتفقوا على أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق ولم يعرف عن أحد من

السلف أنه قال هو قديم لم يزل والذين قالوا من المتأخرين هو قديم كثير منهم من لم يتصور المراد بل منهم من يقول هو قديم في علمه ومنهم من يقول قديم أي متقدم الوجود متقدم على ذات زمان المبعث لأنه أزلي لم يزل ومنهم من يقول بل مرادنا بقديم أنه غير مخلوق وقد بسط الكلام على هذا في غير هذا الموضع

والمقصود هنا أنه على هذا الأصل اذا خلق المخلوقات رآها وسمع أصوات عباده وكان ذلك بمشيئته وقدرته اذ كان خالقه لهم بمشيئته وقدرته وبذلك صاروا يرون ويسمع كلامه وقد جاء في القرآن والسنة في غير موضع أنه يخص بالنظر والاستماع بعض المخلوقات كقوله ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم ملك كذاب وشيخ زان وعائل مستكبر وكذلك في الاستماع قال تعالى وأذنت لربها وحقت أي استمعت وقال النبي صلى الله عليه وسلم ما أذن الله لشيء كأذنه لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به وقال لله أشد أذنا الى صاحب القرآن من صاحب القينة الى قينته وهذا تخصيص بالاذن وهو الاستماع لبعض الاصوات دون بعض وكذلك سمع الاجابة كقوله سمع الله لمن حمده وقول الخليل انك سميع الدعاء وقوله ان ربي سميع قريب يقتضي التخصيص بهذا السمع فهذا التخصيص ثابت في الكتاب والسنة وهو تخصيص بمعنى يقوم بذاته بمشيئته وقدرته كما تقدم وعند النفاة هو تخصيص بأمر مخلوق منفصل لا بمعنى يقوم بذاته وتخصيص من يحبه ويخصه بالنظر والاستماع المذكور يقتضي أن هذا النوع منتف

عن غيرهم

﴿ لكن مع ذلك هل يقال ﴾ ان نفس الرؤية والسمع الذي هو مطلق الادراك هو من لوازم ذاته فلا يمكن وجود مسموع ومرئي الا وقد تعلق به كالعلم أو يقال انه أيضا بمشيئته وقدرته ويمكنه أن لاينظر الى بعض المخلوقات هذا فيه قولان والاول قول من لايجعل ذلك متعلقا بمشيئته وقدرته وأما الذين يجعلونه متعلقا بمشيئته وقدرته فقد يقولون متى وجد المرئي والمسموع وجب تعلق الادراك به

﴿ والقول الثاني ﴾ ان نفس السمع والرؤية تتعلق بمشيئته وقدرته فيمكن أن لاينظر الى شيء من المخلوقات وهذا هو المأثور عن طائفة من السلف كما روى ابن أبي حاتم عن أبي عمران الجوني قال ماينظر الله الى شيء من خلقه الا رحمه ولكنه قضى أن لاينظر اليهم وقد يقال هذا مثل الذكر والنسيان فان الله تعالى قال اذكروني أذكركم وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يقول الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه فان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وان ذكرني في ملأ ذكرته في ملا خير منهم وان تقرب الي شبرا تقربت اليه ذراعا وان تقرب الي ذراعا تقربت اليه باعا وان أتاني يمشي أتيته هرولة فهذا الذكر مختص بمن ذكره فمن لايذكره لايحصل له هذا الذكر ومن آمن به وأطاعه ذكره برحمته ومن أعرض عن الذكر الذي أنزله أعرض عنه كما قال ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت

بصيراً قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى ومثله قوله المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم

وقد فسروا هذا النسيان بأنه   وهذا النسيان ضد ذلك الذكر وفى الصحيح في حديث الكافر محاسبه قال أفظننت أنك ملاقي قال لا قال فاليوم أنساك كما نسيتني فهذا يقتضي أنه لا يذكره كما يذكر أهل طاعته هو متعلق بمشيئته وقدرته أيضا وهو سبحانه قد خلق هذا العبد وعلم ما سيعمله قبل ان يعمله ولما عمل علم ما عمل ورأى عمله فهذا النسيان لا يناقض ما علمه سبحانه من حال هذا

(فصل في جماع الفرقان بين الحق والباطل) والهدى والضلال والرشاد والغي وطريق السعادة والنجاة وطريق الشقاوة والهلاك ان يجعل ما بعث الله به رسله وأنزل به كتبه هو الحق الذي يجب اتباعه وبه يحصل الفرقان والهدى والعلم والايمان فيصدق بأنه حق وصدق وما سواه من كلام سائر الناس يعرض عليه فان وافقه فهو حق وان خالفه فهو باطل وان لم يعلم هل وافقه أو خالفه لكون ذلك الكلام مجملا لا يعرف مراد صاحبه أو قد عرف مراده ولكن لم يعرف هل جاء الرسول بتصديقه أو تكذيبه فانه يمسك فلا يتكلم الا بعلم

(والعلم ما قام عليه الدليل) والنافع منه ما جاء به الرسول وقد يكون علم من غير الرسول لكن في أمور دنيوية مثل الطب والحساب والفلاحة والتجارة وأما الامور الالهية والمعارف الدينية فهذه العلم فيها

ما حد من الرسول فالرسول أعلم الخلق بها وأرغبهم في تعريف الخلق بها وأقدرهم على بيانها وتعريفها وهو فوق كل أحد في العلم والقدرة والارادة وهذه الثلاثة بها يتم المقصود ومن سوى الرسول اما أن يكون في علمه بها نقص أو فساد واما أن لايكون له ارادة فيما علمه من ذلك فلم يبينه اما لرغبة واما لرهبة واما لغرض آخر واما أن يكون بيانه ناقصا ليس بيانه البيان عما عرفه الجنان

وبيان الرسول على وجهين تارة يبين الادلة العقلية الدالة عليها والقرآن مملوء من الادلة العقلية والبراهين اليقينية على المعارف الالهية والمطالب الدينية وتارة يخبر بها خبراً مجرداً لما قد أقامه من الآيات البينات والدلائل اليقينيات على أنه رسول الله المبلغ عن الله وأنه لايقول عليه الا الحق وأن الله شهد له بذلك وأعلم عباده وأخبرهم أنه صادق مصدوق فيما يبلغه عنه والادلة التي بها نعلم أنه رسول الله كثيرة متنوعة وهي أدلة عقلية يعلم صحتها بالعقل وهي أيضاً شرعية سمعية لكن الرسول بينها ودل عليها وأرشد اليها وجميع طوائف النظار متفقون على أن القرآن اشتمل على الادلة العقلية في المطالب الدينية وهم يذكرون ذلك في كتبهم الاصولية وفي كتب التفسير وعامة النظار أيضاً يحتجون بالادلة السمعية الخبرية المجردة عن المطالب الدينية فانه اذا ثبت صدق الرسول وجب تصديقه فيما يخبر به

﴿ والعلوم ثلاثة أقسام ﴾ منها مالا يعلم الا بالادلة العقلية وأحسن الادلة العقلية التي بينها القرآن وأرشد اليها الرسول فينبغي أن يعرف

أن أجل الأدلة العقلية وأكملها وأفضلها مأخوذ عن الرسول فإن من الناس من يذهل عن هذا فمنهم من يقدح في الدلائل العقلية مطلقاً لأنه قد صار في ذهنه أنها هي الكلام المبتدع الذي أحدثه من المتكلمين ومنهم من يعرض عن تدبر القرآن وطلب الدلائل اليقينية العقلية منه لأنه قد صار في ذهنه أن القرآن انما يدل بطريق الخبر فقط فلا بد أن يعلم بالعقل قبل ذلك ثبوت النبوة وصدق الخبر حتى يستدل بعد ذلك بخبر من ثبت بالعقل صدقه ومنها ما لا يعلمه غير الانبياء الا بخبر الانبياء وخبرهم المجرد هو دليل سمعي مثل تفاصيل ما أخبروا به من الامور الالهية والملائكة والعرش والجنة والنار وتفاصيل ما يؤمر به وينهى عنه فأما نفس اثبات الصانع ووحدانيته وعلمه وقدرته ومشيئته وحكمته ورحمته ونحو ذلك فهذا لا يعلم بالادلة العقلية وان كانت الادلة والآيات التي تأتي بها الانبياء هي أكمل الادلة العقلية لكن معرفة هذه ليست مقصورة على الخبر المجرد وان كان أخبار الانبياء المجردة تفيد العلم اليقيني أيضاً فيعلم بالادلة العقلية التي أرشدوا اليها ويعلم بمجرد خبرهم لما علم صدقهم بالادلة والآيات والبراهين التي دلت على صدقهم

﴿ وقد تنازع الناس في العلم بالنبوة وبحسن الافعال وقبحها ﴾ فأكثر الناس يقولون انه يعلم بالعقل مع السمع والقائلون بأن العقل يعلم به الحسن والقبح أكثر من القائلين أن النبوة لم تعلم بالعقل قال أبو الخطاب هو قول أكثر الفقهاء والمتكلمين ومنهم من يقول النبوة والحسن والقبح لا يعلم الا بمجرد الخبر وهو قول الاشعري وأصحابه ومن وافقهم

من أتباع الأئمة كالقاضي أبي يعلى وأبي المعالي الجويني وأبي الوليد الباجي وغيرهم وكلهم متفقون على أن من العلوم ما علم بالعقل والسمع الذي هو مجرد الخبر مثل كون أفعال العباد مخلوقة لله أو غير مخلوقة وكون رؤيته ممكنة أو ممتنعة ونحو ذلك وكتب أصول الدين لجميع الطوائف مملوءة بالاحتجاج بالادلة السمعية الخبرية لكن الرازي طعن في ذلك في المطالب العالية قول لان الاستدلال بالسمع مشروط بان لا يعارضه قاطع عقلي فاذا عارضه العقلي وجب تقديمه عليه قال والعلم بانتفاء المعارض العقلي متعذر وهو انما يثبت بالسمع ماعلم بالاضطرار ان الرسول أخبر به كالمعاد وقد بطن أن هذه طريقة أئمة الواقفة في الوعيد كالاشعري والقاضي أبي بكر وغيرهما وليس كذلك فان هؤلاء انما وقفوا في اخبار الوعيد خاصة لان العموم عندهم لا يفيد القطع أو لانهم لا يقولون بصيغ العموم وقد تعارضت عندهم الادلة والا فهم يثبتون الصفات الخبرية لله كالوجه واليد بمجرد السمع والخبر ولم يختلف قول الاشعري في ذلك وهو قول أئمة أصحابنا لكن أبو المعالي وأتباعه لا يثبتون الصفات الخبرية بل فيهم من نفاها ومنهم من توقف فيها كالرازي والآمدي فيمكن أن نقل قول الاشعري يخرج من قول هؤلاء بأن يقال لا يعرف أنهم استندوا في الاصول على دليل سمعي لكن يقال المعاد يحتجون عليه بالقرآن والاحاديث ولكن الرازي هو الذي سلك فيه طريق العلم الضروري ان الرسول جاء به وفي الجملة فجميع الادلة اليقينية توجب علما ضروريا والادلة السمعية الخبرية توجب علما ضروريا بأخبار

الرسول لكن منها ما يكثر أدلته كخبر الاخبار المتواترة ويحصل به علم ضروري من غير تعيين دليل وقد يعين الادلة ويستدل بها وبسط هذا له موضع آخر

والمقصود هنا أن توجد من الرسول العلوم الالهية الدينية سمعيها وعمليها وجعل ما جاء به هو الاصول لدلالة الادلة اليقينية البرهانية على أن ما قاله حق جملة وتفصيلا فدلائل النبوة فاعلامها تدل على ذلك جملة وتفاصيل الادلة العقلية الموجودة في القرآن والحديث تدل على ذلك تفصيلا وأيضا فان الانبياء والرسل انما بعثوا بتعريف هذا فهم أعلم الناس به وأحقهم بقيامه وأولاهم بالحق فيه وأيضا فمن خرج عما يقولونه ويقوله غيرهم وجد الصواب معهم والخطأ مع مخالفهم كما قال الرازي مع انه من أعظم الناس طعنا في الادلة السمعية حتى ابتدع قولا ما عرف به قائل مشهور غيره وهو أنها لا تفيد اليقين ومع هذا فانه يقول لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي عليلا ولا تروي غليلا ووجدت أقرب الطرق طريقة القرآن اقرأ في الاثبات اليه يصعد الكلم الطيب الرحمن على العرش استوى واقرأ في النفي ليس كمثله شيء ولا يحيطون به علما قال ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي وأيضا (فمن اعتبر ما عند الطوائف) الذين لم يعتصموا بتعليم الانبياء وارشادهم واخبارهم وجدهم كلهم حائرين ضالين شاكين مرتابين أو جاهلين جهلا مركبا فهم لا يخرجون عن المثلين اللذين في القرآن والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه

لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب أو كظلمات في بحر لجيّ يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور

﴿ فصل ﴾ واهل الضلال الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا وهم كما قال مجاهد أهل البدع والشبهات يتمسكون بما هو بدعة في الشرع ومشتبه في العقل كما قال فيهم الامام أحمد قال هم مختلفون في الكتاب مخالفون للكتاب ، متفقون على مخالفة الكتاب يحتجون بالمتشابه من الكلام ويضلون الناس بما يشبهون عليهم والموقعة من أهل الضلال تجعل لها دينا وأصول دين قد ابتدعوه برأيهم ثم يعرضون على ذلك القرآن والحديث فان وافقه احتجوا به اعتضادا لا اعتمادا وان خالفه فتارة يحرفون الكلم عن مواضعه ويتأولونه على غير تأويله وهذا فعل أئمتهم وتارة يعرضون عنه ويقولون نفوض معناه الى الله وهذا فعل عامتهم وعمدة الطائفتين في الباطن غير ماجاء به الرسول يجعلون أقوالهم البدعية محكمة يجب اتباعها واعتقاد موجبها والمخالف اما كافر واما جاهل لا يعرف هذا الباب وليس له علم بالمعقول ولا بالاصول ويجعلون كلام الله ورسوله الذي يخالفها من المتشابه الذي لا يعرف معناه الا الله أو لا يعرف معناه الا الراسخون فى العلم والراسخون عندهم من كان موافقا لهم على ذلك القول وهؤلاء أضل ممن تمسك بما تشابه عليه من آيات الكتاب ويترك المحكم كالنصارى والخوارج وغيرهم اذ كان

هؤلاء أخذوا بالمتشابه من كلام الله وجعلوه محكما وجعلوا المحكم متشابها وأما أولئك كنفاة الصفات من الجهمية ومن وافقهم من المعتزلة وغيرهم (وكالفلاسفة) ويجعلون ماابتدعوه هم برأيهم هوالمحكم الذي يجب اتباعه وان لم يكن معهم من الانبياء والكتاب والسنة مايوافقه ويجعلون ماجاءت به الانبياء وان كان صريحا قد يعلم معناه بالضرورة يجعلونه من المتشابه ولهذا كان هؤلاء أعظم مخالفة للانبياء من جميع أهل البدع حتى قال يوسف بن اسباط وعبدالله بن المبارك وغيرهما كطائفة من أصحاب أحمد ان الجهمية نفاة الصفات خارجون عن الثنتين وسبعين فرقة قالوا وأصولها أربعة الشيعة والخوارج والمرجئة والقدرية * وقد ذكرنا في غير هذا الموضع ان قوله تعالى فقال منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات في المتشابهات قولان أحدهما أنها آيات بعينها تتشابه على كل الناس * والثاني وهو الصحيح ان التشابه أمر نسبي فقد يتشابه عند هذا مالا يتشابه عند غيره ولكن ثم آيات محكمات لايتشابه فيها على أحد وتلك المتشابهات اذا عرف معناها صارت غير متشابهة بل القول كله محكم كما قال أحكمت آياته ثم فصلت وهذا كقوله الحلال بين والحرام بين وبين ذلك أمور لايعلمهن كثير من الناس وكذلك قولهم ان القمر تشابه علينا وقد صنف أحمد كتابا في الرد على الزنادقة والجهمية فيما شكت فيه من متشابه القرآن وتأولوه على غير تأويله وفسر تلك الآيات كلها وذمهم على أنهم أولوا ذلك المتشابه على غير تأويله وعامتها آيات معروفة قد تكلم العلماء في تفسيرها مثل

الآيات التي سأل عنها نافع بن الازرق لابن عباس قال الحسن البصري ما أنزل الله آية الا وهو يحب أن يعلم فيم أنزلت وماذا عنى بها ومن قال من السلف ان المتشابه لا يعلم تأويله الا الله فقد أصاب أيضا ومراده بالتأويل ما استأثر الله بعلمه مثل وقت الساعة ومجيء اشراطها ومثل كيفية نفسه وما أعده في الجنة لاوليائه وكان من اسباب نزول الآية احتجاج النصارى بما تشابه عليهم كقوله انا ونحن وهذا يعرف العلماء أن المراد به الواحد المعظم الذي له أعوان لم يرد به ان الآلهة ثلاثة فتأويل هذا الذي هو تفسيره يعلمه الراسخون ويفرقون بين ما قيل فيه انا وما قيل فيه انا لدخول الملائكة فيما يرسلهم فيه اذ كانوا رسله وأما كونه هو المعبود الاله فهو له وحده ولهذا لا يقول فايانا فاعبدوا ولا ايانا فارهبوا بل متى جاء الامر بالعبادة والتقوى والخشية والتوكل ذكر نفسه وحده باسمه الخاص واذا ذكر الافعال التي يرسل فيها الملائكة قال انا نحن نزلنا الذكر ... فاذا قرأناه فاتبع قرآنه نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق ونحو ذلك مع ان تأويل هذا وهو حقيقة ما دل عليه من الملائكة وصفاتهم وكيفية ارسال الرب لهم لا يعلمه الا الله كما قد بسط في غير هذا الموضع

والمقصود هنا ان الواجب أن يجعل ما قاله الله ورسوله هو الاصل ويتدبر معناه ويعقل ويعرف برهانه ودليله اما العقلي واما الخبري السمعي ويعرف دلالة القرآن على هذا وهذا ويجعل أقوال الناس التي قد توافقه وتخالفه متشابهة مجملة فيقال لاصحاب هذه الالفاظ يحتمل كذا وكذا

ويحتمل كذا وكذا فان أرادوا بها ما يوافق خبر الرسول قبل وان أرادوا بها ما يخالفه رد وهذا مثل لفظ المركب والجسم والمتحيز والجوهر والجهة والعرض ونحو ذلك ولفظ الخير ونحو ذلك فان هذه الالفاظ مالا يوجد في الكتاب والسنة بالمعنى الذي يريده أهل هذا الاصطلاح بل ولا في اللغة بل هم يختصون بالتعبير بها على معان لم يعبر غيرهم عن تلك المعاني بهذه الالفاظ فيفسر تلك المعاني بعبارات أخرى ويبطل مادل عليه القرآن من الادلة العقلية والسمعية واذا وقع الاستفسار والتفصيل تبين الحق من الباطل وعرف وجه الكلام على أدلتهم فانها مافقة من مقدمات مشتركة تجدون اللفظ المشترك في احدى المقدمتين بمعنى وفي المقدمة الاخرى بمعنى آخر فهو في صورة اللفظ دليل وفي المعنى ليس بدليل كمن يقول سهيل بعيد من الثريا لا يجوز أن يقترن بها ولا يتزوجها والذي قال

* أيها المنكح الثريا سهيلا *

أراد امرأة اسمها الثريا ورجلا اسمه سهيل ثم قال

عمرك الله كيف يلتقيان * هي شامية اذا ما استقلت

* وسهيل اذا استقل يمان *

وهذا لفظ مشترك خفي بعضه وانكاره من الظاهر من جهة اللفظ المشترك وقد بسط الكلام على أدلتهم المفصلة في غير موضع

والاصل الذي بني عليه نفاة الصفات وعطلوا ماعطلوه حتى صار منتهاهم الى قول فرعون الذي جحد الخالق وكذب رسوله وهو في

أن الله كله هو استدلالهم على حدوث العالم بأن الاجسام محدثة واستدلالهم على ذلك بأنها لا تخلو من الحوادث ولم تسبقها وما لم يخل من الحوادث ولم يسبقها فهو محدث وهذا أصل قول الجهمية الذين أطبق السلف والأئمة على ذمهم وأصل قول المتكلمين الذين أطبقوا على ذمهم وقد صنف الناس مصنفات متعددة فيها أقوال السلف والأئمة في ذم الجهمية وفي ذم هؤلاء المتكلمين

﴿والسلف لم يذموا جنس الكلام﴾ فان كل آدمي يتكلم ولا ذموا الاستدلال والنظر والجدل الذي أمر الله به رسوله والاستدلال بما بينه الله ورسوله بل ولا ذموا كلاما هو حق بل ذموا الكلام الباطل وهو المخالف للكتاب والسنة وهو المخالف للعقل ايضاً وهو الباطل

فالكلام الذي ذمه السلف هو الكلام الباطل وهو المخالف للشرع والعقل ولكن كثير من الناس خفي عليه بطلان هذا الكلام فمنهم من اعتقده موافقاً للشرع والعقل حتى اعتقد ان ابراهيم الخليل استدل به ومن هؤلاء من يجعله أصل الدين ولا يحصل الايمان أولا يتم الا به ولكن من عرف ماجاء به الرسول وماكان عليه الصحابة علم بالاضطرار أن الرسول والصحابة لم يكونوا يسلكون هذا المسلك وصار من عرف ذلك يعرف أن هذا بدعة وكثير منهم لا يعرف أنه فاسد بل يظن مع ذلك أنه صحيح من جهة العقل لكنه طويل أو تبعد المعرفة أو هو طريق مخيفة مخطر يخاف على سالكه فصاروا يعيبونه كما يعاب الطريق الطويل والطريق المخيف مع اعتقادهم أنه يوصل الى المعرفة وأنه صحيح

في نفسه* وأما الحذاق العارفون بحقيقته فعلموا أنه باطل عقلا وشرعا وأنه ليس بطريق موصل الى المعرفة بل انما يوصل لمن اعتقد صحته الى الجهل والضلال ومن تبين له تناقضه أوصله الى الحيرة والشك

ولهذا صار حذاق سالكيه ينتهون الى الحيرة والشك اذ كان حقيقته أن كل موجود فهو حادث مسبوق بالعدم وليس في الوجود قديم وهذا مكابرة فان الوجود مشهود وهو اما حادث واما قديم والحادث لا بد له من قديم فثبت وجود القديم على التقديرين

وكذلك ما ابتدعه في هذه الطريق ابن سينا وأتباعه من الاستدلال بالممكن على الواجب أبطل من ذلك كما قد بسط ذلك في غير هذا الموضع وحقيقته ان كل موجود فهو ممكن ليس في الوجود موجود بنفسه مع انهم جعلوا هذا طريقاً لاثبات الواجب بنفسه كما يجعل أولئك هذا طريقاً لاثبات القديم وكلاهما يناقض ثبوت القديم والواجب فليس في واحد منهما اثبات قديم ولا واجب بنفسه مع ان ثبوت موجود قديم وواجب بنفسه معلوم بالضرورة ولهذا صار حذاق هؤلاء الى أن الموجود الواجب والقديم هو العالم نفسه وقالوا هو الله وأنكروا أن لا يكون للعالم رب مباين للعالم اذ كان ثبوت القديم الواجب بنفسه لا بد منه على كل قول وفرعون ونحوه ممن انكر الصانع ما كان ينكر هذا الوجود المشهود فلما كان حقيقة قول أولئك يستلزم أنه ليس موجود قديم ولا واجب لكنهم لا يعرفون ان هذا يلزمهم بل يظنون أنهم أقاموا الدليل على اثبات القديم الواجب بنفسه

﴿ ولكن وصفوه ﴾ بصفات الممتنع فقالوا لا داخل العالم ولا خارجه ولا هو صفة ولا موصوف ولا اشار اليه ونحو ذلك من الصفات السلبية التي تستلزم عدمه وكان هذا مما ينفر عنه العقول والفطر وتعرف أن هذا صفة المعدوم الممتنع لا صفة الموجود فانهم في نفس الامر يستلزم أنه ما ثم قديم ولا واجب ولكن ما نطقوا انهم أنكروا القديم والواجب وهذا الذي أثبتوه هو ممتنع فما اثبتوا قديماً ولا واجباً فجاء آخرون من جهتهم فرأوا هذا مكابرة ولا بد من اثبات القديم والواجب فقالوا هو هذا العالم وكان قدماء الجهمية يقولون انه بذاته في كل مكان وهؤلاء قالوا هو عين الموجودات والموجود القديم الواجب هو نفس الوجود المحدث الممكن والحلول هو الذي أظهره الجهمية للناس حتى عرفه السلف والأئمة وردوه وأما حقيقة قولهم فهو النفي أن لا داخل العالم ولا خارجه ولكن هذا لم تسمعه الأئمة ولم يعرفوا أنه قولهم الا من بطنهم ولهذا كان الأئمة يحكون عن الجهمية أنه في كل مكان ويحكون عنهم وصفه بالصفات السلبية وشاع عند الناس أن الجهمية يصفونه بالسلوب حتى قال أبو تمام

جهمية الاوصاف الا أنها * قد حليت بمحاسن الاشيا

وهم لم يقصدوا نفي القديم والواجب فان هذا لا يقصده أحد من العقلاء لا مسلم ولا كافر اذ كان خلاف ما يعلمه كل أحد ببديهة عقله فانه اذا قدر أن جميع الموجودات حادثة عن عدم لزم ان كل الموجودات حدثت بأنفسها ومن المعلوم ببداهة العقول ان الحادث لا يحدث بنفسه

ولهذا قال تعالى أم خلقوا من غير شئ أم هم الخالقون وقد قيل خلقوا من غير شئ من غير رب خلقهم وقيل من غير مادة وقيل من غير عاقبة وجزاء والاول مراد قطعاً فان كل ما خلق من مادة او لغاية فلا بد له من خالق

(ومعرفة الفطر) أن المحدث لا بد له من محدث أظهر فيها من أن كل محدث لا بد له من مادة خلق منها وغاية خلق لها فان كثيراً من العقلاء نازع في هذا وهذا ولم ينازع في الاول طائفة قالت ان هذا العالم حدث من غير محدث أحدثه بل من الطوائف من قال انه قديم بنفسه واجب بنفسه ليس له صانع واما أن تقول انه محدث حدث بنفسه بلا صانع فهذا لا يعرف عن طائفة معروفة وانما يحكى عمن لا يعرف ومثل هذا القول وأمثاله يقوله من يقوله ممن حصل له فساد في عقله صار به الى السفسطة والسفسطة تعرض لآحاد الناس وفي بعض الامور ولكن أمة من الامم كلهم سوفسطائيه في كل شئ هذا لا يتصور فلهذا لا تعرف عن أمة من الامم انهم قالوا بحدوث العالم من غير محدث وهؤلاء لما اعتقدوا ان كل موصوف أو كل ما قامت به صفة أو فعل بمشيئته فهو محدث وممكن لزمهم القول بحدوث كل موجود اذ كان الخالق جل جلاله متصفا بما يقوم به من الصفات والامور الاختيارات مثل أنه متكلم بمشيئته وقدرته و يخلق ما يخلقه بمشيئته وقدرته لكن هؤلاء اعتقدوا انتفاء هذه الصفات عنه لاعتقادهم صحة القول بأن ما قامت به الصفات والحوادث فهو حادث لان ذلك لا يخلو

من الحوادث ومالم يخل من الحوادث فهو حادث واذا كان حادثا كان له محدث قديم واعتمدوا أنهم أثبتوا الرب وانه ذات مجردة عن الصفات ووجوده مطلق لا يشار اليه ولا يعين ويقولون هو بلا اشارة ولا تعيين وهذا الذي أثبتوه لا حقيقة له في الخارج وانما هو في الذهن وكان ما أثبتوه واعتمدوا أنه الصانع للعالم انما يتحقق في الاذهان لا في الاعيان وكان حقيقة قولهم تعطيل الصانع فجاء اخوانهم في أصل المقالة وقالوا هذا الوجود المطلق المجرد عن الصفات هو الوجود السارى في الموجودات فقالوا بحلوله في كل شيء وقال آخرون منهم هو وجود كل شيء ومنهم من فرق بين الوجود والثبوت ومنهم من فرق بين التعيين والاطلاق ومنهم من جعله في العالم كالمادة في الصورة ومنهم من جعله في العالم كالزبد في اللبن وكالزيت والشيرج في السمسم والزيتون وقد بسط الكلام على هؤلاء في غير هذا الموضع

والمقصود هنا أن الاصل الذى أصلهم قولهم ماقامت به الصفات والافعال والامور الاختيارية أو الحوادث فهو حادث ثم قالوا والجسم لا يخلو من الحوادث وأثبتوا ذلك بطرق منهم من قال لا يخلو عن الاكوان الاربعة الحركة والسكون والاجتماع والافتراق ومنهم من قال لا يخلو عن الحركة والسكون فقط ومنهم من قال لا يخلو من الاعراض والاعراض كلها حادثة وهى لا تبقى زمانين وهذه طريقة الآمدى وزعم أن أكثر أصحاب الاشعرية اعتمدوا عليها والرازي اعتمد على طريقة الحركة والسكون

وقد بسط الكلام على هذه الطرق وجميع ما احتجوا به على حدوث الجسم وامكانه وذكر بان في ذلك كلامهم هم أنفسهم في فساد جميع هذه الطرق وانهم هم بينوا فساد جميع ما استدل به على حدوث الجسم وامكانه وبينوا فسادها طريقا طريقا ذكروه كما قد بسط هذا في غير هذا الموضع

وأما الهشامية والكرامية وغيرهم ممن يقول بأنه جسم قديم فقد شاركوهم في أصل هذه المقالة لكن لم يقولوا بحدوث كل جسم ولا قالوا ان الجسم لا ينفك عن الحوادث اذ كان القديم عندهم جسما قديما وهو خال من الحوادث وقد قيل أول من قال في الاسلام بان القديم جسم هو هشام بن الحكم كما ان أول من أظهر في الاسلام نفي الجسم هو الجهم بن صفوان وكلام السلف والائمة في ذم الجهمية كثير مشهور فان مرض التعطيل شر من مرض التجسيم وانما كان السلف يذمون المشبهة كما قال الامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه واسحق ابن راهويه وغيرهما قالوا المشبهة الذين يقولون بصر كبصري ويد كيدي وقدم كقدمي وابن كلاب ومن تبعه أثبتوا الصفات التي لا تتعلق بمشيئته وقدرته فيعلمها قالوا لانها حادثة ولو قامت به الحوادث لكان حادثا لأن ما قبل الشيء لم يخل عنه وعن ضده فلو قبل بعض هذه الحوادث لم يخل منه ومن ضده فلم يخل من الحوادث فيكون حادثا .

ومحمد بن كرام فكان بعد ابن كلاب في عصر مسلم بن الحجاج أثبت انه يوصف بالصفات الاختياريات ويتكلم بمشيئته وقدرته ولكن عنده يمتنع انه كان في الاول متكلما بمشيئته وقدرته لامتناع حوادث

لأول لها فلم يزل يقول السلف انه لم يزل متكلما اذا شاء بل قال انه صار يتكلم بمشيئته وقدرته كما صار يفعل بمشيئته وقدرته بعد ان لم يكن كذلك وقال هو وأصحابه في المشهور عنه ان الحوادث التي تقوم به لا يخلو منها ولا يزول عنها لانه لو قامت به الحوادث ثم زالت عنه كان قابلا لحدوثها وزوالها واذا كان قابلا كذلك لم يخل منه وما لم يخل من الحوادث فهو حادث وانما يقبل على أصلهم انه تقوم به الحوادث فقط كما يقبل أن يفعلها ويحدثها ولا يلزم من ذلك أنها لم تخل منه كما لم يلزم أنه لم يزل فاعلا لها والحدوث عندهم غير الاحداث والقرآن عندهم حادث لا محدث لان المحدث يفتقر الي احداث بخلاف الحدوث وهم اذا قالوا كان خاليا منها في الازل وكان ساكنا لم يقولوا انه قام به حادث بل يقولون السكون أمر عدمي كما يقوله الفلاسفة ولكن الحركة أمر وجودي بخلاف ما يقوله من المعتزلة والاشعرية ان السكون أمر وجودي كالحركة فاذا حصل به حادث لم يكن ثم عدم هذا الحادث فانما يعدم الحادث باحداث يقوم به وهذا ممتنع وهم يقولون انه يمتنع عدم الجسم وتجدده وان البارى يقوم به احداث المخلوقات وافناؤها فالحوادث التي تقوم بهم تقوم به لو أفناها لقام به الاحداث والافناء وكان قابلا لان يحدث فيه حادث وفي ذلك الحادث وما كان كذلك لم يخل من احداث وافناء فلم يخل من الحوادث وما لم يخل منها فهو حادث وانما كان كذلك لان القابل للشئ لا يخلو عنه وعن ضده كما قالت الكلابية لكن المعتزلة يقولون السكون ضد الحركة فالقابل لاحدهما لا يخلو عنه

وعن الآخر وهؤلاء يقولون السكون ليس بضد وجودي بل هو عدمي وإنما الوجودي هو الأحداث والأفناء فلو قيل بقيام الأحداث والأفناء به لكان قائلا بقيام الأضداد الوجودية والقابل للشيء لا يخلو عنه وعن ضده وهؤلاء لما أراد منازعوهم إبطال قولهم كان عمدتهم بيان تناقض أقوالهم كما ذكر ذلك أبو المعالي وأتباعه وكما ذكر الآمدي تناقضهم من وجوه كثيرة قد ذكرت في غير هذا الموضع وغايتها أنها تدل على مناقضتهم لا على صحة مذهب المنازع

وثم طائفة كثيرة تقول إنه تقوم به الحوادث وتزول وإنه كلم موسى بصوت وذلك الصوت عدم وهذا مذهب أئمة السنة والحديث من السلف وغيرهم وأظن الكرامية لهم في ذلك قولان وإلا فالقول بفناء الصوت الذي كلم به موسى من جنس القول بقدمه كما يقول ذلك من يقوله من أهل الكلام والحديث والفقه من السالمية وغيرهم ومن الحنبلية والشافعية والمالكية يقول إنه كلم موسى بصوت سمعه موسى وذلك الصوت قديم وهذا القول يعرف فساده ببديهة العقل وكذلك قول من يقول كلمه بصوت حادث وإن ذلك الصوت باق لا يزال هو وسائر ما يقوم به من الحوادث هي أقوال يعرف فسادها بالبديهة

وإنما أوقع هذه الطوائف في هذه الأقوال ذلك الأصل الذي تلقوه عن الجهمية وهو أنّ ما لم يخل من الحوادث فهو حادث وهو باطل عقلا وشرعا وهذا الأصل فاسد مخالف للعقل والشرع وبه استطالت عليهم الفلاسفة الدهرية فلا للإسلام نصروا ولا لعدوه كسروا

بل قد خالفوا السلف والائمة وخالفوا العقل والشرع وسلطوا عليهم وعلى المسلمين عدوهم من الفلاسفة والدهرية والملاحدة باستطالتهم في هذا الاصل الذي جعلوه أصل دينهم ولو اعتصموا بما جاء به الرسول لوافقوا المنقول والمعقول وثبت لهم الاصل ولكن ضيعوا الاصول فحرموا الوصول والاصول اتباع ما جاء به الرسول

وأحدثوا أصولا ظنوا انها أصول ثابتة وكانت كما ضرب الله المثلين مثل البناء والشجرة فقال في المؤمنين والمنافقين أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أمن أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين وقال ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين باذن ربها ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض مالها من قرار يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله مايشاء والاصول مأخوذة من أصول الشجرة وأساس البناء ولهذا يقال فيه الاصل ما ابتنى عليه غيره أو ما تفرع عنه غيره

فالأصول الثابتة هي أصول الانبياء كما قيل

أيها المقتدي لتطلب علما * كل علم عبد لعلم الرسول

تطلب الفرع كي تصحح حكما * ثم أغفلت أصل أصل الاصول

والله يهدينا وسائر اخواننا المؤمنين الى صراطه المستقيم صراط

الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا وهذه الاصول يبنى عليها ما في القلوب ويتفرع عليها وقد ضرب الله مثل الكلمة الطيبة التي في قلوب المؤمنين ومثل الكلمة الخبيثة التي في قلوب الكافرين

والكلمة هي قضية جازمة وعقيدة جامعة ونبينا صلى الله عليه وسلم أوتي فواتح الكلام وخواتمه وجوامعه فبعث بالعلوم الكلية والعلوم الاولية والآخرية على أتم قضية فالكلمة الطيبة في قلوب المؤمنين وهي العقيدة الايمانية التوحيدية كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء فاصل أصول الايمان ثابت في قلب المؤمن كثبات أصل الشجرة الطيبة وفرعها في السماء اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه والله سبحانه مثل الكلمة الطيبة أي كلمة التوحيد بشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء

فبين بذلك ان الكلمة الطيبة لها أصل ثابت في قلب المؤمن ولها فرع عال وهي ثابتة في قلب ثابت كما قال يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة فالمؤمن عنده يقين وطمأنينة والايمان في قلبه ثابت مستقر وهو في نفسه ثابت على الايمان مستقر لا يتحول عنه والكلمة الخبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض مستأصلة واجتثت كما يقطع الشيء تجتث من فوق الارض مالها من قرار لا مكان تستقر فيه ولا استقرار في المكان فان القرار يراد به مكان الاستقرار كما قال تعالى بئس القرار وقد جعل لكم الارض قرارا

ويقال فلان ماله قرار أي ثبات وقد فسر القرار في الآية بهذا وهذا فالمبطل ليس قوله ثابتا في قلبه ولا هو ثابت فيه ولا يستقر كما قال تعالى في المثل الآخر فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ماينفع الناس فيمكث في الأرض فانه وان اعتقده مدة فانه عند الحقيقة يخونه كالذي يشرك بالله فعند الحقيقة يضل عنه ما كان يدعو من دون الله وكذلك الأفعال الباطلة التي يقصدها الانسان عند الحقيقة تخونه ولا تنفعه بل هي كالشجرة الخبيثة التي اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار فمن كان معه كلمة طيبة أصلها ثابت كان له فرع في السماء يوصله الى الله فانه سبحانه اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ومن لم يكن معه أصل ثابت فانه يحرم الوصول لأنه ضيع الأصول ولهذا تجد أهل البدع والشبهات لا يصلون الى غاية محمودة كما قال تعالى له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين الا في ضلال

والله سبحانه بعث الرسل وأنزل الكتب بأن يكون هو المعبود وحده لاشريك له وانما يعبد بما أمر به على ألسن رسله

وأصل عبادته معرفته بما وصف به نفسه في كتابه وما وصفه به رسله ولهذا كان مذهب السلف انهم يصفون الله بما وصف به نفسه وما وصفه به رسله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل والذين ينكرون بعض ذلك ماقدروا الله حق قدره وما عرفوه حق معرفته ولا وصفوه حق صفته ولا عبدوه حق عبادته

والله سبحانه قد ذكر هذه الكلمة ماقدروا الله حق قدره فى ثلاث مواضع ا بت عظمته في نفسه وما يستحقه من الصفات واثبات وحدانيته وانه لا يستحق العبادة الا هو واثبات ماأنزله على رسله فقال في الزمر وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة الآية وقال فى الحج ضعف الطالب والمطلوب ماقدروا الله حق قدره وقال فى الانعام وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ماأنزل الله على بشر من شئ والمواضع الثلاثة ذم الذين ماقدروه حق قدره من الكفار فدل ذلك على انه يجب على المؤمن أن يقدر الله حق قدره كما يجب عليه أن يتقيه حق تقاته وأن يجاهد فيه حق جهاده قال تعالى وجاهدوا فى الله حق جهاده وقال اتقوا الله حق تقاته والمصدر هنا مضاف الى المفعول والفاعل مراد أي حق جهاده الذى أمركم به وحق تقاته التي أمركم بها واقدروه قدره الذى بينه لكم وأمركم به فصدقوا الرسول فيما أخبر وأطيعوه فيما أوجب وأمر وأما مايخرج عن طاقة البشر فذلك لايذم أحد على تركه قالت عائشة فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو * ودلت الآية على ان له قدرا عظيما لاسيما قوله وماقدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه وفى تفسير ابن أبى طلحة عن ابن عباس قال من آمن بأن الله على كل شئ قدير فقد قدر الله حق قدره

وقد ثبت فى الصحيحين من حديث ابن مسعود أن النبى صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية لما ذكر له بعض اليهود ان الله يحمل السموات

على أصبع والارض على أصبع والجبال على أصبع والشجر والثرى على أصبع وسائر الخلق على أصبع فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجبا وتصديقا لقول الحبر وقرأ هذه الآية

وعن ابن عباس قال مر يهودي بالنبي صلى الله عليه وسلم فقال يا أبا القاسم ما تقول اذا وضع الله السماء على ذه والارض على ذه والجبال والماء على ذه وسائر الخلق على ذه فأنزل الله تعالى وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه رواه الامام أحمد والترمذي من حديث أبي الضحى عن ابن عباس وقال غريب حسن صحيح

وهذا يقتضي ان عظمته أعظم مما وصف ذلك الحبر فان الذي في الآية أبلغ كما في الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقبض الله الارض يوم القيامه ويطوى السماء بيمينه ثم يقول أنا الملك أين ملوك الارض وفي الصحيحين عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوى الله السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول أين الملوك أين الجبارون أين المتكبرون ورواه مسلم أبسط من هذا وذكر فيه انه يأخذ الارض بيده الاخرى

وقد روى ابن حاتم حدثنا أبي ثنا عمرو بن رافع ثنا يعقوب بن عبدالله عن جعفر عن سعيد بن جبير قال تكلمت اليهود في صفة الرب تبارك وتعالى فقالوا مالم يعلموا ولم يروا فأنزل الله على نبيه وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات

بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون فجعل صفته التي وصفوا بها شركا

وقال حدثنا أبي ثنا أبو نعيم ثنا الحكم يعني أبا معاذ عن الحسن قال عمدت اليهود فنظروا في خلق السموات والأرض والملائكة فلما فرغوا أخذوا يقدرونه فأنزل الله تعالى على نبيه وما قدروا الله حق قدره وهذا يدل على أنه أعظم مما وصفوه وأنهم لم يقدروه حق قدره وقوله عما يشركون فكل من جعل مخلوقا مثلا للخالق في شيء من الأشياء فأحبه مثل ما يحب الخالق أو وصفه بمثل ما يوصف به الخالق فهو مشرك سوى بين الله وبين المخلوق في شيء من الأشياء فعدل بربه والرب تعالى لا كفؤ له ولا سمي له ولا مثل له ومن جعله مثل المعدوم والممتنع فهو شر من هؤلاء فإنه معطل ممثل والمعطل شر من المشرك ﴿ والله ثنى قصة فرعون ﴾ في القرآن في غير موضع لاحتياج الناس إلى الاعتبار بها فإنه حصل له من الملك ودعوى الربوبية والالهية والعلو ما لم يحصل مثله لأحد من المعطلين وكانت عاقبته إلى ما ذكر الله تعالى وليس لله صفة يماثله فيها غيره فلهذا لم يجز أن يستعمل في حقه قياس التمثيل ولا قياس الشمول الذي تستوي أفراده فإن ذلك شرك إذ سوى فيه بالمخلوق بل قياس الأولى فإنه سبحانه له المثل الأعلى في السموات والأرض فهو أحق من غيره بصفات الكمال وأحق من غيره بالتنزيه عن صفات النقص وقد بسطت هذه الأمور في غير هذا الموضع وبين أن من جعله الوجود المطلق والمقيد بالسلب أو ذاتا مجردة فهؤلاء مثلوه بأنقص المعقولات الذهنية وجعلوه دون الموجودات الخارجية والله

الذين قصدوا اثبات حدوث العالم باثبات حدوث الجسم لم يثبتوا بذلك حدوث شيء كالذين في موضعه

ثم انهم جعلوا عمدتهم في تنزيه الرب عن النقائص على نفي الجسم ومن سلك هذا المسلك لم ينزه الله عن شيء من النقائص البتة فانه ما من صفة ينفيها لانها تستلزم التجسيم وتكون من صفات الاجسام الا يقال له فيما أثبته نظير ما تقوله هو في نفس تلك الصفة فان كان مثبتا لبعض الصفات قيل له القول في هذه الصفة التي نفيتها كالقول فيما أثبته فان كان هذا تجسيما وقولا باطلا فهذا كذلك وان قلت أنا أثبت هذا على الوجه الذي يليق بالرب قيل له وكذلك هذا كذلك وان قلت أنا أثبته وأنفي التجسيم قيل ذلك وهذا كذلك فليس لك أن تفرق بين المتماثلين وان ممن يثبت الاسماء وينفي الصفات كالمعتزلة قيل له في الصفات مايقوله هو في الاسماء فاذا كان يثبت حيا عالما قادرا وهو لا يعرف من هو متصف بذلك الا جسما كان اثبات ان له علما وقدرة كما نطق به الكتاب والسنة كذلك وان كان ممن لا يثبت لا الاسماء ولا الصفات كالجهمية المحضة والملاحدة قيل له فلا بد أن تثبت موجودا قائما بنفسه وأنت لا تعرف ذلك الا جسما وان قال لا اسميه باسم لا اثبات ولا نفي قيل له سكوتك لا ينفي الحقائق ولا واسطة بين النفي والاثبات فاما أن يكون حقا ثابتا موجودا واما أن يكون باطلا معدوما وأيضا فان كنت لم تعرفه فانت جاهل فلا تكلم وان عرفته فلا بد ان تميز بينه وبين غيره بما يختص به مثل أن يقول رب العالمين أوالقديم الازلي

أو الموجود بنفسه بوجودك وحينئذ فقد أثبت حيا موجودا قائما بنفسه وأثبته فاعلا وأنت لا تعرف ما هو كذلك الا الجسم وان قدر انه جاحد له قيل له فهذا الوجود مشهود فان كان قديما أزليا موجودا بنفسه فقد ثبت جسم قديم أزلي موجود بنفسه وهو ما فررت منه وان كان مخلوقا مصنوعا فله خالق خلقه ولا بد أن يكون قديما أزليا فقد ثبت الموجود القائم بنفسه القديم الازلي على كل تقدير وهذا مبسوط في غير هذا الموضع

وهنا قد نبهنا على ذلك وانه كل من بنى تنزيهه للرب عن النقائص والعيوب على نفي الجسم فانه لا يمكنه أن ينزهه عن عيب أصلا بهذه الحجة وكذلك من جعل عمدته نفي التركيب

ومن تدبر ما ذكروه في كتبهم تبين له انهم لم يقيموا حجة على وجوده فلاهم أثبتوه وأثبتوا له ما يستحقه ولا نزهوه ونفوا عنه ما لا يجوز عليه اذ كان اثباته هو اثبات حدوث الجسم ولم يقيموا على ذلك دليلا والنفي اعتمدوا فيه على ذلك وهم متناقضون فيه لو كانوا أقاموا دليلا على نفي كونه جسما فكيف اذا لم يقيموا على ذلك دليلا وتناقضوا

وهذا مما تبين لك ان من خرج عن الكتاب والسنة فليس معه علم لا عقلي ولا سمعي لا سيما في هذا المطلوب الاعظم لكنهم قد يكونون معتقدين لعقائد صحيحة عرفوها بالفطرة العقلية وبما سمعوه من القرآن ودين المسلمين فقلوبهم تثبت ما تثبت وتنفي ما تنفي بناء على هذه الفطرة المكملة بالشرعة المنزلة لكنهم سلكوا هذه الطرق البدعية وليس فيها

علم أصلا ولكن يستفاد من كلامهم ابطال بعضهم لقول المبطل الآخر وبيان تناقضه ولهذا لما ذكروا المقالات الباطلة في الرب جعلوا ردودها بان ذلك تجسيم كما فعل القاضي أبو بكر في هداية المسترشدين وغيره فلم يقيموا حجة على أولئك المبطلين وردوا كثيراً مما يقول اليهود أنه تجسيم وقد كان اليهود عند النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة وكانوا أحيانا يذكرون له بعض الصفات كحديث الحبر وقد ذم الله اليهود على أشياء كقولهم ان الله فقير وان يده مغلولة وغير ذلك ولم يقل النبي صلى الله عليه وسلم قط انهم يجسمون ولا ان في التوراة تجسيما ولا عابهم بذلك ولا رد هذه الاقوال الباطلة أن هذا تجسيم كما فعل ذلك من فعله من النفاة فتبين ان هذه الطريقة مخالفة للشرع والعقل وانها مخالفة لما بعث الله به رسوله ولما فطر عليه عباده وان أهلها من جنس الذين قالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير وقد بينا في غير هذا الموضع فساد ما ذكره الرازي من ان طريقة الوجوب والامكان من أعظم الطرق وبينا فساده وانها لا تفيد علماً وانهم لم يقيموا دليلا على اثبات واجب الوجود وان طريقة الكمال أشرف منها وعليها اعتماد العقلاء قديماً وحديثاً وهو قد اعترف في آخر عمره بانه قد تأمل الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما وجدها تشفي عليلا ولا تروي غليلا ووجد أقرب الطرق طريقة القرآن وطريقة الوجوب والامكان لم يسلكها أحد قبل ابن سينا وهو أخذها من كلام المتكلمين الذين قسموا الوجود الى محدث وقديم فقسمه هو الى واجب وممكن ليمكنه القول

بأن الملك ممكن مع قدرته وخالف بذلك عامة العقلاء من سلفه وغير سلفه وخالف نفسه فإنه قد ذكر في المنطق ما ذكره سلفه من أن الممكن لا يكون إلا محدثاً كما قد بسط الكلام عليه في غير هذا الموضع

(ثم) إن هؤلاء الذين سلكوا هذه الطريقة انتهت بهم إلى قول فرعون فإن فرعون جحد الخالق وكذب موسى في أن الله كلمه وهؤلاء ينتهي قولهم إلى جحد الخالق وإن أثبتوه قالوا إنه لا يتكلم ولا نادي أحداً ولا ناجاه وعمدتهم في نفي ذاته على نفي الجسم وفي نفي كلامه وتكليمه لموسى على أنه لا تحله الحوادث فلا يبقى عندهم رب ولا مرسل فحقيقة قولهم نافض شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فإن الرسول هو المبلغ لرسالة مرسله والرسالة هي كلامه الذي بعثه به فإذا لم يكن متكلماً لم تكن رسالة ولهذا اتفق الأنبياء على أن الله يتكلم ومن لم يقل إنه يتكلم بمشيئته وقدرته كلاماً يقوم بذاته لم يقل إنه يتكلم والطوائف منهم من يقول

الكلام صفة فعل بمعنى أنه مخلوق بائن عنه ومنهم من يقول هو صفة ذات بمعنى أنه كالحياة يقوم بذاته وهو لا يتكلم بمشيئته وقدرته وكل طائفة مصيبة في إبطال باطل الأخرى

والدليل يقوم على أنه صفة ذات وفعل تقوم بذات الرب والرب يتكلم بمشيئته وقدرته فأدلة من قال إنه صفة فعل كلها إنما تدل على أنه يتكلم بقدرته ومشيئته وهذا حق وأدلة من قال إنه صفة ذات إنما تدل على أن كلامه يقوم بذاته وهذا حق وأما من أثبت أحدهما كمن

قال ان كلامه مخلوق أوقال انه لا يتكلم بمشيئته وقدرته فهؤلاء في الحقيقة لم يثبتوا أنه يتكلم ولا أثبتوا له كلاما ولهـذا يقولون مالا يعقل هـذا يقول انه معنى واحـد قام بالذات وهـذا يقول حروف أو حروف وأصوات قديمة أزلية لازمة لذاته وهذا يقول مخلوق بائن عنه

ولهذا لما ظهر لطائفة من أتباعهم مافى قولهم من الفساد ولم يعرفوا غير هذه الاقوال الثلاثة حاروا وتوقفوا وقالوا نحن نقر بما عليه عموم المسلمين من ان القرآن كلام الله وأما كونه مخلوقا أو بحرف وصوت أو معنى قائم بالذات فلا نقول شيئا من هذا ومعلوم أن الهدي في هذه الاصول ومعرفة الحق فيها ومعرفة ماجاء به الرسول وهو الموافق لصريح المعقول أنفع وأعظم من كثير مما يتكلمون فيه من العلم لاسيما والقلوب تطلب معرفة الحق في هذه بالفطرة ولما قد رأوا من اختلاف الناس فيها وهؤلاء يذكرون هذا الوقف في عقائدهم وفيما صنفوه في أصول الدين كما قد رأيت منهم من أكابر شيوخ العلم والدين بمصر والشام قد صنفوا في أصول الدين ماصنفوه ولما تكلموا في مسئلة القرآن وهـل هو مخلوق أو قديم أوهو الحروف والاصوات أو معـنى قائم بالذات نهوا عن هـذه الاقوال وقالوا الواجب أن يقال ماقاله المسلمون كلهـم ان القرآن كلام الله ويمسك عن هذه الاقوال وهؤلاء توقفوا عن حيرة وشك ولهم رغبة في العلم والهدى والدين وهم من أحرص الناس على معرفة الحق في ذلك وغيره لكن لم يعلموا الا هذه الاقوال الثلاثة قول المعتزلة والكلابية والسالمية وكل طائفة تبين فساد قول الاخرى وفي كل

قول من الفساد مايوجب الامتناع من قوله ولم يعلموا قولا غير هذه فرضوا بالجهل البسيط وكان أحب اليهم من الجهل المركب وكان أسباب ذلك أنهم وافقوا هؤلاء على أصل قولهم ودينهم وهو الاستدلال على حدوث الاجسام وحدوث العالم بطريقة أهل الكلام المبتدع كما سلكها من ذكرته من أجلاء شيوخ أهل العلم والدين والاستدلال على امكانها بكونها مركبة كما سلك الشيخ الآخر وهذا ينفي عن الواجب أن يكون جسما بهذه الطريقة وذلك ينفي انه جسم بتلك الطريقة وحذاق النظار الذين كانوا أخبر بهذه الطرق وأعظم نظراً واستدلالا بها وبغيرها قد عرفوا فسادها كما قد بسط في غير هذا الموضع

والله سبحانه قد أخبر أنه أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وأخبر أنه ينصر رسله والذين آمنوا في الحياة الدنيا والله سبحانه يجزي الانسان بحسب عمله فالجزاء من جنس العمل فمن خالف الرسل عوقب بمثل دينه فان كان قد قدح فيهم ونسب مايقولونه الى أنه جهل وخروج عن العلم والعقل ابتلي في عقله وعلمه وظهر من جهله ماعوقب به ومن قال عنهم انهم تعمدوا الكذب أظهر الله كذبه ومن قال انهم جهال أظهر الله جهله ففرعون وهامان وقارون لما قالوا عن موسى انه ساحر كذاب أخبر الله بذلك عنهم في قوله ولقد أرسلنا موسى بآياتنا الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب وطلب فرعون اهلاكه بالقتل وصار يصفه بالعيوب كقوله وقال فرعون ذروني أقتل موسى وليدع ربه اني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الارض الفساد

وقال أم أنا خير من هذا الذى هو مهين ولا يكاد يبين أهلك الله فرعون وأظهر كذبه وافتراءه على الله وعلى رسله وأذله غاية الاذلال وأعجزه عن الكلام النافع فلم يبين حجة وفرعون هذه الامة أبو جهل كان يسمى أبا الحكم ولكن النبي صلى الله عليه وسلم سماه أبا جهل وهو كما سماه رسول الله صلي الله عليه وسلم أبو جهل أهلك به نفسه وأتباعه فى الدنيا والآخره

﴿ والذين ﴾ قالوا عن الرسول انه أبتر وقصدوا أنه يموت وينقطع ذكره عوقبوا بانبتارهم كما قال تعالى ان شانئك هو الابتر فلا يوجد من شنأ الرسول الابتره الله حتى أهل البدع المخالفون لسنته قيل لابي بكر ابن عياش ان بالمسجد قوما يجلسون للناس ويتكلمون بالبدعة فقال من جلس للناس جلس الناس اليه لكن أهل السنة يبقون ويبقى ذكرهم وأهل البدعه يموتون ويموت ذكرهم

وهؤلاء المشبهون لفرعون الجهمية نفاة الصفات الذين وافقوا فرعون فى جحده وقالوا انه ليس فوق السموات وان الله لم يكلم موسى تكليما كما قال فرعون ياهامان ابن لى صرحا لعلى أبلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع الى اله موسى وانى لاظنه كاذبا وكان فرعون جاحداً للرب فلولا أن موسى أخبره أن ربه فوق العالم لما قال أطلع الى اله موسى وانى لاظنه كاذبا قال تعالى وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل وما كيد فرعون الا في تباب وقال تعالى وقال فرعون ياأيها الملأ ماعلمت لكم من اله غيرى فاوقد لي ياهامان على الطين فاجعل

لي صرحا لعلي أطلع الى اله موسى واني لأظنه من الكاذبين واستكبر هو وجنوده في الارض بغير الحق وظنوا انهم الينا لا يرجعون فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين وجعلناهم أئمة يدعون الى النار ويوم القيامة لا ينصرون وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين

ومحمد صلى الله عليه وسلم لما عرج به الى ربه وفرض عليه الصلوات الخمس ذكر انه رجع الى موسى وان موسى قال له ارجع الى ربك فسله التخفيف الى أمتك كما تواتر هذا في أحاديث المعراج فموسى صدق محمدا في أن ربه فوق وفرعون كذب موسى في ان ربه فوق فالمقرون بذلك متبعون لموسى ومحمد والمكذبون بذلك موافقون لفرعون

وهذه الحجة مما اعتمد عليها غير واحد من النظار وهي مما اعتمد عليه أبو الحسن الاشعري في كتابه في الابانة وذكر عدة أدلة عقلية وسمعية على ان الله فوق العالم وقال في أوله

فان قال قائل قد أنكرتم قول الجهمية والقدرية والخوارج والروافض والمعتزلة والمرجئة فعرفونا قولكم الذي به تقولون وديانتكم التي بها تدينون

قيل له قولنا الذي نقول به وديانتنا التي ندين بها التمسك بكتاب ربنا وسنة نبينا وما جاء عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث ونحن بذلك معتصمون وبما كان يقول به أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل قائلون ولما خالف قوله مجانبون فانه الامام الكامل والرئيس الفاضل الذي أبان الله به الحق وأوضح به

المناهج وقمع به بدع المبتدعين وريغ الزائغين وشك الشاكين فرحمه الله من امام مقدم وكبير معهم وعلى جميع أئمة المسلمين وذكر جملة الاعتقاد والكلام على علو الله على العرش وعلى الرؤيه ومسئلة القرآن ونحو ذلك وهذا مبسوط في غير هذا الموضع

والمقصود هنا ان المعطلة نفاة الصفات أو نفاة بعضها لا يعتمدون في ذلك على ماجاء به الرسول اذ كان ماجاء به الرسول انما يتضمن الاثبات لا النفي لكن يعتمدون في ذلك على مايظنونه أدلة عقلية ويعارضون بذلك ماجاء به الرسول وحقيقة قولهم ان الرسول لم يذكر في ذلك مايرجع اليه لا من سمع ولا عقل فلم يخبر بذلك خبرا يبين به الحق على زعمهم ولا ذكر أدلة عقلية تبين الصواب في ذلك على زعمهم بخلاف غير هذا فانهم معترفون بان الرسول ذكر في القرآن أدلة عقلية على ثبوت الرب وعلى صدق الرسول وقد يقولون أيضا انه أخبر بالمعاد لكن نفوا الصفات لما رأوا ان ماذكروه من النفي لم يذكره الرسول فلم يخبر به ولا ذكر دليلا عقليا عليه بل انما ذكر الاثبات وليس هو في نفس الامر حقا فاحوج الناس الى التأويل أو التفويض فلما نسبوا ماجاء به الرسول الى انه ليس فيه لادليل سمعي ولا عقلي لاخبر يبين الحق ولا دليل يدل عليه عادوا الى الله بحسب دعواهم فكان مايقولونه في هذا الباب خارجا عن العقل والسمع مع دعواهم انه من العقليات البرهانية فاذا اختبره العارف وجده من الشبهات الشيطانية من جنس شبهات أهل السفسطة والالحاد الذين يقدحون في العقليات

والسمعيات وأما السمع فخلافهم له ظاهر لكل أحد وانما يظن من يعظمهم ويتبعهم انهم أحكموا العقليات فاذا حقق الامر وجدهم كما قال أهل النار لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير وكما قال تعالى والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور

فلما كان حقيقة قولهم ان القرآن والحديث ليس فيه في هذا الباب دليل سمعي ولا عقلي سلبهم الله في هذا الباب معرفة الأدلة السمعية والعقلية حتي كانوا من أضل البرية مع دعواهم انهم أعلم من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين بل قد يدعون انهم أعلم من النبيين وهذا ميراث من فرعون وحزبه اللعين

وقد قيل ان أول من عرف انه أظهر في الاسلام التعطيل الذي تضمنه قول فرعون هو الجعد بن درهم فضحي به خالد بن عبد الله القسري وقال أيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم اني مضح بالجعد بن درهم انه زعم ان الله لم يتخذ ابراهيم خليلا ولم يكلم موسى تكليما تعالى الله عما يقول الجعد علوا كبيرا ثم نزل فذبحه وشكر له علماء المسلمين مافعله كالحسن البصري وغيره وهذا الجعد اليه نسب مروان ابن محمد الجعدي آخر خلفاء بني أمية وكان شؤمه عاد عليه حتي زالت

الدولة فانه اذا ظهرت البدع التي تخالف دين الرسل انتقم الله ممن خالف الرسل وانتصر لهم ولهذا لما ظهرت الملاحدة الباطنية وملكوا الشام وغيرها ظهر فيها النفاق والزندقة الذي هو باطن أمرهم وهو حقيقة قول فرعون انكار الصانع وانكار عبادته وخيار ما كانوا يتظاهرون به الرفض وكانوا خيارهم وأقربهم الى الاسلام الرافضة وظهر بسببهم الرفض والالحاد حتى كان من كان ينزل الشام مثل بني حمدان الغالية ونحوهم متشيعين وكذلك من كان من بني بويه في المشرق

وكان ابن سينا وأهل بيته من أهل دعوتهم قال وبسبب ذلك اشتغلت في الفلسفة وكان مبدأ ظهورهم من حين تولى المقتدر ولم يكن بلغ بعد وهو مبدأ انحلال الدولة العباسية ولهذا سمي حينئذ بامير المؤمنين الاموى الذي كان بالاندلس وكان قبل ذلك لا يسمى بهذا الاسم ويقول لا يكون للمسلمين خليفتان فلما ولي المقتدر قال هذا صبي لا تصح ولايته فسمي بهذا الاسم

وكان بنو عبيد الله القداح الملاحدة يسمون بهذا الاسم لكن هؤلاء كانوا في الباطن ملاحدة زنادقة منافقين وكان نسبهم باطلا كدينهم بخلاف الاموى والعباسي فان كلاهما نسبه صحيح وهم مسلمون كامثالهم من خلفاء المسلمين

فلما ظهر النفاق والبدع والفجور المخالف لدين الرسول سلطت عليهم الاعداء فخرجت الروم النصارى الى الشام والجزيرة مرة بعد مرة وأخذوا الثغور الشامية شيئا بعد شيء الى أن أخذوا بيت المقدس

في أواخر المائة الرابعة وبعد هذا بمدة حاصروا دمشق وكان أهل الشام بأسوء حال بين الكفار النصارى والمنافقين الملاحدة الى أن تولى نور الدين الشهيد وقام بما قام به من أمر الاسلام والطهارة والجهاد لاعدائه ثم استنجد به ملوك مصر بنو عبيد على النصارى فانجدهم وجرت فصول كثيرة الى أن أخذت مصر من بنى عبيد أخذها صلاح الدين يوسف بن شادي وخطب بها لبنى العباس فمن حينئذ ظهر الاسلام بمصر بعد ان مكثت بايدى المنافقين المرتدين عن دين الاسلام مائتي سنة

فكان الايمان بالرسول والجهاد عن دينه سببا لخير الدنيا والآخرة وبالعكس البدع والالحاد ومخالفة ماجاء به سبب لشر الدنيا والآخرة

فلما ظهر في الشام ومصر والجزيرة الالحاد والبدع سلط عليهم الكفار ولما أقاموا ماأقاموه من الاسلام وقهر الملحدين والمبتدعين نصرهم الله على الكفار تحقيقا لقوله ياأيها الذين آمنوا هل أدلكم علي تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين

وكذلك لما كان أهل المشرق قائمين بالاسلام وكانوا منصورين على الكفار المشركين من الترك والهند والصين وغيرهم فلما ظهر منهم

ماظهر من البدع والالحاد والفجور سلط عليهم الكفار قال تعالي وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب لتفسدن في الارض مرتين ولتعلن علوا كبيرا فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم باموال و بنين وجعلناكم أكثر نفيرا ان أحسنتم أحسنتم لانفسكم وان أسأتم فلها فاذا جاء وعد الآخرة ليسوؤا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ماعلوا تتبيرا عسى ربكم أن يرحمكم وان عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا

وكان بعض المشايخ يقول هولاكو ملك الترك التتار الذى قهر الخليفة بالعراق وقتل ببغداد مقتلة عظيمة جدا يقال قتل منهم ألف ألف وكذلك قتل بحلب دار الملك حينئذ كان بعض الشيوخ يقول هو للمسلمين بمنزلة بخت نصر لبني اسرائيل

وكان من أسباب دخول هؤلاء ديار المسلمين ظهور الالحاد والنفاق والبدع حتي انه صنف الرازى كتابا فى عبادة الكواكب والاصنام وعمل السحر سماه السر المكتوم فى السحر ومخاطبة النجوم ويقال انه صنفه لام السلطان علاء الدين محمد بن لكش بن جلال الدين خوارزم شاه وكان من أعظم ملوك الارض وكان للرازى به اتصال قوى حتي انه وصى اليه على أولاده وصنف له كتابا سماه الرسالة العلائية فى الاختيارات السماوية

وهذه الاختيارات لاهل الضلال بدل الاستخارة التي علمها النبى

صلى الله عليه وسلم المسلمين كما قال جابر فى الحديث الصحيح الذى رواه البخارى وغيره كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة في الامور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن يقول اذا هم أحدكم بالامر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل اللهم انى أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم اللهم ان كنت تعلم ان هذا الامر وتسميه باسمه خير لى في ديني ومعاشى وعاقبة أمرى فاقدره لى ويسره ثم بارك لى فيه وان كنت تعلم ان هذا الامر شر لى في دينى ومعاشى وعاقبة أمرى فاصرفه عنى واصرفنى عنه واقدر لى الخير حيث كان ثم رضنى به ‹ وأهل النجوم › لهم اختيارات اذا أراد أحدهم أن يعمل عملا أخذ طالعا سعيدا فعمل فيه ذلك العمل لينجح بزعمهم وقد صنف الناس كتباً في الرد عليهم وذكروا كثرة مايقع من خلاف مقصودهم فيما يخبرون به ويأمرون به وكم يخبرون من خبر فيكون كذبا وكم يأمرون باختيار فيكون شرا والرازي صنف الاختيارات لهذا الملك وذكر فيه الاختيار لشرب الخمر وغير ذلك كما ذكر فى السر المكتوم فى عبادة الكواكب ودعوتها مع السجود لها والشرك بها ودعائها مثل ما يدعو الموحدون ربهم بل أعظم والتقرب اليها بما يظن انه مناسب لها من الكفر والفسوق والعصيان فذكر انه يتقرب الى الزهرة بفعل الفواحش وشرب الخمر والغناء ونحو ذلك مما حرمه الله ورسوله وهذا فى نفس الامر يقرب الى الشياطين الذين يأمرونهم بذلك ويقولون لهم ان الكوكب نفسه يحب ذلك والا

فالكواكب مسخرات بأمر الله مطيعة لله لا تأمر بشرك ولا غيره من المعاصي ولكن الشياطين هي التي تأمر بذلك ويسمونها روحانية الكواكب وقد يجعلونها ملائكة وانما هي شياطين فلما ظهر أرض المشرق بسبب مثل هذا الملك ونحوه ومثل هذا العالم ونحوه ماظهر من الالحاد والبدع سلط الله عليهم الترك المشركين الكفار فأبادوا هذا الملك وجرت له أمور فيها عبرة لمن يعتبر ويعلم تحقيق ماأخبر الله به في كتابه حيث يقول سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق أي ان القرآن حق وقال سأريكم آياتي فلا تستعجلون وبسط هذا له موضع آخر

والمقصود هنا أن دولة بني أمية كان انقراضها بسبب هذا الجعد المعطل وغيره من الاسباب التي أوجبت ادبارها وفي آخر دولتهم (ظهر الجهم بن صفوان) بخراسان وقد قيل ان أصله من ترمذ وأظهر قول المعطلة النفاة الجهمية وقد قتل في بعض الحروب وكان أئمة المسلمين بالمشرق أعلم بحقيقة قوله من علماء الحجاز والشام والعراق ولهذا يوجد لعبد الله بن المبارك وغيره من علماء المسلمين بالمشرق من الكلام في الجهمية أكثر مما يوجد لغيرهم مع ان عامة أئمة المسلمين تكلموا فيهم ولكن لم يكونوا ظاهرين الا بالمشرق لكن قوى أمرهم لما مات الرشيد وتولى ابنه الملقب بالمأمون بالمشرق وتلقى عن هؤلاء ماتلقاه

ثم لما ولي الخلافة اجتمع بكثير من هؤلاء ودعا الى قولهم في آخر عمره

وكتب الى بغداد وهو (بالثغر بطرسوس) التي سلدسيس وكانت اذ ذاك أعظم ثغور بغداد ومن أعظم ثغور المسلمين يقصدها أهل الدين من كل ناحية ويرابطون بها رابط بها الامام أحمد رضي الله عنه والسري السقطي وغيرهما وتولى قضاءها أبو عبيد وتولى قضاءها أيضا صالح بن أحمد بن حنبل ولهذا ذكرت في كتب الفقه كثيرا فانها كانت ثغرا عظيما

وكتب من الثغر الى نائبه ببغداد اسحاق بن ابراهيم بن مصعب كتابا يدعو الناس فيه الى أن يقولوا (القرآن مخلوق) فلم يجبه أحد ثم كتب كتابا ثانيا يأمر فيه بتقييد من لم يجبه وارساله اليه فأجاب أكثرهم ثم قيدوا سبعة لم يجيبوا فأجاب منهم خمسة بعد القيد وبقي اثنان لم يجيبا الامام أحمد بن حنبل ومحمد بن نوح فارسلوهما اليه فمات قبل أن يصلا اليه ثم أوصى الى أخيه أبي اسحاق وكان هذا سنة ثمان عشرة ومائتين وبقي أحمد في الحبس الى سنة عشرين تجري مناظرات من المناظرة حتى قطعهم بالحجة ثم لما خافوا الفتنة ضربوه وأطلقوه وظهر مذهب الغلاة الجهمية وامتحنوا الناس فصار من أجابهم أعطوه والا منعوه العطاء وعزلوه من الولايات ولم يقبلوا شهادته وكانوا اذا افتكوا الاسرى يمتحنون الاسير فان أجابهم افتدوه والا لم يفدوه

وكتب قاضيهم أحمد بن أبي داود على ستارة الكعبة ليس كمثله شيء وهو العزيز الحكيم لم يكتب وهو السميع البصير

ثم ولي الواثق واشتد الامر الى أن ولي المتوكل فرفع المحنة وظهرت حينئذ السنة وبسط هذا له موضع آخر

والمقصود ان أئمة المسلمين لما عرفوا حقيقة قول الجهمية ينموه حتى قال عبد الله بن المبارك انا لنحكي كلام اليهود والنصارى ولا نستطيع أن نحكي كلام الجهمية وكان ينشد

عجبت لشيطان دعا الناس جهرة * الى النار واشتق اسمه من جهنم

وقيل له بماذا يعرف ربنا قال بأنه فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه قيل له بحد قال بحد وكذلك قال أحمد بن حنبل واسحاق بن ابراهيم بن راهويه وعثمان بن سعيد الدارمي وغيرهم من أئمة السنة

وحقيقة قول الجهمية المعطلة هو قول فرعون وهو جحد الخالق وتعطيل كلامه ودينه كما كان فرعون يفعل فكان يجحد الخالق جل جلاله ويقول ما علمت لكم من اله غيري ويقول لموسى لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك من المسجونين ويقول أنا ربكم الاعلى وكان ينكر أن يكون الله كلم موسى أولا يكون لموسى اله فوق السموات ويريد أن يبطل عبادة الله وطاعته ويكون هو المعبود المطاع فلما كان قول الجهمية المعطلة النفاة تؤول الي قول فرعون كان منتهى قولهم انكار رب العالمين وانكار عبادته وانكار كلامه حتى ظهروا بدعوى التحقيق والتوحيد والعرفان فصاروا يقولون العالم هو الله والوجود واحد والموجود القديم الاولى الخالق هو الموجود المحدث المخلوق والرب هو العبد ما ثم رب وعبد وخالق ومخلوق بل هو عندهم فرقان ولهذا صاروا يعظمون على الانبياء وينقصونهم ينقمون على نوح وعلى ابراهيم الخليل وغيرهما ويمدحون فرعون ويجوزون عبادة جميع المخلوقات وجميع الاصنام

ولا يرضون بأن تعبد الاصنام حتى يقولوا ان عباد الاصنام لم يعبدوا الا الله وان الله نفسه هو العابد وهو المعبود وهو الوجود كله فجحدوا الرب وابطلوا دينه وأمره ونهيه وما أرسل به رسله وتكليمه لموسى وغيره

وقد ضل في هذا جماعة ولهم معرفة بالكلام والفلسفة والتصوف المناسب لذلك كابن سبعين والصدر القونوي تلميذ ابن عربي والتلمساني والتلمساني وهو من حذاقهم علماً ومعرفة وكان يظهر المذهب بالفعل فيشرب الخمر ويأتي المحرمات

وحدثني الثقة أنه قرأ عليه فصوص الحكم لابن عربي وكان يظنه من كلام أولياء الله العارفين فلما قرأه رآه يخالف القرآن قال فقلت له هذا الكلام يخالف القرآن فقال القرآن كله شرك وانما التوحيد في كلامنا وكان يقول ثبت عندنا في الكشف مايخالف صريح المعقول

وحدثني من كان معه ومع آخر نظير له فمرا على كلب أجرب ميت بالطريق عند دار الطعم فقال له رفيقه هذا أيضاً هو ذات الله فقال وهل ثم شيء خارج عنها نعم الجميع في ذاته

وهؤلاء حقيقة قولهم هو قول فرعون لكن فرعون ما كان يخالف أحداً فيناقضه بلم يثبت الخالق وان كان في الباطن مقراً به وكان يعرف أنه ليس هو الا مخلوق لكن حب العلو في الارض والظلم دعاه الى الجحود والانكار كما قال فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين وأما هؤلاء فهم من وجه منافقون المسلمين ولا يمكنهم

اظهار جحود الصانع ومن وجه هم ضلال يحسبون انهم على حق وان الخالق هو المخلوق فان كان قولهم هو قول فرعون لكن فرعون كان معانداً مظهراً للجحود والعناد وهؤلاء اما جهال ضلال واما منافقون مبطنون الالحاد والجحود يوافقون المسلمين في الظاهر

وحدثني الشيخ عبد السيد الذي كان قاضي اليهود ثم أسلم وكان من أصدق الناس ومن خيار المسلمين وأحسنهم اسلاما أنه كان يجتمع بشيخ منهم يقال له الشرف البلاسي يطلب منه المعرفة والعلم قال فدعاني الى هذا المذهب فقلت له قولكم يشبه قول فرعون قال ونحن على قول فرعون فقلت لعبد السيد واعترف لك بهذا قال نعم وكان عبد السيد اذ ذاك قد ذاكرني بهذا المذهب فقلت له هذا مذهب فاسد وهو يؤول الى قول فرعون فحدثني بهذا فقلت له ما ظننت أنهم يعترفون بأنهم على قول فرعون لكن مع اقرار الخصم ما يحتاج الى بينة قال عبد السيد فقلت له لا أدع موسى وأذهب الى فرعون فقال ولم قلت لأن موسى أغرق فرعون فانقطع واحتج عليه بالظهور الكوني فقلت لعبد السيد وكان هذا قبل أن يسلم نفعتك اليهودية يهودي خير من فرعوني

وفيهم جماعات لهم عبادة وزهد وصدق فيما هم فيه وهم يحسبون أنه حق وعامتهم الذين يقرون ظاهراً وباطناً بأن محمداً رسول الله وأنه أفضل الخلق أفضل من جميع الأنبياء والأولياء لا يفهمون حقيقته وهم بل يحسبون أنه تحقيق ما جاء به الرسول وأنه من جنس كلام أهل المعرفة الذين يتكلمون في حقائق الايمان والدين وهم من خواص أولياء

الله ويحسبون هؤلاء من جنس أولئك بن جنس الفضيل بن عياض وابراهيم بن أدهم وأبى سليمان الداراني والسري السقطى والجنيد بن محمد وسهل بن عبد الله وأمثال هؤلاء

وأما عرافهم الذين يعلمون حقيقة قولهم ويعلمون أنه ليس الأمر كذلك فيقولون مايقول ابن عربي ونحوه ان الاولياء أفضل من الانبياء وان خاتم الاولياء أفضل من خاتم الانبياء وان جميع الانبياء يستفيدون معرفة الله من مشكاة خاتم الاولياء وأنه يأخذ من المعدن الذى يأخذ منه الملك الذى يأتى خاتم الانبياء فانهم متجهمة متفلسفة يخرجون أقوال الفلسفة والجهمية فى قالب الكشف وعند المتفلسفة أن جبريل انما هو خيال فى نفس النبى ليس هو ملكا يأتى من السماء والنبى عندهم يأخذ من هذا الخيال وأما خاتم الاولياء فى زعمهم فانه يأخذ من العقل المجرد الذى يأخذ منه الخيال فهو يأخذ من المعدن الذى يأخذ منه الملك الذى يوحى به الى الرسول وهم يعظمون فرعون ويقولون ماقاله صاحب الفصوص قال ولما كان فرعون في منصب التحكم صاحب الوقت وان جار في العرف الناموسى لذلك قال أنا ربكم الاعلى أى وان كان الكل أربابا بنسبة ما فانا الاعلى منهم بما أعطيته في الظاهر من الحكم فيكم قال ولما علمت السحرة صدق فرعون فيما قاله لم ينكروه وأقروا له بذلك وقالوا له اقض ماأنت قاض انما تقضى هذه الحياة الدنيا قال فصح قول فرعون أنا ربكم الاعلى وان كان فرعون عين الحق

وحدثنى الثقة الذى كان منهم ثم رجع عنهم ان أفضل شيوخهم

محمد بن عبد الله صلي الله عليه وسلم قال واذا نهق الحمار ونبح الكلب سجدوا له وقالوا هذا هو الله فانه مظهر من المظاهر قال فقلت له محمد ابن عبد الله أيضاً مظهر من المظاهر فاجعلوه كسائر المظاهر وأنتم تعظمون المظاهر كلها أو انكروا عنه قال فقالوا لي محمد نبغضه فانه أظهر الفرق ودعا اليه وعاقب من لم يقل به قال فتناقضوا في مذهبهم الباطل وجعلوا الكلب والحمار أفضل من أفضل الخلق قال لي وهم يصرحون باللعنة له ولغيره من الانبياء ولا ريب أنهم من أعظم الناس عبادة للشيطان وكفراً بالرحمن

وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلي الله عليه وسلم انه قال اذا سمعتم صياح الديكة فسلوا الله من فضله فانها رأت ملكا واذا سمعتم نهيق الحمار ونباح الكلب فتعوذوا بالله من الشيطان فانها رأت شيطانا فهم اذا سمعوا نهيق الحمار ونباح الكلب تكون الشياطين قد حضرت فيكون سجودهم للشياطين

وكان فيهم شيخ جاهل من أعظمهم تحقيقاً لكن هذا لم يكن من هؤلاء الذين يسبون الانبياء وقد صنف كتابا سماه فك الازرار عن أعناق الاسرار ذكر فيه مخاطبة جرت له مع ابليس وأنه قال له ما معناه انكم قد علمتموني وقهرتموني ونحو هذا لكن جرت لي قصة تعجبت منها مع شيخ منكم فاني تجليت له فقلت انا الله لا اله الا انا فسجد لي فتعجبت كيف سجد لي قال هذا الشيخ فقلت له ذاك أفضلنا وأعلمنا وأنت لم تعرف قصده مارأى في الوجود اثنين وما رأي الا واحداً فسجد لذلك

الواحد لايميز بين ابليس وغيره فجعل هذا الشيخ ذلك الذي سجد لابليس لايميز بين الرب وغيره بل جعل ابليس هو الله هو وغيره من الموجودات جعله أفضلهم وأعلمهم

ولهذا قال ابن عربي نوحا أول رسول بعث الى أهل الارض وهو الذي جعل الله ذريته هم الباقين وأنجاه ومن معه في السفينة وأهلك سائر أهل الارض لما كذبوه فلبث في قومه ألف سنة الا خمسين عاما وعظم قومه الكفار الذين عبدوا الاصنام وانهم ماعبدوا الا الله وان خطاياهم خطت بهم فغرقوا في بحار العلم بالله وهذا عادته بنقص الانبياء و بمدح الكفار كما ذكر مثل ذلك في قصة نوح وابراهيم وموسى وهرون وغيرهم وبمدح عباد العجل وتنقص هرون وافترى على موسى فقال وكان موسى أعلم بالامر من هرون لانه علم ماعبده أصحاب العجل لعلمه بأن الله قد قضى أن لايعبد الا اياه وما قضى الله شيء الا وقع فكان عتب موسى أخاه هرون لما وقع الامر في انكاره وعدم اتساعه فان العارف من يرى الحق في كل شيء بل يراه عين كل شيء فذكر عن موسى انه عتب على هرون أنه أنكر عليهم عبادة العجل وانه لم يسع ذلك فلم ينكره فان العارف من يرى الحق في كل شيء بل يراه عين كل شيء

وهذا من أعظم الافتراء على موسى وهرون وعلى الله وعلى عباد العجل فان الله أخبر عن موسى أنه أنكر العجل انكاراً أعظم من انكار هرون وانه أخذ بلحية هرون لما لم يدعهم ويتبع موسى لمعرفة

قال تعالي وما أعجلك عن قومك ياموسى قال هم أولاء على أثرى وعجلت اليك رب لترضى قال فانا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامرى فرجع موسى الي قومه غضبان أسفا قال ياقوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا أفطال عليكم العهد ام أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدى قالوا ماأخلفنا موعدك بملكنا ولكنا حملنا أوزارا من زينة القوم فقذفناها فكذلك ألقى السامري فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقالوا هذا الهكم واله موسى فنسى أفلا يرون أن لا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا ولقد قال لهم هارون من قبل ياقوم انما فتنتم به وان ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمرى قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتي يرجع الينا موسى قال ياهارون مامنعك اذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعن أفعصيت امري قال يابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي اني خشيت أن تقول فرقت بين بني اسرائيل ولم ترقب قولى

قلت له ص هؤلاء هذا الكلام الذى ذكره هذا عن موسى وهارون يوافق القرآن أو يخالفه فقال لا بل يخالفه قلت فاحتج لقولك أما القرآن واما كلام ابن عربى وكذلك قال عن نوح قال لو أن نوحا جمع لقومه بين الدعوتين لاجابوه أي ذكر لهم فدعاهم جهارا ثم دعاهم اسرارا الى أن قال ولما علموا ان الدعوة الى الله مكر بالمدعو لانه ماعدم من البداية فيدعى الى الغاية ادعوا الي الله فهذا عين المكر على بصيرة فنبه ان الامر كله لله فاجابوه مكرا كما دعاهم فجاء المحمدى وعلم أن الدعوة الى الله ماهي من حيث هويته وانما هى من حيث

أسماؤه فقال يوم نحشر المتقين الي الرحمن وفدا فجاء بحرف الغاية وقرنها بالاسم فعرفنا ان العالم كان تحت حيطة اسم الهي أوجب عليهم أن يكونوا متقين فقالوا في مكرهم لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا فانهم اذا تركوهم جهلوا من الحق بقدر ما تركوا من هؤلاء فان للحق في كل معبود وجها يعرفه من عرفه ويجهله من يجهله كما قال في المحمديين وقضى ربك أن لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا أي حكم فالعارف يعرف من عبد وفي أي صورة ظهر حتى عبد وان التفريق والكثرة كالاعضاء في الصورة المحسوسة وكالقوي المعنوية في الصورة الروحانية فما عبد غير الله في كل معبود .

وهو دائما يحرف القرآن عن مواضعه كما قال في هذه القصة مما خطاياهم فهي التي خطت بهم فغرقوا في بحار العلم بالله وهي الحيرة فأدخلوا نارا في عين الماء في المحمديين واذا البحار سجرت سجرت التنور أوقدته فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا فكان الله عين أنصارهم فهلكوا فيه الي الابد وقوله وقضى ربك أن لا تعبدوا الا اياه بمعنى أمر وأوجب وفرض وفي القراءة الاخري ووصى ربك أن لا تعبدوا الا اياه تحمل معناه انه قدر وشاء أن لا تعبدوا الا اياه وما قدره فهو كائن تحمل معناها كل معبود هو الله وان أحدا ما عبد غير الله قط وهذا من أعظم الفرية على الله وعلى كتبه وعلى دينه وعلى أهل الارض فان الله في غير موضع أخبر ان المشركين عبدوا غير الله بل يعبدون الشيطان

كما قال تعالى ألم أعهد اليكم يابنى آدم أن لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين وأن اعبدونى هذا صراط مستقيم ولقد أضل منكم جبلا كثيرا أفلم تكونوا تعقلون وقال تعالى عن يوسف انه قال ياصاحبى السجن أ أرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ماتعبدون من دونه الا أسماء سميتموها أنتم و آباؤكم ماأنزل الله بها من سلطان ان الحكم الا لله أمر أن لاتعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لايعلمون وقال تعالى وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر فأتوا علي قوم يعكفون علي أصنام لهم قالوا ياموسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون ان هؤلاء متبر ماهم فيه وباطل ما كانوا يعملون قال أغير الله أبغيكم الها وهو فضلكم علي العالمين وقال تعالى عن الخليل اذ قال لابيه ياأبت لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئا ياأبت انى قد جاءنى من العلم مالم يأتك فاتبعنى أهدك صراطا سويا ياأبت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصيا ياأبت انى أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا قال أراغب أنت عن آلهتي ياابراهيم لئن لم تنته لارجمنك واهجرنى مليا قال سلام عليك سأستغفر لك ربى انه كان بى حفيا وأعتزلكم وماتدعون من دون الله وأدعو ربى عسى أن لاأكون بدعاء ربى شقيا فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له اسحاق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق عليا

فهو سبحانه يقول فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهؤلاء

الملحدون يقولون ما عبدنا غير الله في كل معبود

وقال تعالى واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين ولما سقط في أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين الى قوله ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا وكذلك نجزي المفترين

قال أبو قلابة هي لكل مفتر الى يوم القيامة أن يذله الله

والجهمية النفاة كلهم مفترون كما قال الامام أحمد بن حنبل انما يقودون قولهم الى فرية على الله وهؤلاء من أعظمهم افتراء على الله فان القائلين بان وجود الخالق هو وجود المخلوق هم أعظم افتراء ممن يقول انه يحل فيه وهؤلاء يجهلون من يقول بالحلول أو يقول بالاتحاد وهو ان الخالق اتحد مع المخلوق فان هذا انما يكون اذا كان شيئآن متباينان ثم اتحد أحدهما بالآخر كما قوله النصارى من اتحاد اللاهوت مع الناسوت وهذا انما يقال في شيء معين وهؤلاء عندهم ما ثم وجود لغيره حتى يتحد مع وجوده وهم من أعظم الناس تناقضا فانهم يقولون ما ثم غير ولا سوى ويقول السبعينيه ليس الا الله بدل قول المسلمين لا اله الا الله ثم يقولون هؤلاء المحجوبون لا يرون هذا فاذا كان ما ثم غير ولا سوى فمن المحجوب ومن الحاجب ومن الذي ليس بمحجوب وعما حجب وقد أثبتوا أربعة أشياء قوم محجوبون وقوم ليسوا بمحجوبين وأمرا انكشف لهؤلاء وحجب عن أولئك فأين هذا من

قولهم منهم انسان ولا وحودان كما حدثني الثقة أنه قال للتلمساني فعلى قولكم لا فرق بين امرأة الرجل وأمه وبنته قال نعم الجميع عندنا سواء لكن هؤلاء المحجوبون قالوا حرام فقلنا حرام عليكم وقيل لهم فمن المخاطب المحجوبين أهو هم أم غيرهم فان كانوا هم فقد حرم على نفسه لما زعم انه حرام عليهم دونه وان كانوا غيره فقد أثبت غيرين وعندهم ماثم غير وهؤلاء اشتبه عليهم الواحد بالنوع بالواحد بالعين فانه يقال الوجود واحد كما يقال الانسانية واحدة والحيوانية واحدة أي يعني واحدا كليا وهذا الكلي لايكون كليا الا في الذهن لا في الخارج فظنوا هذا الكلي ثابتا في الخارج ثم ظنوه هو الله

وليس في الخارج كلي مع كونه كليا وانما يكون كليا في الذهن واذا قدر في الخارج كلي فهو جزء من المعينات وقائم بها ليس هو متميزا قائما بنفسه كحيوانية الحيوان وانسانية الانسان سواء قدرت معينة أو مطلقة هي صفة له ويمتنع أن يكون صفة الموصوف مبدعة له ولو قدر وجودها مجردا عن الاعيان على رأي من أثبت المثل الافلاطونية فتثبت الماهيات الكلية مجردة عن الموصوفات ويدعي انها قديمة أزلية مثل انسانية مجردة وحيوانية مجردة وهذا خيال باطل وهذا الذي جعله مجردا هو مجرد في الذهن وليس في الخارج كلي مجرد واذا قدر ثبوت كلي مجرد في الخارج وهو مسمى الوجود فهذا يتناول وجود المحدثات كلها كما يتناول وجود القديم وهذا لايكون مبدعا لشيء ولا اختصاص له بصفات الكمال ولا يوصف بأنه حي عليم قدير اذ ليس وصفه بذلك بأولى من

وصفه بأنه عاجز جاهل ميت والخالق لا بد أن يكون حيا عالما قديرا سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا ثم لو قدر أن هذا هو الخالق فهذا غير الأعيان الموجودة المخلوقة فقد ثبت وجودان أحدهما غير الآخر وأحدهما محدث مخلوق فيكون الآخر الخالق غير المخلوق ولا يمكن جحد وجود الأعيان المعينة ولكن الواحد من هؤلاء قد يغيب عن شهود المعينات كما يغيب عن شهود نفسه ويظن أن ما لم يشهده قد عدم في نفسه وفنى وليس كذلك فإن ما عدم وفني شهوده له وعلمه به ونظره إليه فالمعدوم الفاني صفة هذا الشخص وإلا فالموجودات في نفسها باقية على حالها لم تتغير وعدم العلم ليس علما بالمعدوم وعدم الشهود ليس شهودا للعدم ولكن هذه الحال تعتري كثيرا من السالكين يغيب أحدهم عن شهود نفسه وغيره من المخلوقات وقد يسمون هذا فناء واصطلاما وهذا فناء عن شهود تلك المخلوقات لا أنها في نفسها فنيت ومن قال فنى ما لم يكن وبقي ما لم يزل فالتحقيق إذا كان صادقا أنه فنى شهوده لما لم يكن وبقي شهوده لما لم يزل لا أن ما لم يكن في نفسه فانه باق موجود ولكن يتوهمون إذا لم يشهدوه أنه قد عدم في نفسه

ومن هنا دخلت طائفة في الاتحاد والحلول فأحدهم قد يذكر الله حتى يغلب على قلبه ذكر الله ويستغرق في ذلك فلا يبقى له مذكور مشهود لقلبه إلا الله ويفنى ذكره وشهوده لما سواه فيتوهم أن الأشياء قد فنيت وأن نفسه فنيت حتى يتوهم أنه هو الله وأن الوجود هو الله

ومن هذا الباب غلط أبي يزيد ونحوه حيث قال مافي الجنة الا الله وقد بسط هذا في غير هذا الموضع وبين انه يعبر بالفناء عن ثلاثة أمور *أحدها أنه يعني بعبادة الله عن عبادة ماسواه وبمحبته وطاعته وخشيته ورجائه والتوكل عليه عن محبة ماسواه وطاعته وخشيته ورجائه والتوكل عليه وهذا هو حقيقة التوحيد الذي بعث الله به الرسل وانزل به الكتب وهو تحقيق شهادة أن لا اله الا الله فيفني من قلبه التأله لغير الله ويبقى في قلبه تأله الله وحده ويفني من قلبه حب غير الله وخشية غير الله والتوكل على غير الله ويبقى في قلبه حب الله وخشية الله والتوكل على الله وهذا الفناء يجامع البقاء فيتخلى القلب عن عبادة غير الله مع تحلي القلب بعبادة الله وحده كما قال صلى الله عليه وسلم لرجل قل أسلمت لله وتخليت وهو تحقيق شهادة أن لا اله الا الله نافي مع الاثبات نفي الهية غيره مع اثبات الهيته وحده فانه ليس في الوجود اله الا الله ليس فيه معبود يستحق العبادة الا الله فيجب أن يكون هذا ثابتا في القلب فلا يكون في القلب من يألهه القلب ويعبده الا الله وحده ويخرج من القلب كل تأله لغير الله ويثبت فيه تأله الله وحده اذ كان ليس ثم اله الا الله وحده وهذه الولاية لله مقرونة بالبراءة والعداوة لكل معبود سواه ولمن عبدهم قال تعالى عن الخليل عليه السلام واذ قال ابراهيم لأبيه وقومه انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني فانه سيهدين وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون

وقال أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الاقدمون فانهم عدولي الا رب العالمين

وقال تعالى قد كانت لكم أسوة حسنة في ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده

قلت لبعض مخاطبته من شيوخ هؤلاء قول الخليل انني برىء مما تعبدون ممن تبرأ الخليل اتبرأ من الله تعالى وعندكم ما عبد غير الله قط والخليل قد تبرأ من كل ما كانوا يعبدون الا من رب العالمين وقد جعل الله لنا ولمن معه أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر قال تعالى قد كانت لكم أسوة حسنة في ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده الاقول ابراهيم لابيه لأستغفرن لك وما أملك لك من الله من شيء ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير ربنا لاتجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا انك أنت العزيز الحكيم لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ومن يتول فان الله هو الغني الحميد وقد قال صلى الله عليه وسلم أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد * ألا كل شيء ماخلا الله باطل * وهذا تصديق قوله تعالى ذلك بأن الله هو الحق وأن مايدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلي الكبير وقال تعالى فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق الا الضلال فأنى تصرفون وقال سبحانه كل شيء هالك الا وجهه قال طائفة من السلف كل عمل باطل الا ما أريد به وجهه وقد قال سبحانه ولا يصدنك عن آيات الله بعد اذ أنزلت اليك

وادع الى ربك ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله الها آخر والاله
هو المألوه أى المستحق لان يؤله أى يعبد ولا يستحق أن يؤله ويعبد
الا الله وحده وكل معبود سواه من لدن عرشه الى قرار أرضه باطل
وفعال بمعنى مفعول مثل لفظ الركاب والحمال بمعنى المركوب والمحمول
وكان الصحابة يرتجزون في حفر الخندق يقولون

هذا الحمال لا حمال خيبر * هذا أبر ربنا وأطهر

واذا قيل هذا هو الامام فهو الذي يستحق أن يؤتم به كما قال تعالى
لابراهيم انى جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدى
الظالمين فعهده بالامامة لا ينال الظالم فالظالم لا يجوز أن يؤتم به فى ظلمه
ولا يركن اليه كما قال تعالى ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار فبين
انه من لا يصلح للامامة فقد ظلم نفسه فكيف بمن جعل مع الله الها
آخر وعبد من لا يصلح للعبادة والله تعالي لا يغفر أن يشرك به ويغفر
ما دون ذلك لمن يشاء (وقد غلط) طائفة من أهل الكلام فظنوا ان
الاله بمعنى الفاعل وجعلوا الألهية هي القدرة والربوبية فالاله هو القادر
وهو الرب وجعلوا العباد مألوهين كما أنهم مربوبون * فالذين يقولون
بوحدة الوجود مشاركون فى أمور لكن امامهم ابن عربي يقول الاعيان
ثابتة في العدم ووجود الحق فاض عليها ولهذا قال ونحن جعلناه
بمألوهيتنا الها فزعم ان المخلوقات جعلت الرب الها لها حيث كانوا مألوهين
ومعنى مألوهين عنده مربوبين وكونهم مألوهين حين كانت أعيانهم
ثابتة في العدم وفى كلامهم من هـذا وأمثاله مما فيه تنقص بالربوبية مالا

يحصى وتعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا

والتحقيق ان الله خالق كل شئ والمعدوم ليس بشئ في الخارج ولكن الله يعلم ما يكون قبل أن يكون ويكتبه وقد يذكره ويخبر به فيكون شيئا في العلم والذكر والكتاب لا في الخارج كما قال انما أمره اذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون والله سبحانه خالق الانسان ومعلمه فهو الذي خلق الانسان من علق وهو الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم ولو قدر أن الاله بمعنى الرب فهو لذي جعل الرب مربوبا فيكون على هذا هو الذي جعل المألوه مألوها والمربوب لم يجعله ربا بل ربوبيته صفة وهو الذي خلق المربوب وجعله مربوبا وهو اذا آمن بالرب واعتقد ربوبيته وأخبر بها كان قد اتخذ الله ربا ولم يبغ ربا سوى الله ولم يتخذ ربا سواه كما قال تعالى قل أغير الله أبغي ربا وهو رب كل شئ وقال تعالى أغير الله أتخذ وليا فاطر السموات والارض وقال ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد اذ أنتم مسلمون وهو أيضا في نفسه هو الاله الحق لا اله غيره فاذا عبده الانسان فقد وحده ولم يجعل معه الها آخر ولا اتخذ الها غيره قال تعالى فلا تجعل مع الله الها آخر فتكون من المعذبين وقال تعالى ولا تجعل مع الله الها آخر فتقعد مذموما مخذولا وقال ابراهيم لابيه آزر أتتخذ أصناما آلهة انى أراك وقومك في ضلال مبين فالمخلوق ليس باله في نفسه لكن عابده اتخذه الها وجعله الها وسماه الها وذلك كله باطل لا ينفع صاحبه بل يضره كما أن الجاهل اذا اتخذ اماما ومفتيا

وقاصيا كان ذلك باطلا فانه لا يصلح أن يؤم ولا يتقى ولا يقصى وغير الله لا يصلح أن يتخذ الها يعبد ويدعى فانه لا يخلق ولا يرزق وهو سبحانه لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع ولا ينفع ذا الجد منه الجد ومن دعا من لا يسمع دعاءه أو يسمع ولا يستجيب له فدعاؤه باطل وضلال وكل من سوى الله اما انه لا يسمع دعاء الداعي أو يسمع ولكن لا يستجيب له فان غير الله لا يستقل بفعل شيء البتة وقد قال تعالى قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيهما من شرك وماله منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له فغير الله لا مالك لشيء ولا شريك في شيء ولا هو معاون للرب في شيء بل قد يكون له شفاعة اذا كان من الملائكة والانبياء والصالحين ولكن لا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له فلا بد أن يأذن للشافع أن يشفع وأن يأذن للمشفوع له أن يشفع له ومن دونه لا يملكون الشفاعة البتة فلا يصلح من سواه لان يكون الها معبودا كما لا يصلح أن يكون خالقا رازقا لا اله الا هو وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير

﴿ فصل ﴾ وهؤلاء كان من أعظم أسباب ضلالهم مشاركتهم للفلاسفة وتلقيهم عنهم فان أولئك القوم من أبعد الناس عن الاستدلال بما جاء به الرسول فان الرسول بعث بالبينات والهدي بين الادلة العقلية وبخبر الناس بالغيب الذي لا يمكنهم معرفته بعقولهم وهؤلاء المتفلسفة يقولون انه لم يفد الناس علما بخبره ولا بدلالته وانما خاطب خطابا جمهوريا ليصلح به العامة ويعتقدوا في الرب والمعاد اعتقادا ينفعهم وان كان كذبا

وباطلا وحقيقة كلامهم ان الانبياء تكذب فيما تخبر به لكن كذبا للمصلحة فامتنع أن يطلبوا من خبرهم علما واذا لم تكن أخبارهم مطابقة للمخبر فكيف يثبتون أدلة عقلية على ثبوت ما أخبروا به والمتكلمون الذين يقولون انهم لا يخبرون الا بالصدق ولكن يشككون في العقليات غير طريقتهم مبتدعون مع اقرارهم بأن القرآن اشتمل على الادلة العقلية فكيف هؤلاء الملاحدة المعترين ولهذا لا يعتنون بالقرآن ولا بتفسيره ولا بالحديث وكلام السلف وان تعلموا من ذلك شيأ فلاجل تعلق الجمهور به ليعيشوا بينهم بذكره لا لاعتقادهم موجبه في الباطن وهذا بخلاف طوائف المتكلمين فانهم يعظمون القرآن في الجملة وتفسيره مع ما فيهم من البدع* ولهذا لما استولى التتار على بغداد وكان الطوسي منجما لهولاكو استولى على كتب الناس الوقف والملك فكان كتب الاسلام مثل التفسير والحديث والفقه والرقائق يعدمها وأخذ كتب الطب والنجوم والفلسفة والعربية فهذه عنده هي الكتب المعظمة وكان بعض من أعرفه قارئا خطيبا لكن كان يعظم هؤلاء ويرتاض رياضة فلسفية سحرية حتى استخدم الجن وكان بعض الشياطين ألقى اليه ان هؤلاء يستولون على دار الاسلام فكان يقول لبعض أصحابنا يافلان عن قليل ترى هذا الجامع جامع دمشق يقرأ فيه المنطق والطبعي والرياضي والالهي ثم يرضيه ويقول والعربية أيضا والعربية انما احتاج المسلمون اليها لاجل خطاب الرسول بها فاذا أعرض عن الاصل كان أهل العربية بمنزلة شعراء الجاهلية أصحاب المعلقات السبع ونحوهم من حطب النار

(فصل) أول التفرق والابتداع في الاسلام بعد مقتل سيدنا عثمان وافتراق المسلمين فلما اتفق على ومعاويه على التحكيم أنكرت الخوارج ، قالوا لا حكم الا لله وفارقوا جماعة المسلمين فارسل اليهم ابن عباس فناظرهم فرجع نصفهم والآخرون أغاروا على ماشية الناس واستحلوا دماءهم فقتلوا ابن خباب وقالوا كلنا قتله فقاتلهم علي وأصل مذهبهم تعظيم القرآن وطلب أتباعه لكن خرجوا عن السنة والجماعة فهم لا يرون اتباع السنة التي يظنون أنها تخالف القرآن كالرجم ونصاب السرقة وغير ذلك فضلوا فان الرسول أعلم بما أنزل الله عليه والله قد أنزل عليه الكتاب والحكمة وجوزوا على النبي أن يكون ظالما فلم ينفذوا لحكم النبي ولا لحكم الأئمة بعده بل قالوا ان عثمان وعليا ومن والاهما قد حكموا بغير ما أنزل الله ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الكافرون فكفروا المسلمين بهذا وبغيره وتكفيرهم وتكفير سائر أهل البدع مبنى على مقدمتين باطلتين احداهما ان هذا يخالف القرآن والثانيه ان من خالف القرآن يكفر ولو كان مخطئا أو مذنبا معتقدا للوجوب والتحريم

وبازائهم الشيعة غلوا في الأئمة وجعلوهم معصومين يعلمون كل شيء وأوجبوا الرجوع اليهم في جميع ماجاءت به الرسل فلا يرجعون لا على القرآن ولا على السنة بل على قول من ظنوه معصوما وانتهى الامر الى الائتمام بامام معدوم لا حقيقة له فكانوا أضل من الخوارج فان أولئك يرجعون الى القرآن وهو حق وان غلطوا فيه وهؤلاء لا يرجعون

الى شيء بل الى معدوم لا حقيقة له ثم انما يتمسكون بما ينقل لهم عن بعض الموتى فيتمسكون بنقل غير مصدق عن قائل غير معصوم . ولهذا كانوا أكذب الطوائف والخوارج صادقون فحديثهم من أصح الحديث وحديث الشيعة من أكذب الحديث ولكن الخوارج دينهم المعظم مفارقة جماعة المسلمين واستحلال دمائهم وأموالهم والشيعة تختار هذا لكنهم عاجزون والزيدية تفعل هذا والامامية تارة تفعله وتارة يقولون لا نقاتل الا تحت راية امام معصوم والشيعة استتبعوا أعداء الملة من الملاحدة والباطنية وغيرهم ولهذا أوصت الملاحدة مثل القرامطة الذين كانوا في البحرين وهم من أكفر الخلق ومثل قرامطة المغرب ومصر وهم كانوا يستترون بالتشيع أوصوا بأن يدخل على المسلمين من باب التشيع فانهم يفتحون الباب لكل عدو للاسلام من المشركين وأهل الكتاب والمنافقين وهم من أبعد الناس عن القرآن والحديث كما قد بسط هذا في مواضع

والمقصود ان النبي صلى الله عليه وسلم قال انى تارك فيكم الثقلين كتاب الله فحض على كتاب الله ثم قال وعترتي أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي ثلاثا فوصى المسلمين بهم لم يجعلهم أئمة يرجع المسلمون اليهم فانتحلت الخوارج كتاب الله وانتحلت الشيعة أهل البيت وكلاهما غير متبع لما انتحله فان الخوارج خالفوا السنة التي أمر القرآن باتباعها وكفروا المؤمنين الذين أمر القرآن بموالاتهم ولهذا تأول سعد بن أبي وقاص فيهم هذه الآية وما يضل به الا الفاسقين الذين ينقضون عهد

الله من بعد ميثاقه ويقطعون ماأمر الله به أن يوصل ويفسدون في الارض وصاروا يتبعون المتشابه من القرآن فيتأولونه على غير تأويله من غير معرفة منهم بمعناه ولا رسوخ فى العلم ولا اتباع للسنة ولا مراجعة لجماعة المسلمين الذين يفهمون القرآن واما مخالفة الشيعة لاهل السنة فكثيرة جدا قد بسطت فى مواضع

(فصل) ثم حدث في آخر عصر الصحابة القدرية وكانت الخوارج تتكلم فى حكم الله الشرعي أمره ونهيه ومايتبع ذلك من وعده ووعيده وحكم من وافق ذلك ومن خالفه ومن يكون مؤمنا وكافرا وهي مسائل الاسماء والاحكام وسموا محكمة لخوضهم في التحكيم بالباطل وكان الرجل اذا قال لاحكم الا لله قالواهو محكم أى خائض في حكم الله فخاض أولئك فى شرع الله بالباطل وأما القدرية فخاضوا فى قدره بالباطل وأصل ضلالهم ظنهم ان القدر يناقض الشرع فصاروا حزبين حزبا يعظمون الشرع والامر والنهي والوعد والوعيد واتباع مايحبه الله ويرضاه وهجر مايبغضه وما يسخطه وظنوا ان هذا لايمكن أن يجمع بينه وبين القدر فقطعوا ماأمر الله به أن يوصل ونقضوا عهد الله من بعد ميثاقه كما قطعت الخوارج ماأمر الله به أن يوصل من اتفاق الكتاب والسنة وأهل الجماعة ففرقوا بين الكتاب والسنة وفرقوا بين الكتاب وجماعة المسلمين وفرقوا بين المسلمين فقطعوا ماأمر الله به أن يوصل وكذلك القدرية فصاروا حزبين حزبا يغلب الشرع فيكذب بالقدر وينفيه أو ينفي بعضه وحزبا يغلب القدر فينفي الشرع فى الباطن أو ينفي حقيقته

ويقول لافرق بين ماأمر الله به وما نهى عنه في نفس الأمر الجميع سواء وكذلك أولياؤه واعداؤه وكذلك ماذكر انه يحبه وذكر انه يبغضه لكنه فرق بين المتماثلين بمحض المشيئة يأمر بهذا وينهى عن مثله فجحدوا الفرق والفصل الذي بين التوحيد والشرك وبين الايمان والكفر وبين الطاعة والمعصية وبين الحلال والحرام كما أن أولئك وان أقروا بالفرق فأنكروا الجمع وانكروا أن يكون الله على كل شئ قدير ومنهم من أنكر أن يكون الله بكل شيء عليما وأنكروا أن يكون خالقا لكل شئ وأن يكون ماشاء كان ومالم يشأ لم يكن وأنكروا أن يكون الله فعالا لما يشاء وأثبتوا لغير الله الانفراد بالاحداث وشركاء خلقوا كخلقه كما فعلت المجوس واعتقدوا انه لايمكن الايمان بأمره ونهيه الا مع تعجيزه أو تجهيله وانه لايمكن أن يوصف بالاحسان والكرم ان لم يجعل عاجزا والا لزم أن يكون بخيلا كما أن القدرية المجبرة قالوا لايمكن أن يجعل عالما قادرا الا بتسفيهه وتجويره فهؤلاء نفوا حكمته وعدله وأولئك نفوا قدرته ومشيئته أوقدرته ومشيئته وعلمه وهؤلاء ضاهوا المجوس في الاشراك بربوبيته حيث جعلوا غيره خالقا وأولئك ضاهوا المشركين الذين لايفرقون بين عبادته وعبادة غيره بل يجوزون عبادة غيره كما يجوزون عبادته ويقولون لوشاء الله ماأشركنا الآية وهؤلاء منتهى توحيدهم توحيد المشركين وهو توحيد الربوبية فاما توحيد الالهية المتضمن للامر والنهي ولكون الله يحب ماأمر به ويبغض مانهى عنه فهم ينكرونه ولهذا هم أكثر اتباعا لاهوائهم وأكثر شركا

وكثيرا من المتصوفة ومتبعيهم منهم وغيرهم يجوزون [illegible] هذا الاستسلام
وأن العارف لا يستحسن حسنة ولا يستقبح سيئة كما ذكر ذلك
صاحب منازل السائرين وأما نفاته لأمر فاحتج بها آخرون منهم كالرازي
صنف فيها مصنفا وابن عربي وابن سبعين وأمثالهما [illegible]
عادتها وبالانكار على من انكر ذلك وهم متناقضون في ذلك فالقدرية
أصلهم انه لا يمكن اثبات قدرته وحكمته اذ لو كان قادرا على أن يفعل غير
مافعل فلما لم يفعله دل على أنه غير قادر وقالوا [illegible]
حكمته لأن نفي ذلك يوجب السفه والظلم وهو منزه عنه فلأنه لم يفعل
غايته أنه معذور اذا لم يفعله فلا يلام عليه وقيل [illegible] فيه غاية
بلا حكمة ولا يجوز أن يفعل لحكمة لأن ذلك [illegible] الى
الفعل وهو منزه عن الحاجة ولا عدل ولا ظلم بل كل ما أمكن فعله فهو
عدل وليس في الأفعال ماهو حسن [illegible] الأمر به وقبيح [illegible] النهي
عنه ولا معروف ومنكر بل يجوز أن يأمر بكل شيء وينهى عن كل شيء

ثم من حقق منهم أنكر الشرع بالكلية [illegible] مع أنه
مضطر الى ان يأمر بشيء وينهى عن شيء فان هذا الامر لازم للخلق
لا يجدون عنه محيصا لكن من اتبع الانبياء يأمر بما [illegible] وينهى عنه
وينهى عما [illegible] ومن خالف الانبياء فلابد أن يأمر
بشر وينهى عما ينفع فيستحق عذاب الدنيا والآخرة وأما من كان
منهم مقرا بالنبوة فانكر الشرع في الباطن وقال العارف لا يستحسن
حسنة ولا يستقبح سيئة وصار منافقا [illegible]

الشرع لأجل المارستان ولهذا يسمون باطنية كما سموا الملاحدة باطنية فإن كلاهما يبطن خلاف ما يظهر يبطنون تعطيل ما جاء به الرسول من الأمر والنهي

فمنتهى الجهمية المجبرة اما مشركون ظاهراً وباطناً واما منافقون يبطنون الشرك ولهذا يظنون بالله ظن السوء وأنه لا ينصر محمداً وأتباعه كما قال تعالى ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيراً وهم يعملون بقوله لا يسئل عما يفعل وأنه يفعل ما يشاء ولذلك لما ظهر المشركون التتار وأهل الكتاب كثر في عبادهم وعلمائهم من صار مع المشركين وأهل الكتاب وارتد عن الإسلام اما باطناً وظاهراً واما باطناً وقال انه مع الحقيقة ومع المشيئة الالهية وصاروا يحتجون لمن هو معظم للرسل عما يوافق على تكذيبه بأن ما يفعله من الشرك والخروج عن الشريعة وموالاة المشركين وأهل الكتاب والدخول في دينهم ومجاهدة المسلمين معهم هو بأمر الرسول فتارة يأتيهم شياطينهم بما يحملون لهم أنه مكتوب من نور وأن الرسول أمر بقتال المسلمين مع الكفار لكون المسلمين قد عصوا ولما ظهر أن مع المشركين وأهل الكتاب خفراً لهم من الرجال المسلمين رجال الغيب وان لهم خوارق تقتضي أنهم أولياء الله صار الناس من أهل العلم ثلاثة أحزاب حزب يكذبون بوجود هؤلاء ولكن عاينهم الناس وثبت ذلك عمن عاينهم أو حدثه الثقاة بما رآه هؤلاء اذ رأوهم أو تيقنوا وجودهم خضعوا لهم

وحرب عن [illegible] م ورجعوا الى [illegible] واعتمدوا أن ثم في الناس من [illegible]
الى الله عن طريقه الانبياء وحرب ما [illegible] من أن يسموا أولياء [illegible]
عن دائرة الرسول وقالوا يكون الرسول هو [illegible] لا [illegible]
فهؤلاء معطلون للرسول [illegible] [illegible]
لا ساع دين [illegible] وطرائق [illegible] رسله

وكان هذه الاقوال الثلاثة [illegible]
ذلك ان هؤلاء من اتباع الشياطين وان [illegible]
الذين مع الكفار شياطين [illegible] الانس [illegible]
شيطان من شياطين الانس أعداء الانبياء [illegible]
لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن [illegible] الى
القول غرورا

وكان سبب الضلال عدم الفرقان بين أولياء الرحمن [illegible]
الشيطان وأصله قول الجهمية الذين يسمون [illegible] الحلولية [illegible]
بين المحبوب والمسخوط ثم أنه [illegible]
ولما جاء قازان وقد أسلم دمشق [illegible] أمه [illegible]
اليه [illegible] كانوا قد ارتدوا [illegible] كفاراً مع [illegible]

وحضر عندي [illegible] واعتقاد [illegible] عن الاسلام
[illegible] له [illegible]
الرسول [illegible] المسلمين كاهل [illegible]
[illegible] فالجيش الكفار [illegible]

هؤلاء فان هؤلاء كن يرس احدا رآ فأخذ أولئك المشركون عشرات ألوف من حرائر المسلمين وسراريهم باختيارهم وردوهم عن الاسلام الى الكفر وأظهروا الشرك وعبادة الاصنام ودين النصارى وتعظيم الصليب حتى بقي المسلمون مقهورين مع المشركين وأهل الكتاب مع أضعاف ما كان يعمل من المعاصي فهل يأمر محمد صلى الله عليه وسلم بهذا ويرضى بهذا فتبين له وقال لا والله وأخبرني عن رؤية من ارتد من الشيوخ عن الاسلام لما كانت شياطين المشركين تكرههم على الردة في الباطن وتعذبهم ان لم يردوا

ولما كان هذا اضعف ايمانهم وتوحيدهم والمادة التي تشهدونها من جهة الرسول والا فالشياطين لا سلطان لهم على قلوب الموحدين وهذا وامثاله ما كانوا يعتقدون أنهم شياطين بل انهم رجال من رجال الغيب الانس وكلهم الله بتصريف الامر

فبين لهم ان رجال الغيب هم الجن كما قال تعالي وأنه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا ويظن أحد الانس من جهله وغلطه فان الانس يؤنسون أي يشهدون ويرون ا يحتجب الانسي أحيانا لا يكون دائما محتجبا عن أبصار الانس بخلاف الجن فانهم كما قال الله انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم وكان ع هذا من المشايخ من يذكر عن الشيخ محمد بن السكران ان هو لا ملك المشركين لما دخل بغداد رأى ابن السكران شيخاً محلوق الرأ على صورة شيخ من مشايخ الدين والطريق آخذا بفرس هولا كو ق

فاذا رأيته أنكرت هذا واستعظمت أن يكون شيخ من شيوخ المسلمين يدعو وهو من ملك المشركين لقتل المسلمين فذهب بإذنه أو كلمة نحو هذا فقال أمر بأمر أو قال له هل يفعل هذا بأمر أو فعلت هذا بأمر فقال نعم بأمر فسكت عن الذكران وأعجبه هذا الجواب وقال هذا أقاله عامة بالفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان وظن أن ما يقع في قلوب الشيوخ في قلوبهم هو من الله وان من قال حدثني قلبي عن ربي فان الله هو يناجيه ومن قال أخذتم علمكم ميتا عن ميت وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت هو كذلك وهذا أضل من ادعى الاستغناء عن الانبياء وانه لا يحتاج الى واسطتهم

وجواب هذا أن يقال له من من نوع بأمر وان قال بأمر الله فهل بأمر الله الذي بعث به رسوله وأنزل به القرآن أم بأمر وقع في قلبك فان قال بالاول ظهر كذبه فانه ليس مما يأمر الله به رسوله أن يأتي بالكفار المشركين وأهل الكتاب لقتل المسلمين وسبيهم وأخذ أموالهم لأجل دنيا يطلبونها وتجعل الدار بعد بها الاوثان ويضرب فيها بالنواقيس ويقتل قراء القرآن وأهل العلم بالشرع ويعظم البخشية علماء المشركين ويقدم النصارى وأمثال ذلك فان هؤلاء أعظم عداوة لمحمد صلى الله عليه وسلم وهو من جنس مشركي العرب الذين قاتلوه يوم أحد وأولئك عصاة من عصاة أمته وان كان فيهم منافقون كثيرون فالمنافقون يبطنون نفاقهم وان قال بأمر وقع في قلبي لم يكذب لكن يقال من أين لك أن هذا رحماني ولم لا يكون الشيطان هو الذي أمرك بهذا وقد علمت أن ما يقع في قلوب

المشركين وأهل الكتاب هو من الشطار فان رجع الى توحيد الربوبية وان الجميع بمشيئته قيل له حينئذ تكون ما فعله الشطار والمشركون وأهل الكتاب هو بالامر ولا ريب انه بالامر الكونى القدرى جميع الخلق داخلون تحته لكن من فعل بمجرد هذا الامر لا بامر الرسول فانما يكون من جنس شياطين الانس والجن وهو مستوجب لعذاب الله فى الدنيا والآخرة وهو عابد امر الله متبع لهواه وهو ممن قال الله فيه لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين وممن قال فيهم الشيطان فبعزتك لاغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين قال الله ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين وقال تعالى انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون وقال تعالى انا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل ان الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله مالا تعلمون فكيف تأمر بالشرك والكفر وتسلط الكفار من المشركين وأهل الكتاب على المسلمين وقتل الكفار للمسلمين هذا لا يأمر الله به كما لا يأمر بالفحشاء فان هذا من أفحش الفواحش اذا جعلت الفاحشة اسما لكل ما يعظم قبحه فكانت جميع القبائح السيئة داخلة فى الفحشاء

وكان أيضا بالشام بعض أكابر الشيوخ بعلبك الشيخ عثمان شيخ دير ناعس يأتيه جعفر الفرج النصارى راكبا أسدا ويخلو به ويباحثه ويقول ياشيخ عثمان وكان يحفظ جماريزهم فيصدره عثمان وأتباعه فى

دلك ويرون ان الله أمره بهذا كما أمر الخضر أن يعمل ما عمل كما عمر ابن السكران وأمثاله لحمراء المشركين النار

والجواب لهذا كالجواب لذلك يقال له وكان الله تعالى بهذا أمر على لسان نبيه الذين أمر أن توالي المسلمين وأن لا تتخذ اليهود والنصارى أولياء بل أمرك أن تبغضهم وتجاهدهم بما استطعت هو أمرك أن تتوكل بحفظ جارهم فان قال هذا ظهر كذبه وان قال بل هو أمر ألقي في قلبي لم يكذب وقيل له فهذا من أمر الشيطان لا من أمر الله الذي أنزل به كتابه وأرسل به رسله وتكلمه من الامر الذي لو فعله كفعل المشركين الذين قالوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا

ومن هؤلاء من يظن الرجال الذين يوكلون بهم الملائكة وأهل الكتاب هم أولياء الله ولا يجب عليهم اتباع الرسول كما أن الموكلة ببني آدم الملائكة

وكان الشيخ كان من شيوخهم محمد أرسل الى الثقلين الانس والجن ولم يرسل الى الملائكة فكل انسي أو جني خرج عن الاتباع له فهو عدو لله لا ولي لله بخلاف الملائكة

ثم يقال له الملائكة لا يعاونون الكفار على المعاصي ولا على قتال المسلمين وانما يعاونهم على ذلك الشياطين ولكن الملائكة قد تكون موكلة بخلقهم ورزقهم وكتابة أعمالهم فان ذلك ليس بعصية فهذا الجواب بالفرق بينهم وبين الملائكة من هذين الوجهين

وقد ظهر أنهم من جنس الشياطين لا من جنس الملائكة وان

هذا الشيخ هو وأبوه من فقراء الكفار وكان والده يقال له محمد الخالدي نسبة الى شيطان كان يقترن به يقال له الشيخ خالد وهم يقولون انه من الانس من رجال الغيب

وحدثني الثقة عنه انه كان يقول الانبياء ضيعوا الطريق ولعمري لقد ضيعوا طريق الشياطين شياطين الانس والجن وهؤلاء المشايخ لدين كثير من المسلمين ولكن يوالون الشيوخ الذين يوالون المشركين الذين هم فقراء الكفار ويظنون أنهم من أولياء الله اشتركوا هم وهم في أصل ضلالة وهو انهم جعلوا الخوارق الشيطانية من جنس الكرامات الرحمانية ولم يفرقوا بين أولياء الرحمن كما قال تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين فهؤلاء وهؤلاء عشوا عن ذكر الرحمن الذي أنزله وهو الكتاب والسنة وعن الروح الذي أوحاه الله الى نبيه الذي جعله الله نورا يهدي به من يشاء من عباده وبه يحصل الفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ولم يفرقوا بين آيات الانبياء ومعجزاتهم وبين خوارق السحرة والكهان اذ هذا مذهب الجهمية المجبرة وهؤلاء كلهم يشتركون في هذا المذهب فلا يجعلون الله يحب ما أمر به ويبغض ما نهى عنه بل يجعلون كل ما قدره وقضاه فانه يحبه ويرضاه فتبقى جميع الامور عندهم سواء وانما يتميز نوع من الخوارق فمن كان له خارق جعلوه من أولياء الله وجعلوا له اما اتباعا له واما موافقة له ومحبة واما ان يسلموا له حاله فلا يحبوه ولا يبغضوه اذ كانت قلوبهم لم يبق فيها من الايمان ما يأمرون به بالمعروف وينكرون به المنكر في هذا

الموضع

وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من
رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه
وذلك أضعف الإيمان وفي رواية لمسلم من جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن
جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ليس وراء
ذلك من الإيمان حبة خردل وعيب الأحبار الذين لا يأمرون بمعروف
ولا ينكرون منكرا وفي حديث حذيفة الذي في صحيح مسلم أن الفتنة
تعرض على القلوب كعرض الحصير عودا عودا فأيما قلب أنكرها نكت
فيه نكتة بيضاء وأيما قلب أشربها نكتت فيه نكتة سوداء حتى تعود
القلوب على قلبين قلب أبيض مثل الصفا لا تضره فتنة ما دامت السماء
والأرض وقلب أسود مرباد لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا إلا
ما أشرب من هواه

فهؤلاء العباد الزهاد الذين عبدوا الله بآرائهم وذوقهم ووجدهم
لا بالأمر والنهي منتهاهم اتباع أهوائهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير
هدى من الله لا سيما إذا كانت حقيقتهم هي قول الجهمية المجبرة فرأوا
أن جميع الكائنات اشتركت في المشيئة ولم يميزوا بعضها عن بعض فإن الله
يحب هذا ويرضاه وهذا يبغضه ويسخطه فإن الله يحب المعروف ويبغض
المنكر فإذا لم يفرقوا بين هذا وهذا نكت في قلوبهم نكت سوداء فسود
قلوبهم فيكون المعروف ما يهوونه ويحبونه ويجدونه ويذوقونه ويكون
المنكر ما يهوون بغضه وتنفر عنه قلوبهم كالمشركين الذين كانوا عن

التذكرة معرضين كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة ولهذا يوحدون هؤلاء وأتباعهم من ينفرون عن القرآن والشرع كما تنفر الحمر المستنفرة التي تفر من الرماة ومن الاسد ولهذا يوصفون بانهم اذا قيل لهم قال المصطفى نفروا

وكان الشيخ ابراهيم بن معضاد يقول لمن رآه من هؤلاء كاليونسية والاحمدية ياخنازير ياأبناء الحمار ر ماأرى لله ورسوله عندكم رائحه بل يريد كل منهم أن يؤتى صحفا منشرة كل منهم يريد أن يحدثه الله عن ربه ويأخذ عن الله بلا واسطة الرسول واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ماأوتي رسل الله الله أعلم حيث يجعل رسالاته وبسط هذا له موضع آخر

والمقصود هنا ان قول القدرية الجهمية المجبرة أعظم مناقضة لما جاءت به الرسل من قول النفاة ولهذا لم يكن هؤلاء مظهرين لهذا في زمن السلف بل كلما ضعف نور النبوة أظهروا حقيقة قولهم فانه من جنس قول المشركين المكذبين للرسل ومنتهاهم الشرك وتكذيب الرسل وهذا جماع الكفر كما أن التوحيد وتصديق الرسل جماع الايمان ولهذا صاروا مع أهل الكفر المحض من المشركين وأهل الكتاب وبسط هذه الامور له موضع آخر

والمقصود هنا ان القدرية المجبرة من جنس المشركين كما ان النافية من جنس المجوس وان المجبرة ماعندهم سوى القدرة والمشيئة في نفس الامر والنافية تنفي القدرة العامة والمشيئة التامة وزعم انها نفت

الحكمه والعدل وفي الحقيقة كلاهما ناف للحكمه والعدل والشريعة واردة كما قد بسط في مواضع وأولئك يعلمون قوله لا أن يعمل واقة يعمل مايشاء وهذا ذكره الله اثباتا لقدرته لا نفيا لحكمه وعدله بل بين سبحانه ان يفعل مايشاء ولا أحد يمكنه أن يعارضه اذا شاء شيئا بل هو قادر على فعل مايشاء بخلاف المخلوق الذي يشاء أشياء كثيرة ولا يمكنه أن يفعلها ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح لا يقولن أحدكم اللهم اغفرلي ان شئت اللهم ارحمني ان شئت فان الله لامكره له ولكن ليعزم المسألة وذلك انما قال افعل كذا ان شئت من قد يفعله كرها ويفعل مالا يريد لدفع ضرر الاكراه عنه والله تعالى لامكره له فلا يفعل الا مايشاء فقوله تعالى ان الله يفعل مايشاء ويغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ونحو ذلك هو لاثبات قدرته على مايشاء وهذا رد لقول القدرية النفاة الذين يقولون انه لم يشأ من ما كان بل لا يشاء الا الطاعة ومع هذا فقد شاءها ولم يكن ممن عصاه وليس هو قادرا عندهم على أن يجعل العبد لامطيعا ولا عاصيا

فهذه الآيات التي يحتج بها المجبرة تدل على فساد مذهب النفاة كما أن الآيات التي يحتج بها النفاة التي تدل على أنه حكيم عادل لا يظلم مثقال ذرة وانه لم يخلق الخلق عبثا ونحو ذلك تدل على فساد قول المجبرة وليس في هذه الآيات ولا هذه مايدل على صحة قول واحدة من الطائفتين بل ماتحتج به كل طائفة يدل على فساد مذهب الاخرى وكلا القولين باطل وهذا هو الذي نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي

في المسند وغيره وبعضه في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم انه خرج على أصحابه وهم يتمارون في القدر وهذا يقول ألم يقل الله كذا وهذا يقول ألم يقل الله كذا فكأنما فقئ في وجهه حب الرمان فقال أبهذا أمرتم أم الى هذا دعيتم أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض ولهذا قال أحمد في بعض مناظرته لمن صار يضرب الآيات بعضها ببعض انا قد نهينا عن هذا

فمن دفع نصوصا يحتج بها غيره لم يؤمن بها بل آمن بما يحتج به هو صار ممن يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض

وهذا حال أهل الاهواء هم مختلفون في الكتاب مخالفون للكتاب متفقون على مخالفة الكتاب وقد تركوا كلهم بعض النصوص وهو ما يجمع تلك الاقوال فصاروا كما قال عن أهل الكتاب ومن الذين قالوا انا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة

فاذا ترك الناس بعض ما أنزل الله وقعت بينهم العداوة والبغضاء اذ لم يبق هنا حق جامع يشتركون فيه بل تقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون وهؤلاء كلهم ليس معهم من الحق الا ما وافقوا فيه الرسول وهو ما تمسكوا به من شرعه مما أخبر به وما أمر به * وأما ما ابتدعوه فكله ضلالة كما قال صلى الله عليه وسلم واياكم ومحدثات الأمور فان كل بدعة ضلالة وقد تكون تلك البدعة أعظم عندهم مما أخذوا به من الشريعة يجعلون تلك هي الاصول العقلية كالقدرية المجبرة

والدماء وكلا، محمل ماأحدثوه من الكلام في الاصول وهو [illegible]

سموه العمليات أعظم [illegible] عندهم مما [illegible]

العمليات هي [illegible]

أيضا ان الشرع [illegible]

وكذلك ما [illegible]

[illegible] الرحام و [illegible]

[illegible] والما [illegible]

وهم يسموان وأتباعهم أعظم [illegible] فانهم [illegible]

مع الصفات وهم رؤس الجهمية والا [illegible]

نازعوهم [illegible]

هذه الاصول العقلية هي العلم [illegible]

من الاعمال هي أعظم العلوم وأسر [illegible] على [illegible]

التي لم يعلمها الصحابة [illegible] الى [illegible] الام [illegible]

الصحابة [illegible] عنها بالجهاد [illegible]

يعلموه ولم نشغلهم [illegible] بالجهاد

وهذه هي الا [illegible] العقلية التي يعتمدون [illegible]

كالقاضي ابي [illegible] المعالي [illegible]

وأمثاله وهو وأتباعه [illegible]

وأمثاله أعلى وأ [illegible]

وكل الاصول العقلية [illegible]

والشرع وان كانت كل واحـدة من الطائفتين تعتقد أنها أعطم الدين ويقدمونها على الاصول الشرعية فانهم في دلك عنزلة ما نعطمه العباد والرهاد والفقراء والصوفيـة من الخوارق الشـيطانية ويفضـلونها على العادات الشرعيه والعبادات الشرعية هي التي معهم من الاسلام وتلك دينها الحـاله وان كان أعظم عنـدهم من العادات حتى يقولوا نهاية الصوفى ابتداء الفقيه ونهاية الفقيه ابتداء المولى وكذلك صـاحب منازل السائرين يذكر في كل باب ثلاث درجات فالاولى وهي أضعفها عـندهم توافق الشرع في الظاهر والثانيه قد توافق الشرع وقد لا توافق والثالثة هي الاعلى تخالف لا سيما في التوحيد والفناء والرجاء ونحو ذلك وهذا الذى ابتدعوه هو أعظم عندهم مما وافقوا فيه الرسل وكثير من العباد يفضـل نوافله على أداء الفرائض وهذا كثير والله أعلم.

والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله
وصحبه وسـلم تسليما كثيرا والحمد
لله رب العالمين

﴿ تمت الرساله الاولى من رسائل العلامة ابن تيمية ﴾

﴿ ويليها الرسالة الثانية معارج الوصول له أيضاً ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قال الشيخ الامام العالم تقي الدين أوحد المجتهدين احمد بن تيمية قدس الله روحه ونور ضريحه وهو مما كتبه بقلعه دمشق مأخوذاً

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ونشهد أن لا اله الا الله وحده لاشريك له ونشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم تسليماً

(فصل في أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بين جميع الدين أصوله وفروعه باطنه وظاهره علمه وعمله) فان هذا الاصل هو أصل أصول العلم والايمان وكل من كان أعظم اعتصاما بهذا الاصل كان أولى بالحق علماً وعملا ومن كان أبعد عن الحق علماً وعملا كالقرامطة والمتفلسفة الذين يظنون أن الرسل ما كانوا يعلمون حقائق العلوم الالهية والكلية وانما يعرف ذلك بزعمهم من يعرفه من المتفلسفة ويقولون خاصة النبوة هي التخييل ويجعلون النبوة أفضل من غيرها عند الجمهور لاعند أهل المعرفة كما يقول هذا ونحوه الفارابي وأمثاله مثل مبشر بن فاتك وأمثاله من الاسماعيلية وآخرون يعترفون بأن الرسول علم الحقائق لكن يقولون لم يبينها بل خاطب الجمهور بالتخييل ويجعلون التخييل في خطابه لافي علمه كما يقول ذلك ابن سينا وأمثاله وآخرون يعترفون بأن الرسل علموا الحق وبينوه لكن يقولون لايمكن معرفته من كلامهم بل نعرف بطريق آخر اما المعقول عند طائفة واما المكاشفة عند طائفة اما قياس فلسفي واما خيال صوفي ثم بعد ذلك ينظر في كلام

الرسول فما وافق ذلك قبل وما خالفه اما أن يفوض واما أن يؤول وهذه طريقة كثير من أهل الكلام الجهمية والمعتزلة وهي طريقة خيار الباطنية والفلاسفة الذين يعظمون الرسول وينزهونه عن الجهل والكذب لكن يدخلون في التأويل وأبو حامد الغزالي لما ذكر في كتابه طرق الناس في التأويل وان الفلاسفة زادوا فيه حتى انحلوا وان الحق بين جمود الحنابلة وبين انحلال الفلاسفة وان ذلك لا يعرف من جهة السمع بل يعرف الحق بنور يقذف في القلب ثم ينظر في السمع فما وافق ذلك قبلته والا فلا وكان مقصوده بالفلاسفة الأولين خيار الفلاسفة وهم الذين يعظمون الرسول عن أن يكذب للمصلحة ولكن هؤلاء وقعوا في نظير ما فروا منه ونسبوه الى التلبيس والتعمية واضلال الخلق بل الى أن يظهر الباطل ويكتم الحق

وابن سينا وأمثاله لما عرفوا أن كلام الرسول لا يحتمل هذه التأويلات الفلسفية بل قد عرفوا أنه أراد مفهوم الخطاب سلك التخييل وقال انه خاطب الجمهور بما يخيل اليهم مع علمه أن الحق في نفس الأمر ليس كذلك فهؤلاء يقولون ان الرسل كذبوا للمصلحة وهذا طريق ابن رشد الحفيد وأمثاله من الباطنية فالذين عظموا الرسل من هؤلاء عن الكذب نسبوهم الى التلبيس والاضلال والذين أقروا بأنهم بينوا قالوا انهم كذبوا للمصلحة واما أهل العلم والايمان فمتفقون على أن الرسل لم يقولوا الا بالحق وانهم بينوه مع علمهم بأنهم أعلم الخلق بالحق فهم الصادقون المصدوقون علموا الحق وبينوه فمن قال انهم كذبوا للمصلحة فهو من اخوان المكذبين للرسل لكن هذا لما رأى ما عملوا

من الخير والعدل في العالم لم يمكنه أن يقول كذبوا لطلب العلو والفساد بل قال كذبوا لمصلحة الخلق كما يحكى عن ابن التومرت وأمثاله ولهذا كان هؤلاء لايفرقون بين النبي والساحر الا من جهة حسن القصد فان النبي يقصد الخير والساحر يقصد الشر والا فكل منهما خوارق هي عندهم قوى نفسانية وكلاهما عندهم يكذب لكن الساحر يكذب للعلو والفساد والنبي عندهم يكذب لمصلحة اذ لم يمكنه اقامة العدل بينهم الا بنوع من الكذب والذين علموا أن النبوة تناقض الكذب على الله وان النبي لايكون الا صادقا من هؤلاء قالوا انهم لم يبينوا الحق ولو أنهم قالوا سكتوا عن بيانه لكان اول الحاداً لكن قالوا انهم أخبروا بما يظهر منه للناس الباطل ولم يبينوا لهم الحق فعندهم انهم جمعوا بين شيئين بين كتمان حق لم يبينوه وبين اظهار ما يدل على الباطل وان كانوا لم يقصدوا الباطل فجعلوا كلامهم من جنس المعاريض التي يعنى بها المتكلم معنى صحيحاً لكن لايفهم المستمع منها الا الباطل واذا قالوا قصدوا التعريض كان أول الحاداً ممن قال انهم قصدوا الكذب

(والتعريض من نوع الكذب) اذ كان كذبا في الافهام ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم ان ابراهيم لم يكذب الا ثلاث كذبات كلهن في ذات الله وهي معاريض لقوله عن سارة انها أختي اذ كان ليس هناك مؤمن الا هو وهي (١)

وهؤلاء يقولون ان كلام ابراهيم وعامة الانبياء مما اخبروا به عن الغيب كذب من المعاريض

وأما جمهور المتكلمين فلا يقولون بهذا بل يقولون قصدوا البيان

---

(١) ذكر احدى الثلاث والثانية قوله اني سقيم والثالثة قوله بل فعله كبيرهم هذا

دون الـعريض أكن مع هذا يقول الجهمية ونحوهم ان بيان الحق ليس في خطابهم بل انما في خطابهم مايدل على الباطل والمتكلمون من الجهمية والمعتزلة والاشعرية ونحوهم ممن سلك في اثبات الصانع طريقة الاعراض يقولون ان الصحابة لم يبينوا أصول الدين بل ولا الرسول اما لشغلهم بالجهاد أو لغير ذلك وقد بسط الكلام على هؤلاء فى غير هذا الموضع

وبين ان أصول الدين الحق الذى أنزل الله به كتابه وأرسل به رسوله وهى الادلة والبراهين والآيات الدالة على ذلك قد بينها الرسول أحسن بيان وأنه دل الناس وهداهم الي الادلة العقلية والبراهين اليقينية التي بها يعلمون المطالب الالهية وبها يعلمون اثبات ربوبية الله ووحدانيته وصفاته وصدق رسوله والمعاد وغير ذلك مما يحتاج الى معرفته بالادلة العقلية بل وما يمكن بيانه بالادلة العقلية وان كان لايحتاج اليها فان كثيراً من الامور تعرف بالخبر الصادق ومع هذا فالرسول بين الادلة العقلية الدالة عليها فجمع بين الطريقين السمعى والعقلي

وبين أن دلالة الكتاب والسنة على أصول الدين ليست بمجرد الخبر كما تظنه طائفة من الغالطين من أهل الكلام والحديث والفقهاء والصوفية وغيرهم بل الكتاب والسنة دلا الخلق وهدياهم الي الآيات والبراهين والادلة المبينة لاصول الدين وهؤلاء الغالطون الذين أعرضوا عما فى القرآن من الدلائل العقلية والبراهين اليقينية صاروا اذا صنفوا في أصول الدين أحزابا

حزب يقدمون فى كتبهم الكلام فى النظر والدليل والعلم وان النظر

يوجب العلم وأنه واجب ويتكلمون في جنس النظر وجنس الدليل وجنس العلم بكلام قد اختلط فيه الحق بالباطل ثم اذا صاروا الى ماهو الاصل والدليل للدين استدلوا بحدوث الاعراض على حدوث الاجسام وهو دليل مبتدع في الشرع وباطل في العقل

والحزب الثاني عرفوا أن هذا الكلام مبتدع وهو مستلزم مخالفة الكتاب والسنة وعنه ينشأ القول بأن القرآن مخلوق وأن الله لا يرى في الآخرة وليس فوق العرش ونحو ذلك من بدع الجهمية فصنفوا كتباً قدموا فيها مايدل على وجوب الاعتصام بالكتاب والسنة من القرآن والحديث وكلام السلف وذكروا أشياء صحيحة لكنهم قد يخلطون الآثار صحيحها بضعيفها وقد يستدلون بما لا يدل على المطلوب وأيضاً فهم انما يستدلون بالقرآن من جهة اخباره لا من جهة دلالته فلا يذكرون مافيه من الادلة على اثبات الربوبية والوحدانية والنبوة والمعاد وأنه قد بين الادلة العقلية الدالة على ذلك ولهذا سموا كتبهم أصول السنة والشريعة ونحو ذلك وجعلوا الايمان بالرسول قد استقر فلا يحتاج أن يبين الادلة الدالة عليه فذمهم أولئك ونسبوهم الى الجهل اذ لم يذكروا الاصول الدالة على صدق الرسول وهؤلاء ينسبون أولئك الى البدعة بل الى الكفر لكونهم أصلوا أصولا تخالف ماقاله الرسول والطائفتان يلحقهما الملام لكونهما أعرضتا عن الاصول التي بينها الله بكتابه فانها اصول الدين وأدلته وآياته فلما أعرض عنها الطائفتان وقع بينهم العداوة كما قال الله تعالى فنسوا حظاً مما ذكروا به فاغرينا بينهم

العداوة والبغضاء الى يوم القيامه

وحزب ثالث قد عرف تفريط هؤلاء وتعدي أولئك وبدعتهم وذمهم وذم طالب العلم الذكي الذي اشتاقت نفسه الى معرفة الادلة والخروج عن التقليد اذا سلك طريقهم وقال ان طريقهم ضارة وان السلف لم يسلكوها ونحو ذلك مما يقتضي ذمها وهو كلام صحيح لكنه انما يدل على أمر مجمل لا تتبين دلالته على المطلوب بل قد يعتقد طريق المتكلمين مع قوله انه بدعة ولا يفتح أبواب الادلة التي ذكرها الله في القرآن التي تبين أن ما جاء به الرسول حق ويخرج الذكي بمعرفتها عن التقليد وعن الضلال والبدعة والجهل فهؤلاء أضل فرقهم لانهم لم يتدبروا القرآن وأعرضوا عن آيات الله التي بينها بكتابه كما يعرض من يعرض عن آيات الله المخلوقة قال الله تعالي وكأين من آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون وقال تعالى وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون وقال تعالى ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون وقال تعالى كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الالباب وقال تعالى ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل وقال تعالى وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر الآية وقال تعالى وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك وقال تعالى وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات وبالزبر وبالكتاب المنير ومثل هذا كثير لبسطه مواضع أخر

والمقصود ان هؤلاء الغالطين الذين أعرضوا عما في القرآن من الدلائل العقلية والبراهين اليقينية لايذكرون النظر والدليل والعلم الذي جاء به الرسول والقرآن مملوء من ذلك والمتكلمون يعترفون بأن في القرآن من الادلة العقلية الدالة على أصول الدين ماذا ذكرهم يسلكون طرقا أخر كطريق الاعراض

ومنهم من يظن ان هذه طريق ابراهيم الخليل وهو غالط

والمتفلسفة يقولون القرآن جاء بالطريق الخطابية والمقدمات الاقناعية التي تقنع الجمهور ويقولون ان المتكلمين جاؤا بالطرق الجدلية ويدعون أنهم هم أهل البرهان اليقيني وهم أبعد عن البرهان في الالهيات من المتكلمين والمتكلمون أعلم منهم بالعلميات البرهانية في الالهيات والكليات ولكن للمتفلسفة في الطبيعيات خوض وتفصيل عبروا به بخلاف الالهيات فانهم من أجهل الناس بها وأبعدهم عن معرفة الحق فيها وكلام ارسطو معلمهم فيها قليل كثير الخطأ فهو لحم جمل غث على رأس جبل وعر لا سهل فيرتقى ولا سمين فينتقل وهذا مبسوط في غير هذا الموضع

والقرآن جاء بالبينات والهدى بالآيات البينات وهي الدلائل اليقينيات وقد قال الله تعالى لرسوله أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن والمتفلسفة يفسرون ذلك بطرقهم المنطقية في البرهان والخطابة والجدل وهو ضلال من وجوه قد بسطت في غير هذا الموضع بل الحكمة هي معرفة الحق والعمل به فالقلوب

التي فاؤهم وقصد يدعى بالحكمة فيبين لها الحق علما وعملا فتقبله وتعمل به
وآخرون يعترفون بالحق لكن لهم أهواء تصدهم عن اتباعه
فهؤلاء يدعون بالموعظة الحسنة المشتملة على الترغيب في الحق والترهيب
من الباطل والوعظ أمر ونهي بترغيب وترهيب كما قال تعالى ولو انهم
فعلوا مايوعظون به وقال تعالى يعظكم الله ان تعودوا لمثله أبدا فالدعوة
بهذين الطريقين لمن قبل الحق ومن لم يقبله فانه يجادل بالتي هي أحسن
والقرآن مشتمل على هذا وهذا ولهذا اذا جادل يسأل و يستفهم عن
المقدمات البينة البرهانية التي لايمكن أحد أن يجحدها لتقرير المخاطب
بالحق ولاعترافه بانكار الباطل كما في مثل قوله ام خلقوا من غير شيء أم
هم الخالقون وقوله أفعيينا بالخلق الاول بل هم في لبس من خلق جديد
وقوله أوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم
وقوله أيحسب الانسان أن يترك سدى ألم يك نطفة من مني يمنى ثم كان
علقة فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى أليس ذلك
بقادر على أن يحيي الموتى وقوله أفرأيتم ماتمنون أأنتم تخلقونه أم نحن
الخالقون وقوله وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه أولم تأتهم بينة مافي الصحف
الاولى وقوله أولم يكفهم انا أنزلنا عليك الكتاب تتلى عليهم وقوله أولم
يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني اسرائيل وقوله ألم نجعل له عينين ولسانا
وشفتين وهديناه النجدين الى أمثال ذلك مما يخاطبهم باستفهام التقرير
المتضمن اقرارهم واعترافهم بالمقدمات البرهانية التي تدل على المطلوب
فهو من أحسن جدل بالبرهان فان الجدل انما يشترط فيه أن يسلم الخصم

المقدمات وان لم تكن بينة معروفة فاذا كانت بينة معروفة كانت برهانية والقرآن لا يحتج في مجادلته بمقدمة لمجرد تسليم الخصم بها كما هي الطريقة الجدلية عند أهل المنطق وغيرهم بل بالقضايا والمقدمات التي تسلمها الناس وهي برهانية وان كان بعضهم يسلمها وبعضهم ينازع فيها ذكر الدليل على صحتها كقوله وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم فان الخطاب لما كان مع من يقر بنبوة موسى من أهل الكتاب ومع من ينكرها من المشركين ذكر ذلك بقوله قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى وقد بين البراهين الدالة على صدق موسى في غير موضع وعلى قراءة من قرأ يبدونها كابن كثير وأبي عمرو جعلوا قوله وعلمتم ما لم تعلموا احتجاجا على المشركين بما جاء به محمد فالحجة على أولئك نبوة موسى وعلى هؤلاء نبوة محمد ولكل منهما من البراهين ما قد بين بعضه في غير موضع وعلى قراءة الاكثرين بالتاء هو خطاب لاهل الكتاب وقوله علمتم ما لم تعلموا يبين لما جاءت به الانبياء مما أنكروه فعلمهم الانبياء ما لم يقبلوه ولم يعلموه فانه يدل على ما عرفوه من أخبار الانبياء وما لم يعرفوه

وقد قص سبحانه قصة موسى وأظهر براهين موسى وآياته التي هي من أظهر البراهين والادلة حتى اعترف بها السحرة التي جمعهم فرعون واهلك بذلك فلما أظهر الله حق موسى وأتى بالآيات التي علم بالاضطرار انها من الله وابتلعت عصاه الحبال والعصي التي أتى بها

السحرة بعد أن جاؤوا بسحر عظيم وسحروا أعين الناس واسترهبوا الناس ثم لما ظهر الحق وانقلبوا صاغرين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون فقال لهم فرعون آمنتم به قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذي علمكم السحر فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم في جذوع النخل ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات من الدلائل الآيات البينة القطعية وعلى الذي فطرنا وهو خالقنا وربنا الذي لا بد لنا منه لن نؤثرك على هذه الدلائل اليقينية وعلى خالق البرية فاقض ما أنت قاض إنما تقضي هذه الحياة الدنيا إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى

وقد ذكر الله هذه القصة في عدة مواضع من القرآن يبين في كل موضع منها من الاعتبار والاستدلال نوعا غير النوع الآخر كما يسمى الله ورسوله وكتابه بأسماء متعددة كل اسم يدل على معنى لم يدل عليه الاسم الآخر وليس في هذا تكرار بل فيه تنويع الآيات مثل أسماء النبي صلى الله عليه وسلم إذا قيل محمد وأحمد والحاشر والعاقب والمقفى ونبي الرحمة ونبي التوبة ونبي الملحمة في كل اسم دلالة على معنى ليس في الاسم الآخر وإن كانت الذات واحدة فالصفات متنوعة وكذلك القرآن إذا قيل فيه قرآن وفرقان وبيان وهدى وبصائر وشفاء ونور ورحمة وروح فكل اسم يدل على معنى ليس هو المعنى الآخر وكذلك أسماء الرب تعالى إذا قيل الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور فكل اسم يدل على معنى ليس

هو المعنى الذى في الاسم الآخر فالذات واحدة والصفات متعددة فهذا فى الاسماء المفردة وكذلك فى الجمل التامة يعبر عن القصة بجمل تدل على معان فيها ثم يعبر عنها بجمل أخرى تدل على معان أخر وان كانت القصة المذكورة ذاتها واحدة وصفاتها متعددة ففى كل جملة من الجمل معنى ليس فى الجمل الأخر

وليس فى القرآن تكرار أصلا وأما ما ذكره بعض الناس من تكرر القصص مع الاكتفاء بالواحدة وكان الحكمة فيه أن وفود العرب كانت ترد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقرئهم المسلمون شيئا من القرآن ويكون ذلك كافيا وكان يبعث الى القبائل المتفرقة بالسور المختلفة فلو لم تكن الآيات والقصص مثناة متكررة لوقعت قصة موسى الى قوم وقصة عيسى الى قوم وقصة نوح الى قوم فاراد الله أن يشهر هذه القصص فى أطراف الارض وأن يلقيها الى كل سمع فهذا كلام من لم يقدر القرآن قدره وأبو الفرج اقتصر على هذا الجواب فى قوله مثانى لما قيل لم ثنيت وبسط هذا له موضع آخر فان التثنية هى التنويع والتجنيس وهى استيفاء الاقسام ولهذا يقول من يقول من السلف الاقسام والامثال

والمقصود هنا التنبيه على ان القرآن اشتمل على أصول الدين التى تستحق هذا الاسم وعلى البراهين والآيات والادلة اليقينية بخلاف ما أحدثه المبتدعون والملحدون كما قال الرازى مع خبرته بطرق هؤلاء لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما وجدتها تشفي عليلا

ولا تروى عليلا ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن اقرأ في الاثبات إليه يصعد الكلم الطيب الرحمن على العرش استوى وأقرأ في النفي ليس كمثله شيء ولا يحيطون به علما قال ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي

والخير والسعادة والكمال والصلاح منحصر في نوعين في العلم النافع والعمل الصالح وقد بعث الله محمدا بأفضل ذلك وهو الهدى ودين الحق كما قال هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا وقال واذكر عبادنا ابراهيم واسحاق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار فذكر النوعين قال الوالبي عن ابن عباس يقول أولو القوة في العبادة قال ابن أبي حاتم وروى عن سعيد بن جبير وعطاء الخراساني والحسن والضحاك والسدي وقتادة وأبي سنان ومبشر بن عبيد نحو ذلك والأبصار قال الأبصار الفقه في الدين وقال مجاهد الأبصار الصواب في الحكم وعن سعيد بن جبير قال البصيرة بدين الله وكتابه وعن عطاء الخراساني أولي الأيدي والأبصار قال أولو القوة في العبادة والبصر والعلم بأمر الله وعن مجاهد وروى عن قتادة قال أعطوا قوة في العبادة وبصرا في الدين

وجميع حكماء الأمم يفضلون هذين النوعين مثل حكماء اليونان والهند والعرب قال ابن قتيبة الحكمة عند العرب العلم والعمل فالعمل الصالح هو عبادة الله وحده لاشريك له وهو الدين دين الاسلام والعلم والهدى هو تصديق الرسول فيما أخبر به عن الله وملائكته وكتبه

ورسله واليوم الآخر وغير ذلك فالعلم النافع هو الايمان والعمل الصالح هو الاسلام العلم النافع من علم الله والعمل الصالح هو العمل بأمر الله هذا تصديق الرسول فيما أخبر وهذا طاعته فيما أمر وضد الاول أن يقول على الله مالا يعلم وضد الثانى أن يشرك بالله مالم ينزل به سلطانا والاول أشرف فكل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمنا قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا وجميع الطوائف تفضل هذين النوعين لكن الذى جاء به الرسول هو أفضل ما فيهما كما قال ان هذا القرآن يهدى للتي هى أقوم

وكان النبى صلى الله عليه وسلم يقرأ فى ركعتي الفجر تارة سورة الاخلاص وقل ياأيها الكافرون وفى قل ياأيها الكافرون عبادة الله وحده وهو دين الاسلام وفى قل هو الله أحد صفة الرحمن وأن يقال فيه ويخبر عنه بما يستحقه وهو الايمان هذا هو التوحيد القولى وذلك هو التوحيد العلمي

وكان تارة يقرأ فيهما في الاولى قوله فى البقرة قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون وفى الثانية قل ياأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الى قوله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون

قال أبو العالية فى قوله فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون قال خلتان يسئل عنهما كل أحد ماذا كنت تعبد وماذا أجبت المرسلين

فالاول تحقيق شهادة أن لااله الا الله والثاني تحقيق الشهادة بان محمدا رسول الله

والصوفية بنوا أمرهم على الارادة ولا بد منها لكن بشرط أن يكون ارادة عبادة الله وحده بما أمر

والمتكلمون بنوا أمرهم على النظر المقتضى للعلم ولا بد منه لكن بشرط أن يكون علما بما أخبر به الرسول والنظر في الادلة التي دل بها الرسول هي آيات الله ولا بد من هذا وهذا

ومن طلب علما بلا ارادة أو ارادة بلا علم فهو ضال ومن طلب هذا وهذا بدون اتباع الرسول فيهما فهو ضال بل كمن قال من السلف الدين والايمان قول وعمل واتباع السنة وأهل الفقه في الاعمال الظاهرة يتكلمون في العبادات الظاهرة وأهل التصوف والزهد يتكلمون في قصد الانسان وارادته وأهل النظر والكلام وأهل العقائد من اهل الحديث وغيرهم تكلموا في العلم والمعرفة والتصديق الذي هو أصل الارادة ويقولون العبادة لابد فيها من القصد والقصد لا يصح الا بعد العلم بالمقصود المعبود وهذا صحيح فلابد من معرفة المعبود وما يعبد به فالضالون من المشركين والنصارى وأشباههم لهم عبادات وزهادات لكن لغير الله أو بغير أمر الله وانما القصد والارادة النافعة هو ارادة عبادة الله وحده وهو انما يعبد بما شرع لا بالبدع

وعلى هذين الاصلين يدور دين الاسلام على أن يعبد الله وحده وأن يعبد بما شرع ولا يعبد بالبدع وأما العلم والمعرفة والتصوف فمدارها

على أن نعرف ما أخبر به الرسول ونعرف أن ما أخبر به حق أما لعلمنا بأنه لا يقول إلا حقا وهذا تصديق عام وأما لعلمنا بأن ذلك الخبر حق بما أظهر الله من آيات صدقه فانه أنزل الكتاب والميزان وأرى الناس آياته في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أن القرآن حق

(فصل) وأما العمليات وما يسميه ناس الفروع والشرع والفقه فهذا قد بينه الرسول أحسن بيان فما شيء مما أمر الله به أو نهى عنه أو حلله أو حرمه الا بين ذلك وقد قال تعالى اليوم أكملت لكم دينكم وقال تعالى ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون وقال تعالى ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين وقال تعالى كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وقال تعالى تالله لقد أرسلنا الى امم من قبلك فزين لهم الشيطان أعمالهم فهو وليهم اليوم ولهم عذاب أليم وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون فقد بين سبحانه انه ما انزل عليه الكتاب الا ليبين لهم الذي اختلفوا فيه كما بين انه أنزل جنس الكتاب مع النبيين ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وقال تعالى وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله ذلكم الله ربي عليه توكلت واليه انيب وقال تعالى وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون

فقد بين للمسلمين جميع ما يتقونه كما قال وقد فصل لكم ما حرم

عليكم الا مااصطررتم اليه وقال تعالى فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول وهو الرد الى كتاب الله او الى سنة الرسول بعد موته وقوله فان تنازعتم شرط والفعل نكرة في سياق الشرط فاى شيء تنازعوا فيه ردوه الي الله والرسول ولولم يكن بيان الله والرسول فاصلا للنزاع لم يؤمروا بالرد اليه والرسول أنزل الله عليه الكتاب والحكمة كما ذكر ذلك في غير موضع وقد علم أمته الكتاب والحكمة كما قال ويعلمهم الكتاب وكان يذكر في بيته الكتاب والحكمه وامر ازواج نبيه بذكر ذلك فقال واذكرن مايتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة فآيات الله هي القرآن اذ كان نفس القرآن يدل على أنه منزل من الله فهو علامة ودلالة على منزله والحكمة قال غير واحد من السلف هي السنة وقال أيضا طائفة كمالك وغيره هي معرفة الدين والعمل به وقيل غير ذلك وكل ذلك حق فهى تتضمن التمييز بين المأمور والمحظور والحق والباطل وتعليم العمل بالحق دون الباطل وهذه السنة التي فرق بها بين الحق والباطل وبين الاعمال الحسنة من القبيحة والخير من الشر وقد جاء عنه صلى الله عليه وسلم انه قال تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لايزيغ عنها بعدي الا هالك

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كلام نحو هذا وهذا كثير في الحديث والآثار يذكرونه في الكتب التي يذكر فيها هذه الآثار كما ذكر مثل ذلك غير واحد وفيما صنفوه في السنة مثل ابن بطة واللالكائي والطلمنكي وقبلهم المصنفون في السنة كاصحاب احمد مثل عبد الله والاثرم وحرب

الكرماني وغيرهم ومثل الخلال وغيره

والمقصود هنا تحقيق ذلك وان الكتاب والسنة وافيان بجميع أمور الدين وأما اجماع الامة فهو في نفسه حق لاتجتمع الامه على ضلاله وكذلك القياس الصحيح حق فان الله بعث رسله بالعدل وأنزل الميزان مع الكتاب والميزان يتضمن العدل وما يعرف به العدل وقد فسروا انزال ذلك بأن ألهم العباد معرفه ذلك والله ورسوله يسوى بين المتماثلين ويفرق بين المختلفين وهذا هو القياس الصحيح وقد ضرب الله في القرآن من كل مثل وبين بالقياس الصحيح وهي الامثال المضروبة مابينه من الحق لكن القياس الصحيح يطابق النص فان الميزان يطابق الكتاب والله أمر نبيه أن يحكم بما انزل وأمره أن يحكم بالعدل فهو أنزل الكتاب وانما أنزل الكتاب بالعدل قال تعالى وأن احكم بينهم بما أنزل الله وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط واما اجماع الامة فهو حق لاتجتمع الامه ولله الحمد على ضلالة كما وصفها الله بذلك في الكتاب والسنه فقال تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله وهذا وصف لهم بأنهم يأمرون بكل معروف وينهون عن كل منكر كما وصف نبيهم بذلك في قوله الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر وبذلك وصف المؤمنين في قوله والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر فلو قالت الامة في الدين بما هو ضلال لكانت لم تأمر بالمعروف في ذلك ولم تنه عن المنكر فيه وقال تعالى

وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً والوسط العدل الخيار

وقد جعلهم الله شهداء على الناس وأقام شهادتهم مقام شهادة الرسول وقد ثبت فى الصحيح أن النبى صلى الله عليه وسلم مر عليه بجنازة فأثنوا عليها خيراً فقال وجبت وجبت ثم مر عليه بجنازة فأثنوا عليها شراً فقال وجبت وجبت قالوا يارسول الله ماقولك وجبت وجبت قال هذه الجنازة أثنيتم عليها خيراً فقلت وجبت لها الجنة وهذه الجنازة أثنيتم عليها شراً فقلت وجبت لها النار أنتم شهداء الله فى الارض

فاذا كان الرب قد جعلهم شهداء لم يشهدوا بباطل فاذا شهدوا ان الله أمر بشئ فقد أمر به واذا شهدوا أن الله نهى عن شئ فقد نهى عنه ولو كانوا يشهدون بباطل أو خطأ لم يكونوا شهداء الله فى الارض بل زكاهم الله فى شهادتهم كما زكى الانبياء فيما يبلغون عنه انهم لا يقولون عليه الا الحق وكذلك الامة لا تشهد على الله الا بحق وقال تعالى واتبع سبيل من أناب الى والامة منيبة الى الله فيجب اتباع سبيلها وقال تعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه فرضى عمن اتبع السابقين الى يوم القيامة فدل على أن متابعهم عامل بما يرضى الله والله لا يرضى الا بالحق لا بالباطل وقال تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ماتبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ماتولى ونصله جهنم وساءت مصيرا

وكان عمر بن عبد العزيز يقول كلمات كان مالك يأثرها عنه كثيراً

قال سن رسول الله صلى الله عليه وسلم وولاه الامر من بعده سننا الاخذ بها تصديق لكتاب الله واستعمال لطاعه الله ومعونة على دين الله ليس لاحد تغييرها ولا النظر في رأى من خالفها فمن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله تعالى ماتولى وأصلاه جهنم وساءت مصيرا

والشافعي رضي الله عنه لما جرد الكلام في أصول الفقه احتج بهذه الآية على الاجماع كما كان هو وغيره من مالك ذكر ذلك عن عمر بن عبد العزيز والآية دلت على أن متبع غير سبيل المؤمنين مستحق للوعيد كما أن مشاق الرسول من بعد ماتبين له الهدى مستحق للوعيد ومعلوم أن هذا الوصف يوجب الوعيد بمجرده فلو لم يكن الوصف الآخر يدخل فى ذلك لكان لافائدة في ذكره

وهنا للناس ثلاثه أقوال قيل اتباع غير سبيل المؤمنين هو مجرد مخالفه الرسول المذكورة فى الآية وقيل بل مخالفة الرسول مستقلة بالذم وكذلك اتباع غير سبيلهم مستقل بالذم وقيل بل اتباع غير سبيل المؤمنين يوجب الذم كما دلت عليه الآيه لكن هذا لا يقتضى مفارقة الاول بل قد يكون مستلزما له فكل متابع غير سبيل المؤمنين هو فى نفس الامر مشاق للرسول وكذلك مشاق الرسول متبع غير سبيل المؤمنين وهذا كما فى طاعة الله والرسول فان طاعه الله واجبة وطاعة الرسول واجبة وكل واحد من معصيه الله ومعصيه الرسول موجب للذم وهما متلازمان فانه من يطع الرسول فقد أطاع الله وفي الحديث الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من أطاعنى فقد أطاع الله

ومن أطاع أميرى فقد أطاعنى ومن عصانى فقد عصى الله ومن عصى أميري فقد عصانى وقال انما الطاعة في المعروف يعنى اذا أمر أميرى بالمعروف فطاعته من طاعتى وكل من عصى الله فقد عصى الرسول فان الرسول يأمر بما أمر الله به بل من أطاع رسولا واحداً فقد أطاع جميع الرسل ومن آمن بواحد منهم فقد آمن بالجميع ومن عصى واحداً منهم فقد عصى الجميع ومن كذب واحداً منهم فقد كذب الجميع لان كل رسول يصدق الآخر ويقول انه رسول صادق ويأمر بطاعته فمن كذب رسولا فقد كذب الذى صدقه ومن عصاه فقد عصى من أمر بطاعته ولهذا كان دين الانبياء واحداً كما في الصحيحين عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلي الله عليه وسلم أنه قال انا معاشر الانبياء ديننا واحد وقال تعالى شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه وقال تعالى ياأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً اني بما تعملون عليم وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون فتقطعوا أمرهم بينهم زبراً كل حزب بما لديهم فرحون وقال تعالى فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون منيبين اليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون ودين الانبياء كلهم الاسلام كما أخبر الله بذلك في غير موضع وهو الاستسلام لله وحده وذلك انما يكون بطاعته فيما أمر به

في ذلك ارتفت طاعة كل شيء هي من دين الاسلام اذ ذاك واستقبال بيت المقدس كان من دين الاسلام قبل النسخ ثم لما أمر بالنسخ قال انكم صار استقبالها من دين الاسلام ولم يبق استقبال الصخرة من دين الاسلام ولهذا خرج اليهود والنصارى عن دين الاسلام فانهم تركوا طاعة الله وتصديق رسوله واعتاضوا عن ذلك بدين مبدل أو منسوخ وهكذا كل مبتدع ديناً خالف به سنة الرسول لا يتبع الا ديناً مبدلا أو منسوخا فكل ما خالف ما جاء به الرسول اما أن يكون ذلك قد كان مشروعا لنبي ثم نسخ على لسان محمد واما أن لا يكون شرع قط فهذا كالاديان التي شرعها الشياطين على ألسنة أوليائهم قال تعالى أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله وقال وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم وان أطعتموهم انكم لمشركون وقال وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون ولهذا كان الصحابة اذا قال أحدهم برأيه شيئا يقول ان كان صوابا فمن الله وان كان خطأ فمني ومن الشيطان والله ورسوله بريء منه كما قال ذلك ابن مسعود وروى عن ابي بكر وعمر فالاقسام ثلاثة فانه اما أن يكون هذا القول موافقاً لقول الرسول أولا يكون واما أن يكون موافقاً لشرع غيره واما أن لا يكون فهذا الثالث المبدل كاديان المشركين والمجوس وما كان شرعا لغيره وهو لا يوافق شرعه فقد نسخ كالسبت وتحريم كل ذي ظفر وشحم الثرب والكليتين فان اتخاذ السبت عيداً وتحريم هذه الطيبات

قد كان شرعا لموسى ثم نسخ بل قد قال المسيح ولأحل لكم بعض الذى حرم عليكم فقد نسخ الله على لسان المسيح بعض ما كان حراما في شرع موسى وأما محمد فقال الله فيه الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون والشرك كله من المبدل لم يشرع الله الشرك قط كما قال واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون وقال تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه أنه لااله الا أنا فاعبدون

وكذلك ما كان يحرمه أهل الجاهلية مما ذكره الله فى القرآن كالسائبه والوصيله والحام وغير ذلك هو من الدين المبدل ولهذا ذكر الله ذلك عنهم في سورة الانعام وبين ان من حرم ذلك فقد كذب على الله وذكر تعالى ماحرمه على لسان محمد وعلى لسان موسى في الانعام قل لا أجد فيما أوحى الى محرما على طاعم يطعمه الا أن يكون ميتة فقال أودما مسفوحا أولحم خنزير فانه رجس أوفسقاً أهل لغيرالله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان ربك غفور رحيم وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الا ماحملت ظهورهما أو الحوايا أو مااختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون وكذلك قال بعد هذا وعلى الذين هادوا حرمنا ماقصصنا عليك من قبل

مس ان ماحرمه المشركون لم يحرمه على لسان موسى ولا لسان محمد وهذان هما الكتابان جاآ بكتاب فيه الحلال والحرام كما قال تعالى قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه وقال تعالى ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة وقال تعالى قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى الى قوله وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه وقال الجن لما سمعت القرآن انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدي الى الحق والى طريق مستقيم وقال ورقة ابن نوفل ان هذا والذي جاء به موسى ليخرجان من مشكاة واحدة وكذلك قال النجاشي فالقرآن والتوراة هما كتابان جاآ من عند الله لم يأت من عنده كتاب أهدى منهما كل منهما أصل مستقل والذي فيهما دين واحد وكل منهما يتضمن اثبات صفات الله تعالى والامر بعبادته وحده لاشريك له ففيه التوحيد قولا وعملا كما في سورتي الاخلاص قل ياأيها الكافرون وقل هو الله أحد

وأما الزبور فان داود لم يأت بغير شريعة التوراة وانما في الزبور ثناء على الله ودعاء وأمر ونهي بدينه وطاعته وعبادته مطلقاً وأما المسيح فانه قال ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم فاحل لهم بعض المحرمات وهو في الاكثر متبع لشريعة التوراة ولهذا لم يكن بد لمن اتبع المسيح من ان يقرأ التوراة ويتبع مافيها اذ كان الانجيل تبعاً لها

وأما القرآن فانه مستقل بنفسه لم يحوج أصحابه الى كتاب آخر بل اشتمل على جميع مافي الكتب من المحاسن وعلى زيادات كثيرة

لاتوحد في الكتب ولهذا كان مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه يقرر مافيها من الحق ويبطل ماحرف منها وينسخ مانسخه الله فيقر الدين الحق وهو جمهور مافيها ويبطل الدين المبدل الذى لم يكن فيها والقليل الذي نسخ فيها فان المنسوخ قليل جدا بالنسبة الى المحكم المقرر والانبياء كلهم دينهم واحد وتصديق بعضهم مستلزم تصديق سائرهم وطاعة بعضهم تستلزم طاعة سائرهم وكذلك التكذيب والمعصية لايجوز أن يكذب نبيا بل ان عرفه صدقه والا فهو يصدق بكل ماأنزل الله مطلقا وهو يأمر بطاعة من أمر الله بطاعته * ولهذا كان من صدق محمدا فقد صدق كل نبي ومن أطاعه فقد أطاع كل نبي ومن كذبه فقد كذب كل نبي ومن عصاه فقد عصى كل نبي قال تعالى ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقا *وقال تعالى أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم الاخزى في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب وماالله بغافل عما تعملون

ومن كذب هؤلاء تكذيبا لجنس الرسالة فقد صرح بأنه يكذب الجميع ولهذا يقول تعالى كذبت قوم نوح المرسلين ولم يرسل اليهم قبل نوح أحد وقال تعالى وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم وكذلك من كان من الملاحدة والمتفلسفة طاعنا في جنس الرسل كما قدمنا بأن يزعم انهم لم يعلموا الحق أولم يبينوه فهو مكذب لجميع الرسل

كالذين قال فيهم الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا فسوف يعلمون اذ الاغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون وقال تعالى فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون وقال تعالى عن الوليد انه فكر وقدر فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر ثم نظر ثم عبس وبسر ثم أدبر واستكبر فقال ان هذا الا سحر يؤثر ان هذا الا قول البشر

وأهل الكتاب منهم من يؤمن بجنس الرسالة لكن يكذب بعض الرسل كالمسيح ومحمد فهؤلاء لما آمنوا ببعض وكفروا ببعض كانوا كافرين حقا وكثير ممن لايكذب الرسل تكذيبا صريحا من الفلاسفة والاطباء وكثير من أهل الكلام والتصوف ولا يؤمن بحقيقة النبوة والرسالة بل يقر بفضائلهم في الجملة مع كونه يقول ان غيرهم أعلم منهم أوانهم لم يبينوا الحق أو لبسوه أوان النبوة هي نوع من فيض على النفوس من العقل الفعال من جنس مايراه النائم ولا يقر بملائكة منفصلين ولا بالجن ونحو ذلك فهؤلاء يقرون ببعض صفات الانبياء دون بعض عما أوتوه ومن بعض لايقرون بجميع ماأوتيه الانبياء وهؤلاء قد يكون أحدهم شرا من اليهود والنصارى الذين أقروا بجميع صفات النبوة لكن كذبوا ببعض الانبياء فان الذي أقر به هؤلاء مما جاءت به الانبياء

أعظم وا كثر اذ كان هؤلاء يقرون بأن الله خالق السموات والأرض في ستة أيام ويقرون بقيام القيامة ويقرون بأنه يجب عبادته وحده لا شريك له ويقرون بالشرائع المتفق عليها وأولئك يكذبون بهذا وإنما يقرون ببعض شرع محمد ولهذا كان اليهود والنصارى أقل كفرا من الملاحدة الباطنية والمتفلسفة ونحوهم أكثر من كان من اليهود والنصارى قد دخل مع هؤلاء فقد جمع نوعي الكفر لم يؤمن بجميع صفاتهم ولا بجميع أعيانهم وهؤلاء موجودون في دول الكفار كثيرا كما يوجد أيضا في المنتسبين الى الاسلام من هؤلاء وهؤلاء اذ كانوا في دولة المسلمين وأهل الكتاب كانوا منافقين فيهم من النفاق بحسب ما فيهم من الكفر والنفاق يتبعض والكفر يتبعض ويزيد وينقص كما ان الايمان يتبعض ويزيد وينقص قال الله تعالى انما النسيء زيادة في الكفر وقال واذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه ايمانا فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وماتوا وهم كافرون * وقال وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الاخسارا * وقال وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل اليك من ربك طغيانا وكفرا * وقال ويزيد الله الذين اهتدوا هدى * وقال في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا * وقال ان الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا

وكثير من المصنفين في الكلام لا يردون على اهل الكتاب الا ما يقولون انه يعلم بالعقل مثل تثليث النصارى ومثل تكذيب محمد

ولا يناظرونهم في غير هذا من اصول الدين وهذا تقصير منهم مخالفة لطريقة القرآن فان الله يبين في القرآن ما خالفوا به الانبياء ويذمهم على ذلك والقرآن مملوء من ذلك اذ كان الكفر والايمان يتعلق بالرسالة والنبوة فاذا تبين ما خالفوا فيه الانبياء ظهر كفرهم وأولئك المتكلمون لما أصلوا لهم دينا بما أحدثوه من الكلام كالاستدلال بالاعراض على حدوث الاجسام ظنوا ان هذا هو أصول الدين ولو كان ما قالوه حقا لكان ذلك جزأ من الدين فكيف ان كان باطلا

وقد ذكرت في الرد على النصارى من مخالفتهم للانبياء كلهم ما تبين مخالفتهم لصريح العقل ما تظهر به من كفرهم ما ظهر ولهذا قلت في الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح خاطبتهم في مقامين

أحدهما تبديلهم لدين المسيح

والثاني تكذيبهم لمحمد صلى الله عليه وسلم واليهود خطاؤهم في تكذيب من بعد موسى الى المسيح ثم في تكذيب محمد كما ذكر الله ذلك في سورة البقرة في قوله ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون وقالوا قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فقليلا ما يؤمنون ثم قال ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين الى أن ذكر انهم أعرضوا عن كتاب الله مطلقا واتبعوا السحر فقال ولما جاءهم رسول ...

من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان الى قوله ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون

والنصارى نبذ بهم على الغلو والشرك الذي ابتدعوه وعلى تكذيب الرسول والرهبانية التي ابتدعوها ولا يحمدهم عليها اذ كانوا قد ابتدعوها وكل بدعة ضلالة لكن اذا كان صاحبها قاصدا للحق فقد يعفى عنه فيبقى عمله ضائعا لا فائدة فيه وهذا هو الضلال الذي يعذر صاحبه فلا يعاقب ولا يثاب ولهذا قال غير المغضوب عليهم ولا الضالين فان المغضوب عليه يعاقب بنفس الغضب والضال فاته المقصود وهو الرحمة والثواب ولكن قد لا يعاقب كما عوقب ذلك بل يكون ملعونا مطرودا ولهذا في حديث زيد بن عمرو بن نفيل ان اليهود قالوا له لن تدخل في ديننا حتى تأخذ نصيبك من غضب الله وقالوا له النصارى حتى تأخذ نصيبك من لعنة الله وقال الضحاك وطائفة ان جهنم طبقات فالعليا لعصاة هذه الامة والتي تليها للنصارى والتي تليها لليهود فجعلوا اليهود تحت النصارى والقرآن قد شهد بان المشركين واليهود يوجدون أشد عداوة للذين آمنوا من الذين قالوا انا نصارى وشدة العداوة زيادة في الكفر فاليهود أقوى كفرا من النصارى وان كان النصارى أجهل وأضل لكن أولئك يعاقبون على عملهم اذ كانوا عرفوا الحق

وتركوه عنادا فكانوا مغضوبا عليهم وهؤلاء بالضلال حرموا أجر المهتدين ولعنوا وطردوا عما يستحقه المهتدون ثم اذا قامت عليهم الحجة فلم يؤمنوا استحقوا العقاب اذ كان اسم الضلال عاما

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في الحديث الصحيح في خطبة يوم الجمعة خير الكلام كلام الله وخير الهدى هدي محمد وشر الامور محدثاتها وكل بدعة ضلالة ولم يقل وكل ضلالة في النار بل يضل عن الحق من قصد الحق وقد اجتهد في طلبه فعجز عنه فلا يعاقب وقد يفعل بعض ما أمر به فيكون له أجر على اجتهاده وخطؤه الذي ضل فيه عن حقيقة الامر مغفور له

وكثير من مجتهدي السلف والخلف قد قالوا وفعلوا ما هو بدعة ولم يعلموا انه بدعة اما لاحاديث ضعيفة ظنوها صحيحة واما لآيات فهموا منها ما لم يرد منها واما لرأي رأوه وفي المسألة نصوص لم تبلغهم

واذا اتقى الرجل ربه ما استطاع دخل في قوله ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا وفي الصحيح ان الله قال قد فعلت وبسط هذا له موضع آخر

والمقصود هنا ان الرسول بين جميع الدين بالكتاب والسنة وان الاجماع اجماع الامة حق فانها لا تجتمع على ضلالة وكذلك القياس الصحيح حق يوافق الكتاب والسنة

والآية المشهورة التي يحتج بها على الاجماع قوله ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى

ومن الناس من يقول انها لاتدل على مورد النزاع فان الذم فيها على مجموع الامرين وهذا لانزاع فيه أو لمن اتبع غير سبيل المؤمنين التي بها كانوا مؤمنين وهي متابعة الرسول وهذا لانزاع فيه أو أن سبيل المؤمنين هو الاستدلال بالكتاب والسنة وهذا لانزاع فيه فهذا ونحوه قول من يقول لاتدل على محل النزاع وآخرون يقولون لم تدل على وجوب اتباع المؤمنين مطلقا وتكلفوا لذلك ما تكلفوه كما قد عرف من كلامهم ولم يجيبوا عن أسئلة أولئك بأجوبة شافية

والقول الثالث الوسط انها تدل على وجوب اتباع سبيل المؤمنين وتحريم اتباع غير سبيلهم ولكن مع تحريم مشاقة الرسول من بعد ما تبين له الهدى وهو يدل على ذم كل من هذا وهذا كما تقدم لكن لا ينفي تلازمهما كما ذكر في طاعة الله والرسول وحينئذ يقول الذم اما أن يكون لاحدها لمشاقة الرسول فقط أو باتباع غير سبيلهم فقط أو أن يكون الذم لايلحق بواحد منهما بل بهما اذا اجتمعا أو بلحق الذم بكل منهما وان انفرد عن الآخر أو بكل منهما لكونه مستلزما للآخر والاولان باطلان لانه لو كان المؤثر أحدهما فقط كان ذكر الآخر ضائعا لافائدة فيه وكون الذم لايلحق بواحد منهما باطل قطعا فان مشاقة الرسول موجبة للوعيد مع قطع النظر عمن اتبعه ولحوق الذم بكل منهما وان انفرد عن الآخر لاندل عليه الآية فان الوعيد فيها انما هو على المجموع بقي القسم الآخر وهو ان كلا من الوصفين يقتضي الوعيد لانه مستلزم للآخر كما يقال مثل ذلك في معصية الله والرسول

وبمخالفة القرآن والاسلام ويقال من خالف القرآن والاسلام ومن خرج عن القرآن والاسلام فهو من اهل النار ومثله قوله ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا فان الكفر بكل من هذه الاصول يستلزم الكفر بغيره فمن كفر بالله كفر بالجميع ومن كفر بالملائكة كفر بالكتب والرسل فكان كافرا بالله اذ كذب رسله وكتبه وكذلك اذا كفر باليوم الآخر كذب الكتب والرسل فكان كافرا وكذلك قوله يأهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون ذمهم على الوصفين وكل منهما مقتض للذم وهما متلازمان ولهذا نهى عنهما جميعا في قوله ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون فانه من لبس الحق بالباطل فغطاه به فغلط به لزم أن يكتم الحق الذي تبين انه باطل اذ لو بينه زال الباطل الذي لبس به الحق فهكذا مشاقة الرسول واتباع غير سبيل المؤمنين من شاقه فقد اتبع غير سبيلهم وهذا ظاهر ومن اتبع غير سبيلهم فقد شاقه أيضا فانه قد جعل له مدخلا في الوعيد فدل على انه وصف مؤثر في الذم فمن خرج عن اجماعهم فقد اتبع غير سبيلهم قطعا والآية توجب ذم ذلك واذا قيل هي انما ذمته مع مشاقة الرسول قلنا لانهما متلازمان وذلك لان كل ما أجمع عليه المسلمون فانه يكون منصوصا عن الرسول فالمخالف لهم مخالف للرسول كما أن المخالف للرسول مخالف لله ولكن هذا يقتضي ان كل ما أجمع عليه قد بينه الرسول وهذا هو الصواب

ولا يوجد قط مسئلة مجمع عليها الا وفيها بيان من الرسول ولكن
قد يخفى ذلك على بعض الناس ويعلم الاجماع فيستدل به كما أنه يستدل
بالنص من لم يعرف دلالة النص وهو دليل ثان مع النص كالامثال
المضروبة في القرآن وكذلك الاجماع دليل آخر كما يقال قد دل على
ذلك الكتاب والسنة والاجماع وكل من هذه الاصول يدل على الحق
مع تلازمها فان ما دل عليه الاجماع فقد دل عليه الكتاب والسنة وما
دل عليه القرآن فعن الرسول أخذ فالكتاب والسنة كلاهما مأخوذ عنه
ولا يوجد مسئلة يتفق الاجماع عليها الا وفيها نص

وقد كان بعض الناس يذكر مسائل فيها اجماع بلا نص كالمضاربة
وليس كذلك بل المضاربة كانت مشهورة بينهم في الجاهلية لاسيما قريش
فان الاغلب كان عليهم التجارة وكان أصحاب الاموال يدفعونها الى العمال
ورسول الله صلى الله عليه وسلم قد سافر بمال غيره قبل النبوة كما سافر
بمال خديجة والعير التي كان فيها أبو سفيان كان أكثرها مضاربة مع أبي سفيان
وغيرها فلما جاء الاسلام أقرها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أصحابه
يسافرون بمال غيرهم مضاربة ولم ينه عن ذلك والسنة قوله وفعله واقراره
فلما أقرها كانت ثابتة بالسنة والاثر المشهور فيها عن عمر الذي رواه مالك
في الموطأ ويعتمد عليه الفقهاء لما أرسل أبو موسى بمال أقرضه لابنيه
واتجرا فيه وربحا وطلب عمر أن يأخذ الربح كله للمسلمين لكونه خصهما
بذلك دون سائر الجيش فقال له أحدهما لو خسر المال كان علينا فكيف
يكون لك الربح وعلينا الضمان فقال له بعض الصحابة اجعله مضاربا

تخصيه مضاربة وانما قال ذلك لان المضاربة كانت معروفة بينهم والعهد بالرسول قريب لم يحدث بعده فعلم انها كانت معروفه بينهم على عهد الرسول كما كانت الفلاحة وغيرها من الصناعات كالخياطه والجزارة وعلى هذا فالمسائل المجمع عليها قد تكون طائفة من المجتهدين لم يعرفوا فيها نصا فقالوا فيها باجتهاد الرأي الموافق للنص لكن كان النص عند غيرهم وابن جرير وطائفه يقولون لا ينعقد الاجماع الا عن نص نقلوه عن الرسول مع قولهم بصحة القياس

ونحن لا نشترط أن يكونوا كلهم علموا النص فنقلوه بالمعني كما تنقل الاخبار لكن استقرأنا موارد الاجماع فوجدناها كلها منصوصة وكثير من العلماء لم يعلم النص وقد وافق الجماعة كما انه قد يحتج بقياس وفيها اجماع لم يعلمه فيوافق الاجماع وكما يكون فى المسألة نص خاص وقد استدل فيها بعضهم بعموم كاستدلال ابن مسعود وغيره بقوله وأولات الاحمال أجلهن أن يضعن حملهن وقال ابن مسعود سورة النساء القصري نزلت بعد الطولى أي بعد البقرة وقوله أجلهن أن يضعن حملهن يقتضى انحصار الاجل فى ذلك فلو أوجب عليها أن تعتد بابعد الاجلين لم يكن أجلها أن تضع حملها وعلي وابن عباس وغيرهما ادخلوها فى عموم الآيتين وجاء النص الخاص فى قصه سبيعة الاسلمية بما يوافق قول ابن مسعود

وكذلك لما تنازعوا في المفوضة اذا مات زوجها هل لها مهر المثل أفتي ابن مسعود فيها برأيه أن لها مهر المثل ثم رووا حديث بروع بنت

واشق بما يوافق ذلك وقد خالفه علي وزيد وغيرهما فقالوا لامهر لها

فهذا ان بعض المجتهدين قد يبقى بعموم أو قياس ويكون في الحادثة

نص خاص لم يعلمه فيوافقه ولا نعلم مسئلة واحدة اتفقوا على انه لا نص

فيها بل عامة ما تنازعوا فيه كان بعضهم يحتج فيه بالنصوص أولئك يحتجوا

بنص كالمتوفى عنها الحامل وهؤلاء احتجوا بشمول الآيتين لها والآخرين

قالوا انما تدخل في آية الحمل فقط وان آية الشهور في غير الحامل كما

ان آية القروء في غير الحامل

وكذلك لما تنازعوا في الحرام احتج من جعله يمينا بقوله لم تحرم

ما أحل الله لك تبتغي مرضات أزواجك والله غفور رحيم قد فرض

الله لكم تحلة أيمانكم

وكذلك لما تنازعوا في المبتوتة هل لها نفقة أو سكنى احتج هؤلاء

بحديث فاطمة وبان السكنى التي في القرآن للرجعية وأولئك قالوا بل هي

لهما ودلالات النصوص قد تكون خفية فخص الله بفهمهن بعض

الناس كما قال علي الا فهما يؤتيه الله عبدا في كتابه

وقد يكون النص بينا ويذهل المجتهد عنه كتيمم الجنب فانه بين

في القرآن في آيتين ولما احتج أبو موسى على ابن مسعود بذلك قال

الحاضر ما ندري ما عبد الله ما يقول الا انه قال لو أرخصنا لهم في هذا

لاوشك أحدهم اذا وجد المرء البرد أن يتيمم وقد قال ابن عباس وفاطمة

بنت قيس وجابر ان المطلقة في القرآن هي الرجعية بدليل قوله لا تدري

لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا وأي أمر يحدثه بعد الثلاثة

وقد احتج طائفة على وجوب العمرة بقوله وأتموا الحج والعمرة لله واحتج بهذه الآية من منع الفسخ وآخرون يقولون انما أمر بالاتمام فقط وكذلك أمر الشارع أن يتم وكذلك في الفسخ قالوا من فسخ العمرة الى غير حج فلم يتمها اما اذا فسخها الحج من عامه فهذا قد أتي بالتمام مما شرع فيه فانه شرع في حج مجرد فاتى بعمرة في الحج ولو لم يكن هذا اتماما لما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه عام حجة الوداع

وتنازعوا في الذي بيده عقدة النكاح وفي قوله أو لامستم النساء ونحو ذلك مما ليس هذا موضع استقصائه

وأما مسئلة مجردة اتفقوا على انه لا استدل فيها بنص جلي ولا خفي فهذا ما لا أعرفه

والجد لما قال أكثرهم انه أب استدلوا على ذلك بالقرآن بقوله كما أخرج أبويكم من الجنة وقال ابن عباس لو كان الجن يظن ان الانس تسمى أبا الاب جدا لما قالت وانه تعالى جد ربنا نقول انما هو أب لكن أب ابعد من أب

وقد روي عن علي وزيد أنهما احتجا بقياس فمن ادعى اجماعهم على ترك العمل بالرأي والقياس مطلقا فقد غلط ومن ادعي ان من المسائل مالم يتكلم فيها أحد منهم الا بالرأي والقياس فقد غلط بل كان كل منهم يتكلم بحسب ما عنده من العلم فمن رأى دلالة الكتاب ذكرها ومن رأى دلالة الميزان ذكرها

والدلائل الصحيحة لاتتناقض لكن قد يخفى وجه اتفاقها أو ضعف أحدها على بعض العلماء

وللصحابة فهم فى القرآن يخفى على أكثر المتأخرين كما أن لهم معرفة بأمور من السنة وأحوال الرسول لايعرفها أكثر المتأخرين فانهم شهدوا التنزيل وعاينوا الرسول وعرفوا من أقواله وأفعاله وأحواله مايستدلون به على مرادهم مالم يعرفه أكثر المتأخرين الذين لم يعرفوا ذلك فطلبوا الحكم مما اعتقدوه من اجماع أو قياس

ومن قال من المتأخرين ان الاجماع مستند معظم الشريعة فقد أخبر عن حاله فانه لنقص معرفته بالكتاب والسنة احتاج الى ذلك وهذا كقولهم ان أكثر الحوادث يحتاج فيها الي القياس لعدم دلالة النصوص عليها فانما هذا قول من لايعرف الكتاب والسنة ودلالتهما على الاحكام

وقد قال الامام أحمد رضى الله عنه انه مامن مسئلة الا وقد تكلم فيها الصحابة أوفي نظيرها فانه لما فتحت البلاد وانتشر الاسلام حدثت جميع أجناس الاعمال فتكلموا فيها بالكتاب والسنة وانما تكلم بعضهم بالرأى فى مسائل قليلة والاجماع لم يكن يحتج به عامتهم ولا يحتاجون اليه اذهم أهل الاجماع فلا اجماع قبلهم لكن لما جاء التابعون كتب عمر الى شريح اقض بما فى كتاب الله فان لم تجد فبما فى سنة رسول الله فان لم تجد فبما به قضى الصالحون قبلك وفي رواية فبما أجمع عليه الناس وعمر قال بتقديم الكتاب ثم السنة وكذلك ابن مسعود قال مثل ماقال عمر قدم الكتاب ثم السنة ثم الاجماع وكذلك ابن عباس كان يفتى بمافي

الكتاب ثم بما في السنة ثم بسنة أبي بكر وعمر لقوله اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر

وهذه الآثار ثابتة عن عمر وابن مسعود وابن عباس وهم من أشهر الصحابة لفتيا والقضاء وهذا هو الصواب ولكن طائفة من المتأخرين قالوا يبدأ المجتهد بأن ينظر أولا في الاجماع فان وجده لم يلتفت الى غيره وان وجد نصاً خالفه اعتقد أنه منسوخ بنص لم يبلغه وقال بعضهم الاجماع نسخه

والصواب طريقة السلف وذلك لأن الاجماع اذا خالفه نص فلا بد أن يكون مع الاجماع نص معروف به أن ذاك منسوخ فاما أن يكون النص المحكم قد ضيعته الامة وحفظت النص المنسوخ فهذا لا يوجد قط وهو نسبة الامة الى حفظ ما نهيت عن اتباعه واضاعة ما امرت باتباعه وهي معصومة عن ذلك

ومعرفة الاجماع قد تتعذر كثيراً أو غالبا فمن ذا الذي يحيط بأقوال المجتهدين بخلاف النصوص فان معرفتها ممكنة متيسرة وهم انما كانوا يقضون بالكتاب أولاً لأن السنة لا تنسخ الكتاب فلا يكون في القرآن شيء منسوخ بالسنة بل ان كان فيه منسوخ كان في القرآن ناسخه فلا يقدم غير القرآن عليه ثم اذا لم يجد ذلك طلبه في السنة ولا يكون في السنة شيء منسوخ الا والسنة نسخته لا ينسخ السنة اجماع ولا غيره ولا تعارض السنة باجماع وأكثر ألفاظ الآثار فان لم يجد فالطالب قد لا يجد مطلوبه في السنة مع أنه فيها وكذلك في القرآن فيجوز له اذا لم يجده

فى القرآن أن بطانه في السنة واذا كان فى السنة لم يكن مافي السنه معارضاً لما فى القرآن وكذلك الاجماع الصحيح لايعارض كتاباولاسنة

تم بحمد الله وعونه وصلواته على خير بريته محمد وآله

﴿ تمت الرسالة الثانية ﴾

﴿ ويليها الرسالة الثالثه التبيان في نزول القرآن ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

(قال الامام العلامة المحقق أبو العباس أحمد بن تيميه)

(رحمه الله تعالى ورضي عنه)

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد

(وآله وصحبه أجمعين)

(أما بعد فهذا) فصل في نزول القرآن ولفظ النزول حيث ذكر في كتاب الله تعالى فان كثيراً من الناس فسروا النزول في مواضع من القرآن بتفسير ماهو معناه المعروف لاشتباه المعنى في تلك المواضع وصار ذلك حجة لمن فسر نزول القرآن بتفسير أهل البدع

فمن الجهمية من يقول انزل بمعنى خلق كقوله تعالى وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد أو يقول خلقه في مكان عال ثم أنزله من ذلك المكان

ومن الكلابية من يقول أنزل بمعنى الاعلام به وافهامه للملك أو نزول الملك بما فهمه

وهذا الذي قالوه باطل في اللغة والشرع والعقل والمقصود هنا ذكر النزول

فنقول وبالله التوفيق النزول في كتاب الله عز وجل ثلاثة انواع نزول مقيد بأنه منه ونزول مقيد بأنه من السماء ونزول غير مقيد لا بهذا ولا بهذا

فالاول لم يرد الا في القرآن كما قال تعالى والذين آتيناهم الكتاب

يعلمون أنه منزل من ربك بالحق وقال تعالى نزله روح القدس من ربك
بالحق وقال تعالى تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم وفيها قولان
أحدهما لاحذف في الكلام بل قوله تنزيل الكتاب مبتدأ وخبره من
الله العزيز الحكيم والثاني أنه خبر مبتدأ محذوف أي هذا تنزيل الكتاب
وعلى كلا القولين فقد ثبت أنه منزل منه وكذلك قوله حم تنزيل الكتاب
من الله العزيز الحكيم والتنزيل بمعنى المنزل تسمية للمفعول باسم المصدر
وهو كثير ولهذا يقال القرآن كلام الله ليس بمخلوق منه بدا قال أحمد
وغيره وإليه يعود أي هو المتكلم به وقال كلام الله من الله ليس ببائن
منه أي لم يخلقه في غيره فيكون مبتدأ منزلا من ذلك المخلوق بل هو
منزل من الله كما أخبر به ومن الله بدا لا من مخلوق فهو الذي تكلم
به لخلقه

وأما النزول المقيد بالسماء فقوله وأنزلنا من السماء والسماء اسم
جنس لكل ما علا فإذا قيد بشيء معين تقيد به فقوله في غير موضع من السماء
مطلق أي في العلو ثم قد يتعين في موضع آخر كقوله أأنتم أنزلتموه من
المزن وقوله فترى الودق يخرج من خلاله أي أنه منزل من السحاب
ومما يشبه نزول القرآن قوله ينزل الملائكة بالروح من أمره على من
يشاء من عباده فنزول الملائكة هو نزولهم بالوحي من أمره الذي هو
كلامه وكذلك تنزل الملائكة والروح فيها مناسب قوله فيها يفرق كل أمر
حكيم أمراً من عندنا إنا كنا مرسلين فهذا شبيه بقوله قل نزله روح القدس

وأما المطلق ففي مواضع منها ما ذكره من انزال السكينة لقوله فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وقوله هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين الى غير ذلك

ومن ذلك انزال الميزان ذكره مع الكتاب في موضعين وجمهور المفسرين على ان المراد به العدل وعن مجاهد رحمه الله هو ما يوزن به ولا منافاة بين القولين وكذلك العدل وما يعرف به العدل منزل في القلوب والملائكة قد تنزل على قلوب المؤمنين لقوله اذ يوحي ربك الى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا فذلك الثبات نزل في القلوب بواسطة الملائكة وهو السكينة قال النبي صلى الله عليه وسلم من طلب القضاء واستعان عليه وكل اليه ومن لم يطلب القضاء ولم يستعن عليه أنزل الله عليه ملكا يسدده فالله ينزل عليه ملكا وذلك الملك يلهمه السداد وهو ينزل في قلبه

ومنه حديث حذيفة رضي الله عنه الذي في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله أنزل الامانة في جذر قلوب الرجال فعلموا من القرآن وعلموا من السنة والامانة هي الايمان أنزلها في أصل قلوب الرجال وهو كانزال الميزان والسكينة وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله الحديث الى آخره فذكر أربعة عشر حتى ان الرحمة وهي أن تغشاهم كما تغشى اللباس لابسه وكما تغشى الرجل المرأة والليل

النار ثم قال وترلت عليهم السكينة وهو انزالها في قلوبهم وحفتهم الملائكة أي جلست حولهم وذكرهم الله فيمن عنده من الملائكة

وذكر الله الغشيان في مواضع مثل قوله تعالى يغشى الليل النهار وقوله فلما تغشاها حملت حملاً خفيفا وقوله والمؤتفكة أهوى فغشاها ما غشى وقوله ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون هذا كله فيه احاطة من كل وجه

وذكر تعالى انزال النعاس في قوله ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون هذا كله فيه احاطة من كل وجه

وذكر تعالى انزال النعاس في قوله ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا يغشى طائفة منكم هذا يوم أحد وقال في يوم بدر إذ يغشاكم النعاس أمنة منه والنعاس ينزل في الرأس بسبب نزول الابخرة التي يدخل في الدماغ فتنعقد فيحصل منها النعاس

وطائفة من أهل الكلام منهم أبو الحسن الاشعري ومن اتبعه من أصحاب مالك والشافعي وأحمد جعلوا النزول والاتيان والمجيء حدثا يحدثه منفصلا عنه فذاك هو اتيانه واستواؤه على العرش فقالوا استواؤه فعل فعله في العرش يصير به مستويا من غير فعل يقوم بالرب لكن أكثر الناس خالفوهم وقالوا المعروف أنه لايجيء شيء من الصفات والاعراض الا بمجيء شيء فاذا قالوا جاء البرد وجاء الحر فقد جاء الهواء الذي يحمل الحر والبرد وهو عين قائمة بنفسها واذا قالوا جاءت الحمى

فالحمى حر وبرد يقوم بعين قائمة بسبب أخلاط تحرك وتحول من حال الى حال فيحدث الحر والبرد بذلك وهذا بخلاف العرض الذي يحدث بلا تحول من حامل مثل لون الفاكهة فانه لا يقال في هذا جاءته الحمرة والصفرة والخضرة بل يقال أحمر وأصفر وأخضر واذا كان كذلك فانزله تعالى العدل والسكينة والنعاس والامانة وهذه صفات تقوم بالعباد انما تكون اذا قضى بها الشيء فأعيان قائمة توصف بالنزول كما توصف الملائكة بالنزول بالوحي والقرآن فاذا نزل بها الملائكة قيل انها نزلت

وكذلك لو نزل عن الملائكة كالهواء الذي ينزل بالاسباب ويحدث الله منه البخار الذي يكون منه النعاس وكان قد انزل النعاس سبحانه بالحمله

وقد ذكر سبحانه انزال الحديد والحديد يخلق في المعادن

وما يذكر عن ابن عباس رضي الله عنهما ان آدم عليه السلام نزل من الجنة ومعه خمسة أشياء من حديد السندان والكلبتان والميقعة والمطرقة والابرة فهو كذب لا يثبت مثله

وكذلك الحديث الذي رواه الثعلبي عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله أنزل أربع بركات من السماء الى الارض فأنزل الحديد والماء والنار والملح حديث موضوع مكذوب في اسناده سيف بن محمد ابن أخت سفيان الثوري رحمه الله من الكذابين المعروفين بالكذب

قال ابن الجوزي هو يوسف بن محمد بن أحمد سفيان الثوري يروي عن الثوري وعاصم الاحول والاعمش قال أحمد رحمه الله هو كذاب يضع الحديث وقال مرة ليس بشيء وقال يحيي كان كذابا خبيثا وقال مرة ليس بثقة ولا مأمون وقال الدار قطني ضعيف متروك والناس يشهدون ان هذه الامة تصنع من حديد المعادن مايريدون فان قيل ان آدم عليه السلام نزل معه جميع الآلات فهذه مكابرة للعيان وان قيل بل نزل معه آلة واحده وتلك لا تعرف وأى فائده في هذا لسائر الناس ثم مايصنع بهذه الآلات اذا لم يكن ثم حديد موجود يطرق بهذه الآلات واذا خلق الله الحديد صنعت به هذه الآلات مع أن المأثور ان أول من خط وخاط ادريس عليه السلام وآدم عليه السلام لم يخط ثوبا فما يصنع بالابرة

ثم أخبر انه أنزل الحديد فكان المقصود الاكبر بذكر الحديد هو اتخاذ آلات الجهاد منه كالسيف والسنان والنصل وما أشبه ذلك الذي به ينصر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وهذا لم ينزل من السماء فان قيل نزلت الآلة التي يطبع بها وينسل فالله أخبر أنه أنزل الحديد لهذه المعاني المتقدمة والآلة وحدها لا تكفي بل لابد من مادة يصنع بها آلات الجهاد لكن لفظ النزول أشكل على كثير من الناس حتي قال قطرب رحمه الله معناه جعله نزلا كما يقال أنزل الامير على فلان نزلا حسنا أى جعله نزلا قال ومثله قوله تعالى وأنزل لكم من الانعام ثمانية أزواج وهذا ضعيف فان انزل انما يطلق على ماتؤكل لا على

مانها ان به قال الله تعالى فنزل من حمم والصياغة سبب نزلا لان العادة ان الضيف يكون راكبا وينزل في مكان تؤتى اليه ضيافته فيه ثم يؤتيت نزلا لاجل نزوله ونزل بني فلان ضيف ولهذا قال نوح عليه السلام رب انزلني منزلا مباركا وأنت خير المنزلين لانه كان راكبا في السفينة وسمي المواضع التي ينزل بها المسافرون منازل لانهم يكونون ركبانا فينزلون والمشاة تبع للركبان وتسمى المساكن منازل

وجعل بعضهم نزول الحديد بمعنى الخلق لانه أخرجه من المعادن وعلمهم صنعه فان الحديد انما يخلق في المعادن والمعادن انما تكون في الجبال فالحديد ينزله الله من معادنه التي في الجبال لينتفع به بنو آدم وقال تعالى وأنزل لكم من الانعام ثمانية أزواج

وهذا مما أشكل أيضا فمنهم من قال جعل ومنهم من قال خلق لكونها تخلق من الماء فان به تكون النبات الذي ينزل أصله من السماء وهو الماء وقال قطرب جعلناه نزلا ولا حاجة الى اخراج اللفظ عن معناه المعروف لغة فان الانعام تنزل من بطون أمهاتها ومن أصلاب آبائها تأتي بطون أمهاتها ويقال للرجل قد أنزل الماء واذا أنزل وجب عليه الغسل مع أن الرجل غالب انزاله وهو على جنب اما وقت الجماع واما بالاحتلام فكيف بالانعام التي غالب انزالها مع قيامها على رجليها وارتفاعها على ظهور الاناث

ومما يبين هذا أنه لم يستعمل النزول فيما خلق من السفليات فلم يقل أنزل النبات ولا أنزل المرعي وانما استعمل فيما يخلق في محل عال وأنزله

الله من دلك المحل كالحديد والانعام

وقال تعالى يابى آدم قد أنرلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم وريشا الآية وفيها قراءتان احداهما النصب ويكون اللباس التقوى أيضا منزلا وأما قراءة الرفع فلا وكلاهما حق وقد قيل خلقناه وقيل أنزلنا أسبابه وقيل الهمناهم كيفية صنعه وهذه الاقوال ضعيفة فان السلف الذي ذكروا لم يجيء فيه لفظ أنزلنا ولم يستعمل في كل ما يصنع أنزلنا فلم نقل أنزلنا الدور وأنزلنا الطبخ ونحو ذلك وهو لم يقل انا أنزلنا كل لباس ورياش وقد قيل ان الريش والرياش المراد به اللباس الفاخر كلاهما بمعنى واحد مثل اللبس واللباس وقد قيل هما المال والخصب والمعاش وارتاش فلان حسنت حاله

والصحيح ان الريش هو الاثاث والمتاع قال أبو عمرو العرب تقول أعطاني فلان ريشه أي كسوته وجهازه وقال غيره الرياش في كلام العرب الاثاث وما ظهر من المتاع والثياب والفرش ونحوها وبعض هؤلاء أطلق عليه لفظ المال والمراد به مال مخصوص قال ابن زيد جمالا وهذا لأنه مأخوذ من ريش الطائر وهو ماروش به ويدفع عنه حر والبرد وجمال الطائر ريشه وكذلك ماينبت فيه الانسان من الفرش وما بسطه تحته ونحو ذلك والقرآن مقصوده جنس اللباس الذي يلبس على البدن وفي البيوت كما قال تعالى والله جعل لكم من بيوتكم سكنا الآية فامتن سبحانه بما ينتفعون به من الانعام في اللباس والاثاث وهذا والله اعلم معنى انزاله فانه ينزله من ظهور الانعام وهو كسوة الانعام من

الاصواف والاوبار والاشعار وينتفع به بنو آدم من الثياب والرياش فقد أبرلها عليهم وأكثر أهل الارض كسوتهم من جلود الدواب فهى لدفع الحر والبرد وأعظم مما صنع من القطن والكتان والله تعالى ذكر في سورة النحل انعامه على عباده فذكر في أول السورة أصول النعم التي لا يعيش بنو آدم الا بها وذكر في اثنائها تمام النعم التى لا يطيب عيشهم الا بها فذكر في أولها الرزق الذي لا بد لهم منه وذكر ماندفع البرد من الكسوة بقوله والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنها تأكلون ثم في اثناء السورة ذكر لهم المساكن ومنافع البيت وتمام مساكن الحاضرة والبادية ومساكن المسافرين فقال تعالى والله جعل لكم من بيوتكم سكنا الآية ثم ذكر اتمامه بالظلال التى تقيهم الحر والبأس فقال والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال أكنانا الى قوله كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون ولم يذكر هنا ماتقي من البرد لانه قد ذكره في أول السورة وذلك في أصول النعم لان البرد يقتل فلا تقدر أحد أن يعيش فى البلاد الباردة بلا دفء بخلاف الحر فانه أذى لكنه لا يقتل كما تقتل البرد فان الحر قد يتقى بالظلال واللباس وغيرها وأهله أيضا لا يحتاجون الى وقاية كما يحتاج اليه الا دليل أدنى وقاية تكفيهم وهم في الليل وطرفي النهار ولا يتأذون به أذى كثيرا بل لا يحتاجون اليه أحيانا حاجة قوية فجمع بينهما في قوله سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم ولا حذف في اللفظ ولا قصور فى المعنى كما يظنه من لم يحسن القرآن بل لفظه أتم لفظ ومعناه أكمل المعاني

فاذا كان الاناس والرياش ينزل من ظهور الانعام وكسوة الانعام منزلة من الاصلاب والبطون كما تقدم فهو منزل من الجهتين فانه على ظهور الانعام لا ينتفع به بنو آدم حتى ينزل

وقد تبين ان ليس في القرآن ولا في السنة لفظ نزول الا وفيه معنى النزول المعروف هذا هو اللائق بالقرآن فانه نزل بلغة العرب ولا تعرف العرب نزولا الا بهذا المعنى ولو أريد غير هذا المعنى لكان خطابا بغير لغتها ثم هو استعمال اللفظ المعروف له معنى في معنى آخر بلا بيان وهذا لا يجوز بما ذكرنا وبهذا يحصل مقصود القرآن واللغة الذى أخبر الله تعالى انه بينه وجعله هدى للناس ولكن هذا آخره والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم تسليما كثيرا

وسئل أيضا رحمه الله تعالى عن عرض الأديان عند الموت هل لذلك أصل في الكتاب والسنة أم لا وقوله صلى الله عليه وسلم انكم لتفتنون في قبوركم ما المراد بالفتنة واذا ارتد العبد والعياذ بالله تعالى هل يجازى باعماله الصالحة قبل الردة أم لا

الجواب الحمد لله أما عرض الأديان على العبد وقت الموت فليس هو أمرا عاما لكل أحد ولا هو أيضا منتفيا عن كل أحد بل من الناس من تعرض عليه الاديان ومنهم من لا تعرض عليه وقد وقع ذلك لاقوام وذلك كله من فتنة المحيا والممات التى أمرنا ان نستعيذ منها في صلاتنا منها ما في الحديث الصحيح الذى أمرنا النبي صلى الله عليه وسلم أن

نستعيذ في صلاتنا من أربع من عذاب جهنم ومن عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال ولكن وقت الموت يكون الشيطان أحرص مايكون على اغواء ابن آدم لانه وقت الحاجة وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح الاعمال بخواتيمها وقال صلى الله عليه وسلم ان العبد ليعمل بعمل أهل الجنة حتى مايكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار وان العبد ليعمل بعمل أهل النار حتي مايكون بينه وبينها الاذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة ولهذا روى ان الشيطان أشد مايكون على ابن آدم حين الموت يقول لاعوانه دونكم هذا فانه ان فاتكم لن تظفروا به أبدا وحكاية عبد الله بن أحمد بن حنبل مع أبيه وهو يقول لا بعد لا بعد مشهورة ولهذا يقال ان من لم يحج يخاف عليه من ذلك لما روي أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من ملك زادا وراحلة تبلغه الى بيت الله الحرام ولم يحج فلا عليه ان شاء يهوديا وان شاء نصرانيا قال الله تعالى ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين قال عكرمة لما نزلت هذه الآية ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه قالت اليهود والنصارى نحن مسلمون فقال الله لهم ولله على الناس حج البيت فقالوا لا نحجه فقال الله تعالى ومن كفر فان الله غني عن العالمين

وأما الفتنة في القبور فهي الامتحان والاختبار للميت حين يسأله الملكان فيقولان له ما ربك وما دينك ومن نبيك و يقولان له

ما كنت تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم محمد فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فيقول المؤمن الله ربي والاسلام ديني ومحمد نبيي ويقول هو محمد رسول الله جاءنا بالبينات والهدى فآمنا به واتبعناه فينتهرانه انتهارة شديدة وهي آخر فتنة التي تعرض بها المؤمن فيقولان له كما قال أولا

وقد تواترت الاحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الفتنة من حديث البراء بن عازب وانس بن مالك وأبي هريرة وغيرهم رضي الله عنهم وهي عامة للمكلفين الا النبيين فقد اختلف فيهم وكذلك اختلف في غير المكلفين كالصبيان والمجانين فقيل لا يفتنون لان المحنة انما تكون للمكلفين وهذا قول القاضي أبو يعلي وابن عقيل وعلى هذا فلا يلقنون بعد الموت وقيل بل يلقنون ويفتنون أيضا وهذا قول أبي حكيم وأبي الحسن ابن عبيد ونقله عن أصحابه وهو مطابق لقول من يقول انهم مكلفون يوم القيامة كما هو قول أكثر أهل العلم وأهل السنة من أهل الحديث والكلام وهو الذي ذكره أبو الحسن الاشعري عن أهل السنة واختاره وهو مقتضى نصوص الامام أحمد

وأما الردة عن الايمان بان يصير الرجل كافرا مشركا أو كتابيا فانه اذا مات على ذلك والعياذ بالله تعالى حبط عمله باتفاق العلماء كما نطق بذلك القرآن في غير موضع كقوله تعالى ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون وقوله ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله

وقوله ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون وقوله لئن أشركت ليحبطن عملك والمراد غير النبي صلى الله عليه وسلم ولكن التنازع فيما اذا ارتد ثم عاد الى الاسلام هل تحبط الاعمال التي عملها قبل الردة ويجب عليه قضاؤها أم لا تحبط الا اذا مات مرتدا على قولين مشهورين هما قولان في مذهب الامام أحمد والحبوط مذهب الامامين مالك وأبي حنيفة وهو الراجح والوقف مذهب الشافعي وتنازع الناس أيضاً في المرتد هل يقال كان له ايمان صحيح حبط بالردة أم يقال بل بالردة تبين ان ايمانه كان فاسدا وان الايمان الصحيح لا يزول البتة على قولين لطوائف من الناس وعلى ذلك ينبني قول المستثني انا مؤمن ان شاء الله

هل يعود الاستثناء الى كمال الايمان في الحال أو

يعود الى الموافاة في المآل والله أعلم قاله

أحمد بن تيمية أحسن الله

جزاءه وتوفيقه

تمت الرسالة الثالثة

ويليها الرسالة الرابعة له أيضاً

بسم الله الرحمن الرحيم

سؤال أبي القاسم القاسم بن يوسف بن محمد التجيبي السبتي يتفضل سيدنا الشيخ الفقيه الإمام الفاضل العالم بقية السلف قدوة الخلف المدع المعرب المعرب المفصح أعلم من لقيت ببلاد المشرق والمغرب تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية أبقى الله علينا بركته أن يوصيني بما يكون فيه صلاح ديني ودنياي ويرشدني إلى كتاب يكون عليه اعتمادي في علم الحديث وكذلك في غيره من العلوم الشرعية وينبهني على أفضل الأعمال الصالحة بعد الواجبات ويبين لي أرجح المكاسب كل ذلك على قصد الإيجاز والاختصار والله تعالى يحفظه والسلام الكريم عليه ورحمة الله وبركاته

قال شيخ الإسلام بحر العلوم ابن تيمية رحمه الله ورضي عنه الحمد لله رب العالمين (أما الوصية) فما أعلم وصية أنفع من وصية الله ورسوله لمن عقلها واتبعها قال الله تعالى ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله ووصى النبي صلى الله عليه وسلم معاذا لما بعثه إلى اليمن فقال يا معاذ اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن وكان معاذ رضي الله عنه من النبي صلى الله عليه وسلم بمنزلة علية فإنه قال له يا معاذ والله إني لأحبك وكان يردفه وراءه وروي فيه أنه أعلم الأمة بالحلال والحرام وأنه يحشر أمام العلماء برتوة أي بخطوة ومن فضله بعثه النبي صلى الله عليه وسلم مبلغا عنه داعيا ومفقها ومفتيا وحاكما إلى أهل اليمن وكان يشبهه بإبراهيم الخليل عليه السلام وإبراهيم إمام الناس وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول إن معاذا كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين تشبيها له بإبراهيم ثم

أنه وصاه هذه الوصية فعلم أنها جامعة وهي كذلك لمن عقلها مع أنها تفسير الوصية القرآنية

اما بيان جمعها فلأن العبد عليه حقان حق لله عز وجل وحق لعباده ثم الحق الذي عليه لا بد ان يخل ببعضه أحيانا اما بترك مأمور به أو فعل منهي عنه فقال النبي صلى الله عليه وسلم اتق الله حيثما كنت وهذه كلمة جامعة وفي قوله حيثما كنت تحقيق لحاجته الى التقوى في السر والعلانية ثم قال وأتبع السيئة الحسنة تمحها فان الطبيب متى تناول المريض شيئا مضرا أمره بما يصلحه والذنب للعبد كأنه أمر حتم فالكيس هو الذي لا يزال يأتي من الحسنات بما يمحو السيئات وانما قدم في لفظ الحديث السيئة وان كانت مفعوله لان المقصود هنا محوها لا فعل الحسنة فصار كقوله صبوا على بوله ذنوبا من ماء

وينبغي أن تكون الحسنات من جنس السيئات فانه أبلغ في المحو والذنوب يزول موجبها بأشياء أحدها التوبة *والثاني الاستغفار من غير توبة فان الله تعالى قد يغفر له اجابة لدعائه وان لم يتب فاذا اجتمعت التوبة والاستغفار فهو الكمال *الثالث الاعمال الصالحة المكفرة أما الكفارات المقدرة كما يكفر المجامع في رمضان والمظاهر والمرتكب لبعض محظورات الحج أو تارك بعض واجباته أو قاتل الصيد بالكفارات المقدرة وهي أربعة أجناس هدي وعتق وصدقة وصيام وأما الكفارات المطلقة كما قال حذيفة لعمر فتنة الرجل في أهله وماله وولده يكفرها الصلاة والصيام والصدقة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقد دل على

ذلك القرآن والاحاديث الصحاح في التكبير بالصلوات الخمس والجمعة والصيام والحج وسائر الاعمال التي يقال فيها من قال كذا وعمل كذا غفر له أو غفر له ما تقدم من ذنبه وهي كثيرة لمن تلقاها من السنن خصوصا ما صنف من فضائل الاعمال

واعلم أن العناية بهذا من أشد ما بالانسان الحاجة اليه فان الانسان من حين بلغ خصوصاً في هذه الازمنة ونحوها من أزمنة الفترات التي تشبه الجاهلية من بعض الوجوه فان الانسان الذي ينشأ بين أهل علم ودين قد يتلطخ من أمور الجاهلية بعدة أشياء فكيف بغير هذا وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث أبي سعيد رضي الله عنه لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه قالوا يارسول الله اليهود والنصارى قال فمن هذا خبر تصديقه في قوله تعالى فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذي خاضوا ولهذا شواهد في الصحاح والحسان وهذا أمر قد يسري في المنتسبين الى الدين من الخاصة كما قال غير واحد من السلف منهم ابن عيينة فان كثيراً من أحوال اليهود قد ابتلي به بعض المنتسبين الى العلم وكثيراً من أحوال النصارى قد ابتلي به بعض المنتسبين الى الدين كما يبصر ذلك من فهم دين الاسلام الذي بعث الله به محمداً صلى الله عليه وسلم ثم نزله على أحوال الناس واذا كان الامر كذلك فمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه وكان ميتاً فأحياه الله وجعل له نوراً يمشي به في الناس لابد أن يلاحظ أحوال الجاهلية

وصرفي الامرعن المغضوب عليهم والضالين من اليهود والنصارى فيرى أن هذا أعلى بعض ذلك

وأنفع ما للخاصة والعامة العلم بما يخلص النفوس من هذه الورطات وهو اتباع السيآت الحسنات والحسنات ما ندب الله اليه على لسان خاتم النبيين من الاعمال والاخلاق والصفات ومما يزيل موجب الذنوب المصائب المكفرة وهي كل ما يؤلم من هم أوحزن أو أذى في مال أو عرض أو جسد أوغير ذلك لكن ليس هذا من فعل العبد

فلما قضى بهاتين الكلمتين حق الله من عمل الصالح واصلاح الفاسد قال وخالق الناس بخلق حسن وهو حق الناس

وجماع الخلق الحسن مع الناس أن تصل من قطعك بالسلام والاكرام والدعاء له ولا ستغفار والثناء عليه والزيارة له ، وتعطى من حرمك من التعليم والمنفعة والمال وتعفو عمن ظلمك فى دم أو مال أو عرض وبعض هذا واجب وبعضه مستحب

وأما الخلق العظيم الذى وصف الله به محمداً صلى الله عليه وسلم فهو الدين الجامع لجميع ماأمر الله به مطلقاً هكذا قال مجاهد وغيره وهو تأويل القرآن كما قالت عائشة رضى الله عنها كان خلقه القرآن وحقيقته المبادرة الى امتثال ما يحبه الله تعالى بطيب نفس وانشراح صدر

وأما بيان ان هذا كله في وصية الله فهو ان اسم تقوى الله يجمع فعل كل ما أمر الله به ايجابا و استحبابا وما نهى عنه تحريماً وتنزيهاً وهذا يجمع حقوق الله وحقوق العباد لكن لما كان تارة يعنى بالتقوى خشية

امداد المتصة للاكتفاء عن المحارم جاء مفسراً في حديث معاذ وكذلك في حديث أبي هريرة رضي الله عنهما الذي رواه الترمذي وصححه قيل يارسول الله ما أكثر مايدخل الناس الجنة قال تقوى الله وحسن الخلق وقيل ما أكثر مايدخل الناس النار قال الأجوفان الفم والفرج وفي الصحيح عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكمل المؤمنين ايماناً أحسنهم خلقاً فجعل كمال الايمان في كمال حسن الخلق ومعلوم أن الايمان كله تقوى الله وتفصيل أصول التقوى وفروعها لا يحتمله هذا الموضع فانها الدين كله لكن ينبوع الخير وأصله اخلاص العبد لربه عبادة واستعانة كما في قوله اياك نعبد واياك نستعين وفي قوله فاعبده وتوكل عليه وفي قوله عليه توكلت واليه انيب وفي قوله فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له بحيث يقطع العبد تعلق قلبه من المخلوقين انتفاعاً بهم أو عملاً لاجلهم ويجعل همته ربه تعالى وذلك بملازمة الدعاء له في كل مطلوب من فاقة وحاجة ومخافة وغير ذلك والعمل له بكل محبوب ومن أحكم هذا فلا يمكن ان يوصف مايعقبه ذلك

وأما ما سألت عنه من أفضل الأعمال بعد الفرائض فانه يختلف باختلاف الناس فيما يقدرون عليه وما يناسب أوقاتهم فلا يمكن فيه جواب جامع مفصل لكل أحد لكن مما هو كالاجماع بين العلماء بالله وأمره ملازمة ذكر الله دائماً هو أفضل ماشغل العبد به نفسه في الجملة وعلى ذلك حديث أبي هريرة الذي رواه مسلم سبق المفردون قالوا يارسول

أنه ومن المفردون قال الذاكرون الله كثيراً والذاكرات وفيما رواه
أبو داود عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
أنه قال ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم
وخير لكم من إعطاء الذهب والورق ومن أن تلقوا عدوكم فتضربوا
أعناقهم ويضربوا أعناقكم قالوا بلى يا رسول الله قال ذكر الله والدلائل
القرآنية والإيمانية بصراً وخبراً ونظراً على ذلك كثيرة وأقل ذلك أن
يلازم العبد الأذكار المأثورة عن معلم الخير وإمام المتقين صلى الله عليه
وسلم كالأذكار المؤقتة في أول النهار وآخره وعند أخذ المضجع وعند
الاستيقاظ من المنام وأدبار الصلوات والأذكار المقيدة مثل ما يقال عند
الأكل والشرب واللباس والجماع ودخول المنزل والمسجد والخلاء
والخروج من ذلك وعند المطر والرعد إلى غير ذلك وقد صنفت له
الكتب المسماة بعمل يوم وليلة ثم ملازمة الذكر مطلقاً وأفضله لا إله
إلا الله وقد تعرض أحوال يكون بقية الذكر مثل سبحان الله والحمد لله
والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله أفضل منه ثم يعلم أن كل ما تكلم
به اللسان وتصوره القلب مما يقرب إلى الله من تعلم علم وتعليمه وأمر
بمعروف ونهي عن منكر فهو من ذكر الله ولهذا من اشتغل بطلب
العلم النافع بعد أداء الفرائض أو جلس مجلساً يتفقه أو يفقه فيه الفقه
الذي سماه الله ورسوله فقهاً فهذا أيضاً من أفضل ذكر الله وعلى ذلك
إذا تدبرت لم تجد بين الأولين في كلماتهم في أفضل الأعمال كثير اختلاف
وما اشتبه أمره على العبد فعليه بالاستخارة المشروعة فما ندم من استخار

الله تعالى وليكثر من ذلك ومن الدعاء فانه مفتاح كل خير ولا يعجل فيقول قد دعوت فلم يستجب لى وليتحر الاوقات الفاضلة كآخر الليل وأدبار الصلوات وعند الاذان ووقت نزول المطر ونحو ذلك

﴿ وأما أرجح المكاسب ﴾ فالتوكل على الله والثقة بكفايته وحسن الظن به وذلك أنه ينبغي للمهتم بأمر الرزق أن يلجأ فيه الى الله ويدعوه كما قال سبحانه فيما يأثر عنه نبيه كلكم جائع الا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم ياعبادي كلكم عار الا من كسوته فاستكسوني أكسكم وفيما رواه الترمذي عن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسأل أحدكم ربه حاجته كلها حتى شسع نعله اذا انقطع فانه ان لم ييسره لم يتيسر وقد قال الله تعالى في كتابه واسألوا الله من فضله وقال سبحانه فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله وهذا وان كان في الجمعة فمعناه قائم في جميع الصلوات ولهذا والله اعلم أمر النبي صلى الله عليه وسلم للذي يدخل المسجد أن يقول اللهم افتح لى أبواب رحمتك واذا خرج أن يقول اللهم اني أسألك من فضلك وقد قال الخليل صلى الله عليه وسلم فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له وهذا أمر والامر يقتضي الايجاب فالاستعانة بالله واللجأ اليه في أمر الرزق وغيره أصل عظيم

ثم ينبغي له أن يأخذ المال بسخاوة نفس ليبارك له فيه ولا يأخذه باشراف وهلع بل يكون المال عنده بمنزلة الخلاء الذي يحتاج اليه من غير أن يكون له في القلب مكانة والسعي فيه اذا سعى كاصلاح الخلاء

وفي الحديث المرفوع رواه الترمذي وغيره من أصبح والدنيا أكبر همه شتت الله عليه شمله وفرق عليه ضيعته ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له ومن أصبح والآخرة أكبر همه جمع الله عليه شمله وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة وقال بعض السلف أنت محتاج إلى الدنيا وأنت إلى نصيبك من الآخرة أحوج فإن بدأت بنصيبك من الآخرة مر على نصيبك من الدنيا فانتظمه انتظاما قال الله تعالى وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين

فأما تعيين مكسب على مكسب من صناعة أو تجارة أو بناية أو حراثة أو غير ذلك فهذا يختلف باختلاف الناس ولا أعلم في ذلك شيئا عاما لكن إذا عن للإنسان جهة فليستخر الله تعالى فيها الاستخارة المتلقاة عن معلم الخير صلى الله عليه وسلم فإن فيها من البركة ما لا يحاط به ثم ما تيسر له فلا يتكلف غيره إلا أن يكون منه كراهة شرعية

وأما ما تعتمد عليه من الكتب في العلوم فهذا باب واسع وهو أيضا يختلف باختلاف نشأ الإنسان في البلاد فقد يتيسر له في بعض البلاد من العلم أو من طريقه ومذهبه فيه ما لا يتيسر له في بلد آخر لكن جماع الخير أن يستعين بالله سبحانه في تلقي العلم الموروث عن النبي صلى الله عليه وسلم فإنه هو الذي يستحق أن يسمى علما وما سواه إما أن يكون علما فلا يكون نافعا وإما أن لا يكون علما وإن سمي به ولئن كان علما نافعا فلابد أن يكون في ميراث محمد صلى الله عليه وسلم ما يغني عنه مما هو مثله وخير

ه ولكن همته فهم مقاصد الرسول في أمره ونهيه وسائر كلامه فاذا اطمأن قلبه أن هذا هو مراد الرسول فلا يعدل عنه فيما بينه وبين الله تعالى ولا مع الناس اذا أمكنه ذلك

واجتهد أن يعتصم في كل باب من أبواب العلم بأصل مأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم واذا اشتبه عليه مما قد اختلف فيه الناس فليدع بما رواه مسلم في صحيحه عن عائشة رضى الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول اذا قام يصلي من الليل اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك أنت تهدي من تشاء الي صراط مستقيم فان الله تعالى قد قال فيما رواه عنه رسوله ياعبادي كلكم ضال الا من هديته فاستهدوني أهدكم

وأما وصف الكتب والمصنفين فقد سمع منا في أثناء المذاكرة ماتيسره الله سبحانه ومافي الكتب المصنفة المبوبة كتاب أنفع من صحيح محمد بن اسماعيل البخاري لكن هو وحده لايقوم بأصول العلم ولا تقوم بتمام المقصود للمتبحر في أبواب العلم اذ لابد من معرفة أحاديث أخر وكلام أهل الفقه وأهل العلم في الامور التي يختص بعلمها بعض العلماء وقد أوعبت الامة في كل فن من فنون العلم ايعابا فمن نور الله قلبه هداه بما يبلغه من ذلك ومن أعماه لم تزده كثرة الكتب الا حيرة وضلالا كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لابن لبيد الانصاري أوليست التوراة والانجيل عند اليهود والنصارى فماذا تغني عنهم

العصم أن يرزقنا الهدى والسداد و يلهمنا رشدنا في الدنيا ... لا يزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا ويهب لنا من لدنه رحمة انه هو الوهاب
والحمد لله رب العالمين وصلواته على أشرف المرسلين

﴿ وجد بأصله ما نصه ﴾

سمع هذه الوصية على مصنفها شيخنا امام الائمة الاعلام شيخ الاسلام سيد الحفاظ والمحدثين قدوة المسلمين مفتي الفرق علم الهدي تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني رضي الله عنه أخوه الامام العالم شرف الدين أبو محمد عبد الله والشيخ الامام العالم الزاهد شمس الدين محمد بن أبي العباس الذاهبي وعز الدين عبد العزيز بن عبد اللطيف بن عبد العزيز بن عبد السلام بن تيمية ونور الدين محمد بن شرف الدين محمد بن علاء الدين محمد بن عبد القادر بن عبد الخالق الانصاري ابن الصائغ والشيخ أبو بكر بن قاسم بن ابى بكر الرحبي الكناني وزين الدين عبادة بن عبد الغني بن منصور بن منصور بن ابراهيم بن سلامة الحراني وجعفر بن سعيد بن حميد العسالي وعبد الحميد بن محمود بن أحمد الحلبي وناصر الدين محمد بن أحمد بن عبد الغني بن العلائي الحراني وذلك بقراءة القاسم بن محمد بن يوسف البرزالي في ليلة ثالث شهر ربيع الآخر سنة سبع وتسعين وستمائة بدار الحديث بالقصاعين بدمشق والحمد لله رب العالمين ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم انتهى

﴿ تمت الرسالة الرابعة ويليها الخامسة له أيضا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

مسئلة في النية في الطهارة والصلاة والزكاة والصيام والحج والعتق والجهاد وغير ذلك فهل محل ذلك القلب أم اللسان وهل يجب أن يجهر بالنية أم يستحب ذلك أو قال أحد من المسلمين ان لم يفعل ذلك بطلت صلاته وغيرها أو قال أحد ان صلاة الجاهر أفضل من صلاة الخافت اماما كان أو مأموما أو منفردا والتلفظ بها هل هو واجب أولا أو قال أحد من الائمة الاربعة أو غيرهم من أئمة المسلمين ان لم يتلفظ بالنية بطلت صلاته وان كانت غير واجبة فهل يستحب التلفظ بها وما السنة التي كان عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدون في ذلك واذا أصر على الجهر بها معتقدا أن ذلك مشروع فهل هو مبتدع مخالف لشريعة الاسلام وهل يستحق التعزير على ذلك والعقوبة عليه اذا لم ينته أم لا

وأجاب عنها الشيخ الامام العالم الزاهد العابد الورع شيخ الاسلام مفتي الانام أوحد عصره وفريد دهره تقي الدين أبو العباس أحمد ابن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني رضي الله عنه وأرضاه في شهر صفر سنة خمس وعشرين وسبعمائة وهو في دمشق المحروسة

الحمد لله رب العالمين * محل النية القلب دون اللسان باتفاق أئمة المسلمين في جميع العبادات الطهارة والصلاة والزكاة والصيام والحج والعتق والجهاد وغير ذلك ولو تكلم بلسانه بخلاف ما نوى في قلبه كان الاعتبار بما نوى لا باللفظ ولو تكلم بلسانه بالنية ولم تحصل النية في قلبه

لم يجز ذلك باتفاق أئمة المسلمين فان النية هي من جنس القصد والعزم تقول العرب نواك الله بخير أي قصدك بخير وقول النبي صلى الله عليه وسلم انما الأعمال بالنيات وانما لكل امرئ مانوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو الى امرأة يتزوجها فهجرته الى ماهاجر اليه مراده صلى الله عليه وسلم بالنية النية التي في القلب دون اللسان باتفاق أئمة المسلمين الأئمة الاربعة وغيرهم وسبب الحديث يدل على ذلك فان سببه ان رجلا هاجر من مكة الى المدينة ليتزوج امرأة يقال لها أم قيس فسمي مهاجر أم قيس فخطب النبي صلى الله عليه وسلم الناس على المنبر وذكر هذا الحديث فهذا كان نيته في قلبه

والجهر بالنية لايجب ولا يستحب باتفاق المسلمين ولا تبطل صلاة من لم يجهر بها عند أحد من المسلمين بل الجاهر بالنية مبتدع مخالف للشريعة اذا فعل ذلك معتقدا انه من الشرع فهو جاهل ضال مستحق التعزير والعقوبة على ذلك اذا أصر على ذلك بعد تعريفه والبيان له لاسيما اذا آذى من الى جانبه برفع صوته أو كرر ذلك مرة بعد مرة فانه يستحق التعزير البليغ على ذلك ولم يقل أحد من المسلمين ان صلاة الجاهر أفضل من صلاة الخافت بها سواء كان اماما أو مأموما أو منفردا وأما التلفظ بها سرا فلا يجب أيضا عند الأئمة الاربعة وسائر أئمة المسلمين ولم يقل أحد من الأئمة ان التلفظ بالنية واجب لا في طهارة ولا صلاة ولا صيام ولا حج ولا يجب على المصلي أن يقول بلسانه أصلي

الطهر أو العصر ولا يقول اماما ولا مأموما ولا يقول بلسانه فرضا
ولا نفلا ولا غير ذلك بل يكفي أن تكون نيته في قلبه والله يعلم ما في
القلوب وكذلك نية الغسل من الجنابة والوضوء يكفي فيه نية القلب
وكذلك نية الصيام في رمضان لايجب على أحد أن يقول بلسانه أنا
صائم غدا باتفاق الائمة بل يكفي نية قلبه والنية تتبع العلم فمن علم
ما يريد أن يفعله فلا بد أن ينويه فاذا علم المسلم ان غدا من رمضان فهو
ممن يصوم رمضان فلابد أن ينوي الصيام فاذا علم ان غدا العيد لم ينو الصيام
تلك الليلة وكذلك الصلاة اذا علم ان الصلاة القائمة صلاة الفجر أو الظهر
وهو يعلم انه يريد صلاة الفجر أو الظهر فانه انما ينوي تلك الصلاة لا يمكنه
أن يعلم انها الفجر وينوي الظهر وكذلك اذا علم انه يصلي اماما أو مأموما فانه
لابد ان ينوي ذلك وان علم أنه يصلي وحده فلا بد أن ينوي ذلك والنية
يتبع العلم والاعتقاد اتباعا ضروريا اذا كان يعلم ما يريد أن يفعله فاذا كان يعلم
انه يريد أن يصلي الظهر وقد علم ان تلك الصلاة صلاة الظهر امتنع أن
يقصد غيرها ولو اعتقد ان الوقت باق فنوى الصلاة في وقتها فتبين ان
الوقت قد خرج اجزأته صلاته باتفاق الائمة ولو اعتقد انه خرج فنوى
الصلاة بعد الوقت فتبين انها في الوقت أجزأته الصلاة باتفاق الائمة
واذا كان قصده أن يصلي خلف الامام نعينه مثل زيد فكان الامام
غيره لم يكن قد صلي خلف ذلك وانما اذا كان قصده ان يصلي خلف
الامام الحاضر أي امام كان واعتقد انه زيد فظهر انه عمرو لم يضره ذلك
وكذلك لو كان مقصوده أن يصلي على الجنازة الحاضرة أي جنازة كانت

وصيا رجلا وكانت امرأة صحت صلاته بخلاف ما اذا كان مقصوده أن لا يصلي الا على من يعتقده فلان وصلى على من يعتقده فلان فتبين غيره فانه هنا لم يقصد الصلاة على ذلك الحاضر

والمقصود هنا ان التلفظ بالنية لا يجب عند أحد من الائمة ولكن بعض المتأخرين خرج وجها عن مذهب الشافعي لوجوب ذلك غلطه جماهير أئمة أصحاب الشافعي وكان غلطه ان الشافعي قال ان الصلاة لا بد من النطق في أولها وظن هذا الغالط ان الشافعي أراد النطق بالنية فغلطه أصحاب الشافعي جميعهم ولكن التلفظ بها هل هو مستحب أم لا فيه قولان معروفان للفقهاء منهم من استحب التلفظ بها كما ذكر ذلك من ذكره من أصحاب أبي حنيفة والشافعي وأحمد وقالوا التلفظ بها أوكد واستحبوا التلفظ بها في الصلاة والصيام والحج وغير ذلك ومنهم من لم يستحب التلفظ بها كما قال ذلك من قاله من أصحاب مالك واحمد وغيرهما وهذا هو المنصوص عن مالك وأحمد وغيرهما من الائمة وقال أبو داود قلت لاحمد أتقول قبل التكبير شيئا قال لا وهذا القول هو الصواب فان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يقول قبل التكبير شيئا ولم يكن يتلفظ بالنية لا في الصلاة ولا في الحج ولا غيرهما من العبادات ولا خلفاؤه ولا أمر أحدا أن يتلفظ بالنية بل قال لمن علمه الصلاة اذا قمت الى الصلاة فكبر وكان اذا قام الى الصلاة كبر كما في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتتح الصلاة بالتكبير ويفتتح القراءة بالحمد لله رب العالمين ولم يتلفظ قبل التكبير

به ولا عمرها ولا علم ذلك أحدا من المسلمين ، ولو كان ذلك مستحبا لفعله ولعلمه للمسلمين وكذلك في الحج انما كان يفتتح الاحرام بالتلبية وشرع للمسلمين أن يلبوا في أول الحج وقال لضباعة بنت الزبير حجي واشترطي فقولي لبيك اللهم لبيك ومحلي حيث حبستني فأمرها أن تشترط بعد التلبية ولم يشرع لاحد أن يقول قبل التلبية شيئا لا يقول اللهم اني أريد العمرة أو الحج أو العمرة والحج ولا أن يقول فيسره علي وتقبله مني ولا أن يقول نويت الحج والعمرة أو نويتهما جميعا ولا أن يقول أحرمت لله ولا غير ذلك من العبارات ولا أن يقول قبل التلبية شيئا بل جعل التلبية في الحج كالتكبير في الصلاة وكان هو وأصحابه يقولون فلان اهل بالحج أهل بالعمرة وأهل بهما كما يقال كبر للصلاة والاهلال رفع الصوت بالتلبية وكان يقول في تلبيته لبيك عمرة وحجا فيسمي ما يريد فعله بعد التلبية لا قبلها وجميع ما أحدثه الناس من التلفظ بالنية قبل التكبير وقبل التلبية وفي الطهارة وسائر العبادات فهي البدع التي لم يشرعها وكل محدث في العبادات المشروعة من الزيادات التي لم يشرعها رسول الله صلى الله عليه وسلم بل كان يداوم في العبادات على تركها ففعلها والمداومة عليها بدعة وضلالة من وجهين من حيث اعتقاد المعتقد أن ذلك مشروع مستحبا يكون فعله خيرا من تركه مع أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يفعله البتة فيبقى حقيقة هذا القول أن ما فعلناه أكمل وأفضل مما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سأل رجل مالك بن أنس عن الاحرام قبل الميقات فقال أخاف ...

الفتنة فقال له السائل وأي فتنة في ذلك وإنما هي زيادة أميال في طاعة الله فقال وأي فتنة أعظم من أن تظن في نفسك أنك خصصت بفضل لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم وتلا قوله تعالى فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم

وقد ثبت عنه في الصحيحين أنه قال من رغب عن سنتي فليس مني أي من ظن أن غير سنتي أفضل من سنتي فرغب عما سننته معتقدا أن ما رغب فيه أفضل مما رغب عنه فليس مني (لأن خير الكلام كلام الله وخير الهدي هدي محمد) كما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يخطب بذلك يوم الجمعة فمن قال إن هدي غير محمد أفضل من هدي محمد فهو مفتون ضال قال تعالى فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم وهو قد أمر المسلمين باتباعه وأن يعتقدوا وجوب ما أوجبه واستحباب ما أحبه وأنه لا أفضل من ذلك فمن لم يعتقد هذا فقد عصى أمره وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال قد هلك المتنطعون قالها ثلاثا وقال أبي بن كعب وابن مسعود اقتصاد في سنة خير من اجتهاد في بدعة وفي صحيح مسلم عن ابن عمر أنه قال صلاة السفر ركعتان من خالف السنة فقد كفر أي من اعتقد أن الركعتين في السفر لا تجزئ المسافر فقد كفر

الوجه الثاني من حيث المداومة على خلاف ما داوم عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم في العبادات فإن هذا بدعة باتفاق الأئمة وإن ظن

الطائر ان فيه رياء وجهر كما أحدث بعض المتقدمين الأذان والاقامة في العيدين فنهي عن ذلك وكرهه ائمة الاسلام وكما لو صلى عقب السعي ركعتين قياسا على ركعتي الطواف وقد استحب ذلك بعض المتأخرين من أصحاب الشافعي واستحب بعض المتأخرين من أصحاب احمد في الحاج اذا دخل المسجد الحرام أن يفتتح بتحية المسجد فخالف الأئمة والسنة وانما السنة أن يفتتح المحرم بالطواف كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم لما دخل المسجد بخلاف المقيم الذي يريد الصلاة فيه دون الطواف فهذا اذا صلى تحية المسجد فحسن

وفي الجملة فالنبي صلى الله عليه وسلم قد أكمل الله له ولأمته الدين وأتم عليهم به النعمة فمن جعل عملا واجبا مالم يوجبه الله ورسوله أو مستحبا مالم يستحبه الله ورسوله فهو غالط كما أن جعل حراما أو مكروها مالم يحرمه الله ورسوله أولم يكرهه الله ورسوله فهو غالط فجماع الدين لا حرام الا ماحرمه الله ورسوله ولا دين الا ما شرعه الله ورسوله ومن خرج عن هذا وهذا فقد دخل في حرب من شرع من الدين مالم يأذن به الله وحرم مالم يحرمه الله وهذا من دين أهل الجاهلية المخالفين للرسول الذين ذمهم الله في سورة الانعام والاعراف وغيرها من السور حيث شرعوا من الدين مالم يأذن به الله وحرموا مالم يحرمه الله وأحلوا ماحرمه الله فذمهم الله وعابهم علي ذلك فلهذا كان دين المؤمنين بالله ورسوله ان الاحكام الخمسة الايجاب والاستحباب والتحليل والكراهة والتحريم لا تؤخذ الا عن الله ورسوله فلا واجب الا

ماأوجبه الله ورسوله ولا مستحبا الا ماأحبه الله ورسوله ولا حلال الا ماأحله الله ورسوله ولا مكروه الا ما كرهه الله ورسوله ولا محرم الا ماحرمه الله ورسوله فمن ذلك ما اتفق عليه أئمة الدين ومنه ماتنازعوا فيه فما تنازعوا فيه رد الى الله ورسوله كما قال تعالى ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا وأما من تكلم بجهل وبما خالف اتفاق الائمة فانه ينهى عن ذلك ويؤدب على الاصرار كما يفعل بامثاله من الجهال ولا يقتدى في خلاف الشريعة باحد من أئمة العلماء وان كان مشهورا بالفقه والعلم بل يسأل عما عنده من العلم كما قال بعض السلف لا تنظر الى عمل الفقيه ولكن سله يصدقك والحمد لله وحده

وهذه فتوى أخرى في المسئلة السابقة

سئل الشيخ الامام العالم العلامة شيخ الاسلام مفتي الانام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبدالسلام بن عبد الله بن تيمية رضي الله عنه وأرضاه بالديار المصرية سنة ثمان وسبعمائة

في رجل يجهر بالنية ويقول أصلي فرض كذا وكذا ويعيد الصلاة بعينها ويعد الركعات بحيث يشوش على من الى جانبه فأنكر عليه رجل وقال هذا لم يأمر الله به ولا رسوله فقال له بل هذا مما أمر الله به ورسوله وكان يجهر الامام بالتلاوة وهو خلفه فهل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله أو أحد من الصحابة أو أحد من الائمة

الأربعة وغيرهم فاذا لم يكن فعله أحد من أئمة المسلمين وعلمائهم فماذا يجب على من ينسب هذا اليهم ويقول كل من يعمل في دينه مايشتهي بل أنت جاهل فيما تنكره انتهى

أجاب رضي الله عنه وأرضاه الحمد لله رب العالمين * الجهر بلفظ النية ليس مشروع ولا نقل ذلك أحد من علماء المسلمين ولا فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أحد من الخلفاء الراشدين وأصحابه وسلف الامة وأئمتها ومن ادعى أن ذلك دين الله أو انه واجب فانه يجب تعريفه الشريعة واستتابته من هذا القول فان أصر على ذلك قتل بل النية الواجبة في العبادات كالوضوء والغسل والصلاة والصيام والزكاة والكفارة وغير ذلك محلها القلب باتفاق أئمة المسلمين اذ النية هي القصد والارادة والقصد والارادة محلهما القلب دون اللسان باتفاق العقلاء فلو نوى بقلبه خلاف ماتكلم به بلسانه كانت العبرة بما نواه لا باللفظ ومتى نوى بقلبه ولم يلفظ بلسانه صحت نيته عند الأئمة الأربعة وسائر أئمة المسلمين من الاولين والآخرين وليس في ذلك خلاف عند أحد ممن يقتدي به ويفتى بقوله ولكن بعض المتأخرين من أتباع الأئمة زعم ان اللفظ بالنية واجب ولم يقل ان الجهر بها واجب ومع هذا فهذا القول خطأ صريح مخالف لاجماع المسلمين انما علم بالاضطرار من دين الاسلام عند من يعلم سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنة خلفائه وكيف كان يصلي الصحابة والتابعون فان كل من علم ذلك يعلم أنهم لم يكونوا يتلفظون بالنية ولا أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك ولا علمه لاحد من أصحابه بل

قد ثبت في الصحيحين وغيرهما أنه قال للاعرابي المسيء في صلاته اذا قمت الى الصلاة فكبر ثم اقرأ ماتيسر معك من القرآن وفي السنن عنه أنه قال مفتاح الصلاة الطهور وتحريمها التكبير وتحليلها التسليم وفي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يفتتح الصلاة بالتكبير والقراءة بالحمد لله رب العالمين وقد ثبت بالنقل المتواتر واجماع المسلمين أن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة كانوا يفتتحون الصلاة بالتكبير ولم ينقل مسلم لاعن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن احد من الصحابة أنه تلفظ قبل التكبير بلفظ النية لاجهراً ولا سراً ولا أنه أمر بذلك مع أنه من المعلوم أن الهمم والدواعي متوفرة على نقل ذلك لو كان وأنه يمتنع على أهل التواتر عادة وشرعاً كتمان نقل ذلك فاذا لم ينقله أحد علم قطعاً أنه لم يكن وهذا تنازع الفقهاء المتأخرون في التلفظ بالنية هل هو مستحب مع النية التي في القلب فاستحب طائفة من أصحاب أبي حنيفة والشافعي وأحمد قالوا لانه أوكد واتم تحقيقاً للنية ولم يستحب طائفة من أصحاب مالك وأحمد وغيرهم بل رأوا أنه بدعة مكروهة قالوا لانه لو كان مستحباً لفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ولأمر به فانه صلى الله عليه وسلم قد بين كل مايقرب الى الله لاسيما الصلاة التي لا تؤخذ صفتها الا عنه وقد ثبت عنه في الصحيح أنه قال صلوا كما رأيتموني أصلي فزيادة هذا وأمثاله في صفة الصلاة مثل سائر الزيادات المحدثة في العبادات كمن زاد في أذان العيدين الاذان

والاقامة ومن زاد في النهي صلاة ركعتين على المروة وأمثال ذلك قالوا وأيضاً فان التلفظ بالنية فاسد في العقل فان قول القائل أنوى ان أفعل كذا وكذا بمنزلة قوله أنوى انى آكل هذا الطعام لأشبع وانى ألبس هذا الثوب لأستتر وأمثال ذلك من النيات الموجودة فى القلب التي يستقبح النطق بها وقد قال تعالى قل أتعلمون الله بدينكم والله يعلم ما فى السموات وما في الارض وقال طائفة من السلف في قوله انما نطعمكم لوجه الله قالوا لم يقولوا بألسنتهم وانما علمه الله من قلوبهم

وبالجملة فلا بد من النية في القلب بلا نزاع وأما التلفظ بها سراً فهل يكره أو يستحب فيه نزاع بين المتأخرين وأما الجهر بها فهو مكروه منهي عنه غير مشروع باتفاق المسلمين وكذلك تكريرها وسواء الامام والمأموم والمنفرد فكل هؤلاء لا يشرع لاحد منهم أن يجهر بلفظ النية ولا يكررها باتفاق المسلمين بل ينهون عن ذلك بل جهر المنفرد بالقراءة اذا كان فيه أذى لغيره لم يشرع كما خرج النبي صلي الله عليه وسلم على أصحابه وهم يصلون فقال أيها الناس كلكم يناجي ربه فلا يجهر بعضكم على بعض بالقراءة وأما المأموم فالسنة المخافتة باتفاق المسلمين لكن اذا جهر أحيانا بشيء من الذكر فلا بأس كالامام اذا أسمعهم أحيانا الآية في صلاة السر فقد ثبت في الصحيح عن أبي قتادة أنه اخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان فى صلاة الظهر والعصر يسمعهم الآية أحيانا وثبت فى الصحيح ان من الصحابة المأمومين من جهر بدعاء حين افتتاح الصلاة وعند رفع رأسه من الركوع ولم ينكر النبي صلى الله عليه وسلم ذلك

ومن اصر على فعل البدع وتحسينها فانه ينبغي أن يعزر تعزيراً يردعه وأمثاله عن مثل ذلك ومن نسب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الباطل خطأ فانه يعرف فان لم ينته عوقب ولا يحل لاحد أن يتكلم في الدين بلا علم ولا يعين من يتكلم في الدين بلا علم أو أدخل في الدين ماليس منه

واما قول القائل كل من يعمل في دينه مايشتهي فهي كلمة عظيمة يجب أن يستتاب منها والا عوقب بل الاصرار على اعتقاد مثل هذه الكلمة يوجب القتل فليس لاحد أن يعمل في الدين الا ماشرعه الله ورسوله دون مايشتهيه ويهواه قال تعالى ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله وان كثيراً ليضلون باهوائهم بغير علم وقال ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله وقال ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل وقال تعالى افرأيت من اتخذ الهه هواه أفانت تكون عليه وكيلاً أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون ان هم الا كالانعام بل هم أضل سبيلا وقد قال تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما وقد روى عنه أنه قال والذى نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتي يكون هواه تبعاً لما جئت به وقد قال تعالى ألم تر الي الذين يزعمون أنهم آمنوا بما انزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيداً واذا قيل لهم تعالوا الى ماأنزل الله والى الرسول رأيت

المنافقين يصدون عنك صدودا وقال تعالى أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله وقال تعالى المص كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه وذكرى للمؤمنين اتبعوا ماأنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ماتذكرون وقال تعالى ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن وأمثال هذا في القرآن كثير فتبين أن على العبد أن يتبع الحق الذي بعث الله به رسوله ولا يجعل دينه تبعاً لهواه والله تعالى أعلم

وأجاب عن المسألة المذكورة أيضا الشيخ الامام العالم قاضي القضاة جمال الدين أبو الربيع سليمان بن عمر الشافعي رضي الله عنه وأرضاه الحمد لله رب العالمين الله الموفق * النية المعتبرة في الصلاة وجميع العبادات محلها القلب فلا يضر عدم النطق بها كما لو نوى بقلبه الظهر وسبق لسانه الي العصر ولا يكفي النطق بها مع غفلة القلب وانما استحب بعض أصحابنا مساعدة اللسان القلب من غير جهر وقد شذ صاحب الافصاح بما نقله عن بعض أصحابنا أنه لابد من التلفظ بها في الصلاة وهو خلاف قول جمهور الاصحاب وأما الجهر بها وبالقراءة خلف الامام فليس من السنة بل مكروه فان حصل به تشويش على المصلين فحرام ومن قال بأن الجهر بلفظ النية من السنة فهو مخطئ ولا يحل له ولا لغيره أن يقول في دين الله تعالى بغير علم ولا يجوز لاحد اعانة من قال في الدين بغير علم وقوله كل من يعمل في دينه مايشتهي فهذا قول جاهل بغير علم على ذلك اذ ليس لاحد أن يعمل في دين الله تعالى الا ماشرعه

الله تعالى ورسوله ومن فعل غير ذلك فقد اتبع هواه نعوذ بالله تعالى من اتباع الهوى وقد تكرر في الكتاب العزيز الذم والانكار على من اتبع هواه وقد قال سبحانه وتعالى ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل وقال تعالى وان كثيراً ليضلون بأهوائهم بغير علم الى غير ذلك مما ورد في القرآن من أمثاله والله أعلم والحمد لله وحده

وأجاب عنها الشيخ الامام العالم العلامة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن الحريري الانصاري عفا الله عنه الحمد لله رب العالمين اللهم وفق والطف ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك ولا أحد من أصحابه رضي الله عنهم ولا أحد من الأئمة الاربعة ولا علماء المسلمين تفعل مثل ذلك والنية هي الارادة والشرط أن يعلم بقلبه أي صلاة يصلي أما الذكر باللسان فلا يشترط به ويحسن ذلك لاجتماع عزيمته فان زعم الفاعل لذلك أن هذا هو دين الله تعالى فقد كذب على الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وأدخل في دين الله تعالى ما ليس فيه يستتاب بعد التعريف وتزاح عنه هذه الشبهة التي عرضت له فان تاب والا قتل بذلك والجهر بالتلاوة خلف الامام لايجوز ولا نقل عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن أحد من أصحابه والعلماء على جوازه ويجب تعزيره على ذلك ولا يحل لاحد أن يعينه على هذا ومن أعانه وجب تعزيره وقوله كل من يعمل في دينه مايشتهي فقد كذب على الشريعة المطهرة بل يجب عليه اتباع ما جاء به كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فان اعتقد ان هذا

هو الدين وقد كفر بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم فيستتاب فان تاب والا قتل والحالة هذه والله أعلم

وأجاب عنها الشيخ الامام العالم العلامة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم التونسي المالكي رحمه الله تعالى الحمد لله اللهم ارحم ووفق النية من أعمال القلوب فالجهر بها بدعة مع ما في ذلك من التشويش على الناس وكذلك الجهر بالقرآن فيزجر عن ذلك ويلزم بالاتباع للسنة وانكاره على المنكر عليه جهل ودعوي باطلة وقوله كل من يعمل في دينه ما يشتهي فهذا أمر شنيع يقارب الكفر يجب تأديبه عليه وأن يتوب منه ويعوذ بالله من الجهل واتباع الهوي ويسأله الهدى والعصمة والله سبحانه وتعالى أعلم

وأجاب عنها الشيخ الامام العالم العلامة علاء الدين بن العطار عفا الله عنه الحمد لله لا يشرع تعيين عدد الركعات ولا الجماعة في النية وأما التلفظ بها من غير تشويش فلا بأس به اذا كان مطابقا للقلب ولا يشترط ولا يجب ورفع الصوت به مع التشويش على المصلين حرام اجماعا ومع عدمه بدعة قبيحة فان قصد به الرياء كان حراما من وجهين كبيرة من الكبائر والمنكر عليه مصيب ومصوبه مخطئ ونسبته الى دين الله تعالى اعتقادا كفر وغير اعتقاد معصية ولا يحل ترك كل أحد ونهيه خصوصا اذا كان قدرة وعمله مخالفا للسنة بل يجب على كل مؤمن يمكنه نهيه وزجره ومنعه وردعه ولم ينقل هذا الفعل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن أحد من أصحابه ولا عن أحد ممن يقتدى به من علماء

الاسلام واصل النية مشروع في جميع الاعمال الصلاة وغيرها ومحلها القلب وهل يشترط مقارنتها لاول العبادة يعني انها جزء العبادة أو لا يشترط ذلك وجعلها شرطا لصحة العبادة لا يضر تقدمها عليها مذهب الشافعي رحمه الله الاول ومذهب بعض أصحابه وجماعة من العلماء الثاني ومن فعل النية على ما ذكر في الابتداء فعمله غير صحيح قال معاذ بن جبل رضي الله عنه الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه أعلم أمتي بالحلال والحرام قال معاذ العمل الصالح هو الذي

فيه العلم والنية والصبر والاخلاص مشتمل عليه وكل

عمل لم يشتمل على هذه الاربعة فليس بصالح

ونية هذا الرجل ليس على وفق العمل

ولا قصد بها الصبر على مقتضاه

ولا أخلص فيها لله تعالى

والله يعلم المفسد

من المصلح

تمت الرسالة الخامسة

ويليها السادسة لها أيضا

بسم الله الرحمن الرحيم

سئل شيخ الاسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية رحمه الله تعالى عن العرش هل هو كرى أم لا فاذا كان كريا والله من ورائه محيط بائن عنه فما فائدة ان العبد يتوجه الى الله تعالى حين دعائه وقصد العلو دون الجهات فلا فرق حينئذ وقت الدعاء بين قصد جهة العلو وغيرها من الجهات التي تحيط بالداعي ومع هذا نجد قلوبنا قصدا تطلب العلو لا تلتفت يمنة ولا يسرة فأخبرنا عن هذه الضرورة التي نجدها في قلوبنا وقد فطرنا عليها أدام الله النفع بكم وبعلومكم آمين

فأجاب رحمه الله تعالى بما نصه الحمد لله رب العالمين الجواب عن هذا السؤال بثلاث مقالات * احداها ان القائل الذى يقول لم يثبت بدليل يعتمد عليه ان العرش فلك من الافلاك المستديرة الكرية الشكل لا بدليل شرعى ولا بدليل عقلي وانما ذكر هذا طائفة من المتأخرين الذين نظروا فى علم الهيئة وغيرها من الفلسفة ورأوا ان الافلاك تسعة وان التاسع وهو الاطلس محيط بها مستديرا كاستدارتها وهو الذي يحركها الحركة الشوقية وان كان لكل فلك حركة تخصه غير هذه الحركة العامة ثم سمعوا من أخبار الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم ذكر عرش الله وكرسيه وذكر السموات السبع فقالوا بطريق الظن ان العرش هو الفلك التاسع لاعتقادهم أنه ليس وراء التاسع شئ اما مطلقا واما انه ليس وراءه مخلوق ثم ان منهم من رأى ان التاسع هو الذى يحرك الافلاك كلها فجعلوه مبدأ الحوادث وزعموا ان الله يحدث

فيه ما تقدره في الارض أو تحدثه في النفس التي زعموا انها متعلقة أو في العقل الذي زعموا انه الذي صدر عنه هذا الفلك وربما سماه بعضهم الروح وربما جعل بعضهم النفس هي الروح وربما جعل بعضهم النفس هي اللوح المحفوظ كما تجعل العقل هو القلم وتارة تجعلون اللوح العقل الفعال العاشر الذي لفلك القمر أو النفس المتعلقة به وربما جعلوا ذلك بالنسبة الى الحق كالدماغ بالنسبة الى الانسان يقدر فيه ما يفعله قبل أن يكون الى غير ذلك من المقالات التي شرحناها وبينا فسادها في غير هذا الموضع * ومنهم من يدعي انه علم ذلك بطريق الكشف والمشاهدة ويكون كاذبا فيما يدعيه وانما أخذ ذلك عن هؤلاء المتفلسفة تقليدا لهم أو موافقة لهم على طريقهم الفاسدة كما فعل أصحاب رسائل اخوان الصفا وأمثالهم * وقد يتخيل في نفسه ما يظنه عن غيره ظنه كشفا كما تخيل النصارى التثليث الذي يعتقدونه * وقد يرى ذلك في منامه فظنه كشفا وانما هو تخيل لما اعتقده وكثير من أرباب الاعتقادات الفاسدة اذا ارتاضوا صقلت الرياضة نفوسهم وتمثل لهم اعتقاداتهم فظنوها كشفا وقد بسطنا الكلام على هذا في غير هذا الموضع

والمقصود هنا ان ما ذكروه من ان العرش هو الفلك التاسع قد يقال انه ليس لهم عليه دليل لا عقلي ولا شرعي أما العقل فان أئمة الفلاسفة مصرحون بأنه لم يقم عندهم دليل على ان الافلاك هي تسعة فقط بل يجوز أن يكون أكثر من ذلك ولكن دلتهم الحركات والكسوفات ونحو ذلك على ما ذكروه وما لم يكن لهم دليل على ثبوته

فهم لا يعلمون ثبوته ولا انتفاءه مثال ذلك انهم علموا ان هذا الكوكب تحت هذا بان السفلي يكسف العلوي من غير عكس فاستدلوا بذلك على انه من فلك فوقه كما استدلوا بالحركات المختلفه على أفلاك مختلفه حتى جعلوا في الفلك الواحد عده أفلاك كفلك التدوير وغيره فاما ما كان موجودا فوق هذا ولم تكن لهم مايستدلون به على ثبوته فهم لا يعلمون نفيه ولا اثباته بطريقهم وكذلك قول القائل ان حركة التاسع مبدأ الحوادث خطأ وضلال على أصولهم فانهم يقولون ان الثامن له حركة تخصه بما فيه من الثوابت وتلك الحركة قطعا غير قطبي التاسع وكذلك السابع والسادس واذا كان لكل فلك حركة تخصه والحركات المختلفه هي سبب الاشكال الحادثة المختلفه الفلكية فتلك الاشكال سبب الحوادث السفليه كانت حركة التاسع جزء السبب لحركة غيره والاشكال الحادثة في الفلك كمقارنة الكوكب لكوكب في درجة واحدة ومقابلته له اذا كان بينهما نصف الفلك وهو مائة وثمانون درجه وتثليثه له اذا كان بينهما ثلث الفلك وهو مائة وعشرون درجة وتربيعه له اذا كان بينهما ربعه تسعون درجة وتسديسه له اذا كان بينهما سدس الفلك ستون درجة وأمثال ذلك من الاشكال انما حدثت بحركات مختلفه وكل حركه ليست عن الاخرى اذ حركه الثامن التي تخصه ليست عن حركه التاسع وان كان تابعا له في الحركه الكليه كالانسان المتحرك في السفينة الى خلاف حركتها وكذلك حركه السابع التي تخصه ليست عن التاسع ولا عن الثامن وكذلك سائر الافلاك فكيف يجوز أن تجعل مبدأ

الحوادث كلها مجرد حركة التاسع كما زعمه من ظن انه العرش كمف والفلك التاسع عندهم بسيط متشابه الاجزاء لااختلاف فيه أصلا وكيف يكون سبب الامور مختلفة لاباعتبار القوابل وأسباب أخر

ولكن هم فوم ضالون يجعلونه مع هذا الاثنائة وستين درجة ويجعلون لكل درجة من الاثر مايخالف الاخرى لا باختلاف القوابل كمن يجيء الى ماء واحد ويجعل لبعض أجزائه من الاثر مايخالف الآخر لابحسب القوابل بل يجعل أحد أجزائه مسخنا والآخر مبردا والآخر مسعدا والآخر مشقيا وهذا مما يعلمون هم وكل عاقل انه باطل وضلال واذا كان هؤلاء ليس عندهم مايبقي وجود شيء آخر فوق الافلاك التسعة كان الجزم بان ماأخبرت به الرسل من ان العرش هو الفلك التاسع رجما بالغيب وقولا بلا علم هذا كله مقدر ثبوت الافلاك التسعه على المشهور عند أهل الهيئة اذ في ذلك من النزاع والاضطراب وفي أدلة ذلك ماليس هذا موضعه وانما نكلم على هذا المقدر والافلاك في أشكالها واحاطة بعضها ببعض من جنس واحد فنسبة السابع الى السادس كنسبة السادس الى الخامس واذا كان هناك شيء تاسع فنسبته الى الثامن كنسبه الثامن الى التاسع

وأما العرش فالاخبار تدل على مباينته لغيره من المخلوقات وانه ليس نسبته الى بعضها كنسبة بعضها الى بعض قال الله تعالى الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به الآية وقال سبحانه ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية فاخبر ان للعرش

حملة اليوم ويوم القيامه وان حماه ومن حوله يسبحون ويستغفرون للمؤمنين ومعلوم ان قيام دلك من الاولاك بقدرة الله تعالى كقيام سائر الاولاك لا ورق في دلك بين كرة وكره وان قدر أن لمحصها ملائكه في نفس الامر تحملها فحكمه حكم نظيره وقال تعالي وترى الملائكه حافين من حول العرش الآية فدكر هناك ان الملائكة تحف من حول العرش ودكر في موضع آحر ان له حملة وجمع في موضع ثالث بين حملته ومن حوله فقال الدين يحملون العرش ومن حوله وأيضا فقد أخبر ان عرشه كان على الماء قبل أن يخلق السموات والارض كما قال تعالى وهو الدى حلق السموات والارض في ستة أيام وكان عرشه على الماء وقد ثبت في صحيح البخاري رحمه الله تعالى عن عمران بن حصين رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال كان الله ولم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء وكتب في الدكر كل شيء وحلق السموات والارض وفي رواية له كان الله ولم يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء ثم حلق السموات والارض وكتب في الدكر كل شيء وفي رواية لغيره صحيحة كان الله ولم يكن شيء معه وكان عرشه على الماء ثم كتب في الدكر كل شيء وفى صحيح مسلم رحمه الله تعالي عن عبدالله بن عمرو رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة اهـ

تمت الرسالة السادسه

ويليها السابعة له أيضا

بسم الله الرحمن الرحيم

من أحمد ابن تيمية عفا الله عنه إلى من يصل إليه هذا الكتاب من المسلمين المنتسبين إلى السنة والجماعة المنتمين إلى جماعة الشيخ العارف القدوة أبي البركات عدي بن مسافر الأموي رحمه الله ومن نحا نحوهم وفقهم الله لسلوك سبيله وأعانهم على طاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وجعلهم معتصمين بحبله المتين مهتدين لصراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وجنبهم طريق أهل الضلال والاعوجاج الخارجين عما بعث الله به رسوله صلى الله عليه وسلم من الشريعة والمنهاج حتى يكونوا ممن أعظم عليهم المنة بمتابعة الكتاب والسنة سلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد فإنا نحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو وهو للحمد أهل وهو على كل شيء قدير ونسأله أن يصلي على خاتم النبيين وسيد ولد آدم صلى الله عليه وسلم وأكرم الخلق على ربه وأقربهم إليه زلفى وأعظمهم عنده درجة محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

أما بعد فإن الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا وأنزل عليه الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه وأكمل له ولأمته الدين وأتم عليهم النعمة وجعلهم خير أمة أخرجت للناس فهم يوفون سبعين أمة هم خيرها وأكرمها على الله وجعلهم أمة وسطا أي عدلا

وخيارا ولذلك جعلهم شهداء على الناس هداهم لما بعث به رسله جميعهم من الدين الذى شرعه لجميع خلقه ثم خصهم بعد ذلك بما ميزهم به وفضلهم من الشرعة والمنهاج الذى جعله لهم فالاولى مثل أصول الايمان وأعلاها وأفضلها هو التوحيد وهو شهادة أن لا اله الا الله كما قال تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون وقال تعالى ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت وقال تعالى واسأل من قد أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون وقال تعالى شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى وقال تعالى ياأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا انى بما تعملون عليم وان هذه أمتكم أمة واحده وأنا ربكم فاتقون ومثل الايمان بجميع كتب الله وجميع رسله كما قال تعالى قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما أوتى موسى وعيسى وما اوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون ومثل قوله تعالى قل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لاعدل بينكم ومثل قوله تعالى آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير الى آخرها ومثل الايمان باليوم الآخر وما فيه من الثواب والعقاب كما أخبر عن ايمان من تقدم من مؤمنى الامم به حيث قال ان

الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ومثل أصول الشرائع كما ذكر فى سورة الانعام والأعراف وسبحان وغيرهن من السور المكية من امره بعبادته وحده لاشريك له وأمره ببر الوالدين وصلة الارحام والوفاء بالعهود والعدل فى المقال وتوفية الميزان والمكيال واعطاء السائل والمحروم وتحريم قتل النفس بغير الحق وتحريم الفواحش ماظهر منها وما بطن وتحريم الاثم والبغى بغير الحق وتحريم الكلام في الدين بغير علم مع مايدخل في التوحيد من اخلاص الدين لله والتوكل على الله والرجاء لرحمة الله والخوف من الله والصبر لحكم الله والقيام لامر الله وأن يكون الله ورسوله احب الى العبد من أهله وماله والناس أجمعين الى غير ذلك من أصول الايمان التى أنزل الله ذكرها في مواضع من القرآن كالسور المكية وبعض المدنية وأما الثاني فما انزله الله فى السور المدنية من شرائع دينه وما سنه الرسول صلى الله عليه وسلم لامته فان الله سبحانه أنزل عليه الكتاب والحكمة وامتن على المؤمنين بذلك وأمر أزواج نبيه بذكر ذلك فقال وأنزل عليك الكتاب والحكمة وعلمك مالم تكن تعلم وقال لقدمن الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وقال واذكرن مايتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة قال غير واحد من السلف الحكمة هي السنة لان الذى كان يتلى في بيوت أزواجه رضى الله عنهن سوى القرآن هو سنته

صلى الله عله وسلم ولهدا قال صلى الله عله وسلم الا انى أوتيت الكتاب ومثله معه وقال حسان بن عطيه كان جبريل عليه السلام ينزل على النبى صلى الله عليه وسلم بالسنه كما ينزل بالقرآن فيعلمه اياها كما يعلمه القرآن

وهده الشرائع التى هدى الله بها هدا النبى وأمته مثل الوجهة والمسلك والمنهاج وذلك مثل الصلوات الخمس فى أوقاتها بهدا العدد وهده القراءة والركوع والسجود واستقبال الكعبة ومثل فرائض الزكاة ونصبها التى فرضها فى اموال المسلمين من الماشية والحبوب والثمار والتجارة والذهب والفضة ومن جعلت له حيث يقول انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم ومثل صيام شهر رمضان ومثل حج البيت الحرام ومثل الحدود التى حدها لهم فى المناكح والمواريث والعقوبات والمبايعات ومثل السنن التى سنها لهم من الاعياد والجمعات والجماعات فى المكتوبات والجماعات فى الكسوف والاستسقاء وصلاة الجنازة والتراويح وما سنه لهم فى العادات مثل المطاعم والملابس والولادة والموت ونحو ذلك من السنن والآداب والاحكام التى هى حكم الله ورسوله بينهم فى الدماء والاموال والابضاع والاعراض والمنافع والابشار وغير ذلك من الحدود والحقوق الى غير ذلك مما شرعه لهم على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم وحبب اليهم الايمان وزينه فى قلوبهم فجعلهم متبعين لرسوله صلى

الله عليه وسلم وعصمهم أن يجتمعوا على ضلالة كما ضلت الأمم قبلهم إذ كانت كل أمة إذا ضلت أرسل الله تعالى رسولاً إليهم كما قال تعالى ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت وقال تعالى وإن من أمة إلا خلا فيها نذير

ومحمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء لا نبي بعده فعصم الله أمته أن تجتمع على ضلالة وجعل فيها من تقوم به الحجة إلى يوم القيامة ولهذا كان إجماعهم حجة كما كان الكتاب والسنة حجة ولهذا امتاز أهل الحق من هذه الأمة بالسنة والجماعة عن أهل الباطل الذين يزعمون أنهم يتبعون الكتاب ويعرضون عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعما مضت عليه جماعة المسلمين

فإن الله أمر في كتابه باتباع سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ولزوم سبيله وأمر بالجماعة والائتلاف ونهى عن الفرقة والاختلاف فقال تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله وقال تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا ليطاع بإذن الله وقال تعالى إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم وقال تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما وقال تعالى واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا وقال تعالى إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء وقال تعالى ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك

دين القيمة وقال تعالى وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله وقال تعالى في أم الكتاب اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين

وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون

فأمر سبحانه في أم الكتاب التي لم ينزل في التوراة ولا في الانجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها التي أعطيها نبينا صلى الله عليه وسلم من كنز تحت العرش التي لا تجزئ صلاة الا بها ان نسأله ان يهدينا الصراط المستقيم صراط الذين أنعم عليهم غير المغضوب عليهم كاليهود ولا الضالين كالنصارى

وهذا الصراط المستقيم هو دين الاسلام المحض وهو ما في كتاب الله تعالى وهو السنة والجماعة فان السنة المحضة هي دين الاسلام المحض فان النبي صلى الله عليه وسلم روى عنه من وجوه متعددة رواها أهل السنن والمسانيد كالامام أحمد وأبي داود والترمذي وغيرهم أنه قال ستفترق هذه الامة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار الا واحدة وهي الجماعة وفي رواية من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي

وهذه الفرقة الناجية أهل السنة وهم وسط في النحل كما ان ملة الاسلام وسط في الملل فالمسلمون وسط في أنبياء الله ورسله وعباده الصالحين لم يغلوا فيهم كما غلت النصارى فاتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح بن مريم وما أمروا الا ليعبدوا الها واحداً

لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون ولا جفوا عنهم كما جفت اليهود وكانوا يقتلون الأنبياء بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس وكلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم كذبوا فريقاً وقتلوا فريقاً

بل المؤمنون آمنوا برسل الله وعزروهم ونصروهم ووقروهم وأحبوهم وأطاعوهم ولم يعبدوهم ولم يتخذوهم أرباباً كما قال تعالى ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون

ومن ذلك ان المؤمنين توسطوا في المسيح فلم يقولوا هو الله ولا ابن الله ولا ثالث ثلاثة كما يقوله النصارى ولا كفروا به وقالوا على مريم بهتانا عظيما حتى جعلوه ولد بغية كما زعمت اليهود بل قالوا هذا عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها الى مريم العذراء البتول وروح منه

وكذلك المؤمنون وسط في شرائع دين الله فلم يحرموا على الله ان ينسخ ما يشاء ويمحو ما يشاء ويثبت كما قالته اليهود كما حكى الله تعالى ذلك عنهم بقوله سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها وبقوله وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم ولا جوزوا لأكابر علمائهم وعبادهم أن يغيروا دين الله ويأمروا بما شاؤا وينهوا عما شاؤا كما يفعله النصارى كما ذكر الله ذلك عنهم بقوله اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون

الله قال عدي بن حاتم رضي الله عنه قلت يارسول الله ماعبدوهم قال ماعبدوهم ولكن أحلوا لهم الحرام فأطاعوهم وحرموا عليهم الحلال فأطاعوهم والمؤمنون قالوا لله الخلق والامر فكما لا يخلق غيره لايأمر غيره وقالوا سمعنا وأطعنا فاطاعوا كل ما أمر الله به وقالوا ان الله يحكم ما يريد وأما المخلوق فليس له ان يبدل أمر الخالق تعالى ولو كان عظيما

وكذلك في صفات الله تعالى فان اليهود وصفوا الله تعالى بصفات المخلوق الناقصة فقالوا هو فقير ونحن أغنياء وقالوا يد الله مغلولة وقالوا انه تعب من الخلق فاستراح يوم السبت الى غير ذلك والنصارى وصفوا المخلوق بصفات الخالق المختصة به فقالوا انه يخلق ويرزق ويغفر ويرحم ويتوب على الخلق ويثيب ويعاقب والمؤمنون آمنوا بالله سبحانه وتعالى ليس له سمي ولا ند ولم يكن له كفواً أحد وليس كمثله شيء فانه رب العالمين وخالق كل شيء وكل ما سواه عباد له فقراء اليه ان كل من في السموات والارض الا آتي الرحمن عبداً لقد أحصاهم وعدهم عداً وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً

ومن ذلك أمر الحلال والحرام فان اليهود كما قال الله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم فلا يأكلون ذوات الظفر مثل الابل والبط ولا شحم الثرب والكليتين ولا الجدي في لبن أمه الى غير ذلك مما حرم عليهم من الطعام واللباس وغيرهما حتى قيل ان المحرمات عليهم ثلاثمائة وستون نوعا والواجب عليهم مائتان وثمانية

وأربعون أمراً وكذلك شدد عليهم في النجاسات حتى لا يؤاكلوا الحائض ولا يجامعوها في البيوت وأما النصارى فاستحلوا الخبائث وجميع المحرمات وباشروا جميع النجاسات وإنما قال لهم المسيح ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم ولهذا قال تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون وأما المؤمنون فكما نعتهم الله به في قوله ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون وهذا باب يطول وصفه

وهكذا أهل السنة والجماعة في الفرق فهم في باب أسماء الله وآياته وصفاته وسط بين أهل التعطيل الذين يلحدون في أسماء الله وآياته ويعطلون حقائق ما نعت الله به نفسه حتى يشبهونه بالعدم والموات وبين أهل التمثيل الذين يضربون له الأمثال ويشبهونه بالمخلوقات

فيؤمن أهل السنة والجماعة بما وصف الله به نفسه وما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف وتمثيل

وهم في باب خلقه وأمره وسط بين المكذبين بقدرة الله الذين لا يؤمنون بقدرته الكاملة ومشيئته الشاملة وخلقه لكل شيء وبين المفسدين لدين الله الذين يجعلون العبد ليس له مشيئة ولا قدرة ولا عمل فيعطلون الأمر والنهي والثواب والعقاب فيصيرون بمنزلة المشركين الذين قالوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء

فيؤمن أهل السنة بأن الله على كل شيء قدير فيقدر أن يهدي العباد ويقلب قلوبهم وأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن فلا يكون في ملكه ما لا يريد ولا يعجز عن إنفاذ مراده وأنه خالق كل شيء من الأعيان والصفات والحركات

ويؤمنون أن العبد له قدرة ومشيئة وعمل وأنه مختار ولا يسمونه مجبوراً إذ المجبور من أكره على خلاف اختياره والله سبحانه جعل العبد مختاراً لما يفعله فهو مختار مريد والله خالقه وخالق اختياره وهذا ليس له نظير فإن الله ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله

وهم في باب الأسماء والأحكام والوعد والوعيد وسط بين الوعيدية الذين يجعلون أهل الكبائر من المسلمين مخلدين في النار ويخرجونهم من الإيمان بالكلية ويكذبون بشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم وبين المرجئة الذين يقولون إيمان الفساق مثل إيمان الأنبياء والأعمال الصالحة ليست من الدين والإيمان ويكذبون بالوعيد والعقاب بالكلية

فيؤمن أهل السنة والجماعة بأن فساق المسلمين معهم بعض الإيمان وأصله وليس معهم جميع الإيمان الواجب الذي يستوجبون به الجنة

وانهم لا يخلدون في النار بل يخرج منها من كان في قلبه مثقال حبة من ايمان أو مثقال خردلة من ايمان

وأن النبي صلى الله عليه وسلم ادخر شفاعته لأهل الكبائر من أمته

وهم أيضاً في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم وسط بين الغالية الذين يغالون في علي رضي الله عنه فيفضلونه على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ويعتقدون أنه الامام المعصوم دونهما وان الصحابة ظلموا وفسقوا وكفروا الامة بعدهم كذلك وربما جعلوه نبياً أو الهاً وبين الجافية الذين يعتقدون كفره وكفر عثمان رضي الله عنهما ويستحلون دماءهما ودماء من تولاهما ويستحبون سب علي وعثمان ونحوهما ويقدحون في خلافة علي رضي الله عنه وامامته

وكذلك في سائر أبواب السنة هم وسط لانهم متمسكون بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وما اتفق عليه السابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان

(فصل) واعلم أصلحكم الله قد من الله عليكم بالانتساب الى الاسلام الذي هو دين الله وعافاكم الله مما ابتلى به من خرج عن الاسلام من المشركين وأهل الكتاب والاسلام أعظم النعم وأجلها فان الله لا يقبل من أحد ديناً سواه ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين وعافاكم الله بانتسابكم الى السنة من أكثر البدع المضلة مثل كثير من بدع الروافض والجهمية والخوارج والقدرية بحيث جعل عندكم من البغض لمن يكذب باسماء الله وصفاته وقضائه وقدره

أويسب أصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم ماهو من طريقة أهل السنه والجماعة وهذا من أكبر نعم الله على من أنعم عليه بذلك فان هذا من تمام الايمان وكمال الدين ولهذا كثر فيكم من أهل الصلاح والدين وأهل القتال المجاهدين مالا يوجد مثله فى طوائف المبتدعين ومازال في عساكر المسلمين المنصورة وجنود الله المؤيدة منكم من يؤيد الله به الدين ويعز به المؤمنين وفى أهل الزهادة والعبادة منكم من له الاحوال الزكيه والطريقه المرضيه وله المكاشفات والتصرفات وفيكم من اولياء الله المتقين من له لسان صدق في العالمين فان قدماء المشايخ الذين كانوا فيكم مثل الملقب بشيخ الاسلام أبى الحسن على بن أحمد بن يوسف القرشي الهكاري وبعده الشيخ العارف القدوة عدى بن مسافر الاموى ومن سلك سبيلهما فيهم من الفضل والدين والصلاح والاتباع للسنة ماعظم الله به أقدارهم ورفع به منارهم والشيخ عدى قدس الله روحه كان من أفاضل عباد الله الصالحين وأكابر المشايخ المتبعين وله من الاحوال الزكيه والمناقب العليه مايعرفه أهل المعرفة بذلك وله في الامة صيت مشهور ولسان صدق مذكور وعقيدته المحفوظة عنه لم يخرج فيها عن عقيدة من تقدمه من المشايخ الذين سلك سبيلهم كالشيخ الامام الصالح أبي الفرج عبد الواحد بن محمد بن على الانصارى الشيرازى ثم الدمشقي وكشيخ الاسلام الهكارى ونحوهما وهؤلاء المشايخ لم يخرجوا في الاصول الكبار عن أصول أهل السنه والجماعة بل كان لهم من الترغيب فى أصول أهل السنة والدعاء اليها والحرص على نشرها ومنابذة من خالفها

مع الدين والفضل والصلاح ما رفع الله به أقدارهم وأعلا منارهم وغالب ما يقولونه في أصولها الكبار حق مع أنه لا يدون يوجد في كلامهم وكلام نظرائهم من المسائل المرجوحة والدلائل الضعيفة كأحاديث لا تثبت ومقاييس لا تطرد ما يعرفه أهل البصيرة

وذلك ان كل أحد يؤخذ من قوله ويترك الا رسول الله صلى الله عليه وسلم لاسيما المتأخرون من الأمة الذين لم يحكموا معرفة الكتاب والسنة والفقه فيهما ويميزوا بين صحيح الأحاديث وسقيمها وناتج المقاييس وعقيمها مع ما ينضم الى ذلك من غلبة الأهواء وكثرة الآراء وتغلظ الاختلاف والافتراق وحصول العداوة والشقاق فان هذه الأسباب ونحوها مما يوجب قوة الجهل والظلم اللذين نعت الله بهما الانسان في قوله وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا فاذا من الله على الانسان بالعلم والعدل أنقذه من هذا الضلال وقد قال سبحانه والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر وقد قال تعالى وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون

وأنتم تعلمون أصلحكم الله أن السنة التي يجب اتباعها ويحمد أهلها ويذم من خالفها هي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمور الاعتقادات وأمور العبادات وسائر أمور الديانات وذلك انما يعرف بمعرفة أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم الثابتة عنه في أقواله وأفعاله وماتركه من قول وعمل ثم ما كان عليه السابقون والتابعون لهم باحسان

وذلك في دواوين الاسلام المعروفة مثل صحيحي البخاري ومسلم وكتب السنن مثل سنن أبي داود والنسائي وجامع الترمذي وموطأ الامام مالك ومثل المسانيد المعروفة كمثل مسند الامام أحمد وغيره ويوجد في كتب التفاسير والمغازي وسائر كتب الحديث جملها وأجزائها من الآثار ما يستدل ببعضها على بعض وهذا أمر قد أقام الله له من اهل المعرفة من اعتنى به حتى حفظ الله الدين على أهله

وقد جمع طوائف من العلماء الاحاديث والآثار المروية في أبواب عقائد أهل السنة مثل حماد بن سلمة وعبد الرحمن بن مهدي وعبد الله بن عبد الرحمن الدارمي وعثمان بن سعيد الدارمي وغيرهم في طبقتهم ومثلها ما بوب عليه البخاري وأبو داود والنسائي وابن ماجه وغيرهم في كتبهم ومثل مصنفات أبي بكر الاثرم وعبدالله بن أحمد وأبي بكر الخلال وابي القاسم الطبراني وأبي الشيخ الاصبهاني وأبي بكر الآجري وأبي الحسن الدارقطني وأبي عبد الله بن منده وأبي القاسم اللالكائي وأبي عبد الله بن بطه وابي عمر الطلمنكي وأبي نعيم الاصبهاني وأبي بكر البيهقي وابي ذر الهروي وان كان يقع في بعض هذه المصنفات من الاحاديث الضعيفة ما يعرفه أهل المعرفة

﴿ وقد ﴾ يروي كثير من الناس في الصفات وسائر ابواب الاعتقادات وعامة أبواب الدين أحاديث كثيرة تكون مكذوبة موضوعة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي قسمان

منها ما يكون كلاما باطلا لا يجوز أن يقال فضلا عن ان يضاف الى

النبي صلى الله عليه وسلم

والقسم الثاني من الكلام مايكون قد قاله بعض السلف أو بعض العلماء أو بعض الناس ويكون حقا أو مما يسوغ فيه الاجتهاد أومذهباً لقائله فيعزى الى النبي صلى الله عليه وسلم وهذا كثير عند من لا يعرف الحديث مثل المسائل التي وضعها الشيخ أبو الفرج عبد الواحد بن محمد بن علي الانصاري وجعلها محنة يفرق فيها بين السني والبدعي وهي مسائل معروفة عمل بعض الكذابين وجعل لها اسنادا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعلها من كلامه وهذا يعلمه من له أدني معرفة انه مكذوب مفترى وهذه المسائل وان كان غالبها موافقاً لاصول السنة ففيها ما اذا خالفه الانسان لم يحكم بأنه مبتدع مثل أول نعمة أنعم بها على عبده فان هذه المسئلة فيها نزاع بين أهل السنة والنزاع فيها لفظي لان مبناها على أن اللذة يعقبها ألم هل تسمي نعمة أم لا وفيها أيضاً أشياء مرجوحة

فالواجب أن يفرق بين الحديث الصحيح والحديث الكذب فان السنة هي الحق دون الباطل وهي الاحاديث الصحيحة دون الموضوعة فهذا أصل عظيم لاهل الاسلام عموما ولمن يدعي السنة خصوصاً

﴿ فصل ﴾ وقد تقدم ان دين الله وسط بين الغالي فيه والجافي عنه والله تعالى ماأمر عباده من أمر الا اعترض الشيطان فيه بأمرين لايبالي بأيهما ظفر اما افراط فيه واما تفريط فيه واذا كان الاسلام الذي هو دين الله لايقبل من أحد سواه قد اعترض الشيطان كثيراً ممن ينتسب

اليه حتى أخرجه عن كثير من شرائعه بل أخرج طوائف من أعبد هذه الامه وأورعها عنه حتى مرقوا منه كما يمرق السهم من الرميه وأمر النبى صلى الله عليه وسلم بقتال المارقين منه فثبت عنه في الصحاح وغيرها من رواية أمير المؤمنين على بن أبى طالب وأبى سعيد الخدري وسهل بن حنيف وأبى ذر الغفارى وسعد بن أبى وقاص وعبد الله ابن عمر وابن مسعود رضى الله عنهم وعن هؤلاء ان النبى صلى الله عليه وسلم ذكر الخوارج فقال يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم وقراءته مع قراءتهم يقرؤن القرآن لايجاوز حناجرهم يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرميه أينما لقيتموهم فاقتلوهم أو فقاتلوهم فان فى قتلهم أجراً عند الله لمن قتلهم يوم القيامة لئن أدركتهم لاقتلنهم قتل عاد وفي رواية شر قتلى تحت أديم السماء خير قتلى من قتلوه وفي روايه لو يعلم الذين يقاتلونهم ماروي لهم على لسان محمد صلى الله عليه وسلم لنكلوا عن العمل وهؤلاء لما خرجوا فى خلافة أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضى الله عنه قاتلهم هو وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمر النبى صلى الله عليه وسلم وتحضيضه على قتالهم واتفق على قتالهم جميع أئمة الاسلام

وهكذا كل من فارق جماعة المسلمين وخرج عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وشريعته من أهل الاهواء المضلة والبدع المخالفة ولهذا قاتل المسلمون أيضاً الرافضة الذين هم شر من هؤلاء وهم الذين يكفرون جماهير المسلمين مثل الخلفاء الثلاثة وغيرهم ويزعمون

أنهم هم المؤمنون ومن سواهم كافر ويكفرون من يقول ان الله يرى في الآخرة أو يؤمن بصفات الله وقدرته الكاملة ومشيئته الشاملة ويكفرون من خالفهم في بدعهم التي هم عليها فانهم يمسحون القدمين ولا يمسحون على الخف ويؤخرون الفطور والصلاة الى طلوع النجم ويجمعون بين الصلاتين من غير عذر ويقنتون في الصلوات الخمس ويحرمون الفقاع وذبائح أهل الكتاب وذبائح من خالفهم من المسلمين لانهم عندهم كفار ويقولون على الصحابة رضي الله عنهم أقوالا عظيمة لاحاجة الى ذكرها هنا الى أشياء أخرى فقد تلهم المسلمون بامر الله ورسوله

فاذا كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين قد نسب الى الاسلام من مرق منه مع عبادته العظيمة حتى أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتالهم فيعلم أن المنتسب الى الاسلام أو السنة في هذه الازمان قد يمرق أيضا من الاسلام والسنة حتى يدعي السنة من ليس من أهلها بل قد مرق منها وذلك باسباب

منها الغلو الذي ذمه الله تعالى في كتابه حيث قال يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه الى قوله وكفى بالله وكيلا وقال تعالى يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل وقال النبي صلى الله عليه وسلم اياكم والغلو في الدين فانه أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين وهو حديث صحيح

ومنها التفرق والاختلاف الذي ذكره الله تعالى في كتابه العزيز

ومنها أحاديث تروى عن النبي صلى الله عليه وسلم وهي كذب عليه باتفاق أهل المعرفة يسمعها الجاهل بالحديث فيصدق بها لموافقة ظنه وهواه

وأصل الضلال اتباع الظن والهوى كما قال الله تعالى في حق من ذمهم إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى وقال في حق نبيه صلى الله عليه وسلم والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى فنزهه عن الضلال والغواية اللذين هما الجهل والظلم فالضال هو الذي لا يعلم الحق والغاوي الذي يتبع هواه وأخبر أنه ما ينطق عن هوى النفس بل هو وحي أوحاه الله إليه فوصفه بالعلم ونزهه عن الهوى

وأنا أذكر جوامع من أصول الباطل التي ابتدعها طوائف ممن ينتسب إلى السنة وقد مرق منها وصار من أكابر الظالمين وهي فصول

(الفصل الأول) أحاديث رووها في الصفات زائدة على الأحاديث التي في دواوين الإسلام مما نعلم باليقين القاطع أنها كذب وبهتان بل كفر شنيع وقد يقولون من أنواع الكفر ما لا يروون فيه حديثاً مثل حديث يروونه أن الله ينزل عشية عرفة على جمل أورق يصافح الركبان ويعانق المشاة وهذا من أعظم الكذب على الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وقائله من أعظم القائلين على الله غير الحق ولم يرو هذا الحديث أحد من علماء المسلمين أصلاً بل أجمع علماء المسلمين وأهل المعرفة

بالحديث على انه مكذوب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أهل العلم كابن قتيبة وغيره هذا وأمثاله انما وضعه الزنادقة الكفار ليشنعوا به أهل الحديث ويقولون انهم يروون مثل هذا

وكذلك حديث آخر فيه انه رأى ربه حين أفاض من مزدلفة يمشي أمام الحجيج وعليه جبة صوف وأمثال هذه من الهذيان والافتراء على الله الذي لا يقوله من عرف الله ورسوله صلى الله عليه وسلم

وهكذا حديث فيه ان الله يمشي على الارض فاذا كان موضع خضرة قالوا هذا موضع قدميه ويقرؤن قوله تعالى فانظر الى آثار رحمة الله كيف يحيي الارض بعد موتها هذا أيضا كذب باتفاق العلماء ولم يقل الله فانظر الى آثار خطى الله وانما قال آثار رحمة الله ورحمته هنا النبات

وهكذا أحاديث في بعضها ان محمدا صلى الله عليه وسلم رأى ربه في الطواف وفي بعضها انه رآه وهو خارج من مكة وفي بعضها انه رآه في بعض سكك المدينة الى أنواع أخر

وكل حديث فيه ان محمدا صلى الله عليه وسلم رأى ربه بعينه في الارض فهو كذب باتفاق المسلمين وعلمائهم هذا شيء لم يقله أحد من علماء المسلمين ولا رواه أحد منهم

وانما كان النزاع بين الصحابة في ان محمدا صلى الله عليه وسلم هل رأى ربه ليلة المعراج فكان ابن عباس رضي الله عنهما وأكثر علماء السنة يقولون ان محمدا صلى الله عليه وسلم رأى ربه ليلة المعراج وكانت عائشة رضي الله عنها وطائفة معها تنكر ذلك ولم ترو عائشة رضي الله

عنها في ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم شيئا ولا سأله عن ذلك ولا نقل في ذلك عن الصديق رضي الله عنه كما يرويه ناس من الجهال ان أباها سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال نعم وقال لعائشة لا فهذا الحديث كذب باتفاق العلماء ولهذا ذكر القاضي أبو يعلى وغيره أنه اختلف الرواية عن الامام أحمد رحمه الله هل يقال ان محمدا صلى الله عليه وسلم رأى ربه بعيني رأسه أو يقال بعين قلبه أو يقال رآه ولا يقال بعين رأسه ولا بعين قلبه على ثلاث روايات

وكذلك الحديث الذي رواه أهل العلم انه قال رأيت ربي في صورة كذا وكذا يروى من طريق ابن عباس ومن طريق أم الطفيل وغيرهما وفيه أنه وضع يده بين كتفي حتى وجدت بردانا مله على صدري هذا الحديث لم يكن ليلة المعراج فان هذا الحديث كان بالمدينة وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم نام عن صلاة الصبح ثم خرج اليهم وقال رأيت كذا وكذا وهو من رواية من لم يصل خلفه الا بالمدينة كأم الطفيل وغيرها والمعراج انما كان من مكة باتفاق أهل العلم وبنص القرآن والسنة المتواترة كما قال الله تعالى سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى

فعلم ان هذا الحديث كان رؤيا منام بالمدينة كما جاء مفسرا في كثير من طرقه انه كان رؤيا منام مع أن رؤيا الانبياء وحي لم يكن رؤيا عين ليلة المعراج وقد اتفق المسلمون على ان النبي صلى الله عليه وسلم لم ير ربه بعينه في الارض وان الله لم ينزل له الى الارض وليس عن النبي

صلى الله عليه وسلم قط حديث فيه ان الله نزل له الى الارض

بل الاحاديث الصحيحة ان الله يدنو عشية عرفة وفي رواية الى

سماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر ويقول من يدعوني

فاستجيب له من يسألني فاعطيه من يستغفرني فاغفر له

وثبت في الصحيح ان الله يدنو عشية عرفة وفي رواية الى سماء

الدنيا ويباهي الملائكة باهل عرفة فيقول انظروا الى عبادي أتوني شعثا

غبرا ما اراد هؤلاء وقد روى ان الله ينزل ليلة النصف من شعبان ان

صح الحديث فان هذا مما تكلم فيه أهل العلم

وكذلك ما روى بعضهم ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزل من حراء

تبدى له ربه على كرسي بين السماء والارض غلط باتفاق أهل العلم

بل الذي في الصحاح ان الذي بدى له الملك الذي جاءه بحراء في أول

مرة وقال له اقرأ فقلت لست بقارئ فاخذني فغطني حتى بلغ مني

الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ فقلت لست بقارئ فاخذني فغطني حتى بلغ

مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان

من علق اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم فهذا

أول ما نزل على النبي صلى الله عليه وسلم ثم جعل النبي صلى الله عليه

وسلم يحدث عن فترة الوحي قال فبينا أنا أمشي اذ سمعت صوتا فرفعت

رأسي فاذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء

والارض رواه جابر رضي الله عنه في الصحيحين فاخبر ان الملك الذي

جاءه بحراء رآه بين السماء والارض وذكر أنه رعب منه فوقع في

بعض الروايات الملك فظن القرئ أنه الملك وأنه الله وهذا غلط وباطل

وبالجملة ان كل حديث فيه ان النبي صلى الله عليه وسلم رأى ربه بعينه في الارض وفيه انه نزل له الى الارض وفيه ان رياض الجنة من خطوات الحق وفيه انه وطئ على صخرة بيت المقدس كل هذا كذب باطل باتفاق علماء المسلمين من أهل الحديث وغيرهم

وكذلك كل من ادعى انه رأى ربه بعينه قبل الموت فدعواه باطل باتفاق أهل السنة والجماعة لانهم اتفقوا جميعهم على ان أحدا من المؤمنين لا يرى ربه بعيني رأسه حتى يموت وثبت ذلك في صحيح مسلم عن النواس ابن سمعان عن النبي صلى الله عليه وسلم انه لما ذكر الدجال قال واعلموا ان أحدا منكم لن يرى ربه حتى يموت وكذلك روي هذا عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه أخر يحذر أمته فتنة الدجال وبين لهم ان أحدا منهم لن يري ربه حتى يموت فلا يظن أحد ان هذا الدجال الذي رآه هو ربه ولكن الذي يقع لاهل حقائق الايمان من المعرفة بالله ويقين القلوب ومشاهدتها وتجلياتها هو على مراتب كثيرة قال النبي صلى الله عليه وسلم لما سأله جبريل عليه السلام عن الاحسان قال الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك

وقد يرى المؤمن ربه في المنام في صور متنوعة على قدر ايمانه ويقينه فاذا كان ايمانه صحيحا لم يره الا في صورة حسنة واذا كان في ايمانه نقص رأى ما يشبه ايمانه ورؤيا المنام لها حكم غير رؤيا الحقيقة في اليقظة ولها تعبير وتأويل لما فيها من الامثال المضروبة للحقائق

﴿ وقد ﴾ يحصل لبعض الناس في اليقظة أيضاً من الرؤيا نظير ما يحصل للنائم في المنام فيرى بقلبه مثل ما يرى النائم * وقد يتجلى له من الحقائق ما يشهده بقلبه فهذا كله يقع في الدنيا

وربما غلب أحدهم ما يشهده قلبه وتجمع حواسه وظن انه رأى ذلك بعيني راسه حتى يستيقظ فيعلم انه نائم وربما علم في المنام انه نائم

فهكذا من العباد من يحصل له مشاهدة قلبية تغلب عليه حتى تفنيه عن الشعور بحواسه فيظنها رؤية بعينه وهو غالط في ذلك وكل من قال من العباد المتقدمين أو المتأخرين انه رأى ربه بعيني رأسه فهو غالط في ذلك باجماع أهل العلم والايمان

نعم رؤية الله بالابصار هي للمؤمنين في الجنة وهي أيضاً للناس في عرصات القيامة كما تواترت الاحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال انكم سترون ربكم كما ترون الشمس في الظهيرة ليس دونها سحاب وكما ترون القمر ليلة البدر صحواً ليس دونه سحاب وقال صلى الله عليه وسلم جنات الفردوس أربع جنتان من ذهب آنيتهما وحليتهما وما فيهما وجنتان من فضة آنيتهما وحليتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا الى ربهم الارداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن وقال صلى الله عليه وسلم اذا دخل أهل الجنة الجنة نادى مناد يا أهل الجنة ان لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه فيقولون ما هو ألم يبيض وجوهنا ويثقل موازيننا ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار فيكشف الحجاب فينظرون اليه فما أعطاهم شيئاً أحب اليهم من النظر اليه وهي الزيادة

وهذه الاحاديث وغيرها في الصحاح وقد تلقاها السلف والائمة بالقبول و اتفق عليها أهل السنة والجماعة وانما يكذب بها أو يحرفها الجهمية ومن تبعهم من المعتزلة والرافضة ونحوهم الذين يكذبون بصفات الله تعالى و رؤيته وغير ذلك وهم المعطلة شرار الخلق والخليقة

ودين الله وسط بين تكذيب هؤلاء بما اخبر به رسوله صلى الله عليه وسلم في الآخرة وبين تصديق الغالية بأنه يرى بالعيون في الدنيا وكلاهما باطل

وهؤلاء الذين يزعم أحدهم انه يراه بعيني رأسه في الدنيا هم ضلال كما تقدم فان ضموا الى ذلك أنهم يرونه في بعض الاشخاص اما بعض الصالحين أو بعض المردان أو بعض الملوك أو غيرهم عظم ضلالهم وكفرهم وكانوا حينئذ أضل من النصارى الذين يزعمون انهم رأوه في صورة عيسى ابن مريم بل هم أضل من اتباع الدجال الذي يكون في آخر الزمان ويقول للناس انا ربكم ويأمر السماء فتمطر والارض فتنبت ويقول للخربة اخرجي كنوزك فتتبعه كنوزها وهذا هو الذي حذر منه النبي صلى الله عليه وسلم أمته وقال ما من خلق آدم الى قيام الساعة فتنة أعظم من الدجال وقال اذا جلس أحدكم في الصلاة فليستعذ بالله من أربع ليقل اللهم انى أعوذ بك من عذاب جهنم وأعوذ بك من عذاب القبر وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال فهذا ادعى الربوبية وأتى بشبهات فتن بها الخلق حتى قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم انه أعور وان ربكم ليس بأعور واعلموا ان

أحـدا منكم لن يرى ربه حتى يموت فذكر لهم علامتين ظاهرتين يعرفهما جميع الناس لعلمه صلى الله عليه وسلم أن من الناس من يضل فيجوز أن يرى ربه في الدنيا في صـورة البشر كهؤلاء الضلال الذين يعتقدون ذلك وهؤلاء قد يسمون الحلولية والاتحادية

وهم صنفان قوم يخصونه بالحلول أو الاتحاد في بعض الاشياء كما يقوله النصارى في المسيح عليه السلام والغالية في علي رضي الله عنه ونحوه وقوم في أنواع من المشايخ وقوم في بعض الملوك وقوم في بعض الصور الجميلة الى غير ذلك من الاقوال التي هي شر من مقالة النصارى

وصنف يعمون فيقولون بحلوله أو اتحاده في جميع الموجودات حتى الكلاب والخنازير والنجاسات وغيرها كما يقول ذلك قوم من الجهمية ومن تبعهم من الاتحادية كأصحاب ابن عربي وابن سبعين وابن الفارض والتلمساني والبلياني وغيرهم

ومذهب جميع المرسلين ومن تبعهم من المؤمنين وأهـل الكتب أن الله سبحانه خالق العالمين ورب السموات والارض وما بينهما ورب العرش العظيم والخلق جميعهم عباده وهم فقراء اليه

وهو سبحانه فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه ومع هذا فهو معهم أينما كانوا كما قال سبحانه وتعالى هو الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير

فهؤلاء الضلال الكفار الذين يزعم أحدهم أنه يرى ربه بعينيه وربما زعم أنه جالسه وحادثه أو صافحه وربما يعين أحدهم آدميا إما شخصا أو صبيا أو غير ذلك ويزعم أنه كلمهم يستتابون فإن تابوا وإلا ضربت أعناقهم وكانوا كفارا إذ هم أكفر من اليهود والنصارى الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم فإن المسيح رسول كريم وجيه عند الله في الدنيا والآخرة ومن المقربين فإذا كان الذين قالوا إنه هو الله وإنه اتحد به أو حل فيه قد كفرهم وعظم كفرهم بل الذين قالوا إنه اتخذ ولدا حتى قال وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا إدا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولداً وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبداً فكيف بمن يزعم في شخص من الأشخاص أنه هو هذا أكفر من الغالية الذين يزعمون أن علياً رضي الله عنه أو غيره من أهل البيت هو الله

وهؤلاء هم الزنادقة الذين حرقهم علي رضي الله عنه بالنار وأمر بأخاديد خدت لهم عند باب كندة وقذفهم فيها بعد أن أجلهم ثلاثا ليتوبوا فلما لم يتوبوا أحرقهم بالنار واتفق الصحابة رضي الله عنهم على قتلهم لكن ابن عباس رضي الله عنهما كان مذهبه أن يقتلوا بالسيف بلا تحريق وهو قول أكثر العلماء وقصتهم معروفة عند العلماء

(فصل) وكذلك الغلو في بعض المشايخ إما في الشيخ عدي ويونس القتي أو الحلاج وغيرهم بل الغلو في علي بن أبي طالب رضي الله عنه

ونحوه مثل الغلو فى المسيح عليه السلام ونحوه فكل من غلا فى حيّ أو فى رجل صالح كمثل على رضى الله عنه أو عدى أو نحوه أو في من يعتقد فيه الصلاح كالحلاج أو الحاكم الذى كان بمصر أو يونس القتى ونحوهم وجعل فيه نوعا من الالهية مثل أن يقول كل رزق لا يرزقنيه الشيخ فلان ما أريده أو يقول اذا ذبح شاة باسم سيدى أو يعبده بالسجود له أو لغيره أو يدعوه من دون الله تعالى مثل أن يقول ياسيدى فلان اغفرلي أو ارحمني او انصرني أو ارزقني أو أغثني أو أجرني او توكلت عليك أو أنت حسبي أو انا في حسبك أو نحو هذه الاقوال والافعال التي هي من خصائص الربوبية التي لا تصلح الا لله تعالى فكل هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه فان تاب والا قتل فان الله انما أرسل الرسل وأنزل الكتب لنعبد الله وحده لا شريك له ولا نجعل مع الله الها آخر

والذين كانوا يدعون مع الله آلهة أخرى مثل الشمس والقمر والكواكب والعزير والمسيح والملائكة واللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى ويغوث ويعوق ونسرا وغير ذلك لم يكونوا يعتقدون انها تخلق الخلائق أو انها تنزل المطر أو انها تنبت النبات وانما كانوا يعبدون الانبياء والملائكة والكواكب والجن والتماثيل المصورة لهؤلاء أو يعبدون قبورهم ويقولون انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى

ويقولون هم شفعاؤنا عند الله فارسل الله رسله تنهى أن يدعى أحد من دونه لا دعاء عبادة ولا دعاء استغاثة وقال تعالى قل ادعوا الذين

زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا

قال طائفة من السلف كان اقوام يدعون المسيح وعزيرا والملائكة فقال الله لهم هؤلاء الذين تدعونهم يتقربون الي كما تتقربون ويرجون رحمتي كما ترجون رحمتي ويخافون عذابي كما تخافون عذابي وقال تعالى قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له فاخبر سبحانه ان مايدعى من دون الله ليس له مثقال ذرة في الملك ولا شرك في الملك وانه ليس له من الخلق عون يستعين به وانه لاتنفع الشفاعة عنده الا باذنه

وقال تعالى وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا الا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى وقال تعالى أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أو لو كانوا لايملكون شيئا ولا يعقلون قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والارض ثم اليه ترجعون وقال تعالى ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبؤن الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض الآية

وعبادة الله وحده هي اصل الدين وهو التوحيد الذي بعث الله به الرسل وأنزل به الكتب فقال تعالى واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون وقال تعالى ولقد بعثنا في

كل أمه رسولا أن اعـبدوا الله واجتنبوا الطاغوت وقال تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه أنه لااله الا أنا فاعبدون

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحقق التوحيد ويعلمه أمته حتى قال له رجل ماشاء الله وشئت فقال أجعلتني لله ندا بل ماشاء الله وحده وقال لاتقولوا ماشاء الله وشاء محمد ولكن ماشاء الله ثم ماشاء محمد ونهي عن الحلف بغير الله فقال من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت وقال من حلف بغير الله فقد أشرك وقال لاتطروني كما اطرت النصارى عيسى بن مريم انما انا عبد فقولوا عبد الله ورسوله

ولهذا اتفق العلماء على انه ليس لاحد ان يحلف بمخلوق كالكعبة ونحوها

ونهى النبي صلي الله عليه وسلم عن السجود له ولما سجد بعض أصحابه نهاه عن ذلك وقال لا يصلح السجود الا لله وقال لو كنت آمرا أحدا أن يسجد لاحد لامرت المرأة أن يسجد لزوجها وقال لمعاذ بن جبل رضي الله عنه أرأيت لو مررت بقبري اكنت ساجدا له قال لا قال فلا تسجد لي

ونهي النبي صلي الله عليه وسلم عن اتخاذ القبور مساجد فقال في مرض موته لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر مافعلوا قالت عائشة رضى الله عنها ولولا ذلك لابرز قبره ولكن كره أن يتخذ مسجدا وفى الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال

قبل أن يموت بخمس ان من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد ألا فلا تتخذوا بيتي عيدا ولا بيوتكم قبورا وصلوا على حيثما كنتم فان صلاتكم تبلغني ولهذا اتفق أئمة الاسلام على انه لا يشرع بناء المسجد على القبور ولا تشرع الصلاة عند القبور بل كثير من العلماء يقول الصلاة عندها باطلة

والسنة في زيارة قبور المسلمين نظير الصلاة عليهم قبل الدفن قال الله تعالى في كتابه عن المنافقين ولا تصل على أحد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره فكان دليل الخطاب ان المؤمنين يصلى عليهم ويقام على قبورهم

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعلم أصحابه اذا زاروا القبور أن يقولوا السلام عليكم أهل دار قوم مؤمنين وانا ان شاء الله بكم لاحقون يرحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين نسأل الله لنا ولكم العافية اللهم لا تحرمنا أجرهم ولا تفتنا بعدهم واغفر لنا ولهم

وذلك ان من أكبر اسباب عبادة الاوثان كان التعظيم للقبور بالعبادة ونحوها قال الله تعالى في كتابه وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا

قال طائفة من السلف كانت هذه أسماء قوم صالحين فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم وعبدوها

ولهذا اتفق العلماء على ان من سلم على النبي صلى الله عليه وسلم عند قبره انه لا يمسح بحجرته ولا يقبلها لان التقبيل والاستلام

يكون لاركان بيت الله الحرام ولا تشبه بيت المخلوق ببيت الخالق

وكذلك الطواف والصلاة والاجتماع للعبادات انما تقصد في بيوت الله وهي المساجد التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ولا تقصد بيوت المخلوقين فتتخذ عيدا كما قال صلى الله عليه وسلم لاتتخذوا بيتي عيدا كل هذا لتحقيق التوحيد الذي هو أصل الدين ورأسه الذي لا يقبل الله عملا الا به ويغفر لصاحبه ولا يغفر لمن تركه وكما قال تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما

ولهذا كانت كلمة التوحيد أفضل الكلام وأعظمه فاعظم آية في القرآن آية الكرسي الله لا اله الا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم وقال صلى الله عليه وسلم من كان آخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة والاله الذي يألهه القلب عبادة له واستعانة ورجاء له وخشية واجلالا واكراما

(فصل) ومن ذلك الاقتصاد في السنة واتباعها كما جاءت بلا زيادة ولا نقصان مثل الكلام في القرآن وسائر الصفات فان مذهب سلف الامة وأهل السنة ان القرآن كلام الله منزل غير مخلوق منه بدا واليه يعود هكذا قال غير واحد من السلف روى عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار وكان من التابعين الاعيان قال مازلت أسمع الناس يقولون ذلك

والقرآن الذي أنزله الله على رسوله صلى الله عليه وسلم هو هذا

القرآن الذي يقرؤه المسلمون ويكتبونه في مصاحفهم وهو كلام الله لا كلام غيره وان تلاه العباد وبلغوه بحركاتهم وأصواتهم فان الكلام لمن قاله مبتدئا لا لمن قاله مبلغا مؤديا قال الله تعالى وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه وهذا القرآن فى المصاحف كما قال تعالى بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ وقال تعالى يتلو صحفا مطهرة فيها كتب قيمة وقال انه لقرآن كريم فى كتاب مكنون والقرآن كلام الله بحروفه ونظمه ومعانيه كل ذلك يدخل فى القرآن وفى كلام الله واعراب الحروف هو من تمام الحروف كما قال النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن فاعربه فله بكل حرف عشر حسنات وقال أبو بكر وعمر رضى الله عنهما حفظ اعراب القرآن أحب الينا من حفظ بعض حروفه

واذا كتب المسلمون مصحفا فان أحبوا ان لا ينقطوه ولا يشكلوه جاز ذلك كما كان الصحابة يكتبون المصاحف من غير تنقيط ولا تشكيل لان القوم كانوا عربا لا يلحنون وهكذا هي المصاحف التي بعث بها عثمان رضي الله عنه الي الامصار في زمن التابعين

ثم فشا اللحن فنقطت المصاحف وشكلت بالنقط الحمر ثم شكلت بمثل خط الحروف فتنازع العلماء فى كراهة ذلك وفيه خلاف عن الامام أحمد رحمه الله وغيره من العلماء قيل يكره ذلك لانه بدعة وقيل لا يكره للحاجة اليه وقيل يكره النقط دون الشكل لبيان الاعراب والصحيح انه لا بأس به

وا صدق عما ب عن الى صلى الله عليه وسلم ان الله يتكلم صوت ونادى آدم عليه السلام بصوت الي أمثال ذلك من الاحاديث وهذه الجملة كان عليها سلف الامه وأئمة السنة

وقال أئمة السنة القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق حيث تلى وحيث كتب فلا يقال لتلاوة العبد بالقرآن انها مخلوقة لان ذلك يدخل فيه القرآن المنزل ولا يقال غير مخلوقه لان ذلك يدخل فيه أفعال العباد

ولم يقل قط احد من أئمة السلف ان اصوات العباد بالقرآن قديمة بل انكروا على من قال لفظ العبد بالقرآن غير مخلوق واما من قال ان المداد قديم فهذا من اجهل الناس وابعدهم عن السنة قال الله تعالى قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا فاخبر ان المداد يكتب به كلماته

وكذلك من قال ليس القرآن في المصحف وانما في المصحف مداد وورق أو حكايه وعباره فهو مبتدع ضال بل القرآن الذى انزله الله على محمد صلى الله عليه وسلم هو ما بين الدفتين والكلام في المصحف على الوجه الذى يعرفه الناس له خاصه يمتاز بها عن سائر الاشياء

وكذلك من زاد على السنة فقال ان ألفاظ العباد واصواتهم قديمة فهو مبتدع ضال كمن قال ان الله لا يتكلم بحرف ولا بصوت فانه أيضا مبتدع منكر للسنة

وكذلك من زاد وقال ان المداد قديم فهو ضال كمن قال ليس

في المصاحف كلام الله واما من رد على دلك من الجهال الدين يقولون ان الورق والجلد والوتد وقطعه من الحائط كلام الله فهو بمنزلة من يقول ما تكلم الله بالقرآن ولا هو كلامه هدا الغلو من جانب الاثبات وذلك التكذيب من جانب النفي وكلاهما خارج عن السنة والجماعه

وكذلك افراد الكلام في النقطه والشكله بدعة نفيا واثباتا وانما حدثت هده البدعه من مائة سنة أو أكثر بقليل فان من قال ان المداد الذي نقط به الحروف وشكل به قديم فهو ضال جاهل ومن قال ان اعراب حروف القرآن ليس من القرآن فهو ضال مبتدع

بل الواجب أن يقال هدا القرآن العربي هو كلام الله وقد دخل في ذلك حروفه باعرابها كما دخلت معانيه ويقال ما بين اللوحين جميعه كلام الله فان كان المصحف منقوطا مشكولا أطلق على ما بين اللوحين جميعه انه كلام الله وان كان غير منقوط ولا مشكول كالمصاحف القديمة التي كتبها الصحابه كان أيضا ما بين اللوحين هو كلام الله فلا يجوز أن تلقى الفتنة بين المسلمين بأمر محدث ونزاع لفظي لا حقيقة له ولا يجوز أن يحدث في الدين ماليس منه

(فصل) وكذلك يجب الاقتصاد والاعتدال في أمر الصحابه والقرابة رضي الله عنهم فان الله تعالى أثنى على أصحاب نبيه صلى الله عليه وسلم من السابقين والتابعين لهم باحسان وأخبر أنه رضي عنهم ورضوا عنه وذكرهم في آيات من كتابه مثل قوله تعالى محمد رسول الله والذين معه أشداء على

الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً
سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في
الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب
الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم
مغفرة وأجراً عظيماً وقال تعالى لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك
تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً

وفي الصحاح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا تسبوا أصحابي
فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم
ولا نصيفه

وقد اتفق أهل السنة والجماعة على ما تواتر عن أمير المؤمنين علي
ابن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم
عمر رضي الله عنهما واتفق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على
بيعة عثمان بعد عمر رضي الله عنهما وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم
أنه قال خلافة النبوة ثلاثون سنة ثم تصير ملكاً وقال صلى الله عليه
وسلم عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا
بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة
ضلالة

وكان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه آخر الخلفاء
الراشدين المهديين

وقد اتفق عامة أهل السنة من العلماء والعباد والأمراء والاجناد على أن يقولوا أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على رضى الله عنهم ودلائل ذلك وفضائل الصحابة كثير ليس هذا موضعه

وكذلك نؤمن بالامساك عما شجر بينهم ونعلم أن بعض المنقول فى ذلك كذب وهم كانوا مجتهدين اما مصيبين لهم اجران أو مثابين على عملهم الصالح مغفور لهم خطؤهم وما كان لهم من السيئات وقد سبق لهم من الله الحسنى فان الله يغفرها لهم اما بتوبة أو بحسنات ماحية أو مصائب مكفرة أو غير ذلك فانهم خير قرون هذه الامة كما قال صلى الله عليه وسلم خير القرون قرنى الذى بعثت فيهم ثم الذين يلونهم وهذه خير أمة أخرجت للناس

ونعلم مع ذلك ان على بن أبي طالب رضى الله عنه كان أفضل وأقرب الى الحق من معاوية وممن قاتله معه لما ثبت في الصحيحين عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال تمرق مارقة على حين فرقة من المسلمين تقتلهم أدنى الطائفتين الي الحق وفي هذا الحديث دليل على أنه مع كل طائفة حق وان عليا رضى الله عنه أقرب الي الحق

وأما الذين قعدوا عن القتال في الفتنة كسعد بن أبى وقاص وابن عمر وغيرهما رضى الله عنهم فاتبعوا النصوص التي سمعوها فى ذلك عن القتال فى الفتنة وعلى ذلك أكثر أهل الحديث

وكذلك آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم من الحقوق

ما يجب رعايتها فإن الله جعل لهم حقاً في الخمس والفيء وأمر بالصلاة
عليهم مع الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لنا قولوا اللهم
صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد
وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد
وآل محمد هم الذين حرمت عليهم الصدقة هكذا قال الشافعي وأحمد
ابن حنبل وغيرهما من العلماء رحمهم الله فإن النبي صلى الله عليه وسلم
قال إن الصدقة لا تحل لمحمد ولا لآل محمد وقد قال الله تعالى في كتابه
إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا وحرم
الله عليهم الصدقة لأنها أوساخ الناس وقد قال بعض السلف حب أبي
بكر وعمر إيمان وبغضهما نفاق وفي المسانيد والسنن أن النبي صلى الله
عليه وسلم قال للعباس لما شكا إليه جفوة قوم لهم قال والذي نفسي بيده
لا يدخلون الجنة حتى يحبوكم من أجلي

وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الله اصطفى
بني إسماعيل واصطفى بني كنانة من بني إسماعيل واصطفى قريشا من
كنانة واصطفى بني هاشم من قريش واصطفاني من بني هاشم

وقد كانت الفتنة لما وقعت بقتل عثمان وافتراق الأمة بعده صار قوم
ممن يحب عثمان ويغلو فيه ينحرف عن عليّ رضي الله عنه مثل كثير من
أهل الشام ممن كان إذ ذاك يسب عليا رضي الله عنه ويبغضه

وقوم ممن يحب علياً رضي الله عنه ويغلو فيه ينحرف عن عثمان
رضي الله عنه مثل كثير من أهل العراق ممن كان يبغض عثمان ويسبه

رضي الله عنه

ثم تغالظت بدعتهم بعد ذلك حتى سبوا أبا بكر وعمر رضي الله عنهما وزاد البلاء بهم حينئذ

والسنة محبة عثمان وعلي جميعاً وتقديم أبي بكر وعمر عليهما رضي الله عنهم لما خصهما الله به من الفضائل التي سبقا بها عثمان وعلياً جميعاً وقد نهى الله في كتابه عن التفرق والتشتت وأمر بالاعتصام بحبله

فهذا موضع يجب على المؤمن أن يثبت فيه ويعتصم بحبل الله فان السنة مبناها على العلم والعدل والاتباع لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم

فالرافضة لما كانت تسب الصحابة صار العلماء يأمرون بعقوبة من يسب الصحابة ثم كفرت الصحابة وقالت عنهم أشياء قد ذكرنا حكمهم فيها في غير هذا الموضع

ولم يكن أحد اذذاك يتكلم في يزيد بن معاوية ولا كان الكلام فيه من الدين ثم حدثت بعد ذلك أشياء فصار قوم يظهرون لعنة يزيد ابن معاوية وربما كان غرضهم بذلك التطرق الى لعنة غيره فكره أكثر أهل السنة لعنة أحد بعينه فسمع بذلك قوم ممن كان يتسنن فاعتقد أن يزيد كان من كبار الصالحين وأئمة الهدى وصار الغلاة فيه على طرفي نقيض هؤلاء يقولون انه كافر زنديق وانه قتل ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتل الانصار وأبناءهم بالحرة ليأخذ بثأر أهل بيته الذين قتلوا كفاراً مثل جده لأمه عتبة بن ربيعة وخاله الوليد

وغيرها وقد يذكرون عنه من الاشتهار بشرب الخمر واظهار الفواحش
أشياء وأقوام يعتقدون أنه كان اماما عادلا هاديا مهديا وانه كان من
الصحابة أو أكابر الصحابة وانه كان من أولياء الله تعالى وربما اعتقد
بعضهم انه كان من الانبياء ويقولون من وقف في يزيد وقفه الله على نار
جهنم ويروون عن الشيخ حسن بن عدي انه كان كذا وكذا ولياً
وقفوا على النار لقولهم في يزيد وفي زمن الشيخ حسن زادوا أشياء
باطلة نظماً ونثراً وغلوا في الشيخ عدي وفي يزيد باشياء مخالفة لما كان
عليه الشيخ عدي الكبير قدس الله روحه فان طريقته كانت سليمة لم
يكن فيها من هذه البدع وابتلوا بروافض عادوهم وقتلوا الشيخ حسنا
وجرت فتن لا يحبها الله ولا رسوله

وهذا الغلو في يزيد من الطرفين خلاف لما أجمع عليه أهل
العلم والايمان

فان يزيد بن معاوية ولد في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه
ولم يدرك النبي صلى الله عليه وسلم ولا كان من الصحابة باتفاق العلماء
ولا كان من المشهورين بالدين والصلاح وكان من شبان المسلمين ولا
كان كافراً ولا زنديقاً وتولى بعد ابيه على كراهة من بعض المسلمين
ورضا من بعضهم وكان فيه شجاعة وكرم ولم يكن مظهراً للفواحش كما
يحكي عنه خصومه

وجرت في امارته أمور عظيمة أحدها مقتل الحسين رضي الله
عنه وهو لم يأمر بقتل الحسين ولا أظهر الفرح بقتله ولا نكت بالقضيب

على ساباه رضى الله عنه ولا حمل رأس الحسين رضى الله عنه الى الشام لكن أمر بمنع الحسين رضى الله عنه وبدفعه عن الامر ولو كان بقتاله فزاد النواب على أمره وحض الشمر دى الجوش على قتله لعبيد الله ابن زياد فاعتدي عليه عبيد الله بن زياد فطلب منهم الحسين رضى الله عنه ان يجيء الى يزيد أو يذهب الى الثغر مرابطاً او يعود الى مكة فمنعوه رضى الله عنه الا أن يستأسر لهم وأمر عمر بن سعد بقتاله فقتلوه مظلوما له ولطائفة من أهل بيته رضى الله عنهم

وكان قتله رضي الله عنه من المصائب العظيمة فان قتل الحسين وقتل عثمان قبله كانا من أعظم أسباب الفتن في هذه الامة وقتلتهما من شرار الخلق عند الله ولما قدم أهلهم رضى الله عنهم على يزيد بن معاوية أكرمهم وسيرهم الى المدينة وروى عنه انه لعن زيادا على قتله وقال كنت أرضى من طاعة أهل العراق بدون قتل الحسين لكنه مع هذا لم يظهر منه انكار قتله والانتصار له والاخذ بثاره كان هو الواجب عليه فصار أهل الحق يلومونه على تركه للواجب مضافا الى أمور أخري وأما خصومه فيزيدون عليه من الفرية أشياء

وأما الامر الثاني فان أهل المدينة النبوية نقضوا بيعته وأخرجوا نوابه وأهله فبعث اليهم جيشاً وامره اذا لم يطيعوه بعد ثلاث أن يدخلها بالسيف ويبيحها ثلاثا فصار عسكره في المدينة النبوية ثلاثا يقتلون وينهبون ويفتضون الفروج المحرمة ثم ارسل جيشاً الي مكة المشرفة

حاصروا مكة وتوفى يزيد وهم محاصرون مكة وهذا من العدوان والظلم الذى فعل أمره

ولهذا كان الذى عليه معتقد أهل السنة وأئمة الامة أنه لا يسب ولا يحب قال صالح بن أحمد بن حنبل قلت لأبى ان قوما يقولون انهم يحبون يزيد قال يابني وهل يحب يزيد أحد يؤمن بالله واليوم الآخر فقلت ياأبتى فلماذا لا تلعنه قال يابنى ومتى رأيت اباك يلعن أحداً

وروى عنه قيل له تكتب الحديث عن يزيد بن معاوية فقال لا ولا كرامة او ليس هو الذى فعل بأهل المدينة مافعل

فيزيد عند علماء أئمة المسلمين ملك من الملوك لا يحبونه محبة الصالحين وأولياء الله ولا يسبونه فانهم لا يحبون لعنة المسلم المعين لما روى البخارى فى صحيحه عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن رجلا كان يدعى حمارا وكان يكثر شرب الخمر وكان كلما اتي به الى النبى صلى الله عليه وسلم ضربه فقال رجل لعنه الله ما أكثر ما يؤتى به الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم لا تلعنه فانه يحب الله ورسوله

ومع هذا فطائفة من أهل السنة يجيزون لعنه لانهم يعتقدون انه فعل من الظلم ما يجوز لعن فاعله وطائفة أخرى ترى محبته لانه مسلم تولى على عهد الصحابة وتابعه الصحابة ويقولون لم يصح عنه مانقل عنه وكانت له محاسن ولم يصح عنه ماقيل عنه أو كان مجتهدا فيما فعله

والصواب هو ما عليه الأئمة من انه لم يخص بمحبة ولا يلعن ومع هذا فان كان فاسقا أو ظالما فالله يغفر الفاسق والظالم لاسيما اذا اتى بحسنات

عظيمة

وقد روى البخاري في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أول جيش يغزو القسطنطينية مغفور له وأول جيش غزاها كان أميرهم يزيد بن معاوية وكان معه أبو أيوب الانصاري رضي الله عنه

وقد اشتبه يزيد بن معاوية بعمه يزيد بن أبي سفيان فان يزيد بن أبي سفيان كان من الصحابة وكان من خيار الصحابة وهو خير آل حرب وكان احد أمراء الشام الذين بعثهم ابو بكر رضي الله عنه في فتوح الشام ومشى أبو بكر في ركابه يوصيه مشيعاله فقال له ياخليفة رسول الله اما ان تركب واما أن أنزل فقال لست براكب ولست بنازل اني أحتسب خطاي هذه في سبيل الله فلما توفي بعد فتوح الشام في خلافة عمر ولى عمر رضي الله عنه مكانه أخاه معاوية وولد له يزيد في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه واقام معاوية بالشام الي أن وقع ماوقع

فالواجب الاقتصار في ذلك والاعراض عن ذكر يزيد بن معاوية وامتحان المسلمين به فان هذا من البدع المخالفة لاهل السنة والجماعة فانه بسبب ذلك اعتقد قوم من الجهال أن يزيد بن معاوية من الصحابة وانه من أكابر الصالحين وائمة العدل وهو خطأ بين

(فصل) وكذلك التفريق بين الامة وامتحانها بما لم يأمر الله به ولا رسوله مثل أن يقال للرجل أنت شكيلي أو قرفندي فان هذه أسماء باطلة ما أنزل الله بها من سلطان وليس في كتاب الله ولا سنة رسوله ولا في الآثار المعروفة عن سلف الأمة لاشكيلي ولا قرفندي والواجب

على المسلم اذا سئل عن ذلك أن يقول لا أنا شكيلي ولا قرندي بل أنا مسلم متبع لكتاب الله وسنة رسوله

وقد روينا عن معاوية بن أبي سفيان انه سأل عبد الله بن عباس رضي الله عنهما فقال أنت على ملة علي أو ملة عثمان فقال لست على ملة علي ولا على ملة عثمان بل انا على ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك كان كل من السلف يقولون كل هذه الاهواء في النار ويقول أحدهم ما أبالي أي النعمتين أعظم علي ان هداني الله للاسلام أو ان جنبني هذه الاهواء والله تعالى قد سمانا في القرآن المسلمين المؤمنين عباد الله فلا نعدل عن الاسماء التي سمانا الله بها الى اسماء احدثها قوم وسموها هم وآباؤهم ما أنزل الله بها من سلطان

بل الاسماء التي قد يسوغ التسمي بها مثل انتساب الناس الى امام كالحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي أو الى شيخ كالقادري والعدوي ونحوهم أو مثل الانتساب الى القبائل كالقيسي واليماني والى الامصار كالشامي والعراقي والمصري

فلا يجوز لاحد أن يمتحن الناس بها ولا يوالي بهذه الاسماء ولا يعادي عليها بل أكرم الخلق عند الله أتقاهم من أي طائفة كان

وأولياء الله الذين هم أولياؤه هم الذين آمنوا وكانوا يتقون فقد أخبر سبحانه ان أولياءه هم المؤمنون المتقون وقد بين المتقين في قوله تعالى ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال

على حبه ذوى القربي واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون والتقوى هى فعل ما أمر الله به وترك مانهى الله عنه

وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن حال أولياء الله وما صاروا به أولياء فى صحيح البخارى عن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تبارك وتعالى من عادى لى وليا فقد بارزني بالمحاربة وما تقرب الي عبدى بمثل أداء ماافترضت عليه ولا يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التي يمشى بها فبى يسمع وبى يبصر وبي يبطش ولان سألني لاعطينه ولان استعاذنى لاعيذنه وما ترددت عن شئ أنا فاعله ترددى عن قبض نفس عبدى المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولابد له منه

فقد ذكر فى هذا الحديث ان المتقرب الى الله تعالى على درجتين * أحدها المتقرب اليه بالفرائض * والثانية هى المتقرب الى الله بالنوافل بعد أداء الفرائض * فالاولى درجة المقتصدين الابرار أصحاب اليمين * والثانية درجة السابقين المؤمنين كما قال الله تعالى ان الابرار لفى نعيم على الارائك ينظرون تعرف فى وجوههم نضرة النعيم يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك وفى ذلك فليتنافس المتنافسون

قال ابن عباس رضى الله عنهما يمزج لاصحاب اليمين مزجا ويشربه

المقربون صرفا

وقد ذكر الله هذا المعنى في عدة مواضع من كتابه فكل من آمن بالله ورسوله واتقى الله فهو من أولياء الله

والله سبحانه قد أوجب موالاة المؤمنين بعضهم لبعض وأوجب عليهم معاداة الكافرين فقال تعالى ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم ان الله لايهدي القوم الظالمين فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ماأسروا في أنفسهم نادمين ويقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم انهم لمعكم حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين ياأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون

فقد أخبر سبحانه ان ولي المؤمن هو الله ورسوله وعباده المؤمنين وهذا عام في كل مؤمن موصوف بهذه الصفة سواء كان من أهل نسبة أو بلدة أو مذهب أو طريقة أو لم يكن وقال الله تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض وقال تعالى ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم

في سبيل الله والذين آووا ونصروا اولئك بعضهم أولياء بعض الى قوله والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فاولئك منكم وقال تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا الى قوله تعالى فاصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا ان الله يحب المقسطين انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون

وفي الصحاح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر وفي الصحاح أيضاً أنه قال المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً وشبك بين اصابعه وفي الصحاح أيضاً انه قال والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه وقال صلى الله عليه وسلم المسلم أخو المسلم لا يسلمه ولا يظلمه وأمثال هذه النصوص في الكتاب والسنة كثيرة

وقد جعل الله فيها عباده المؤمنين بعضهم أولياء بعض وجعلهم اخوة وجعلهم متناصرين متراحمين متعاطفين وأمرهم سبحانه بالائتلاف ونهاهم عن الافتراق والاختلاف فقال واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا

وقال ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء انما أمرهم الى الله الآية

فكيف يجوز مع هذا لامة محمد صلى الله عليه وسلم ان تفترق

ويختار حتى يوالي الرجل طائفة ويعادي طائفة أخرى بالظن والهوى بلا برهان من الله تعالى وقد برأ الله نبيه صلى الله عليه وسلم ممن كان هكذا

فهذا فعل أهل البدع كالخوارج الذين فارقوا جماعة المسلمين واستحلوا دماء من خالفهم

وأما أهل السنة والجماعة فهم معتصمون بحبل الله وأقل ما في ذلك أن يفضل الرجل من يوافقه على هواه وإن كان غيره أتقى لله منه

وإنما الواجب أن يقدم من قدمه الله ورسوله ويؤخر من أخره الله ورسوله ويحب ما أحبه الله ورسوله ويبغض ما أبغضه الله ورسوله وينهى عما نهى الله عنه ورسوله وأن يرضى بما رضي الله به ورسوله وأن يكون المسلمون يداً واحدة فكيف إذا بلغ الأمر ببعض الناس إلى أن يضلل غيره ويكفره وقد يكون الصواب معه وهو الموافق للكتاب والسنة ولو كان أخوه المسلم قد أخطأ في شيء من أمور الدين فليس كل من أخطأ يكون كافراً ولا فاسقاً بل قد عفا الله لهذه الأمة عن الخطأ والنسيان وقد قال تعالى في كتابه في دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا وثبت في الصحيح أن الله قال قد فعلت

لا سيما وقد يكون من يوافقكم في أخص من الإسلام مثل أن يكون مثلكم على مذهب الشافعي او منتسباً الى الشيخ عدي ثم بعد

هذا بعد يخالف في شيء وربما كان الصواب معه فكيف استحل عرضه ودمه أو ماله مع ماورد ذكر الله تعالى من حقوق المسلم والمؤمن

وكيف يجوز التفريق بين الامة باسماء مبتدعة لا أصل لها في كتاب الله ولا سنة رسوله صلى الله عليه وسلم

وهذا التفريق الذي حصل من الامة علمائها ومشائخها وأمرائها وكبرائها هو الذي أوجب تسلط الاعداء عليها وذلك بتركهم العمل بطاعة الله ورسوله كما قال تعالى ومن الذين قالوا انا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظاً مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء

فمتى ترك الناس بعض ما أمرهم الله به وقعت بينهم العداوة والبغضاء واذا تفرق القوم فسدوا وهلكوا واذا اجتمعوا صلحوا وملكوا فان الجماعة رحمة والفرقة عذاب

وجماع ذلك في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر كما قال تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا الى قوله ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون

فمن الامر بالمعروف الامر بالائتلاف والاجتماع والنهي عن الاختلاف والفرقة ومن النهي عن المنكر اقامة الحدود على من خرج من شريعة الله تعالى

فمن اعتقد في بشر انه اله أو دعا ميتاً أوطلب منه الرزق والنصر والهداية وتوكل عليه أو سجد له فانه يستتاب فان تاب والا ضربت عنقه

ومن فضل أحداً من المشايخ على النبي صلى الله عليه وسلم أو اعتقد
أن احدا يستغني عن طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم استتيب فان
تاب والا ضربت عنقه،

وكذلك من اعتقد ان أحداً من أولياء الله يكون مع محمد
صلى الله عليه وسلم كما كان الخضر مع موسى عليه السلام فانه يستتاب
فان تاب والا ضربت عنقه لان الخضر لم يكن من أمة موسى عليه
السلام ولا كان يجب عليه طاعته بل قال له انى على علم من علم الله
علمنيه الله لا تعلمه وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه وكان
مبعوثا الى بني اسرائيل كما قال نبينا صلى الله عليه وسلم وكان النبي يبعث
الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة

ومحمد صلى الله عليه وسلم مبعوث الى جميع الثقلين انسهم وجنهم
فمن اعتقد انه يسوغ لاحد الخروج عن شريعته وطاعته فهو
كافر يجب قتله

وكذلك من كفر المسلمين أو استحل دماءهم وأموالهم ببدعة
ابتدعها ليست في كتاب الله ولا سنة رسوله فانه يجب نهيه عن ذلك وعقوبته
بما يزجره ولو بالقتل أو القتال فانه اذا عوقب المعتدون من جميع
الطوائف وأكرم المتقون من جميع الطوائف كان ذلك من أعظم
الاسباب التي ترضي الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وتصلح أمر المسلمين
ويجب على أولي الامر وهم علماء كل طائفة وأمراؤها ومشايخها
أن يقوموا على عامتهم ويأمروهم بالمعروف وينهوهم عن المنكر ويأمروهم

ثـا امر الله به ورسوله ويهوهم عما نهى الله عـه ورسوله صلى الله عليه وسلم

فالاول مثل شرائع الاسلام وهي الصلوات الخمس فى مواقيتها واقامة الجمعـة والجماعات من الواجبات والسنن الراتبات كالاعياد وصـلاة كسوف والاستسقاء والتراويح وصـلاة الجنائز وغير ذلك وكذلك الصدقات المشروعة والصوم المشروع وحج البيت الحرام ومثل الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والايمان بالقدر خيره وشره ومثل الاحسان وهو ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك ومثل سـائر ماأمر الله به ورسوله من الامور الباطنـة والظاهرة ومثل اخلاص الدين لله والتوكل على الله وأن تكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما والرجاء لرحمة الله والخشية من عذابه والصـبر لحكم الله والتسليم لامر الله ومثل صدق الحديث والوفاء بالعهود وأداء الامانات الي أهلها وبر الوالدين وصـلة الارحام والتعاون على البر والتقوى والاحسان الى الجار واليتيم والمسكين وابن السبيل ولصاحب والزوجة والمملوك والعدل فى المقال والفعال ثم الندب الي مكارم الاخلاق مثل ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك قال الله تعالي وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فاجره على الله انه لايحب الظالمين ولمن انتصر بعد ظلمه فاولئك ماعليهم من سبيل انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الارض بغير الحق أولئك لهـم عذاب أليم ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور

وأما المنكر الذي نهى الله عنه ورسوله فأعظمه الشرك بالله وهو أن يدعو مع الله الها آخر أما الشمس واما القمر أو الكواكب أو ملكا من الملائكة او نبيا من الانبياء أو رجلا من الصالحين أو أحداً من الجن أو تماثيل هؤلاء أو قبورهم أو غير ذلك مما يدعى من دون الله تعالى أو يستغاث به أو يسجد له فكل هذا وأشباهه من الشرك الذي حرمه الله على لسان جميع رسله

وقد حرم الله قتل النفس بغير حقها وأكل أموال الناس بالباطل اما بالغصب واما بالربا أو الميسر كالبيوع والمعاملات التي نهى عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك قطيعة الرحم وعقوق الوالدين وبخس المكيال والميزان والاثم والبغي بغير الحق

وكذلك ماحرمه الله تعالى أن يقول الرجل على الله مالا يعلم مثل أن يروى عن الله ورسوله أحاديث يجزم بها وهو لا يعلم صحتها أو يصف الله بصفات لم ينزل بها كتاب من الله ولا اثارة من علم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سواء كانت من صفات النفي والتعطيل مثل قول الجهمية انه ليس فوق العرش ولا فوق السموات وانه لا يرى في الآخرة وانه لا يتكلم ولا يحب ونحو ذلك مما كذبوا به الله ورسوله أو كانت من صفات الاثبات والتمثيل مثل من يزعم انه يمشي في الارض أو يجالس الخلق أو انهم يرونه بأعينهم أو ان السموات تحويه وتحيط به أو انه سار في مخلوقاته الى غير ذلك من أنواع الفرية على الله

وكذلك العبادات المبتدعة التي لم يشرعها الله ورسوله صلى الله عليه

وسلم كما قال تعالى أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله فان الله شرع لعباده المؤمنين عبادات فاحدث لهم الشيطان عبادات ضاهاها بها فانه شرع لهم عبادة الله وحده لاشريك له فشرع لهم شركاء وهي عبادة ماسواه والاشراك به وشرع لهم الصلوات الخمس وقراءة القرآن فيها والاستماع له والاجتماع لسماع القرآن خارج الصلاة أيضاً فاول سورة أنزلها على نبيه صلى الله عليه وسلم اقرأ باسم ربك الذى خلق أمر فى أولها بالقراءة وفى آخرها بالسجود بقوله تعالى فاسجد واقترب

ولهذا كان أعظم الاذكار التي فى الصلاة قراءة القرآن وأعظم الافعال السجود لله وحده لاشريك له وقال تعالى وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا وقال تعالي واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون

وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اجتمعوا امروا واحداً منهم ان يقرأ والباقي يستمعون وكان عمر بن الخطاب يقول لابى موسى رضى الله عنهما ذكرنا ربنا فيقرأوهم يستمعون ومر النبى صلى الله عليه وسلم بابى موسي رضى الله عنه وهو يقرأ فجعل يستمع لقراءته وقال يأبا موسى مررت بك البارحة فجعلت استمع قراءتك فقال لو علمت لحبرته لك تحبيراً وقال لله اشد اذنا أى استماعا الى الرجل يحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة الى قينته

وهذا هو سماع المؤمنين وسلف الامة واكابر المشايخ كمعروف

الكرخي والفضيل بن عياض وأبي سليمان الداراني ونحوهم وهو سماع المشايخ المتأخرين الأكابر كالشيخ عبد القادر والشيخ عدي بن مسافر والشيخ أبي مدين وغيرهم من المشايخ رحمهم الله وأما المشركون فكان سماعهم كما ذكره الله تعالى في كتابه بقوله تعالى وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية

قال السلف المكاء الصفير والتصدية التصفيق باليد فكان المشركون يجتمعون في المسجد الحرام يصفقون ويصوتون يتخذون ذلك عبادة وصلاة فذمهم الله على ذلك وجعل ذلك من الباطل الذي نهي عنه

فمن اتخذ نظير هذا السماع عبادة وقربة يتقرب بها إلى الله فقد ضاهى هؤلاء في بعض أمورهم وكذلك لم يفعله القرون الثلاثة التي أثنى عليها النبي صلى الله عليه وسلم ولا فعله أكابر المشايخ

وأما سماع الغناء على وجه اللعب فهذا من خصوصية الأفراح للنساء والصبيان كما جاءت به الآثار فإن دين الإسلام واسع لا حرج فيه

وعماد الدين الذي لا يقوم إلا به هو الصلوات الخمس المكتوبات ويجب على المسلمين من الاعتناء بها ما لا يجب من الاعتناء بغيرها

كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يكتب إلى عماله إن أهم أمركم عندي الصلاة فمن حفظها وحافظ عليها حفظ دينه ومن ضيعها كان لما سواها من عمله أشد إضاعة

وهي أول ما أوجبه الله من العبادات والصلوات الخمس تولى الله إيجابها بمخاطبة رسوله ليلة المعراج وهي آخر ما وصى به النبي صلى الله

عليه وسلم أمته وقت فراق الدنيا جعل يقول الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم وهي أول ما يحاسب عليه العبد من عمله وآخر ما يفقد من الدين فاذا ذهبت ذهب الدين كله وهي عمود الدين فمتى ذهبت سقط الدين

قال النبي صلى الله عليه وسلم رأس الأمر الاسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله وقد قال الله في كتابه فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا

قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه وغيره اضاعتها تأخيرها عن وقتها ولو تركوها كانوا كفاراً وقال تعالى حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى والمحافظة عليها فعلها فى أوقاتها وقال تعالى فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون وهم الذين يؤخرونها حتى يخرج الوقت

وقد اتفق المسلمون على أنه لايجوز تأخير صلاة النهار الى الليل ولا تأخير صلاة الليل الى النهار لا لمسافر ولا لمريض ولا غيرهما لكن يجوز عند الحاجة أن يجمع المسلم بين صلاتى النهار وهى الظهر والعصر فى وقت احداهما ويجمع بين صلاتي الليل وهى المغرب والعشاء في وقت احداهما وذلك لمثل المسافر والمريض وعند المطر ونحو ذلك من الأعذار

وقد أوجب الله على المسلمين أن يصلوا بحسب طاقتهم كما قال الله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم فعلى الرجل أن يصلى بطهارة كاملة وقراءة كاملة وركوع وسجود كامل فان كان عادما للماء أو يتضرر باستعماله لمرض أو برد أو غير ذلك وهو محدث أوجب التيمم بالصعيد الطيب وهو التراب يمسح به وجهه ويديه ويصلي ولا يؤخرها عن وقتها باتفاق العلماء

وكذلك اذا كان محبوساً أو مقيداً أو زمناً أو غير ذلك صلى على حسب حاله واذا كان بازاء عدوه صلى أيضاً صلاة الخوف قال الله تعالى واذا ضربتم في الارض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة ان خفتم أن يفتنكم الذين كفروا ان الكافرين كانوا لكم عدواً مبيناً واذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك الى قوله وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم الى قوله فاذا اطمأننتم فأقيموا الصلاة ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا

ويجب على أهل القدرة من المسلمين ان يأمروا بالصلاة كل أحد من الرجال والنساء حتى الصبيان

قال النبي صلى الله عليه وسلم مروهم بالصلاة لسبع واضربوهم على تركها لعشر وفرقوا بينهم في المضاجع

والرجل البالغ اذا امتنع من صلاة واحدة من الصلوات الخمس أو ترك بعض فرائضها المتفق عليها فانه يستتاب فان تاب والا قتل

فمن العلماء من يقول يكون مرتداً كافراً لا يصلى عليه ولا يدفن بين المسلمين ومنهم من يقول يكون كقاطع الطريق وقاتل النفس والزاني المحصن وامر الصلاة عظيم شأنها أن تذكر ههنا فانها قوام الدين وعماده وتعظيمه تعالى لها في كتابه فوق جميع العبادات فانه سبحانه يخصها بالذكر تارة ويقرنها بالزكاة تارة وبالصبر تارة وبالنسك تارة كقوله تعالى وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وقوله واستعينوا بالصبر والصلاة وقوله فصل لربك وانحر وقوله ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين

لاشريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين وتارة يفتتح بها أعمال البر ويختمها بها كما ذكره في سورة سأل سائل وفي أول سورة المؤمنين قال تعالى قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكاة فاعلون والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم أوما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون والذين هم على صلواتهم يحافظون أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون

وأسأل الله العظيم أن يجعلنا واياكم من الذين يرثون الفردوس
هم فيها خالدون والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته
والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا
محمد وآله وصحبه وسلم
تسليما كثيرا

تمت الرسالة السابعة

ويليها الرسالة الثامنة أصل

بسم الله الرحمن الرحيم

سؤال ورد على الشيخ تقي الدين رضي الله عنه من الديار المصرية في شوال سنة أربع عشرة وسبعمائة في حسن ارادة الله تعالى لخلق الخلق وانشاء الانام وهل يخلق لعلة أو لغير علة فان قيل لا لعلة فهو عبث تعالى الله عنه وان قيل لعلة فان قلتم انها لم تزل لزم أن يكون المعلول لم يزل وان قلتم انها محدثة لزم أن يكون لها علة والتسلسل محال

الجواب * الحمد لله رب العالمين * هذه المسئلة من أجل المسائل الكبار التي تكلم فيها الناس وأعظمها شعوبا وفروعا وأكثرها شبها ومحارات فان لها تعلقاً بصفات الله تعالى وأسمائه وأفعاله وأحكامه من الامر والنهي والوعد والوعيد وهي داخلة في خلقه وأمره فكل ما في الوجود متعلق بهذه المسئلة فان المخلوقات جميعها متعلقة بها وهي متعلقة بالخالق سبحانه وكذلك الشرائع كلها الامر والنهي والوعد والوعيد متعلق بها وهي متعلقة بمسائل القدر والامر ومسائل الصفات والافعال وهذه جوامع علوم الناس فعلم الفقه هو الامر والنهي

وقد تكلم الناس في تعليل الاحكام الشرعيه والامر والنهي كالامر بالتوحيد والصدق والعدل والصلاه والزكاة والصيام والحج والنهي عن الشرك والكذب والظلم والفواحش هل أمر بذلك لحكمة ومصلحة وعلة اقتضت ذلك أم ذلك لمحض المشيئة وصرف الاراده وهل علل الشرع بمعنى الداعي والباعث أو بمعنى الامارة والعلامة

وهل يسوغ في الحكمه أن ينهى الله عن التوحيد والصدق والعدل

ويأمر بالشرك والكذب والظلم أم لا

وتكلم الناس في تنزيه الله تعالى عن الظلم هل هو منزه عنه مع قدرته عليه أم الظلم ممتنع لنفسه لا يمكن وقوعه وتكلموا في محبة الله ورضاه وغضبه وسخطه هل هو بمعنى ارادته وهو الثواب والعقاب المخلوق أم هذه صفات أخص من الارادة

وتنازعوا فيما وقع في الارض من الكفر والفسوق والعصيان هل يريده ويحبه ويرضاه كما يريد ويحب سائر ما يحدث أم هو واقع بدون قدرته ومشيئته وهو لا يقدر أن يهدي ضالا ولا يضل مهتديا أم هو واقع بقدرته ومشيئته ولا يكون في ملكه ما لا يريد وله في جميع خلقه حكمة بالغة وهو يبغضه ويكرهه ويمقت فاعله ولا يحب الفساد ولا يرضى لعباده الكفر ولا يريده الارادة الدينية المتضمنة لمحبته ورضاه وان ارادة الارادة الكونية التي تتناول ما قدره وقضاه وفروع هذه المسألة كثيرة ولاجل تجاذب الاصل ووقوع الاشتباه فيه صار الناس فيه الى التقديرات الثلاثة المذكورة في سؤال السائل وكل تقدير قال به طوائف من بني آدم من المسلمين وغير المسلمين

(فالتقدير الاول) هو قول من يقول خلق المخلوقات وأمر بالمأمورات لا لعلة ولا لداع ولا باعث بل فعل ذلك لمحض المشيئة وصرف الارادة وهذا قول كثير ممن يثبت القدر وينتسب الى السنة من أهل الكلام والفقه وغيرهم وقد قال بهذا طوائف من أصحاب مالك والشافعي وأحمد وغيرهم وهو قول الاشعري وأصحابه وقول كثير من نفاة القياس

الظاهرية كابن حزم وأمثاله

ومن حجة هؤلاء انه لو خلق الخلق لعلة لكان ناقصاً بدونها مستكملاً بها فانه اما أن يكون وجود تلك العلة وعدمها بالنسبة اليه سواء أو يكون وجودها اولى به فان كان الاول امتنع أن يفعل لاجلها وان كان الثاني ثبت ان وجودها أولي به فيكون مستكملاً بها فيكون قبلها ناقصاً

ومن حججهم ماذكره السائل من أن العلة ان كانت قديمة وجب قدم المعلول لان العلة الغائية وان كانت متقدمة على المعلول في العلم والقصد كما قال اول الفكرة آخر العمل وأول البغية آخر الدرك وقيل ان العلة الغائية بها صار الفاعل فاعلا فلا ريب أنها متأخرة في الوجود عن الفعل فمن فعل فعلا لمطلوب يطلبه بذلك الفعل كان حصول المطلوب بعد الفعل فاذا قدر أن ذلك المطلوب الذي هو العلة قديماً كان الفعل قديماً بطريق الاولى فلو قيل انه يفعل لعلة قديمة لزم أن لايحدث شيء من الحوادث وهو خلاف المشاهدة وان قيل انه فعل لعلة حادثة لزم محذور ان أحدهما أن يكون محلا للحوادث فان العلة ان كانت منفصلة عنه فان لم يعد اليه منها حكم امتنع أن تكون وجودها اولى به من عدمها واذا قدر أنه عاد اليه منها حكم كان ذلك حادثا فيقوم به الحوادث والمحذور الثاني ان ذلك يستلزم التسلسل من وجهين أحدهما أن تلك العلة الحادثة المطلوبة بالفعل هي أيضاً مما يحدثه الله بقدرته ومشيئته فان كانت لغير علة لزم العبث كما تقدم وان كان

اعله عاد اا قسم فيها فاذا كان كلما أحدثه أحدثه لعلة والعلة مما أحدثه لزم تسلسل الحوادث الثانى ان تلك العلة اما أن تكون مراده لنفسها أو لعلة أخرى فان كانت مرادة لنفسها امتنع حدوثها لان ماأراده الله تعالى لذاته وهو قادر عليه لا تؤخر احداثه وان كانت مرادة لغيرها فالقول فى ذلك الغير كالقول فيها ويلزم التسلسل وهذا ونحوه من حجج من نفى تعليل أفعال الله تعالى وأحكامه

والتقدير الثاني قول من يجعل العلة الغائية قديمة كما يجعل العلة الفاعلية قديمة كما تقول ذلك طوائف من المسلمين كما سيأتى بيانه كما يقول ذلك من يقوله من المتفلسفة القائلين بقدم العالم وهؤلاء أصل قولهم ان المبدع للعالم علة تامة تستلزم معلولها لايجوز أن يتأخر عنها معلولها وأعظم حججهم قولهم ان جميع الامور المعتبرة في كونه فاعلا ان كانت موجودة في الازل لزم وجود المفعول في الازل لان العلة التامة لايتأخر عنها معلولها فانه لو تأخر لم تكن جميع شروط الفعل وجدت فى الازل فانا لا نعنى بالعلة التامة الا ما استلزم المعلول فاذا قدر انه تخلف عنها المعلول لم تكن تامه وان لم تكن العلة التامة التي هي جميع الامور المعتبرة في الفعل وهي المقتضى التام لوجود الفعل وهى جميع شروط الفعل التى يلزم من وجودها وجود الفعل وان لم يكن جميعها في الازل فلا بد اذا وجد المعلول بعد ذلك من تجدد سبب والا لزم ترجيح أحد طرفي الممكن بلا مرجح واذا كان هناك سبب حادث فالقول في حدوثه كالقول في الحادث الاول ويلزم التسلسل قالوا فالقول باسماء العلة التامة المستلزمة

للمعلول يوجب امالة لتسلسل واما الترجيح بلا مرجح

ثم أكثر هؤلاء يثبتون علة غائية للفعل وهي تستلزم الفاعلية اكثر من مقتضى فانهم يثبتون له العلة الغائية وينفون له العلة الغائية

ويقولون مع هذا ليس له ارادة بل هو موجب بالذات لافاعل بالاختيار

وقولهم باطل من وجوه كثيرة * منها أن يقال هذا القول يستلزم أن لايحدث شيء وان كان كلما حدث حدث بغير احداث محدث ومعلوم ان بطلان هذا بين من بطلان التسلسل وبطلان الترجيح بلا مرجح وذلك ان العلة التامة المستلزمة لمعلولها يقترن بها معلولها ولايجوز أن يتأخر عنها شيء من معلولها وكل ماحدث من الحوادث لايجوز أن يحدث عن هذه العلة التامة وليس هناك ما يصدر عنه الممكنات سوى الواجب بنفسه الذي سماه هؤلاء علة تامة فاذا امتنع صدور الحوادث عنه وليس هناك محدثها غيره لزم أن يحدث بلا محدث وان قدر صدور أن غيره أحدثها فان كان واجبا بنفسه كان القول فيه كالقول في الواجب الاول وأصل قولهم ان الواجب بنفسه علة تامة تستلزم مقارنة معلوله له فلا يجوز أن يصدر على قولهم عن العلة التامة حادث لابواسطة ولا بغير واسطة لان تلك الواسطة ان كانت من لوازم وجود كانت قديمة معه فامتنع صدور الحوادث عنها وان كانت حادثة كان القول فيها كالقول في غيرها وان قدر ان المحدث احداث غير واجب بنفسه كان ممكنا مفتقرا الى موجب يجب به ثم ان قيل انه محدث كان من الحوادث وان قيل انه قديم كان له علة تامة مستلزمة له وامتنع حينئذ حدوث

الحوادث عنه فان الممكن لا يوجد هو ولا شيء من صفاته وأفعاله الا عن الواجب بنفسه فاذا قدر حدوث الحوادث عن ممكن قديم معلول لعلة قديمة قيل هل حدث فيه سبب يقتضي الحدوث أم لا فان قيل لم يحدث سبب لزم الترجيح بلا مرجح وان قيل حدث سبب لزم التسلسل كما تقدم

الوجه الثاني لذي بين بطلان قولهم أن يقال مضمون الحجة انه اذا لم يكن ثم علة قديمة لزم التسلسل أو الترجيح بلا مرجح والتسلسل عندكم جائز فان أصل قولكم ان هذه الحوادث متسلسلة شيئاً فشيئاً وان حركات الفلك توجب استعداد القوابل لان تفيض عليها الصور الحادثة من العلة القديمة سواء قلتم هي العقل الفعال أو هي الواجب الذي يصدر عنه بتوسط العقول أو غير ذلك من الوسائط واذا كان التسلسل جائزاً عندكم لم يمتنع حدوث الحوادث من غير علة موجبة للمعلول وان لزم التسلسل بل هذا خير في الشرع والعقل من قولكم وذلك أن الشرع أخبر ان الله خلق السموات والارض في ستة أيام وهذا مما اتفق عليه الملل المسلمون واليهود والنصارى فان قيل انه حدث بسبب حادث وقيل ذلك كان خيراً من قولهم انها قديمة أزلية معه في الشرع وكان أولى في العقل لان العقل ليس فيه مايدل على قدم هذا الا لاثبات حتى تعارض الشرع وهذه الحجة لما كانت تقتضي أنه لا يحدث شيء الا بسبب حدث قبله لزم أن السموات والارض حين خلقها الله تعالى بسبب حدث قبل ذلك ممكن في حجتكم اعتقاد ما تعلل به

الوجه الثالث أن يقال حدوث حادث بعد حادث بلا نهاية اما أن يكون ممكنا في العقل أو ممتنعا فان كان ممتنعا في العقل لزم أن الحوادث جميعها لها أول كما يقول ذلك من يقوله من أهل الكلام وبطل قولهم بقدم حركات الافلاك وان كان محدثا أمكن أن يكون حدوث ما أحدثه الله تعالى كالسموات والارض موقوفا على حوادث قبل ذلك كما تقولون أنتم فيما يحدث في هذا العالم من الحيوان والنبات والمعادن والمطر والسحاب وغير ذلك ولزم فساد حجتكم على النقديرين ثم يقال اما أن تثبتوا للمبدع العالم حكمة وغاية مطلوبة واما أن لا تثبتوا فان لم تثبتوا بطل قولكم باثبات العلة الغائية وبطل ما ذكرتموه من حكمة البارى تعالى في خلق الحيوان وغير ذلك من المخلوقات وأيضا فالوجود يبطل هذا القول فان الحكمة الموجودة في الوجود أمر يفوق العد والاحصاء كاحداثه سبحانه لما يحدثه من نعمته ورحمته وقت حاجة الخلق اليه كاحداث المطر وقت الشتاء بقدر الحاجة واحداثه للانسان الآلات التي يحتاج اليها بقدر حاجته وأمثال ذلك مما ليس هذا موضع بسطه وان أثبتم له حكمة مطلوبة وهي باصطلاحكم العلة الغائية لزمكم أن تثبتوا له المشيئة والارادة بالضرورة فان القول بأن الفاعل فعل كذا لحكمة كذا بدون كونه مريدا لتلك الحكمة المطلوبة جمع بين النقيضين وهؤلاء المتفلسفة من أكثر الناس تناقضا ولهذا يجعلون العلم هو العالم والعلم هو الارادة والارادة هي القدرة وأمثال ذلك

وأما التقرير الثالث وهو أنه فعل المفعولات وأمر بالمأمورات لحكمة

محمودة فهذا قول أكثر الناس من المسلمين وغير المسلمين وقول طوائف من أصحاب أبي حنيفة والشافعي ومالك وأحمد وغيرهم وقول طوائف من أهل الكلام من المعتزلة والكرامية والمرجئة وغيرهم وقول أكثر أهل الحديث والتصوف وأهل التفسير وأكثر قدماء الفلاسفة وكثير من متأخريهم كأبي البركات وامثاله لكن هؤلاء على أقوال * فمنهم من قال ان الحكمة المطلوبة مخلوقة منفصلة عنه أيضا كما يقول ذلك من يقوله من المعتزلة والشيعة ومن وافقهم وقالوا الحكمة في ذلك احسانه الى الخلق والحكمة في الامر تعريض المكلفين للثواب وقالوا ان فعل الاحسان الى الغير حسن محمود في العقل فخلق الخلق لهذه الحكمة من غير أن يعود اليه من ذلك حكم ولا قام به فعل ولا نعت فقال لهم الناس أنتم متناقضون في هذا القول لان الاحسان الى الغير محمود لكونه يعود منه على فاعله حكم يحمد لاجله اما لتكميل نفسه بذلك واما لقصده الحمد والثواب بذلك واما لرقة وألم يجده في نفسه يدفع بذلك الاحسان الالم واما لالتذاذه وسروره وفرحه بالاحسان فان النفس الكريمة تفرح وتسر وتلتذ بالخير الذي يحصل منها الي غيرها فالاحسان الى الغير محمود لكون المحسن يعود اليه من فعله هذه الامور اما اذا قدر أن وجود الاحسان وعدمه بالنسبة الى الفاعل سواء لم يعلم ان مثل هذا الفعل يحسن منه بل مثل هذا يعد عبثاً في عقول العقلاء وكل من فعل فعلا ليس فيه لنفسه لذة ولا مصلحة ولا منفعة بوجه من الوجوه لا عاجلة ولا آجلة كان عبثاً ولم يكن محموداً على هذا وأنتم

علمتم أفعاله فراراً من العبث فوقعتم في العبث فان العبث هو الفعل الذي ليس فيه مصلحة ولا منفعة ولا فائدة تعود على الفاعل ولهذا لم يأمر الله تعالى ولا رسوله صلى الله عليه وسلم ولا أحد من العقلاء أحداً بالاحسان الى غيره ونفعه ونحو ذلك الا لماله في ذلك من المنفعة والمصلحة والا فأمر الفاعل بفعل لا يعود اليه منه لذة ولا سرور ولا منفعة ولا فرح بوجه من الوجوه لافي العاجل ولا في الآجل لا يستحسن من الآمر

ونشأ من هذا الكلام نزاع بين المعتزلة وغيرهم ومن وافقهم في مسألة التحسين والتقبيح العقلي فاثبت ذلك المعتزلة وغيرهم ومن وافقهم من أصحاب أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد وأهل الحديث وغيرهم وحكوا ذلك عن أبي حنيفة نفسه ونفى ذلك الاشعرية ومن وافقهم من أصحاب مالك والشافعي وأحمد وغيرهم واتفق الفريقان على أن الحسن والقبح اذا فسر بكون الفعل نافعا للفاعل ملائما له وكونه ضاراً للفاعل منافراً له انه يمكن معرفته بالعقل كما يعرف بالشرع وظن من ظن من هؤلاء ان الحسن والقبح المعلوم بالشرع خارج عن هذا وهذا ليس كذلك بل جميع الافعال التي أوجبها الله تعالى وندب اليها هي نافعة لفاعلها ومصلحة لهم وجميع الافعال التي نهى الله عنها هي ضارة لفاعلها ومفسدة في حقهم والثواب المترتب على طاعة الشارع نافع للفاعل ومصلحة له والذم والعقاب المترتب على معصيته ضار للفاعل ومفسدة له

والمعتزلة أثبتت الحسن في أفعال الله تعالى لا بمعنى حكم يعود اليه من أفعاله وما زعموهم لما اعتقدوا ان لا حسن ولا قبح الا ما عاد الى الفاعل منه حكم نفوا ذلك وقالوا القبيح في حق الله تعالى هو الممتنع لذاته وكل ما يقدر ممكنا من الافعال فهو حسن اذ لا فرق بالنسبة اليه عندهم بين مفعول ومفعول وأولئك أثبتوا حسنا وقبحا لا يعود الى الفاعل منه حكم يقوم بذاته اذ عندهم لا يقوم بذاته وصف ولا فعل ولا غير ذلك وان كانوا قد يتناقضون ثم أخذوا يقيسون ذلك على ما يحسن من العبد ويقبح فجعلوا يوجبون على الله سبحانه ما يوجبون على العبد ويحرمون عليه من جنس ما يحرمون على العبد ويسمون ذلك العدل والحكمة مع قصور عقلهم عن معرفة حكمته فلا يثبتون له مشيئة عامة ولا قدرة تامة فلا يجعلونه على كل شيء قديرا ولا يقولون ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ولا يقرون بأنه خالق كل شيء ويثبتون له من الظلم ما نزه نفسه عنه سبحانه فانه قال ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما أي لا يخاف أن يظلم فيحمل عليه من سيئات غيره ولا يهضم من حسناته وقال تعالى ما يبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد وقال صلى الله عليه وسلم في حديث البطاقة الذي رواه الترمذي وغيره يجاء برجل من أمتي يوم القيامة فتنشر له تسعة وتسعون سجلا كل سجل مد البصر فيقال له هل تنكر من هذا شيئا فيقول لا يا رب فيقال له لا ظلم عليك اليوم ويؤتى ببطاقة فيها شهادة أن لا اله الا الله فتوضع البطاقة في كفة والسجلات في كفة فطاشت

السجلات وثقلت البطاقة فقد أخبر النبى صلى الله عليه وسلم انه لا يظلم بل يثاب على ماأتى به من التوحيد كما قال تعالى فمن يعمل مثقال ذره خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره

وجمهور هؤلاء الذين يسمون أنفسهم عدلية يقولون من فعل كبيره واحده أحبطت جميع حسناته وخلد في نار جهنم فهذا الذى سماه الله ورسوله ظلما يصفون الله به مع دعواهم تنزيهه عن الظلم ويسمون تخصيصه من يشاء برحمته وفضله وخلقه ماخلقه لما فيه من الحكمه البالغه ظلما

والكلام فى هذه الامور مبسوط في غير هذا الموضع لكن نبهنا على مجامع أصول الناس في هـذا المقام وهؤلاء المعتزلة ومن وافقهم من الشيعة يوجبون على الله سبحانه انه يفعل بكل عبد ماهو الاصلح في دينه وتنازعوا في وجوب الاصلح في دنياه ومذهبهم أنه لا يقدر أن يفعل مع مخلوق من المصلحة الدينية غير مافعل ولا يقدر أن يهدى ضالا ولا يضل مهتديا

وأما سائر الطوائف الذين يقولون بالتعليل من الفقهاء وأهل الحديث والصوفية وأهـل الكلام وغيرهم والمتفلسفه أيضاً فلا يوافقونهم على هـذا بل يقولون انه يفعل مايفعل سبحانه لحكمة يعلمها وهو يعلم العباد أو بعض العباد من حكمته مايطلعهم عليـه وقد لا يعلمون ذلك والامور العامة التي يفعلها تكون لحكمة عامة ورحمة عامه كارساله محمداً صلى الله عليه وسلم فانه كما قال تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين فان

ارساله كان من أعظم النعمة على الخلق وفيه أعظم حكمة للخالق ورحمة منه لعباده كما قال تعالى لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته و يزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وقال تعالى وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين وقال تعالى ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفراً قالوا هو محمد صلى الله عليه وسلم

فاذا قال القائل فقد تضرر برسالته طائفة من الناس كالذين كذبوه من المشركين وأهل الكتاب

كان عن هذا جوابان*أحدهما انه نفعهم بحسب الامكان فانه أضعف شرهم الذي كانوا يفعلونه لولا الرسالة باظهار الحجج والآيات التي زلزلت ما في قلوبهم وبالجهاد والجزية التي أخافتهم وأذلتهم حتى قل شرهم ومن قتله منهم مات قبل أن يطول عمره في الكفر فيعظم كفره وكان ذلك تقليلا لشره والرسل صلوات الله عليهم بعثوا لتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها بحسب الامكان*والجواب الثاني ان ماحصل من الضرر أمر مغمور في جنب ماحصل من النفع كالمطر الذي نفع اذا خرب به بعض البيوت أو احتبس به بعض المسافرين والمكتسبين كالقصارين ونحوهم وما كان نفعه ومصلحته عامة كان خيراً مقصوداً ورحمة محبوبة وان تضرر به بعض الناس وهذا الجواب أجاب به طوائف من المسلمين وأهل الكلام والفقه وغيرهم من الحنفية والحنبلية وغيرهم ومن الكرامية والصوفية وهو جواب كثير من المتفلسفة

وقال هؤلاء جميع مايحدثه في الوجود من الضرر فلا بد فيه من حكمة قال تعالى صنع الله الذي أتقن كل شيء وقال الذي أحسن كل شيء خلقه والضرر الذي يحصل به حكمة مطلوبة لايكون شراً مطلقاً وان كان شراً بالنسبة الى من تضرر به

ولهذا لايجيء في كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم اضافة الشر وحده الى الله بل لايذكر الشر الا على أحد وجوه ثلاثة اما أن يدخل في عموم المخلوقات فانه اذا دخل في العموم أفاد عموم القدرة والمشيئة والخلق وتضمن ما اشتمل عليه من حكمة تتعلق بالعموم واما ان يضاف الى السبب الفاعل واما ان يحذف فاعله فالاول كقوله ان الله خالق كل شيء ونحو ذلك

ومن هذا الباب أسماء الله المقترنة كالمعطي المانع والضار النافع المعز المذل الخافض الرافع فلا يفرد الاسم المانع عن قرينه ولا الضار عن قرينه لان اقترانهما يدل على العموم وكل ما في الوجود من رحمة ونفع ومصلحة فهو من فضله تعالى وما في الوجود من غير ذلك فمن عدله فكل نعمة منه فضل وكل نقمة منه عدل كما في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يمين الله ملأى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار أرأيتم ما انفق منذ خلق السموات والارض فانه لم يغض ما في يمينه والقسط بيده الاخرى يخفض ويرفع فاخبر ان يده اليمنى فيها الاحسان الى الخلق ويده الاخرى فيها العدل والميزان الذي به يخفض ويرفع فخفضه ورفعه من عدله واحسانه الى خلقه من فضله

وأما حذف الفاعل فمثل قول الجن وانا لا ندري أشر أريد بمن في الارض أم أراد بهم ربهم رشدا وقوله تعالى صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ونحو ذلك

وإضافته الى السبب كقوله من شر ما خلق وقوله فأردت أن أعيبها مع قوله فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما وقوله تعالى ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك وقوله ربنا ظلمنا أنفسنا وقوله تعالى أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم وأمثال ذلك

ولهذا ليس في اسماء الله الحسنى اسم يتضمن الشر وانما يذكر الشر في مفعولاته كقوله نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الاليم وقوله ان ربك لسريع العقاب وانه لغفور رحيم وقوله اعلموا أن الله شديد العقاب الآية وقوله ان بطش ربك لشديد انه هو يبدئ ويعيد وهو الغفور الودود فبين سبحانه ان بطشه شديد وانه هو الغفور الودود

واسم المنتقم ليس من أسماء الله الحسنى الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم وانما جاء في القرآن مقيدا كقوله تعالى انا من المجرمين منتقمون وقوله ان الله عزيز ذو انتقام والحديث الذي في عدد الاسماء الحسنى الذي يذكر فيه المنتقم وذكر في سياقه البر التواب المنتقم العفو ليس هو عند أهل المعرفة بالحديث من كلام النبي صلى الله عليه وسلم بل هذا ذكره الوليد بن مسلم عن بعض شيوخه ولهذا لم يروه

احد من أهل الكتب المشهورة الا الترمذي رواه من طريق الوليد ابن مسلم بسياق ورواه غيره باختلاف في الاسماء وفي ترتيبها بين انه ليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم وسائر من روى هذا الحديث عن أبي هريرة ثم عن الاعرج ثم عن أبي الزناد لم يذكروا أعيان الاسماء بل ذكروا قوله صلى الله عليه وسلم ان لله تسعة وتسعين اسما مائة الا واحدا من أحصاها دخل الجنة وهكذا أخرجه أهل الصحيح كالبخاري ومسلم وغيرهما ولكن روي عدد الاسماء من طريق أخرى من حديث محمد بن سيرين عن ابي هريرة ورواه ابن ماجه واسناده ضعيف يعلم اهل الحديث انه ليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم وليس في عدد الاسماء عن النبي صلى الله عليه وسلم الا هذان الحديثان كلاهما مرويان من طريق أبي هريرة وهذا مبسوط في موضعه

والمقصود هنا التنبيه على أصول تقع في معرفة هذه المسئلة فان نفوس بني آدم لا تزال تجول فيها من هذه المسئلة امر عظيم

واذ علم العبد من حيث الجملة ان لله فيما خلقه وما أمر به حكمة عظيمة كفاه هذا ثم كلما ازداد علماً وايمانا ظهر له من حكمة الله ورحمته ما يبهر عقله ويبين له تصديق ما أخبر الله به في كتابه حيث قال سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق فانه صلى الله عليه وسلم قال في الحديث الصحيح لله أرحم بعباده من الوالدة بولدها وفي الصحيحين عنه انه قال ان الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة أنزل

منها رحمة واحـدة فيها يتراحم الخلق حتى ان الدابة لترفع حافرها عن ولدها من تلك الرحمة واحتبس عنده تسعة وتسعين رحمة فاذا كان يوم القيامة جمع هذه الي تلك ورحم بها عباده أو كما قال

ثم هؤلاء الجمهور من المسلمين وغيرهم كائمة المذاهب الاربعة وغيرهم من السلف والعلماء الذين يثبتون حكمة فلا ينفونها كما نفاها الاشعرية ونحوهم الذين يثبتون ارادة بلا حكمة ومشيئة بلا رحمة ولا محبة ولا رضا وجعلوا جميع المخلوقات بالنسبة اليه سواء لايفرقون بين الارادة والمحبة والرضا بل ماوقع من الكفر والفسوق والعصيان قالوا انه يحبه ويرضاه كما يريده واذا قالوا لايحبه ولا يرضاه دينا قالوا انه لا يريده دينا ومالم يقع من الايمان والتقوى فانه لايحبه ولا يرضاه عندهم كما لا يريده وقد قال تعالى اذ يبيتون مالا يرضى من القول فأخبر أنه لايرضاه مع أنه قدره وقضاه ولا يوافقون المعتزلة على انكار قدر الله تعالى وعموم خلقه ومشيئته وقدرته ولا يشبهونه بخلقه فيما يجب ويحرم كما فعل هؤلا ولا ينفون ماوصف به نفسه من صفاته وأفعاله بل أثبتوا له ماأثبته لنفسه من الصفات والافعال وينزهونه عما نزه نفسه من الصفات والافعال وقالوا ان الله خالق كل شيء ومليكه وما شاء كان ومالم يشأ لم يكن وهو على كل شيء قدير وهو يحب المحسنين والمتقين ويرضى عن السابقين الاولين من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان ولا يرضى لعباده الكفر ولا يرضى بالقول المخالف لامر الله ورسوله وقالوا مع أنه خالق كل شيء وربه ومليكه فقد فرق بين المخلوقات أعيانها

وأفعالها كما قال تعالى أفنجعل المسلمين كالمجرمين وكما قال أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون وقال تعالى أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار وقال وما يستوي الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الأحياء ولا الأموات وأمثال ذلك مما يبين الفرق بين المخلوقات وانقسام الخلق الى شقي وسعيد كما قال تعالى هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن وقال تعالى فريقاً هدى وفريقاً حق عليهم الضلالة وقال تعالى يدخل من يشاء في رحمته والظالمين أعد لهم عذاباً أليماً وقال تعالى ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة فأولئك في العذاب محضرون ونظائر هذا في القرآن كثير

وينبغي أن تعلم ان هذا المقام زل فيه طوائف من أهل الكلام والتصوف وصاروا فيه الى ما هو شر من قول المعتزلة ونحوهم من القدرية فان هؤلاء يعظمون الامر والنهي والوعد والوعيد وطاعة الله ورسوله ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر لكن ضلوا في القدر واعتقدوا أنهم اذا أثبتوا مشيئة عامة وقدرة شاملة وخلقاً متناولا لكل شيء لزم من ذلك القدح في عدل الرب وحكمته وغلطوا في ذلك وقابل هؤلاء قوم من العلماء والعباد وأهل الكلام والتصوف فأثبتوا القدر وآمنوا بان الله رب كل شيء ومليكه وانه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وانه خالق

كل شئ وهذا حق وصواب لكنهم قصروا فى الامر والنهى والوعد والوعيد وافرطوا حتى غلاهم الى الالحاد فصاروا من جنس المشركين الذين قالوا لو شاء الله ماأشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شئ فاولئك القدرية وان كانوا يشبهون المجوس من حيث انهم أثبتوا فاعلا لما اعتقدوه شراً غير الله سبحانه فهؤلاء شابهوا المشركين الذين قالوا لو شاء الله ماأشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شئ فالمشركون شر من المجوس فان المجوس يقرون بالجزية باتفاق المسلمين وذهب بعض العلماء الى حل نسائهم وطعامهم وأما المشركون فاتفقت الامة على تحريم نكاح نسائهم ومذهب الشافعى وأحمد في المشهور عنه وغيرهما انهم لايقرون بالجزية وجمهور العلماء على أن مشركى العرب لايقرون بالجزية وان أقرت المجوس فان النبى صلى الله عليه وسلم لم يقبل الجزية من المشركين بل قال أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لااله الا الله وانى رسول الله فاذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم الا بحقها وحسابهم على الله عز وجل

والمقصود هنا ان من أثبت القدر واحتج به على ابطال الامر والنهى فهو شر ممن أثبت الامر والنهى ولم يثبت القدر وهذا متفق عليه بين المسلمين وغيرهم من أهل الملل بل جميع الخلق فان من احتج بالقدر وشهد الربوبية العامة لجميع المخلوقات ولم يفرق بين المأمور والمحظور والمؤمن والكافر وأهل الطاعة وأهل المعصية لم يؤمن أحد برسول ولا بشئ من الكتب وكان عنده آدم وابليس سواء ونوح وقومه سواء وموسى وفرعون سواء والسابقون الاولون والكافرون سواء فهذا

الضلال وقد كثر في كثير من أهل التصوف والزهد والعبادة لاسيما اذا قرنوا به توحيد أهل الكلام المثبتين للقدر والمشيئة من غير اثبات المحبة والبغض والرضا والسخط الذين يقولون التوحيد هو توحيد الربوبية والالهية عندهم هي القدرة على الاختراع ولا يعرفون توحيد الالهية ولا يعلمون ان الاله هو المألوه المعبود وان مجرد الاقرار بأن الله رب كل شئ لايكون توحيداً حتى تشهد أن لا اله الا الله كما قال تعالى وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون قال عكرمة تسألهم من خلق السموات والارض فيقولون الله وهم يعبدون غيره

وهؤلاء يدعون التوحيد والفناء في التوحيد ويقولون ان هذا نهاية المعرفة وان العارف اذا صار في هذا المقام لا استحسن حسنة ولا يستقبح سيئة لشهوده الربوبية العامة والقيومية الشاملة

وهذا الموضع وقع فيه من الشيوخ الكبار من شاء الله ولاحول ولا قوة الا بالله

وهؤلاء غاية توحيدهم هو توحيد المشركين الذين كانوا يعبدون الاصنام الذين قال تعالى عنهم قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل أفلا تذكرون قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل أفلا تتقون قل من بيده ملكوت كل شئ وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل فانى تسحرون وقال تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فاني يؤفكون وقال ولئن سألتهم من

حلق السموات والارض ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون وقال تعالي قل من يرزقكم من السماء والارض أم من يملك السمع و لا بصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الامر فسيقولون الله قل أفلا تتقون فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق الا الضلال فانى تصرفون كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون قل هل من شركائكم من يبدا الخلق ثم يعيده قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده فاني تؤفكون قل هل من شركائكم من يهدى الى الحق قل الله يهدى للحق أفمن يهدى الي الحق أحق أن يتبع أم من لا يهدي الا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون وقال تعالى أمن خلق السموات والارض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أإله مع الله بل هم قوم يعدلون أم من جعل الارض قراراً وجعل خلالها أنهاراً وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزاً أإله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون أم من يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض أإله مع الله قليلا ما تذكرون أم من يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشراً بين يدى رحمته أإله مع الله تعالي الله عما يشركون أم من يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والارض أإله مع الله قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين فان هؤلاء المشركين كانوا مقرين بان الله خالق السموات والارض وخالقهم وبيده ملكوت كل شيء وكانوا مقرين بالقدر.

فان العرب كانوا يثبتون القدر في الجاهلية وهو معروف عنهم في النظم والنثر ومع هذا فانما لم يكونوا يعبدون الله وحده لا شريك له بل عبدوا غيره كانوا مشركين شراً من اليهود والنصارى

فمن كان غايته توحيده وتحقيقه هو هذا التوحيد كان غاية توحيده توحيد المشركين

وهذا المقام مقام وأي مقام زلت فيه أقدام وضلت فيه افهام وبدل فيه دين المسلمين والتبس فيه أهل التوحيد بعباد الاصنام على كثير ممن يدعون نهاية التوحيد والتحقيق والمعرفة والكلام

ومعلوم عند كل من يؤمن بالله ورسوله ان المعتزلة والشيعة القدرية المثبتين للامر والنهي والوعد والوعيد خير ممن يسوي بين المؤمن والكافر والبر والفاجر والنبي الصادق والمتنبئ الكاذب وأولياء الله وأعدائه الذين ذمهم السلف بل هم أحق بالذم من المعتزلة كما قال الخلال في كتاب السنة في الرد على القدرية وقولهم ان الله أجبر العباد على المعاصي وذكر المروزي قال قلت لابي عبد الله رجل يقول ان الله أجبر العباد فقال هكذا لا نقول وأنكر ذلك وقال يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء

وذكر عن المروزي ان رجلا قال ان الله لم يجبر العباد على المعاصي فرد عليه آخر فقال ان الله جبر العباد أراد بذلك اثبات القدر فسألوا عن ذلك أحمد بن حنبل فأنكر عليهما جميعاً حتى قال أو أمر أن يقال يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وذكر عن عبد الرحمن بن مهدي

قال أنكر سفيان الثورى جبر وقال ان الله جبل العباد

قال المروزي أراد قول النبى صلى الله عليه وسلم لاشج عبد القيس يعنى قوله ان فيك لخلتين يحبهما الله الحلم والاناة فقال اخلقين تخلقت بهما أم خلقين جبلت عليهما فقال بل خلقين جبلت عليهما فقال الحمد لله الذى جبلنى على خلقين يحبهما

وذكر عن أبى اسحاق الفزارى قال قال الاوزاعى أتانى رجلان فسألانى عن القدر فاحببت ان آتيك بهما تسمع كلامهما وتجيبهما فقلت رحمك الله أنت أولى بالجواب قال فأتانى الاوزاعى ومعه الرجلان فقال تكلما فقالا قدم علينا ناس من أهل القدر فنازعونا فى القدر ونازعناهم فيه حتى بلغ بنا وبهم الى أن قلنا ان الله جبرنا على مانهانا عنه وحال بيننا وبين ماأمرنا به ورزقنا ماحرم علينا فقال ياهؤلاء ان الذين أتوكما بما أتوكما به قد ابتدعوا بدعة وأحدثوا حدثا وانى أراكما قد خرجتما من البدعة الى مثل ماخرجوا اليه فقال أصبت وأحسنت يا أبا اسحاق

وذكر عن بقية بن الوليد قال سألت الزبيدى والاوزاعى عن الجبر فقال الزبيدى أمر الله اعظم وقدرته أعظم من أن يجبر أو يعضل ولكن يقضى ويقدر ويخلق ويجبل عبده على ماأحب

وقال الاوزاعى ماأعرف للجبر أصلا من القرآن والسنة فأهاب أن أقول ذلك ولكن القضاء والقدر والخلق والجبل فهذا يعرف فى القرآن والحديث * وقال مطرف بن الشخير لم يوكل الى القدر واليه يصير * وقال ضمرة بن ربيعة لم نؤمر أن نتوكل على القدر واليه نصير

وقد ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما منكم من أحد الا وقد علم مقعده من الجنة ومقعده من النار قالوا يا رسول الله أفلا ندع العمل ونتكل على الكتاب فقال لا اعملوا فكل ميسر لما خلق له وهذا باب واسع

والمقصود هنا ان الخلال وغيره أدخلوا القائلين بالجبر في مسمى القدرية وان كانوا لا يحتجون بالقدر على المعاصي فكيف بمن يحتج به على المعاصي * ومعلوم انه يدخل في ذم من ذم الله من القدرية من يحتج به على اسقاط الامر والنهي اعظم مما يدخل فيه المنكر له فان ضلال هذا أعظم ولهذا قرنت القدرية بالمرجئة في كلام غير واحد من السلف وروي في ذلك حديث مرفوع لان كلا من هاتين البدعتين تفسد الامر والنهي والوعد والوعيد فالارجاء يضعف الايمان بالوعيد ويهون امر الفرائض والمحارم والقدري ان احتج به كان عونا للمرجئ وان كذب به كان هو والمرجئ قد تقابلا هذا يبالغ في التشديد حتى لا يجعل العبد يستعين بالله على فعل ما أمر به وترك ما نهى عنه وهذا يبالغ في الناحية الاخرى

ومن المعلوم ان الله تعالى ارسل الرسل وأنزل الكتب ليصدق الرسل فيما أخبرت ويطاع فيما أمرت كما قال تعالى وما أرسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله وقال تعالي ومن يطع الرسول فقد أطاع الله والايمان بالقدر من تمام ذلك فمن أثبت القدر وجعل ذلك معارضا للامر فقد أذهب الاصل ومعلوم ان من أسقط الامر والنهي

الذي بعث الله به رسله فهو كافر باتفاق المسلمين واليهود والنصارى بل هؤلاء قولهم متناقض لايمكن أحدهم أن يعيش به ولا تقوم به مصلحة أحد من الخلق ولا يتعاشر عليه اثنان فان القدر ان كان حجة فهو حجة لكل أحد والا فليس حجة لاحد فاذا قدر ان الرجل ظلمه ظالم أو شتمه شاتم أو أخذ ماله أو أفسد أهله أو غير ذلك فمتى لامه أو ذمه أو طلب عقوبته أبطل الاحتجاج بالقدر ومن ادعى ان العارف اذا شهد الارادة سقط عنه الامر كان هذا الكلام من الكفر الذى لا يرضاه اليهود ولا النصارى بل ذلك ممتنع في العقل محال في الشرع فان الجائع يفرق بين الخبز والتراب والعطشان يفرق بين الماء والشراب فيحب ماينفعه ويرويه دون مالا ينفعه والجميع مخلوق لله تعالى فالحي وان كان من كان لابد أن يفرق بين ماينفعه ويعمه ويسره وبين مايضره ويشقيه وتؤلمه هذا حقيقة الامر فان الله تعالى أمر العباد بما ينفعهم ونهاهم عما يضرهم

﴿ والناس في الشرع والقدر على أربعة أنواع فشر الخلق ﴾ من يحتج بالقدر لنفسه ولا يراه حجة لغيره يستند اليه في الذنوب والمعائب ولا يطمئن اليه في المصائب كما قال بعض العلماء أنت عند الطاعة قدرى وعند المعصية جبرى اى مذهب وافق هواك تمذهبت به وبازاء هؤلاء خير الخلق الذين يصبرون على المصائب ويستغفرون من المعائب كما قال تعالى فاصبر ان وعد الله حق واستغفر لذنبك * وقال ما أصاب من مصيبة في الارض ولا في أنفسكم الا في كتاب من قبل أن نبرأها ان ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على مافاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله

لا يحب كل مختال فخور * وقال تعالى ما أصاب من مصيبة الا باذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه * قال بعض السلف هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم * قال تعالى والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون

وقد ذكر الله تعالى عن آدم عليه السلام انه لما فعل ما فعل قال ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وعن ابليس انه قال فبما أغويتني لأزينن لهم في الارض ولاغوينهم أجمعين فمن تاب أشبه أباه آدم ومن أصر واحتج بالقدر أشبه ابليس

﴿ والحديث الذي في الصحيحين في احتجاج آدم وموسى عليهما السلام ﴾ لما قال له موسى أنت آدم أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وعلمك أسماء كل شيء لماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة فقال له آدم أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه وخط لك التوراة بيده فكم وجدت مكتوبا علي قبل أن أخلق وعصى آدم ربه فغوى قال بكذا وكذا سنة قال فحج آدم موسي وهذا الحديث في الصحيحين من حديث أبي هريرة وقد روى باسناد جيد عن عمر رضي الله عنه فآدم انما حج موسى لان موسى لامه على ما فعل لأجل ما حصل لهم من المصيبة بسبب أكله من الشجرة ولم يكن لومه لأجل حق لله في الذنب فان آدم كان قد تاب من الذنب كما قال تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه وقال تعالى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى ومن

هو دون موسى عليه السلام يعلم انه بعد التوبة والمغفرة لا يبقى ملام على الذنب وآدم اعلم بالله من أن يحتج بالقدر على الذنب وموسى عليه السلام أعلم بالله تعالى من أن يقبل هذه الحجة فان هذه لو كانت حجة على الذنب لكانت حجة لابليس عدو آدم وحجة لفرعون عدو موسى وحجة لكل كافر وبطل أمر الله ونهيه بل انما كان القدر حجة لآدم على موسى لانه لام غيره لاجل المصيبة التي حصلت له بفعل ذلك وتلك المصيبة كانت مكتوبة عليه * وقد قال تعالى ما أصاب من مصيبة الا باذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه * وقال أنس خدمت النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لي أف قط ولا قال لي لشيء فعلته لم فعلته ولا لشيء لم أفعله لم لا فعلته * وكان بعض أهله اذا عتبني على شيء يقول دعوه فلو قضي شيء لكان * وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده خادما ولا امرأة ولا دابة ولا شيئا قط الا أن يجاهد في سبيل الله ولا نيل منه قط شيء فانتقم لنفسه الا أن تنتهك محارم الله فاذا انتهكت محارم الله لم يقم لغضبه شيء حتى ينتقم لله * وقد قال صلى الله عليه وسلم وأن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها ففي أمر الله ونهيه يسارع الى الطاعة ويقيم الحدود على من تعدي حدود الله ولا تأخذه في الله لومة لائم واذا آذاه مؤذ أو قصر مقصر في حقه عفا عنه ولم يؤاخذه نظرا الى القدر فهذا سبيل الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا وهذا واجب فيما قدر من المصائب بغير فعل آدمي

كالمصائب السماوية أو بفعل لا سبيل فيه الى العقوبة كفعل آدم عليه السلام فانه لا سبيل الى لومه شرعا لاجل التوبة ولا قدرا لاجل القضاء والقدر واما اذا ظلم رجل رجلا فله أن يستوفى مظلمته على وجه العدل وان عفا عنه كان أفضل له كما قال تعالى والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له

وأما الصنف الثالث فهم الذين لا ينظرون الى القدر لافي المعائب ولا فى المصائب التى هى من أفعال العباد بل يضيفون ذلك الى العبد واذا أساؤا استغفروا وهذا حسن لكن اذا أصابتهم مصيبة بفعل العبد لم ينظروا الى القدر الذى مضى بها عليهم ولا يقولون لمن قصر فى حقهم دعوه فلو قضى شئ لكان لاسيما وقد تكون تلك المصيبة بسبب ذنوبهم فلا ينظرون اليها وقد قال تعالى أولما أصابتكم مصيبة قدأصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم وقال تعالى وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم وقال تعالى وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم فان الانسان كفور ومن هذا قوله تعالى أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله فمالهؤلاء القوم لايكادون يفقهون حديثا ماأصابك من حسنة فمن الله وماأصابك من سيئة فمن نفسك

فان هذه الآية تنازع فيها كثير من مثبتى القدر ونفاته فهؤلاء يقولون الافعال كلها من الله لقوله تعالى قل كل من عند الله وهؤلا

يقولون الحسنة من الله والسيئة من نفسك لقوله ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك وقد خرجهم الاولون بقراءة مكذوبة فمن نفسك بالفتح على معنى الاستفهام وربما قدر بعضهم تقديرا أى أفمن نفسك وربما قدر بعضهم القول في قوله تعالى ما أصابك ويقولون تقدير الآية فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا يقولون ويحرفون لفظ القرآن ومعناه ويجعلون ما هو من قول الله قول الصدق من قول المنافقين الذين أنكر الله قولهم ويضمرون فى القرآن مالا دليل على ثبوته بل سياق الكلام يبينه من هاتين الطائفتين جاهلة بمعنى القرآن وبحقيقة المذهب الذي تنصره وأما القرآن فالمراد هنا بالحسنات والسيئات النعم والمصائب ليس المراد الطاعات والمعاصى وهذا كقوله تعالى ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا وكقوله ان تصبك حسنة تسؤهم وان تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا الآية ومنه قوله تعالى وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون كما قال تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون أى بالنعم والمصائب هذا بخلاف قوله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وقوله تعالى ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وأمثال ذلك فان المراد بها الطاعة والمعصية وفى كل موضع ما يبين المراد باللفظ فليس فى القرآن العزيز بحمد الله تعالى اشكال بل هو مبين

وذلك انه اذا قيل ما أصابك وما مسك ونحو ذلك كان من نعمة

غيرك كما قال ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن
نفسك وكما قال تعالى إن تصبك حسنة تسؤهم وقال تعالى وإن تصبهم
سيئة بما قدمت أيديهم وإذا قال من جاء بالحسنة كانت من فعله لأنه هو
الجائي بها فهذا يكون فيما فعله العبد لا فيما فعل به وسياق الآيتين يبين
ذلك فإنه ذكر هذا في سياق الحض على الجهاد وذم الناكلين عنه فقال
تعالى يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعا
وإن منكم لمن ليبطئن فإن أصابتكم مصيبة قال قد أنعم الله علي إذ لم أكن
معهم شهيدا ولئن أصابكم فضل من الله ليقولن كأن لم تكن بينكم وبينه
مودة يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما فأمر سبحانه بالجهاد وذم
المثبطين وذكر ما يصيب المؤمنين تارة من المصيبة وتارة من فضل
الله فيه كما أصابهم يوم أحد فقال أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها
قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم وأصابهم يوم بدر فضل من الله بنصره
لهم وتأييده كما قال تعالى ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة ثم إنه سبحانه
قال فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة الآية وقال تعالى
وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان
إلى قوله أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة وإن
تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه
من عندك فهذا من كلام الكفار والمنافقين إذا أصابهم نصر وغيره من
النعم قالوا هذه من عند الله وإن أصابهم ذل وخوف وغير ذلك من
المصائب قالوا هذه من عند محمد بسبب الدين الذي جاء به فإن الكفار

كانوا يتطيرون ما اصابهم من المصائب الى فعل أهل الايمان وقد ذكر نظير ذلك في قصة موسى وفرعون قال تعالى ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ونظيره قوله تعالى في سورة يس قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون وما علينا الا البلاغ المبين قالوا انا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب أليم فاخبر الله تعالى ان الكفار كانوا يتطيرون بالمؤمنين فاذا أصابهم بلاء جعلوه بسبب اهل الايمان وما أصابهم من الخير جعلوه من الله عز وجل فقال تعالى فما لهؤلاء القوم لايكادون يفقهون حديثا والله تعالى نزل أحسن الحديث ولو فهموا القرآن لعلموا أن الله أمرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر أمر بالخير ونهى عن الشر فليس فيما بعث الله به رسله مايكون سببا للشر بل الشر حصل بذنوب العباد فقال تعالى ماأصابك من حسنة فمن الله أي ماأصابك من نصر ورزق وعافيه فمن الله نعمة أنعمها عليك وان كان بسبب أعمالك الصالحة فهو الذي هداك وأعانك ويسرك لليسرى ومن عليك بالايمان وزينه في قلبك وكره اليك الكفر والفسوق والعصيان وفي آخر الحديث الصحيح الالهي حديث أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروى عن ربه تبارك وتعالى ياعبادي انما هي اعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم اياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه

وفي صحيح سيد الاستغفار اللهم أنت ربي لااله الا أنت خلقتني

وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا أنت من قالها اذا أصبح موقنا بها فمات من يومه دخل الجنة ومن قالها اذا أمسى موقنا بها فمات من ليلته دخل الجنة ثم قال تعالى وما أصابك من سيئة من ذل وخوف وهزيمة كما أصابهم يوم أحد فمن نفسك أي بذنوبك وخطاياك وان كان ذلك مكتوبا مقدرا عليك

فان القدر ليس حجة لأحد على الله ولا على خلقه ولو جاز لأحد ان يحتج بالقدر على ما يفعله من السيئات لم يعاقب ظالم ولم يقتل مشرك ولم يقم حد ولم يكف أحد عن ظلم أحد وهذا من الفساد في الدين والدنيا المعلوم ضرورة وأوله بصريح المعقول المطابق لما جاء به الرسول فالقدر يؤمن به ولا يحتج به فمن لم يؤمن بالقدر ضارع المجوس ومن احتج به ضارع المشركين ومن أقر بالامر والقدر وطعن في عدل الله وحكمته كان شبيها بابليس فان الله تعالى ذكر عنه انه طعن في حكمته وعارضه برأيه وهواه وانه قال فبما اغويتني لازينن لهم في الارض

وقد ذكر طائفة من اهل الكتاب وبعض المصنفين في المقالات كالشهرستاني انه ناظر الملائكة في ذلك معارضاً لله تعالى في خلقه وامره لكن هذه المناظرة بين ابليس والملائكة التي ذكرها الشهرستاني في اول المقالات ونقلها عن بعض اهل الكتاب ليس لها اسناد يعتمد عليه ولو وجدناها في كتب أهل الكتاب لم يجز أن نصدقها لمجرد ذلك فان

النبي صلى الله عليه وسلم ثبت عنه في الصحيح انه قال اذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم فاما أن يحدثوكم بحق فتكذبوه واما أن يحدثوكم بباطل فتصدقوه وتشبه والله أعلم ان تكون المناظرة من وضع بعض المكذبين بالقدر اما من أهل الكتاب واما من المسلمين والشهرستاني نقلها من كتب المقالات والمصنفون في المقالات ينقلون كثيرا من المقالات من كتب المعتزلة كما نقل الاشعري وغيره ما نقله في المقالات من كتب المعتزلة فانهم من أكثر الطوائف وأولها تصنيفا في هذا الباب ولهذا يوجد المقالات منقوله بعباراتهم فوضعوا هذه المناظرة على لسان الناس كما رأينا كثيراً منهم يضع كتابا أو قصيدة على لسان بعض اليهود أوغيرهم ومقصودهم بذلك الرد على المثبتين للقدر يقولون ان حجة الله على خلقه لاتتم الا بالتكذيب بالقدر كما وضعوا في مثالب ابن كلاب انه كان نصرانياً لانه أثبت الصفات وعندهم من أثبت الصفات فقد أشبه النصارى وباقي أمثال هذه الحكايات بالمنقول من المنتسبين الى السنة ممن لم يعرف حقيقة أمرها

والمقصود هنا أن الآية الكريمة حجة على هؤلاء وهؤلاء على من يحتج بالقدر فان الله تعالى أخبر انه عذبهم بذنوبهم فلو كانت حجتهم مقبوله لم يعذبهم بذنوبهم وحجة على من كذب بالقدر فانه سبحانه أخبر ان الحسنة من الله وان السيئة من نفس العبد والقدرية يقولون على ان العبد هو المحدث للمعصية كما هو المحدث للطاعة والله عندهم ما أحدث هذا ولا هذا ولا هذا بل أمر بهذا ونهى عن هذا وليس عندهم لله

نعمة أنعمها على عباده المؤمنين في الدين الا وقد أنعم مثلها على الكفار عندهم ان على بن أبي طالب رضى الله عنه وأبا لهب مستويان في نعمة الله الدينية اذ كل منهما أرسل اليه الرسول وأقدر على الفعل وأخبر عنه لكن هذا فعل الايمان بنفسه من غير أن يخصه بنعمة آمن بها وهذا فعل الكفر بنفسه من غير أن يفضل الله عليه ذلك المؤمن ولا خصه بنعمة آمن لاجلها وعندهم ان الله حبب الايمان الى الكفار كأبي لهب وامثاله كما حببه الى المؤمنين كعلي رضي الله عنه وامثاله وزينه في قلوب الطائفتين وكره الكفر والفسوق والعصيان الى الطائفتين سواء لكن هؤلاء كرهوا ما كرهه الله اليهم بغير نعمة خصهم بها وهؤلاء لم يكرهوا ما كرهه الله اليهم

ومن توهم منهم أو من نقل عنهم ان الطاعة من الله والمعصية من العبد فهو جاهل بمذهبهم فان هذا لم يقله أحد من علماء القدرية ولا يمكن أن يقوله فان أصل قولهم ان فعل العبد للطاعة كفعله للمعصية كلاهما فعله بقدرة تحصل له من غير أن يخصه بارادة خلقها فيه تختص باحدهما واذا احتجوا بهذه الآية على مذهبهم كانوا جاهلين بمذهبهم وكانت الآية حجة عليهم لا لهم لانه قال تعالى قل كل من عند الله وعندهم ليس الحسنات المفعولة ولا السيئات المفعولة من عند الله بل كلاهما من العبد وقوله تعالى ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك مخالف لقولهم فان عندهم الحسنة المفعولة من العبد لا من الله سبحانه وتعالى

وكذلك من احتج من مثبتة القدر بالآية على اثباته اذا احتج بقوله تعالى قل كل من عند الله كان مخطئا فان الله ذكر هذه الآية ردا على من يقول الحسنة من الله والسيئة من العبد ولم يقل أحد من الناس ان الحسنة المفعولة من الله والسيئة المفعولة من العبد وأيضاً فان نفس فعل العبد وان قال أهل الاثبات ان الله خلقه وهو مخلوق له ومفعول له فانهم لا ينكرون ان العبد هو المتحرك بالافعال وبه قامت ومنه نشأت وان كان الله خلقها وأيضاً فان قوله بعد هذا ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك يمنع أن تفسر بالطاعة والمعصية فان أهل الاثبات لا يقولون ان الله خلق احداهما دون الاخرى بل يقولون بان الله خلق جميع الافعال وكل الحوادث

(ومما ينبغي أن يعلم) ان مذاهب سلف الامة مع ان قولهم الله خالق كل شيء وربه ومليكه وانه ماشاء كان ومالم يشأ لم يكن وانه على كل شيء قدير وأنه هو الذي خلق العبد هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا ونحو ذلك ان العبد فاعل حقيقة وله مشيئة وقدرة قال تعالى لمن شاء منكم أن يستقيم وما تشاؤن الا أن يشاء الله رب العالمين وقال تعالى ان هذه تذكرة فمن شاء ذكره وما يذكرون الا أن يشاء الله هو أهل التقوى وأهل المغفرة

وهذا الموضع اضطرب فيه الخائضون في القدر [illegible] ونحوهم من [illegible] الكفر والصوفية [illegible] أفعال [illegible] عن فعل [illegible] المسلمين [illegible] فعلا له وقال [illegible]

من المائلين الى الجبر بل هي فعله وليست أفعالا للعباد بل هي كسب للعبد وقالوا ان قدرة العبد لاتأثير لها في حدوث مقدورها ولا في صفة من صفاتها وان الله أجرى العادة بخلق مقدورها مقارنا لها ويكون الفعل خلقا من الله وابداعا واحداثا وكسبا من العبد لوقوعه مقارنا لقدرته

وقالوا ان العبد ليس محدثا لافعاله ولا موجدا لها ومع هذا فقد يقولون انا لانقول بالجبر المحض بل نثبت للعبد قدرة حادثه والجبر المحض الذي لاتثبت للعبد قدرة وأخذوا يفرقون بين الكسب الذي أثبتوه وبين الخلق فقالوا الكسب عبارة عن اقتران المقدور بالقدرة الحادثه والخلق هو المقدور بالقدرة القديمة وقالوا أيضاً الكسب هو الفعل القائم بمحل القدرة عليه والخلق هو الفعل الخارج عن محل القدرة عليه فقال لهم الناس هذا لايوجب فرقا بين كون العبد كاسبا وبين كونه فاعلا وأوجد وأحدث وصنع وعمل ونحو ذلك فان فعله واحداثه وعمله وصنعه هو أيضاً مقدور بالقدرة الحادثه وهو قائم في محل القدرة الحادثه وأيضاً فهذا فرق لاحقيقة له فان كون المقدور في محل القدرة أوخارجا عن محلها لايعود الى تأثير القدرة فيه وهو مبني على أصلين ان الله لايقدر على فعل يقوم بنفسه وان خلقه للعالم هو نفس العالم وأكثر العقلاء من المسلمين وغيرهم على خلاف ذلك والثاني ان قدرة العبد لايكون مقدورها خارجا عن محلها وفي ذلك نزاع طويل ليس هذا موضعه وأيضاً فاذا فسر التأثير بمجرد الاقتران فلا فرق بين أن يكون الفارق

في المحل أو حارجا عن المحل وأيضاً فال لهم المارعون من المستقر في وطر الناس ان من فعل العـدل فهو عادل ومن فعل الطلم فهو طالم ومن فعل الكدب فهو كادب فادا لم يكن العبـد فاعلا لكدبه وطلمه وعدله بل الله هو فاعل دلك لرم أن يكون هو المتصف بالكدب والطلم

قالوا وهد كما قدم أنتم وسائر الصفاتية من المستقر فى فطر الناس أن من قام به العلم فهو عالم ومن قامت به القدره فهو قادر ومن قامت به الحركه فهو متحرك ومن قام به الكلم فهو متكلم ومن قامت به الاراده فهو مريد وقلم اداكان الكلام محلوقا كان كلاما للمحل الدى حامه وبه كسائر الصفات فهده القاعدة المطرده فيمن قامت به الصفات نطرها أيضاً من فعل الافعال وقالوا أيضاً القرآن مملوء بدكر اصافة هده الافعال الى العباد كقوله تعالى جراء بما كنتم تعملون وقوله اعملوا ماشئتم وقوله وقل اعملوا فسيرى الله عملكم وقوله ان الدين آمنوا وعملوا الصالحات وأمثال دلك وقالوا أيضاً ان الشرع والعقل متفقان على أن العبد يحمد ويدم على فعله ويكون حسنة له ولولم يكن الا فعل غيره لكان دلك الغير هو المحمود المدموم عليها

وفى المسئله كلام ليس هدا موضع بسطه لكن ننبه على نكت نافعة فى هدا الموضع المشكل

فقول قول القائل هدا فعل هدا وفعل هدا لفظ فيه اجمال فانه تاره يراد بالفعل نفس الفعل وتاره يراد به مسمى المصدر فيقول فعلت هدا أفعله فعلا وعملت هدا أعمله عملا فاذا أريد بالعمل نفس الفعل

الذي هو مسمى المصدر كصلاة الانسان وصيامه ونحو ذلك فالعمل
هنا المعمول قال تعالى يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان
كالجواب وقدور راسيات فجعل هذه المصنوعات معمولة للجن ومن
هذا الباب قوله تعالى والله خلقكم وما تعملون فانه في أصح القولين
ما بمعنى الذي والمراد به ما تنحتونه من الاصنام كما قال تعالى أتعبدون
ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون أي والله خلقكم وخلق الاصنام التي
تنحتونها ومنه حديث حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله خالق
كل صانع وصنعته لكن قد يستدل بالآية على ان الله خالق أفعال العباد
من وجه آخر فيقال اذا كان خالقاً لما تعملونه من المنحوتات لزم أن
يكون هو الخالق للتأليف الذي أحدثتموه فيها فانها انما صارت معمولة
بذلك التأليف والا فهي بدون ذلك ليست معمولة لهم واذا كان خالقا
لما يعملونه من المنحوتات لزم أن يكون هو الخالق للتأليف الذي أحدثوه
فيها فانها انما صارت معمولة بذلك التأليف والا فهي بدون ذلك ليست
معمولة لهم واذا كان خالقاً للتأليف كان خالقا لافعالهم

والمقصود ان لفظ الفعل والعمل والصنع انواع وذلك كلفظ البناء
والخياطة والتجارة تقع على نفس مسمى المصدر وعلى المفعول وكذلك
لفظ التلاوة والقراءة والكلام والقول تقع على نفس مسمى المصدر
وعلى ما يحصل بذلك من نفس القول والكلام فيراد بالتلاوة والقراءة
المقروء والمتلو كما يراد بها مسمى المصدر

والمقصود هنا ان القائل اذا قال هذه التصرفات فعل الله أو فعل

العبد فان أراد بذلك أنها فعل الله بمعنى المصدر فهذا باطل باتفاق المسلمين وبصريح العقل ولكن من قال هو فعل الله أراد به انها مفعولة مخلوقة لله كسائر المخلوقات ثم من هؤلاء من قال انه ليس لله فعل تقوم به فلا فرق عنده بين فعله ومفعوله وخلقه ومخلوقه

وأما الجمهور الذين يفرقون بين هذا وهذا فيقولون هذه مخلوقة لله مفعولة ليست هي نفس فعله وأما العبد فهي فعله القائم به وهي أيضاً مفعولة له اذا أريد بالفعل المفعول فمن لم يفرق في حق الرب تعالى بين الفعل والمفعول اذا قال انها فعل لله تعالى وليس لمسمى فعل الله عنده معنيان فحينئذ فلا تكون فعلا للعبد ولا مفعولة له بطريق الاولى

وبعض هؤلاء قال هي فعل للرب وللعبد فأثبت مفعولا بين مفعولين وأكثر المعتزلة يوافقون هؤلاء على أن فعل الرب تعالى لايكون الا بمعنى مفعوله مع أنهم يفرقون في العبد بين الفعل والمفعول فلهذا عظم النزاع وأشكلت المسئلة على الطائفتين وحاروا فيها

وأما من قال خلق الرب تعالى لمخلوقاته ليس هو نفس مخلوقاته قال ان أفعال العباد مخلوقة كسائر المخلوقات ومفعولة للرب كسائر المفعولات ولم يقل انها نفس فعل الرب وخلقه بل قال انها نفس فعل العبد وعلى هذا تزول الشبهة فانه فقال الكذب والظلم ونحو ذلك من القبائح يتصف بها من كانت فعلا له كما يفعلها العبد وتقوم به ولايتصف بها من كانت مخلوقة له اذا كان قد جعلها صفة لغيره كما أنه سبحانه لايتصف بما خلقه في غيره من الطعوم والالوان والروائح والاشكال

والمقادير والحركات وعن ذلك فاذا كان قد خلق لون الانسان لم يكن هو الملون به واذا خلق رائحة منتنة أو طعماً مرا او صورة قبيحة ونحو ذلك مما هو مكروه مذموم مستقبح لم يكن هو منتناً بهذه المخلوقات القبيحة المذمومة المكروهة والافعال القبيحة ومعنى قبحها كونها ضارة لفاعلها وسبباً لذمه وعقابه وجالبة لالمه وعذابه وهذا أمر يعود على الفاعل الذي قامت به لا على الخالق الذي خلقها فعلا لغيره

ثم على قول الجمهور الذين يقولون له حكمة فيما خلقه في العالم مما هو مستقبح وضار ومؤذ يقولون له فيما خلقه من هذه الافعال القبيحة الضارة لفاعلها حكمة عظيمة كما له حكمة عظيمة فيما خلقه من الامراض والغموم ومن يقول لا يعلل أفعاله لا يعلل لا هذا ولا هذا

يوضح ذلك ان الله تعالى اذا خلق في الانسان عمى ومرضاً وجوعا وعطشاً ووصبا ونصبا ونحو ذلك كان العبد هو المريض الجائع العطشان المتألم بضرر هذه المخلوقات وما فيها من الاذى والكراهة عائد اليه ولا يعود الى الله تعالى شيء من ذلك فكذلك ماخلق فيه من كذب وظلم وكفر ونحو ذلك هي أمور ضارة مكروهة مؤذية وهذا معنى كونها سيآت وقبائح أي انها تسوء صاحبها وتضره وقد تسوء أيضاً غيره وتضره كما ان مرضه ونتن ريحه ونحو ذلك قد تسوء غيره وتضره يبين ذلك ان القدرية سلموا ان الله تعالى قد يخلق في العبد كفراً أو فسوقا على سبيل الجزاء كما في قوله تعالى ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة وقوله في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا وقوله فلما زاغوا

أراع الله قلوبهم ثم انه من المعلوم ان هذه المخلوقات تكون فعلا للعبد وكسبا له يجرى عليها و يستحق الذم عليها والعقاب وهي مخلوقة لله تعالى فالقول عند أهل الاثبات فيما يخلقه من أعمال العباد ابتداء كالقول فيما يخلقه جزاء من هذا الوجه وان افترقا من وجه آخر وهم لا يمكنهم أن يفرقوا بينهما بفرق يعود الى كون هذا فعلا لله دون هذا وهذا فعل للعبد دون هذا لكن يقولون هذا يحسن من الله تعالى لكونه جزاء للعبد وذلك لا يحسن منه لكونه ابتداء العبد بما يضره وهم لا يقولون لا يحسن منه أن يضر الحيوان الا بجرم سابق اوعوض لاحق وأما أهل الاثبات للقدر فمن لم يعلل منهم لا يفرق بين مخلوق ومخلوق

وأما القائلون بالحكمة وهم الجمهور فيقولون لله تعالى فيما يخلقه من الحيوان حكم عظيمة كما له حكم في غير هذا ونحن لا نحصر حكمته في الثواب والعوض فان هذا قياس لله تعالى على الواحد من الناس وتمثيل لحكمة الله وعدله بحكمة الواحد من الناس وعدله والمعتزلة مشبهة في الافعال معطلة في الصفات * ومن أصولهم الفاسدة انهم يصفون الله بما يخلقه في العالم اذ ليس عندهم صفة لله قائمة به ولا فعل قائم به يسمونه به ويصفونه بما يخلقه في العالم مثل قولهم هو متكلم بكلام يخلقه في غيره ومريد بارادة يحدثها لا في محل وقولهم ان رضاه وغضبه وحبه وبغضه هو نفس المخلوق الذى يخلقه من الثواب والعقاب وقولهم انه لو كان خالقا لظلم العبد وكذبه لكان هو الظالم الكاذب وأمثال ذلك من الاقوال التي اذا تدبرها العاقل علم فسادها بالضرورة

ولهذا اشتد نكير السلف والأئمة عليهم لاسيما لما أظهروا القول أن القرآن مخلوق وعلم السلف ان هذا في الحقيقة هو انكار لكلام الله تعالى وانه لو كان كلامه هو ما يخلقه للزم أن يكون كل كلام مخلوق كلاما له فيكون انطاقه للجلود يوم القيامة وانطاقه للجبال والحصا بالتسبيح وشهادة الأيدي والارجل ونحو ذلك كلاما له واذا كان خالقا لكل شيء كان كل كلام موجود كلامه وهذا قول الحلولية والجهمية كصاحب الفصوص وأمثاله وهذا يقولون

وكل كلام في الوجود كلامه * سواء علينا نثره ونظامه

علم بصريح المعقول ان الله تعالى اذا خلق صفة في محل كانت صفة لذلك المحل فاذا خلق حركة في محل كان ذلك المحل هو المتحرك بها واذا خلق لونا أوريحا في جسم كان هو الملون المروح بذلك واذا خلق علما أوقدرة أوحياة في محل كان ذلك المحل هو العالم القادر الحي فكذلك اذا خلق ارادة وحبا وبغضا في محل كان هو المريد المحب المبغض فاذا خلق فعلا لعبد كان العبد هو الفاعل فاذا خلق له كذبا وظلما وكفرا كان هو الكاذب الظالم الكافر وان خلق له صلاة وصوما وحجا كان العبد هو المصلي الصائم الحاج والله تعالى لا يوصف بشيء من مخلوقاته بل صفاته قائمة بذاته وهذا مطرد على أصول السلف وجمهور المسلمين من أهل السنة وغيرهم ويقولون ان خلق الله السموات والارض ليس هو نفس السموات والارض بل الخلق غير المخلوق لاسيما مذهب السلف والأئمة وأهل السنة الذين وافقوهم على اثبات صفات الله وأفعاله

قال المعتزلة ومن وافقهم من الجهمية القدرية نقضوا هذا الاصل على من لم يقل ان الخالق غير المخلوق كالاشعري ومن وافقه فقالوا اذا قلتم ان الصفة اذا قامت بمحل عاد حكمها على ذلك المحل دون غيره كما ذكرتم في الحركة والعلم والقدرة وسائر الاعراض انتقض ذلك عليكم بالعدل والاحسان وغيرهما من أفعال الله تعالى فانه يسمي عادلا بعدل خلقه في غيره محسنا باحسان خلقه في غيره وكذا يسمي متكلما بكلام خلقه في غيره

والجمهور من أهل السنة وغيرهم يجيبون بالتزام هذا الاصل ويقولون انما كان عادلا بالعدل الذي قام بنفسه ومحسنا بالاحسان الذي قام بنفسه وأما المخلوق الذي حصل للعبد فهو أثر ذلك كما انه رحمن رحيم بالرحمة التي هي صفته وأما ما يخلقه من الرحمة فهو أثر تلك الرحمة واسم الصفة يقع تارة على الصفة التي هي المصدر ويقع تارة على متعلقها الذي هو مسمى المفعول كلفظ الخلق يقع تارة على الفعل وعلى المخلوق أخرى والرحمة يقع على هذا وهذا وكذلك الامر يقع على أمره الذي هو مصدر امر يأمر أمرا ويقع على المفعول تارة كقوله تعالى وكان أمر الله قدرا مقدورا وكذلك لفظ العلم يقع على المعلوم والقدرة تقع على المقدور ونظائر هذا متعددة

وقد استدل أحمد وغيره من أئمة السنة في جملة ما استدلوا على ان كلام الله غير مخلوق بقوله عليه الصلاة والسلام أعوذ بكلمات الله التامات ونحو ذلك وقالوا الاستعاذة لا تحصل بمخلوق ونظير هذا قول النبي صلى الله

عليه وسلم اللهم اني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وبك منك

ومن تدبر هذا الباب وجد اهل البدع والضلال لا يستطيلون على فريق منتسب الى السنة والهدى الا قد دخلوا فيه من نوع بدعة أخرى وضلال آخر لاسيما اذا وافقوهم على ذلك فيحتجون عليهم بما وافقوهم عليه من ذلك ويطلبون لوازمه حتى يخرجوهم من الدين ان استطاعوا خروج الشعرة من العجين كما تفعل القرامطة الباطنية والفلاسفة وأمثالهم بفريق فريق من طوائف المسلمين والمعتزلة استطالوا على الاشعرية ونحوهم من المثبتين للصفات والقدر بما وافقوهم عليه من نفي الافعال القائمة بالله تعالى فنقضوا بذلك أصلهم الذي استدلوا به عليهم من أن كلام الله غير مخلوق وان الكلام وغيره من الامور اذا خلق بمحل عاد حكمه على ذلك المحل واستطالوا عليهم بذلك في مسئلة القدر واضطروهم الى أن جعلوا نفس ما يفعله العبد من القبيح فعلا لله رب العالمين دون العبد

ثم أثبتوا كسبا لا حقيقة له فانه لا يعقل من حيث تعلق القدرة بالمقدور فرق بين الكسب والفعل ولهذا صار الناس يسخرون ممن قال هذا ويقولون ثلاثة أشياء لا حقيقة لها طفرة النظام وأحوال ابي هاشم وكسب الاشعري اضطروهم الى أن فسروا تأثير القدرة في المقدور بمجرد الاقتران العادي والاقتران العادي يقع بين كل ملزوم ولازمه ويقع بين المقدور والقدرة فليس جعل هذا مؤثرا في هذا الباب بأولى من العكس ويقع بين المعلول وعلته الغائية مع ان

قدره العباد عنده لايتجاوز محلها ولهذا فر القاضي أبوبكر الى قول وأبو اسحاق الاسفرايني الى قول وأبوالمعالى الجويني الى قول لما رأوا في هذا القول من التناقض والكلام على هذا مبسوط في موضعه والمقصود هنا التنبيه

ومن النكت فى هذا الباب ان لفظ التأثير ولفظ الجبر ولفظ الرزق ونحو ذلك ألفاظ مجملة فاذا قال القائل هل قدرة العبد مؤثرة في مقدورها أم لا قيل له أولا لفظ القدرة يتناول نوعين أحدهما القدرة الشرعية المصححة للفعل التي هى مناط الامر والنهى والثانى القدرة القدرية الموجبة للفعل التى هي مقارنة للمقدور لايتأخر عنها فالاولى هي المذكورة فى قوله تعالى ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا فان هذه الاستطاعة لو كانت هى المقارنة للفعل لم يجب حج البيت الاعلى من حج فلايكون من لم يحج عاصيا بترك الحج سواء كان له زاد وراحلة وهوقادر على الحج أولم يكن وكذلك قول النبى صلى الله عليه وسلم لعمران بن حصين صل قائما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنب وكذلك قوله تعالى فاتقوا الله مااستطعتم وقوله صلى الله عليه وسلم اذا أمرتكم بأمر فأتوا منه مااستطعتم لو أراد استطاعة لاتكون الا مع الفعل لكان قدقال فافعلوا منه ماتفعلون فلايكون من لم يفعل شيئا عاصيا له وهذه الاستطاعة المذكورة فى كتب الفقه ولسان العموم والناس متنازعون فى مسمى الاستطاعة والقدرة فمنهم من لايثبت استطاعة لا مقارن الفعل ونجد كثيراً من الفقهاء يناقضون فاذا خاضوا مع من يقول من المتكلمين

المثبتين للقدر ان الاستطاعة لا تكون الا مع الفعل ووافقوهم على ذلك واذا خاضوا في الفقه اثبتوا الاستطاعه المتقدمة التي هي مناط الامر والنهي وعلى هذا تتفرع مسئلة تكليف مالا يطاق فان الطاقة هي الاستطاعة وهي لفظ مجمل فالاستطاعة الشرعية التي هي مناط الامر والنهي لم يكلف الله أحداً شيئا بدونها فلا يكلف مالا يطاق بهذا التفسير وأما الطاقه التي لا تكون الا مقارنه للفعل فجميع الامر والنهي تكليف مالا يطاق بهذا الاعتبار فان هذه ليست مشروطه في شيء من الامر والنهي باتفاق المسلمين وكذا تنازعهم في العبد هل هو قادر على خلاف المعلوم فاذا أريد بالقدرة القدرة الشرعية التي هي مناط الامر والنهي كالاستطاعه المذكورة في قوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم فكل من أمره الله ونهاه فهو مستطيع بهذا الاعتبار وان علم انه لا يطيعه وان اريد بالقدرة القدرة القدريه التي لا تكون الا مقارنه للمفعول فمن علم انه لا يفعل الفعل لم يكن هذه القدرة ثابتة له

ومن هذا الباب تنازع الناس في الامر والارادة هل يأمر بما لا يريد أولا يأمر الا بما يريد فان الاراده لفظ فيه اجمال يراد بالاراده الارادة الكونية الشامله لجميع الحوادث كقول المسلمين ماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن وكقوله تعالى فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجا كأنما يصعد في السماء وقول نوح عليه السلام ولا ينفعكم نصحي ان أردت أن أنصح لكم ان كان الله يريد أن يغويكم ولا ريب ان الله يأمر العباد بما لا يريده بهذا التفسير

والمعنى كما قال تعالى ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها فدل على انه لم يؤت كل نفس هداها مع انه أمر كل نفس بهداها وكما اتفق العلماء على أن من حلف بالله ليقضين دين غريمه غدا ان شاء الله أو ليردن وديعته أو غصبه أو ليصلين الظهر أو العصر ان شاء الله أو ليصومن رمضان ان شاء الله ونحو ذلك مما أمره الله به فانه اذا لم يفعل المحلوف عليه لايحنث مع ان الله أمره به لقوله ان شاء الله فعلم ان الله لم يشأه مع أمره به واما الارادة الدينية فهي بمعنى المحبة والرضا وهي ملازمة للامر كقوله تعالى يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم ومنه قول المسلمين هذا يفعل شيأ لايريده الله اذا كان يفعل بعض الفواحش أي انه لايحبه ولا يرضاه بل ينهى عنه ويكرهه

وكذلك لفظ الجبر فيه اجمال يراد فيه اكراه الفاعل على الفعل بدون رضاه كما يقال ان الاب يجبر المرأة على النكاح والله تعالى أجل وأعظم من أن يكون مجبرا بهذا التفسير فانه يخلق للعبد الرضا والاختيار بما يفعله وليس ذلك جبرا بهذا الاعتبار ويراد بالجبر خلق ما في النفوس من الاعتقادات والارادات كقول محمد بن كعب القرظي الجبار الذى جبر العباد على ماأراد كما فى الدعاء المأثور عن على رضى الله عنه جبار القلوب على فطرتها شقيها وسعيدها والجبر ثابت بهذا التفسير فلما كان لفظ الجبر مجملا نهى الائمة عن اطلاق اثباته أو نفيه وكذلك لفظ الرزق فيه اجمال فقد يراد بلفظ الرزق ماأباحه الله أو ملكه فلا يدخل الحرام في مسمى هذا الرزق كما في قوله تعالى ومما رزقناهم ينفقون وقوله

تعالى وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت وقوله ومن رزقناه منا رزقا حسناً فهو ينفق منه سراً وجهراً وأمثال ذلك وقد يراد بالرزق ماينتفع به الحيوان وان لم يكن هناك اباحة ولا تمليك فيدخل فيه الحرام كما فى قوله تعالى وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها وقوله عليه الصلاة والسلام في الصحيح فيكتب رزقه وعمله وأجله وشقي أو سعيد ولما كان لفظ الجبر والرزق ونحوهما فيه اجمال منع الائمة من اطلاق ذلك نفياً واثباتاً كما تقدم عن الاوزاعى وأبى اسحاق الفزارى وغيرهما وكذا لفظ التأثير فيه اجمال فان القدرة مع المقدور كالسبب مع المسبب والعلة مع المعلول والشرط مع المشروط فان أريد بالقدرة القدرة الشرعية المصححة للفعل المتقدمة للفعل فتلك شرط للفعل وسبب من اسبابه وعلة ناقصة له وان أريد بالقدرة القدرة المقارنة للفعل المستلزمة له فتلك علة للفعل وسبب ومعلوم انه ليس فى المخلوقات شيء هو وحده علة تامة وسبب تام للحوادث بمعنى ان وجوده مستلزم لوجود الحوادث بل ليس هذا الا مشيئة الله تعالى خاصة فما شاء الله كان ومالم يشأ لم يكن

وأما الاسباب المخلوقة كالنار في الاحراق والشمس في الاشراق والطعام والشراب في الاشباع والارواء فجميع هذه الامور سبب لايكون الحادث به وحده بل لابد أن ينضم اليه سبب آخر ومع هذا فلهما موانع تمنعهما عن الاثر فكل سبب فهو موقوف على وجود الشروط وانتفاء الموانع وليس فى المخلوقات واحد يصدر عنه وحده شيء

وهذا مما يبين لك خطأ المتفلسفة الذين قالوا الواحد لا يصدر عنه الا واحد واعتبر ذلك بالأسباب الطبيعية كالتسخين والتبريد ونحو ذلك فمن هذا غلط فان التسخين لا يكون الا بشيئين أحدهما فاعل كالنار والثاني قابل كالجسم القابل للسخونة والاحتراق والا فالنار اذا وقعت على السمندل والياقوت لم تحرقه وكذلك الشمس فان شعاعها مشروط بالجسم القابل للشمس الذي ينعكس عليه الشعاع وله موانع من السحاب والسقوف وغير ذلك فهذا الواحد الذي قدروه في أنفسهم لا وجود له في الخارج وقد بسط هذا في موضع آخر فان الواحد العقلي الذي يثبته الفلاسفة كالوجود المجرد عن الصفات وكالعقول المجردة وكالكليات التي يدعون تركب الانواع منها وكالمادة والصورة العقليتين وامثال ذلك لا وجود لها في الخارج بل انما توجد في الاذهان لا في الاعيان وهي أشد بعدا عن الوجود من الجوهر الفرد الذي يثبته من يثبته من أهل الكلام فان هذا الواحد لا حقيقة له في الخارج وكذلك الواحد كما قد بسط في موضعه

والمقصود هنا ان التأثير اذا فسر بوجود شرط الحادث أو سبب يوقف حدوث الحادث به على سبب آخر وانتفاء موانع وكل ذلك بخلق الله تعالى فهذا حق وتأثير قدرة العبد في مقدورها ثابت بهذا الاعتبار وان فسر التأثير بأن المؤثر مستقل بالأثر من غير مشارك معاون ولا معاوق مانع فليس شيء من المخلوقات مؤثرا بل الله وحده خالق كل شيء فلا شريك له ولا ند له فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده قل

ادعوا الدين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال درة في السموات ولا في الارض وما لهم فيهما من شرك وماله منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له قل أفرأيتم ماتدعون من دون الله ان أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون ونظائر هذا في القرآن كثيره فادا عرف مافي نمط التأثير من الاجمال والاشتراك ارتفعت الشبهة وعرف العدل المتوسط من الطائفتين فمن قال ان المؤمن والكافر سواء فيما أنعم الله عليهما من الاسباب المقتضيه للايمان وان المؤمن لم يخصه الله بقدرة ولا ارادة آمن بها وان العبد اذا آمن لم يحدث له معرفة من الله وارادة لم تكن قبل الفعل فقوله معلوم الفساد وقيل لهؤلاء فعل العبد من جملة الحوادث والممكنات وكل مابه نعلم ان الله تعالى أحدث غيره يعلم به ان الله أحدثه فيكون العبد فاعلا بعد ان لم يكن أمر ممكن حادث فان أنكر صدور هذا الممكن بدون محدث واجب يحدثه ويرجح وجوده على عدمه أمكن ذلك في غيره فانتقض دليل اثبات الصانع ولا ريب ان كثيراً من متكلمة الاثبات القائلين بالقدر سلموا للمعتزلة ان القادر المختار يمكنه ترجيح أحد مقدوريه على الآخر بلا مرجح وقالوا في مسئلة احداث العالم ان القادر المختار أو الارادة القديمة التي نسبتها الي جميع الحوادث والازمنة نسبة واحدة رجحت أنواعا من الممكنات في الوقت الذي رجحته بلا حدوث سبب اقتضى الرجحان وادعوا أن القادر المختار يمكنه الترجيح بلا مرجح أو الارادة

القديمة ترجح بلا مرجح آخر فاعترض عليهم هناك من نازعهم من أهل الملل والفلاسفة القائلين بأن الله لم يحدث الحوادث بأفعال تقوم بنفسه وان الله خالق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام والقائلين بقدم العالم قالوا هذا الذي قلتموه معلوم الفساد بالضرورة وتجويز هذا يقتضي جواز حدوث الحوادث بلا سبب والترجيح بلا مرجح وذلك يسد باب اثبات الصانع

ثم ان هؤلاء المثبتين للقدر احتجوا بهذه الحجة على نفاة القدر وقالوا حدوث فعل العبد بعد ان لم يكن لابد له من محدث مرجح تام غير العبد فان ما كان من العبد فهو محدث وعند وجود ذلك المحدث المرجح التام يجب وجود فعل العبد وهذا الذي قالوه حق وهو حجة قاطعة على القدرية لكنهم نقضوه وتناقضوا فيه في فعل الرب تعالى وادعوا هناك ان البديهة فرقت بين فعل القادر وبين الموجب بالذات فان كان هذا الفرق صحيحاً بطلت حجتهم على المعتزلة ولم يبطل قول القدرية وان كان باطلا بطل قولهم في احداث الله وفعله بإفعاله وهذا هو الباطل في نفس الامر فان القول بأن الممكن لا يترجح وجوده على عدمه الا بمرجح تام أمر معلوم بالفطرة الضرورية لا يمكن القدح فيه وهو عام لا تخصيص فيه فالفرق المذكور باطل وذلك يبطل قولهم بأن خلق العالم هو العالم وانه حدث بعد ان لم يكن بغير سبب حادث ومن قال ان قدرة العبد وغيرها من الاسباب التي خلق الله تعالى بها المخلوقات ليست أسباباً وان وجودها كعدمها وليس هناك الا مجرد اقتران عادي

كافران الدليل بالمداول فقد جحد ما في خلق الله وشرعه من الأسباب والحكم ولم يجعل في العين قوة تمتاز بها عن الخد تبصر بها ولا في القلب قوة تمتاز بها عن الرجل تعقل بها ولا في النار قوة تمتاز بها عن التراب تحرق بها وهؤلاء منكرون ما في الاجسام المطبوعة من الطبائع والغرائز

قال بعض الفضلاء تكلم قوم من الناس في ابطال الاسباب والقوى والطبائع فاضحكوا العقلاء على عقولهم ثم ان هؤلاء يقولون لا ينبغي للانسان أن يقول انه شبع بالخبز وروى بالماء بل يقول شبعت عنده ورويت عنده فان الله يخلق الشبع والري ونحو ذلك من الحوادث عند هذه المقترنات بها عادة لا بها وهذا خلاف الكتاب والسنة فان الله تعالى يقول وهو الذي يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته حتى اذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات الآية وقال تعالى وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض بعد موتها وقال تعالى قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم وقال ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا وقال ونزلنا من السماء ماء فأنبتنا به جنات وحب الحصيد وقال وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء وقال هو الذي انزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات وقال تعالى ان الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما الى قوله يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً وقال قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ومثل

هدا في القرآن كثير وكدلك في الحدث عن الي صلى الله عله وسلم كموله لاعوتن أحد مسكم الا آد تموني حتي اصلي عله فان الله حاعل اصلاتي عله ركة ورحمة وقال صلى الله عله وسلم ان هده القور مملوءة على أهلها طلمة وان الله حاعل اصلاتي عليهم نوراً ومثل هدا كثير

و لطر هؤلاء الدين أبطلوا الاسباب المقدورة في حلق الله من ابطال الاسباب المشروعة في أمر الله كالدين ظنوا ان ما يحصل بالدعاء والاعمال الصالحه وعير دلك من الحيرات ان كان مقدراً حصل بدون دلك وان لم يكن مقــدراً لم يحصل بدلك وهؤلاء كالدين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم أفلا ندع العمل ونتكل على الكتاب فقال اعملوا فكل ميسر لما حلق له وفي السنن انه قيل يارسول الله أرأيت أدوية نتداوى بها وأرقية نسترقي بها وتقاه نتقيها هل ترد من قدر الله شيئا فقال هي من قدر الله ولهدا قال من قال من العلماء الالتفات الى الاسباب شرك في التوحيد ومحو الاسباب أن تكون أسبابا نقص في وجوه العقل والاعراض عن الاسباب بالكلية قدح في الشرع والله سبحانه حالق الاسباب والمسببات وجعل هــدا سبباً لهدا فادا قال القائل ان كان هدا مقدوراً حصل بدون السبب والا لم يحصل

جوابه انه مقــدور بالسبب وليس مقدوراً بدون السبب كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله حلق للجنة حلقا احلقها لهم وهم في أصلاب آبائهم وبعمل أهل الجنة يعملون وقال صلى الله عليه وسلم اعملوا فكل

فيسر لما خلق له اما من كان من أهل السعادة فسييسر لعمل أهل السعادة وأما من كان من أهل الشقاوة فسييسر لعمل أهل الشقاوة وفي الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه قال حدثنا رسول الله صلي الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ان خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل اليه الملك فيؤمر باربع كلمات ويكتب رزقه وعمله وأجله وشقي أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح فوالذي نفسي بيده ان أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى مايكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وان أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتي مايكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها فبين صلي الله عليه وسلم ان هذا يدخل الجنة بالعمل الذي يعمله ويختم له به وهذا يدخل النار بالعمل الذي يعمله ويختم له به كما قال صلى الله عليه وسلم انما الأعمال بالخواتيم وذلك لان جميع الحسنات تحبط بالردة وجميع السيئات تغفر بالتوبة ونظير ذلك من صام ثم أفطر قبل الغروب أو صلى وأحدث عمداً قبل كمال الصلاة ثم أبطل عمله وبالجملة فالذي عليه سلف الامة وأئمتها مابعث الله به رسله وأنزل كتبه فيؤمنون بخلق الله وأمره بقدره وشرعه بحكمه الكوني وحكمه الديني وارادته الكونية والدينية كما قال في الاول فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجا كأنما يصعد في السماء وقال نوح عليه السلام ولا ينفعكم نصحي

أن اردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم وقال تعالى فى الارادة الدينية يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقال يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم وقال ما يريد الله ليجعل عليكم فى الدين من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم وهم مع اقرارهم بأن الله خالق كل شئ وربه ومليكه وانه خالق الاشياء بقدرته ومشيئته يقرون بانه لا اله الا هو لا يستحق العبادة غيره ويطيعونه ويطيعون رسله ويحبونه ويرجونه ويخشونه ويتكلون عليه وينيبون اليه ويوالون أولياءه ويعادون أعداءه ويقرون بمحبته لما أمر به ولعباده المؤمنين أيضا ورضاه بذلك وبغضه لما نهى عنه وللكافرين وسخطه لذلك ومقته له ويقرون بما استفاض عن النبى صلى الله عليه وسلم من ان الله أشد فرحا بتوبة عبده التائب من رجل أضل راحلته بأرض دوية مهلكة عليها طعامه وشرابه فطلبها فلم يجدها فقال تحت شجرة فلما استيقظ اذا بدابته عليها طعامه وشرابه فالله اشد فرحا بتوبة عبده من هذا براحلته

فهو إلههم الذى يعبدونه وربهم الذى يسألونه كما قال تعالى الحمد لله رب العالمين الى قوله اياك نعبد واياك نستعين فهو المعبود المستعان والعبادة تجمع كمال الحب مع كمال الذل فهم يحبونه أعظم مما يحب كل محب محبوبه كما قال تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله وكل ما يحبونه سواه فانما يحبونه لاجله كما فى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ثلاث من

كن فيه وجد حلاوة الايمان من كان الله و رسوله أحب اليه مما سواهما ومن كان يحب المرء لا يحبه الا لله ومن كان يكره أن يرجع في الكفر بعد ان أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار وفي الترمذي وغيره أوثق عرى الايمان الحب في الله والبغض في الله ومن أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الايمان وهو سبحانه يحب عباده المؤمنين

وكمال الحب هو الخلة التي جعلها الله لابراهيم ومحمد صلى الله عليهما وسلم فان الله اتخذ ابراهيم خليلا واستفاض عن النبي صلى الله عليه وسلم في الصحيح من غير وجه انه قال ان الله اتخذني خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا وقال لو كنت متخذا خليلا من أهل الارض لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الله يعني نفسه ولهذا اتفق سلف الامة وأئمتها وسائر أهل السنة وأهل المعرفة ان الله نفسه يحب ويحب وانكرت الجهمية ومن تبعهم محبته وأول من أنكر ذلك الجعد بن درهم شيخ الجهم بن صفوان فضحى به خالد بن عبد الله القسري بواسط وقال يأيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم فاني مضح بالجعد بن درهم انه زعم ان الله لم يتخذ ابراهيم خليلا ولم يكلم موسى تكليما تعالى الله عما يقول الجعد علواً كبيراً ثم نزل فذبحه وهذا أصل مسئلة ابراهيم الذي جعله الله اماما للناس قال تعالى واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال اني جاعلك للناس اماما وقال ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفا واتخذ الله ابراهيم خليلا ومن

قال ان المراد بمحبة الله محبة التقرب اليه فقوله متناقض فان محبة التقرب اليه تبع لمحبته فمن أحب الله نفسه أحب التقرب اليه ومن كان لايحبه نفسه امتنع أن يحب التقرب اليه وأما من كان لايطيعه ولا يمتثل أمره الا لاجل عرض آخر فهو فى الحقيقة انما يحب ذلك العرض الذى عمل لاجله وقد جعل طاعة الله وسيلة اليه وقد ثبت فى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اذا دخل أهل الجنة الجنة نادى مناديا أهل الجنة ان لكم عند الله موعدا يريد أن ينجزكموه فيقولون ماهو ألم يبيض وجوهنا ويثقل موازيننا ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار فيكشف الحجاب فينظرون اليه فما أعطاهم شيئا أحب اليهم من النظر اليه وهو الزيادة فاخبر ان النظر اليه أحب اليهم من كل ماينعمون به ومحبة النظر اليه تبع لمحبته فانما احبوا النظر اليه لمحبتهم اياه وما من مؤمن الا ويجد فى قلبه محبة الله وطمأنينة بذكره وتنعما بمعرفته ولذة وسرورا بذكره ومناجاته وذلك يقوى ويضعف ويزيد وينقص بحسب ايمان الخلق فكل من كان ايمانه اكمل كان تنعمه بهذا أكمل ولهذا قال صلى الله عليه وسلم فى الحديث الذى رواه أحمد وغيره حبب الىّ من دنياكم النساء والطيب ثم قال وجعلت قرة عيني فى الصلاه وكان صلى الله عليه وسلم يقول أرحنا بالصلاه يابلال وهذا مبسوط فى غير هذا الموضع

والمقصود هنا ان عباده المؤمنين يحبونه وهو يحبهم سبحانه ويحبهم له بحسب عملهم لما يحبه كما فى صحيح البخاري عن ابي هريرة عن النبي

صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تعالى من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وما تقرب الى عبدي بمثل أداء ماافترضت عليه ولايزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها في يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه

وقد بين ان العبد اذا تقرب الى الله بما يحبه من النوافل بعد الفرائض أحبه الله فحب الله لعبده بحسب فعل العبد لما يحبه الله وما يحبه الله من عبادته وطاعته فهو تبع لحب نفسه وحب ذلك هو سبب حب عباده المؤمنين وكان حبه للمؤمنين تبعا لحب نفسه فالمؤمنون وان كانوا يحمدون ربهم ويثنون عليه فهم لايحصون ثناء عليه بل هو كما أثني على نفسه كما في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم انه كان يقول اللهم اني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وبك منك لاأحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك وفي الصحيح انه قال لاأحد أحب اليه المدح من الله من أجل ذلك مدح نفسه وقال له الاسود بن سريع اني حمدت ربي فقال ان ربك يحب الحمد فهو يحب حمد العباد له وحمده لنفسه أعظم من حمد العباد له ويحب ثناءهم عليه وثناؤه على نفسه أعظم من ثنائهم عليه وكذلك حبه لنفسه وتعظيمه لنفسه فهو سبحانه أعلم بنفسه من كل أحد وهو الموصوف بصفات

الا كمال التى لايبلغها عقول الخلائق فالعظمة ازاره والكبرياء رداؤه وفى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قرأ وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه قال يقبض الله الارض ويطوى السموات بيمينه ثم يهزهن ثم يقول أنا الملك انا القدوس أنا السلام أنا المؤمن أنا المهيمن انا الذى بدأت الدنيا ولم تك شيئا أنا الذى أعيدها وفى رواية يحمد الرب نفسه فهو يحمد نفسه ويثنى عليها ويمجد نفسه سبحانه وهو الغنى بنفسه لايحتاج فى أحد غيره بل كل ماسواه فقير اليه يسأله من فى السموات والارض كل يوم هو فى شان وهو الاحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد فاذا فرح بتوبة التائب وحب من تقرب اليه بالنوافل ورضى عن السابقين الاولين لم يجز أن يقال هو مفتقر بذلك الى غيره ولامستكمل بسواه فانه هو الذى خلق هؤلاء وهداهم وأعانهم حتى فعلوا مايحبه ويرضاه ويفرح به فهذه المحبوبات لم تحصل الا بقدرته ومشيئته وحده فله الملك لاشريك له وله الحمد فى الاولى والآخرة وله الحكم واليه ترجعون فهذا ونحوه يحتج به الجمهور الذين يثبتون لافعاله حكمة تتعلق به يحبها ويرضاها ويفعل لاجلها قالوا وقول القائل ان هذا يقتضى انه مستكمل بغيره ويكون ناقصا قبل ذلك

فعنه أجوبة * أحدها ان هذا منقوض بنفس مايفعله من المفعولات فما كان جوابا فى المفعولات كان جوابا عن هذا ونحن لا نعقل فى الشاهد فاعلا لا مستكملا بفعله

الثاني انهم قالوا كماله أن يكون لايزال قادرا على الفعل بحكمته فلو قدر كونه غير قادر على ذلك لكان ناقصا

الثالث قول القائل انه مستكمل بغيره باطل فان ذلك انما حصل بقدرته ومشيئته لاشريك له فى ذلك فلم يكن فى ذلك محتاجا الى غيره واذا قيل كمل بفعله الذي لايحتاج فيه الى غيره كان كالو قيل كمل بصفاته أو بذاته

الرابع قول القائل كان قبل ذلك ناقصا ان أراد به عدم ماتجدد فلا نسلم ان عدمه قبل ذلك الوقت الذى اقتضت الحكمة وجوده فيه يكون نقصا وان أراد بكونه ناقصا معنى غير ذلك فهو ممنوع بل يقال عدم الشيء فى الوقت الذى لم تقتض الحكمة وجوده فيه من الكمال كما ان وجوده فى وقت اقتضاء الحكمة وجود كمال فليس عدم كل شيء نقصا بل عدم مايصلح وجوده هو النقص كما ان وجود مالا يصلح وجوده نقص فتبين ان وجود هذه الامور حين اقتضت الحكمة عدمها هو النقص لاان عدمها هو النقص ولهذا كان الرب تعالى موصوفا بالصفات الثبوتية المتضمنة لكماله وموصوفا بالصفات السلبية المستلزمة لكماله أيضا وكان عدم مانفى عنه هو من الكمال كما ان وجود مايستحق ثبوته من الكمال واذا عقل مثل هذا فى الصفات وكذلك في الافعال ونحوها وليس كل زيادة يقدرها الذهن من الكمال بل كثير من الزيادات تكون نقصا فى كمال المزيد كما يعقل مثل ذلك فى كثير من الموجودات والانسان قد يكون وجود أشياء فى وقت نقصا وعدما فى

حقـه وفي وقت آخر كالا ومدحا في حقه كما تكون في وقت مضرة له وفي وقت منفعة له

الخامس انا اذا قدرنا من يقدر على احداث الحوادث لحكمة ومن لا يقـدر على ذلك كان معلوما ببديهة العقل ان القادر على ذلك أكمل مع ان الحوادث لا يمكن وجودها الا حوادث لا تكون قديمة واذا كانت القدرة على ذلك أكمل وهـذا المقدور لا يكون الا حادثا كان وجوده هو الكمال وعدمه قبل ذلك من تمام الكمال وعـدم الممتنع الذى هو شرط فى وجود الكمال

ثم الجمهور القائلون بهـذا الاصـل هنا ثلاث فرق فرقـة تقول ارادته وحبه ورضاه ونحو هذا قديم فلم يزل راضياً عمن علم انه يموت مؤمناً ولم يزل ساخطاً على من علم انه يموت كافراً كما تقول ذلك من يقوله من الكلابية وأهل الحديث والفقهاء والصوفية فهؤلاء لا يلزمهم التسلسل لاجـل حلول الحوادث لكن نعارضـهم الاكثرون الذين ينازعونهم في الحكمة المحبوبة كما نازعوهم فى الارادة فانهم قالوا اذا كانت الارادة قديمة لم تزل ونسبتها الى جميع الازمنة والحوادث سواء فاختصاص زمان دون زمان بالحـدوث ومفعول دون مفعول تخصيص بلا مخصص قال أولئك الارادة من شأنها ان تخصص قال لهم المعارضون من شأنها جنس التخصيص وأما تخصيص هذا المعين على هـذا المعين فليس من لوازم الارادة بل لابد من سبب وجب اختصاص أحدهما بالارادة دون الآخر والانسان يجد من نفسه أنه يخصص بارادته ولكنه

يعلم أنه لا يريد هذا دون هذا الا لسبب اقتضاء التخصيص والا فلو تساوى ما يمكن ارادته من جميع الوجوه امتنع تخصيص الارادة لواحد من ذلك دون أمثاله فان هذا ترجيح بلا مرجح ومتى جوز هذا انسد باب اثبات الصانع قالوا ومن تدبر هذا وأمعن النظر فيه علمه حقيقة وانما ينازع فيه من يقلد قولا قاله غيره من غير اعتبار لحقيقته وهكذا يقول الجمهور اذا كان الله تعالى راضيا في أزله ومحبا وفرحا بما يحدثه قبل أن يحدثه فاذا أحدثه هل حصل باحداثه حكمة يحبها ويرضاها ويفرح بها أولم يحصل الا ما كان في الازل فان قلتم لم يحصل الا ما كان في الازل قبل ذلك كان حاصلا بدون ما احدثه من المفعولات فامتنع أن تكون المفعولات فعلت لكي يحصل ذلك فقولكم كما تضمن ان المفعولات تحدث بلا سبب يحدثه الله تضمن أنه فعلها لا لحكمة يحبها ويرضاها قالوا فقولكم تضمن نفي ارادته المقارنة ومحبته وحكمته التي لا يحصل الفعل الا بها

والفرقة الثانية قالوا ان الحكمة المتعلقة به تحصل بمشيئته وقدرته كما يحصل الفعل بمشيئته وقدرته كما تقول ذلك من يقوله من الكلابية وأهل الحديث والصوفية قالوا وان قام ذلك بذاته فهو كقيام سائر ما أخبر به من صفاته وأفعاله بذاته والمعتزلة تنفي قيام الصفات والافعال به وتسمى الصفات أعراضا والافعال حوادث ويقولون لا تقوم به الاعراض ولا الحوادث فيتوهم من لم يعرف حقيقة قولهم انهم ينزهون الله تعالى عن النقائص والعيوب والآفات ولا ريب ان الله يجب تنزيهه عن كل

عيب ونقص وآية فانه القدوس السلام الصمد السيد الكامل في كل نعت من نعوت الكمال كما لا يدرك الخلق حقيقته منزهاً عن كل نقص تنزيهاً لا يدرك الخلق كماله وكل كمال ثبت لموجود من غير استلزام نقص فالخالق تعالى أحق به وأكمل فيه منه وكل نقص تنزه عنه مخلوق فالخالق أحق بتنزيهه عنه وأولى ببراءته منه

روينا من طريق غير واحد كعثمان بن سعيد الدارمي وأبي جعفر الطبري والبيهقي وغيرهم في تفسير علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى الصمد قال السيد الذي كمل في سودده والشريف الذي قد كمل في شرفه والعظيم الذي قد كمل في عظمته والحكيم الذي قد كمل في حكمته والغني الذي قد كمل في غناه والجبار الذي قد كمل في جبروته والعالم الذي قد كمل في علمه والحليم الذي قد كمل في حلمه وهو الذي قد كمل في أنواع الشرف والسودد وهو الله عز وجل هذه صفته لا تنبغي الا له ليس له كفؤ ولا كمثله شيء سبحانه الواحد القهار وهذا التفسير ثابت عن عبد الله بن أبي صالح عن علي ابن أبي طلحة الوالبي لكن يقال انه لم يسمع التفسير عن ابن عباس ولكن مثل هذا الكلام ثابت عن السلف وروى عن سعيد بن جبير أنه قال الصمد الكامل في صفاته وأفعاله وثبت عن أبي وائل شقيق بن سلمة أنه قال الصمد السيد الذي انتهى سؤدده وهذه الاقوال وما أشبهها لا تنافي ما قاله كثير من السلف كسعيد بن المسيب وابن جبير ومجاهد والحسن والسدي والضحاك وغيرهم من أن الصمد هو الذي لا جوف له وهذا منقول

عن ابن مسعود وعن عبد الله بن بريدة عن أبيه موقوفا أو مرفوعا فان كلا القولين حق كما بسط الكلام عليه ولفظ الاعراض في اللغة قد يفهم منه ما يعرض للانسان من الامراض ونحوها وكذلك لفظ الحوادث والمحدثات قد يفهم منه ما يحدثه الانسان من الافعال المذمومة والبدع التي ليست مشروعة أو ما يحدث بالانسان من الامراض ونحو ذلك والله تعالى يجب تنزيهه عما هو دون ذلك مما فيه نوع نقص فكيف تنزيهه عن هذه الامور ولكن لم يكن مقصود المعتزلة بقولهم هو منزه عن الاعراض والحوادث الا نفي صفاته وأفعاله فعندهم لا تقوم به علم ولا قدرة ولا مشيئة ولا رحمة ولا حب ولا رضا ولا فرح ولا خلق ولا احسان ولا عدل ولا اتيان ولا مجيء ولا نزول ولا استواء ولا غير ذلك من صفاته وأفعاله وجماهير المسلمين يخالفونهم في ذلك ومن الطوائف من نازعهم في الصفات دون الافعال ومنهم من نازعهم في بعض الصفات دون بعض ومن الناس من نازعهم في العلم القديم ويقول ان فعله قديم وان كان المفعول محدثا كما يقول في نظير من يقوله في الارادة وبسط هذه الاقوال وذكر قائليها وأدلتهم مذكورة في غير هذا الموضع

والمقصود هنا التنبيه على مجامع أجوبة الناس عن السؤال المذكور وهذا الفريق الثاني اذا قال لهم الناس اذا أثبتم حكمة حدثت بعد ان لم تكن لزمكم التسلسل قالوا القول في حدوث الحكمة كالقول في سائر ما أحدثه من المفعولات ونحن نخاطب من يسلم لنا انه اذا أحدث المحدثات بعد ان لم تكن فاذا قلنا انه أحدثها لحكمة حادثة لم يكن له ان يقول

هذا يستلزم التسلسل بل نقول له القول فى حدوث الحكمة كالقول فى حدوث المفعول الذى ترتبت عليه الحكمة فما كان جوابك عن هذا كان جوابنا عن هذا

فلما خصم الفريق الثانى للفريق الاول قال لهم الفريق الثالث من ائمة الحديث والفقهاء والصوفية أهل الكلام هذه حجة جدلية الزامية ولم تشفوا العليل بهذا الجواب وليس معكم في الادلة الشرعية ولا العقلية ما ينفى مثل هذا التسلسل بل التسلسل نوعان والدور نوعان أحدهما التسلسل في العلل والمعلولات فهذا ممتنع وفاقا والثانى التسلسل فى الشروط والآثار فهذا في جوازه قولان معروفان للمسلمين وغيرهم وطوائف من أهل الكلام والحديث والفلسفة يجوزون هذا ومن هؤلاء السلف والأئمة الذين يقولون لم يزل الله متكلما اذا شاء وانه لم يزل يقوم به ما يتعلق بمشيئته وقدرته من الافعال وغيرها وبين هؤلاء ان ما يستدل به منازعوهم على نفى التسلسل فى الآثار امتناع وجود ما لا يتناهي فى الماضى أدلة ضعيفة كدليل المطابقة بين الجملتين مع زيادة أحدهما وكزيادة الشفع والوتر ونحو ذلك من الادلة التى بين هؤلاء فسادها ونقضوها عليهم بالحوادث في المستقبل وبعقود الاعداد وبمعلومات الله مع مقدوراته وغير ذلك مما قد بسط فى موضعه

والدور نوعان فالدور القبلى السبقي ممتنع واما الدور المعي الاقترانى وهو أن لا يكون هذا الا مع هذا فهذا الدور فى الشروط وما أشبهها من المضايفات والملازمات ومثل هذا جائز فهذه مجامع أجوبة الناس

عن هذا السؤال وهي عدة أقوال

الاول قول من لا يعلل لا أفعاله ولا أحكامه

والثاني قول من يعلل ذلك بأمور مباينة له منفصلة عنه من جملة مفعولاته

والثالث قول من يعلل ذلك بأمور قائمة به متعلقة بقدرته ومشيئته لكن يقول جنسها حادث

والخامس قول من يعلل ذلك بأمور متعلقة بمشيئته وقدرته فان كان الفعل المقتضي للحكمه حادث النوع كانت الحكمه كذلك وان قدر أنه قام به كلام أو فعل متعلق بمشيئته وانه لم يزل كذلك كانت الحكمة كذلك ويكون النوع قديماً وان كانت آحاده حادثة

ويمكن الجواب عن السؤال بتقسيم حاصر بأن يقال لا ريب ان الله عز وجل يحدث مفعولات لم تكن فاما أن تكون الافعال المحدثه يجب أن يكون لها ابتداء ويجوز أن تكون غير متناهية في الابتداء كما هي غير متناهية في الانتهاء فان وجب أن تكون لها ابتداء أمكن حدوث الحوادث بدون تسلسلها فاذا قال القائل او فعل لعله محدثة لكان القول في حدوث تلك العلة كالقول في حدوث معلولها ويلزم التسلسل كان جوابه على هذا التقدير ان الحوادث يجب أن يكون لها ابداء واذا فعل الفعل لحكمة محدثه كان الفعل وحكمته محدثين ولا يجب أن يكون للعلة المحدثة علة محدثه الا اذا جاز أن لا يكون للحوادث ابداء فاما اذا جاز أن لا يكون لها ابتداء بطل هذا السؤال فكيف اذا وجب أن يكون لها ابتداء وان

قيل يجوز أن يكون الحوادث غير متناهية في الابتداء كما انها غير متناهية في الانتهاء عند المسلمين وسائر أهل الحق ولم ينازع في ذلك الا بعض أهل البدع الذين يقولون بفناء الجنة والنار كما تقوله الجهم بن صفوان أو بفناء حركات أهل الجنة كما يقوله أبو الهذيل فان هذين أوجبا أن يكون لجنس الحوادث انتهاء كما يجوز أن يكون لها عندهم ابتداء وأكثر الذين وافقوهم على وجوب الابتدا خالفوهم في الانتهاء وقالوا لها ابتداء وليس لها انتهاء والاقوال الثلاثة معروفة في طوائف المسلمين

والمقصود هنا ان الجواب يحصل على التقديرين فمن جوز أن يكون لها نهاية في الابتداء جوز تسلسل الحوادث وقال هذا تسلسل في الآثار والشروط لا تسلسل في العلل والمؤثرات والممتنع انما هو الثاني دون الاول وقال انه لا تقوم دليل على امتناع الثاني كما يقول ذلك طوائف من متقدمي أهل الكلام ومتأخريهم ومن أوجب أن يكون لها ابتداء قال في حدوث العلة ما تقوله في حدوث المعلول اذ لا فرق بينهما في هذا المعنى

ومن الاجوبة الحاصرة أن يقال خلق الله اما أن يجوز تعليله أولا فان لم يجز تعليله كان هذا هو القدر الاول وعلى هذا التقدير فلا يسمى هذا عبثاً واذا سماه المسمي عبثاً لم يكن تسميته عبثاً قدحاً فيما تحقق فانا نتكلم على تقدير امتناع التعليل واذا كان التعليل ممتنعاً وجب القول به ولو سماه المسمي بأي شيء سماه وان جاز تعليله فلا يخلو اما ان يجوز تعليله بعلة حادثة واما أن لا يجوز فان قيل لا يجوز

الصديق بها ولهذا يجب أن يكون الخطاب فى المسائل المشكلة بطريق
ذكر كل قول ومعارضة الآخر له حتى تتبين الحق بطريقه
لمن يريد هدايته ومن لم يجعل الله له نورا فماله
من نور والله يقول الحق وهو يهدى
السبيل والله سبحانه
وتعالى أعلم

تمت الرسالة الثامنة

ويليها الرسالة التاسعة له أيضا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا * وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إقرارا به وتوحيدا * وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما مزيدا

﴿ أما بعد فهذا اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة أهل السنة والجماعة ﴾

الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والإيمان بالقدر خيره وشره

ومن الإيمان بالله الإيمان بما وصف به نفسه فى كتابه وبما وصفه به رسوله محمد صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل بل يؤمنون بأن الله ليس كمثله شئ وهو السميع البصير فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه ولا يحرفون الكلم عن مواضعه ولا يلحدون فى أسماء الله وآياته ولا يمثلون صفاته بصفات خلقه لأنه سبحانه لا سمى له ولا كفؤ له ولا ند له ولا يقاس بخلقه سبحانه وتعالى فإنه سبحانه أعلم بنفسه وبغيره وأصدق قيلا وأحسن حديثا من خلقه ثم رسله صادقون مصدوقون بخلاف الذين يقولون عليه ما لا يعلمون ولهذا قال سبحانه وتعالى سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين فسبح نفسه عما وصفه به المخالفون للرسل وسلم على المرسلين لسلامة ما قالوه من النقص والعيب وهو

سبحانه قد جمع فيما وصف وسمى به نفسه بين النفي و الاثبات ولا عدول لاهل السنة والجماعة عما جاءت به المرسلون فانه الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وقد دخل في هذه الجملة ما وصف به نفسه في سورة الاخلاص التى تعدل ثلث القرآن حيث يقول قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد وما وصف به نفسه في أعظم آية من كتاب الله حيث يقول الله لااله الا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الارض من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء وسع كرسيه السموات والارض ولا يؤده حفظهما (أي لا يكرثه ولا يثقله) وهو العلي العظيم ولهذا كان من قرأ هذه الآية في ليلة لم يزل عليه من الله حافظ ولا يقربه شيطان حتى يصبح وقوله سبحانه وتعالى وتوكل على الحي الذي لا يموت وقوله سبحانه هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم وقوله سبحانه وهو العليم الخبير يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه وقوله لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما وقوله ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين وقوله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ان الله نعما

يعظكم به ان الله كان سميعاً بصيرا وقوله ولولا اذ دخلت جنتك قلت ماشاء الله لاقوة الا بالله ولو شاء الله مااقتتل الذين من بعدهم من بعد ماجاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولوشاء الله مااقتتلوا ولكن الله يفعل مايريد أحلت لكم بهيمة الانعام الامايتلى عليكم غير محلى الصيد وأنتم حرم ان الله يحكم مايريد فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء وقوله وأحسنوا ان الله يحب المحسنين وأقسطوا ان الله يحب المقسطين فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ان الله يحب المتقين ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم وقوله رضي الله عنهم ورضوا عنه وقوله بسم الله الرحمن الرحيم ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما وكان بالمؤمنين رحيما كتب ربكم على نفسه الرحمة وهو الغفور الرحيم فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين وقوله ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وقوله ذلك بأنهم اتبعوا ماأسخط الله وكرهوا رضوانه وقوله فلما آسفونا انتقمنا منهم ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقوله كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالاتفعلون وقوله هل ينظرون الا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الامر والى الله ترجع الامور هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك كلا اذا

تكن الارض دكا دكا وجاء ربك والملك صفا صفا ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا وقوله ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام كل شيء هالك الا وجهه وقوله مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدى وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء وقوله واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا وقوله وحملناه على ذات ألواح ودسر تجرى بأعيننا جزاء لمن كان كفر وألقيت عليك محبة منى ولتصنع على عينى وقوله قد سمع الله قول التي تجادلك فى زوجها وتشتكى الى الله والله يسمع تحاوركما لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ماقالوا أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون انى معكما أسمع وأرى وقوله ألم يعلم بأن الله يرى الذى يراك حين تقوم وتقلبك فى الساجدين وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وقوله شديد المحال وقوله ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون وقوله انهم يكيدون كيدا وأكيد كيدا وقوله ان تبدوا خيرا أو تخفوه أو تعفوا عن سوء فان الله كان عفوا قديرا وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم وقوله ولله العزة ولرسوله فبعزتك لأغوينهم أجمعين وقوله تبارك اسم ربك ذى الجلال والاكرام وقوله فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا ولم يكن له كفوا أحد فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك

ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيراً يسبح لله ما في السموات وما في
الارض له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير تبارك الذي نزل
الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا الذي له ملك السموات والارض ولم
يتخذ ولدا وخلق كل شيء فقدره تقديرا ما اتخذ الله من ولد وما كان معه
من إله اذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله
عما يصفون عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون فلا تضربوا لله
الامثال ان الله يعلم وأنتم لا تعلمون قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر
منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به
سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون وقوله الرحمن على العرش استوى
ثم استوى على العرش في ستة مواضع يا عيسى اني متوفيك ورافعك الي
بل رفعه الله اليه اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه يا هامان
ابن لي صرحا لعلي أبلغ الاسباب أسباب السموات فاطلع الى إله موسى
واني لاظنه كاذبا أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الارض فاذا هي
تمور أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا فستعلمون كيف
نذير وقوله هو الذي خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى
على العرش يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء
وما يعرج فيها وهو معكم أين ما كنتم والله بما تعملون بصير ما يكون من
نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك
ولا أكثر الا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ان الله
بكل شيء عليم لا تحزن ان الله معنا انني معكما أسمع وأرى ان الله مع

الدين اتقوا والذين هم محسنون واصبروا ان الله مع الصابرين كم من فئة
قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين وقوله ومن أصدق
من الله حديثا ومن اصدق من الله قيلا واذ قال الله ياعيسى بن مريم
وتمت كلمت ربك صدقا وعدلا وكلم الله موسى تكليما منهم من كلم الله
ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه وناديناه من جانب الطور الايمن وقربناه
نجيا واذ نادى ربك موسى أن ائت القوم الظالمين وناداهما ربهما ألم انهكما
عن تلكما الشجرة ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون
ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين وان احد من المشركين استجارك
فاجره حتى يسمع كلام الله وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم
يحرفونه من بعد ما عقلوه يريدون أن يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا
واتل ما أوحي اليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ان هذا
القرآن يقص على بني اسرائيل وهذا كتاب أنزلناه مبارك لو
أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله
واذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا انما أنت مفتر بل
أكثرهم لا يعلمون قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين
آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر
لسان الذي يلحدون اليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين وجوه يومئذ
ناضرة الى ربها ناظرة على الارائك ينظرون للذين أحسنوا الحسنى
وزيادة لهم ما يشاؤن عند ربهم لهم ما يشاؤن فيها ولدينا مزيد

وهذا الباب في كتاب الله تعالى كثير من تدبر القرآن طالب الهدى

فمن تدبر له طريق الحق ثم سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم تفسر القرآن وتبينه وتدل عليه وتعبر عنه وما وصف الرسول به ربه من الأحاديث الصحاح التي تلقاها أهل المعرفة بالقبول وجب الإيمان بها كذلك مثل قوله صلى الله عليه وسلم ينزل ربنا إلى سماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له متفق عليه وقوله صلى الله عليه وسلم لله أشد فرحا بتوبة عبده من أحدكم براحلته الحديث متفق عليه وقوله صلى الله عليه وسلم يضحك الله إلى رجلين أحدهما يقتل الآخر كلاهما يدخل الجنة متفق عليه وقوله عجب ربنا من قنوط عباده وقرب غيره ينظر إليكم أزلين قنطين فيظل يضحك يعلم أن فرجكم قريب حديث حسن وقوله صلى الله عليه وسلم لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه وفي رواية عليها قدمه فينزوي بعضها إلى بعض وتقول قط قط متفق عليه وقوله صلى الله عليه وسلم يقول الله يا آدم فيقول لبيك وسعديك فينادي بصوت إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثا إلى النار متفق عليه وقوله في رقية المريض ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك أمرك في السماء والأرض كما رحمتك في السماء اجعل رحمتك في الأرض اغفر لنا حوبنا وخطايانا أنت رب الطيبين أنزل رحمة من رحمتك وشفاء من شفائك على هذا الوجع رواه أبو داود وقوله صلى الله عليه وسلم ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء رواه البخاري وغيره وقوله والعرش فوق ذلك والله فوق ذلك

والله فوق عرشه وهو يعلم ما أنتم عليه رواه أبو داود والترمذي وغيرهما وقوله صلى الله عليه وسلم للجارية اين الله قالت في السماء قال من أنا قالت أنت رسول الله قال أعتقها فانها مؤمنة رواه مسلم وقوله صلى الله عليه وسلم أفضل الايمان ان تعلم ان الله معك حيثما كنت حديث حسن وقوله اذا قام أحدكم الى الصلاة فان الله قبل وجهه فلا يبصق قبل وجهه ولا عن يمينه ولكن عن يساره أو تحت قدمه متفق عليه وقوله صلى الله عليه وسلم اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء فالق الحب والنوى منزل التوراة والانجيل والقرآن أعوذ بك من شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها أنت الاول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وانت الباطن فليس دونك شيء اقض عني الدين واغنني من الفقر رواه مسلم وقوله لما رفع أصحابه أصواتهم بالذكر أيها الناس اربعوا على أنفسكم فانكم لا تدعون اصم ولا غائباً انما تدعون سميعاً قريباً ان الذي تدعونه أقرب الى أحدكم من عنق راحلته متفق عليه وقوله انكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته فان استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة بعد غروبها فافعلوا متفق عليه الي أمثال هذه الاحاديث التي يخبر فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ربه بما يخبر به

(فان الفرقة الناجية) أهل السنة والجماعة يؤمنون بذلك كما يؤمنون بما أخبر الله به في كتابه من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير

تكيف ولا تمثيل بل هم الوسط في فرق الامة كما ان الامة هي الوسط في الامم فهم وسط في باب صفات الله سبحانه وتعالى بين أهل التعطيل الجهمية وأهل التمثيل المشبهة وهم وسط في باب أفعال الله تعالى بين القدرية والجبرية وفي باب وعيد الله بين المرجئة وبين الوعيدية من القدرية وغيرهم وفي باب الايمان والدين بين الحرورية والمعتزلة وبين المرجئة والجهمية وفي اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الخوارج وبين الروافض

وقد دخل فيما ذكرناه من الايمان بالله الايمان بما أخبر الله به في كتابه وتواتر عن رسوله صلى الله عليه وسلم واجمع عليه سلف الامة من أنه سبحانه فوق سمواته على عرشه عليّ على خلقه وهو معهم سبحانه أينما كانوا يعلم ماهم عاملون كما جمع بين ذلك في قوله هو الذي خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم مايلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير وليس معنى قوله وهو معكم أينما كنتم انه مختلط بالخلق فان هذا لا توجبه اللغة وهو خلاف ماأجمع عليه سلف الامة وخلاف مافطر الله عليه الخلق بل القمر آية من آيات الله من أصغر مخلوقاته هو موضوع في السماء وهو مع المسافر أينما كان وهو سبحانه فوق العرش رقيب على خلقه مهيمن عليهم مطلع اليهم الى غير ذلك من معاني ربوبيته وكل هذا الكلام الذي ذكره الله من أنه فوق العرش وانه معنا حق على حقيقته لايحتاج الى تحريف ولكن يصان عن

الظنون الكاذبة ودخل في ذلك الايمان بأنه قريب من خلقه كما قال تعالى وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الذي تدعونه اقرب الى أحدكم من عنق راحلته وما ذكر في الكتاب والسنة من قربه ومعيته لا ينافي ما ذكر من علوه وفوقيته فانه سبحانه ليس كمثله شيء في جميع نعوته وهو عليّ في دنوه قريب في علوه

ومن الايمان به وبكتبه الايمان بأن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق منه بدا واليه يعود وان الله تكلم به حقيقة وان هذا القرآن الذي أنزله على محمد صلى الله عليه وسلم هو كلام الله حقيقة لا كلام غيره ولا يجوز اطلاق القول بانه حكاية عن كلام الله او عبارة بل اذا قرأه الناس أو كتبوه في المصاحف لم يخرج بذلك عن أن يكون كلام الله حقيقة فان الكلام انما يضاف حقيقة الى من قاله مبتدئا لا الى من قاله مبلغاً مؤديا وقد دخل أيضاً فيما ذكرناه من الايمان به وبكتبه وبرسله الايمان أن المؤمنين يرونه يوم القيامة عيانا بابصارهم كما يرون الشمس صحوا ليس دونها سحاب وكما يرون القمر ليلة البدر لا يضامون في رؤيته يرونه سبحانه وهم في عرصات القيامة ثم يرونه بعد دخول الجنة كما يشاء الله سبحانه وتعالي

ومن الايمان باليوم الآخر الايمان بكل ما أخبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم مما يكون بعد الموت فيؤمنون بفتنة القبر وبعذاب القبر ونعيمه فأما الفتنة فان الناس يفتنون في قبورهم فيقال للرجل من ربك وما دينك ومن نبيك فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فيقول المؤمن

الله ربي والإسلام دينى ومحمد نبي صلى الله عليه وسلم وأما المرتاب فيقول آه آه لا أدرى سمعت الناس يقولون شيئا فقلته فيضرب بمرزبة من حديد فيصيح صيحة يسمعها كل شيء إلا الإنسان ولو سمعها الإنسان لصعق ثم بعد هذه الفتنة إما نعيم وإما عذاب إلى يوم القيامة الكبرى فتعاد الأرواح إلى الأجساد وتقوم القيامة التى أخبر الله تعالى بها فى كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم وأجمع عليها المسلمون فيقوم الناس من قبورهم لرب العالمين حفاة عراة غرلا وتدنو منهم الشمس ويلجمهم العرق وتنصب الموازين فتوزن فيها أعمال العباد فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم فى جهنم خالدون وتنشر الدواوين وهى صحائف الأعمال فآخذ كتابه بيمينه وآخذ كتابه بشماله أو من وراء ظهره كما قال سبحانه وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ويحاسب الله الخلائق ويخلو بعبده المؤمن فيقرره بذنوبه كما وصف ذلك في الكتاب والسنة وأما الكفار فلا يحاسبون حساب من توزن حسناته وسيآته فإنه لا حسنات لهم ولكن تعد أعمالهم وتحصر فيوقفون عليها ويقررون بها ويجزون بها وفي عرصة القيامة الحوض المورود لمحمد صلى الله عليه وسلم ماؤه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل آنيته عدد نجوم السماء طوله شهر وعرضه شهر من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً والصراط منصوب على متن جهنم وهو الجسر الذي بين الجنة والنار

يمر الناس عليه على قدر أعمالهم فمنهم من يمر كلمح البصر ومنهم من يمر كالبرق ومنهم من يمر كالريح ومنهم من يمر كالفرس الجواد ومنهم من يمر كركاب الابل ومنهم من يعدو عدوا ومنهم من يمشي مشياً ومنهم من يزحف زحفاً ومنهم من يخطف فيلقى في جهنم فان الجسر عليه كلاليب تخطف الناس بأعمالهم فمن مر على الصراط دخل الجنة فاذا عبروا عليه وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض فاذا هذبوا ونقوا اذن لهم في دخول الجنة

وأول من يستفتح باب الجنة محمد صلى الله عليه وسلم وأول من يدخل الجنة

وله في القيامة ثلاث شفاعات اما الشفاعة الاولى فيشفع في أهل الموقف حتى يقضى بينهم بعد أن يتراجع الانبياء آدم ونوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم الشفاعة حتى تنتهي اليه وأما الشفاعة الثانية فيشفع في أهل الجنة أن يدخلوا الجنة وهاتان الشفاعتان خاصتان له وأما الشفاعة الثالثة فيشفع فيمن استحق النار وهذه الشفاعة له ولسائر النبيين والصديقين وغيرهم فيمن استحق النار أن لا يدخلها ويشفع فيمن دخلها أن يخرج منها ويخرج الله من النار أقواما بغير شفاعة بل بفضل رحمته ويبقى في الجنة فضل عمن دخلها من أهل الدنيا فينشيء الله له أقواما فيدخلهم الجنة وأصناف ما تتضمنه الدار الآخرة من الحساب والعقاب والجنة والنار وتفاصيل ذلك مذكورة في الكتب المنزلة من السماء والآثارة من العلم المأثورة عن الانبياء وفي العلم الموروث عن محمد صلى

الله عليه وسلم من ذلك مايشفي ويكفي فمن ابتغاه وجده

وتؤمن الفرقة الناجية من أهل السنة والجماعة بالقدر خيره وشره والايمان بالقدر على درجتين كل درجة تتضمن شيئين فالدرجة الاولى الايمان أن الله تعالى علم ماالخلق عاملون بعلمه القديم الذي هو موصوف به أزلا وأبداً وعلم جميع أحوالهم من الطاعات والمعاصي والارزاق والآجال ثم كتب الله تعالى في اللوح المحفوظ مقادير الخلائق فأول ماخلق الله القلم فقال اكتب قال ما اكتب قال اكتب ماهو كائن الى يوم القيامة فماأصاب الانسان لم يكن ليخطئه ومأأخطأه لم يكن ليصيبه جفت الاقلام وطويت الصحف كماقال سبحانه ألم تعلم أن الله يعلم مافي السماء والارض ان ذلك في كتاب ان ذلك على الله يسير وقال ماأصاب من مصيبة في الارض ولافي أنفسكم الافي كتاب من قبل أن نبرأها وهذا التقدير التابع لعلمه سبحانه يكون في مواضع جملة وتفصيلا فقد كتب في اللوح المحفوظ ماشاء فاذا خلق جسد الجنين قبل نفخ الروح فيه بعث اليه ملكا فيؤمر بأربع كلمات فيقال له اكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أم سعيد ونحو ذلك فهذا القدر قد كان ينكره غلاة القدرية قديما ومنكروه اليوم قليل وأما الدرجة الثانية فهو مشيئة الله تعالى النافذة وقدرته الشاملة وهو الايمان أن ماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن وانه مافي السموات والارض من حركة ولا سكون الا بمشيئة الله سبحانه لايكون في ملكه مالايريد وانه سبحانه وتعالى على كل شيء قدير من الموجودات والمعدومات فما من مخلوق في الارض ولا في السماء

وبأنه لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة كما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم بل قد رضي عنهم ورضوا عنه وكانوا أكثر من ألف وأربعمائة

ويشهدون بالجنة لمن شهد له النبي صلى الله عليه وسلم كالعشرة وكثابت بن قيس بن شماس وغيرهم من الصحابة

ويقرون بما تواتر به النقل عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وغيره من أن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر الصديق ثم عمر ثم يثلثون بعثمان ويربعون بعلي كما دلت عليه الآثار وكما أجمع الصحابة على تقديم عثمان في البيعة مع أن بعض أهل السنة كانوا قد اختلفوا في عثمان وعلي بعد اتفاقهم على أبي بكر وعمر أيهما أفضل فقدم قوم عثمان وسكتوا أو ربعوا بعلي وقدم قوم عليا وقوم توقفوا لكن استقر أمر أهل السنة على تقديم عثمان ثم علي وإن كانت هذه المسألة مسألة عثمان وعلي ليست من الأصول التي يضلل المخالف فيها عند جمهور أهل السنة لكن المسألة التي يضلل المخالف فيها مسألة الخلافة وذلك أنهم يؤمنون أن الخليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي * ومن طعن في خلافة أحد من هؤلاء الأئمة فهو أضل من حمار أهله

ويحبون أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتولونهم ويحفظون فيهم وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال في يوم غدير خم أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي وقال أيضا للعباس عمه وقد شكا إليه أن بعض قريش يجفو بني هاشم فقال والذي نفسي بيده لا يؤمنون حتى يحبوكم لله ولقرابتي وقال إن الله اصطفى بني

اسماعيل واصطفى من بني اسماعيل كنانة واصطفى من كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم

ويتولون أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم أمهات المؤمنين ويقرون بأنهم أزواجه في الآخرة خصوصا خديجة أم أكثر الاولاد وأول من آمن به وعضده على أمره وكان لها منه المنزلة العلية والصديقة بنت الصديق التي قال النبي صلى الله عليه وسلم فيها فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام

ويتبرؤن من طريقة الروافض الذين يبغضون الصحابة ويسبونهم وطريقة النواصب الذين يؤذون أهل البيت بقول أو عمل

ويمسكون عما شجر بين الصحابة ويقولون ان هذه الآثار المروية في مساويهم منها ما هو كذب ومنها ما قد زيد ونقص وغير عن وجهه والصحيح منه هم فيه معذورون اما مجتهدون مصيبون واما مجتهدون مخطؤن وهم مع ذلك لا يعتقدون ان كل واحد من الصحابة معصوم عن كبائر الاثم وصغائره بل يجوز عليهم الذنوب في الجملة ولهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر منهم ان صدر حتى انه يغفر لهم من السيئات ما لا يغفر لمن بعدهم لان لهم من الحسنات ما ليس لمن بعدهم وقد ثبت بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم خير القرون فان المد من أحدهم اذا تصدق به كان أفضل من جبل أحد ذهبا ممن بعدهم ثم اذا كان قد صدر عن أحد منهم ذنب فيكون قد تاب منه أو أتى بحسنات تمحوه أو غفر له بفضل سابقته أو بشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم الذين

أحق الناس بشفاعته أو ابتلي ببلاء في الدنيا كفر عنه فاذا كان هذا في الذنوب المحققة فكيف بالامور التي كانوا فيها مجتهدين ان أصابوا فلهم أجران وان أخطؤا فلهم أجر واحد والخطأ مغفور

ثم القدر الذي ينكر من فعل بعضهم قليل نزر مغمور في جنب فضائل القوم ومحاسنهم من الايمان بالله ورسوله والجهاد في سبيله والهجرة والنصرة والعلم النافع والعمل الصالح ومن نظر في سيرة القوم بعلم وبصيرة وما من الله به عليهم من الفضائل علم يقينا انهم خير الخلق بعد الانبياء لا كان ولا يكون مثلهم وانهم الصفوة من قرون هذه الامة التي هي خير الامم وأكرمها على الله

ومن أصول أهل السنة التصديق بكرامات الاولياء وما يجري الله على أيديهم من خوارق العادات في العلوم والمكاشفات وانواع القدرة والتأثيرات كالمأثور عن سالف الامم في سورة الكهف وغيرها وعن صدر هذه الامة من الصحابة والتابعين وسائر فرق الامة وهي موجودة فيها الى يوم القيامة

ثم من طريقة اهل السنة والجماعة اتباع آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم باطنا وظاهرا واتباع سبيل السابقين الاولين من المهاجرين والانصار واتباع وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل بدعة ضلالة

ويعلمون ان أصدق الكلام كلام الله وخير الهدى هدى محمد

رسول الله صلى الله عليه وسلم ويؤثرون كلام الله على غيره من كلام أصناف الناس ويقدمون هدى محمد صلى الله عليه وسلم على هدى كل أحد

وبهذا سموا أهل الكتاب والسنة وسموا أهل الجماعة لان الجماعة هي الاجتماع وضدها الفرقة وان كان لفظ الجماعة قد صار اسما لنفس القوم المجتمعين والاجماع هو الاصل الثالث الذي يعتمد عليه في العلم والدين

وهم يزنون بهذه الاصول الثلاثة جميع ما عليه الناس من أعمال وأفعال باطنة أو ظاهرة مما له تعلق بالدين

والاجماع الذي ينضبط هو ما كان عليه السلف الصالح اذ بعدهم كثر الاختلاف وانتشرت الامة

ثم هم مع هذه الاصول يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر على ما توجبه الشريعة * ويرون اقامة الحج والجهاد والجمع والاعياد مع الامراء أبرارا كانوا أو فجارا ويحافظون على الجماعات * ويدينون بالنصيحة للامة ويعتقدون معنى قوله صلى الله عليه وسلم المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وشبك بين أصابعه وقوله صلى الله عليه وسلم مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر * ويأمرون بالصبر على البلاء والشكر عند الرخاء والرضا بمر القضاء * ويدعون الى مكارم الاخلاق ومحاسن الاعمال * ويعتقدون معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم أكمل المؤمنين ايمانا أحسنهم خلقا * ويندبون الى أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك * ويأمرون ببر الوالدين وصلة الارحام

وحسن الجوار والاحسان الى اليتامى والمساكين وابن السبيل والرفق بالمملوك وينهون عن الفخر والخيلاء والبغي والاستطالة على الخلق بحق أو بغير حق * ويأمرون بمعالي الاخلاق وينهون عن سفسافها * وكل ما يقولونه أو يفعلونه من هذا أو غيره فانما هم فيه متبعون الكتاب والسنة وطريقتهم هي دين الاسلام الذي بعث الله به محمداً صلى الله عليه وسلم لكن لما أخبر صلى الله عليه وسلم ان أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلهم في النار الا واحدة وهي الجماعة وفي حديث عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال هم من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي صار المتمسكون بالاسلام المحض الخالص عن الشوب أهل السنة والجماعة * وفيهم الصديقون والشهداء والصالحون ومنهم أعلام الهدى ومصابيح الدجى أولو المناقب المأثورة والفضائل المذكورة وفيهم الابدال وفيهم الائمة الذين أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم وهم الطائفة المنصورة الى قال فيها النبي صلى الله عليه وسلم لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى تقوم الساعة

فنسأل الله العظيم أن يجعلنا منهم وأن لا يزيغ قلوبنا بعد اذ هدانا وهب لنا من لدنه رحمة انه هو الوهاب والحمد لله رب العالمين وصلواته وسلامه على سيدنا محمد وآله وصحبه وعلى سائر النبيين وآل كل وسائر الصالحين وحسبنا الله ونعم الوكيل

تمت الرسالة التاسعه

ويليها رسالة ما فرقه أيضا

بسم الله الرحمن الرحيم

ذكر ما وقع في هذه العقيدة المباركة من الأبحاث التي جلاها جامعها للمعترضين

نقل الشيخ علم الدين أن الشيخ قدس سره قال في مجلس نائب السلطنة الأفرم لما سأله عن اعتقاده وكان أحضر الشيخ عقيدته الواسطية قال هذه كتبتها من نحو سبع سنين قبل مجيء التتار إلى الشام وقرئت في المجلس ثم نقل علم الدين عن الشيخ أنه قال كان سبب كتابتها أن بعض قضاة واسط من أهل الخير والدين شكى ما الناس فيه ببلادهم في دولة التتر من غلبة الجهل والظلم ودروس الدين والعلم وسألني أن أكتب له عقيدة فقلت له قد كتب الناس عقائد أئمة السنة فألح في السؤال وقال ما أحب إلا عقيدة تكتبها أنت فكتبت له هذه العقيدة وأنا قاعد بعد العصر وأشار الأمير لكاتبه فقرأها على الحاضرين حرفا حرفا فاعترض بعضهم على قوله فيها

ومن الإيمان بالله الإيمان بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل ومقصوده أن هذا ينفي التأويل الذي هو صرف اللفظ عن ظاهره إما وجوبا وإما جوازا فقال أي عدلت عن لفظ التأويل إلى لفظ التحريف لأن التحريف اسم جاء القرآن بذمه وأنا تحريت في هذه العقيدة اتباع الكتاب والسنة فنفيت ما ذمه الله من التحريف ولم أذكر فيها لفظ التأويل لأنه لفظ له عدة معان كما بينته في موضعه من القواعد فإن معنى لفظ التأويل في كتاب الله غير معنى لفظ التأويل في اصطلاح المتأخرين من أهل الأصول

والنعمة وغير معنى نص التأويل في اصطلاح كثير من أهل التفسير والسلف

وقلت لهم ذكرت في النفي التمثيل ولم أذكر التشبيه لأن التمثيل نفاه الله بنص كتابه حيث قال ليس كمثله شيء وأخذوا يذكرون نفي التشبيه والتجسيم ويطنبون في هذا ويعرضون بما ينسبه بعض الناس إلينا من ذلك

قلت قولي من غير تكييف ولا تمثيل ينفي كل باطل وإنما اخترت هذين الاسمين لأن التكييف مأثور نفيه عن السلف كما قال ربيعة ومالك وابن عيينة وغيرهم المقالة التي تلقاها العلماء بالقبول الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة

فاتفق هؤلاء السلف على أن الكيف غير معلوم لنا فنفيت ذلك اتباعا لسلف الأمة وهو أيضا منفي بالنص فإن تأويل آيات الصفات يدخل فيها حقيقة الموصوف وحقيقة صفاته غير معلومة وهذا من التأويل الذي لا يعلمه إلا الله كما قررت ذلك في قاعدة مفردة ذكرتها في التأويل والمعنى والفرق بين علمنا بمعنى الكلام وبين علمنا بتأويله

وكذلك التمثيل منفي بالنص والإجماع القديم مع دلالة العقل على نفيه ونفي أن كيفية ذات الباري غير معلوم للبشر

وذكرت في ضمن ذلك كلام الخطابي الذي نقل أنه مذهب السلف وهو إجراء آيات الصفات وأحاديثها على ظاهرها مع نفي الكيفية والتشبيه عنها إذ الكلام في الصفات فرع الكلام في الذات يحتذى حذوه ويتبع

و ـه مثاله فاذا كان اثبات الذات اثبات وجود لا اثبات تكييف وكذلك اثبات الصفات اثبات وجود لا اثبات تكييف

فقال أحد كبراء المخالفين فحينئذ يجوز أن يقال هو جسم لا كالاجسام

فقلت له أنا وبعض الفضلاء انما قيل انه يوصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله وليس في الكتاب والسنة ان الله جسم حتى يلزم هذا

وأول من قال ان الله جسم هشام بن الحكم الرافضي وأما قولنا فهو فهم الوسط في فرق الامة كما ان الامة هي الوسط في الامم فهم وسط في باب صفات الله بين أهل التعطيل الجهمية وأهل التمثيل المشبهة

فقيل لي أنت صنفت اعتقاد الامام أحمد وأرادوا قطع النزاع لكونه مذهبا متبوعا فقلت ما خرجت الاعقيدة السلف الصالح جميعهم ليس للامام أحمد اختصاص بهذا

وقلت قد أمهلت من خالفني في شيء منها ثلاث سنين فان جاء بحرف واحد عن القرون الثلاثة يخالف ما ذكرته فانا أرجع عن ذلك وعلى أن آتي بنقول جميع الطوائف عن القرون الثلاثة يوافق ما ذكرته من الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية والاشعرية وأهل الحديث وغيرهم

ثم طلب المنازع الكلام في مسئلة الحرف والصوت فقلت هذا الذي يحكى عن أحمد وأصحابه ان صوت القارئين ومداد المصاحف قديم أزلي كذب مفتري لم يقل ذلك أحمد ولا أحد من علماء المسلمين

وأخرجت كراسا وفيه ما ذكره أبو بكر الخلال في كتاب السنة عن الامام أحمد وما جمعه صاحبه أبو بكر المروزي من كلام أحمد وكلام أئمة زمانه في أن من قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي ومن قال غير مخلوق فهو مبتدع قلت فكيف بمن يقول لفظي أزلي فكيف بمن يقول صوتي قديم

فقال المنازع انه انتسب الي احمد أناس من الحشويه والمشبهة ونحو هذا الكلام

فقلت المشبهة والمجسمة في غير أصحاب الامام أحمد أكثر منهم فيهم فهؤلاء أصناف الاكراد كلهم شافعيه وفيهم من التشبيه والتجسيم مالا يوجد في صنف آخر وأهل جيلان فيهم شافعية وحنبليه وأما الحنبلية المحضة فليس فيهم من ذلك ما في غيرهم والكرامية المجسمة كلهم حنفية

وقلت له من في أصحابنا حشوى بالمعني الذي تريده الأثرم. أبو داود. المروزى. الخلال. أبو بكر بن عبد العزيز. أبو الحسن التميمي. ابن حامد. القاضى أبو يعلي. أبو الخطاب. ابن عقيل.

ورفعت صوتي وقلت سمهم قل لى من هم

أبكذب ابن الخطيب وافترائه على الناس في مذاهبهم تبطل الشريعة وتندرس معالم الدين كما نقل هو وغيره عنهم انهم يقولون القرآن القديم هو أصوات القارئين ومداد الكاتبين وان الصوت والمداد قديم أزلى

من قال هذا وفى أى كتاب وجد عنهم هذا قل لى وكما نقل عنهم ان الله لا يرى في الآخرة باللزوم الذي ادعاه والمقدمة التي نقلها عنهم

ولما جاءت مسئلة القرآن وانه كلام الله غير مخلوق منه بدا واليه يعود نازع بعضهم في كونه منه بدأ واليه يعود وطلبوا تفسير ذلك فقلت أما هذا القول فهو المأثور والثابت عن السلف مثل ما نقله عمرو بن دينار قال ادركت الناس منذ سبعين سنة يقولون الله الخالق وما سواه مخلوق الا القرآن فانه كلام الله غير مخلوق منه بدا واليه يعود

ومعنى منه بدا أى هو المتكلم به وهو الذى أنزله من لدنه ليس هو كما تقوله الجهمية انه خلق في الهواء أو غيره وبدأ من غيره

وأما اليه يعود فانه يسرى به في آخر الزمان من المصاحف والصدور فلا يبقى في الصدور منه كلمة ولا في المصاحف منه حرف ووافق على ذلك غالب الحاضرين

وقلت هكذا قال النبي صلى الله عليه وسلم ما تقرب العباد الى الله بمثل ما خرج منه يعني القرآن وقال خباب بن الارت يا هناه تقرب الى الله بما استطعت فلن يتقرب الي الله بشيء أحب اليه مما خرج منه

وقلت وان الله تكلم به حقيقة وان هذا القرآن الذى أنزله الله على محمد صلى الله عليه وسلم هو كلام الله حقيقة لا كلام غيره ولا يجوز اطلاق القول بانه حكاية عن كلام الله أو عبارة بل اذا قرأ الناس القرآن أو كتبوه في المصاحف لم يخرج بذلك عن ان يكون كلام الله فان الكلام انما يضاف حقيقة الى من قاله مبتدئا لا الى من قاله مبلغا مؤديا فامتعض بعضهم من اثبات كونه كلام الله حقيقة بعد تسليمه أن الله تكلم به حقيقة ثم انه سلم ذلك لما بين له أن المجاز يصح نفيه وهذا لا يصح نفيه وان أقوال

المتقدمين المأثورة عنهم وشعر الشعراء المضاف إليهم هو كلامهم حقيقة ولما ذكر فيها أن الكلام إنما يضاف حقيقة إلى من قاله مبتدئا لا إلى من قاله مبلغا استحسنوا هذا الكلام وعظموه

وذكرت ما أجمع عليه سلف الأمة من أنه سبحانه فوق العرش وأنه معنا حق على حقيقته لا يحتاج إلى تحريف ولكن يصان عن الظنون الكاذبة وليس معنى قوله وهو معكم أينما كنتم أنه مختلط بالخلق فإن هذا لا توجبه اللغة وهو خلاف ما أجمع عليه سلف الأمة وخلاف ما فطر الله عليه الخلق بل القمر آية من آيات الله من أصغر مخلوقاته وهو موضوع في السماء وهو مع المسافر أينما كان

ولما ذكرت أن جميع أسماء الله التي يسمى بها المخلوق كلفظ الوجود الذي هو مقول بالحقيقة على الواجب والممكن تنازع كثيرا في هل هو مقول بالاشتراك أو بالتواطئ فقال أحدهما هو متواطئ وقال آخر هو مشترك لئلا يلزم التركيب وقال هذا قد ذكر فخر الدين أن هذا النزاع مبني على أن وجوده هل هو عين ماهيته أم لا فمن قال أن وجود كل شيء عين ماهيته قال إنه مقول بالاشتراك ومن قال أن وجوده قدر زائد على ماهيته قال أنه مقول بالتواطؤ فأخذ الأول يرجح قول من يقول أن الوجود زائد على الماهية لينصر أنه مقول بالتواطؤ فقال الثاني مذهب الأشعري وأهل السنة أن وجوده عين ماهيته فأنكر الأول ذلك

فقلت أما متكلموا أهل السنة فعندهم أن وجود كل شيء عين ماهيته وأما القول الآخر فهو قول المعتزلة أن وجود كل شيء قدر

زائد على ماهيته وكل منهما أصاب من وجه فإن الصواب ان هذه الاسماء مقولة بالتواطؤ كما قد قررته في غير هذا الموضع وأما بناء ذلك على كون وجود الشيء عين ماهيته أو ليس فهو من الغلط المضاف الي ابن الخطيب فانا وان قلنا ان وجود الشيء عين ماهيته لايجب أن يكون الاسم مقولا عليه وعلى نظيره بالاشتراك اللفظي فقط كما في جميع أسماء الاجناس فان اسم السواد مقول على هذا السواد وهذا السواد بالتوطؤ وليس عين هذا السواد هو عين هذا السواد اذ الاسم دال على القدر المشترك بينهما وهو المطلق الكلي لكنه لا يوجد مطلقا بشرط الاطلاق الا في الذهن ولا يلزم من ذلك نفي القدر المشترك بين الاعيان الموجودة في الخارج فانه على ذلك تنتفي الاسماء المتواطئة وهي جمهور الاسماء الموجودة في اللغات وهي أسماء الاجناس اللغوية وهو الاسم المعلق على الشيء وما أشبهه سواء كان اسم عين أو اسم صفة جامدا أو مشتقا وسواء كان جنسا منطقيا أو فقهيا أو لم يكن بل اسم الجنس في اللغة تدخل فيه الاجناس والاصناف والانواع ونحو ذلك وكلها أسماء متواطئة وأعيان مسمياتها في الخارج متميزة هذا آخر بعض ماعلقه الشيخ فيما يتعلق بالمناظرة بحضرة نائب السلطنة والقضاة والفقهاء وغيرهم قال الحافظ الذهبي ثم وقع الاتفاق على ان هذا معتقد سلفي جيد

تمت الرسالة العاشرة

و يليها الرسالة الحادية عشر له أيضا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(ماقول السادة العلماء أئمة الدين أحسن الله اليهم أجمعين)

في آيات الصفات كقوله تعالى الرحمن على العرش استوى وقوله ثم استوى الى السماء الى غير ذلك من الآيات وأحاديث الصفات أيضاً كقوله صلى الله عليه وسلم ان قلوب بني آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن وقوله يضع الجبار قدمه في النار الى غير ذلك وما قال العلماء فيه وابسطوا القول في ذلك مأجورين ان شاء الله تعالى

فأجاب سيدنا شيخ الاسلام تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية رضي الله عنه وأرضاه

الحمد لله رب العالمين * قولنا فيها ماقاله الله ورسوله والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان وما قاله أئمة الهدى بعد هؤلاء الذين أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم وهذا هو الواجب على جميع الخلق في هذا الباب وفي غيره فان الله سبحانه وتعالى بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ليخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد وشهد له بأنه بعثه داعياً اليه باذنه وأمره أن يقول هذه سبيلي ادعو الي الله على بصيرة أنا ومن اتبعني ومن المحال في العقل والدين أن يكون السراج المنير الذي أخرج به الناس من الظلمات الى النور وأنزل معه الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وأمر الناس أن يردوا ماتنازعوا فيه من دينهم الى مابعث به من الكتاب والحكمة وهو يدعو الى الله والى

سبيله بادنه على بصيرة وقد أخبره الله بأنه أكمل له ولأمته دينهم وأتم عليهم نعمته محال مع هذا وغيره أن يكون قد ترك باب الإيمان بالله والعلم به ملتبساً مشتبهاً ولم يميز ما يجب لله من الأسماء الحسنى والصفات العليا وما يجوز عليه وما يمتنع عليه فإن معرفة هذا أصل الدين وأساس الهداية وأفضل وأوجب ما اكتسبته القلوب وحصلته النفوس وأدركته العقول فكيف يكون ذلك الكتاب وذلك الرسول وأفضل خلق الله بعد النبيين لم يحكموا هذا الباب اعتقاداً وقولا ومن المحال أيضاً أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم قد علم أمته كل شيء حتى الخراءة وقال تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك وقال فيما صح عنه أيضاً ما بعث الله من نبي إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم وينهاهم عن شر ما يعلمه لهم وقال أبو ذر لقد توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وما طائر يقلب جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علماً وقال عمر بن الخطاب قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاماً فذكر بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه رواه البخاري ومحال مع تعليمهم كل شيء لهم فيه منفعة في الدين وإن دقت أن يترك تعليمهم ما يقولونه بألسنتهم وقلوبهم في ربهم ومعبودهم ورب العالمين الذي معرفته غاية المعارف وعبادته أشرف المقاصد والوصول إليه غاية المطالب بل هذا خلاصة الدعوة النبوية وزبدة الرسالة الإلهية فكيف يتوهم من في قلبه أدنى مسكة من إيمان وحكمة أن لا يكون بيان هذا الباب قد وقع من الرسول على غاية التمام ثم إذا

كان قد وقع ذلك منه فمن المحال ان خير أمة وأفضل قرونها قصروا في هذا الباب زائدين فيه أو ناقصين عنه

ثم من المحال أيضاً ان تكون القرون الفاضلة القرن الذي بعث فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم كانوا غير عالمين وقائلين في هذا الباب بغير الحق المبين لان ضد ذلك اما عدم العلم والقول واما اعتقاد نقيض الحق وقول خلاف الصدق وكلاهما ممتنع

أما الاول فلان من في قلبه أدنى حياة وطلب للعلم أو نهمة في العبادة يكون البحث عن هذا الباب والسؤال عنه ومعرفة الحق فيه أكبر مقاصده وأعظم مطالبه وليست النفوس الصحيحة الى شيء اشوق منها الى معرفة هذا الامر وهذا أمر معلوم بالفطرة لوجدة فكيف يتصور مع قيام هذا المقتضي الذي هو من أقوى المقتضيات أن يتخلف عنه مقتضاه في أولئك السادة في مجموع عصورهم هذا لا يكاد يقع في أبلد الخلق وأشدهم اعراضاً عن الله وأعظمهم اكبابا على طلب الدنيا والغفلة عن ذكر الله فكيف يقع في أولئك

وأما كونهم كانوا فيه معتقدين غير الحق أو قائليه فهذا لا يعتقده مسلم ولا عاقل عرف حال القوم

ثم الكلام في هذا الباب عنهم أكثر من أن يمكن سطره في هذه الفتوى أو أضعافها يعرف ذلك من طلبه وتتبعه ولا يجوز أيضاً أن يكون الخالفون أعلم بالله من السالفين كما قد يقوله بعض الاغبياء ممن لم يقدر قدر السلف بل ولا عرف الله ورسوله والمؤمنين به حقيقة المعرفة

المأمور بها من أن طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم أو أحكم فإن هذا القول إذا تدبره الإنسان وجده في غاية الجهالة بل في غاية الضلالة كيف يكون هؤلاء المتأخرون لا سيما والإشارة بالخلف إلى ضرب من المتكلمين الذين كثر في باب الدين اضطرابهم وغلظ عن معرفة الله حجابهم وأخبر الواقف على نهاية إقدامهم بما انتهى إليه من مرامهم حيث يقول

لعمري لقد طفت المعاهد كلها * وسيرت طرفي بين تلك المعالم

فلم أر إلا واضعاً كف حائر * على ذقن أو قارعاً سن نادم

وأقروا على أنفسهم بما قالوه متمثلين به أو منشئين له فيما صنفوه من كتبهم مثل قول بعض رؤسائهم

نهاية إقدام العقول عقال * وأكثر سعي العالمين ضلال

وأرواحنا في وحشة من جسومنا * وحاصل دنيانا أذى ووبال

ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا * سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

ويقول الآخر منهم لقد خضت البحر الخضم وتركت أهل الإسلام وعلومهم وخضت في الذي نهوني عنه والآن إن لم يتداركني ربي برحمته فالويل لفلان وها أنا ذا أموت على عقيدة أمي

ويقول الآخر منهم أكثر الناس شكاً عند الموت أصحاب الكلام ثم إذا حقق عليهم الأمر لم يوجد عندهم من حقيقة العلم بالله وخالص المعرفة به خبر ولا وقعوا من ذلك على عين ولا أثر كيف يكون هؤلاء المنقوصون المحجوبون المفضولون المسبوقون الحيارى المتهوكون أعلم بالله

وبيانه من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان من ورثة الأنبياء وخلفاء الرسل وأعلام الهدى ومصابيح الدجى الذين بهم قام الكتاب وبه قاموا وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا الذين وهبهم الله من العلم والحكمة ما برزوا به على سائر أتباع الأنبياء وأحاطوا من حقائق المعارف وبواطن الحقائق بما لو جمعت حكمة غيرهم إليها لاستحيا من يطلب المقابلة ثم كيف يكون خير قرون الأمة أنقص في العلم والحكمة لاسيما العلم بالله وأحكام أسمائه وآياته من هؤلاء الأصاغر بالنسبة إليهم أم كيف يكون أفراخ المتفلسفة وأتباع الهند واليونان أعلم بالله من ورثة الأنبياء وأهل القرآن والإيمان وإنما قدمت هذه المقدمة لأن من استقرت هذه المقدمة عنده علم طريق الهدى أين هو في هذا الباب وغيره وعلم أن الضلال والتهوك إنما استولى على كثير من المتأخرين بنبذهم كتاب الله وراء ظهورهم وإعراضهم عما بعث الله به محمداً صلى الله عليه وسلم من البينات والهدى وتركهم البحث عن طريق السابقين والتابعين والتماسهم علم معرفة الله ممن لم يعرف الله بإقراره على نفسه وبشهادة الأمة على ذلك وبدلالات كثيرة

وليس غرضي واحداً معيناً وإنما أصف نوع هؤلاء ونوع هؤلاء وإذا كان كذلك فهذا كتاب الله من أوله إلى آخره وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم من أولها إلى آخرها ثم عامة كلام الصحابة والتابعين ثم كلام سائر الأئمة مملوء بما هو إما نص وإما ظاهر في أن الله سبحانه وتعالى فوق كل شيء وعلى كل شيء وأنه فوق العرش وأنه فوق السماء مثل

قوله اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه اني متوفيك ورافعك الى أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الارض أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصباً بل رفعه الله اليه تعرج الملائكة والروح اليه يخافون ربهم من فوقهم ثم استوى على العرش في ستة مواضع الرحمن على العرش استوى ياهامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الاسباب أسباب السموات فاطلع الى اله موسى واني لأظنه كاذبا تنزيل من حكيم حميد منزل من ربك الى أمثال ذلك مما لا يكاد يحصى الا بكلفة

وفي الاحاديث الصحاح والحسان مالا يحصى مثل قصة معراج الرسول صلى الله عليه وسلم الى ربه ونزول الملائكة من عند الله وصعودها اليه وقوله في الملائكة الذين يتعاقبون بالليل والنهار فيعرج الذين باتوا فيكم الى ربهم فيسألهم وهو أعلم بهم وفي الصحيح في حديث الخوارج ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء يأتيني خبر السماء صباحا ومساء وفي حديث الرقية الذي رواه أبو داود وغيره ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك أمرك في السماء والارض كما رحمتك في السماء اجعل رحمتك في الارض اغفر لنا حوبنا وخطايانا انت رب الطيبين أنزل رحمة من رحمتك وشفاء من شفائك على هذا الوجع وقال صلى الله عليه وسلم اذا اشتكى أحدكم أو اشتكى أخ من حوبه فليقل ربنا الله الذي في السماء وذكره وقوله في حديث الاوعال والعرش فوق ذلك والله فوق عرشه وهو يعلم ما أنتم عليه وقوله في حديث قبض الروح حتى يعرج بها الى السماء التي فيها الله

وقول عبد الله بن رواحة الذي أنشده النبي صلى الله عليه وسلم وأقره عليه

شهدت أن وعد الله حق * وأن النار مثوى الكافرينا
وأن العرش فوق الماء طاف * وفوق العرش رب العالمينا

وقول أمية بن أبي الصلت الثقفي الذي أنشده النبي صلى الله عليه وسلم هو وغيره من شعره فاستحسنه وقال آمن شعره وكفر قلبه

مجدوا الله فهو للمجد أهل * ربنا في السماء أمسى كبيرا
بالبناء الأعلى الذي سبق النا * س وسوى فوق السماء سريرا
شرجعا ما يناله بصر العين ترى دونه الملائك صورا (١)

الى أمثال ذلك مما لا يحصيه الا الله مما هو من أبلغ المتواترات اللفظية والمعنوية التي تورث علما يقينيا من أبلغ العلوم الضرورية ان الرسول المبلغ عن الله ألقى الى أمته المدعوين أن الله سبحانه على العرش استوى وأنه فوق السما كما فطر الله على ذلك جميع الامم عربهم وعجمهم في جاهليتها والاسلام الا من اجتالته الشياطين عن فطرته

ثم عن السلف في ذلك من الاقوال ما لو جمع لبلغ مئين أو الوفا * ثم ليس في كتاب الله ولا في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن أحد من سلف الامة لا من الصحابة والتابعين ولا عن الائمة الذين أدركوا زمن الاهواء والاختلاف حرف واحد يخالف ذلك لا نصا ولا ظاهرا ولم يقل أحد منهم قط ان الله ليس في السماء ولا انه ليس على العرش ولا انه في كل مكان ولا ان جميع الامكنة بالنسبة اليه سواء ولا انه لا داخل

(١) الشرجع الطويل والصور جمع أصور المائل العنق

العالم ولا خارجه ولا متصل ولا منفصل ولا انه لا تجوز الاشارة الحسية اليه بالاصابع ونحوها بل قد ثبت في الصحيح عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم لما خطب خطبته العظيمة يوم عرفات في أعظم مجمع حضره رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل يقول ألا هل بلغت فيقولون نعم فيرفع أصبعه الى السماء وينكبها اليهم ويقول اللهم أشهد غير مرة وأمثال ذلك كثيرة فلئن كان الحق فيما يقوله هؤلاء السالبون النافون من هذه العبارات ونحوها دون ما يفهم من الكتاب والسنة اما نصا واما ظاهرا كيف يجوز على الله ثم على رسوله ثم على خير الامة انهم يتكلمون دائما بما هو نص أو ظاهر في خلاف الحق ثم الحق الذي يجب اعتقاده لا يبوحون به قط ولا يدلون عليه لا نصا ولا ظاهرا حتى يجيء انباط الفرس والروم وفروخ اليهود والفلاسفة يبينون للامة العقيدة الصحيحة التي تجب على كل مكلف أو كل فاضل أن يعتقدها * لئن كان ما يقوله هؤلاء المتكلمون المتكلفون هو الاعتقاد الواجب وهم مع ذلك أحيلوا في معرفته على مجرد عقولهم وان يدفعوا بمقتضى قياس عقولهم ما دل عليه الكتاب والسنة ظاهرا لقد كان ترك الناس بلا كتاب ولا سنة أهدى لهم وأنفع على هذا التقدير بل كان وجود الكتاب والسنة ضررا محضا في أصل الدين فان حقيقة الامر على ما يقوله هؤلاء انكم يا معشر العباد لا تطلبوا معرفة الله ولا ما يستحقه من الصفات نفيا واثباتا لا من الكتاب ولا من السنة ولا من طريق سلف الامة ولكن انظروا أنتم فما وجدتموه مستحقا له من الصفات فصفوه به سواء كان موجودا في

الكتاب والسنة أو لم تكن ومالم تحدود من حدها له في عقولكم فلا تصفوه * ثم هم هنا فريقان أكثرهم يقولون مالم تثبته عقولكم فانفوه ومنهم من يقول بل توقفوا فيه ومانفاه قياس عقولكم الذي أنتم فيه مختلفون ومضطربون اختلافا أكثر من جميع اختلاف على وجه الارض فانفوه وإليه عند التنازع فارجعوا فانه الحق الذي تعبدتكم به وما كان مذكورا في الكتاب والسنة مما يخالف قياسكم هذا أو يثبت مالم تدركه عقولكم على طريقة أكثرهم فاعلموا انى امتحنتكم بتنزيله لا لتأخذوا الهدي منه لكن لتجتهدوا في تخريجه على شواذ اللغة ووحشي الالفاظ وغرائب الكلام أو أن تسكتوا عنه مفوضين علمه الى الله

هذا حقيقة الامر على رأى المتكلمين وهذا الكلام قد رأيته صرح بمعناه طائفة منهم وهو لازم لجماعتهم لزوما لامحيد عنه ومضمونه أن كتاب الله لا يهتدى به في معرفة الله وأن رسول الله معزول عن التعليم والاخبار بصفات من أرسله وأن الناس عند التنازع لا يردون ما تنازعوا فيه الى الله والرسول بل الى مثل ما كانوا عليه في الجاهلية والى مثل ما يتحاكم اليه من لا يؤمن بالانبياء كالبراهمة والفلاسفة وهم المشركون والمجوس وبعض الصابئين وان كان هذا الرد لا يزيد الامر الا شدة ولا يرتفع به الخلاف اذ لكل فريق طواغيت يريدون ان يتحاكموا اليهم وقد أمروا أن يكفروا بهم وما أشبه حال هؤلاء المتكلمين بقوله سبحانه ألم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد

الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاؤوك يحلفون بالله إن أردنا إلا إحسانا وتوفيقا، فإن هؤلاء إذا دعوا إلى ما أنزل الله من الكتاب وإلى الرسول والدعاء إليه بعد وفاته هو الدعاء إلى سنته أعرضوا عن ذلك وهم يقولون إنا قصدنا الإحسان علما وعملا بهذه الطريق التي سلكناها والتوفيق بين الدلائل العقلية والنقلية

ثم عامة هذه السلبيات التي يسمونها دلائل إنما تقلدوا أكثرها عن طاغوت من طواغيت المشركين والصابئين أو بعض ورثتهم الذين أمروا أن يكفروا بهم مثل فلان وفلان فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه

ولازم هذه المقالة أن لا يكون الكتاب هدى للناس ولا بيانا ولا شفاء لما في الصدور ولا نورا ولا مردا عند التنازع لأنا نعلم بالاضطرار أن ما يقوله هؤلاء المتكلفون إنه الحق الذي يجب اعتقاده لم يدل عليه الكتاب والسنة لا نصا ولا ظاهرا وإنما غاية المتحذلق أن يستنتج هذا من قوله ولم يكن له كفوا أحد هل تعلم له سميا وبالاضطرار يعلم كل عاقل

ان من دل الخلق على ان الله ليس على العرش ولا فوق السموات ونحو ذلك بقوله هل تعلم له سميا لقد أبعد النجعة، وهو اما ماهر أو مدلس لم يخاطبهم بلسان عربي مبين

ولازم هذه المقالة أن يكون ترك الناس بلا رسالة خيرا لهم في أصل دينهم لان مردهم قبل الرسالة وبعدها واحد وانما الرسالة زادتهم عمى وضلالا فسبحان الله كيف لم يقل الرسول يوما من الدهر ولا أحد من سلف الامة هذه الآيات والاحاديث لا تعتقدوا ما دلت عليه ولكن اعتقدوا الذي تقتضيه مقاييسكم أو اعتقدوا كذا وكذا فانه الحق وما خالفه ظاهره فلا تعتقدوا ظاهره أو انظروا فيها فما وافق قياس عقولكم فاعتقدوه وما لا يوافقه فتوقفوا فيه أو انفوه

ثم الرسول صلى الله عليه وسلم قد أخبر ان أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة فقد علم ما سيكون ثم قال اني تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله

وروى عنه انه قال في صفة الفرقة الناجية هو من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي فهلا قال من تمسك بظاهر القرآن في باب الاعتقاد فهو ضال وانما الهدى رجوعكم الى مقاييس عقولكم وما يحدثه المتكلمون منكم بعد القرون الثلاثة وان كان قد نبغ أصلها في أواخر عصر التابعين

ثم أصل هذه المقالة انها هو مأخوذ عن تلامذة اليهود والمشركين وضلال الصابئين فان أول من حفظ عنه انه قال هذه المقالة أعني ان

الله ليس على العرش حقيقة وانما استوى استولى ونحو ذلك أول ظهرت هذه المقالة من جعد بن درهم وأخذها عنه الجهم بن صفوان وأظهرها فنسبت مقالة الجهمية اليه والجعد أخذ مقالته عن ابان بن سمعان وأخذها أبان من طالوت ابن أخت لبيد بن أعصم وأخذها طالوت من لبيد بن اعصم اليهودي الساحر الذى سحر النبي صلى الله عليه وسلم وكان الجعد هذا فيما قيل من أهل حران وكان فيهم خلق كثير من الصابئة والفلاسفة بقايا أهل دين النمرود والكنعانيين الذين صنف بعض المتأخرين فى سحرهم وكانوا يعبدون الكواكب ويبنون لها الهياكل ومذهبهم في الرب انه ليس له الا صفات سلبية أو اضافية أو مركبة منهما وهم الذين بعث ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم اليهم فيكون الجعد قد أخذها عن الصابئة الفلاسفة وأخذها الجهم أيضاً فيما ذكره الامام أحمد وغيره من السمنية بعض فلاسفة الهند وهم الذين يجحدون من العلوم ماسوى الحسيات فهذه أسانيد الجهم ترجع الى اليهود والصابئين والمشركين والفلاسفة الضالون هم اما من الصابئين واما من المشركين

ثم لما عربت الكتب الرومية في حدود المائة الثانية زاد البلاء مع ماألقى الشيطان فى قلوب الضلال ابتداء من جنس ماألقاه فى قلوب أشباههم ولما كان فى حدود المائة الثانية انتشرت هذه المقالة التي كان السلف يسمونها مقالة الجهمية بسبب بشر بن غياث المريسى وطبقته وكلام الائمة مثل مالك رضى الله عنه وسفيان بن عيينة وأبى يوسف

والشافعي وأحمد واسحاق والفضيل بن عياض وبشر الحافي وغيرهم في بشر المريسي هذا كثير في ذمه وتضليله وهذه التأويلات الموجودة اليوم بأيدي الناس مثل أكثر التأويلات التي ذكرها أبو بكر بن فورك في كتاب التأويلات وذكرها أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي في كتابه الذي سماه تأسيس التقديس ويوجد كثير منها في كلام خلق غير هؤلاء مثل أبي علي الجبائي وعبد الجبار بن أحمد الهمداني وأبي الحسين البصري وابن عقيل وأبي حامد الغزالي وغيرهم وهي بعينها التأويلات التي ذكرها بشر المريسي في كتابه وإن كان قد يوجد في كلام بعض هؤلاء رد التأويل وابطاله أيضا ولهم كلام حسن في أشياء فانما بينت أن عين تأويلاتهم هي عين تأويلات المريسي ويدل على ذلك كتاب الرد الذي صنفه عثمان بن سعيد الدارمي أحد الأئمة المشاهير في زمن البخاري صنف كتابا سماه نقض عثمان بن سعيد على الكاذب العنيد فيما افترى على الله في التوحيد

حكى فيه هذه التأويلات بأعيانها عن بشر المريسي بكلام يقتضي أن المريسي أقعد بها وأعلم بالمعقول والمنقول من هؤلاء المتأخرين الذين اتصلت اليهم من جهته ثم ردها عثمان بن سعيد بكلام اذا طالعه العاقل الذكي علم حقيقة ما كان عليه السلف وتبين له ظهور الحجة لطريقهم وضعف حجة من خالفهم

ثم اذا رأى الأئمة أئمة الهدى قد أجمعوا على ذم المريسية وأكثرهم كفروهم أو ضللوهم وعلم أن هذا القول السارى في هؤلاء المتأخرين

هو مذهب المريسي تبين الهدى لمن يريد الله هدايته ولا حول ولا قوة الا بالله والفتوى لا تحتمل البسط في هذا الباب وانما أشير اشارة الى مبادئ الأمور والعاقل يسير فينظر وكلام السلف في هذا الباب موجود في كتب كثيرة لا يمكن ان نذكر هنا الا قليلا منه مثل كتاب السنن اللالكائي والابانة لابن بطه والسنة لابى ذر الهروى والاسماء والصفات للبيهقي وقبل ذلك السنة للطبراني ولابي الشيخ الاصبهاني وقبل ذلك السنة للخلال والتوحيد لابن خزيمة وكلام أبي العباس بن سريج والرد على الجهمية لجماعة وقبل ذلك السنة لعبد الله بن أحمد وكلام عبد العزيز المكي صاحب الحيدة في الرد على الجهمية وكلام الامام أحمد بن حنبل واسحاق بن راهويه وأشياء كثيرة

وعندنا من الدلائل السمعية والعقلية مالا يتسع هذا الموضع لذكره وأنا أعلم ان المتكلمين لهم شبهات موجودة لكن لا يمكن ذكرها في الفتوى فمن نظر فيها وأراد ابانة ما ذكروه من الشبه فانه يسير واذا كان أصل هذه المقالة مقالة التعطيل والتأويل مأخوذا عن تلامذة المشركين والصابئين واليهود فكيف تطيب نفس مؤمن بل نفس عاقل ان يأخذ سبيل هؤلاء المغضوب عليهم والضالين ويدع سبيل الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين

ثم القول الشامل في جميع هذا الباب أن يوصف الله بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله وبما وصفه به السابقون الاولون لا يتجاوز القرآن والحديث

قال الامام أحمد رضي الله عنه لا يوصف الله الا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله لا يتجاوز القرآن والحديث ونعلم ان ما وصف الله به من ذلك فهو حق ليس فيه لغز ولا أحاجي بل معناه يعرف من حيث يعرف مقصود المتكلم بكلامه وهو سبحانه مع ذلك ليس كمثله شيء في نفسه المقدسة المذكورة باسمائه وصفاته ولا في افعاله فكما نتيقن ان الله سبحانه له ذات حقيقة وله أفعال حقيقة فكذلك له صفات حقيقة وهو ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله وكل ما أوجب نقصا أو حدوثا فان الله منزه عنه حقيقة وانه سبحانه مستحق للكمال الذي لا غاية فوقه وممتنع عليه الحدوث لامتناع العدم عليه واستلزام الحدوث سابقة العدم ولافتقار المحدث الى محدث ولوجوب وجوده بنفسه سبحانه وتعالى

ومذهب السلف بين التعطيل وبين التمثيل فلا يمثلون صفات الله بصفات خلقه كما لا يمثلون ذاته بذات خلقه ولا ينفون عنه ما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله فيعطلون أسماءه الحسنى وصفاته العليا ويحرفون الكلم عن مواضعه ويلحدون في أسماء الله وآياته وكل واحد من فريقي التعطيل والتمثيل فهو جامع بين التعطيل والتمثيل

أما المعطلون فانهم لم يفهموا من أسماء الله وصفاته الا ما هو اللائق بالمخلوق ثم شرعوا في نفي تلك المفهومات فقد جمعوا بين التمثيل والتعطيل مثلوا أولا وعطلوا آخرا وهذا تشبيه وتمثيل منهم للمفهوم من أسمائه وصفاته بالمفهوم من أسماء خلقه وصفاتهم وتعطيل لما

نفسه هو سبحانه من الاسماء والصفات اللائقة بالله سبحانه وتعالى فانه اذا قال القائل لو كان الله فوق العرش للزم اما أن يكون أكبر من العرش أو أصغر أو مساويا وكل ذلك محال ونحو ذلك من الكلام فانه لم يفهم من كون الله على العرش الا ما يثبت لاي جسم كان على أى جسم كان وهذا اللازم تابع لهذا المفهوم أما استواء يليق بجلال الله ويختص به فلا يلزمه شئ من اللوازم الثلاثة كما يلزم سائر الاجسام وصار هذا مثل قول الممثل اذا كان للعالم صانع فاما أن يكون جوهرا أو عرضا اذ لا يعقل موجود الا هذان أو قوله اذا كان مستويا على العرش فهو مماثل لاستواء الانسان على السرير أو الفلك اذ لا يعلم الاستواء الا هكذا فان كلاهما مثل وكلاهما عطل حقيقة ما وصف الله به نفسه وامتاز الاول بتعطيل كل مسمى للاستواء الحقيقي وامتاز الثاني باثبات استواء هو من خصائص المخلوقين

والقول الفاصل هو ما عليه الامة الوسط من ان الله مستو على عرشه استواء يليق بجلاله ويختص به فكما انه موصوف بانه بكل شئ عليم وعلى كل شئ قدير وانه سميع بصير ونحو ذلك ولا يجوز ان يثبت للعلم والقدرة خصائص الاعراض التي لعلم المخلوقين وقدرهم

فكذلك هو سبحانه فوق العرش ولا يثبت لفوقيته خصائص فوقية المخلوق على المخلوق ولوازمها

واعلم انه ليس في العقل الصريح ولا في النقل الصحيح ما يوجب مخالفة الطريقة السلفية أصلا لكن هذا الموضع لا يتسع لجواب عن

الشبهات الواردة عن الحق فمن كان في قلبه شبهه وأحب حلها فذلك سهل يسير

ثم المخالفون للكتاب والسنة وسلف الامة من المتأولين هذا الباب في أمر مريج فان من ينكر الرؤية يزعم ان العقل يحيلها وانه مضطر فيها الى التأويل ومن يحيل ان لله علما وقدرة وأن يكون كلامه غير مخلوق ونحو ذلك يقول ان العقل أحال ذلك فاضطر الى التأويل بل من ينكر حقيقة حشر الاجساد والاكل والشرب الحقيقي في الجنة يزعم أن العقل أحال ذلك وأنه مضطر الى التأويل ومن يزعم أن الله ليس فوق العرش يزعم ان العقل أحال ذلك وانه مضطر الى التأويل

ويكفيك دليلا على فساد قول هؤلاء أنه ليس لواحد منهم قاعدة مستمرة فيما يحيله العقل بل منهم من يزعم أن العقل جوز أو أوجب مايدعي الآخر أن العقل أحاله

فياليت شعري بأي عقل يوزن الكتاب والسنة فرضي الله عن مالك ابن أنس الامام حيث قال أوكلما جاءنا رجل أجدل من رجل تركنا ماجاء به جبريل الى محمد صلى الله عليه وسلم لجدل هذا وكل من هؤلاء مخصوم بمثل ماخصم به الآخر وهو من وجوه

أحدها بيان أن العقل لايحيل ذلك والثاني أن النصوص الواردة لاتحتمل التأويل الثالث ان عامة هذه الامور قد علم أن الرسول جاء بها بالاضطرار كما أنه جاء بالصلوات الخمس وصوم شهر رمضان فالتأويل الذي يحيلها

عن هذا بمنزلة تأويلات القرامطة والباطنية في الحج والصوم والصلاة وسائر ما جاءت به النبوات على ان الاساطين من هؤلاء الفحول معترفون بان العقل لا سبيل له الى اليقين في عامة المطالب الالهيـة واذا كان هكذا فالواجب تلقي عـلم ذلك من النبوات على ماهو عليـه ونحن نذكر من ألفاظ السلف باعيانها وألفاظ من نقل مذهبهـم بحسب مايحتمله هـذا الموضع ماتعلم به مذهبهم

روى أبو بكر البيهقي في الاسماء والصفات باسناد صحيح عن الاوزاعي قال كنا والتابعون متوافرون نقول ان الله تعـالى ذكره فوق عرشه ونؤمن بما وردت السـنة به من صفاته فقد حكى الاوزاعي وهو أحد الائمة الاربعة في عصر تابعي التابعين الذين هم مالك امام أهل الحجاز والاوزاعي امام أهل الشام والليث امام أهل مصر والثوري امام أهل العراق حكى شهرة القول في زمن التابعين بالايمان بأن الله فوق العرش وصـفاته السمعية وانما قال الاوزاعي هـذا بعد ظهور مذهب جهم المنكر لكون الله فوق عرشه والنافي لصفاته ليعرف الناس أن مذهب السلف كان بخلاف هذا

وروى أبو بكر الخلال في كتاب السنة عن الاوزاعي قال سـئل مكحول والزهري عن تفسير الاحاديث فقالا أمروها كما جاءت

وروي أيضاً عن الوليد بن مسلم قال سألت مالك بن أنس وسفيان الثوري والليث بن سعد والاوزاعي عن الاخبار التي جاءت في الصفات فقالوا أمروها كما جاءت وفي رواية فقالوا أمروها كما جاءت بلا كيف

فقولهم رضي الله عنهم أمروها كما جاءت رد على المعطلة وقولهم بلا كيف رد على الممثلة والزهري ومكحول هما أعلم التابعين في زمانهم والاربعة الباقون أئمة الدنيا في عصر تابعي التابعين ومن طبقتهم حماد بن زيد وحماد ابن سلمة وأمثالهما

روى أبو القاسم الازجي باسناده عن ابن مطرف بن عبد الله قال سمعت مالك بن أنس اذا ذكر عنده من يدفع أحاديث الصفات يقول قال عمر بن عبد العزيز سن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأولاة الامر بعده سننا الاخذ بها تصديق بكتاب الله واستكمال لطاعة الله وقوة على دين الله ليس لاحد من خلق الله تغييرها ولا النظر في شيء خالفها من اهتدى بها فهو مهتد ومن استنصر بها فهو منصور ومن خالفها واتبع سبيل غير المؤمنين ولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيراً

وروى الخلال باسناد كلهم أئمة عن سفيان بن عيينة قال سئل ربيعة ابن عبد الرحمن عن قوله الرحمن على العرش استوى كيف استوى قال الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول ومن الله الرسالة وعلى الرسول البلاغ وعلينا التصديق وهذا الكلام مروي عن مالك بن أنس تلميذ ربيعة من غير وجه

منها ما رواه أبو الشيخ الاصبهاني وأبو بكر البيهقي عن يحيي بن يحيي قال كنا عند مالك بن أنس فجاء رجل فقال يا أبا عبد الله الرحمن على العرش استوى كيف استوى فأطرق مالك برأسه حتى علاه الرحضاء

ثم قال الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة وما أراك إلا مبتدعا فأمر به أن يخرج

وروى أبو عبد الله بن بطة في الإبانة بإسناد صحيح عن عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون وهو أحد أئمة المدينة الثلاثة الذين هم مالك وابن الماجشون وابن أبي ذئب وقد سئل فيما جحدت به الجهمية أما بعد فقد فهمت ما سألت فيما تتابعت الجهمية ومن خالفها في صفة الرب العظيم الذي فاقت عظمته الوصف والتدبر وكلت الألسن عن تفسير صفته وانحسرت العقول دون معرفة قدره ردت عظمته العقول فلم تجد مساغا فرجعت خاسئة وهي حسيرة وإنما أمروا بالنظر والتفكر فيما خلق بالتقدير وإنما يقال كيف لمن لم يكن مرة ثم كان فأما الذي لا يحول ولا يزول ولم يزل وليس له مثل فإنه لا يعلم كيف هو إلا هو وكيف يعرف قدر من لم يبدأ ومن لا يموت ولا يبلى وكيف يكون لصفة شيء منه حد أو منتهى يعرفه عارف أو يحد قدره واصف على أنه الحق المبين لا حق أحق منه ولا شيء أبين منه الدليل على عجز العقول عن تحقيق صفته عجزها عن تحقيق صفة أصغر خلقه لا تكاد تراه صغرا يحول ويزول ولا يرى له سمع ولا بصر لما يتقلب به ويحتال من عقله أعضل بك وأخفى عليك مما ظهر من سمعه وبصره فتبارك الله أحسن الخالقين وخالقهم وسيد السادة وربهم ليس كمثله شيء وهو السميع البصير اعرف رحمك الله غناك عن تكلف صفة ما لم يصف الرب من نفسه بعجزك عن معرفة قدر ما وصف منها إذا لم تعرف قدر ما وصف فما تكلفك

علم ما لم يصف هل يستدل بذلك على شيء من طاعته او ينزجر به عن شيء من معصيته

وأما الذي جحد ما وصف الرب من نفسه تعمقا وتكلفا فقد استهوته الشياطين في الارض حيران فصار يستدل بزعمه على جحد ما وصف الرب وسمى من نفسه بأن قال لابد ان كان له كذا من أن يكون له كذا فعمي عن البين بالخفي بجحد ما سمى الرب من نفسه لصمت الرب عما لم يسم منها فلم يزل يملي له الشيطان حتى جحد قول الله عز وجل وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة فقال لايراه أحد يوم القيامة فجحد والله أفضل كرامة الله التي أكرم بها أولياءه يوم القيامة من النظر الى وجهه ونضرته اياهم في مقعد صدق عند مليك مقتدر قد قضى أنهم لايموتون فهم بالنظر ينضرون الى أن قال

وانما جحد رؤية يوم القيامة اقامة للحجة الضالة المضلة لانه قد عرف انه اذا تجلى لهم يوم القيامة رأوا منه ما كانوا به قبل ذلك مؤمنين وكان له جاحدا وقال المسلمون يارسول الله هل نرى ربنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تضارون في رؤية الشمس ليس دونها سحاب قالوا لا قال هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب قالوا لا قال فانكم ترون ربكم يومئذ كذلك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمتلىء النار حتى يضع الجبار فيها قدمه فتقول قط قط وينزوى بعضها الى بعض وقال لثابت بن قيس لقد ضحك الله مما فعلت بضيفك البارحة

وقال فيما بلغنا إن الله ليضحك من أزلكم (١) وقنوطكم وسرعة إجابتكم فقال له رجل من العرب إن ربنا ليضحك قال نعم قال لا نعدم من رب يضحك خيراً في أشباه هذا مما لم نحصه وقال الله تعالى وهو السميع البصير واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا وقال ولتصنع على عيني وقال ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي وقال والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون فوالله ما دلهم على عظم ما وصف من نفسه وما تحيط به قبضته إلا صغر نظيرها منهم عندهم إن ذلك الذي ألقي في روعهم وخلق على معرفة قلوبهم فما وصف الله من نفسه فسماه على لسان رسوله سميناه كما سماه ولم نتكلف منه صفة ما سواه لا هذا ولا هذا لا نجحد ما وصف ولا نتكلف معرفة ما لم يصف

اعلم رحمك الله أن العصمة في الدين أن تنتهي حيث انتهي به ولا تجاوز ما قد حد لك فإن من قوام الدين معرفة المعروف وإنكار المنكر فما بسطت عليه المعرفة وسكنت إليه الأفئدة وذكر أصله في الكتاب والسنة وتوارث علمه الأمة فلا تخافن في ذكره وصفته من ربك ما وصف من نفسه عيباً ولا تتكلفن بما وصف لك من ذلك قدراً وما أنكرته نفسك ولم تجد ذكره في كتاب ربك ولا في الحديث عن نبيك من ذكر صفة ربك فلا تتكلفن علمه بعقلك ولا تصفه بلسانك واصمت عنه كما صمت الرب عنه من نفسه فإن تكلفك معرفة ما لم يصف من نفسه مثل إنكارك ما وصف منها فكما أعظمت ما جحده الجاحدون مما

(١) هكذا روي وفي بعض طرقه من أزلكم والأزل شدة الضيق

وصف من نفسه فكذلك أعظم تكلف ما وصف الواصفون مما لم يصف منها فقد والله عز المسلمون الذين يعرفون المعروف وبمعرفتهم يعرف وينكرون المنكر وبإنكارهم ينكر يسمعون ما وصف الله به نفسه من هذا في كتابه وما يبلغهم مثله عن نبيه فما مرض من ذكر هذا وتسميته من الرب قلب مسلم ولا تكلف صفة قدره ولا تسمية غيره من الرب مؤمن وما ذكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سماه من صفة ربه فهو بمنزلة ما سمي ووصف الرب تعالى من نفسه والراسخون في العلم الواقفون حيث انتهى علمهم الواصفون لربهم بما وصف به من نفسه التاركون لما ترك من ذكرها لا ينكرون صفة ما سمى جحداً ولا يتكلفون وصفه بما لم يسم تعمقا لان الحق ترك ما ترك وتسمية ما سمى فمن يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً وهب الله لنا ولكم حكماً وألحقنا بالصالحين وهذا كله كلام ابن الماجشون الامام

وروى أبو القاسم اللالكائي الحافظ الطبري في كتابه المشهور في أصول السنة باسناده عن محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة قال اتفق الفقهاء كلهم من المشرق الى المغرب على الايمان بالقرآن والاحاديث التي جاء بها الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفة الرب عز وجل من غير تفسير ولا وصف ولا تشبيه فمن فسر اليوم شيأ من ذلك فقد خرج عما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وفارق الجماعة فانهم لم يصفوا ولم يفسروا ولكن أفتوا بما في الكتاب والسنة ثم سكتوا فمن قال بقول جهم فقد فارق الجماعة لانه قد وصفه بصفة لا شيء. محمد بن الحسن

أحمد عن أبي حنيفة ومالك وطبقتهما من العلماء وقد حكى هذا الاجماع وأخبر ان الجهمية تصفه بالأمور السلبية غالبا أو دائما

وروى البيهقي وغيره باسانيد صحيحة عن أبي عبيد القاسم بن سلام قال هذه الأحاديث التي تقول ضحك ربنا من قنوط عباده وقرب خيره وان جهنم لا تمتلئ حتى يضع ربك قدمه فيها والكرسي موضع القدمين وهذه الأحاديث في الرواية هي عندنا حق حملها الثقات بعضهم عن بعض غير أنا اذا سئلنا عن تفسيرها لا نفسرها وما أدركنا أحدا يفسرها

أبو عبيد احد الائمة الاربعة الذين هم الشافعي وأحمد واسحاق وأبو عبيد وله من المعرفة بالفقه واللغة والتأويل ما هو أشهر من أن يوصف وقد كان في الزمان الذي ظهرت فيه الفتن والأهواء وقد أخبر انه ما أدرك أحدا من العلماء يفسرها

وروى اللالكائي والبيهقي عن عبد الله بن المبارك ان رجلا قال له يا أبا عبد الرحمن اني أكره الصفة عنى صفة الرب فقال له عبد الله بن مبارك أنا أشد الناس كراهية لذلك ولكن اذا نطق الكتاب بشيء قلنا به واذا جاءت الآثار بشيء جسرنا عليه ونحو هذا أراد ابن المبارك انه يكره أن نبتدئ بوصف الله من تلقاء أنفسنا حتى يجيء به الكتاب والآثار

وروى عبد الله بن أحمد وغيره باسانيد صحاح عن ابن المبارك انه قيل له بماذا نعرف ربنا قال بأنه فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه ولا

يقول كما تقول الجهمية انه ههنا في الارض وهكذا قال الامام أحمد وغيره وباسناد صحيح عن سليمان بن حرب الامام سمعت حماد بن زيد وذكر هؤلاء الجهمية فقال انما يحاولون أن يقولوا ليس في السماء شئ

وروى ابن أبي حاتم عن سعيد بن عامر الضبعي امام أهل البصرة علما ودينا من شيوخ أحمد انه ذكر عنده الجهمية فقال هم شر قولا من اليهود والنصاري وقد اجتمع اليهود والنصارى وأهل الاديان مع المسلمين على أن الله على العرش وقالوا هم ليس عليه شئ

وقال محمد بن اسحاق بن خزيمة امام الائمة من لم يقل ان الله فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه وجب أن يستتاب فان تاب والا ضربت عنقه ثم ألقى على مزبلة لئلا يتأذى بنتن ريحه أهل القبلة ولا أهل الذمة

وروى عبد الله بن أحمد عن عباد بن العوام الواسطي من طبقة شيوخ الشافعي وأحمد قال كلمت بشرا المريسي وأصحاب بشر فرأيت آخر كلامهم ينتهي أن يقولوا ليس في السماء شئ

وعن عبد الرحمن بن مهدي الامام المشهور انه قال ليس في أصحاب الاهواء شر من أصحاب جهم يدورون على أن يقولوا ليس في السماء شئ أرى والله أن لا يناكحوا ولا يوارثوا

وروى عبد الرحمن بن أبي حاتم في كتاب الرد على الجهمية عن عبد الرحمن بن مهدي قال أصحاب جهم يريدون أن يقولوا ليس في السماء شئ وان الله ليس على العرش أرى أن يستتابوا فان تابوا والا قتلوا

وعن الاصمعي قال قدمت امرأة جهم فنزلت الدباغين فقال رجل عندها الله على عرشه فقالت محدود على محدود فقال الاصمعي كافرة بهذه المقالة

وعن عاصم بن علي بن عاصم شيخ أحمد والبخاري وطبقتهما قال ناظرت جهميا فتبين من كلامه الا انه لا يؤمن أن في السماء ربا

وروي الامام أحمد قال أنا شريح بن النعمان قال سمعت عبدالله ابن نافع الصائغ قال سمعت مالك بن أنس يقول الله في السماء وعلمه في كل مكان لايخلو من علمه مكان

وقال الشافعي رضي الله عنه خلافة أبي بكر حق قضاها الله في سمائه وجمع عليه قلوب عباده

وفي الصحيح عن أنس بن مالك قال كانت زينب تفتخر على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم تقول زوجكن أهاليكن وزوجني الله من فوق سبع سموات وهذا مثل قول الشافعي وقصة أبي يوسف صاحب أبي حنيفة مشهورة في استتابة بشر المريسي حتى هرب منه لما أنكر أن يكون الله فوق العرش قد ذكرها ابن أبي حاتم وغيره

وكلام الائمة في هذا الباب أطول وأكثر من أن تسع هذه الفتوى عشره وكذلك كلام الناقلين لمذهبهم مثل ما ذكره أبو سليمان الخطابي في رسالته المشهورة في الغنية عن الكلام وأهله قال فاما ما سألت عنه من الصفات وما جاء منها في الكتاب والسنة فان مذهب السلف اثباتها واجراؤها على ظواهرها ونفي الكيفية والتشبيه عنها وقد نفاها قوم

فانطلوا ما أثبته الله وحققها قوم من المثبتين فخرجوا في ذلك الى ضرب من التشبيه والتكييف وانما القصد في سلوك الطريقة المستقيمة بين الأمرين ودين الله تعالى بين الغالي فيه والمقصر عنه والأصل في هذا ان الكلام في الصفات نوع عن الكلام في الذات ويحتذي في ذلك حذوه ومثاله فاذا كان معلوما ان اثبات البارى سبحانه انما هو اثبات وجود لا اثبات تحديد وتكييف فاذا قلنا يد وسمع وبصر وما أشبهها فانما هي صفات أثبتها الله لنفسه ولسنا نقول ان معنى اليد القوة أو النعمة ولا معنى السمع والبصر العلم ولا نقول انها جوارح ولا نشبهها بالأيدي والأسماع والأبصار التي هي جوارح وأدوات للفعل

ونقول ان القول انما وجب باثبات الصفات لان التوقيف ورد بها ووجب نفي التشبيه عنها لان الله ليس كمثله شيء وعلى هذا جرى قول السلف في أحاديث الصفات ... كلام الخطابي وهكذا قاله أبو بكر الخطيب الحافظ في رسالة له ... مذهب السلف على ذلك

وهذا الكلام الذى ذكره الخطابي قد نقل نحوا منه من العلماء من لا يحصى مثل أبي بكر الاسماعيلي والامام يحيى بن عمار السجزي شيخ شيخ الاسلام أبي اسماعيل الانصاري الهروي وأبي عثمان الصابوني شيخ الاسلام وأبي عمر بن عبد البر النمري امام المغرب وغيرهم

وقال أبو نعيم الاصبهاني صاحب الحلية في عقيدة قال في أولها طريقتنا طريقة المتبعين للكتاب والسنة واجماع الامة قال فمما اعتقدوه ان الاحاديث التي ثبتت عن النبي صلى الله عليه وسلم في العرش واستواء

الله يقولون بها ويثبتونها من غير تكييف ولا تمثيل ولا تشبيه وان الله بائن من خلقه والخلق بائنون منه لا يحل فيهم ولا يمتزج بهم وهو مستو على عرشه في سمائه من دون أرضه وخلقه

وقال الامام العارف معمر بن أحمد الاصبهاني شيخ الصوفية في حدود المائة الرابعة في بلاده قال أحببت أن أوصي أصحابي بوصية من السنة وموعظة من الحكمة وأجمع ما كان عليه أهل الحديث والاثر وأهل المعرفة والتصوف من المتقدمين والمتأخرين قال فيها وان الله استوى على عرشه بلا كيف ولا تشبيه ولا تأويل والاستواء معقول والكيف فيه مجهول وانه عز وجل بائن من خلقه والخلق منه بائنون بلا حلول ولا ممازجة ولا اختلاط ولا ملاصقة لانه الفرد البائن من الخلق الواحد الغني عن الخلق وان الله عز وجل سميع بصير عليم خبير يتكلم ويرضى ويسخط ويضحك ويعجب ويتجلى لعباده يوم القيامة ضاحكا وينزل كل ليلة الى سماء الدنيا كيف شاء فيقول هل من داع فأستجيب له هل من مستغفر فأغفر له هل من تائب فأتوب عليه حتى يطلع الفجر ونزول الرب الى السماء بلا كيف ولا تشبيه ولا تأويل فمن أنكر النزول أو تأول فهو مبتدع ضال وسائر الصفوة من العارفين على هذا ومن متأخريهم الامام أبو محمد عبد القادر بن أبي صالح الجيلي قال في كتاب الغنية له أما معرفة الصانع بالآيات والدلالات على وجه الاختصار فهو أن تعرف وتتيقن ان الله واحد الى أن قال وهو بجهة العلو مستو على العرش محتو على الملك محيط علمه بالاشياء

اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه يدبر الأمر من السماء الى الأرض ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون ولا يجوز وصفه بأنه في كل مكان بل يقال انه في السماء على العرش كما قال الرحمن على العرش استوى وذكر آيات وأحاديث الى أن قال وينبغي اطلاق صفة الاستواء من غير تأويل وانه استواء الذات على العرش قال وكونه على العرش مذكور في كل كتاب أنزل على نبي أرسل بلا كيف وذكر كلاما طويلا لا يحتمل هذا الموضع وذكر في سائر الصفات نحو هذا ولو ذكرت ماقاله العلماء في ذلك لطال جدا

قال أبو عمر بن عبد البر روينا عن مالك بن أنس وسفيان الثوري وسفيان بن عيينه والأوزاعي ومعمر بن راشد في أحاديث الصفات انهم كلهم قالوا أمروها كما جاءت قال أبو عمر ماجاء عن النبي صلى الله عليه وسلم من نقل الثقات أو جاء عن الصحابه رضي الله عنهم فهو علم يدان به وما أحدث بعدهم ولم يكن له أصل فيما جاء عنهم فهو بدعة وضلالة

وقال في شرح الموطأ لما تكلم على حديث النزول قال هذا حديث ثابت من جهة النقل صحيح الاسناد ولا يختلف أهل الحديث في صحته وهو منقول من طرق سوى هذه من أخبار العدول عن النبي صلى الله عليه وسلم وفيه دليل على ان الله في السماء على العرش من فوق سبع سموات كما قالت الجماعة وهو حجتهم على المعتزلة في قولهم ان الله في كل مكان قال والدليل على صحة قول أهل الحق قول الله وذكر بعض

الآيات الى أن قال وهذا أشهر وأعرف عند العامة والخاصة من أن يحتاج الي أكثر من حكايته لانه اضطرار لم يوقفهم عليه أحد ولا أنكره عليهم مسلم

وقال أبو عمر بن عبد البر ايضا أجمع علماء الصحابة والتابعين الذين حمل عنهم التأويل قالوا في تأويل قوله ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم هو على العرش وعلمه في كل مكان وما خالفهم في ذلك من يحتج بقوله

وقال أبو عمر ايضا أهل السنة مجمعون على الاقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة والايمان بها وحملها على الحقيقة لا على المجاز الا انهم لايكيفون شيئا من ذلك ولا يحدون فيه صفة محصورة وأما أهل البدع الجهمية والمعتزلة كلها والخوارج فكلهم ينكرها ولا يحمل شيئا منها على الحقيقة ويزعم ان من أقر بها مشبه وهم عند من أقر بها نافون للمعبود والحق فيما قاله القائلون بما نطق به كتاب الله وسنة رسوله وهم ائمة الجماعة هذا كلام ابن عبد البر امام أهل المغرب وفي عصره الحافظ أبو بكر البيهقي مع توليه للمتكلمين من أصحاب أبي الحسن الاشعري وذبه عنهم قال في كتاب الاسماء والصفات باب ما جاء في اثبات اليدين صفتين لامن حيث الجارحة لورود خبر الصادق به قال الله ياابليس مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدي وقال بل يداه مبسوطتان وذكر الاحاديث الصحاح في هذا الباب مثل قوله في غير حديث في حديث الشفاعة يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده ومثل قوله في

الحديث المتفق عليه أنت موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك الالواح بيده وفي لفظ وكتب لك التوراة بيده ومثل ما في صحيح مسلم وغرس كرامة أوليائه في جنة عدن بيده ومثل قوله صلى الله عليه وسلم تكون الارض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفأها الجبار بيده كما يتكفأ أحدكم خبزته في السفر نزلا لاهل الجنة وذكر أحاديث مثل قوله بيدك الامر والخير بيديك والذي نفس محمد بيده وان الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل وقوله المقسطون عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين وقوله يطوي السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول أنا الملك اين الجبارون أين المتكبرون ثم يطوي الأرضين بشماله ثم يقول أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون وقوله يمين الله ملأى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والارض فانه لم ينقص ما في يمينه وعرشه على الماء وبيده الاخرى القبض يخفض ويرفع وكل هذه الاحاديث في الصحاح وذكر أيضا قوله ان الله لما خلق آدم قال له ويداه مقبوضتان اختر أيهما شئت قال اخترت يمين ربي وكلتا يدي ربي يمين مباركة وحديث ان الله لما خلق آدم مسح ظهره الى أحاديث أخر ذكرها من هذا النوع

ثم قال البيهقي أما المتقدمون من هذه الامة فانهم لم يفسروا ما كتبنا من الآيات والاخبار في هذا الباب وكذلك قال في الاستواء على العرش وسائر الصفات الخبرية مع أنه يحكي قول بعض المتأخرين

وقال القاضي ابو يعلى في كتاب ابطال التأويل لايجوز رد هذه الاخبار ولا التشاغل بتأويلها والواجب حملها على ظاهرها وانها صفات الله لاتشبه بسائر الموصوفين بها من الخلق ولا نعتقد التشبيه فيها لكن على ماروى عن الامام احمد وسائر الائمة وذكر بعض كلام الزهرى ومكحول ومالك والثورى والاوزاعى والليث وحماد بن زيد وحماد ابن سلمة وابن عيينة والفضيل بن عياض ووكيع وعبد الرحمن بن مهدى واسود بن سالم واسحاق بن راهويه وابى عبيد ومحمد بن جرير الطبرى وغيرهم في هذا الباب وفى حكاية ألفاظهم طول الى أن قال ويدل على ابطال التأويل ان الصحابة ومن بعدهم من التابعين حملوها على ظاهرها ولم يتعرضوا لتأويلها ولا صرفها عن ظاهرها ولو كان التأويل سائغا لكانوا اليه أسبق لما فيه من ازالة التشبيه ورفع الشبهة

وقال أبو الحسن على بن اسماعيل الاشعرى المتكلم صاحب الطريقة المنسوبة اليه فى الكلام في كتابه الذى صنفه في اختلاف المصلين ومقالات الاسلاميين ذكر فرق الروافض والخوارج والمرجئة والمعتزلة وغيرهم ثم قال

مقالة أهل السنة وأصحاب الحديث جملة قول أصحاب الحديث أهل السنة الاقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله وبما جاء عن الله وما رواه الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لايردون من ذلك شيئا وان الله واحد أحد فرد صمد لااله غيره لم يتخذ صاحبة ولاولدا وان محمدا

عبده ورسوله وان الجنة حق وان النار حق وان الساعة آتية لاريب فيها وأن الله يبعث من في القبور وان الله على عرشه كما قال الرحمن على العرش استوى وان له يدين بلا كيف كما قال خلقت بيدي وكما قال بل يداه مبسوطتان وان له عينين بلا كيف كما قال تجري بأعيننا وان له وجها كما قال ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام وان أسماء الله لا يقال انها غير الله كما قالت المعتزلة والخوارج واقروا ان لله علماً كما قال أنزله بعلمه وكما قال وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه وأثبتوا السمع والبصر ولم ينفوا ذلك عن الله كما نفته المعتزلة وأثبتوا لله القوة كما قال أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة وذكر مذهبهم في القدر الى أن قال ويقولون القرآن كلام الله غير مخلوق والكلام في اللفظ والوقف من قال باللفظ وبالوقف فهو مبتدع عندهم لا يقال اللفظ بالقرآن مخلوق ولا يقال غير مخلوق ويقرون ان الله يرى بالابصار يوم القيامة كما يرى القمر ليلة البدر يراه المؤمنون ولا يراه الكافرون لانهم عن الله محجوبون قال عز وجل كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون وذكر قولهم في الاسلام والايمان والحوض والشفاعة وأشياء الى أن قال ويقرون بان الايمان قول وعمل يزيد وينقص ولا يقولون مخلوق ولا يشهدون على أحد من أهل الكبائر بالنار الى ان قال وينكرون الجدل والمراء في الدين والخصومة والمناظرة فيما يتناظر فيه أهل الجدل ويتنازعون من دينهم ويسلمون للروايات الصحيحة ولما جاءت به الآثار التي جاءت بها الثقات عدلا عن عدل حتى ينتهي ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقولون كيف

ولالم لان دلك بدعة الى أن قال

ويقرون ان الله يحيء يوم القيامة كما قال وجاء ربك والملك صفا صفا وان الله نقرب من حلقه كيف شاء كما قال ونحن أقرب اليه من حبل الوريد الى أن قال ويرون مجانبة كل داع الى بدعة والتشاعل بقراءة القرآن وكتابة الآثار والنظر فى الفقه مع الاستكانة والتواضع وحسن الخلق مع بذل المعروف وكف الأذى وترك الغيبة والنميمة والسعاية وتفقد المآكل والمشارب قال فهذه جملة ما يأمرون به ويستعملونه ويرونه وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول واليه نذهب وما توفيقنا الا بالله وهو المستعان

وقال الاشعرى أيضاً في اختلاف أهل القبلة فى العرش فقال قال أهل السنة وأصحاب الحديث ليس بجسم ولا يشبه الأشياء وانه استوى على العرش كما قال الرحمن على العرش استوى ولا نتقدم بين يدى الله في القول بل نقول استوى بلا كيف وان له وجهاً كما قال ويبقى وجه ربك وان له يدين كما قال خلقت بيدى وان له عينين كما قال تجرى بأعيننا وانه يجيء يوم القيامة هو وملائكته كما قال وجاء ربك والملك صفاً صفاً وانه ينزل الى السماء الدنيا كما جاء فى الحديث ولم يقولوا شيئاً الا ما وجدوه فى الكتاب أو جاءت به الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت المعتزلة ان الله استوى على العرش بمعنى استولى وذكر مقالات أخرى

وقال أيضاً أبو الحسن الاشعرى في كتابه الذى سماه الابانة فى

أصول الديانة وقد ذكر أصحابه انه آخر كتاب صنفه وعليه يعتمدون في الذب عنه عند من يطعن عليه فقال

﴿ فصل ﴾ في ابانة قول أهل الحق والسنة فان قال قائل قد أنكرتم قول المعتزلة والقدرية والجهمية والحرورية والرافضة والمرجئة فعرفونا قولكم الذي به تقولون وديانتكم التي بها تدينون قيل له قولنا الذي نقول به وديانتنا التي ندين بها التمسك بكتاب ربنا وسنة نبينا وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث ونحن بذلك معتصمون وبما كان يقول أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل نضر الله وجهه ورفع درجته وأجزل مثوبته قائلون ولما خالف قوله مخالفون لانه الامام الفاضل والرئيس الكامل الذي أبان الله به الحق ودفع به الضلال وأوضح به المنهاج وقمع به بدع المبتدعين وزيغ الزائغين وشك الشاكين فرحمة الله عليه من امام مقدم وجليل معظم وكبير مفهم

وجملة قولنا انا نقر بالله وملائكته وكتبه ورسله وما جاؤا به من عند الله وبما رواه الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نرد من ذلك شيئا وان الله واحد لا اله الا هو فرد صمد لم يتخذ صاحبة ولا ولدا وان محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق وان الجنة حق والنار حق وان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور وان الله مستو على عرشه كما قال الرحمن على العرش استوى وان له وجهاً كما قال ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام وان له يدين بلا كيف كما قال خلقت بيدي وكما قال بل يداه مبسوطتان وان له عينين بلا

كيف كما قال نجرى بأعيننا

وان من زعم ان أسماء الله غيره كان ضالا وذكر نحوا مما ذكر في الفرق الي أن قال ونقول ان الاسلام أوسع من الايمان وليس كل اسلام ايمانا

وندين بان الله يقلب القلوب بين أصبعين من أصابع الله عز وجل وانه عز وجل يضع السموات على أصبع والارضين على أصبع كما جاءت الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الي أن قال وان الايمان قول وعمل يزيد وينقص

ونسلم للروايات الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم التي رواها الثقات عدلا عن عدل حتى ينتهي الى رسول الله صلي الله عليه وسلم الى أن قال

ونصدق بجميع الروايات التي يثبتها أهل النقل من النزول الى السماء الدنيا وان الرب عز وجل يقول هل من سائل هل من مستغفر وسائر ما نقلوه وأثبتوه خلافا لما قال أهل الزيغ والتضليل

ونعول فيما اختلفنا فيه على كتاب ربنا وسنة نبينا واجماع المسلمين وما كان في معناه ولا نبتدع في دين الله ما لم يأذن لنا به ولا نقول على الله ما لا نعلم

ونقول ان الله يجيء يوم القيامة كما قال وجاء ربك والملك صفا صفا وان الله يقرب من عباده كيف شاء كما قال ونحن أقرب اليه من حبل الوريد وكما قال ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى الى أن

قال و صحيح لما ذكرناه من قولنا وما بقي مما لم نذكره بابا بابا ثم تكلم على أن الله يرى واستدل على ذلك ثم تكلم على ان القرآن غير مخلوق واستدل على ذلك ثم تكلم على من وقف على القرآن وقال لاأقول انه مخلوق ولا غير مخلوق ورد عليه ثم قال باب الاستواء على العرش فقال

ان قال قائل ماتقولون في الاستواء قيل له نقول ان الله مستو على عرشه كما قال الرحمن على العرش استوى وقد قال الله اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وقال بل رفعه الله اليه وقال يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه وقال حكاية عن فرعون ياهامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الاسباب أسباب السموات فاطلع الى اله موسى واني لاظنه كاذبا كذب موسى في قوله ان الله فوق السموات وقال أأمنتم من في السماء ان يخسف بكم الارض فالسموات فوقها العرش فلما كان العرش فوق السموات قال أأمنتم من في السماء لانه مستو على العرش الذي هو فوق السموات وكل ما علا فهو سماء والعرش أعلى السموات وليس اذا قال أأمنتم من في السماء يعني جميع السماء وانما أراد العرش الذي هو أعلى السموات ألا ترى أن الله ذكر السموات فقال وجعل القمر فيهن نورا فلم يرد ان القمر يملؤهن وانه فيهن جميعا ورأينا المسلمين جميعا يرفعون أيديهم اذا دعوا نحو السماء لان الله على العرش الذي هو فوق السموات فلولا ان الله على العرش لم يرفعوا أيديهم نحو العرش كما لا يحطونها اذا دعوا الى الارض ثم قال

(فصل) وقد قال قائلون من المعتزلة والجهمية والحرورية ان معنى قوله الرحمن على العرش استوى انه استولى وملك وقهر وان الله عز وجل فى كل مكان وجحدوا أن يكون الله على عرشه كما قال أهل الحق وذهبوا فى الاستواء الى القدرة ولو كان هذا كما ذكروه كان لافرق بين العرش والارض السابعة لان الله قادر على كل شيء والارض فالله قادر عليها وعلى الحشوش وعلى كل ما فى العالم ولو كان الله مستويا على العرش بمعنى الاستيلاء وهو عز وجل مستول على الاشياء كلها لكان مستويا على العرش وعلى الارض وعلى السماء وعلى الحشوش والاقذار لانه قادر على الاشياء مستول عليها واذا كان قادراً على الاشياء كلها ولم يجز عند أحد من المسلمين أن يقول ان الله مستو على الحشوش والاخلية لم يجز أن يكون الاستواء على العرش الاستيلاء الذى هو عام فى الاشياء كلها ووجب أن يكون معنى الاستواء يختص العرش دون الاشياء كلها وذكر دلالات من القرآن والحديث والاجماع والعقل ثم قال باب الكلام فى الوجه والعينين والبصر واليدين وذكر الآيات فى ذلك ورد على المتأولين بكلام طويل لا يتسع هذا الموضع لحكايته مثل قوله فى مسئلة اتقولون ان لله يدين قيل نقول ذلك وقد دل عليه قوله يد الله فوق أيديهم وقوله لما خلقت بيدى

وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله مسح ظهر آدم بيده فاستخرج منه ذريته وقد جاء فى الخبر المأثور عن النبى صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم بيده وخلق جنة عدن بيده وكتب

التوراة بيده وغرس شجرة طوبى بيده وليس يجوز في لسان العرب ولا في عادة أهل الخطاب أن يقول القائل عملت كذا بيدي ويعني به النعمة وإذا كان الله إنما خاطب العرب بلغتها وما يجري في مفهومها في كلامها ومعقولا في خطابها وكان لا يجوز في خطاب أهل اللسان أن يقول القائل فعلت بيدي ويعني به النعمة بطل أن يكون معنى قوله عز وجل بيدي النعمة وذكر كلاما طويلا في تقرير هذا ونحوه

قال القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني المتكلم وهو أفضل المتكلمين المنتسبين الى الاشعري ليس فيهم مثله لا قبله ولا بعده قال في كتاب الابانة تصنيفه فان قال فما الدليل على ان لله وجها ويدا قيل له ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام وقوله تعالى ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي فأثبت لنفسه وجها ويدا فان قال فما أنكرتم أن يكون وجهه ويده جارحة إذ كنتم لا تعقلون وجها ويدا إلا جارحة فلنا لا يجب هذا كما لا يجب إذا لم نعقل حيا عالما قادرا إلا جسما أن نقضي نحن وأنتم بذلك على الله سبحانه وكما لا يجب في كل شيء كان قائما بذاته أن يكون جوهرا لانا وإياكم لا نجد قائما بنفسه في شاهدنا الا كذلك وكذلك الجواب لهم ان قالوا فيجب أن يكون علمه وحياته وكلامه وسمعه وبصره وسائر صفاته عرضا واعتلوا بالوجود

قال فان قال قائل أتقولون انه في كل مكان قيل له معاذ الله بل هو مستو على عرشه كما أخبر في كتابه فقال الرحمن على العرش استوى وقال تعالى إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وقال تعالى

أمم من في السماء أن يخسف بكم الارض فاذا هي تمور قال ولو كان في كل مكان لكان في بطن الانسان وفمه والحشوش والمواضع التي يرغب عن ذكرها ولوجب أن يزيد بزيادة الامكنة اذا خلق منها ما لم يكن وينقص بنقصانها اذا بطل منها ما كان ولصح أن يرغب اليه الى نحو الارض والى خلفنا والى يميننا وشمالنا وهذا قد أجمع المسلمون على خلافه وتخطئة قائله

وقال أيضا في هذا الكتاب صفات ذاته التي لم يزل ولا يزال موصوفا بها وهي الحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر والكلام والارادة والبقاء والوجه والعينان واليدان والغضب والرضا

وقال في كتاب التمهيد كلاما أكثر من هذا وكلامه وكلام غيره من المتكلمين في هذا الباب مثل هذا كثير لمن يطلبه وان كنا مستغنين بالكتاب والسنة وآثار السلف عن كل كلام

وملاك الامر أن يهب الله للعبد حكمة وايمانا بحيث يكون له عقل ودين حتى يفهم ويدين ثم نور الكتاب والسنة يغنيه عن كل شيء ولكن كثير من الناس قد صار منتسبا الى بعض طوائف المتكلمين ومحسنا الظن بهم دون غيرهم أو متوهما أنهم حققوا في هذا الباب ما لم يحققه غيرهم فلو أتي بكل آية ما تبعها حتى يؤتى بشيء من كلامهم ثم هم مع هذا مخالفون لأسلافهم غير متبعين لهم فلو أنهم أخذوا بالهدى الذي يجدونه في كلامهم لرجي لهم مع الصدق في طلب الحق أن يزدادوا هدى ومن كان لا يقبل الحق الا من طائفة معينة ثم لا يستمسك بما جاءت

به من الحق ففيه شبه من اليهود الذين قال الله فيهم وإذا قيل لهم آمنوا
بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق
مصدقا لما معهم قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين فإن
اليهود قالوا لا نؤمن إلا بما أنزل علينا قال الله لهم فلم قتلتم الأنبياء من
قبل إن كنتم تؤمنون بما أنزل عليكم يقول سبحانه لا لما جاءتكم به أنبياؤكم
تتبعون ولا لما جاءكم به سائر الأنبياء تتبعون ولكن إنما تتبعون أهواءكم

فهذا حال من لم يتبع الحق لا من طائفته ولا من غيرها مع كونه
يتعصب لطائفته دون طائفة بلا برهان من الله ولا بيان

وكذلك قال أبو المعالي الجويني في كتاب الرسالة النظامية اختلفت
مسالك العلماء في هذه الظواهر فرأى بعضهم تأويلها والتزم ذلك في
آي الكتاب وما يصح من السنن وذهب أئمة السلف إلى الانكفاف
عن التأويل وإجراء الظواهر على مواردها وتفويض معانيها إلى
الرب تعالى والذي نرتضيه رأيا وندين الله به عقدا اتباع سلف
الأمة والدليل السمعي القاطع في ذلك أن إجماع الأمة حجة متبعة
وهو مستند معظم الشريعة وقد درج صحب رسول الله صلى الله عليه
وسلم على ترك التعرض لمعانيها ودرك ما فيها وهم صفوة الإسلام والمستقلون
بأعباء الشريعة وكانوا لا يألون جهدا في ضبط قواعد الملة والتواصي
بحفظها وتعليم الناس ما يحتاجون إليه منها فلو كان تأويل هذه الظواهر
مسوغا أو محتوما لأوشك أن يكون اهتمامهم بها فوق اهتمامهم بفروع
الشريعة وإذا انصرم عصرهم وعصر التابعين على الإضراب عن التأويل

كان ذلك هو الوجه المانع لحق على ذي الدين أن يعتمد تنزيه الباري
عن صفات المحدثين ولا يخوض في تأويل المشكلات ويكل معناها الى
الرب فليجر آية الاستواء والمجيء وقوله لما خلقت بيدي ويبقى وجه
ربك وقوله تجري بأعيننا وما صح من اخبار الرسول كخبر النزول
وغيره على ما ذكرناه

(قلت ولعلم السائل) ان الغرض من هذا الجواب ذكر ألفاظ
بعض الأئمة في هذا الباب وليس كل من ذكرنا شيئاً من قوله من المتكلمين
وغيرهم نقول بجميع ما يقوله في هذا وغيره ولكن الحق يقبل من كل
من تكلم به

كان معاذ بن جبل رضي الله عنه يقول في كلامه المشهور عنه الذي
رواه أبو داود في سننه اقبلوا الحق من كل من جاء به وان كان كافراً او
قال فاجراً واحذروا زيغة الحكيم قالوا كيف نعلم ان الكافر يقول
الحق قال على الحق نور أو كلاما هذا معناه

وأما تقرير ذلك بالدليل واماطة ما يعرض من الشبه وتحقيق الامر
على وجه يخلص الى القلب ما يبرده من اليقين ويقف على مواقف الريب
منه ففي هذه الفتيا ما يتسع له هذه الفتوى

وقد كتبت شيئاً من ذلك قبل هذا وخاطبت ببعض ذلك بعض من
يجالسنا وربما أكتب ان شاء الله في ذلك ما يحصل به المقصود

وجماع الأمر في ذلك ان الكتاب والسنة يحصل منهما كمال الهدى
والنور لمن تدبر كتاب الله وسنة نبيه وقصد اتباع الحق وعرض عن

تحريف الكلم عن مواضعه والالحاد في أسماء الله وآياته ولا يحسب الحاسب ان شيأ من ذلك يناقض بعضه بعضا البتة مثل أن يقول القائل ما في الكتاب والسنة من أن الله فوق العرش يخالفه في الظاهر قوله وهو معكم أينما كنتم وقول النبي صلى الله عليه وسلم اذا قام أحدكم الى الصلاه فان الله قبل وجهه ونحو ذلك فان هذا غلط وذلك ان الله معنا حقيقة وهو فوق العرش حقيقة كما جمع الله بينهما في قوله سبحانه وهو الذي خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السما وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير فاخبر انه فوق العرش يعلم كل شيء وهو معنا أينما كنا كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث الاوعال والله فوق العرش وهو يعلم ما أنتم عليه وذلك ان كلمة مع في اللغة اذا أطلقت فليس ظاهرها في اللغة الا المقارنة المطلقة من غير وجوب مماسة أو محاذاة عن يمين وشمال فاذا قيدت بمعنى من المعاني دلت على المقارنة في ذلك المعنى فانه يقال ما زلنا نسير والقمر معنا أو والنجم معنا ويقال هذا المتاع معي لمجامعته لك وان كان فوق رأسك فالله مع خلقه حقيقة وهو فوق عرشه حقيقة ثم هذه المعية تختلف أحكامها بحسب الموارد فلما قال يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير دل ظاهر الخطاب على ان حكم هذه المعية ومقتضاها انه مطلع عليكم شهيد عليكم مهيمن عالم بكم وهذا معنى قول السلف انه معهم بعلمه وهذا ظاهر الخطاب

وحقيقته وكذلك فى قوله ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ولما قال النبى صلى الله عليه وسلم لصاحبه فى الغار لاتحزن ان الله معنا كان هذا أيضا حقا على ظاهره ودلت الحال على أن حكم المعية هنا معية الاطلاع النصر والتأييد وكذلك قوله ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وكذلك قوله لموسى وهرون انني معكما أسمع وأرى *هنا المعية على ظاهرها وحكمها فى هذا الموطن النصر والتأييد وقد يدخل على صبى من يخيفه فيبكى فيشرف عليه أبوه من فوق السقف ويقول لاتخف انا معك أو أنا هنا أو أنا حاضر ونحو ذلك ينبهه على المعية الموجبة بحكم الحال دفع المكروه ففرق بين معنى المعية وبين مقتضاها وربما صار مقتضاها من معناها فيختلف باختلاف المواضع فلفظ المعية قد استعمل في الكتاب والسنة فى مواضع تقتضى في كل موضع أمورا لا تقتضيها في الموضع الآخر فاما أن تختلف دلالتها بحسب المواضع أو تدل على قدر مشترك بين جميع مواردها وان امتاز كل موضع بخاصيته فعلى التقديرين ليس مقتضاها أن تكون ذات الرب مختلطة بالخلق حتى يقال قد صرفت عن ظاهرها ونظيرها من بعض الوجوه الربوبية والعبودية فانها وان اشتركت فى أصل الربوبية والعبودية فلما قال رب العالمين رب موسى وهرون كانت ربوبية موسى وهرون لها اختصاص زائد على الربوبية العامة للخلق فان من أعطاه الله من الكمال أكثر مما أعطى غيره فقد ربه ورباه ربوبية

و ر سه ا كمل من عبره وكذلك قوله عينا نشرب بها ع اد الله وسبحان الذى أسرى بعبده ليلا

(فان العبد) تاره يعني به المعبد فيعم الخالق كما فى قوله ان كل من فى السموات والارض الا آت الرحمن عبداوتارة يعنى به العابد فيخص ثم يختلفون فمن كان أعبد علماوحالا كانت عبوديته أكمل فكانت الاضافة في حقه أكمل مع انها حقيقيه فى جميع المواضع ومثل هذه الالفاظ يسميها بعض الناس مشككة لتشكك المستمع فيها هل هي من قبل الاسماء المتواطئه أو من قبل المشترك فياللفظ فقط والمحققون يعلمون انها ليست خارجة عن جنس المتواطئة اذ واضع اللغة انما وضع اللفظ بازاء القدر المشترك وان كانت نوعا مخصصا من المتواطئه فلا بأس بتخصيصها بلفظ ومن علم ان المثلية تضاف الي كل نوع من أنواع المخلوقات كاضافة الربوبية مثلا و ان الاستواء على الشئ ليس الا للعرش وان الله يوصف بالعلو والفوقيه الحقيقيه ولا يوصف بالسفول ولا بالتحتية قط لاحقيقه ولا مجازاً علم ان القرآن على ماهو عليه من غيرتحريف

ثم من توهم أن كون الله في السماء بمعني ان السماءتحيط به وتحويه فهو كاذب ان نقله عن غيره وضال ان اعتقده في ربه وما سمعنا أحدا يفهمه من اللفظ ولا رأينا أحدا نقله عن أحد ولو سئل سائر المسلمين هل تفهمون من قول الله ورسوله ان الله في السماء ان السماء تحويه لبادر كل أحد منهم الي أن يقول هذا شئ لعله لم يخطر ببالنا واذا كان الامر هكذا فمن التكلف أن يجعل ظاهر اللفظ شيئا محالا ولا يفهمه

الناس منهم يريد أن يتأوله بل عند المسلمين ان الله في السماء وهو على العرش واحد اذ السماء انما يراد به العلو فالمعنى ان الله في العلو لا في السفل

وقد علم المسلمون ان كرسيه سبحانه وسع السموات والارض وان الكرسي في العرش كحلقة ملقاة بارض فلاة وان العرش خلق من مخلوقات الله لا نسبة له الى قدرة الله سبحانه وعظمته وكيف يتوهم بعد هذا ان خلقا يحصره أو يحويه وقد قال سبحانه ولاصلبنكم في جذوع النخل وقال فسيروا في الارض بمعنى على ونحو ذلك وهو كلام عربي حقيقة لا مجازاً وهذا يعلمه من عرف حقائق معاني الحروف وانها متواطئة في الغالب لا مشتركة وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم اذا قام أحدكم الى الصلاة فان الله قبل وجهه فلا يبصقن قبل وجهه الحديث حق على ظاهره وهو سبحانه فوق العرش وهو قبل وجه المصلي بل هذا الوصف يثبت للمخلوقات فان الانسان لو أنه يناجي السماء أو يناجي الشمس والقمر لكانت السماء والشمس والقمر فوقه وكانت أيضاً قبل وجهه

وقد ضرب النبي صلي الله عليه وسلم المثل بذلك ولله المثل الاعلى ولكن المقصود بالتمثيل بيان جواز هذا وامكانه لا تشبيه الخالق بالمخلوق فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما منكم من أحد الا سيرى ربه مخلياً به فقال له أبو رزين العقيلي كيف يارسول الله وهو واحد ونحن جميع فقال له النبي صلى الله عليه وسلم سأنبئك بمثل ذلك في آلاء الله هذا

القمر كالكم براه محليا به وهو آية من آيات الله فالله أكبر او كما قال صلى الله عليه وسلم وقال انكم سترون ربكم كما ترون الشمس والقمر فشبه الرؤية بالرؤية وان لم يكن المرئي مشابها للمرئي فالمؤمنون اذا رأوا ربهم يوم القيامه وناجوه كل يراه فوقه قبل وجهه كما يرى الشمس والقمر ولا منافاة اصلا ومن كان له نصيب من المعرفه بالله والرسوخ في العلم بالله يكون اقراره للكتاب والسنة على ماهما عليه أوكد

واعلم ان من المتأخرين من يقول مذهب السلف اقرارها على ماجاءت به مع اعتقاد ان ظاهرها غير مراد وهذا لفظ مجمل فان قوله ظاهرها غير مراد يحتمل انه أراد بالظاهر نعوت المخلوقين وصفات المحدثين مثل ان يراد بكون الله قبل وجه المصلي انه مستقر في الحائط الذي يصلي اليه وان الله معنا ظاهره انه الى جانبنا ونحو ذلك فلا شك ان هذا غير مراد ومن قال ان مذهب السلف ان هذا غير مراد فقد أصاب في المعنى لكن أخطأ في اطلاق القول ان هذا ظاهر الآيات والاحاديث فان هذا المحال ليس هو الظاهر على ما قد بيناه في غير هذا الموضع اللهم الا أن يكون هذا المعنى الممتنع صار يظهر لبعض الناس فيكون القائل لذلك مصيبا بهذا الاعتبار معذوراً في هذا الاطلاق فان الظهور والبطون قد يختلف باختلاف أحوال الناس وهو من الامور النسبية وكان أحسن من هذا أن يبين لمن اعتقد ان هذا هو الظاهر ان هذا ليس هو الظاهر حتى يكون قد أعطي كلام الله وكلام رسوله حقه لفظاً ومعنى وان كان الناقل عن السلف أراد بقوله الظاهر

غير مراد عندهم ان المعاني التي تظهر من هذه الآيات والاحاديث مما يليق بجلال الله وعظمته ولا تختص بصفة المخلوقين بل هي واجبة لله أو جائزة عليه جوازا ذهنيا أو جوازا خارجيا غير مراد فهذا قد أخطأ فيما نقله عن السلف أو تعمد الكذب فما يمكن أحدا قط أن ينقل عن واحد من السلف ما يدل لا نصا ولا ظاهراً انهم كانوا يعتقدون ان الله ليس فوق العرش ولا ان الله ليس له سمع ولا بصر ولا يد حقيقة

وقد رأيت هذا المعنى ينتحله بعض من يحكيه عن السلف ويقول ان طريقة اهل التأويل هي في الحقيقة طريقة السلف بمعنى ان الفريقين اتفقوا على ان هذه الآيات والاحاديث لم تدل على صفات الله سبحانه ولكن السلف امسكوا عن تأويلها والمتأخرون رأوا المصلحة تأويلها لمسيس الحاجة الى ذلك ويقول الفرق ان هؤلاء قد يعينون المراد بالتأويل وأولئك لا يعينون لجواز ان يراد غيره وهذا القول على الاطلاق كذب صريح على السلف أما في كثير من الصفات فقطعا مثل ان الله فوق العرش فان من تأمل كلام السلف المنقول عنهم الذي لم يحك هنا عشره علم بالاضطرار ان القوم كانوا مصرحين بان الله فوق العرش حقيقة وانهم ما اعتقدوا خلاف هذا قط وكثير منهم قد صرح في كثير من الصفات بمثل ذلك

والله يعلم اني بعد البحث التام ومطالعة ما أمكن من كلام السلف ما رأيت كلام احد منهم يدل لا نصا ولا ظاهرا ولا بالقرائن على نفي الصفات الخبرية في نفس الامر بل الذي رأيته ان كثيراً من كلامهم

يدل اما نصاً وا ا ظاهراً على تقرير حسن هذه الصفات ولا اقل عن
كل واحد منهم اثبات كل صفة بل الذي رايته انهم يثبتون جنسها في
الجملة وما رايت أحدا منهم نفاها واىما سفون التشبيه وينكرون على
المشبهة الذين يشبهون الله بخلقه مع انكارهم على من ينفي الصفات أيضاً
كقول نعيم بن حماد الخزاعي شيخ البخاري من شبه الله بخلقه
فقد كفر

وليس ماوصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيها وكانوا اذا رأوا
الرجل قد أغرق في نفي التشبيه من غير اثبات للصفات قالوا هـذا
جهمي معطل وهذا كثير جداً في كلامهم فان الجهميه والمعتزلة الي اليوم
يسمون من أثبت شيئا من الصفات مشبها كذبا منهم وافتراء حتي ان
منهم من غلا ورمى الانبياء صلوات الله عليهم أجمعين بذلك حتى قال
ثمامة بن الاشرس من رؤساء الجهمية ثلاثة من الانبياء مشبهه موسى
حيث قال ان هي الا فتنتك وعيسي قال تعلم مافي نفسي ومحمد حيث قال
ينزل ربنا وحتى ان جل المعتزلة يدخل عامة الائمه مثل مالك وأصحابه
والثوري وأصحابه والاوزاعي وأصحابه والشافعي وأصحابه واسحاق بن
راهويه وأبي عبيد وغيرهم في قسم المشبهة

وقد صنف أبو اسحاق ابراهيم بن عثمان بن درباس الشافعي جزأ
سماه تنزيه أئمة الشريعة عن الالقاب الشنيعة وذكر فيه كلام السلف
وغيرهم في معاني هذه الالقاب وذكر ان أهل البدع كل صنف منهم
يلقب أهل السنة بلقب افتراه يزعم انه صحيح على رأيه الفاسد كما ان

المشركين كانوا يلقبون النبي صلى الله عليه وسلم بألقاب افتروها فالروافض تسميهم نواصب والقدرية يسمونهم مجبرة والمرجئة تسميهم شكاكا والجهمية تسميهم مشبهة وأهل الكلام يسمونهم حشوية ونوابت وغثاء وغثراً الى أمثال ذلك كما كانت قريش تسمى النبي صلى الله عليه وسلم تارة مجنونا وتارة شاعراً وتارة كاهناً وتارة مفتريا قالوا وهذا علامة الارث الصحيح والمتابعة التامة فان السنة هي ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتقاداً واقتصاداً وقولا وعملا فكما ان المنحرفين عنه يسمونه بأسماء مذمومة مكذوبة وان اعتقدوا صدقها بناء على عقيدتهم الفاسدة فكذلك التابعون له على بصيرة الذين هم أولى الناس به في المحيا والممات باطنا وظاهراً أما الذين وافقوهم ظواهرهم وعجزوا عن اقامة الظواهر أو الذين وافقوه بظواهرهم وعجزوا عن تحقيق البواطن أو الذين وافقوه ظاهراً وباطناً بحسب الامكان لا بد للمنحرفين عن سنته أن ينعتوهم نعتاً يذمونهم به ويسمونهم بأسماء مكذوبة وان اعتقدوا صدقها كقول الرافضي من لم يبغض أبا بكر وعمر فقد أبغض علياً لانه لا ولاء لعلي الا بالبراءة منهما ثم يجعل من أحب أبا بكر وعمر ناصبيا بناء على هذه الملازمة الباطلة التي اعتقدها صحيحة أو عاند فيها وهو الغالب

وكقول القدري من اعتقد ان الله أراد الكائنات وخلق أفعال العباد فقد سلب العباد الاختيار والقدرة وجعلهم مجبورين كالجمادات وكقول الجهمي من قال ان الله فوق العرش فقد زعم انه محصور وانه

جسم محدود وانه مشابه لخلقه وكقول الجهمية المعتزلة من قال ان لله علماً وقدرة فقد زعم انه جسم وهو مشبه لان هذه الصفات اعراض والعرض لايقوم الا بجوهر متحيز وكل متحيز جسم أو جوهر فرد

ومن حكي عن الناس المقالات وسماهم بهذه الاسماء المكذوبة بناء على عقيدته التي هم مخالفون له فيها فهو وربه اعلم والله من ورائه بالمرصاد ولا يحيق المكر السيئ الا باهله

وجماع الامر ان الاقسام الممكنة في آيات الصفات وأحاديثها ستة أقسام كل قسم عليه طائفة من أهل القبلة *قسمان يقولون تجرى على ظواهرها *وقسمان يقولون هي على خلاف ظاهرها *وقسمان يسكتون أما الاولون فقسمان أحدهما من يجريها على ظاهرها ويجعل ظاهرها من جنس صفات المخلوقين فهؤلاء المشبهة ومذهبهم باطل انكره السلف واليه توجه الرد بالحق والثاني من يجريها على ظاهرها اللائق بجلال الله كما يجرى اسم العليم والقدير والرب والاله والموجود والذات ونحو ذلك على ظاهرها اللائق بجلال الله فان ظواهر هذه الصفات في حق المخلوق اما جوهر واما عرض فالعلم والقدرة والكلام والمشيئة والرحمة والرضا والغضب ونحو ذلك في حق العبد اعراض والوجه واليد والعين في حقه أجسام فاذا كان الله موصوفا عند عامة أهل الاثبات بأن له علماً وقدرة وكلاما ومشيئة وان لم يكن ذلك عرضاً يجوز عليه ما يجوز على صفات المخلوقين جاز أن يكون وجه الله ويداه ليست أجساما يجوز عليها مايجوز على صفات المخلوقين وهذا هو المذهب الذي حكاه الخطابي وغيره عن السلف

وعليه يدل كلام جمهورهم وكلام الباقين لايخالفه وهو أمر واضح فان الصفات كالذات وكما ان ذات الله ثابتة حقيقة من غير أن تكون من جنس المخلوقات فمن قال لاأعقل علماً ويداً الا من جنس العلم واليد المعهود بن قيل له فكيف تعقل ذاتا من غير جنس ذوات المخلوقين

ومن المعلوم ان صفات كل موصوف تناسب ذاته وتلائم حقيقته فمن لم يفهم من صفات الرب الذي ليس كمثله شيء الا ماناسب المخلوق فقد ضل في عقله ودينه وما أحسن مقال بعضهم اذا قال الجهمي كيف استوى أوكيف ينزل الى سماء الدنيا او كيف يداه ونحو ذلك فقل له كيف هو في نفسه فاذا قال لك لا اعلم ماهو الا هو وكنه البارى غير معلوم للبشر فقل له والعلم بكيفية الصفة مستلزم للعلم بكيفية الموصوف وكيف يمكن ان تعلم كيفية صفة لموصوف لم تعلم كيفيته وانما تعلم الذات والصفات من حيث الجملة على الوجه الذي ينبغي لك بل هذه المخلوقات في الجنة قد ثبت عن ابن عباس انه قال ليس في الدنيا مما في الجنة الا الاسماء وقد أخبر الله أنه لا تعلم نفس ماأخفي لهم من قرة أعين وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان في الجنة مالا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فاذا كان نعيم الجنة وهو خلق من خلق الله كذلك فما الظن بالخالق سبحانه وتعالى وهذه الروح التي في بني آدم قد علم العاقل اضطراب الناس فيها وامساك النصوص على بيان كيفيتها أفلا يعتبر العاقل بها عن الكلام في كيفية الله تعالى اما انا نقطع بان الروح في البدن وانها تخرج منه وتعرج الى السماء وانها تسل منه وقت

الفروع كما نطقت بذلك النصوص الصحيحة لا تسالي في تجريدها غلو المتفلسفة ومن وافقهم حيث نفوا عنها الصعود والنزول والاتصال بالبدن والانفصال عنه وتخبطوا فيها حيث رأوها من غير جنس البدن وصفاته وعدم مماثلتها للبدن لا ينفي أن تكون هذه الصفات ثابتة لها بحسبها الا أن يفسروا كلامهم بما يوافق النصوص فيكونون قد أخطؤا في اللفظ وانى لهم بذلك

وأما القسمان اللذان ينفيان ظاهرها أعني الذين يقولون ليس لها في الباطن مدلول هو صفة لله تعالى قط وان الله لا صفة له ثبوتية بل صفاته اما سلبية واما اضافية واما مركبة منهما أو يثبتون بعض الصفات وهي الصفات السبعة أو الثمانية أو الخمسة عشر أو يثبتون الاحوال دون الصفات على ما قد عرف من مذاهب المتكلمين فهؤلاء قسمان قسم يتأولونها ويعينون المراد مثل قولهم استوى بمعنى استولى أو بمعنى علو المكانة والقدر أو بمعنى ظهور نوره للعرش أو بمعنى انتهى الخلق اليه الى غير ذلك من معاني المتكلمين وقسم يقولون الله أعلم بما أراد بها لكنا نعلم انه لم يرد اثبات صفة خارجة عما علمناه

وأما القسمان الواقفان فقسم يقولون يجوز أن يكون المراد بظاهرها اللائق بالله ويجوز أن لا يكون المراد صفة لله ونحو ذلك وهذه طريقة كثير من الفقهاء وغيرهم وقوم يمسكون عن هذا كله ولا يزيدون على تلاوة القرآن وقراءة الحديث معرضين بقلوبهم والسنتهم عن هذه التقديرات

فهذه الاقسام الستة لايمكن أن يخرج الرجل عن قسم منها

والصواب في كثير من آيات الصفات وأحاديثها القطع بالطريقة الثانية كالآيات والاحاديث الدالة على ان الله سبحانه فوق عرشه ونعلم أن طريقة الصواب في هذا وأمثاله بدلالة الكتاب والسنة والاجماع على ذلك دلالة لاتحتمل النقيض وفي بعضها قد يغلب على الظن ذلك مع احتمال النقيض وتردد المؤمن في ذلك هو بحسب مايؤتاه من العلم والايمان ومن لم يجعل الله له نوراً فماله من نور

ومن اشتبه عليه ذلك أو غيره فليدع بما رواه مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام من الليل يصلي يقول اللهم رب جبرائيل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم وفي رواية لابي داود انه كان يكبر في صلاته ثم يقول ذلك فاذا افتقر العبد الى الله ودعاه وادمن النظر في كلام الله وكلام رسوله وكلام الصحابة والتابعين وائمة المسلمين انفتح له طريق الهدى

ثم ان كان قد خبر نهايات اقدام المتفلسفة والمتكلمين في هذا الباب وعرف غالب مايزعمونه برهانا وهو شبهة ورأى ان غالب ما يعتمدونه يؤول الى دعوي لاحقيقة لها أو شبهة مركبة من قياس فاسد أوقضية كلية لا تصح الا جزئية أودعوى اجماع لاحقيقة له ثم ان ذلك اذا ركب

بألفاظ كثيرة طويلة غريبة عمن لم يعرف اصطلاحهم أوهمت الغر ما يوهمه السراب للعطشان ازداد ايمانا وعلماً بما جاء به الكتاب والسنة فان الضد يظهر حسنه الضد وكل من كان بالباطل أعلم كان للحق أشد تعظيماً وبقدره أعرف فاما المتوسط من المتكلمين فيخاف عليه ما لا يخاف على من لم يدخل فيه وعلى من قد أنهاه نهايته فان من لم يدخل فيه هو في عافية ومن أنهاه قد عرف الغاية فما بقي يخاف من شيء آخر فاذا ظهر له الحق وهو عطشان اليه قبله وأما المتوسط فمتوهم بما تلقاه من المقالات المأخوذة تقليداً المعظمة تهويلاً

وقد قال الناس أكثر ما يفسد الدنيا نصف متكلم ونصف متفقه ونصف متطبب ونصف نحوي هذا يفسد الاديان وهذا يفسد البلدان وهذا يفسد الابدان وهذا يفسد اللسان

ومن علم ان المتكلمين من المتفلسفة وغيرهم هم في الغالب في قول مؤتفك يؤفك عنه من أفك علم الذكي منهم العاقل انه ليس هو فيما يقوله على بصيرة وان حجته ليست بينة وانما هي كما قيل فيها

حجج تهافت كالزجاج تخالها * حقاً وكل كاسر مكسور

ويعلم العليم البصير أنهم من وجه مستحقون ما قال الشافعي رضي الله عنه حيث قال حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال ويطاف بهم في القبائل والعشائر ويقال هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام

ومن وجه آخر اذا نظرت اليهم بعين القدر والحيرة مستولية

عليهم والشيطان مستحوذ عليهم رحمتهم ورفقت عليهم أوتوا ذكاء وما أوتوا زكاء وأعطوا فهوما وما أعطوا علوما وأعطوا سمعا وأبصاراً وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن

ومن كان عليماً بهذه الأمور تبين له بذلك حذق السلف وعلمهم وخبرتهم حيث حذروا عن الكلام ونهوا عنه وذموا أهله وعابوهم وعلم أن من ابتغى الهدى في غير الكتاب والسنة لم يزداد إلا بعداً

فنسأل الله العظيم أن يهدينا صراطه المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين آمين والحمد لله رب العالمين

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليماً كثيراً

مباركا الى يوم الدين

﴿ تمت الرسالة الحادية عشر ﴾

﴿ ويليها الرسالة الثانية عشر ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

سئل شيخ الاسلام تقي الدين بن تيمية رضي الله عنه

ما تقول السادة العلماء أئمة الدين وفقهم الله لطاعته في من يقول لا يستغاث برسول الله صلى الله عليه وسلم هل يحرم عليه هذا القول وهل هو كفر أم لا وان استدل بآيات من كتاب الله وأحاديث رسوله صلى الله عليه وسلم هل ينفعه دليله أم لا واذا قام الدليل من الكتاب والسنة فما يجب على من يخالف ذلك أفتونا مأجورين * الجواب *

الحمد لله * قد ثبت بالسنة المستفيضة بل المتواترة واتفاق الامة ان نبينا صلى الله عليه وسلم الشافع المشفع وانه يشفع فى الخلائق يوم القيامة وان الناس يستشفعون به يطلبون منه ان يشفع لهم الى ربهم وانه يشفع لهم

ثم اتفق أهل السنة والجماعة انه يشفع في أهل الكبائر وانه لا يخلد فى النار من أهل التوحيد أحد

وأما الخوارج والمعتزلة فانكروا شفاعته لاهل الكبائر ولم ينكروا شفاعته للمؤمنين وهؤلاء مبتدعة ضلال وفي تكفيرهم نزاع وتفصيل وأما من أنكر ما ثبت بالتواتر والاجماع فهو كافر بعد قيام الحجة وسواء سمى هذا المعنى استغاثة أولم يسمه وأما من أقر بشفاعته وأنكر ما كان الصحابة يفعلونه من التوسل به والاستشفاع به كما رواه البخاري في صحيحه عن أنس أن عمر بن الخطاب كان اذا قحطوا استسقى بالعباس ابن عبد المطلب وقال اللهم انا كنا نتوسل اليك بنبينا فتسقينا وانا نتوسل

اليك نبي سنيا فاسقنا فيسقون وفي سنن أبي داود وغيره ان اعرابيا قال للنبي صلى الله عليه وسلم جهدت الانفس وجاع العيال وهلك المال فادع الله لنا فانا نستشفع بك على الله و نستشفع بالله عليك فسبح رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه وقال ويحك ان الله لا يستشفع به على أحد من خلقه شأن الله أعظم من ذلك وذكر تمام الحديث فانكر قوله نستشفع بالله عليك ولم ينكر قوله نستشفع بك على الله بل أقره عليه فعلم جوازه فمن أنكر هذا فهو ضال مخطئ مبتدع وفي تكفيره نزاع وتفصيل

وأما من أقر بما ثبت بالكتاب والسنة والاجماع من شفاعته والتوسل به ونحو ذلك ولكن قال لا يدعى الا الله وان الامور التي لا يقدر عليها الا الله فلا تطلب الا منه مثل غفران الذنوب وهداية القلوب وانزال المطر وانبات النبات ونحو ذلك فهذا مصيب في ذلك بل هذا مما لا نزاع فيه بين المسلمين أيضاً كما قال تعالى ومن يغفر الذنوب الا الله وقال انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وكما قال تعالى يأيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض وكما قال تعالى وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر الا من عند الله وقال الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا

فالذي المابتة بالكتاب والسنة يجب اثباتها والتي المنفية بالكتاب

والسنة نحن نفيها والعبارة الدالة على المعاني نفيا واثباتا ان وجدت في كلام الله ورسوله وجب اقرارها وان وجدت في كلام أحد وظهر مراده من ذلك رتب عليه حكمه والا رجع فيه اليه وقد يكون في كلام الله ورسوله عبارة لها معنى صحيح لكن بعض الناس يفهم من تلك غير مراد الله ورسوله فهذا يرد عليه فهمه كما روى الطبراني في معجمه الكبير انه كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم منافق يؤذي المؤمنين فقال أبو بكر الصديق قوموا بنا لنستغيث برسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا المنافق فقال النبي صلى الله عليه وسلم انه لا يستغاث بي وإنما يستغاث بالله فهذا انما أراد به النبي صلى الله عليه وسلم المعنى الثاني وهو أن يطلب منه ما لا يقدر عليه الا الله والا فالصحابة كانوا يطلبون منه الدعاء ويستسقون به كما في صحيح البخاري عن ابن عمر قال ربما ذكرت قول الشاعر وأنا انظر الى وجه النبي صلى الله عليه وسلم يستسقي فما ينزل حتى يجيش له ميزاب

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للأرامل

وهو قول أبي طالب ولهذا قال العلماء المصنفون في أسماء الله تعالى يجب على كل مكلف أن يعلم أن لا غياث ولا مغيث على الاطلاق الا الله وان كل غوث فمن عنده وان كان جعل ذلك على يدي غيره فالحقيقة له سبحانه وتعالى ولغيره مجاز

قالوا من أسمائه تعالى المغيث والغياث وجاء ذكر المغيث في حديث أبي هريرة قالوا واجمعت الامة على ذلك

وقال أبو عبد الله الحليمي الغياث هو المغيث وأكثر ما يقال غياث المستغيثين ومعناه المدرك عباده في الشدائد اذا دعوه ومجيبهم ومخلصهم وفي خبر الاستسقاء في الصحيحين اللهم أغثنا اللهم أغثنا يقال اغاثه اغاثة وغياثا وغوثا وهذا الاسم في معنى المجيب والمستجيب قال تعالى اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم الا أن الاغاثة أحق بالافعال والاستجابة أحق بالاقوال وقد يقع كل منهما موقع الآخر قالوا الفرق بين المستغيث والداعي ان المستغيث ينادي بالغوث والداعي ينادي بالمدعو والمغيث وهذا فيه نظر فان من صيغة الاستعانة بالله للمسلمين وقد روى عن معروف الكرخي انه كان يكثر أن يقول واغوثاه ويقول اني سمعت الله يقول اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم وفي الدعاء المأثور ياحي يا قيوم لا اله الا أنت برحمتك أستغيث أصلح لي شأني كله ولا تكلني الى نفسي طرفة عين ولا الى أحد من خلقك

والاستغاثة برحمته استغاثة به في الحقيقة كما ان الاستعاذة بصفاته استعاذة به في الحقيقة وكما ان القسم بصفاته قسم به في الحقيقة ففي الحديث اعوذ بكلمات الله التامة من شر ما خلق وفيه أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وبك منك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك

ولهذا استدل الائمة فيما استدلوا على ان كلام الله غير مخلوق بقوله أعوذ بكلمات الله التامة قالوا والاستعاذة لا تصلح بالمخلوق

وكذلك القسم قد ثبت في الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم

قال من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت وفي لفظ من حلف بغير الله فقد أشرك رواه الترمذي وصححه ثم قد ثبت في الصحيح الحلف بعزة الله ولعمر الله ونحو ذلك مما اتفق المسلمون على انه ليس من الحلف بغير الله الذي نهى عنه والاستعانة بمعنى أن يطلب من الرسول ماهو اللائق بمنصبه لاينازع فيها مسلم ومن نازع في هذا المعنى فهو اما كافر ان أنكر مايكفر به واما مخطيء ضال

وأما بالمعنى الذي نفاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو أيضاً مما يجب نفيها ومن أثبت لغير الله مالا يكون الا لله فهو أيضاً كافر اذا قامت عليه الحجة التي يكفر تاركها

ومن هذا الباب قول أبي يزيد البسطامي استغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة الغريق بالغريق وقول الشيخ أبي عبد الله القرشي المشهور بالديار المصرية استغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة المسجون بالمسجون

وفي دعاء موسى عليه السلام اللهم لك الحمد واليك المشتكى وانت المستعان وبك المستغاث وعليك التكلان ولاحول ولا قوة الا بك

ولما كان هذا المعنى هو المفهوم منها عند الاطلاق وكان مختصاً بالله صح اطلاق نفيه عما سواه ولهذا لا يعرف عن أحد من أئمة المسلمين انه جوز مطلق الاستغاثة بغير الله ولا أنكر على من نفى مطلق الاستغاثة عن غير الله

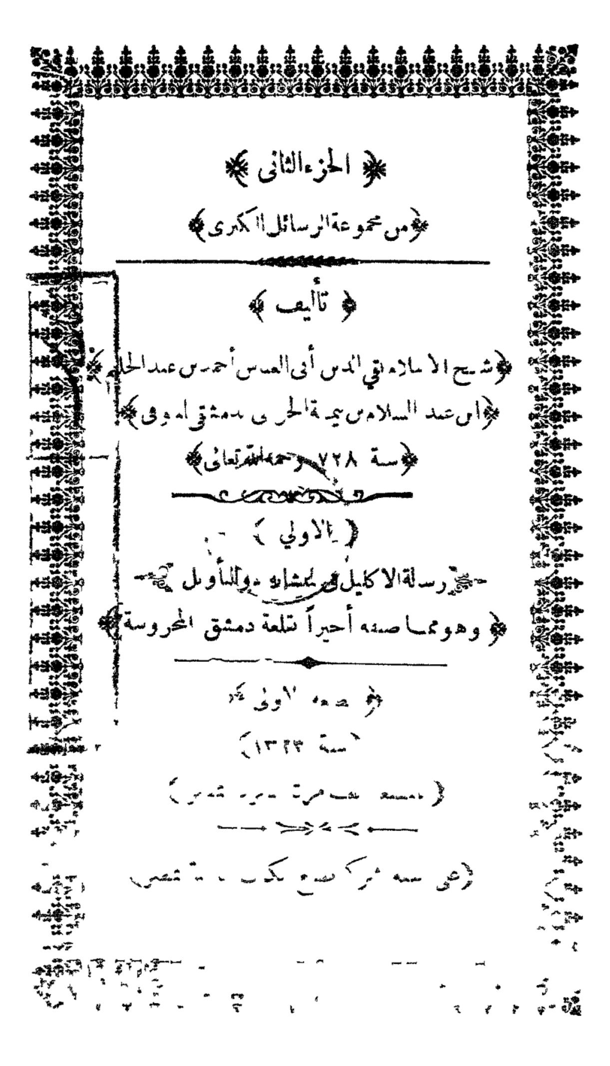
وكذلك الاستعانة أيضاً فيها مالا يصلح الا لله وهي المشار اليها بقوله اياك نعبد واياك نستعين فانه لا يعين على العبادة الاعانة المطلقة الا الله

وقد يستعان بالمخلوق فيما يقدر عليه وكذلك الاستنصار قال الله تعالى
وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر والنصر المطلق هو خلق ما به
يغلب العدو ولا يقدر عليه الا الله

ومن خالف ما ثبت بالكتاب والسنة فانه يكون اما كافراً واما
فاسقاً واما عاصياً الا أن يكون مؤمناً مجتهداً مخطئاً فيثاب على اجتهاده
ويغفر له خطؤه وكذلك ان كان لم يبلغه العلم الذي تقوم عليه به الحجة
فان الله يقول وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وأما اذا قامت
عليه الحجة الثابتة بالكتاب والسنة فخالفها
فانه يعاقب بحسب ذلك اما بالقتل
واما بدونه والله أعلم

تمت الرسالة الثانية عشر

وبتمامها تم ولله الحمد طبع الجزء الاول من مجموعة الرسائل الكبرى
لشيخ الاسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن تيمية الحراني الدمشقي
(ويليه ان شاء الله الجزء الثاني وأوله الرسالة الثالثة عشر المسماة)
بالاكليل في المتشابه والتأويل



الجزء الثاني

من مجموعة الرسائل الكبرى

تأليف

شيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم

ابن عبد السلام بن تيمية الحراني الدمشقي المتوفى

سنة ٧٢٨ رحمه الله تعالى

(الأولى)

رسالة الإكليل في المتشابه والتأويل

وهو مما صنفه أخيراً بقلعة دمشق المحروسة

الطبعة الأولى

سنة ١٣٢٣

[illegible]

على نفقة شركة طبع الكتب العربية بمصر



﴿قال شيخ الاسلام علم الاعلام أبو العباس أحمد بن تيمية الحراني الدمشقي﴾

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

فصل قوله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته (الى قوله) ليجعل مايلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وان الظالمين لفي شقاق بعيد وليعلم الذين أوتوا العلم انه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وان الله لهادي الذين آمنوا الى صراط مستقيم

جعل الله القلوب ثلاثة أقسام قاسية وذات مرض ومؤمنة مخبتة وذلك لانها اما أن تكون يابسة جامدة لاتلين للحق اعترافا واذعانا أو لا تكون يابسة جامدة * فالاول هو القاسي وهو الجامد اليابس بمنزلة الحجر لاينطبع ولا يكتب فيه الايمان ولا يرتسم فيه العلم لان ذلك يستدعي محلا لينا قابلا * والثاني لايخلو اما أن يكون الحق ثابتا فيه لايزول عنه لقوته مع لينه أو يكون لينه مع ضعف وانحلال فالثاني هو الذي فيه مرض والاول هو القوى اللين وذلك ان القلب بمنزلة أعضاء الجسد كاليد مثلا فاما أن تكون جامدة يابسة لاتلتوي ولا تبطش أو تبطش بعنف فذلك مثل القلب القاسي أو تكون ضعيفة مريضة عاجزة لضعفها ومرضها فذلك الذي

ده مرض أو يكون ناطشه نتوة ولين فهو مثل القلب العليم الرحيم والرحمة حرج عن القسوة وبالعلم حرج عن المرض فان المرض من الشكوك والشبهات ولهذا وصف من عدى هؤلاء بالعلم والايمان ولاحبات وفي قوله (وليعلم الدين أوتوا العلم انه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم) دال على ان العلم يدل على الايمان ليس من أهل العلم يرفعوا عن درجة الايمان كما يتوهمه طائفة من المتكلمة بل معهم العلم والايمان كما قال تعالى (لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك) وقال تعالى (وقال الدين أوتوا العلم والايمان) وعلى هذا فقوله والراسخون في العلم تقولون آمنا به كل من عند ربنا نظير هذه الآية فانه أخبر هنا ان الذين أوتوا العلم يعلمون انه الحق من ربهم وأخبر هناك أنهم يقولون في المتشابه آمنا به كل من عند ربنا وكلا الموضعين موضع شبهة لغيرهم وان الكلام هناك في المتشابه وهنا فيما يلقي الشيطان مما ينسخه الله ثم يحكم الله آياته وجعل المحكم هنا ضد الذي نسخه الله مما ألقى الشيطان ولهذا قال طائفة من مفسري المتقدمين المحكم هو الناسخ والمتشابه المنسوخ

أرادوا والله أعلم قوله ينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والنسخ هنا رفع ما ألقاه الشيطان لا رفع ما شرعه الله وقد أشرت الى وجه ذلك فيما بعد وهو ان الله جعل المحكم مقابل متشابه تارة ومقابل المنسوخ أخرى والمنسوخ يدخل فيه في اصطلاح السلف كل ظاهر ترك ظاهره لمعارض راجح كتخصيص العام وتقييد المطلق فان هذا متشابه لانه يحتمل معنيين ويدخل فيه المجمل فانه متشابه

واحكامه رفع مايتوهم فيـه من المعنى الذى ليس بمراد وكذلك مارفع حكمه فان في ذلك جميعه نسخا لما يلقيه الشيطان في معانى القرآن ولهذا كانوا يقولون هل عرفت الناسخ من المنسوخ فاذا عرفت الناسخ عرفت المحكم وعلى هذا فيصح أن يقال المحكم والمنسوخ كما يقال المحكم والمتشابه وقوله بعد ذلك ثم يحكم الله آياته جعل جميع الآيات محكمة محكمـها ومتشابهها كما قال (الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت) وقال (تلك آيات الكتاب الحكيم) على أحد القولين وهنالك جعل الآيات قسمين محكما ومتشابها كما قال (منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات) وهذه المتشابهات مما انزله الرحمن لا مما ألقاه الشيطان ونسخه الله فصار المحكم في القرآن تارة يقابل بالمتشابه والجميع من آيات الله وتارة يقابل بما نسخه الله مما ألقاه الشيطان

ومن الناس من جعله مما ... نسخه الله ... حتى يقول هذه الآية محكمة ليست منسوخة ويجعل المنسوخ ليس محكما وان كان ... أنزله أولا اتباعا لظاهر من قوله فينسخ الله ويحكم الله آياته فهذه ثلاث معان تقابل المحكم ينبغى التفطن لها

وجماع ذلك ان الاحكام تارة يكون في التنزيل فيكون في مقابلته مايلقيه الشيطان فالمحكم المنزل من عند الله أحكمه الله أى فصله من الاشتباه بغيره وفصل منه ما ليس منه فان الاحكام هو الفصل والتمييز والفرق والتحديد الذى به يتحقق الشيء ويحصل اتقانه ولهذا دخل فيه معنى المنع كما دخل في ... تارة يكون في ابقاء التنزيل عند من قابله بالنسخ الذى هو رفع ماشرع ...

اصطلاحي أو نقال وهو أشبه بقول السلف كانوا يسمون كل رفع نسخا سواء
كان رفع حكم او رفع دلالة ظاهرة والقاء الشيطان فى أمنيته قد يكون فى
نفس لفظ المبلغ وقد يكون في مسمع المبلغ وقد يكون فى فهمه كما قال (أنزل
من السماء ماء فسالت أودية بقدرها) الآية ومعلوم ان من سمع
سمع النص الذى قد رفع حكمه أو دلالة له فانه يلقى الشيطان في تلك التلاوة
تبع ذلك المنسوخ فيحكم الله آياته بالناسخ الذى به رفع الحكم وبان
المراد وعلى هذا التقدير فيصح أن يقال المتشابه المنسوخ بهذا الاعتبار
والله أعلم

وتارة يكون الحكم في التأويل والمعنى وهو تمييز الحقيقة المقصودة
من غيرها حتى لا تشتبه بغيرها وفي مقابله المحكمات الآيات المتشابهات
التى تشبه هذا وتشبه هذا فتكون محتملة للمعنيين ولم يقل فى المتشابه
لا يعلم تفسيره ومعناه الا الله وانما قال وما يعلم تأويله الا الله وهذا هو
فصل الخطاب بين المتنازعين فى هذا الموضع فان الله أخبر أنه لا يعلم
تأويله الا هو والوقف هنا على ما دل عليه أدلة كثيرة وعليه أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم وجمهور التابعين وجماهير الامة ولكن
لم ينف علمهم بمعانيه وتفسيره بل قال (كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا
آياته) وهذا يعم الآيات المحكمات والآيات المتشابهات وما لا يعقل له معنى
لا يتدبر وقال (أفلا يتدبرون القرآن) ولم يستثن شيئا منه نهى عن تدبره
والله ورسوله انما ذم من اتبع المتشابه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله فأما
من تدبر المحكم والمتشابه كما أمره الله وطلب فهمه ومعرفة معناه فلم
يذمه الله بل أمر بذلك ومدح عليه يبين ذلك ان التأويل قد روي

أن من اليهود الذين كانوا بالمدينة على عهد النبي صلى الله عليه وسلم كحيى ابن أخطب وغيره من طاف من حروف الهجاء التي في أوائل السور تأويل بقاء هذه الامة كما سلك ذلك طائفة من المتأخرين موافقة للصابئة المنجمين وزعموا أنه ستمائة وثلاثة وتسعون عاما لان ذلك هو عدد ما بالحروف في حساب الجمل بعد اسقاط المكرر وهذا من نوع تأويل الحوادث التي أخبر بها القرآن في اليوم الآخر

وروي ان من النصارى الذين وفدوا على النبي صلى الله عليه وسلم في وفد نجران من تأول انا ونحن على ان الالهة ثلاثة لان هذا ضمير جمع وهذا تأويل في الايمان بالله فاولئك تأولوا في اليوم الآخر وهؤلاء تأولوا في الله ومعلوم ان انا ونحن من المتشابه فانه يراد بها الواحد الذي معه غيره من جنسه و يراد بها الواحد الذي معه أعوانه وان لم يكونوا من جنسه ويراد بها الواحد المعظم نفسه الذي يقوم مقام من معه غيره لتنوع اسمائه التي كل اسم منها يقوم مقام مسمى فصار هذا متشابها لان اللفظ واحد والمعنى متنوع والاسماء المشتركة في اللفظ هي من المتشابه وبعض المتواطئ أيضاً من المتشابه ويسميها أهل التفسير الوجوه والنظائر وصنفوا كتب الوجوه والنظائر فالوجوه في الاسماء المشتركة والنظائر في الاسماء المتواطئة وقد ظن بعض أصحابنا المصنفين في ذلك ان الوجوه والنظائر جميعاً في الاسماء المشتركة فهي نظائر باعتبار اللفظ ووجوه باعتبار المعنى وليس الامر على ما قاله بل كلامهم صريح فيما قلناه لمن تأمله والذين في قلوبهم زيغ يدعون المحكم الذي لا اشتباه فيه مثل والهكم اله واحد اني أنا الله لا اله الا أنا فاعبدني ما اتخذ الله من ولد

وما كان معه من إله ولم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ويسمون المتشابه ابتغاء الفتنة لما تأولوا به الناس إذا وضعوه على غير مواضعه وحرفوا الكلم عن مواضعه وابتغاء تأويله وهو الحقيقة التي أخبر عنها وذلك أن الكلام نوعان إنشاء فيه الأمر وأخبار فتأويل الأمر هو نفس الفعل المأمور به كما قال من قال من السلف إن السنة هي تأويل الأمر قالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في ركوعه وسجوده سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي يتأول القرآن تعني قوله فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً

وأما الإخبار فتأويله عين الأمر المخبر به إذا وقع ليس تأويله فهم معناه وقد جاء اسم التأويل في القرآن في غير موضع وهذا معناه قال الله تعالى (ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق) فقد أخبر أنه فصل الكتاب وتفصيله بيانه وتمييزه بحيث لا يشتبه

ثم قال هل ينظرون أي ينتظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله إلى آخر الآية وإنما ذلك مجيء ما أخبر به القرآن بوقوعه من القيامة وأشراطها كالدابة ويأجوج ومأجوج وطلوع الشمس من مغربها ومجيء ربك والملك صفاً صفاً وما في الآخرة من الصحف والموازين والجنة والنار وأنواع النعيم والعذاب وغير ذلك فحينئذ يقولون قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فنعمل غير الذي كنا

تعمل وهذا القدر الذي أخبر به القرآن من هذه الامور لا نعلم وقته وقدره وصفته الا الله فان الله تقول فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة عين وتقول أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقال ابن عباس ليس في الدنيا مما في الجنة الا الاسماء فان الله قد أخبر ان في الجنة خمراً ولبناً وماء وحريراً وذهباً وفضة وغير ذلك ونحن نعلم قطعاً ان تلك الحقيقة ليست مماثلة لهذه بل بينهما تباين عظيم مع التشابه كما في قوله (وأتوا به متشابهاً) على أحد القولين ان يشبه ما في الدنيا وليس مثله فأشبه اسم تلك الحقائق أسماء هذه الحقائق كما أشبهت الحقائق الحقائق من بعض الوجوه ونحن نعلمها اذا خوطبنا بتلك الاسماء من جهة القدر المشترك بينهما ولكن لتلك الحقائق خاصة لا ندركها في الدنيا ولا سبيل الى ادراكها لنا بعدم ادراك عينها او نظيره من كل وجه وتلك الحقائق على ما هي عليه هي تأويل ما أخبر الله وهذا فيه رد على اليهود والنصارى والصابئين من المتفلسفة وغيرهم فانهم ينكرون أن يكون في الجنة أكل وشرب ولباس ونكاح ويمنعون وجود ما أخبر به القرآن ومن دخل في الاسلام ونافق المؤمنين تأول ذلك على أن هذه أمثال مضروبة لتفهيم النعيم الروحاني ان كان من المتفلسفة الصابئة المنكرة لحشر الاجساد وان كان من منافقة الملتين المقرين بحشر الاجساد تأول ذلك على تفهيم النعيم الذي في الجنة من الروحاني والسماع الطيب والروائح العطرة فكل ضال يحرف الكلم عن مواضعه الى ما اعتقد ثبوته وكان في هذا أيضاً

متبعاً للمتشابه اذ الاسماء تشبه الاسماء والمسميات تشبه المسميات ولكن تخالفها أكثر مما تشابهها فهؤلاء يتبعون هـذا المتشابه ابتغاء الفتنة بما يوردونه من الشبهات على امتناع أن يكون فى الجنة هذه الحقائق وابتغاء تأويله ابردوه الى المعهود الذى يعلمونه فى الدنيا قال الله تعالى (وما يعلم تأويله الا الله) فان تلك الحقائق قال الله فيها فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين لا ملك مقرب ولا نبى مرسل

وقوله وما يعلم تأويله اما أن يكون الضمير عائداً على الكتاب أو على المتشابه فان كان عائداً على الكتاب كقوله منه ومنه فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله فهـذا يصح فان جميع آيات الكتاب المحكمة والمتشابهة التى فيها اخبار عن الغيب الذى أمرنا أن نؤمن به لا يعلم حقيقة ذلك الغيب ومتى تقع الا الله وقد يستدل لهـذا ان الله جعل التأويل للكتاب كله مع اخباره أنه مفصل بقوله ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هـدي ورحمة لقوم يؤمنون هل ينظرون الا تأويله يوم يأتى تأويله فجعل التأويل الجائى للكتاب المفصل

وقد بينا ان ذلك التأويل لا يعلمه وقتاً وقدراً ونوعاً وحقيقة الا الله و انما نعلم نحن بعض صفاته بمبلغ علمنا لعدم نظيره عندنا وكذلك قوله (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله) واذا كان التأويل الكتاب كله والمراد به ذلك ارتفعت الشبهة وصار هذا بمنزلة قوله (يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل انما علمها عند ربى لا يجليها لوقتها الا هو ثقلت فى السموات والارض) الى قوله (انما علمها عند الله) وكذلك قوله (يسألك

الناس عن الساعة قل إنما علمها عند الله وما يدريك لعل الساعة تكون قريباً) فأخبر أنه ليس علمها إلا عند الله وإنما هو علم وقتها المعين وحقيقتها وإلا فنحن قد علمنا من صفاتها ما أخبرنا به فعلم تأويله كعلم الساعة والساعة من تأويله وهذا واضح بين ولا ينافي كون علم الساعة عند الله أن نعلم من صفاتها وأحوالها ما علمناه وأن نفسر النصوص المبينة لأحوالها فهذا هذا وإن كان الضمير عائداً إلى ما تشابه كما يقوله كثير من الناس ولأن المخبر به من الوعد والوعيد متشابه بخلاف الأمر والنهي ولهذا في الآثار العمل بمحكمه والإيمان بمتشابهه لأن المقصود في الخبر الإيمان وذلك لأن المخبر به من الوعد والوعيد فيه من المتشابه ما ذكرناه بخلاف الأمر والنهي فإنه متميز غير مشتبه بغيره فإنه أمور نفعلها قد علمناها بالوقوع وأمور نتركها لا بد أن نتصورها

ومما جاء من لفظ التأويل في القرآن قوله تعالى (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله) والكناية عائدة على القرآن أو على ما لم يحيطوا بعلمه وهو يعود إلى القرآن قال تعالى (وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به وربك أعلم بالمفسدين) فأخبر سبحانه أن هذا القرآن ما كان ليفترى من دون الله

وهـذه الصيغة تدل على امتناع النفي كقوله (ما كان ربك ليهلك القرى بظلم) لأن الخلق عاجزون عن الاتيان بمثله كما تحداهم وطالبهم لما قال أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين فهذا التحدي للجميع المخلوقين قال تعالى ولكن تصديق الذي بين يديه اي تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب أي مفصل الكتاب فأخبر أنه مصدق الذي بين يديه ومفصل الكتاب والكتاب اسم جنس ولما تحدى القائلين افتراه دل على أنهم هم المفترون قال بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله ففرق بين الاحاطة بعلمه وبين اتيان تأويله فتبين انه يمكن أن يحيط أهل العلم والايمان بعلمه ولما يأتهم تأويله وان الاحاطة بعلم القرآن ليست اتيان تأويله فان الاحاطة بعلمه معرفة معاني الكلام على التمام واتيان التأويل نفس وقوع المخبر به وفرق بين معرفة الخبر وبين المخبر به فمعرفة الخبر هي معرفة تفسير القرآن ومعرفة المخبر به هي معرفة تأويله وهذا هو الذي بيناه فيما تقدم ان الله انما أنزل القرآن ليعلم ويفهم ويفقه ويتدبر ويتفكر فيه محكمه ومتشابهه وان لم يعلم تأويله

ويبين ذلك ان الله نفى عن الكفار واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا واذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفورا) فقد أخبر ذمّا لهم بأنهم لا يفقهون القرآن حجب بين أبصارهم وبين الرسول بحجاب مستور وجعل على

ولو بهم أكنة ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا فلو كان أهل العلم والايمان على قلوبهم أكنة أن يفقهوا بعضه لشاركوهم في ذلك وقوله أن يفقهوه يعود الي القرآن كله

فعلم ان الله يحب أن نفقه ولهذا قال الحسن البصري ماأنزل الله آية الا وهو يحب أن يعلم فيماذا أنزلت وماذا عنى بها وما استثنى من ذلك لا متشابها ولا غيره

وقال مجاهد عرضت المصحف على ابن عباس من أوله الى آخره مرات أقف عند كل آية وأسأله عنها فهذا ابن عباس حبر الامة وهو أحد من كان يقول لا يعلم تأويله الا الله يجيب مجاهدا عن كل آية في القرآن

وهذا هو الذي حمل مجاهدا ومن وافقه كابن قتيبة على ان جعلوا الوقف عند قوله والراسخون في العلم جعلوا الراسخين يعلمون التأويل لان مجاهدا تعلم من ابن عباس تفسير القرآن كله وبيان معانيه فظن ان هذا هو التأويل المنفي عن غير الله

وأصل ذلك ان لفظ التأويل فيه اشتراك بين ماعناه الله في القرآن وبين ما كان يطلقه طوائف من السلف وبين اصطلاح طوائف من المتأخرين فبسبب الاشتراك في لفظ التأويل اعتقد كل من فهم منه معنى بلغته أن ذلك هو المذكور في القرآن * ومجاهد امام المفسرين قال الثوري اذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به وأما التأويل فشأن آخر

ويبين ذلك ان الصحابة والتابعين لم يمتنع أحد منهم عن تفسير آية من كتاب الله وقال هذه من المتشابه الذي لا يعلم معناه ولا قال قط أحد

من سلف الامة ولا من الائمة اتبعوهم ان في القرآن آيات لا يعلم معناها ولا يفهمها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أهل العلم والايمان جميعهم وانما قد ينفون علم بعض ذلك عن بعض الناس وهذا لاريب فيه

وانما وضع هذه المسئلة المتأخرون من الطوائف بسبب الكلام في آيات الصفات وآيات القدر وغير ذلك فلقبوها هل يجوز أن يشتمل القرآن على ما لا يعلم معناه وما تعبدنا بتلاوة حروفه بلا فهم. فجوز ذلك طوائف متمسكين بظاهر من هذه الآية وبأن الله يمتحن عباده بما شاء ومنعها طوائف ليتوصلوا بذلك الي تأويلاتهم الفاسدة التي هي تحريف الكلم عن مواضعه * والغالب على كلا الطائفتين الخطأ أولئك يقصرون في فهم القرآن بمنزلة من قيل فيه ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب الا أماني وهؤلاء معتدون بمنزلة الذين يحرفون الكلم عن مواضعه

ومن المتأخرين من وضع المسئلة بلقب شنيع فقال لا يجوز أن يتكلم الله بكلام ولا يعني به شيئا خلافا للحشوية وهذا لم يقله مسلم ان الله يتكلم بما لا معنى له

وانما النزاع هل يتكلم بما لا يفهم معناه وبين نفي المعنى عند المتكلم ونفي الفهم عند المخاطبين بون عظيم

ثم احتج بما لا يجري على أصله فقال هذا عبث والعبث على الله محال وعنده ان الله لا يستقبح منه شيء أصلا بل يجوز أن يفعل كل شيء وليس له أن يقول انه بعث صفة نقص فهو منتف عنه لأن النزاع في الحروف وهي عنده مخلوقة من جملة الافعال ويجوز أن يشتمل الفعل عنده على كل

صفة ولا نقل صحيح ولا عقل صريح

وصار السنة بين الطائفتين وصار عقولهم ان مدعي اولئك أخطؤا في زعمهم أن العلماء يعلمون التأويل وفي دعواهم أن التأويل هو تأويلهم الذي هو تحريف الكلم عن مواضعه فان الاولين لعلمهم بالقرآن والسنن وصحة عقولهم وعلمهم بكلام السلف وكلام العرب علموا يقيناً ان التأويل الذي يدعيه هؤلاء ليس هو معنى القرآن فانهم حرفوا الكلم عن مواضعه وصاروا مراتب ما بين قرامطة وباطنية يتأولون الاخبار والاوامر وما بين صابئة فلاسفة يتأولون عامة الاخبار عن الله وعن اليوم الآخر حتى عن أكثر أحوال الانبياء وما بين جهمية ومعتزلة يتأولون بعض ماجاء في اليوم الآخر وفي آيات القدر ويتأولون آيات الصفات وقد وافقهم بعض متأخري الاشعرية على ماجاء في بعض الصفات وبعضهم في بعض ماجاء في اليوم الآخر وآخرون من أصناف الامة وان كان يغلب عليهم السنة فقد يتأولون أيضاً مواضع يكون تأويلهم من تحريف الكلم عن مواضعه والذين ادعوا العلم بالتأويل مثل طائفة من السلف وأهل السنة وأكثر أهل الكلام والبدع رأوا أيضاً ان النصوص دلت على معرفة معاني القرآن ورأوا عجزاً وعيباً وقبيحاً أن يخاطب الله عباده بكلام يقرؤنه ويتلونه وهم لايفهمونه وهم مصيبون فيما استدلوا به من سمع وعقل لكن أخطأوا في معنى التأويل الذي نفاه الله وفي التأويل الذي أثبته وتسلق بذلك مبتدعهم الى تحريف الكلم عن مواضعه وصار الاولون أقرب الى السكوت والسلامة

نوع من الجهل وصار الآخرون أكثر كلاما وجدالا ولكن بفرية على الله وقول عليه ما لا يعلمونه والحاد في أسمائه وآياته فهذا هو منشأ الشبهة الاشتراك في لفظ التأويل

فإن التأويل في عرف المتأخرين من المتفقهة والمتكلمة والمحدثة والمتصوفة ونحوهم هو صرف اللفظ عن المعنى الراجح الى المعنى المرجوح لدليل يقترن به وهذا هو التأويل الذي يتكلمون عليه في أصول الفقه ومسائل الخلاف فإذا قال أحد منهم هذا الحديث أو هذا النص مؤول أو هو محمول على كذا قال الآخر هذا نوع تأويل والتأويل يحتاج الى دليل والمتأول عليه وظيفتان بيان احتمال اللفظ للمعنى الذي ادعاه وبيان الدليل الموجب للصرف إليه عن المعنى الظاهر وهذا هو التأويل الذي يتنازعون فيه في مسائل الصفات اذا صنف بعضهم في ابطال التأويل أو ذم التأويل أو قال بعضهم آيات الصفات لا تؤول وقال الآخر بل يجب تأويلها وقال الثالث بل التأويل جائز يفعل عند المصلحة ويترك عند المصلحة أو يصلح للعلماء دون غيرهم الى غير ذلك من المقالات والتنازع

وأما التأويل في لفظ السلف فله معنيان أحدهما تفسير الكلام وبيان معناه سواء وافق ظاهره أو خالفه فيكون التأويل والتفسير عند هؤلاء متقاربا أو مترادفا وهذا والله أعلم هو الذي عناه مجاهد ان العلماء يعلمون تأويله ومحمد بن جرير الطبري يقول في تفسيره القول في تأويل قوله كذا وكذا واختلف أهل التأويل في هذه الآية ونحو ذلك ومراده

التفسير والمعنى الثاني في لفظ السلف وهو الثالث من مسمى التأويل مطلقاً هو نفس المراد بالكلام فان الكلام ان كان طلبا كان تأويله نفس الفعل المطلوب وان كان خبراً كان تأويله نفس الشيء المخبر به وبين هذا المعنى والذي قبله بون فان الذي قبله يكون التأويل فيه من باب العلم والكلام كالتفسير والشرح والايضاح ويكون وجود التأويل في القلب واللسان له الوجود الذهني واللفظي والرسمي

وأما هذا فالتأويل فيه نفس الامور الموجودة في الخارج سواء كانت ماضية أو مستقبلة فاذا قيل طلعت الشمس فتأويل هذا نفس طلوعها وهذا الوضع والعرف الثالث هو لغة القرآن التي نزل بها وقد قدمنا التنبيه على ذلك ومن ذلك قول يعقوب عليه السلام ليوسف (وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث ويتم نعمته عليك) وقوله (ودخل معه السجن فتيان قال أحدهما انى أراني أعصر خمرا وقال الآخر انى أراني أحمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه نبئنا بتأويله انا نراك من المحسنين قال لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما) وقول الملا (أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين وقال الذي نجا منهما وادكر بعد أمة أنا أنبئكم بتأويله فارسلون) وقول يوسف لما دخل عليه أهله مصر وآوى اليه أبويه وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا وقال ياأبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقاً)

فتأويل الاحاديث التي هي رؤيا المنام هي نفس مدلولها التي تؤول

ايه كما قال يوسف هـذا تأويل رؤياي من قبل والعالم سأويلها الذى يحضر به كما قال يوسف لايأتيكما طعام ترزقانه أى في المنام الا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما أى قبل أن يأتيكما التأويل وقال الله تعالى (فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا)قالوا احسن عاقبة ومصيرا فالتأويل هنا تأويل فعلهم الذى هو الرد الى الكتاب والسنة والتأويل في سورة يوسف تأويل أحاديث الرؤيا والتأويل في الاعراف ويونس تأويل القرآن وكذلك في سورة آل عمران وقد تعالى في قصة موسى والعالم (قال هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل مالم تستطع عليه صبرا) الى قوله (وما فعلته عن أمرى ذلك تأويل مالم تسطع عليه صبرا) فالتأويل هنا تأويل الافعال التى فعلها العالم من خرق السفينة بغير اذن صاحبها ومن قتل الغلام ومن اقامة الجدار فهو تأويل عمل لا تأويل قول وانما كان كذلك لان التأويل مصدر أوله يؤوله تأويلا مثل حول تحويلا وعول تعويلا وأول يؤول تعديه آل يؤول أولا مثل حال يحول حولا وقولهم آل يؤول أى عاد الى كذا ورجع اليه ومنه المآل وهو ما يؤول اليه الشيء ويشاركه في الاشتقاق الأكبر الموئل فانه وان كان من وأل فهو من المرجع قال تعالى (ولن يجدوا من دونه موئلا) ومنه يؤول في اشتقاقه الاصغر الآل فان آل الشخص من يؤول اليه وهذا لا يستعمل الا في عظيم بحيث يكون المضاف اليه يصلح أن يؤول اليه الآل كآل ابراهيم وآل لوط وآل فرعون بخلاف الاهل والاول أصل لانهم قالوا في

تأنيثه أولى كما قالوا جمادى الاولى وفي القصص (وله الحمد في الاولى والآخرة) ومن الناس من يقول فوعل ويقول أوله الا أن هذا يحتاج الى شاهد من كلام العرب بل عدم صرفه يدل على انه أفعل لافوعل فان فوعل مثل كوثر وجوهر مصروف سمي المقدم أول والله أعلم لان مابعده يؤول اليه ويبني عليه فهو اس لما بعده وقاعدة له وأصله صفة تفضيل مثل أكبر وكبرى وأصغر وصغرى لامن باب احمر وحمراء ولهذا يقولون جئته أول من أمس وقال من أول يوم وأنا أول المسلمين ولا تكونوا أول كافر به ومثل هذا أول هؤلاء فهذا الذي فضل عليهم في الاول لان كل واحد يرجع الى ماقبله فيه فيعتمد وهذا السابق كلهم يؤول اليه فان من تقدم في فعل فاستن به من بعده كان السابق الذي يؤول اليه الكل فالاول له وصف السودد والاتباع ولفظ الاول مشعر بالرجوع والعود والاول مشعر بالابتداء والمبتدأ خلاف العائد لانه انما كان أولا لما بعده فانه يقال أول المسلمين وأول يوم فما فيه من معنى الرجوع والعود هو للمضاف اليه لاللمضاف واذا قلنا آل فلان فالعود في المضاف لان ذلك صيغة تفضيل في كونه مآلا ومرجعا لغيره لان كونه مفعلا دل على انه مآل ومرجع لا آيل راجع اذ لاتفضيل في كون الشيء راجعا الي غيره آئلا اليه وانما التفضيل في كونه هو الذي يرجع اليه ويؤال فاما كانت الصفة صيغة تفضيل أشعرت بانه مفضل في كونه مآلا ومرجعا والتفضيل المطلق في ذلك يقتضي أن يكون هو السابق المبتديء والله أعلم

فتأويل الكلام ما أوله اليه المتكلم أو مايؤول اليه الكلام او ماتأوله المتكلم فان الفعيل يجري على غير فعل كقوله وتبتل اليه تبتيلا ويجوز أن يقال تأول الكلام الى هذا المعنى تأويلا والمصدر واقع موقع الصفة اذ قد يحصل المصدر صفة بمعنى الفاعل كعدل وصوم وفطر وبمعنى المفعول كدرهم ضرب الامير وهذا خلق الله فالتأويل هو ما أول اليه الكلام أو يؤول اليه أو تأول هو اليه والكلام انما يرجع ويعود ويستقر ويؤول ويؤول الى حقيقته التي هي عين المقصود به كما قال بعض السلف في قوله لكل نبأ مستقر قال حقيقته فانه ان كان خبرا فالى حقيقته يخبر بها يؤول ويرجع والا لم يكن له حقيقة ولا مآل ولا مرجع بل كان كذبا وان كان طلبا فالى الحقيقة المطلوبة يؤول ويرجع والا لم يكن مقصوده موجودا ولا حاصلا ومتى كان الخبر وعدا أو وعيدا فالى الحقيقة المطلوبة المنتظرة يؤول كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه تلا هذه الآية (قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعا) قال انها كائنة ولم يأت تأويلها بعد [illegible] أو [illegible] في المشاهد [illegible] الذي لا يعلم [illegible] الا الله [illegible] الله [illegible] وسلم [illegible] واحد [illegible] وغيرهم [illegible] وان أصلوا في [illegible] نحو من [illegible] وقع [illegible] الكلام على [illegible] من المتشابه [illegible] فمعول [illegible] أعلم من

أحد من سلف الأمة ولا من الأئمة لا أحمد بن حنبل ولا غيره أنه جعل ذلك من المتشابه الداخل في هذه الآية ونفى أن يعلم أحد معناه وجعلوا أسماء الله وصفاته بمنزلة الكلام الأعجمي الذي لا يفهم ولا قالوا إن الله ينزل كلاما لا يفهم أحد معناه وإنما قالوا كلمات لها معان صحيحة قالوا في أحاديث الصفات تمر كما جاءت ونهوا عن تأويلات الجهمية وردوها وأبطلوها التي مضمونها تعطيل النصوص عن ما دلت عليه ونصوص أحمد والأئمة قبله بينة في أنهم كانوا يبطلون تأويلات الجهمية ويقرون النصوص على ما دلت عليه من معناها ويفهمون منها بعض ما دلت عليه كما يفهمون ذلك في سائر نصوص الوعد والوعيد والفضائل وغير ذلك وأحمد قد قال في غير أحاديث الصفات تمر كما جاءت في أحاديث الوعيد مثل قوله من غشنا فليس منا وأحاديث الفضائل ومقصوده بذلك أن الحديث لا يحرف كلمه عن مواضعه كما يفعله من يحرفه ويسمي تحريفه تأويلا بالعرف المتأخر

فتأويل هؤلاء المتأخرين عند الأئمة تحريف باطل وكذلك نص أحمد في كتاب الرد على الزنادقة والجهمية أنهم تمسكوا بمتشابه القرآن وتكلم أحمد على ذلك المتشابه وبين معناه وتفسيره بما يخالف تأويل الجهمية وجرى في ذلك على سنن الأئمة قبله فهذا اتفاق من الأئمة على أنهم يعلمون معنى هذا المتشابه وأنه لا يسكت عن بيانه وتفسيره بل يبين ويفسر باتفاق الأئمة من غير تحريف له عن مواضعه أو إلحاد في أسماء الله وآياته

ومما يوضح لك موقع هذا من الاضطراب ان أهل السنة متفقون
على ابطال تأويلات الجهمية ونحوهم من المنحرفين الملحدين والتأويل
المردود هو صرف الكلام عن ظاهره الى ما يخالف ظاهره فلو قيل
ان هذا هو التأويل المذكور في الآية وانه لا يعلمه الا الله لكان في
هذا تسليم للجهمية ان للآية تأويلا يخالف دلالتها لكن ذلك لا يعلمه
الا الله وليس هذا مذهب السلف والائمة وانما مذهبهم نفي هذه
التأويلات وردها لا التوقف فيها وعندهم قراءة الآية والحديث تفسيرها
وتمر كما جاءت دالة على المعاني لا تحرف ولا يلحد فيها

والدليل على ان هذا ليس بمتشابه لا يعلم معناه ان نقول لا ريب
ان الله سمى نفسه في القرآن بأسماء مثل الرحمن والودود والعزيز
والجبار والعليم والقدير والرؤف ونحو ذلك ووصف نفسه بصفات
مثل سورة الاخلاص وآية الكرسي وأول الحديد وآخر الحشر وقوله
(ان الله بكل شيء عليم) (وعلى كل شيء قدير • والله يحب المتقين • والمقسطين
والمحسنين • ورضي عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات • وما آسفونا
انتقمنا منهم • ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله • ولكن كره الله انبعاثهم •
الرحمن على العرش استوى • ثم استوى على العرش • يعلم ما يلج في الارض
وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها • وهو معكم أينما
كنتم • وهو الذي في السماء إله وفي الارض إله وهو العلي العظيم • اليه
يصعد الكلم الطيب • والعمل الصالح يرفعه • انني معكما أسمع وأرى • وهو
الله في السموات وفي الارض • ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي • بل

يد ممسوطتان • ينفق كيف يشاء • ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام •
يريدون وجهه (واصنع على عيني) الى أمثال ذلك فيقال لمن ادعى
في هذا انه متشابه لا نعلم معناه أنقول هذا في جميع ما سمى الله ووصف
به نفسه أم في البعض فان قلت هذا في الجميع كان هذا عنادا ظاهرا
وجحدا لما يعلم بالاضطرار من دين الاسلام بل كفر صريح فانا
نفهم من قوله (ان الله بكل شيء عليم) معنى ونفهم من قوله (ان الله على
كل شيء قدير) معنى ليس هو الاول ونفهم من قوله (ورحمتي وسعت كل
شيء) معنى ونفهم من قوله (ان الله عزيز ذو انتقام) معنى وصبيان المسلمين
بل وكل عاقل يفهم هذا وقد رأيت بعض من ابتدع وجحد من اهل
المغرب مع انتسابه الى الحديث لكن أثرت فيه الفلسفة الفاسدة من
يقول انما سمى الله الرحمن الرحيم القدير علما محضا من غير ان نفهم منه
معنى يدل على شيء قط وكذلك في قوله (ولا يحيطون بشيء من علمه)
يطلق هذا اللفظ من غير ان نفهم منه شيئا

وهذا الغلو في الظاهر من جنس غلو القرامطة في الباطن لكن هذا
يبس وذاك أكفر

ثم يقال لهذا المعاند فهل هذه الاسماء داله على الاله المعبود
أو على حق موجود أم لا فان قال لا كان معطلا محضا وما أعلم مسلما
يقول هذا وان قال نعم قيل له فهمت منها دلالتها على نفس الرب ولم
تفهم دلالتها على ما فيها من المعاني من الرحمة والعلم وكلاهما في الدلالة
سواء فلا بد ان يقول لان ثبوت الصفات محال في العقل لانه يلزم منه

التركيب أو الحدوث بخلاف الذات فيخاطب حينئذ فالمخاطب به الفريق
الثاني كما سنذكره وهو من أقر بفهم بعض معنى هذه الأسماء والصفات
دون بعض فيقال له ما فرق بين ما أثبته وبين ما نفيته أو سكت عن
اثباته ونفيه فإن الفرق إما أن يكون من جهة السمع لأن أحد النصين
دال دلالة قطعية أو ظاهرة بخلاف الآخر أو من جهة العقل بأن أحد
المعنيين يجوز أو يجب اثباته دون الآخر وكلا الوجهين باطل في أكثر
المواضع * أما الأول فدلالة القرآن على أنه رحمن رحيم ودود سميع بصير
علي عظيم كدلالته على أنه عليم قدير ليس بينهما فرق من جهة النص
وكذلك ذكره رحمته ومحبته وعفوه مثل ذكره لمشيئته وارادته * وأما
الثاني فيقال لمن أثبت شيئا ونفى آخر لم نفيت مثلا حقيقة رحمته ومحبته
وأعدت ذلك الى ارادته فإن قال لأن المعنى المفهوم من الرحمة في حقنا
هي رقة تمتنع على الله قيل له والمعنى المفهوم من الارادة في حقنا هي ميل
يمتنع على الله فإن قال ارادته ليست من جنس ارادة خلقه قيل له ورحمته
ليست من جنس رحمة خلقه وكذلك محبته وإن قال وهو حقيقة قوله
لم أثبت الارادة وغيرها بالسمع وإنما أثبت العلم والقدرة والارادة بالعقل
وكذلك السمع والبصر والكلام على احدى الطريقتين فإن الفعل دل
على القدرة والاحكام دل على العلم والتخصيص دل على الارادة
قيل له الجواب من ثلاثة أوجه

أحدها أن الانعام والاحسان وكشف الضر دل أيضا على الرحمة
كدلالة التخصيص على الارادة والتقريب والادناء وأنواع التخصيص

اني لا يكون الا من المحب يدل على الخيرة أو مطابق التخصيص يدل على الارادة وأما التخصيص بلا تامة تخصيص خاص والتخصيص بالعرب والاصطلاح غرب خاص وما يذكر في مسألة الارادة يسلك في مثل هذا

الثاني يقال له هب ان العقل لا يدل على هذا فانه لا ينفيه الا بمثل ما ينفي به الارادة والسمع دال على ذلك بنفسه بل الطمأنينة اليه في هذه المضايق أعظم ودلالته أتم فلأي شيء نفيت مدلوله أو توقفت وأعدت هذه الصفات كلها الى الارادة مع أن النصوص تفرق ولا يمكن جعلها لا عورض عنها في اثباته الارادة زائدة على العلم

الثالث يقال له اذا قال لك الجهمي الارادة لا معنى لها الا عدم الاكراه أو نفس الفعل ولا ... أثبات ارادة ... محذورا ... قال نقيضها ومحذور ... خرا

... ... قديمة عندهم ولا يقولون تجدد صفة له لامتناع حلول الحوادث عند أكثرهم مع تناقضهم

فصاروا حزبين البغداديون وهم أشد غلوا في البدعة في الصفات وفي القدر نفوا حقيقة الارادة وقال الجاحظ لا معنى لها الا عدم الاكراه وقال الكعبي لا معنى لها الا نفس الفعل اذا تعلقت بفعله ونفس الامر اذا تعلقت بفعل عباده

والبصريون كأبي علي وأبي هاشم قالوا تحدث ارادة لا في محل ولا

ارادة فالتزموا حدوث حادث عير مراد وقيام صفة بغير محل وكلاهما
عند العقلاء معلوم الفساد بالبديهة كان جوابه ان مادعيتم انتفاءه من ثبوت
الصفات ليس بمحال والنص قد دل عليها والعقل أيضاً فاذا أخذ الخصم
ينازع في دلالة النص أو العقل جعله سفسطة أو مقرمطا وهذا لا ينفيه
موجود في الرحمة والإرادة فان خصومه ينازعونه في دلالة السمع والعقل
عليها على الوجه القطعي

ثم يقال لخصومه ثم انتم انه عليم قدير بما أثبتوه به من سمع وعقل
فحينئذ تثبت الارادة وما عارضوا به من الشبه عورضوا بمثله في العلم
والقدرة واذا انتهى الامر الى ثبوت المعنى وانها تستلزم حدوث أو
التركيب والافتقار كان الجواب ماقررناه في غير هذا الموضع فان ذلك
لا يستلزم حدوثا ولا تركيباً مقتضياً حاجة الى غيره

ويعارضون أيضاً بما ينفي به اهل التعطيل الذات من الشبه الفاسدة
ويلزمون بوجود الرب الخالق المعلوم بالفطرة الخاصية والضرورة العقلية
والقواطع العقلية واتفاق الامم وغير ذلك من الدلائل ثم يطالبون بوجود
من جنس ما يعهدونه أو بوجود يعرفون كيفيته ولا بد أن يفرو الى اثبات
بلا تشبيه حقيقة الخلائق فانعون في سائر ماسمى ووصف به نفسه
كالمنون في نفسه سبحانه وتعالى وبكل هذا الكلام ان ثبات من في
وأثبت شيئا مما دل عليه الكتاب والسنة لابد أن يثبت النافي بنفي
واسماء المانع ونفي الشيء لوجود المانع أو لعدم المقتضى أو يتوقف
اذا لم يكن له عنده مقتض ولا مانع فيبين له أن المقتضى فيما نفاه قائم

كما أنه فيما أثبته قائم اما من كل وجه أو من وجه يجب به الاثبات فان كان المقتضي هناك حقاً وكذلك هنا والافرق ذاك المقتضي من جنس فرق هذا

وأما المانع فيقال ان المانع الذي يحيله فيما نفاه من جنس المانع الذي يحيله فيما أثبته فاذا كان ذلك المانع المستحيل موجودا على التقديرين لم يبح من محذوره باثبات أحدهما ونفي الآخر فانه ان كان حقاً نفاهما وان كان باطلا لم ينف واحداً منهما فعليه أن يسوى بين الامرين في الاثبات والنفي ولا سبيل الى النفي فتعين الاثبات

فهذه نكتة الالزام لمن أثبت شيئا وما من أحد الا ولا بد أن يثبت شيئا أو يجب عليه اثباته فهذا يعطيك من حيث الجملة أن اللوازم التي يدعى أنها موجبة النفي خيالات غير صحيحة وان لم تعرف فسادها على التفصيل وأما من حيث التفصيل فيبين فساد المانع وتبين ما ادعى كما قرر هنا غير مرة

فان قال من اثبت هذه الصفات التي هي فينا اعراض كالحياة والعلم والقدرة ولم يثبت ما هو فينا أبعاض كاليد والقدم هذه أجزاء وأبعاض تستلزم التركيب والتجسيم

قيل له وتلك أعراض تستلزم التجسيم والتركيب العقلي كما استلزمت هذه عندك التركيب الحسي فان أثبت تلك على وجه لا تكون اعراضاً أو تسميتها أعراضاً لا تمنع ثبوتها قيل له وأثبت هذه على وجه لا تكون تركيباً وأبعاضاً أو تسميتها تركيباً وأبعاضاً لا تمنع ثبوتها

فان قيل هـذه لا عقل منها الا لاجزاء قيل له وثالث لا يعقل منها الا الاعراض فان قال العرض فلا يبقى وصفات الرب باقية

قيل والبعض ما جاز انفصاله عن الجملة وذلك في حق الله محال ثم مفارقة الصفات للذات مستحيلة في حق الله تعالى مطلقاً والمخلوق يجوز أن تفارقه أعراضه وأبعاضه

فان قال ذلك تجسيم قلنا للتجسيم قيل وهذا تجسيم والتجسيم منتف

فان قال انا لم نقل صفة ليست عرضاً لغير متحيز وان لم يكن له في الشاهد نظير قيل له فلنقل صفة هي لنا بعض لغير متحيز وان لم يكن له في الشاهد نظير فان نفي عقل هذا نفي عقل ذاك وان كان بينهما نوع فرق لكنه فرق غير مؤثر في موضع النزاع ولهذا كانت المعطلة الجهمية تنفي الجميع لكن ذلك أيضاً مستلزم لنفي الذات ومن اثبت هذه الصفات الخبرية من نظار هؤلاء صرح بأنها صفة قائمة به كالعلم والقدرة وهذا أيضاً ليس هو معقول النص ولا مدلول العقل وانما الضرورة الجأتهم في هذه المضايق وأصل ذلك انهم أتوا بألفاظ ليست في الكتاب ولا في السنة وهي ألفاظ مجملة مثل متحيز ومحدود وجسم ومركب ونحو ذلك ونفوا مدلولها وجعلوا ذلك مقدمة لنفي ما نفوه ومدلولا عليها بنوع قياس وذلك القياس أوقعهم فيه مسلك سلكوه في اثبات حدوث العالم بحدوث الاعراض او اثبات امكان الجسم بالتركيب من الاجزاء فوجب طرد الدليل بالحدوث والامكان لكن ما شبهه هذا الدليل اذ الدليل القطعي

لا تقبل النزاع لمعارض راجح ورأوا ذلك منكرا عليهم من جهة النصوص ومن جهة العقل من ناحية أخرى فصاروا أحزابا تارة يتأولون القياس الاول ويدفعون ما عارضه وهم المعتزلة وتارة يعلون القياس الثاني ويدفعون الاول كهشام بن الحكم الرافضي فانه قد قيل أول ما تكلم في الجسم نفيا واثباتا من زمن هشام بن الحكم وأبي الهذيل العلاف فان أبا الهذيل ونحوه من قدماء المعتزلة نفوا الجسم لما سلكوا من القياس وعارضهم هشام وأثبت الجسم بما سلكوه من القياس واعتقد الاولون احالة ثبوته واعتقد هذا احالة نفيه وتارة يجمعون بين النصوص والقياس بجمع لظهر فيه الاحالة والتناقض

فما أعلم أحدا من الخارجين عن الكتاب والسنة من جميع فرسان الكلام والفلسفة الا ولا بد أن يتناقض فيحيل ما أوجب نظيره ويوجب ما أحال نظيره اذ كلامهم من عند غير الله وقد قال الله تعالى (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا)

والصواب ما عليه أئمة الهدى وهو أن يوصف الله بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله لا يتجاوز القرآن والحديث ويتبع في ذلك سبيل السلف الماضين أهل العلم والايمان والمعاني المفهومة من الكتاب والسنة لا ترد بالشبهات فتكون من باب تحريف الكلم عن مواضعه ولا يعرض عنها فيكون من باب الذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا ولا يترك تدبر القرآن فيكون من باب الذين لا يعلمون الكتاب الا أماني فهذا أحد الوجهين وهو منع أن تكون هذه من المتشابه

* الوجه الثاني أنه إذا قيل هذه من المتشابه أو كان فيها ما هو من المتشابه كما نقل عن بعض الأئمة أنه سمى بعض ما استدل به الجهمية متشابها فيقال الذي في القرآن أنه لا يعلم تأويله الا الله اما المتشابه واما الكتاب كله كما تقدم ونفي علم تأويله ليس نفي علم معناه كما قدمناه في القيامة وأمور القيامة وهذا الوجه قوي ان ثبت حديث ابن اسحاق في وفد نجران انهم احتجوا على النبي صلى الله عليه وسلم بقوله انا ونحن ونحو ذلك ويؤيده أيضا أنه قد ثبت أن في القرآن متشابها وهو ما يحتمل معنيين وفي مسائل الصفات ما هو من هذا الباب كما أن ذلك في مسائل المعاد وأولى فان نفي المشابهة بين الله وبين خلقه أعظم من نفي المشابهة بين موعود الجنة وموجود الدنيا وانما نكتة الجواب هو ما قدمناه أولا ان نفي علم التأويل ليس نفيا لعلم المعنى ونزيده تقريرا ان الله سبحانه يقول (ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون قرآنا عربيا غير ذي عوج) وقال تعالى (الر تلك آيات الكتاب المبين انا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون) فأخبر أنه أنزله ليعقلوه وأنه طلب تذكرهم وقال (ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون) فحض على تدبره وفقهه وعقله والتذكر به والتفكر فيه ولم يستثن من ذلك شيئاً بل نصوص متعددة تصرح بالعموم فيه مثل قوله (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) وقوله (أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) ومعلوم ان نفي الاختلاف عنه لا يكون لا بتدبره كله والا فتدبر بعضه لا يوجب الحكم في نفي مخالفه ما لم يتدبر

لمسا تدبر

وقال على عليه السلام لما قيل له هل ترك عندكم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ فقال لاوالذى فلق الحبة وبرأ النسمة الافهما يؤتيه الله عبدا في كتابه وما في هذه الصحيفه فأخبر أن الفهم فيه مختلف في الامه والفهم أخص من العلم والحكم قال الله تعالى (ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما) وقال النبي صلى الله عليه وسلم رب مبلغ أوعى من سامع وقال بلغوا عني ولو آيه وأيضاً فالسلف من الصحابه والتابعين وسائر الامه قد تكلموا في جميع نصوص القرآن آيات الصفات وغيرها وفسروها بما يوافق دلالتها ورووا عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث كثيرة توافق القرآن وأئمة الصحابة في هذا أعظم من غيرهم مثل عبدالله بن مسعود الذي كان يقول لو أعلم اعلم بكتاب الله مني تبلغه آباط الابل لاتيته وعبد الله بن عباس الذى دعا له النبي صلى الله عليه وسلم وهو حبر الامه وترجمان القرآن كانا هما وأصحابهما من أعظم الصحابة والتابعين اثباتا للصفات وروايه لها عن النبي صلى الله عليه وسلم ومن له خبره بالحديث والتفسير يعرف هذا وما في التابعين أجل من أصحاب هذين السيدين بل وثالثهما في علية التابعين من جنسهم أو قريب منهم جلالة أصحاب زيد بن ثابت لكن اصحابه مع جلالتهم ليسوا مختصين به بل أخذوا عن غيره مثل عمر وابن عمر وابن عباس ولو كان معاني هذه الآيات منفيا أومسكوتا عنه لم يكن ربانيوا الصحابة أهل العلم بالكتاب والسنه أكثر كلاما فيه

ثم ان الصحابة نقلوا عن النبي صلى الله عليه وسلم انهم كانوا يتعلمون منه التفسير مع التلاوة ولم يذكر أحد منهم عنه قط انه امتنع من تفسير آية

قال أبو عبد الرحمن السلمي حدثنا الذين كانوا يقرؤننا عثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما أنهم كانوا اذا تعلموا من النبي صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل قالوا فتعلمنا القرآن والعلم والعمل وكذلك الأئمة كانوا اذا سئلوا شيئا من ذلك لم ينفوا معناه بل يثبتون المعنى وينفون الكيفية كقول مالك بن أنس لما سئل عن قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) كيف استوى فقال الاستواء معلوم والكيف مجهول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة وكذلك ربيعة قبله وقد تلقى الناس هذا الكلام بالقبول فليس في أهل السنة من ينكره وقد بين ان الاستواء معلوم كما ان سائر ما أخبر به معلوم ولكن الكيفية لا تعلم ولا يجوز السؤال عنها لا يقال كيف استوى ولم يقل مالك الكيف معدوم وانما قال الكيف مجهول وهذا فيه نزاع بين أصحابنا وغيرهم من أهل السنة غير ان أكثرهم يقولون لا تخطر كيفيته ببال ولا تجري ماهيته في مقال ومنهم من يقول ليس له كيفية ولا ماهية

فان قيل معنى قوله الاستواء معلوم ان ورود هذا اللفظ في القرآن معلوم كما قاله بعض أصحابنا الذين يجعلون معرفة معانيها من التأويل الذي استأثر الله بعلمه

قيل هذا ضعيف فان هذا من باب تحصيل الحاصل فان السائل قد علم ان هذا موجود في القرآن وقد تلا الآية وأيضا فلم تقل ذكر الاستواء في القرآن ولا اخبار الله بالاستواء وانما قال الاستواء معلوم فأخبر عن الاسم المفرد انه معلوم لم يخبر عن الجملة وأيضاً فانه قال والكيف مجهول ولو أراد ذلك لقال معنى الاستواء مجهول أو تفسير الاستواء مجهول أو بيان الاستواء غير معلوم فلم ينف الا العلم بكيفية الاستواء لا العلم بنفس الاستواء وهذا شأن جميع ما وصف الله به نفسه لو قال في قوله انني معكما أسمع وأرى كيف يسمع وكيف يرى لقلنا السمع والرؤيا معلوم والكيف مجهول ولو قال كيف كلم موسى تكليما لقلنا الكلام معلوم والكيف غير معلوم* وأيضا فان من قال هذا من أصحابنا وغيرهم من أهل السنة يقرون أن الله فوق العرش حقيقة وان ذاته فوق ذات العرش لا ينكرون معنى الاستواء ولا يرون هذا من المتشابه الذي لا يعلم معناه بالكلية

ثم السلف متفقون على تفسيره بما هو مذهب أهل السنة قال بعضهم ارتفع على العرش علا على العرش وقال بعضهم عبارات أخرى وهذه ثابتة عن السلف قد ذكر البخاري في صحيحه بعضها في آخره في كتاب الرد على الجهمية

وأما التأويلات المحرفة مثل استولى وغير ذلك فهي من التأويلات المبتدعة لما ظهرت الجهمية وأيضا فقد ثبت ان اتباع المتشابه ليس في خصوص الصفات بل في صحيح البخاري ان النبي صلى الله عليه وسلم

قال لعائشة ياعائشة اذا رأيت الذين يتبعون ماتشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم وهذا فهم وقصة صبيغ بن عسل مع عمر بن الخطاب من اشهر القضايا فانه بلغه انه يسأل عن متشابه القرآن حتى رآه عمر فسأل عمر عن الذاريات ذروا فقال ما اسمك قال عبدالله صبيغ فقال وأنا عبدالله عمر وضربه الضرب الشديد وكان ابن عباس اذا ألح عليه رجل في مسألة من هذا الجنس يقول ما أحوجك أن يصنع بك كما صنع عمر بصبيغ وهذا لانهم رأوا ان غرض السائل ابتغاء الفتنة لا الاسترشاد والاستفهام كما قال النبي عليه الصلاة والسلام اذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه وكما قال تعالى (فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ماتشابه منه ابتغاء فتنة) فعاقبوهم على هذا القصد الفاسد كالذي يعارض بين آيات القرآن وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقال لا تضربوا كتاب الله بعضه ببعض فان ذلك يوقع الشك في قلوبهم ومع ابتغاء الفتنة ابتغاء تأويله الذي لا يعلمه الا الله وكان مقصودهم مذموما ومطلوبهم متعذرا مثل اغلوطات المسائل التي نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها

ومما يبين الفرق بين المعنى والتأويل ان صبيغا سأل عمر عن الذاريات وليس من الصفات وقد تكلم الصحابة في تفسيرها مثل علي بن أبي طالب مع ابن الكواء لما سأله عنها كره سؤاله لما رآه من قصده لكن علي كانت رعيته ملتوية عليه لم يكن مطاعا فيهم طاعة عمر حتى يؤدبه والذاريات والحاملات والجاريات والمقسمات فيها اشتباه لان

اللفظ يحتمل الرياح والسحاب والنجوم والملائكة ويحتمل غير ذلك اذ ليس في اللفظ ذكر الموصوف والتأويل الذي لا يعلمه الا الله هو أعيان الرياح ومقاديرها وصفاتها ومتي تهب وأعيان السحاب وما تحمله من الامطار ومتى ينزل المطر وكذلك في الجاريات والمقسمات فهذا لا يعلمه الا الله وكذلك في قوله انا ونحن ونحوهما من أسماء الله التي فيها معنى الجمع كما اتبعته النصارى فان معناه معلوم وهو الله سبحانه لكن اسم الجمع يدل علي تعدد المعاني بمنزلة الاسماء المتعددة مثل العلم والقدير والسميع والبصير فان المسمى واحد ومعاني الاسماء متعددة فهكذا الاسم الذي لفظه الجمع

وأما التأويل الذي اختص الله به فحقيقة ذاته وصفاته كما قال مالك والكيف مجهول فاذا قالوا ماحقيقة علمه وقدرته وسمعه وبصره قيل هذا هو التأويل الذي لا يعلمه الا الله

وما أحسن ما يعاد التأويل الى القرآن كله (فان قيل) فقد قال النبي صلي الله عليه وسلم لابن عباس اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل (قيل) أما تأويل الامر والنهي فذاك يعلمه واللام هنا للتأويل المعهود لم يقل تأويل كل القرآن فالتأويل المنفي هو تأويل الاخبار التي لا يعلم حقيقة مخبرها الا الله والتأويل المعلوم هو الامر الذي يعلم العباد تأويله وهذا كقوله (هل ينظرون الا تأويله يوم يأتي تأويله) وقوله (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله) فان المراد تأويل الخبر الذي وقع عن

المستعمل فانه هو الذي ينتظر ويأتي وانا بأتهم وأما تأويل
الامر والنهي فذلك في الامر وتأويل الخبر عن الله
وعمن مضى ان أدخل في التأويل
لا ينتظر والله سبحانه أعلم
وبه التوفيق

تمت الرسالة الاولى

وتليها الرسالة الثانية له أيضا

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه مسألة سئل عنها الشيخ الامام العالم العامل شيخ الاسلام وقطب الائمة الاعلام ومن عمت بركاته أهل العراقين والشام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن تيمية الحراني ثم الدمشقي نفع الله المسلمين ببركاته وكان بالديار المصرية * في رجل نقل عن بعض السلف من الفقهاء انه قال أكل الحلال متعذر لا يمكن وجوده في هذا الزمان فقيل له لم ذلك فذكر ان وقعة المنصورة لم تقسم الغنائم فيها واختلطت الاموال بالمعاملات بها فقيل له ان الرجل يؤجر نفسه لعمل من الاعمال المباحة ويأخذ أجرته حلال فذكر أن الدرهم في نفسه حرام فقيل له كيف فعل الدرهم التغير أولا فصار حراما بالسبب الممنوع ولم تقبل الغير فيكون حلالا بالسبب المشروع فما الحكم في ذلك

فأجاب رضي الله عنه * الحمد لله * هذا القائل الذي قال ان أكل الحلال متعذر لا يمكن وجوده في هذا الزمان غالط مخطئ في قوله باتفاق أئمة الاسلام فان مثل هذه المقالة كان يقولها بعض أهل البدع وبعض أهل الفقه الفاسد وبعض أهل النسك الفاسد وأنكر الائمة ذلك حتى الامام أحمد في ورعه المشهور كان ينكر مثل هذه المقالة وجاء رجل من النساك فذكر له شيئا من هذا فقال انظر الى هذا الخبيث يحرم أموال المسلمين

وقال بلغني أن بعض هؤلاء يقول من سرق لم تقطع يده لأن المال ليس بمعصوم ومثل هذا كان يقوله بعض المنتسبين الى العلم من أهل

العصر بناء على هذه الشبهة الفاسدة وهو أن الحرام قد غلب على الأموال لكثرة الغصوب والعقود الفاسدة ولم يتميز الحلال من الحرام

ووقعت هذه الشبهة عند طائفة من مصنفي الفقهاء فأفتوا بأن الإنسان لا يتناول إلا مقدار الضرورة وطائفة لما رأت مثل هذا الحرج سدت باب الورع فصاروا وعين المباحة لا يفرقون بين الحلال والحرام بل الحلال ما حل بأيديهم والحرام ما حرموه لأنهم ظنوا مثل هذا الظن الفاسد وهو أن الحرام قد طبق الأرض ورأوا أنه لابد للإنسان من طعام والكسوة فصاروا يتناولون ذلك من حيث أمكن وبعض الناس غاوه ذلك الورع الفاسد كما أورث الاحلال عن دين الإسلام وهؤلاء يحكون في الورع الفاسد حكايات بعضها كذب ممن نقل عنه وبعضها غلط كما يحكون عن الإمام أحمد أن ابنه صالحا لما تولى القضاء لم يكن يخبز في داره وأن أهله خبزوا في تنوره فلم يأكل الخبز وألقوه في دجلة فلم يكن يأكل من صيد دجلة

وهذا من أعظم الكذب والفرية على مثل هذا الإمام ولا يفعل مثل هذا إلا من يوسوس الشيطان وأصحهم مكر ... من ... لا ... رحمه الله عن هذه ... ولكن ... علم ... الصالح في حياته وتولاه بعد موته

ولكن كان الخليفة المتوكل قد أمر أولاده وأمر ... حوا ... من ... أمرهم أبو عبد الله أن لا يقبلوا جوائز السلطان ... إليه بحاجة ... من قبلها منهم وترك لا كل من أموالهم ولا سماع

سيرامهم فى حجر او ماء لكونهم قبلوا جوائز السلطان وسألوه عن هذا المال احرام هو فقال لا فقالوا أتحج منه فقال نعم و بين هم انما امتنع منه لئلا يصير ذلك سبباً الى أن يداخل الخليفة فيما يريد كما قال النبى صلى الله عليه وسلم خذ العطاء ما كان عطاء فاذا كان عوضا عن دين أحدكم فلا يأخذه ولو أتى فى ذلك الدم والميتة ولحم الخنزير وكل حرام فى الوجود لم يحرم صيدها ولم يحرم

ومن الناس من آلت به الافراط فى الورع الى أمر اجتهد فيه فيثاب على حسن قصده وان كان المشروع خلاف ما فعله مثل من امتنع من أكل ما فى الاسواق ولم يأكل الا ما ينبت فى البرارى ولم يأكل من أموال المسلمين وانما يأكل من أموال أهل الحرب وأمثال ذلك مما يكون فاعله حسن القصد وله ثم فعل [illegible] لكن ضرب المشروع خلاف ذلك من انه سبحانه خلق [illegible] وأمرهم [illegible] فى صحيح مسلم عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً) وقال (يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم) ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يده الى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام فأنى يستجاب لذلك فقد بين صلى الله عليه وسلم ان الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين من أكل الطيبات كما أمرهم بالعمل الصالح والعمل الصالح لا يمكن الا بأكل وشرب ولبس وما يحتاج اليه العبد من سكن ومركب وسلاح يقاتل به وكراع

يقتل عليه وكيف يتعين بها، وأمثال ذلك مما لا نقوم ماأمر الله به الا به
ومالا يتم الواجب الا به فهو واجب فاذا كان القيام بالواجبات فرضاً على
جميع العباد وهي لا تتم الا بهذه الاموال فكيف يقال انه قليل بل هو
كثير غالب بل هو الغالب على أموال الناس ولو كان الحرام هو الاغلب
[…] في الجمهور لا […] لازم حد أمرين اما ترك الواجبات من
اكثر الخلق واما اباحة الحرام لأكثر الخلق وكلاهما باطل والورع
من قوله […] في الصحيح عن […] بن سيرين عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن
كثير من الناس فمن ترك الشبهات استبرأ لعرضه ودينه ومن وقع في الشبهات
وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يوقعه ألا وإن لكل
ملك حمى ألا وإن حمى الله محارمه ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت
صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد ألا وهي القلب

وفي الحديث الآخر دع ما يريبك الى مالا يريبك ورأى تمرة
[…] فقال لولا أخاف أن تكون من الصدقة لأكلتها وهذا منسوب
[…] وصح وهذا […] أصول

[…]
[…]
[…]
[…]
[…]

منها مسئلة المغانم فإن السنة أن تجمع وتخمس وتقسم بين الغانمين بالعدل وهل يجوز للامام أن ينفل من أربعة أخماسها وفيه قولان فمذهب فقهاء الثغور وأبي حنيفة وأحمد وأهل الحديث أن ذلك يجوز لما في السنن أن النبي صلى الله عليه وسلم نفل في بدأته الربع بعد الخمس ونفل في رجعته الثلث بعد الخمس

وقال سعيد بن المسيب ومالك والشافعي لا يجوز ذلك بل يجوز عند مالك النفل من الخمس ولا يجوز عند الشافعي الا من خمس الخمس وكان أحمد يتعجب من سعيد بن المسيب ومالك كيف لم تبلغهما هذه السنة مع وفور علمهما

وقد ثبت في الصحيحين عن ابن عمر أنه قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية فبلغت سهامنا اثنا عشر بعيراً ونفلنا بعيراً بعيراً ومعلوم أن السهم اذا كان اثنى عشر بعيراً لم يحتمل خمس خمس أن يخرج منه لكل واحد بعير فإن ذلك لا يكون الا اذا كان السهم أربعة وعشرين بعيراً وكذلك اذا فضل الامام بعض الغانمين على بعض لمصلحة راجحة كما أعطى النبي صلى الله عليه وسلم سلمة بن الاكوع في غزوة ذي قرد سهم راجل وفارس فإن ذلك يجوز في أصح قولي العلماء ومنهم من لا يجيزه كما تقدم

وكذلك اذا قال الامام من أخذ شيئا فهو له ولم نقسم الغنائم فهذا جائز في أحد قولي العلماء وهو ظاهر مذهب أحمد ولا يجوز في القول الآخر وهو المشهور من مذهب الشافعي وفي كل من المذهبين خلاف

وعلى مثل هذا الأصل بني الغنائم في الأزمان المتأخرة مثل الغنائم التي كان يغنمها السلاجقة الأتراك والغنائم التي غنمها المسلمون من النصارى من ثغور الشام ومصر فإن هذه أفتى بعض الفقهاء كأبي محمد الجويني والنواوي أنه لا يحل لمسلم أن يشتري منها شيئا ولا يطأ منها فرجا ولا يملك منها مالا ولزم من هذا القول من الفساد ما الله به عليم وعارضهم أبو محمد بن عبد السلام الشافعي وأفتى أن الإمام لا يجب عليه قسمة المغانم بحال ولا تخميسها وأن له أن يفضل الراجل وأن يحرم بعض الغانمين ويخص بعضهم وزعم أن سيرة النبي صلى الله عليه وسلم تقتضي ذلك وهذا القول خلاف الإجماع والذي قبله باطل ومنكر أيضا وكلاهما انحراف

والصواب في مثل هذه أن الإمام إذا قال من أخذ شيئا فهو له فإن قيل بجواز ذلك فمن أخذ شيئا ملكه وعليه تخميسه وإن كان الإمام لم يقل ذلك ولم يقسم المغانم بل أراد منها مالا يسوغ بالاتفاق أو قيل إنه يجب عليه أن يقسم بالعدل ولا يجوز له الإذن بالانتهاب فهذا المغانم مال مشترك بين الغانمين ليس لغيرهم فيها حق فمن أخذ منها مقدار حقه جاز له ذلك والاشتباه في ذلك فإما أن يحتاط ويأخذ بالورع المستحب أو يبني على غالب ظنه ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها وكذلك المزارعة على أن يكون البذر من العامل التي تسمى بعض الناس المخابرة وقد تنازع فيها الفقهاء لكن ثبت بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحيحة جوازها فإنه عامل أهل خيبر بشطر ما يخرج منها من ثمر وزرع على أن يعمروها من أموالهم وأما نهيه عن المخابرة فقد جاء مفسرا في الصحيح

فان المراد به ان يشترط للمالك زرع بقعة بعينها وكذلك كراء الارض بجزء من الخارج منها يجوزه أبو حنيفة والشافعي وأحمد في المشهور عنه وينهى عنه مالك وأحمد في رواية ونظائر ذلك كثيرة وهذا بين

الاصل الثاني ان المسلم اذا عامل معاملة يعتقد هو جوازها وقبض المال جاز لغيره من المسلمين أن يعامله في مثل ذلك المال وان لم يعتقد جواز تلك المعاملة فانه قد ثبت ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه رفع اليه ان بعض عماله يأخذ خمراً من أهل الذمة عن الجزية فقال قاتل الله فلانا أما علم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قاتل الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فحملوها وباعوها وأكلوا أثمانها ثم قال عمر ولوهم بيعها وخذوا منهم أثمانها فأمر عمر أن يأخذوا من أهل الذمة بدل الجزية أثمان الخمر لانهم يعتقدون جواز ذلك في دينهم ولهذا قال العلماء ان الكفار اذا تعاملوا بينهم بمعاملات يعتقدون جوازها وتقابضوا الاموال ثم أسلموا كانت تلك الاموال لهم حلالا وان تحاكموا الينا أقررناها في أيديهم سواء تحاكموا قبل الاسلام أو بعده وقد قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا ان كنتم مؤمنين) فامرهم بترك ما بقي في الذمم من الربا ولم يأمرهم برد ما قبضوه لانهم كانوا يستحلون ذلك والمسلم اذا عامل معاملات يعتقد جوازها كالحيل الربوية التي يفتي بها من يفتي من أصحاب أبي حنيفة وأخذ ثمنه أو زارع على ان البذر من العامل أو أكرى الارض بجزء

من الخارج منها ونحو ذلك وفيه من المال جاز لغيره من المسلمين أن
يعامله في ذلك المال وإن لم يعتقد جواز تلك المعاملة بطريق الأولى
والأحرى ولو أنه تبين له فيما بعد رجحان التحريم لم يكن عليه
إخراج المال الذي كسبه بتأويل سائغ فإن هذا أولى بالعفو والعذر
من الكافر المتأول ولما ضيق بعض الفقهاء هذا على بعض أهل الورع
ألجأه إلى أن يعامل الكفار ويترك معاملة المسلمين ومعلوم أن الله
ورسوله لا يأمر المسلم أن يأكل من أموال الكفار ويدع أموال المسلمين
بل المسلمون أولى بكل خير والكفار أولى بكل شر

الأصل الثالث أن الحرام نوعان* حرام لوصفه كالميتة والدم ولحم
الخنزير فهذا إذا اختلط بالماء والمائع وغيره من الأطعمة وغير طعمه
أو لونه أو ريحه حرمه وإن لم يغيره ففيه نزاع ليس هذا موضعه
*والثاني الحرام لكسبه كالمأخوذ غصبا أو بعقد فاسد فهذا إذا اختلط
بالحلال لم يحرمه فلو غصب الرجل دراهم أو دنانير أو دقيقا أو حنطة
أو خبزا وخلط ذلك بماله لم يحرم الجميع لا على هذا ولا على هذا بل
إن كانا متماثلين أمكن أن يقسموه ويأخذ هذا قدر حقه وهذا قدر
حقه وإن كان قد وصل إلى كل منهما غير من الآخر الذي حقه
للآخر عينه وهذا يكون الخلط كالإتلاف فيه وجهان في مذهب
الشافعي وأحمد وغيرهما* أحدهما أنه كالإتلاف فيعطيه مثل حقه من أين
شاء* والثاني أن حقه يبقى فيه فإذا أراد أن يعطيه حقه من مختلط فهذا
أصل نافع فإن كثيرا من الناس يتوهم أن الدراهم المحرمة إذا اختلطت

بالدراهم الحلال حرم الجميع فهذا خطأ وانما تورع بعض العلماء فيما اذا كانت قليلة وأما مع الكثرة فما أعلم فيه نزاعا

الاصل الرابع المال اذا تعذر معرفة مالكه صرف فى مصالح المسلمين عند جماهير العلماء كمالك وأحمد وغيرهما فاذا كان بيد الانسان غصوب أو عوارى او ودائع أو رهون قد يئس من معرفة أصحابها فانه يتصدق بها عنهم أو يصرفها فى مصالح المسلمين أو يسلمها الى قاسم عادل يصرفها فى مصالح المسلمين المصالح الشرعية ومن الفقهاء من يقول توقف أبدا حتى يتبين أصحابها والصواب الاول فان حبس المال دائما لمن لا يرجى لا فائدة فيه بل هو تعرض لهلاك المال واستيلاء الظلمة عليه وكان عبد الله بن مسعود قد اشترى جارية فدخل بيته ليأتى بالثمن فخرج فلم يجد البائع فجعل يطوف على المساكين ويتصدق عليهم بالثمن ويقول اللهم عن رب الجارية فان قبل فذاك وان لم يقبل فهو لى وعلى له مثله يوم القيامة وكذلك أفتى بعض التابعين من غل من الغنيمة وتاب بعد تفرقهم أن يتصدق بذلك عنهم ورضى بهذه الفتيا الصحابة والتابعون الذين بلغتهم كمعاوية وغيره من أهل الشام وهذا بين

الاصل الخامس وهو الذى يكشف سر المسئلة وهو ان المجهول فى الشرع ينه كالمعدوم والمعجوز عنه فان الله سبحانه وتعالى قال (لا يكلف الله نفسا الا وسعها) وقال تعالى (فاتقوا الله ما استطعتم) وقال النبى صلى الله عليه وسلم اذا أمرتكم بامر فاتوا منه ما استطعتم فالله اذا أمرنا بامر كان

ذلك مشروطا بالقدرة عليه والتمكن من العمل به فما عجز عن معرفته أو عن العمل به سقط عنه ولهذا قال صلى الله عليه وسلم في اللقطة فان جاء صاحبها فأدها اليه والا فهي مال الله يؤتيه من يشاء فهذه اللقطة كانت ملكا لمالك ووجب دفعه اليه فلما تعذر معرفته مالكها قال النبي صلى الله عليه وسلم هي مال الله يؤتيه من يشاء فدل ذلك على ان الله شاء أن يزيل عنها ملك ذلك المالك ويعطيها هذا الملتقط الذي عرفها سنة ولا نزاع بين الأئمة انه بعد تعريف السنة يجوز للملتقط أن يتصدق بها وكذلك له أن يتملكها ان كان فقيرا وهل له تملك مع الغنى فيه قولان مشهوران ومذهب الشافعي وأحمد أنه يجوز ذلك وأبو حنيفة لا يجوزه ولو مات رجل ولم يعرف له وارث صرف ماله في مصالح المسلمين وان كان في نفس الامر له وارث غير معروف حتى لو تبين الوارث يسلم اليه ماله وان كان قد تلف يكون صرفه الي من يصرفه جائزا وأخذه له غير حرام مع كثرة من يموت وله عصبة بعد لم يعرف واذا تبين هذا فمال منفي الوجود من الاموال المغصوبة والمقبوضة بعقود لا تباح بالقبض ان عرفه المسلم اجتنبه فمن علمت انه سرق مالا او خانه في أمانته أوغصبه فأخذه من المغصوب قهرا بغير حق لم يجز لي أن آخذه منه لا بطريق الهبة ولا بطريق المعاوضة ولا وفاء عن أجرة ولا ثمن مبيع ولا وفاء عن قرض فان هذا عين مال ذلك المظلوم وأما ان كان ذلك المال قبضه بتأويل سائغ في مذهب بعض الأئمة جاز لي ان استوفيه من ثمن مبيع ولا أجرة ولا قرض وغير ذلك من الديون وان كان مجهول الحال

فالمجهول كالمعدوم والاصل فيما بيد المسلم ان يكون مالكاله ان ادعى انه ملكه أو يكون وليا عليه كناظر الوقف وولي اليتيم وولي بيت المال أو يكون وكيلا فيه وما تصرف فيه المسلم أو الذمي بطريق الملك أو الولاية جاز تصرفه فاذا لم أعلم حال ذلك المال الذي بيده بنيت الامر على الاصل ثم ان كان ذلك الدرهم في نفس الامر قد غصبه هو ولم أعلم أنا كنت جاهلا بذلك والمجهول كالمعدوم فليس أحدى العين المسلم وأجرة العمل وبدل القرض بدون أحدى اللقطة فان اللقطة أخذتها بغير عوض ثم لم أعلم مالكها وهذا المال لا أعلم له مالكا غير هذا وقد أخذته عوضا عن حقي فكيف يحرم هذا على لكن ان كان ذلك الرجل معروفا بأن في ماله حراما ترك معاملته ورعا وان كان أكثر ماله حراما ففيه نزاع بين العلماء وأما المسلم المستور فلا شبهة في معاملته أصلا ومن ترك معاملته ورعا كان قد ابتدع في الدين بدعة ما أنزل الله بها من سلطان وبهذا يتبين الحكم في سائر الاموال فان هذا غاية ما يقول ان هذه الاجناس والاثمان التي تؤكل قد تكون في الاصل قد نهبت أو غصبت فيقال المجهول كالمعدوم فاذا لم نعلم ان ذلك في حقنا كأنه لم يكن وهذا لان الله انما حرمه من المعاملات الفاسدة لما فيها من الظلم فان الله تعالى يقول في كتابه العزيز (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوي عزيز) والغصب وأنواعه والسرقة والخيانة داخل في الظلم واذا كان كذلك فهذا

المظلوم الذي أخذ ماله بغير حق أو بيع (١) أجرة وأخذ منه والمشترى لا يعلم بذلك ثم ينقل من المشترى الى غيره ثم الى غيره ولعلم أن أولئك لم يظلموه وانما ظالمه من اعتدى عليه ولكن لو علم بهم فهل له مطالبتهم عما لم يلتزموا ضمانه على قولين للعلماء أصحهما انه ليس له ذلك

مثال ذلك ان الظالم اذا أودع ماله عند من لا يعلم أنه غاصب فتلفت الوديعة فهل للمالك أن يطالب المودع على قولين أصحهما أنه ليس له ذلك ولو أطعم المال لضيف لم يعلم الظلم ثم علم المالك فهل له مطالبة الضيف على قولين أحدهما ليس له مطالبته ومن قال ان له مطالبته لا يقول انه أكله حرام بل يقول لا إثم عليه في أكله ويجب عليه أداء ثمنه بمنزلة ما اشتراه وصاحب القول الصحيح يقول لا اثم عليه في أكله ولا غرم عليه لصاحبه بحال وانما الغرم على الغاصب الظالم الذي أخذه منه بغير حق فاذا نظرنا الى مال معين بيد انسان لا اعلم أنه مغصوب ولا مقبوض قبضاً لا يفيد معاملة المالك واستوفيناه منه أو اتهبناه منه أو استوفيناه عن أجرة أو بدل قرض لا اثم علينا في ذلك بالاتفاق وان كان في نفس الامر قد سرقه أو غصبه ثم اذا علمنا فيما بعد انه مسروق فعلى أصح القولين لا يجب علينا الا ما التزمنا بالعقد أي لا يستقر علينا الا ضمان ما التزمناه بالعقد فلا يستقر علينا ضمان ما اشترى أو وهب ولا ضمان أكثر من الثمن وكذلك الاجرة وبدل القرض ذلك قد صرفنا فيها لم يستقر علينا ضمان بذله لكن سارق الثمن هو في مسئلة وهي انه هل له ثالث لصمين هذا المغرور الذي تلف المال تحت

يده ثم يرجع الى الغارم بما غرمه لغروره أم ليس له مطالبة المغرور الا بما استقر عليه ضمانه على قولين هما روايتان عن أحمد ومثل هذا لو غصب رجل جارية فاشتراها منه انسان واستولدها أو وهبها اياه فقد اتفق الصحابة والائمة على ان ولدها من المغرور يكونون أحرارا لان الواطئ لا يعلم انها مملوكة لغيره بل اعتقد انها مملوكة مع اتفاقهم ان الولد يتبع أمه في الحرية والرق ويتبع أباه في النسب والولاء ومع هذا جعلوا ابنه حرا لكون الوالد لم يعلم والمجهول كالمعدوم وأوجبوا للسيد الجارية بدل الولد لانه كان يستحقه لولا الغرور فاذا خرجوا عن ملكه بغير حق كان له بدلهم وأوجبوا له مهر أمة وقالوا في أصح القولين ان هذا يلزم الغارم الظالم الذي غصب الجارية وباعها لا يلزم المغرور المشتري الا ما التزمه بالعقد وهو الثمن فقط ثم هل لصاحبها أن يطالب المغرور بفداء الولد والمهر ثم يرجع به المغرور على الغار الظالم أم ليس له الا مطالبة الغار الظالم على قولين هما روايتان عن أحمد. ولا نزاع بين الامة ان وطئه ليس بحرام وان ولده ولد رشدة لا ولد غية وهو ولد حلال لا ولد زنا وكذلك في سائر هذه الصور لم يتنازعوا انه لا اثم على الآكل ولا على اللابس ولا على الواطئ الذي لم يعلم وانما تنازعوا في الضمان لان الضمان من باب العدل الواجب في حقوق الآدميين وهو يجب في العمد والخطأ (وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا الا خطأ ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى أهله الا أن يصدقوا) فقاتل النفس خطأ لا اثم ولا فسق بذلك ولكن عليه

الدية وكذلك من أتلف مالا معصوما خطأ فعليه بدله ولا اثم عليه فقد تبين ان الاثم منتف مع عدم العلم

وحينئذ فجميع الاموال التي بايدي المسلمين واليهود والنصارى التي لا يعلم بدلالة ولا أمارة أنها مغصوبة أو مقبوضة قبضا لا يجوز معه معاملة القابض فانه يجوز معاملتهم فيها بلا ريب ولا نزاع في ذلك بين الائمة أعلمه

ومعلوم ان غالب أموال الناس كذلك والقبض الذي لا يفيد الملك هو الظلم المحض فأما المقبوض بعقد فاسد كالربا والميسر ونحوهما فهل يفيد الملك على ثلاثة اقوال للفقهاء أحدها أنه يفيد الملك وهو مذهب أبي حنيفة والثاني لا يفيده وهو مذهب الشافعي وأحمد في المعروف من مذهبه والثالث أنه من باب أفاد الملك وان أمكن رده الى مالكه ولم يتغير في وصف ولا سعر لم يفد الملك وهو المحكي عن مذهب مالك وهذه الامور والقواعد قد بسطناها في غير هذا الجواب ولكن نبهنا على قواعد شريفة تفتح باب الاشتباه في هذا الاصل الذي هو أحد أصول الاسلام كما قال الامام أحمد وغيره ان اصول الاسلام تدور على ثلاثة احاديث قوله الحلال بين والحرام بين وقوله انما الاعمال بالنيات وقوله من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد فان الاعمال اما مأمورات واما محظورات والاول فيه ذكر المحظورات والمأمورات اما قصد القلب وهو النية وأما العمل الظاهر وهو المشروع الموافق للسنة كما قال الفضيل بن عياض في قوله تعالى ليبلوكم أيكم

أحسن عملا) قال أخلصه وأصوبه قالوا يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه قال ان العمل اذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل وان كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل حتى يكون خالصاً صوابا والخالص ان يكون لله والصواب أن يكون على السنة

فتبين ان ما ذكره هذا القائل الذي قال أكل الحلال متعذر ولا يمكن وجوده في هذا الزمان قوله خطأ مخالفا للاجماع بل الحلال هو الغالب على أموال الناس وهو أكثر من الحرام وهذا القول قد تقوله طائفة من المتفقهة المتصوفة وأعرف من قاله من كبار المشايخ بالعراق ولعله من أولئك انتقل الى بعض شيوخ مصر ثم الذي قال ذلك لم يرد أن يسد باب الأكل بل قال الورع حينئذ لا يسأل الناس ثم ذكر ما يأتي مما يفعل ويترك لم يحضرني الآن

فليتدبر العاقل وليعلم انه من خرج عن القانون النبوي الشرعي المحمدي الذي دل عليه الكتاب والسنة وأجمع عليه سلف الأمة احتاج الى أن يضع قانونا آخر متناقضاً يرده العقل والدين لكن من كان مجتهداً امتحن بطاعة الله ورسوله فان الله يثيبه على اجتهاده ويغفر له خطأه (ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤف رحيم)

وما ذكره من ان وقعت الصورة التي تقسم فيها الطعام واختلطت فيها الطعام بحلب الشبهة

الجواب عنه من وجهين أحدهما ان يقال الذي اختلط بأموال

الناس من الحرام المحض كالغصب الذي يغصبه القادرون من الولاة والقطاع أو أهل الفتن وما يدخل في ذلك من الخيانة في المعاملات أكثر من ذلك بكثير لاسيما في هذه البلاد المصرية فانها أكثر من الشام والعرب ظلما كظلم بعضهم بعضاً في المعاملات بالخيانة والغش وجحد الحق والكثرة منها من ظلم قطاع الطريق والفلاحين والأعراب ولكثرة ما هو من الظلم الموضوع من الديوان بغير حق فاحالة التحريم على هذا الامر أولى من احالته على الطعام

الثاني أن تلك المعاملة قد ذكر مذهب الفقهاء فيها [illegible] صحيح ان الامام الذي أذن في الاخذ من غير قسم جائر وانه اذا لم يجز فمن أخذ مقدار حصته جاز وان أخذ من أحد أكثر من حصته وعسر رده على أصحابه لعدم العلم بهم فانه يتصدق به عنهم وانه لو لم يتصدق به عنهم وانصرف فيه فمتى وصل اليه منه شيء يعلم بحاله لم يكن محرما عليه ولا عليه فيه اثم وهذا الحكم جار في سائر الغصوب المذكورة وتبين بما ذكرناه أن من آجر نفسه أو [illegible] أو منفعته أحد [illegible] ولا جرة [illegible] عليه [illegible] ثمن والاجرة [illegible] للمالك ولم نعلم حاله لكل مستور [illegible] غصب [illegible] أو سرقه أو غصبها بوجه لا يسع أحدها به [illegible] وحرمه مع أن هذا فيه [illegible] صدق [illegible] ورثة عن نفسه

وأما قول القائل درهم كسب [illegible] وصار [illegible]

المنوع ولم تقل النعيم وصير حلالا بالسبب المشروع

فيقال له بل ذل النعير فيما حرم لوصفه لا عاحرم لكسبه فالاول مثل الخمر فانها لما كانت عصيراً لم يصر حلالا طاهرا فلما تخمر كان حراما نجساً فاذا تخللت بفعل الله من غير قصد لتحليلها كانت خل خمر حلالا طاهراً باتفاق العلماء وانما تنازعوا فيما اذا قصد تحمرها وتنازعوا في سائر النجاسات كالخنزير اذا صار ملحاً والنجاسة اذا صارت رماداً فقيل لا تطهر كقول الشافعي واحد القولين في مذهب مالك وأحمد والثاني مثل المال المغصوب هو حرام لانه قبض بالظلم فاذا قبض بحق أبيح مثل أن يأذن فيه المالك للغاصب أو يهبه اياه أو يبيعه منه أو يقبضه المالك أو وليه أو وكيله ثم الغاصب اذا أعطاه لمن لا يعلم انه مغصوب كان قبضه بحق لان الله لم يكلفه ما لا يعلم وكذلك ...
... القابض بحق وقد تقدم الكلام
في الضمان والله أعلم

تمت الرسالة الثامنة

ويليها الرسالة التاسعة له أيضا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيآت أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً

(فصل) في زيارة بيت المقدس ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدي هذا وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد وأبي هريرة وقد روي من طرق أخرى وهو حديث مستفيض متلقى بالقبول أجمع أهل العلم على صحته وتلقيه بالقبول والتصديق واتفق علماء المسلمين على استحباب السفر إلى بيت المقدس للعبادة المشروعة فيه كالصلاة والدعاء والذكر وقراءة القرآن والاعتكاف وقد روي من حديث رواه الحاكم في صحيحه أن سليمان عليه السلام سأل ربه ثلاثاً ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده وسأله حكماً يوافق حكمه وسأله أنه لا يؤم أحد هذا البيت لا يريد إلا الصلاة فيه إلا غفر له ولهذا كان ابن عمر رضي الله عنه يأتي إليه فيصلي فيه ولا يشرب فيه ماء لتصيبه دعوة سليمان لقوله لا يريد إلا الصلاة فيه فإن هذا يقتضي إخلاص النية في السفر إليه ولا يأتيه لغرض دنيوي ولا بدعة

وتنازع العلماء فيمن نذر السفر إليه للصلاة فيه أو الاعتكاف فيه هل يجب عليه الوفاء بنذره على قولين مشهورين وهما قولان للشافعي

أحدهما يجب الوفاء بهذا النذر وهو قول الأكثرين مثل مالك وأحمد
ابن حنبل وغيرهما والثاني لا يجب وهو قول أبي حنيفة فإن من أصله
أنه لا يجب بالنذر إلا ما كان من جنسه واجب بالشرع فلهذا يوجب نذر
الصلاة والصيام والصدقة والحج والعمرة فإن من جنسها واجب بالشرع
ولا يوجب نذر الاعتكاف فإن الاعتكاف لا يصح عنده إلا بصوم وهو
مذهب مالك وأحمد في أحد الروايتين عنه وأما الأكثرون فيحتجون
بما رواه البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى
الله عليه وسلم أنه قال من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصي
الله فلا يعصه فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بالوفاء بالنذر لكل من نذر
أن يطيع الله ولم يشترط أن تكون الطاعة من جنس الواجب بالشرع
وهذا القول أصح وهكذا النزاع لو نذر السفر إلى مسجد النبي صلى
الله عليه وسلم مع أنه أفضل من المسجد الأقصى وأما لو نذر إتيان
المسجد الحرام لحج أو عمرة وجب عليه الوفاء بنذره باتفاق العلماء

والمسجد الحرام أفضل المساجد ويليه مسجد النبي صلى الله عليه
وسلم ويليه المسجد الأقصى وقد ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله
عليه وسلم أنه قال صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه
من المساجد إلا المسجد الحرام

والذي عليه جمهور العلماء أن الصلاة في المسجد الحرام أفضل
منها في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم وقد روى أحمد والنسائي وغيرهما
عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف

صلاة وأما في المسجد الاقصى فقد روى أنها بخمسين صلاة وقيل بخمسمائة صلاة وهو أشبه

﴿ وو لدر اسعر الي قبر الخليل عليه السلام ﴾ أوقبر النبي صلى الله عليه وسلم أو الى الطور الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام أو الى جبل حراء الذي كان النبي صلى الله عليه وسلم يتعبد فيه وجاءه الوحي فيه أو الغار المذكور في القرآن وغير ذلك من المغار والمقامات والمشاهد المبنية على بعض الانبياء والمشايخ أو الى بعض المغارات أو الجبال لم يجب الوفاء بنذره باتفاق الائمة الاربعة فان السفر الى هذه المواضع منهي عنه لنهي النبي صلى الله عليه وسلم لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد فاذا كانت المساجد التي هي من بيوت الله التي أمر فيها بالصلوات الخمس قد نهى عن السفر اليها حتى مسجد قباء الذي يستحب لمن كان بالمدينة أن يذهب اليه لما ثبت في الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يأتي قباء كل سبت راكباً وماشياً وروى الترمذي وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من تطهر في بيته فأحسن الطهور ثم أتى مسجد قباء لا يريد الا الصلاة فيه كان له كعمرة قال الترمذي حديث حسن صحيح

فاذا كان مثل هذا منهي عن السفر اليه وينهى عن السفر الى الطور المذكور في القرآن وكما ذكر مالك المواضع التي لم تبن للصلوات الخمس بل يعني عن اتخاذها مساجد فقد ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في مرض موته لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور

أنبيائهم مساجد يحذر ما فعلوا قالت عائشة ولولا ذلك لأبرز قبره ولكن كره أن يتخذ مسجداً وفي صحيح مسلم وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك ولهذا لم تكن الصحابة يسافرون إلى شيء من مشاهد الأنبياء لا مشهد إبراهيم الخليل عليه السلام ولا غيره والنبي صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج صلى في بيت المقدس ركعتين كانت ذلك في الحديث الصحيح ولم يصل في غيره وأما ما يرويه بعض الناس من حديث المعراج انه صلى في المدينة وصلى عند قبر موسى عليه السلام وصلى عند قبر الخليل فكل هذه الأحاديث مكذوبة موضوعة

وقد رخص بعض المتأخرين في السفر إلى المشاهد ولم ينقلوا ذلك عن أحد من الأئمة ولا احتجوا بحجة شرعية

﴿ فصل والعبادات المشروعة في المسجد الأقصى ﴾ هي من جنس العبادات المشروعة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم وغيره من سائر المساجد إلا المسجد الحرام فإنه يشرع فيه زيادة على سائر المساجد بالطواف بالكعبة واستلام الركنين اليمانيين وتقبيل الحجر الأسود وأما مسجد النبي صلى الله عليه وسلم والمسجد الأقصى وسائر المساجد فليس فيها ما يطاف فيه ولا فيها ما يتمسح به ولا ما يقبل فلا يجوز لأحد أن يطوف بحجرة النبي صلى الله عليه وسلم ولا بغير ذلك من مقابر الأنبياء والصالحين ولا بصخرة بيت المقدس ولا بغير هؤلاء كالقبة التي فوق جبل عرفات وأمثالها بل ليس في الأرض مكان يطاف به كما يطاف بالكعبة

﴿ ومن اعتقد ان الطواف بغيرها ﴾ مشروع فهو شر ممن يعتقد
جواز الصلاة الى غير الكعبة فان النبي صلى الله عليه وسلم لما هاجر
من مكة الى المدينة صلى بالمسلمين ثمانية عشر شهراً الى بيت المقدس
فكانت قبلة المسلمين هذه المدة ثم ان الله حول القبلة الى الكعبة
وأنزل الله في ذلك القرآن كما ذكر في سورة البقرة وصلى النبي
صلى الله عليه وسلم والمسلمون الى الكعبة وصارت هي القبلة وهي
قبلة ابراهيم وغيره من الانبياء فمن اتخذ الصخرة اليوم قبلة يصلي
اليها فهو كافر مرتد يستتاب فان تاب والا قتل مع أنها كانت قبلة
لكن نسخ ذلك فكيف بمن يتخذها مكاناً يطاف به كما يطاف بالكعبة
والطواف بغير الكعبة لم يشرعه الله وكذلك من قصد أن يسوق اليه
غنماً أو بقراً ليذبحها هناك ويعتقد ان الاضحية فيها أفضل وان يحلق فيها
شعره في العيد أو ان يسافر اليها ليعرف بها عشية عرفة فهذه الامور
التي يشبه بها بيت المقدس في الوقوف والطواف والذبح والحلق من
البدع والضلالات ومن فعل شيئاً من ذلك معتقداً ان هذا قربة الى الله
فانه يستتاب فان تاب والا قتل كما لو صلى الى الصخرة معتقداً ان
استقبالها في الصلاة قربة كاستقبال الكعبة ولهذا بنى عمر بن الخطاب
مصلى المسلمين في مقدم المسجد الاقصى

﴿ فان المسجد الاقصى ﴾ اسم لجميع المسجد الذي بناه سليمان
عليه السلام وقد صار بعض الناس يسمي الاقصى المصلى الذي بناه
عمر بن الخطاب رضي الله عنه في مقدمه والصلاة في هذا المصلى الذي

بناه عمر للمسلمين أفضل من الصلاة في سائر المسجد فإن عمر بن الخطاب لما فتح بيت المقدس وكان على الصخرة زبالة عظيمة لأن النصارى كانوا يقصدون إهانتها مقابلة لليهود الذين يصلون إليها فأمر عمر رضي الله عنه بإزالة النجاسة عنها وقال لكعب الأحبار أين ترى أن نبني مصلى للمسلمين فقال خلف الصخرة فقال يا ابن اليهودية خالطتك يهودية بل ابنيه أمامها فإن لنا صدور المساجد ولهذا كان أئمة الأمة إذا دخلوا المسجد قصدوا الصلاة في المصلى الذي بناه عمر وقد روي عن عمر رضي الله عنه أنه صلى في محراب داود وأما الصخرة فلم يصل عندها عمر رضي الله عنه ولا الصحابة ولا كان على عهد الخلفاء الراشدين عليها قبة بل كانت مكشوفة في خلافة عمر وعثمان وعلي ومعاوية ويزيد ومروان ولكن لما تولى ابنه عبد الملك الشام ووقع بينه وبين ابن الزبير الفتنة كان الناس يحجون فيجتمعون بابن الزبير فأراد عبد الملك أن يصرف الناس عن ابن الزبير فبنى القبة على الصخرة وكساها في الشتاء والصيف ليرغب الناس في زيارة بيت المقدس ويشتغلوا بذلك عن اجتماعهم بابن الزبير وأما أهل العلم من الصحابة والتابعين لهم بإحسان فلم يكونوا يعظمون الصخرة فإنها قبلة منسوخة كما أن يوم السبت كان عيداً في شريعة موسى عليه السلام ثم نسخ في شريعة محمد صلى الله عليه وسلم بيوم الجمعة فليس للمسلمين أن يخصوا يوم السبت ويوم الأحد بعبادة كما تفعل اليهود والنصارى وكذلك الصخرة إنما يعظمها اليهود وبعض النصارى (وما يذكره بعض الجهال فيها من أن هناك أثر قدم النبي صلى

الله عليه وسلم وأثر عمامته وغير ذلك فكله كذب وأكذب منه من يظن أنه موضع قدم الرب وكذلك المكان الذي يذكر أنه مهد عيسى عليه السلام كذب وإنما كان موضع معمودية النصارى وكذا من زعم أن هناك الصراط والميزان أو أن السور الذي ضرب به بين الجنة والنار هو ذلك الحائط المبني شرقي المسجد وكذلك تعظيم السلسلة أو موضعها ليس مشروعا

﴿ فصل ﴾ وليس في بيت المقدس مكان تقصد للعبادة سوى المسجد الاقصى لكن إذا زار قبور الموتى وسلم عليهم وترحم عليهم كما كان نبي صلى الله عليه وسلم يعلم أصحابه فحسن فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعلم أصحابه إذا زاروا القبور أن يقول أحدهم السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمؤمنات وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ويرحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين نسأل الله لنا ولكم العافية اللهم لا تحرمنا أجرهم ولا تفتنا بعدهم واغفر لنا ولهم

﴿ فصل ﴾ وأما زيارة معابد الكفار مثل الموضع المسمى بالقمامة أو بيت لحم أو صهيون أو غير ذلك مثل كنائس النصارى فمنهي عنها فمن زار مكانا من هذه الأمكنة معتقدا أن زيارته مستحبة والعبادة فيه أفضل من العبادة في بيته فهو ضال خارج عن شريعة الإسلام يستتاب فإن تاب وإلا قتل وأما إذا دخلها الإنسان لحاجة وعرضت له الصلاة فيها فللعلماء فيها ثلاثة أقوال في مذهب أحمد وغيره قيل تكره الصلاة فيها مطلقا وهو اختيار ابن عقيل وهو منقول عن مالك وقيل تباح مطلقا وقيل

ان كان فيها صور تنهي عن الصلاة والا فلا وهذا منصوص عن احمد وغيره وهو مروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وغيره فان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تدخل الملائكة بيتا فيه صوره ولما فتح النبي صلي الله عليه وسلم مكة كان في الكعبة تماثيل فلم يدخل الكعبة حتى محيت تلك الصور والله أعلم

(فصل) وليس ببيت المقدس مكانا يسمي حرما ولا بتربة الخليل ولا بغير ذلك من البقاع الاثلاثة اماكن أحدها هو حرم باتفاق المسلمين وهو حرم مكة شرفها الله تعالى، والثاني حرم عند جمهور العلماء وهو حرم النبي صلى الله عليه وسلم من عير الى ثور بريد في بريد فان هذا حرم عند جمهور العلماء كمالك والشافعي وأحمد وفيه احاديث صحيحة مستفيضة عن النبي صلى الله عليه وسلم والثالث وج وهو واد بالطائف فان هذا روى فيه أحاديث رواه أحمد في المسند وليس في الصحاح وهذا حرم عند الشافعي لاعتقاده صحة الحديث وليس حرما عند أكثر العلماء وأحمد ضعف الحديث المروى فيه فلم يأخذ به وأما ما سوى هذه الاماكن الثلاثة فليس حرما عند أحد من علماء المسلمين فان الحرم ما حرم الله صيده ونباته ولم يحرم الله صيد مكان ونباته خارجا عن هذه الاماكن الثلاثة

(فصل) وأما زيارة بيت المقدس فمشروعة في جميع الاوقات ولكن لا ينبغي أن يؤتى في الاوقات التي تقصدها الضلال مثل وقت عيد النحر فان كثيرا من الضلال يسافرون اليه ليقفوا هناك والسفر

اليه لاجل التعريف به معتقدا ان هذا قربة محرم بلا ريب وينبغي أن لا يتشبه بهم ولا يكثر سوادهم وليس السفر اليهم الحج قربة وقول الجهال قدس الله حجتك قول باطل لا أصل له كما يروى من زارني وزار أبي في عام واحد ضمنت له الجنة قال هذا كذب باتفاق اهل المعرفة بالحديث بل وكذلك كل حديث يروى في زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم فانه ضعيف بل موضوع ولم يرو اهل الصحاح والسنن والمسانيد كمسند أحمد وغيره من ذلك شيئا ولكن الذي في السنن ماروا أبو داود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما من رجل يسلم علي الا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام فهو يرد السلام على من سلم عليه عند قبره ويبلغ سلام من سلم عليه من البعيد كما في النسائي عنه انه قال ان الله وكل بقبري ملائكة يبلغون عن أمتي السلام وفي السنن عنه أنه قال أكثروا علي من الصلاة يوم الجمعة وليلة الجمعة فان صلاتكم معروضة علي قالوا كيف صلاتنا تعرض عليك وقد أرمت فقال ان الله قد حرم على الارض أن تأكل لحوم الانبياء فهو صلى الله عليه وسلم ان الصلاة والسلام توصل اليه من البعيد والله قد أمرنا أن نصلي عليه ونسلم وثبت في الصحيح انه قال من صلى علي مرة صلى الله عليه بها عشرا صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا

﴿ فصل ﴾ وأما السفر الى عسقلان في هذه الاوقات فليس مشروعا لا واجبا ولا مستحبا ولكن عسقلان كان اسكانها وقصدها وضيعها كانت ثغرا للمسلمين يقيم بها المرابطون في سبيل الله ونه قد

ثبت في صحيح مسلم عن سلمان عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال رباط يوم وليلة في سبيل الله خير من صيام شهر وقيامه ومن مات مرابطاً مات مجاهدا وأجرى عليه عمله وأجرى عليه رزقه من الجنة وأمن الفتان وقال أبو هريرة لأن أرابط في سبيل الله أحب الي من أن أقوم ليلة القدر عند الحجر الاسود وكان أهل الخير والدين يقصدون ثغور المسلمين للرباط فيها ثغور الشام كعسقلان وعكة وطرسوس وجبل لبنان وغيرها وثغور مصر كالاسكندرية وغيرها وثغور العراق كعبادان وغيرها فالخرب من هذه البقاع ولم يبق بيوتا كعسقلان لم يكن ثغورا ولا في السفر اليه فضيلة ولدس فيه أحد من الصالحين المتبعين لشريعة الاسلام ولكن فيه كثير من الجن وهم رجال الغيب الذين يرون أحيانا في هذه البقاع قال تعالى (وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا) وكذلك الذين يرون الخضر أحد هو حي ... وقد رآه غير واحد ممن أعرفه وقد ... حصر وكان ذلك حيا ادس على المسلمين الذين رأوه والا فالخضر الذي كان مع موسى عليه السلام مات ولو كان حيا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لوجب عليه أن يأتي الى النبي صلى الله عليه وسلم ويؤمن به ويجاهد معه فان الله فرض على كل نبي أدرك محمدا ولو كان من الانبياء أن يؤمنوا به ويجاهدوا معه كما قال الله تعالى (واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم اصري

قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين) قال ابن عباس رضي
الله عنه لم يبعث الله نبيا إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد وهو حي
ليؤمنن به ولينصرنه وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته لئن بعث محمد
وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه ولم يذكر أحد من الصحابة أنه رأى
الخضر ولا أنه أتى إلى النبي صلى الله عليه وسلم فإن الصحابة كانوا أعلم
وأجل قدرا من أن يلتبس الشيطان عليهم ولكن التبس على كثير ممن
بعدهم فصار يتمثل لأحدهم في صورة آدمي ويقول أنا الخضر وإنما
هو شيطان كما أن كثيرا من الناس يرى ميتة خرج وجاء إليه
وكلمه في أمور وقضاء حوائج ويظنه الميت نفسه وإنما هو شيطان
تصور بصورته وكثير من الناس يستغيث بمخلوق إما نصراني كجرجس
أو غير نصراني فيرى قدحه وربما يكلمه وإنما هو شيطان صور بصورة
ذلك المستغاث به لما أشرك به المستغيث تصور له كما كانت الشياطين
تدخل في الأصنام وتكلم الناس ومثل هذا موجود كثير في هذه
الأزمان في كثير من البلاد ومن هؤلاء من تحمله الشياطين فتطير به
في الهواء إلى مكان بعيد ومنهم من تحمله إلى عرفة فلا يحج حجا شرعيا
ولا يحرم ولا [illegible] ولا يطوف ولا يسعى [illegible] مع الناس [illegible]
يحملونه في ليلة [illegible] من [illegible] شخص [illegible] كما [illegible]
[illegible] في غير هذا الموضع والله أعلم وصلى الله على سيدنا
محمد وعلى آله وصحبه وسلم

تمت [illegible]

[illegible]

ومنهم من يثبت لا رب أنه شيء في العلم والوجود وبه فهو باعتبار
هذا الثبوت والوجود هو شيء ثابت وهؤلاء لا يفرقون بين الوجود
والثبوت ومن قال هذا الثبوت شيء ولا يفرقون في كون المعدوم
ليس شيئا بين ممكن وممتنع كما فرق أولئك وقد تقدم على أن
[illegible] ليس بشيء [illegible] في الممكن وعمدة من جعله شيئا إنما هو
[illegible] في العلم وعند ذلك صح أن يخص بالقصد والخلق والخبر
عنه والأمر به والنهي عنه وغير ذلك قالوا وهذه الخصائص تقتضي أن
تتعلق بالمعدوم فخص بها [illegible] فرق بين الوجود الذي هو ثبوت
الشيء في الوجود الذي هو ثبوت العلمي زالت الشبهة في هذا الباب

وقوله تعالى إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون
وذلك الشيء هو معلوم قبل إبداعه وقبل توجيه هذا الخطاب إليه
وبذلك كان مقدرا مقضيا فإن الله يقدر ويعلم ما يكون ويكتب ما
يعلمه منه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي
رواه مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمرو إن الله قدر مقادير
الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وفي صحيح
البخاري عن عمران بن حصين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال
كان الله ولم يكن شيء معه وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل
شيء ثم خلق السموات والأرض وفي سنن أبي داود وغيره عن النبي
صلى الله عليه وسلم أنه قال أول ما خلق الله القلم فقال له اكتب فقال
ما أكتب قال ما هو كائن إلى يوم القيامة إلى مثل ذلك من النصوص

التي ـ من ان المخلوق ـ قبل أن يخلق كان معلوما مخبرا عنه مكتوبا فهي
شيء باعتبار وجوده العلمي الكلامي الكتابي وان كانت حقيقته التي
هي وجوده العيني ليس ثابتا في الخارج بل هو عدم محض ونفي صرف
وهذه مراتب الاربعة المشهورة موجودات وقد ذكرها الله سبحانه
في أول سورة أنزلها على نبيه في قوله (اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق
الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم
يعلم) وقد بسطنا الكلام في ذلك في غير هذا الموضع واذا كان كذلك
كان الخطاب موجها الى من توجهت اليه الارادة وتعلقت به القدرة
وخلق وكون كما قال (انما قولنا لشيء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون)
والذي يقال له كن هو الذي يراد وهو حين يراد قبل أن يخلق له ثبوت
وتميز في العلم والتقدير ولولا ذلك لما تميز المراد المخلوق من غيره وبهذا
يحصل الجواب عن التقسيم* فان قول السائل ان كان المخاطب موجود
فتحصيل الحاصل محال* يقال له هذا اذا كان موجودا في الخارج وجوده
الذي هو وجوده ولا ريب ان المعدوم ليس موجودا ولا هو في نفسه
ذات وانما هو متميز ومراد وكان شيئا في العلم والارادة والتقدير فليس
وجوده في الخارج محالا بل جميع المخلوقات لا توجد الا بعد وجودها
في العلم والارادة وهو قول السائل ان كان معدوما فكيف يتصور خطاب
المعدوم فيقال له انما اذا قصد أن يخاطب المعدوم في الخطاب يحصل
بفهمه ويفعله فهذا محال اذ من شرط المخاطب أن يتمكن من الفهم
والفعل والمعدوم لا يتصور أن يفهم ويفعل فيمتنع خطاب كذلك

له حق عنده [illegible] أنه [illegible] حين عنده أن يفهم ويعمل وكذلك

[illegible] أن يحفظ [illegible] في الخارج [illegible] تكون [illegible] أن [illegible]

[illegible] يحفظ [illegible] تكون وأما الشيء المعلوم

[illegible] ذلك توجيه [illegible] تكون [illegible] مثل توحيد

[illegible] هو [illegible] ذلك [illegible]

[illegible]

[illegible] تكون حصول

[illegible] على [illegible] حصل مع

[illegible] وقد [illegible] الإنسان

[illegible] من [illegible] تكون [illegible] قدرته

عليه والله [illegible] على كل شيء قدير [illegible] فإن

أمره [illegible] أن [illegible] له كن فيكون

فصل [illegible]

[illegible] ولا [illegible] لا يعبدون [illegible] الأمر [illegible] في [illegible] الأمر

[illegible] وإن كانت [illegible] أن لا [illegible] أحد من المخلوقين

عن عبادته [illegible] من هذا [illegible]

[illegible] هذه اللام [illegible] هي [illegible] التي [illegible] النحاة لام العاقبة

والصيرورة [illegible] أحدها [illegible] من أن ذلك لم

[illegible] من [illegible] ويعبدون [illegible] التي

[illegible] مؤمن و كافر [illegible] قول ضعيف [illegible] بعض الناس

ذلك كله قوله (ولذلك خلقهم) أي في آخر سورة هود قال بعض
القدرية زعم ان بعث الامم لانه لا يريد واما يريد أي صارت عاقبتهم
الى الرحمة ولي الاختلاف ولم تقصد ذلك خلق وحملوا ذلك
كقوله تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا) وقول الشاعر
لدوا للموت وابنوا للخراب
وهذه صحيحة لان لام العاقبة تستعمل في حق من لا يكون عالما
بعواقب الامور ومصادرها فيفعل الفعل الذي لا يعلم عاقبته فيكون عاقبته
غير ما يكون منه على ما له وهو تصور ذلك ويعد فعل
علام الغيوب لا تعلم غاية الامر فالله عالم بما يفعل وما يكون
انه لا يكون الا ذلك في ارادة
واما اللام التي هي لام العلة وهي لام كي ولام التعليل في بابها
حذف تنصب المصدر المجرور بها على المفعول له وتسمى علة غائية
وهي متقدمة في العلم والارادة متأخرة في الوجود والحصول وهذه
هي مراد مطلوب مقصود من الله ومن سمي علة غائية بعرف لم
الرحمة في كتب على نفسه
خلقهم للرحمة كونية وهي الارادة المستلزمة لوقوع المراد
في الخارج شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وهذه الارادة في مثل
قوله فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد أن
يضله يجعل صدره ضيقا حرجا وقوله ولا ينفعكم نصحي ان اردت
أن أنصح لكم ان كان الله يريد أن يغويكم) وقد تكون ... وقوع

الله ... ولكن الله يفعل ما يريد) وقال تعالى (ولولا اذ دخلت ... لا قوة الا بالله) وأمثال ذلك وهذه الارادة في ... ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك ... الاختلاف وفريقا للرحمة ولما ... احتلفوا ...

... وهي محبة المراد ورضاه ومحبة ... كما في قوله ... يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وفي قوله ... ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم) وقوله (يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا) فهذه ... لا ... يتعلق به النوع الاول من الارادة ... الاقسام ...

... وهو موقع في الوجود من الاعمال ... محبة ورضاه وارادة ... ولولا ذلك لكان

و ... وهو ما أمر الله به من ... ولم يكن فيها ارادة

ن وهو يحبها ويرضاها ، وقد ولم تقع

والثانية ما تعلقت به الارادة التكوينية فقط وهو ماقدره وشاءه من الحوادث التي لم يأمر بها كالمباحات والمعاصي فانه لم يأمر بها ولم يرضها [illegible] لا يأمر بالفحشاء ولا يرضى لعباده الكفر ولولا مشيئته [illegible] ما شاء الله كان ومالم يشأ لم يكن

والرابع ما لا تتعلق به هذه الارادة ولا هذه فهذا مالم يكن من [illegible] وان كان كذلك فقد [illegible] اللام في قوله (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) هي لام الارادة الدينية الشرعية وهذه [illegible] ان الغاية التي يحبها ويرضاها لهم وأمرهم بها هي عبادته فهو [illegible] من خلق العبادة اي هو [illegible] تحصيل كونهم [illegible] لديه يكونون مرضيين محبوبين فمن لم يحصل منه هذه الغاية كان [illegible] ويرضى ويراد له الارادة الدينية التي فيها سعادته ونجاته [illegible] وصلاح [illegible] المستلزم فساده وعدم [illegible] من ان الارادة هي [illegible] السطرية فهولاء [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] فان الله [illegible] الله [illegible]

[illegible] ولا حديث يأمر

العباد أن يرضوا بكل ما هو مقدر من أفعال العباد حسنها وسيئها فهذا
أصل يجب أن يعرف ولكن على الناس أن يرضوا بما أمر الله به فليس
لأحد أن يسخط ما رضيه الله [illegible] فلا وربك لا يؤمنون حتى
يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا
[illegible] كرهوا رضوانه
فأحبط أعمالهم [illegible]
[illegible]
[illegible]
وقال صلى الله عليه وسلم [illegible] من رضي
[illegible] يقدره
الله من مصائب [illegible] مثل [illegible] فقر أو مرض أو ذل
وأذى الخلق له فإن الصبر على [illegible] واجب [illegible] فهو مشروع
لكن هل هو واجب أو مستحب على قولين لأصحاب أحمد وغيرهم [illegible]
[illegible] لا تنال [illegible] في الله والبغض
في الله وقد أمر الله [illegible] بالمعروف ومحبته ورضاه ومحبة أهله
ونهى عن المنكر وبغضه وسخطه وبغض أهله وجهادهم بأيدينا
وألسنتنا وقلوبنا فكيف نتوهم أنه [illegible] في المخلوقات [illegible] ونكرهه
وقد قال تعالى لما ذكر ما ذكر من [illegible] كل ذلك كان سيئه عند ربك
مكروها [illegible] الله يكرهه وهو [illegible] فكيف لا نكرهه من أمر
الله أن نكرهها ونبغضها وهو [illegible]

أولئك هم الراشدون وقال تعالى (ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم) وقد قال تعالى (فلما آسفونا انتقمنا منهم) وقال تعالى (وغضب الله عليهم ولعنهم) وقال تعالى (يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيتون ما لا يرضى من القول) فأخبر أن من القول الواقع ما لا يرضاه وقال تعالى (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم) وقال (ورضيت لكم الإسلام دينا) وقال (وإن تشكروا يرضه لكم) فبين أنه يرضى الدين الذي أمر به فلو كان يرضى كل شيء لكان له خصيصة وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا أحد أغير من الله أن يزني عبده أو تزني أمته وقال إن الله يغار والمؤمن يغار وغيرة الله أن يأتي العبد ما حرم عليه ولا بد من نوع من كراهة ما يغار منه وبغضه وهذا باب واسع

(فصل) وأما المسألة الثانية فقوله إذا حصل العلم بما هو كائن فما معنى قوله ادعوني أستجب لكم وإن كان الذي قضاه هو كائن فلا فائدة للأمر به ولا بد من وقوعه

فجواب هذه [illegible] في [illegible] الصحيحة في [illegible] لأمة وكثير لا يتبين في هذه المسألة [illegible] ومن [illegible] كلامه ودلالة محضة على حصول المطلوب المسؤول ليس سببا أو هو عبادة محضة لا أثر له في حصول المطلوب وجودا ولا عدما بل ما يحصل به [illegible] يحصل بدونه وظنوا أن ليس فيه إلا أن الله علق الإجابة به [illegible]

بسبب بقوله وقال ربكم ادعوني أستجب لكم وفي الصحيحين عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما من مسلم يدعو الله بدعوة ليس فيها
إثم ولا قطيعة رحم الا أعطاه بها احدى خصال ثلاث اما أن يعجل
له دعوته واما أن يدخر له من الخير مثلها واما أن يصرف عنه من
الشر مثلها قالوا يا رسول الله اذا نكثر قال الله أكثر فعلق العطايا بالدعا
تعليق الوعد والجزاء بالعمل المأمور به وقال عمر بن الخطاب اني
لا أحمل هم الاجابة وانما أحمل هم الدعاء فاذا ألهمت الدعاء فان الاجابة
معه وأمثال ذلك كثير وأيضاً فالواقع المشهود يدل على ذلك ويبينه كما
يدل على ذلك مثله في سائر الأسباب ومن أخذ ... من ذلك ما أخبر
به في مثل قوله (ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون) وقوله تعالى (وذا النون
اذ ذهب مغاضباً فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا اله
الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك
ننجي المؤمنين) وقوله أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم
خلفاء الأرض) وقوله تعالى عن زكريا (رب لا تذرني فرداً وأنت خير
الوارثين فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه) وقال تعالى
(فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر
اذا هم يشركون) وقال تعالى (ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام
ان يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره ان في ذلك لآيات لكل صبار
شكور أو يوبقهن بما كسبوا ويعف عن كثير ويعلم الذين يجادلون في
آياتنا ما لهم من محيص) وأخبر أنه ... أو ... فاجتمع أحدهم بذنوبهم

و عفوه عن كثير منها مع علم المجادلين في آياته انه ما لهم من محيص لانه
في مثل هذا الحال يطلع المورد للشبهات في الدلائل الدالة على ربوبية الرب
وقدرته ومشيئته ورحمته انه لا محاص له مما وقع فيه كقوله في الآية
الاخرى (وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال) فان المعارف التي
تحصل في النفس بالاسباب الاضطرارية أثبت وأرسخ من المعارف التي
ينتجها مجرد النظر القياسي الذي يزاح عن النفوس في مثل هذه الحال هل
للرب موجب في نفسه فلا يكون هو المحدث للحوادث ابتداء ولا يمكنه
أن يحدث شيئا ولا يغير العالم حتى يدعى ويسأل وهل هو عاجز عن الفعل
والاحداث وقادر على التصريف للاحوال حتى يسأل التحويل من حال
الى حال ليس كذلك كما يزعمه من يزعمه من الفلاسفة وغيرهم من
الضلال وتجتمع مع المعرفة والعفو من ذي الجلال علم اهل الآراء والجدال
أنه لا محيص لهم عما أوقع بهم من جدالهم في آياته وهو شديد المحال
وقد تكلمنا على هذا وأشباهه وما يتعلق به من المقالات والديانات في
غير هذا الموضع

والمقصود هنا أن هنا نوع سؤال هو سبب لنيل المطلوب
سؤال الناس وجوده كعدمه في ذلك ولا هو لازمه محصلة كما دل عليه
الكتاب والسنة وان كان قد يسبق في ذلك طوائف من أهل القبلة
وغيرهم مع أن ذلك شريعة جميع الامم من المسلمين واليهود والنصارى
والصابئين والمجوس والمشركين الكن طوائف من المشركين والصابئين
من الفلاسفة السائرين على أصول ومن تبعهم من متفلسفة أهل الملل

كالفلاسفة ومن سلك سبيلهم ممن خلط ذلك بالكلام والتصوف
ونحوه ونحو هؤلاء يزعمون أن تأثير الدعاء في نيل المطلوب كما يزعمونه
في تأثير سائر الكائنات لمخلوقات من القوى الفلكية والطبيعية والقوى
النفسانية والعقلية ويجعلون ما يترتب على الدعاء هو من تأثير النفوس
النفسانية من غير أن يشعر الحق سبحانه بذلك علماً مفصلاً أو قدرة
على تغيير العالم وقد يسمونه قوة شاء أن ليس عنده علم بما يفعل ذلك
ذلك ومن هو عندهم قادر على أن يجمع علمه لأسباب وسوى ذلك
وهو سبحانه هو الخالق له وللقوة ولا حول ولا قوة إلا بالله

والمقصود هنا أن ما يسمونه هو كأن فائدة الأمر والامتثال وقوعه
فيما بين المأمور به لأنه لا يحب أن يكون بدون الأمر بالعبد بدعاء ثم
من حقيقته فقد حصل به عوده وحصل به ويدل ذلك على أن المعلوم
المقدر هو الدعاء والإجابة وما يقوم به من مصلحة ولا ندعو ولا تحصل
مدعو ... على أنه ليس في المعلوم المقدور الدعاء ولا
الإجابة وهذا الذي هو الذي تقدم العلم بأنه كان لا يكون فيه فما
فائدة الأمر فهم علم أنه يكون من لطف فضل الأمر هو سبب أيضاً في
المأمور به كسائر الأسباب فالدعاء سبب يدفع البلاء فإذا كان
أقوى منه دفعه وإن كان سبب البلاء أقوى لم يدفعه لكن يخففه
ويضعفه ولهذا أمر عند الكسوف والآيات بالصلاة والدعاء والاستغفار
والصدقة والعتق

(فصل) وفي مسنده خمسة في قوله صلى الله عليه وسلم من

فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار فاختلاف المفسرين في آية واحدة ان كان بالرأي فكيف اتجاه وان لم يكن بالرأي فكيف وقع الاختلاف والحق لا يكون في طرفي نقيض

فبيان معنى أن عامة الاختلاف الواقع من المفسرين وغيرهم على وجهين أحدهما ليس فيه تضاد وتناقض بل يمكن أن يكون كل منهما حقا وانما هو اختلاف تنوع أو اختلاف في الصفات أو العبارات وعامة الاختلاف الثابت عن مفسري السلف من الصحابة والتابعين هو من هذا الباب فان الله سبحانه اذا ذكر في القرآن اسما مثل قوله (اهدنا الصراط المستقيم) فكل من المفسرين فسر عن الصراط المستقيم بعبارة يدل بها على بعض صفاته وكل ذلك حق بمنزلة ما يسمى الله ورسوله وكتابه بأسماء كل اسم منها يدل على صفة من صفاته فيقول بعضهم الصراط المستقيم كتاب الله أو اتباع كتاب الله ويقول الآخر الصراط المستقيم هو الاسلام أو دين الاسلام ويقول الآخر الصراط المستقيم هو السنة والجماعة ويقول الآخر الصراط المستقيم طريق العبودية أو طريق الخوف والرجاء والحب وامتثال المأمور واجتناب المحظور أو متابعة الكتاب والسنة أو العمل بطاعة الله ونحو هذه الأسماء والعبارات ومعلوم أن المسمى هو واحد وان تنوعت صفاته وتعددت أسماؤه وعباراته كما اذا قيل محمد وأحمد وهو الحاشر وهو الماحي وهو العاقب وهو خاتم المرسلين وهو نبي الرحمة وهو نبي الملحمة وكذلك اذا قيل القرآن هو الفرقان والنور والشفاء والذكر الحكيم والكتاب الذي

أحكاب آدمه ثم بعصب وكذلك أسماء الله الحسني هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم وهو الذى خلق فسوى والذى قدر فهدى والذى أخرج المرعى فجعله غثاء أحوى وهو الذى لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم هو الله الذى لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر هو الله الخالق البارئ المصور وأمثال ذلك فهو سبحانه واحد صمد وأسماؤه الحسنى تدل كلها على ذاته وتدل هذا من صفاته على ما لا تدل عليه الآخر فهي متفقة في الدلالة على الذات متنوعة في الدلالة على الصفات فالاسم يدل على الذات والصفة المعينة بالمطابقة وبدل على أحدهما بطريق التضمن وكل اسم يدل على الصفة التي دل عليها الاخر فلانه يدل على الذات المستلزمة جميع الصفات فكثير من التفسير والترجمة تكون من هذا الوجه

والقسم الآخر وهو أن يذكر المفسر والمترجم معنى اللفظ على سبيل التعيين والتمثيل لا على سبيل الحد والحصر مثل أن يقول قائل من العجم ما معنى الخبز فيشار له الى رغيف وليس المقصود مجرد عينه وانما الاشارة الى تعيين هذا الشخص وهذا كما اذا سئلوا عن قوله (فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات) أو عن قوله (ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) أو عن الصالحين أو الظالمين ونحو ذلك من الاسماء العامة الجامعة التي قد يتعسر أو يتعذر على المستمع أو المتكلم ضبط مجموع معناه فلا يكون محتاجا الى ذلك فيذكر

له من انواعه والخاصة فيحتمل به عرضه وقد يستدل به على نظائره فى العالم لنفسه هو تارك المأمور فاعل المحظور والمقتصد هو فاعل الواجب وتارك المحرم والسابق هو فاعل الواجب والمستحب وتارك المحرم والمكروه فنقول حيث بحسب حاجة السائل الظالم الذى يؤخر الصلاة أو الذى لا يسبغ الوضوء أو الذي لا يتم الاركان ونحو ذلك والمقتصد الذى يصلى فى الوقت كما أمر والسابق بالخيرات الذى يصلى الصلاة بواجباتها ومستحباتها ويأتى بالنوافل المستحبة معها وكذلك يقول مثل هذا في الزكاة والصوم والحج وسائر الواجبات وقد روى عن ابن عباس رضى الله عنه أنه قال التفسير على أربعة أوجه تفسير تعرفه العرب من كلامها وتفسير لا يعذر أحد بجهالته وتفسير يعلمه العلماء وتفسير لا يعلمه الا الله فمن ادعى علمه فهو كاذب والصحابة أخذوا عن الرسول لفظ القرآن ومعناه كما أخذوا عنه السنة وان كان من الناس من غير السنة فمن الناس من غير بعض معانى القرآن اذ لم يتمكن من تغيير لفظه وأيضا فقد يخفى على بعض العلماء تفسير معنى القرآن كما خفى عليه بعض السنة فيقع الخطأ للمجتهد من هذا الوجه والله أعلم

﴿ تمت الرسالة الرابعة ﴾

﴿ ويليها الرسالة الخامسة ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

سئل شيخ الإسلام حسنة الأيام أوحد المجتهدين قامع المبتدعين تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ثم الدمشقي رضي الله عنه عن قوم يحتجون بسابق القدر ويقولون قد قضي الأمر من القدم والسعيد سعيد والشقي شقي من بطن أمه ويحتجون بقوله تعالى (إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون) ويقولون إنه قضى جميع الأعمال قدرة وأن المقدرة لله على قدر الخير والشر وكتبه علينا وأراد فبين خطأ هؤلاء بالأدلة القاطعة ويقولون من قال لا إله إلا الله دخل الجنة ويحتجون بحديث أبي ذر في قوله صلى الله عليه وسلم وإن زنى وإن سرق فبين لنا الجواب عن هذه الحجة أفتونا مأجورين

فأجاب شيخ الإسلام رحمه الله * الحمد لله رب العالمين * هؤلاء القوم إذا أصروا على هذا الاعتقاد كانوا أكفر من اليهود والنصارى فإنهم يؤمنون بالأمر والنهي والوعد والوعيد والثواب والعقاب لكن حرفوا وبدلوا وآمنوا ببعض وكفروا ببعض كما قال تعالى (إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقا وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف يؤتيهم أجورهم وكان الله غفورا رحيما) فمن كان من الناس يؤمن ببعض ويكفر ببعض فهو كافر حقا فكيف بمن يكفر بالجميع ومن لم يقر بأمر الله ونهيه ووعده ووعيده

بل ترك ذلك [illegible] فهو أكثر من [illegible] بعض وأكثر بعض
وقول هؤلاء يظهر [illegible]

[illegible] هؤلاء [illegible] حجة للعبد وأما
أن لا [illegible] فهو حجة لجميع الناس
فهم كلهم مشتركون في [illegible] أن لا [illegible]
و [illegible] وهلك حرث والنسل
وهؤلاء [illegible] بعض
[illegible]
[illegible] واحد
[illegible] أحد [illegible]
[illegible]
[illegible] في أمثال كما [illegible] في الشرع
وهم [illegible] في [illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

الأسباب و [illegible] وهو [illegible] في معنى هذا وهذا

[illegible] فصل [illegible] صلاة [illegible] معصى فهو

[illegible] وعصى آدم

[illegible] لأمر الشرعي

[illegible] أمر الله [illegible] وأمر [illegible] فقد عصاه

[illegible] وهو [illegible] بالمعصية هي الخروج

عن قدرته [illegible] لم يكن العصاة إلا هداة ولا يكون إبليس وفرعون

وقوم نوح وقوم عاد وثمود وجميع الكفار عصاة أيضاً لأنهم داخلون

في قدرته تعالى [illegible] وإن قالوا تعالى من قال ذلك

[illegible] ليس هو [illegible] الله تعالى [illegible] داخل في قدر

الله عز وجل [illegible] الأصل لا يمشي على حال

(فصل) [illegible] قدرة [illegible]

فإن الله تعالى فرق بين المستطيع [illegible]

الله ما استطعتم) وقال تعالى (ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه

سبيلا)وقال تعالى(الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف

قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة) والله تعالى قد أثبت للعبد مشيئة

وفعلا كما قال تعالى (لمن شاء منكم أن يستقيم وما تشاؤن إلا أن يشاء

الله رب العالمين) وقال تعالى (جزاء بما كانوا يعملون) لكن الله سبحانه

خلقه وخلق كل ما فيه من قدرة ومشيئة [illegible] لا رب غيره ولا إله

سواه وهو خالق كل شيء وربه ومليكه

(وصــل) وأما قول القائل إنما من المعاصي مكتوب فهو كلام
صحيح لكن هذا لا ينفعه الاحتجاج به فان الله تعالى كتب أفعال العباد
خيرها وشرها وكتب ما يصيرون إليه من السعادة والشقاوة وجعل
الاعمال سبباً للثواب والعقاب وكتب ذلك كما كتب الامراض وجعلها
سبباً للمرض والموت فمن أكل السم فانه يمرض أو يموت والله تعالى قدر
وكتب هذا وهذا كذلك من فعل ما نهي عنه من الكفر والفسوق
والعصيان فانه فعل ما كتب عليه وهو مستحق لما كتبه الله من الجزاء
على عمل ذلك وحجة هؤلاء بالقدر على المعاصي من جنس حجة المشركين
الذين قال الله تعالى عنهم (وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه
من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء كذلك فعل الذين من قبلهم)
وقال تعالى (سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء
كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم
فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون قل فلله الحجة
البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين)

(فصــل) وما يقول بعض من [illegible] لا [illegible] إنه دخل الجنة
و [illegible] بمحض [illegible] لم يكن [illegible] وسنة فهو
[illegible] ووعده وقد قال تعالى (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما
يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً) وقال تعالى (يا أيها الذين
آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض
منكم ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً ومن يفعل ذلك عدواناً
وظلماً فسوف نصليه ناراً وكان ذلك على الله يسيراً) ومثل هذا كثير في

الكتاب والسنة والعدل أن صدق بهذا وهذا لا يؤمن ببعض ويكفر
ببعض فهؤلاء المرجئة أرادوا أن يصدقوا بالوعد ويكذبوا بالوعيد
والخوارج والمعتزلة أرادوا أن يصدقوا بالوعيد دون الوعد وكلاهما أخطأ
والذي عليه أهل السنة والجماعة الإيمان بالوعد والوعيد وكما أن ما توعد
الله به العبد من العقاب قد بين سبحانه أنه بشروط بأن لا يتوب فإن
تاب تاب الله عليه وبأن لا يكون له حسنات تمحو ذنوبه فإن الحسنات
يذهبن السيئات وبأن لا يشاء الله أن يغفر له فإن الله لا يغفر أن يشرك
به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فهكذا الوعد له تفسير وبيان فمن قال
لا إله إلا الله وكذب الرسول صلى الله عليه وسلم فهو كافر باتفاق
المسلمين وكذلك من جحد شيئاً مما أنزل الله على ولا بد من الإيمان
بكل ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ثم إن كل من أهل الكبائر
فأمره إلى الله عز وجل إن شاء غفر له وإن شاء عذبه ومن ارتد عن
الإسلام ومات مرتداً كان في النار حبطت أعماله والحسنات
يحبطها الردة ومن كان له حسنات وسيئات فأمره إلى الله لا يظلمه بل
من يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره والله
تعالى يتفضل عليه ويحسن إليه بمغفرته ورحمته ومن مات على الإيمان
فإنه لا يخلد في النار فالزاني والسارق لا يخلد في النار بل لا بد أن يدخله
الجنة فالنار يخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان وهؤلاء
المؤلفون يمنون القدرية والجهمية المشركية والمعتزلة في ذمهم
من الآثار ما صح عنه هذا الجواب

تمت الرسالة الخامسة وتليها السادسة له أيضا

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الإمام أبو العباس أحمد بن تيمية قدس الله روحه

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم تسليماً

(فصل) في قوله صلى الله عليه وسلم فحج آدم موسى لما احتج عليه بالقدر وبيان أن ذلك في المصائب لا في الذنوب وأن الله أمر بالصبر والتقوى فهو في الصبر الذي مع التقوى وقال (فاصبر إن وعد الله حق واستغفر لذنبك) فأمر بالصبر على المصائب والاستغفار من المعائب وذلك أن الناس اضطربوا في هذا المقام مقام تعارض الأمر والقدر وقد بسطنا الكلام على ذلك في مواضع

والمقصود هنا أنه قد ثبت في الصحيحين حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال احتج آدم وموسى فقال موسى يا آدم أنت أبو البشر الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأسجد لك ملائكته لماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة فقال له آدم أنت موسى الذي كلمك الله تكليماً وكتب لك التوراة فبكم تجد فيها مكتوباً وعصى آدم ربه فغوى قبل أن أخلق قال بأربعين سنة قال فحج آدم موسى وهذا مروي أيضاً من طريق عمر بن الخطاب بإسناد حسن

وقد ظن كثير من الناس أن آدم احتج بالقدر السابق على نفي

الإمام على الذين يصرون لا يحل لهم أعني ثلاثة أحزاب

فرق يدعون فيه كذب على أحد معروف لأنه من المعلوم

لأصحاب أن هذا ... ولا ...

يكون ... ... صلى الله عليه وسلم إلى

... ... على ... ورسوله

وفرق يقولون هؤلاء معصومة لا يذكرون بعضهم أما حجة

له كل ... ولا يلوم ... ويقول بعضهم لأن الذين كان في شريعة

والإمام في أخرى ويقول بعضهم لأن الإمام كان بعد النبوة وقول بعضهم

لأن هذا ... ... وذلك الآخرة

وفرق ... ... في سقوط الإمام عن المخالفين لأمر الله

ورسوله ... ... أن الإمام

من عمل ما ... ... أهواء

وأغراضه لأحد ... ... في ... هؤلاء ... الطاعة

قدرى وعند المعصية جبري أي مذهب وافق هواه تمذهب به فالواحد

من هؤلاء إذا أذنب أحد يحتج بالقدر ولو أذنب غيره أو ظلمه لم

يعذره وهؤلاء الظالمون معتدون

ومنهم من يقول هذا في حق أهل الحقيقة الذين يشهدون توحيد

الربوبية ... ... الله هؤلاء لا يستحسنون

حسنة ولا يستقبحون سيئة ... ... فلا

... ... من شهد ... ... وهذا قول كثير

من مجاري الصوفية المدعين للحقيقة وقد يجعلون هذا نهاية التحقيق
وغاية العرفان والتوحيد وهذا قول طائفة من أهل العلم قال ابن المظفر
السمعاني وأما الكلام فيما جرى بين آدم وموسى من المحاجة في هذا
الشأن فإنما ساغ لهما الحجاج في ذلك لأنهما نبيان جليلان خصا بعلم
الحقائق وأذن لهما في استكشاف السرائر وليس سبيل الخلق الذين
أمروا بالوقوف عند ما حد لهم والسكوت عما طوي عنهم سبيلهما وليس
قوله فحج آدم موسى إبطال حكم الطاعة ولا إسقاط العمل الواجب
ولكن معناه ترجيح أحد الأمرين وتقديم رتبة العلة على السبب فقد
تقع الحكمة بترجيح معنى أحد الأمرين فسبيل قوله فحج آدم موسى
هذا السبيل وقد ظهر هذا في قصة آدم قال الله تعالى (إني جاعل في
الأرض خليفة) إلى أن قال فجاء من هذا أن آدم لم تهيأ له أن يستديم
سكنى الجنة بأن لا يقرب الشجرة لسابق القضاء المكتوب عليه في الخروج
منها وبهذا صال على موسى عند المحاجة وبهذا المعنى قضى له على موسى
فقال فحج آدم موسى قلت ولهذا يقول الشيخ عبد القادر قدس الله
روحه كثير من الرجال إذا وصلوا إلى القضاء والقدر أمسكوا وأنا انفتحت
لي فيه روزنة فنازعت أقدار الحق بالحق للحق والرجل من يكون
منازعا للقدر لا موافقا له وهو رضي الله عنه كان يعظم الأمر والنهي
ويوصي باتباع ذلك وينهى عن الاحتجاج بالقدر وكذلك شيخه حماد
الدباس وذلك لما رأوه في كثير من السالكين من الوقوف عند القدر
المعارض للأمر والنهي والعبد مأمور أن يجاهد في سبيل الله ويدفع

مقدور من المعاصي كما قدر من الطاعة فهو [illegible] للمقدور والمحظور

بالمقدور كفور بالله تعالى وهذا هو دين الله الذي بعث به الأولين

والآخرين من رسله صلوات الله عليهم أجمعين

ومن شيوخ هؤلاء كثير [illegible] أنه يشهد

[illegible] لأنه كان [illegible] محبة

وفي [illegible] من جماعة من أهل العلم

[illegible] وهو [illegible] عن دين الإسلام

ومن هؤلاء من يقول [illegible] لأنه كان مشاهد

[illegible] ومن شيوخ هؤلاء من كان يقول [illegible] بيدي

[illegible] محدث

ومنهم من يكون [illegible] قوله بحسب الإمكان فيكون كل من [illegible]

[illegible] عليه [illegible]

[illegible] ومنهما [illegible]

[illegible] والإقرار [illegible]

ومن هؤلاء الاتحادية الذين يقولون الوجود واحد ثم يقولون

[illegible] تصل من [illegible] وإذا تصل يستحق أن يكون ربا للمعصوم

ويقولون إن فرعون كان صادقا في قوله أنا ربكم الأعلى وهذا قول

طائفة من ملاحدة المتصوفة المتشبهة الاتحادية كالتلمساني والقول

بالاتحاد العام الذي هو وحدة الوجود وهو قول ابن عربي الطائي وصاحبه

القونوي وابن سبعين وابن الفارض وأمثالهم لكن هم في الحدود والحرا

نزاع كما زعم بعضهم في ان الوجود هل هو شيء غير الذوات ام لا

وهؤلاء ضلوا من وجهين من جهة عدم الفرق بين الوجود الخالق والمخلوق ومشهود القدر فيظنون لان ان الله تعالى خالق كل شيء وربه

والقدر هو القدرة كما قال الامام أحمد وهو المقدر لكل [illegible] كان الكل حقيقة الامر والنهي و [illegible] من الافعال [illegible] [illegible] فيحصل له به [illegible] ومنها [illegible] فيحصل له به [illegible] ونحن لا ننكر [illegible] جميع من جهة [illegible] وان [illegible] لكن ثم فرق آخر من جهة حكمه و[illegible] [illegible] [illegible] الاشياء [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] الجمل [illegible] وجعلوا [illegible] كالمفسدين في الارض ام نجعل المتقين كالفجار (أفنجعل المسلمين كالمجرمين) [illegible] كانت [illegible] من الامور فهو ملائم للانسان [illegible] يحصل له به اللذة ومنها ما هو [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] فرق بين [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] الفرق معلوم [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الآخرين [illegible] معلوم [illegible] موجود في جميع [illegible] [illegible] الفرق بين [illegible] [illegible] [illegible] وهو الفرق بين [illegible] [illegible] والفرق راجع الى [illegible] [illegible] مفطور على ان يكون بعض الامور ملائما للانسان وبعضها منافيا له اذ قيل هذا حسن وهذا قبيح فهذا حسن واقبح [illegible] [illegible]

باتفاق العقلاء ونازعوا في الحسن والقبح الذي هو كون الفعل سببا للذم والعقاب هل يعلم بالعقل أم لا يعلم إلا بالشرع وكان من أسباب النزاع أنهم ظنوا أن هذه القسمة مقابلة للأولين وليس هذا خارجا عنهما فليس في الوجود حسن إلا بمعنى الملائم ولا قبيح إلا بمعنى المنافي والمدح والثواب ملائم والذم والعقاب مناف فهو نوع من الملائم والمنافي

وفي الكلام في بعض أنواع الحسن والقبح ما لا يحتاج إليه ولا ريب أن من أنواعه ما لا يعلم إلا بالشرع ولكن النزاع فيما هو معلوم لعموم الخلق كالظلم والكذب ونحو ذلك

والنزاع في أمور منها هل للفعل صفة صار بها حسنا وقبيحا وأن الحسن المتلي هو كونه موافقا لمصلحة الفاعل والقبيح المنافي بخلافه وهل في الشرع زيادة على ذلك وفي أن العقاب في الدنيا والآخرة هل يعلم بمجرد العقل وبسط هذا له موضع آخر

ومن الناس من أثبت قسما ثالثا للحسن والقبيح وادعى الاتفاق عليه وهو كون الفعل صفة كمال أو صفة نقص وهذا القسم لم يذكره عامة المتقدمين المتكلمين في هذه المسألة ولكن ذكره بعض المتأخرين كالرازي وأخذه عن الفلاسفة

والتحقيق أن هذا القسم لا يخالف الأول فإن الكمال الذي يحصل للإنسان ببعض الأفعال هو يعود إلى الموافقة والمخالفة وهو اللذة والألم فالنفس تلتذ بما هو كمال لها وتتألم بالنقص فيعود الكمال والنقص إلى الملائم والمنافي وهذا مبسوط في موضع آخر

والمقصود هنا أن الفرق بين الأفعال الحسنة التي يحصل لصاحبها بها لذة وبين السيئة التي يحصل له بها ألم أمر حسي يعرفه جميع الحيوان فمن قال من المدعين لحقيقة القدرية والفناء في توحيد الربوبية والاصطلام أنه بقي في عين الجمع بحيث لا يفرق بين ما يؤلمه وما يلذه كان هذا مما يعلم كذبه فيه إن كان يفهم ما يقول وإلا كان ضالا يتكلم بما لا يعرف حقيقته وهو الغالب على من يتكلم في هذا فإن القوم قد يحصل لأحدهم هذا المشهد مشهد الفناء في توحيد الربوبية فلا يشهد فرقا مدة في هذا المشهد وقد يغيب عنه الإحساس بالفرق مدة من الزمان فيظن هذا الفناء مقاما محمودا ويجعله غاية ولابد للسالكين وهذا غلط فإن عدم الفرق من نقص ماسح ويحدث أحيانا هو مثل عدم الفرق للنوم والنسيان والسكر والاشتغال بشيء عن آخر وهو لا يزيل الفرق الثابت في نفس الأمر ولا يزيل الإحساس به إذا وجد سببه والواحد من هؤلاء لابد أن يجوع أو يعطش فلا يسوي بين الخبز والتراب وبين الملح الأجاج والعذب الفرات بل لابد أن يفرق بينه ويعرف هذا طيب وهذا خبيث وهذا هو الفرق بين كل ما أمر الله ورسوله ونهى عنه فإنه أمر بالطيب من القوت والعمل ونهى عن الخبيث وبه يعرف أن من لم يفرق هو لا من الأمور ما ينفع ويوجب نفعه وما يضره ويوجب ضرره ويوجب له ولكن قد صار هذه الأمور تدرك بالحس وبعضها يدركه بعض الناس فهؤلاء الأمور الدنيا فيعرفون ما يحصل لهم منفعة في الدنيا وما يحصل لهم مضرة

وهذا من الفعل [illegible] الانسان [illegible] يدرك من عواقب الافعال
ما لا يدركه الحس [illegible] في امر ان [illegible] ما يجلب به [illegible]
[illegible] ولله تعالى [illegible]
[illegible] في الآخرة ويخوف من عذاب الآخرة [illegible]
[illegible] والامر [illegible] والالم [illegible]
[illegible] يدرك هذا الفرق [illegible] عقله هو به
[illegible] من الشر [illegible] من الخير ولا ريب
ان في الناس من [illegible] في بعض الاحوال ومن الناس من
[illegible] لاصوات المطرب فان ذلك قد
[illegible] في
[illegible] سكروا [illegible]
[illegible]

[illegible] في شرب الخمر [illegible] سكروا [illegible]
[illegible] اولياء الله المتقين وفي
[illegible] في السنة [illegible] هو كالذي [illegible] ولا هو
[illegible]

[illegible]

كان السكر أسباب محرم فهذا فيه نزاع معروف بين العلماء والذين يذكرون عن أبي يزيد وغيره كلمات من الاتحاد الخاص ونفي الفرق ويعذرونه في ذلك يقولون إنه غاب عقله حتى قال أنا الحق وسبحاني وما في جبته إلا الله ويتأولونه إذا دوي على صاحبه وكان فيه ضعفاً يغيب بمحبوبه عن حبه وبموجوده عن وجده وبمذكوره عن ذكره حتى يفنى من لم يكن ويبقى من لم يزل

ويحكون أن شخصاً ألقى نفسه في [illegible]

[illegible]

الربوبية ويقولون هو ما يقولون بل الحلاج كان في غاية التحقيق والتوحيد

ثم هؤلاء في قبوله وردّه فرق [illegible] مدموما ومن كان محمود [illegible] ومنهم من عدّه من [illegible] حسن [illegible] وهم [illegible] يقولون هم قبلوا الحلاج وهؤلاء من حسن الذين يقولون ـ شريعة ولنا حقيقة تخالف الشريعة والذين يتكلمون بهذا الكلام لا يفهمون ما أراد بلفظ الشريعة في كلام الله ورسوله وكلام سائر الناس ولا [illegible] الحقيقة أو الحق أو الذوق أو الوجد أو الوجد في كلام الله ورسوله وكلام سائر [illegible] من يظن السرع عبارة عما يحكم به [illegible] ومن هؤلاء من [illegible] القاضي لعلم عدل وقاضي جهل واستوى [illegible] محكم به حاكم باسم الشريعة ولا ريب انه قد تكون الحقيقة في نفس الأمر بخلاف ما حكم به الحاكم كما قال النبي صلى الله عليه وسلم انكم تختصمون الي وانما انا بشر ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض وانما أقضي بنحو مما أسمع فمن قضيت له من حق أخيه شيئا فلا يأخذه فانما أقطع له قطعة من النار والحاكم يحكم بما سمعه من البينة والاقرار وقد يكون الاقرار والبينة [illegible] وما لا يعلمه الشريعة في نفس الامر هو الامر [illegible] ومن [illegible] من الامور قد يكون [illegible] ومن هذا [illegible] والحصر [illegible] فيه شريعة أمره الله بها ولم يكن ذلك [illegible]

الشرع فإنه لم يكن لمسلم، عرف موسى الباطن كان في الظاهر عنده أن
هذا لا يجوز فلما بين له الخضر الأمور وأنه لم يكن ذلك مخالفا للشرع
وهذا إذا تبين فيه قد يكون الأمر في الباطن بخلاف ما يظهر فهذا
صحيح لكن تسمية الباطن حقيقته والظاهر شريعته أمر اصطلاحي

ومن الناس من يجعل الحقيقة هي الأمر الباطن مطلقا والشريعة
هي الأمور الظاهرة وهذا كما يقال في الإسلام إذا قرن بالإيمان أريد
به الأعمال الظاهرة وبالإيمان ما يراد به الأمور التي في القلب كما في
حديث جبريل فقد جمع بينهما فمن جمع الإسلام وحقائق الإيمان
كان هذا كلاما صحيحا لكن متى أفرد أحدهما فكل شريعة ليس لها
حقيقة صحيحة فليس صاحبها من المؤمنين حقاً وكل حقيقة لا توافق
الشريعة التي بعث الله بها محمدا صلى الله عليه وسلم فصاحبها ليس بمسلم
فضلا عن أن يكون من أولياء الله المتقين وقد يراد بلفظ الشريعة
ما يقوله فقهاء الشريعة باجتهادهم وبالحقيقة ما يذوقه ويجده الصوفية
بنفوسهم ولا ريب أن كلا من هؤلاء مجتهدون تارة مصيبون وتارة
مخطئون وليس لواحد منهم عصمة فيما يقوله بل يتبين حق أحد
الطائفتين ولا فضل على أحدهما لمقالة الأخرى إلا أن تأتي بحجة
شرعية توجب موافقتها

فإن من الناس من يظن أن الخروج عن الحدود قد يحمد فيه بحسب الحقيقة
الذوقية التي علمها هؤلاء وهذا ظن كثير من الناس وليس كما ظنوا بل
الذي هو عليه هو يكسر وقيل عنه الحقيقة مثل دعواه

أنه تقدر أن ... محير ... ان من قاله ...

... لي

أمور ... محمد

... وصوره

... مكر

... الا مع خواص

... ولا ... ون

من ... المركان ... الرحن ولم توحد له نار

وأ ...

... ⁕ ... ⁕ ...

... في المسح

...

...

و ... ⁕ ...

... ⁕ ... اوا حد

توحيده ... لاحد

... ⁕ ...

...

... خلاع

...

[illegible] الحق وسبحاني [illegible] فرعون قال ذلك وهو [illegible] نفسه [illegible]
وأما أهل الفناء فهم نوعان [illegible] وكل [illegible] على [illegible]
وهذا مما وقع فيه كثير من [illegible] وهذا رد الجنيد رحمه
[illegible] على هؤلاء [illegible] هو الفرق بين القديم والمحدث
وبين [illegible] الطائفة [illegible] التوحيد [illegible] لا [illegible] بين الرب
[illegible] هؤلاء [illegible] هو [illegible]
وهؤلاء من [illegible]

وأما [illegible] فهم [illegible]
[illegible] في كل مكان [illegible] وقد [illegible] الكلام على
[illegible] في غير هذا الموضع

والمقصود [illegible] من [illegible]
[illegible] في غير هذا الموضع

[illegible]

كان قد اعتمد السحر وكان له شأن من خدمه في أمور أخرى مبسوطة
في غير هذا الموضع وكل من آمن لما كان هو وجنوده من السحرة
فيكون رأس [illegible] في شهود [illegible] ولا احتج على موسى
[illegible] موسى [illegible] الله على [illegible] أن احتاق واحتج
بالقدر [illegible] بين المأمور والمحظور

(فصل) إذا عرف هذا فنقول صواب في قصة آدم وموسى
أن موسى لم يلم آدم إلا من جهة المصيبة التي أصابته وذريته بما فعل
لا لأجل أن تارك الأمر مذنب عاص ولهذا قال لماذا أخرجتنا ونفسك
من الجنة لم يقل لماذا خالفت الأمر ولماذا عصيت والناس مأمورون عند
المصائب التي تصيبهم بأفعال الناس أو بغير أفعالهم بالتسليم للقدر وشهود
الربوبية كما قال الله تعالى (ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله ومن يؤمن
بالله يهد قلبه) قال ابن مسعود وغيره هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها
من عند الله فيرضى ويسلم وفي الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه
وسلم احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شيء
فلا تقل لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء الله
فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان فأمره بالحرص على ما ينفعه وهو طاعة
الله ورسوله فليس للعبد أنفع من طاعة الله ورسوله وأمره إذا أصابته
مصيبة مقدرة أن لا ينظر إلى القدر ولا يتحسر بتقدير لا يفيد ويقول قدر
الله وما شاء الله فعل ولا يقول لو أني فعلت كذا لكان كذا فيقدر ما لم يقع
أي أنه لو كان وقع فإن ذلك يورث حسرة وحزنا لا يفيد والتسليم

فالقدر هو الذي ينفعه كما قال بعضهم الأمور أمران أمر فيه حيلة فلا
تعجز عنه وأمر لا حيلة فيه فلا تجزع منه وما زال أئمة الهدى من
الشيوخ وغيرهم يوصون الإنسان بأن يفعل المأمور ويترك المحظور
ويصبر على المقدور وإن كانت تلك المصيبة بسبب فعل آدمي فلو كان
رجل أنفق ماله في المعاصي حتى مات ولم يخلف لولده مالا أو ظلم الناس
ظلما صاروا لأجله يبغضون أولاده ويحرمونهم ما يعطونه لأمثالهم لكان
هذه مصيبة في حق الأولاد حصلت بسبب فعل الأب فإذا قال أحدهم
لأبيه أنت فعلت بنا هذا قيل له هذا كان مقدوراً عليكم وأنتم مأمورون
بالصبر على ما يصيبكم والأب عاص لله فيما فعله من الظلم والتبذير ملوم على
ذلك لا يرتفع عنه ذم الله وعقابه بالقدر السابق فإن كان الأب قد تاب
توبة نصوحا وتاب الله عليه وغفر له لم يجز ذمه ولا لومه بحال لا من
جهة حق الله فإن الله قد غفر له ولا من جهة المصيبة التي حصلت لغيره
بفعله إذ لم يكن هو ظالماً لأولئك فإن تلك كانت مقدرة عليهم وهذا
مثل قصة آدم فإن آدم لم يظلم أولاده بل إنما ولدوا بعد هبوطه من
الجنة وإنما هبط آدم وحواء ولم يكن معهما ولد حتى يقال إن ذنبهما
تعدى إلى ولدهما ثم بعد هبوطهما إلى الأرض جاءت الأولاد فلم يكن
آدم قد ظلم أولاده ظلماً يستحقون به ملامه وكونهم صاروا في الدنيا
دون الجنة أمر كان مقدراً عليهم لا يستحقون به لوم آدم وذنب آدم
كان قد تاب منه قال الله تعالى (وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه
فتاب عليه وهدى) وقال (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه) فلم يبق

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

وتسمية ... لا خرج ... لأخرج به ولم

... والله أعلم

وقد روي في الاسرائيليات أنه أخرج به وهذا مما لا يصدق به لو

كان محتملا فكيف وهو مخالف أصول الإسلام بل أصول الشرع والعقل ...

... وقد يمكن أن ... الله عن

... شيء من ... وقد يكون ... من ... الاسرائيليات لا ...

... قول ...

... ولكن

لا أخرج ... أخرج من الجنة وأهبط إلى الارض

... قال وهو ... أنه أهبط إلى الارض

وقال ... قد يكون من تمامه ... صالح عمله وذلك بعد التوبة

... دواء ... الله قال ... (لا ... من بعد ذلك وأصلحوا

فإن الله غفور رحيم) في ... وقال في ... (إلا الذين تابوا

وأصلحوا ... فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم) وقال (أنه من

عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فأنه غفور رحيم) وقال

في القذف (إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم) وقال (إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما. ومن تاب وعمل صالحا فإنه يتوب إلى الله متابا) وقال (وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى)

وقد ثبت في الصحيح وغيره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] قال النبي صلى الله عليه وسلم في [illegible] لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له وهل وجدت أفضل من أن جادت بنفسها

وقد ذكر الله عن توبة عبدة العجل حيث قال موسى (يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم)

وقد كان الله تعالى [illegible] والصبر [illegible] وطاعته أم [illegible] حق [illegible] في الأرض [illegible] له [illegible] لله في [illegible] من [illegible] وهذا [illegible] الاحتجاج [illegible] [illegible] ولا [illegible]

وقد قص [illegible] نوح وهود وصالح وقومه [illegible] وقومه [illegible] كل واحد منهم [illegible]

وأيضاً فقد شرع الله من عقوبة المجرمين من الكفار وأهل
البغي وقتال المرتدين وعقوبة الزاني والسارق والشارب ما يبين ذلك

(فصل) وقد تبين أن آدم حج موسى لأن موسى أراد أن يلوم من
كان سبباً في مصيبتهم وهو خلاف الكتاب والسنة قال الله تعالى (ما أصاب
من مصيبة إلا بإذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه) وقال تعالى (ما أصاب من
مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك
على الله يسير) وسواء في ذلك المصائب السماوية والمصائب التي تحصل
بأفعال الآدميين قال تعالى (واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا
جميلا) وقال (ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا
حتى أتاهم نصرنا) وقال في سورة الطور بعد قوله فذكر فما أنت بنعمة
ربك بكاهن ولا مجنون أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون قل
تربصوا فإني معكم من المتربصين) إلى قوله (أم يقولون تقوله بل
لا يؤمنون) إلى قوله (أم تسألهم أجرا فهم من مغرم مثقلون أم عندهم
الغيب فهم يكتبون واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا وسبح بحمد ربك
حين تقوم) وقال في سورة ن (أم تسألهم أجرا فهم من مغرم مثقلون
أم عندهم الغيب فهم يكتبون) وقال (واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا وسبح
بحمد ربك حين تقوم) وقال تعالى في سورة ن (فاصبر لحكم ربك ولا تكن
كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم)

وقد قيل في معناه اصبر لما يحكم به عليك وقيل اصبر على أذاهم لقضاء
ربك الذي هو آت والأول أصح

وحكم الله نوعان خلق وأمر فالأول ماتقدره من المصائب والثانى
مايأمر به وينهى عنه والعبد مأمور بالصبر على هذا وعلى هذا فيصبر لما
أمر به ولما نهى عنه فيفعل المأمور ويترك المحظور ويصبر على ما قدره
الله عليه وبعض المفسرين يقول هذه الآية منسوخة بآية السيف وهذا
يتوجه إذا كان في الآية النهى عن القتال فيكون هذا النهى منسوخا ليس
جميع أنواع الصبر منسوخة كيف والآية لم تتعرض لذلك هنا لا بنفى ولا
إثبات بل الصبر واجب لحكم الله والقتال واجب وإذا أمر بالجهاد فعليه
أيضاً أن يصبر لحكم الله فإنه يبتلى من قتالهم بما هو أعظم من كلامهم كما
ابتلى به يوم أحد والخندق وعليه حينئذ أن يصبر ويفعل ما أمر به من
الجهاد

والمقصود هنا قوله واصبر لحكم ربك فإن ما فعلوه من الأذى هو مما
حكم به عليك قدرا فاصبر لحكمه وإن كانوا ظالمين فى ذلك وهذا الصبر
أعظم من الصبر على ما جرى وفعل بالأنبياء وقوله (فاصبر لحكم ربك
ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم) وقال (وذا النون إذ ذهب
مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى فى الظلمات) وسواء كان مغاضبا
لقومه أو لربه فكانت مغاضبته من أمر قدر عليه وصبره صبر لحكم ربه
الذي قدره وقضاه وإن كان إنما تأذى من تكذيب الناس له وقالت
الرسل لقومهم وما لنا ألا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن
على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون وقال موسى لقومه لما قال
فرعون سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم وإنا فوقهم قاهرون قال موسى

لقومه استعينوا بالله واصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين) وقال (فاصبر ان وعد الله حق واستغفر لذنبك) وقال تعالى (والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون) فهؤلاء هم الذين صبروا على ظلم من ظلمهم وهم المهاجرون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي عامة في كل من اتصف بهذه الصفة

وأصل المهاجرين من هجر مكة رضي الله عنه كانت ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم فكل من هجر السوء وظلمه الناس على ترك الكفر والفسوق والعصيان حتى خرجوا من هجره فيصبر في الدنيا وصبر على ظلمهم فان الله سيؤويه في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر كيوسف الصديق فانه هجر الفاحشة حتى أخذوه ذلك إلى هجر منزله ولبث في السجن بضع سنين ثم مكنه الله حتى يتبوأ من الارض حيث يشاء وقال بين ... (رب فرجت بصبر) وقال (ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله والله مع الصابرين) وقال (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين)

فهذا كله صبر على مقدور من أفعال الخلق والله سبحانه مدح في كتابه الصبار الشكور كقوله (ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور) في

غير موضع فالصبر والشكر على ما يقدره الرب لعبده من السراء والضراء
من النعم والمصائب من الحسنات التي يعملها والسيئات وعليه أن يتلقى
المصائب بالصبر والنعم بالشكر ومن النعم ما ييسره له من أفعال الخير ومنها
ما هي خارجة عن أفعاله فيشهد القدر عند فعله للطاعات وعند إنعام الله
عليه فيشكر، ويشهده عند المصائب فيصبر وأما عند ذنوبه فيكون مستغفراً
تائباً كما قال (فاصبر إن وعد الله حق واستغفر لذنبك). أما من عكس هذا
فشهد القدر عند ذنوبه وشهد فعله عند الحسنات فهو من أعظم المجرمين
ومن شهد فعلهما فيهما فهو قدري ومن شهد القدر فيهما وهو معترف
بالذنب ومستغفر فهو من جنس المشركين

وأما المؤمن فيقول أبوء لك بنعمتك عليّ وأبوء بذنبي فاغفر لي كما
في الحديث الصحيح «يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم
أوفيكم إياها فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا
يلومن إلا نفسه»

وكان نبينا صلى الله عليه وسلم متبعاً ما أمر به من الصبر على أذى
الخلق ففي الصحيحين عن عائشة قالت ما ضرب رسول الله صلى الله
عليه وسلم بيده خادماً له ولا دابة ولا شيئاً قط إلا أن يجاهد في سبيل الله
ولا نيل منه شيء قط فانتقم لنفسه إلا أن ينتهك محارم الله فإذا انتهكت
محارم الله لم يقم لغضبه شيء حتى ينتقم لله وقال أنس خدمت رسول الله
صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لشيء فعلته لم فعلته ولا لشيء لم
أفعله لم لا فعلته وكان بعض أهله إذا عتبني على شيء يقول دعوه دعوه

علو وصى شيء اكان

وفي الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه انه ذكر ان النبي صلى الله عليه وسلم قول بعض من آذاه وقال دعنا منك وقد اوذي موسى باكثر من هذا فصبر فكان يصبر على أذى الناس له من الكفار والمنافقين وأذى بعض المؤمنين كما قال (ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم) وكان يذكر ان هذا مقدر وانه مأمور بأن يصبر على المقدور وكذلك قال (وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا) فالتقوى فعل المأمور وترك المحظور والصبر الصبر على أذاهم

ثم انه حيث أباح المعاقبة قال (وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين واصبر وما صبرك الا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون) فاخبر ان صبره بالله والله هو الذي يعينه عليه فان الصبر على المكاره بترك الانتقام من الظالم ثقيل على الانسان لكن صبره لله كما امره أن يكون لله في قوله ولربك فاصبر) لكن هناك ذكره في الجملة الطلبية الامرية لانه مأمور أن يصبر لله لا لغيره وهنا ذكر في الخبرية فقال وما صبرك الا بالله فان الصبر وسائر الحوادث لا تقع الا بالله ثم قد يكون ذلك وقد لا يكون فما لا يكون بالله لا يكون وما لا يكون لله لا ينفع ولا يدوم ولا يقال واصبر بالله فان الصبر لا يكون الا بالله لكن يقال استعينوا بالله واصبروا مستعينين بالله على الصبر وكان الانسان مأمور بشهود القدر وتوحيد الربوبية عند المصائب وهو مأمور بذلك عند ما ينعم الله عليه من فعل الطاعات فيشهد قبل فعلها

حاجته وفقره الى اعانة الله له وتحقق قوله اياك نعبد واياك نستعين وندعو بالادعية التي فيها طلب اعانة الله له على فعل الطاعات كقوله أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك وقوله يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك ويامصرف القلوب اصرف قلبي الى طاعتك وطاعة رسولك وقوله (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب وقوله (وهب لنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا) ومثل قوله اللهم الهمني رشدي واكفني شر نفسي ورأس هذه الادعية وأفضلها قوله (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين)

فهذا الدعاء أفضل الادعية وأوجبها على الخلق فانه يجمع صلاح العبد في الدين والدنيا والآخرة وكذلك الدعاء بالتوبة فانه يتضمن الدعاء بان يلهم العبد التوبة وكذلك دعاء الاستخارة فانه طلب تعليم العبد مالم يعلمه وتيسيره له

وكذلك الدعاء الذي كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو به اذا قام من الليل وهو في صحيح مسلم ربي جبرائيل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم

وكذلك الدعاء الذي فيه اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك ومن طاعتك ما تبلغنا به الى جنتك ومن اليقين ما تهون به علينا

مصائب دنيه وكذلك استعانته بالنبيين والعافية كما في حديث أبي بكر
وكذلك دعوته بقوله أصلح لي ديني وشأني ومثل قول الخليل وإسماعيل
ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك) وهذه أدعية
تتضمن افتقار العبد إلى الله في أن يعطيه الإيمان والعمل الصالح
فهذا واجب وهو مستعين به قبل حصول المطلوب فإذا حصل بالدعاء أو
غير الدعاء شهد نعمة الله فيه وكان في مقام الشكر والعبودية لله وإن
هذا حصل بفضله وإحسانه لا بحول العبد وقوته

فشهود القدر في الطاعات من أنفع الأمور للعبد وغيبته عن ذلك
من أضر الأمور به فإنه يكون قدريا منكرا لنعمة الله عليه بالإيمان
والعمل الصالح وإن لم يكن قدري المذهب كان قدري الحال وذلك
يورث العجب والكبر ودعوى القوة والمنة بعمله واعتقاد استحقاق
الجزاء على الله به فيكون من يشهد العبودية مع الذنوب والاعتراف
بها لا مع الاحتجاج بالقدر عليها خيرا من هذا الذي يشهد الطاعة
منه لا من إحسان الله إليه ويكون أولئك المذنبون بما معهم من الإيمان
أفضل من طاعة بدون هذا الإيمان وأما من أذنب وشهد أن لا ذنب له
أصلا لكون الله هو الفاعل وعند الطاعة شهد أنه الفاعل فهذا شر
الخلق وأما الذي يشهد نفسه فاعلا للأمرين والذي يشهد ربه فاعلا
للأمرين ولا يرى له ذنبا فهذا أسوأ عاقبة من القدري والقدري أسوأ
عاقبة منه كما هو مبسوط في موضع آخر

والناس في هذا المقام أربعة أقسام من يعصي ربه لا نفسه وعكسه

ومن ينصر هؤلاء ومن لا ينصر هؤلاء كما أنهم في شهود القدر أربعة
أقسام من يشهد الحسنة من فعل الله والسيئة من فعل نفسه وعكسه
ومن يشهد الاثنين من فعل الله ومن يشهد الاثنين من فعل نفسه
فهذه الأقسام الأربعة في شهود الربوبية نظير تلك الأقسام الأربعة في
شهود الإلهية فهذا تقسيم هؤلاء فيما لله ولهم وذلك تقسيمهم فيما هو لله
وبهم والقسم الخامس أن يعمل لله بالله ولا يعمل لنفسه ولا بنفسه

والمقصود هنا تقسيمهم فيما لله على الأمر الذي بعث الله به نبيه صلى الله عليه
وسلم ومن تبعه وهو أن ينصروا على أهل الفساد ...
ويجاهدون في سبيل الله فيأمرون وينهون ويقيمون الحدود لله لا لأنفسهم
... لأن الله يأمر بعقوبة ذلك الشخص ويحب [illegible] في
... ويقيمون الحدود فهم عكس هؤلاء [illegible]
[illegible] لا لأنهم قد أوذي أحدهم [illegible]
[illegible] ولو انتهكت محارم الله أو ضيعت حقوقه [illegible]
[illegible] وهذا القسم [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] في حقوق الله [illegible]
[illegible] حتى [illegible]
[illegible]
[illegible]

عن حقوقه فهذا أفضل وإن كان الاقتصاص جائزاً وكذلك عفوه لنفسه
تركه أفضل وإن كان الاقتصاص جائزاً وأما ما كان من باب المصائب
الخاصة بتقدير الله ولم يبق فيها مذنب يعاقب فليس فيها إلا الصبر
والتسليم

وقصة آدم وموسى كانت من هذا الباب فإن موسى لامه لأجل
المصيبة التي حصلت له وآدم كان قد تاب من الذنب وغفر له والمصيبة كانت
مقدرة فحج آدم موسى وهكذا قد يصيب الناس مصائب بفعل قوم
مذنبين و بفعل كافر يقتل مسلماً ثم يسلم ويتوب الله عليه أو يكون
متأولاً ببدعة ثم يتوب من البدعة أو يكون مجتهداً أو مقلداً مخطئاً
فهؤلاء إذا أصاب العبد أذى بفعلهم فهو من جنس المصائب السماوية
التي لا يطلب فيها قصاص من آدمي

ومن هذا الباب الفتال في الفتنة قال الزهري وقعت الفتنة وأصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم متوافرون فأجمعوا أن كل دم أو مال
أو فرج أصيب بتأويل القرآن فهو هدر وكذلك قتال البغاة المتأولين
حيث أمر الله بقتالهم إذا قاتلهم أهل العدل فأصابوا من أهل العدل
نفوساً وأموالاً لم تكن مضمونة عند جماهير العلماء كأبي حنيفة ومالك
والشافعي في أحد قوليه وهذا ظاهر مذهب أحمد

وكذلك المرتدون إذا صار لهم شوكة فقاتلوا المسلمين وأصابوا من
دمائهم وأموالهم كما اتفق الصحابة في قتال أهل الردة أنهم لا يضمنون
بعد إسلامهم ما أتلفوه من النفوس والأموال فإنهم كانوا متأولين وإن

كان تأويلهم باطلا

كما أن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم المتواترة عنه مضت بأن الكفار إذا قتلوا بعض المسلمين وأتلفوا أموالهم ثم أسلموا لم يضمنوا ما أتلفوه من النفوس والأموال وأصحاب تلك النفوس والأموال كانوا مجاهدين في سبيل الله قد اشترى الله منهم أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة فعوض ما أخذ منهم على الله لا على أولئك الذين قاتلهم المؤمنون وإذا كان هذا في النفوس والأموال فهو أولى

فمن كان مجاهداً في سبيل الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبيان ما بعث الله به من الكتاب والسنة من الأمر والنهي والخبر وبيان الأقوال المخالفة لذلك والرد على من خالف الكتاب والسنة وقد ذكر مقالات كفروا وقدحوا في جهاده بعد غيره أو لسانه فأجره في ذلك على الله لا يطلب من هذا الظالم عوض مظلمته بل هذا الظالم إن تاب وقبل الحق الذي جوهد عليه فالتوبة تجب ما قبلها

فإن لم يكن كافراً ... فهو مغفور له ... وإن لم يتب بل أصر على مخالفة الكتاب والسنة فهو مخالف لله ورسوله والحق في ذلك لله ورسوله ومن كان مجاهداً من أصحاب الحق فقد وقع أجره على الله وتكون عقوبته لحق الله وتكون كلمة الله هي العليا ويكون الدين كله لله لا لأجل نفسه فقط

والكفار إذا اعتدوا على المسلمين مثل أن يقتلوا بعض المسلمين ثم قتلوا منهم كما هو المعروف فصل ... أسلموا كان ذلك من تمام الجهاد

والدعاء على جنس الظالمين الكفار مشروع مأمور به وشرع القنوت والدعاء للمؤمنين والدعاء على الكافرين وأما الدعاء على معينين كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يلعن فلانا وفلانا فهذا قد روي أنه منسوخ بقوله (ليس لك من الأمر شيء) كما قد بسطنا الكلام على ذلك في غير هذا الموضع وفيما كتبته بقلعة مصر

وذلك لأن المعين لا يعلم أن رضا الله في أن يهلكه بل قد يكون ممن يتوب الله عليه بخلاف الجنس فإنه إذا دعا عليهم بما فيه عز الدين وذل عدوه وقهرهم كان هذا دعاء بما يحبه الله ويرضاه فإن الله يحب الإيمان وأهل الإيمان ويحب علو أهل الإيمان وذل الكفار فهذا دعاء بما يحب الله وأما الدعاء على المعين فلا يعلم أن الله يرضاه فغير مأمور به وقد كان يفعل ثم نهي عنه لأن الله قد يتوب عليه أو يعذبه ودعاء نوح على أهل الأرض بالهلاك كان بعد أن أعلمه الله أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن ومع هذا فقد ثبت في حديث الشفاعة في الصحيح أنه يقول إني دعوت على أهل الأرض دعوة لم أومر بها فإنه وإن لم ينه عنها فلم يؤمر بها فكان الأولى أنه لا يدعو إلا بدعاء مأمور به واجب أو مستحب فإن الدعاء من العبادات فلا يعبد الله إلا بمأمور به واجب أو مستحب وهذا لو كان مأمورا به لكان شرعا لنوح ثم ننظر في شرعنا هل نسخه أم لا

وكذلك دعاء موسى بقوله (ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم) إذا كان دعاء مأمورا به بقي

النظر في مواقعه شرعا له

والقاعدة الكلية في شرعنا أن الدعاء إن كان واجبا أو مستحبا فهو حسن يثاب عليه الداعي وإن كان محرما كالعدوان في الدعاء فهو ذنب ومعصية وإن كان مكروها فهو ينقص مرتبة صاحبه وإن كان مباحا مستوي الطرفين فلا له ولا عليه فهذا هذا والله سبحانه أعلم

(فصل) وكلا الصنفين الذين يسلكون إلى الله بمحض الإرادة والمحبة ونحوها أو ما يقرب منه من غير اعتبار بالأمر والنهي أمرا من عند الله وهم الذين ينتهون إلى الفناء في توحيد الربوبية وهم يقولون بالجمع والاصطلام في توحيد الربوبية ولا يصلون إلى الفرق الثاني ويقولون إن صاحب الفناء لا يستحسن حسنة ولا يستقبح سيئة ويجعلون هذا غاية السلوك والذين يفرقون بين ما استحسنوه واستقبحوه ويحبونه ويكرهونه ويأمرون به وينهون عنه لكن بإرادتهم ومحبتهم وهواهم لا بالكتاب المنزل من عند الله كلا الطائفتين متبع لهواه بغير هدى من الله وكلا الطائفتين لم يحققوا شهادة أن لا إله إلا الله وشهادة أن محمدا رسول الله فإن تحقيق الشهادة بالتوحيد يقتضي أن لا يحب إلا لله ولا يبغض إلا لله ولا يوالي إلا لله ولا يعادي إلا لله وأن يحب ما أحبه الله ويبغض ما أبغضه الله ويأمر بما أمر الله به وينهى عما نهى الله عنه وأنك لا ترجو إلا الله ولا تخاف إلا الله ولا تسأل إلا الله وهذا ملة إبراهيم وهذا الإسلام الذي بعث الله به جميع المرسلين

(والفناء في هذا هو الفناء المأمور به) الذي جاءت به الرسل وهو

بل يغنيه بعبادته عن عبادة ما سواه وبطاعته عن طاعة ما سواه وبالتوكل
عليه عن التوكل على ما سواه وبرجائه وخوفه عن رجاء ما سواه وخوفه
ويكون مع الحق بلا خلق كما قال الشيخ عبد القادر كن مع الحق بلا
خلق ومع الخلق بلا نفس وتحقيق الشهادة أن محمداً رسول الله توجب
أن تكون طاعته طاعة لله وارضاؤه ارضاء الله ودين الله ما أمر به
والحلال ما حلله والحرام ما حرمه والدين ما شرعه ولهذا طالب الله المدعين لمحبته
بمتابعته فقال (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) وضمن لمن
اتبعه أن الله يحبه فتبين بهذا أن صاحب هذه المتابعة لا يحب مريداً
إلا ما أحبه الله ورسوله ولا يكره إلا ما كرهه الله ورسوله وهذا هو
الذي يحبه الحق كما قال ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه
فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي
يبطش بها ورجله التي يمشي بها فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي
يمشي ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء
أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأنا أكره
مساءته ولا بد له منه فهذا محبوب الحق ومن تبع الرسول فهو محبوب
الحق وهو المتقرب إلى الله بالعبادة لرسوله من فرض ونفل ومعلوم
أن من كان هكذا فهو حافظ طاعة لله ورسوله ومحصل محبة الله ورسوله
فإن الفرائض والنوافل كلها من العبادات التي يحبها الله ورسوله ليس
فيها كفر ولا فسوق ولا عصيان وإن كان في حسنة ما قام بمحبوب
الحق فإن الجزاء من جنس العمل

فلما لم يزل متقربا إلى الحق تعالى بالنوافل بعد الفرائض أحبه الحق فإنه استفرغ وسعه في محبوب الحق فصار الحق يحبه المحبة التامة التي لا يصل إليها من هو دونه في التقرب إلى الحق سبحانه حتى صار محبوب الحق ومحل الحق فصار به يسمع وبه يبصر وبه يبطش وبه يمشي

وأما الذي لا يستحسن حسنة ولا يستقبح سيئة فهذا لم يبق عنده الأمور وعلى محبوب للحق ومكروه له بل كل مخلوق فهو عنده محبوب للحق كما أنه مراد له فهؤلاء أصل قولهم هو قول جهم بن صفوان في القدرية فهم من غلاة الجهمية الجبرية في القدر وإن كانوا في الصفات يكفرون الجهمية نفاة الصفات كأبي إسماعيل الأنصاري صاحب منازل السائرين وذم الكلام والفاروق وتكفير الجهمية وغير ذلك فإنه في باب إثبات الصفات في غاية المنافاة للجهمية والنفاة وفي باب الأفعال والقدر قوله يوافق الجهم ومن اتبعه من غلاة الجبرية وهو قول الأشعري وأتباعه وكثير من الفقهاء أتباع الأئمة الأربعة ومن أهل الحديث والصوفية فهؤلاء يقرون بالقدر موافقة للسلف وجمهور الأمة وهم مصيبون في ذلك وخصومهم القدرية من المعتزلة وغيرهم مخطئون في ذلك

ولكن سلكوا في ذلك مسلك جهم بن صفوان وأتباعه فرجعوا بالأمور كلها إلى محض الإرادة المحضة التي تخصص أحد المتماثلين بلا سبب وقالوا الإرادة والمحبة والرضاء سواء ووافقه في ذلك القدرية

من الجهمية والمعتزلة كلاهما يقول إن القادر المختار يرجح أحد

انتما ين بلا مرجح وكلاهما تقول لافرق بين الاراده والمحبة والرضا

ثم قالت القدرية وقد علم بالكتاب والسنة واجماع السلف ان الله يحب الايمان و عمل الصالح ولايحب الفساد ولايرضى لعباده الكفر بل يكره الكفر والفسوق والعصيان قالوا فيلزم من ذلك أن يكون كل ما في الوجود من المعاصي واقعا بدون مشيئته وارادته كما هو واقع على خلاف أمره وخلاف محبته ورضاه وقالوا ان محبته ورضاه لاعمال عباده هو شيء أمر به وكذلك ارادته لها هو بمعنى أمره لها فلا يكون عنده الا مريد لما امر به وجمهور هؤلاء يتأولون ما في القرآن من ارادته بكل محدث ومن جميعه لاول العباد بتأويلات محرفة

وقالت الجهمية ومن تبعهم من الاشعرية وأمثالهم قدعلم بالكتاب والسنة والاجماع ان الله خالق كل شيء وربه ومليكه ولا يكون حاملا الا بقدرته ومشيئته فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وكل ما في الوجود فهو بمشيئته وقدرته وهو خالقه سواء في ذلك افعال العباد وغيرها

ثم قالوا واذا كان مريدا لكل حادث والارادة هي المحبة والرضا فهو محب راض بكل حادث وقالوا كل ما في الوجود من كفر وفسوق وعصيان فان الله راض به محب له كما هو مريد له

فقيل لهم فقد قال انى لايحب الفساد ولا يرضى لعباده الكفر فقالوا هذا بمنزلة أن يقال لا يريد الفساد ولا يريد لعباده الكفر وهذا يصح على وجهين منها أن يكون خاصا بمن لم يقع منه الكفر والفساد ولا ريب ان الله لا يريد ولا يحب مالم يقع عندهم فقالوا فمعنى لايحب الفساد

العاصين المؤمنين ولا يرضاه لهم

وحقيقة قولهم إن الله لا يحب الإيمان ولا يرضاه من الكفار الفجرة والرضا عندهم كالإرادة عندهم متعلقة بما وقع دون ما لم يقع سواء كان مأمورا به أو منهيا عنه وسواء كان من أسباب سعادة العباد أو شقاوتهم وعندهم إن الله يحب ما وجد من الكفر والفسوق والعصيان ولا يحب ما لم يوجد من الإيمان والطاعة كما أن هذا دون هذا

والوجه الثاني قولوا لا يحب الفساد ولا يرضاه دينا وحقيقة هذا القول أنه لا يريده دينا فإنه إذا أراد وقوع الشيء على صفة لم يكن مريدا له على خلاف تلك الصفة وهو قد أراد وقوع شيء مع شيء آخر ووقوعه وحده فقد أراد أن يخلق ولد من عمرو ولم يرد أن يخلقه من غيره وقد أراد أن ينزل مطرا تنبت الأرض به فإنه أراد إنزاله على تلك الصفة وإذا أراد أن يركب البحر قوم فيغرق بعضهم ويسلم بعضهم ويربح بعضهم فإنما أراده على تلك الصفة وكذلك الأعمال والكفر قرن بالإيمان فالإيمان لا يحبه والكفر عذاب لا يحبه وإن لم يكن عندهم جعل شيء سببا ولا خلق شيئا لحكمة لكن حصل هذا مع هذا

وعندهم حصل السعادة مع الإيمان لأنه كما يقولون إنه خلق هذا مع هذا لكن لأنه فعل هذا مريد هو مقرون به سعادة صاحبه في الآخرة والكفر والفسوق والعصيان عندهم أحبه ورضيه كما أراده لكن لم يحبه مع سعادة صاحبه فلم يحبه دينا كما لم يرده مع سعادة صاحبه

فلم يجعله دينا كما انه لم يرده مع سعادة صاحبه فلم يرده دينا وهذا المشهد الذي يشهده أهل الفناء في توحيد الربوبية فهم رأوا الرب انه خالق كل شيء بإرادته وعلم أن سيكون ما أراد ولا يتبين عندهم لشيء ولا حكمة بل كل الخلق حدث بالارادة

ثم الجهم بن صفوان ونفاة الصفات من المعتزلة ونحوهم لا يثبتون ارادة قائمة بذاته بل اما أن ينفوها واما أن يجعلوها بمعنى الخلق والامر أو يقولوا تحدث ارادة لا في محل وانه بتقدير ثبوت الصفات كان كلامه ولا يعرى وعندهم ليس له صفات ولا يثبت الا واحدا معينا ولا يثبت الارادة وحدها فيفرق كل حب وسمعا واحدا معينا يعم كل مسموع وبصرا واحدا معينا يعم كل مرئي وكلاما واحدا معينا يجمع جميع أنواع الكلام كما قد عرف من مذهب هؤلاء

وهؤلاء يقولون جميع الحوادث تخصص بين مثلين بالارادة وارادة واحدة العين المفردة في ترجيح أحد المتماثلين لا يرجح وهي محبة ورضى وغير ذلك وهؤلاء قد شهدوا هذا لم يبق عندهم فرق بين جميع الحوادث في الحسن والقبح الا من حيث موافقة الانسان ومخالفة بعضها له فما وافق مراده ومحبوبه كان حسنة عنده ومن خالف ذلك كان قبيحة عنده ولا يكون في نفس الأمر حسنة يحبها الله ولا سيئة يكرهها الا بمعنى ان الحسنة هي مقرونة بلذة صاحبها والسيئة مقرونة بتعذيب صاحبها من غير فرق يعود اليه ولا الى الأفعال أصلا ولهذا كان هؤلاء لا يثبتون حسنا ولا قبحا لا بمعنى الملائم للطبع والمنافي له والحسن والقبح الشرعي هو ما دل صاحبه على أنه

قد يحصل لمن وليه لذة أو حصول ألم له ولهذا يجوز عندهم ان يأمر الله بكل شيء حتى الكفر والفسوق والعصيان وينهى عن كل شيء حتى عن الايمان والتوحيد ويجوز نسخ كل ما أمر به بكل ما نهى عنه ولم يبق عندهم في الوجود خير ولا شر ولا حسن ولا قبيح الا بهذا الاعتبار فما في الوجود ضر ولا نفع والنفع والضر أمران اضافيان فربما نفع هذا ما ضر هذا كما قيل * مصائب قوم عند قوم فوائد *

ولما كان هذا حقيقة قولهم الذي اعتقدوه ويشهدونه صاروا حزبين حزب من أهل الكلام والرأي أقروا بالفرق الطبعي وقالوا ما ثم فرق الا الفرق الطبعي الناس فما فرق يرجع الى الله بأنه يحب هذا ويبغض هذا

ثم منهم من ضعف عنده الوعد والوعيد اما لقوله بالارجاء واما لظنه ان ذلك لمصالح الناس في الدنيا اقامة للعدل كما تقول ذلك من يقوله من المتفلسفة ولا يبقى عنده فرق بين فعل وفعل الا ما يجده هو ويعرفه فما أحبه هو كان الحسن الذي ينبغي فعله وما أبغضه كان القبيح الذي ينبغي تركه

وقد صار كثير من أهل الكلام والرأي الذين يرون رأي جهم والاشعري ونحوهم في القدر عندهم لا يفرقون في المحبة والبغضة والولاية والعداوة الا الى محض هواهم وارادتهم وهو الفرق الطبيعي ومن كان منهم مؤمناً بالوعد فانه قد يفعل الواجبات ويترك المحرمات لكن لاجل ما قرن بهما من الامور الطبيعية في الآخرة من أكل وشرب ونكاح

وهؤلاء سكرون محبة الله و لذة النظر اليه وعندهم اذا قيل ان
نه د ستلذون بالنظر انه فيه انهم عند النظر يخلق لهم من اللذات
لمخلوقات ما يلتذون به لا ان نفس النظر الى الله يوجب لذة

وقد ذكر هذا غير واحد منهم أبو المعالي في الرسالة النظامية وجعل
هذا من أسرار التوحيد وهو من اسرار التوحيد لدى تسميه هؤلاء
المعات توحيداً ليس من أسرار التوحيد الذى بعث الله به الرسل وأنزل
به الكتب فان المحبة لا يكون الا في المحبوب بمحبة المحب وليس
عندهم في الموجودات شيء يحبه الرب الا بمعنى يريده وهو مريد لكل
الحوادث ولا في الرب عندهم معنى يحبه العبد وانما يحب العبد ما يشتهيه
و ، شتهي الامور الطبيعية الموافقة لطبعه ولا يوافق طبعه عندهم الا
اللذات الحسية كالاكل الشرب و نكاح

وطرب ا ب من صوفيه مع كون هذا اسهم معهى سلوكهم
عر بو ـ رى حبيى وهم قد سلكو عن ترك هذا الامر انهم مى و هم
يهدون في حظوظ نفس واهوائها لا يريدون شيئا لأنفسهم وعندهم
ان من طلب شيئا للاكل والشرب في الجنة فاذا طلب هواه وحظه
وهذ كه نقص عندهم حتى جعله انما في توحيد الربوبية وهو نفاه
مع النفس وحظوظها والمقامات كلها عندهم التوكل والطاعة وغير ذلك
انما هي من أهل الشرح سائرين الى عين الحقيقة وذا شهدوا توحيد
الربوبية كان ذلك عندهم مالا في الحقيقة اما لنقص المعرفة واشتد
ومه لأنه ذهب عن النفس وطلب حظوظها فانه من شهد ان كل ما في

الوجود فالرب يحبه ويرضاه ويريده لا فرق عنده بين شيء وشيء الا
أن من الامور ما فيه حظ لبعض الناس من لذة يصيبها ومنها ما فيه ألم
لبعض الناس فمن كان هذا مشهده فانه قطعاً يرى أن كل من فرق بين
شيء وشيء لم يفرق الا لنقص معرفته وشهوده ان الله رب كل شيء ومريد
لكل شيء ومحب على قولهم لكل شيء

واما الفرق يرجع الى حظه وهواه فيكون ظالما لحظه دالا عن نفسه
وهذه علة وعيب عندهم فصار عندهم كل من فرق اما ناقص المعرفة
والشهادة واما ناقص التصد والارادة وكلاهما عيب بخلاف صاحب الفناء
في مشهد الربوبية فانه يشهد كل ما في الوجود مرادا له ومحبوبه ومرضيه
عندهم لا فرق بين شيء وشيء فلا يستحسن حسنة ولا يستقبح سيئة
كما قاله صاحب منازل السائرين

ولهـذا في الكلام المنقول عن الديـلي وأبي يزيد انه قال اذا
رأيت أهل الجنـة يتنعمون في الجنـة وأهل النار يعـذبون في النار
ووقع في قلبك فرق خرجت عن حقيقـة التوكل أو قال التوحيـد
الذي هو أصل التوكل ومعلوم ان هذا الفرق لا ينفك من الحيوان دائما
بل لابد له منه يميل الى ما لا بد له منه من أكل وشرب لكنه في حـ
ال قد يكون مستغرقا في ذلك المشهد ولكن لابد أن يميل الى أمور
يحتاج اليها فيريدها وأمور يضره فيكرهها وهذا فرق طبعي لا يخلو منه
بشر لكن قد يقولون بالفرق في الامور الطبعية وزيادة التي لا يقوم الانسان
الا بها من طعام ولباس ونحو ذلك فيكونون في الدين والآخرة لابد

نفسه من طعام ولباس وسرور وهذا الزهد هو الغاية فيزهدون في كل شيء حتى انهم لا يريدونه ولا يكرهونه ولا يحبونه ولا يبغضونه ويكون زهدهم في المساجد كزهدهم في الحانات ولهذا اذا قدم الشيخ كثير منهم بلداً يبدؤ بالحانات في الحانات ويقول كيف أنتم في قدر الله فانه لا فرق عنده في هذا المشهد بين المساجد والكنائس والحانات وبين أهل الصلاة والاحرام وقراءة القرآن وأهل الكفر وقطاع الطريق والمشركين والفجرة ولا ريب ان فناءهم وغيبتهم عن شهود الالهية والنبوة شهادة ان لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله وما تضمنه من الفرق يرجع الى نقص العلم والشهود والايمان والتوحيد فشهدوا معاني نعوت الرب وغابوا عن آخر وهذا نقص وقد يرون أن شهود الذات مجردة عن الصفات أكمل ويقولون شهود الافعال ثم شهود صفات ثم شهود الذات مجرده

ومن هؤلاء من يفنى بنفس ومعاني الذات وأثبات الروح ويحصرون حصر ينقص من ايمانهم ومعرفتهم وشهودهم هو الغاية ويكونون مضاهين للجهمية نفاة الصفات حيث أثبتوا ذاتا مجردة عن الصفات وقالوا هذا هو الكمال لكن أولئك يقولون بانتفائها في الخارج ويقولون انهم يشهدون انها منتفية باستفائها في الخارج يقولون انهم يشهدون أنها منتفية وهؤلاء يثبتونها في الخارج علما واعتقاداً ولكن يقولون الكمال في أن يغيب عن شهودها ولا يشهدون منها لكي لا يشهدوا ثبوتها وهذا نقص عظيم وجهل عظيم أولا فلانهم شهدوا الامر على خلاف ماهو

عليه فذات مجردة عن الصفات لا حقيقة لها في الخارج وأما الثاني فهو مطلوب الشيطان من الجهمية و نفاة الصفات فإن عدم العلم والشهود شيء لم يوافق فيه الجهمي المعتقد لانتفائها

ومن قال أعتقد أن محمداً ليس برسول وقال الآخر وإن كنت أعلم رسالته فلا أحبها ولا أذكرها ولا أشهدها فهذا كافر كالأول والكفر عدم تصديق الرسول سواء كان معه اعتقاد تكذيب أم لا بل وعدم الإقرار بما جاء به ومحبته ثم الزم قلبه أن يغيب عن صفات الله كما يعرف ذاته وأمر قلبه أن يشهد ذاتاً مجردة عن الصفات فقد ألزم قلبه أن لا يحصل له مقصود لا دان بالصفات وهذا من أعظم الضلال

وأهل الفناء في توحيد الربوبية قد يظن أحدهم أنه إذا لم يشهد إلا فعل الرب فيه فلا إثم عليه وهم في ذلك بمنزلة من أكل السموم القاتلة وقال أنا أشهد أن الله هو الذي أطعمني فلا تضرني وهذا جهل عظيم فإن الذنوب واستيلاء ضر الإنسان أعظم مما تضره السموم وشهوده أن الله فعل ذلك لا يدفع ضررها ولو كان هذا دافعاً ضررها لكان [illegible] من قدر على هذا الشهود الذي يدفعون عن أنفسهم ضرر الذنوب

ومن هؤلاء من ظن أن [illegible] بحسبه على صرفه [illegible] عن [illegible] ملك لم يجبه على صرفه به وقد [illegible] صلى الله عليه وسلم اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد [illegible] مع أنه

المعطى المانع فلا يسمع المحدود حده اما بمنعه الاعمال والعمل الصالح وبهذا أصل عظيم ضل بالخطأ فيه خلق كثير حتى آل الامر بكثير من هؤلاء الى أن جعلوا أولياء الله المتقين يقاتلون أنبياءه ويعاونون أعداءه ويزعمون انهم مأمورون بذلك وهو أمر شيطاني قدري

ولهذا يقول من يقول منهم ان الكفار لهم خفراء من أولياء الله ويظن كثير منهم ان أهل الصفة قاتلوا النبي صلى الله عليه وسلم في بعض المغازي فقال يا أصحابي تخذلوني وتتقدمون عني فقالوا نحن مع الله من كان مع الله كنا معه

ويجوزون قتال الانبياء وقتلهم كما قال شيخ مشهور منهم كان بالشام لو قتلت سبعين نبيا ما كنت مخطئا فهؤلاء الناس في مشهدهم لله محبوب مرضي مراد الا ما يقع فما وقع فالله يحبه ويرضاه وما لم يقع فالله لا يحبه ولا يرضاه والواقع هو تبع القدر لمشيئة الله وقدرته في كل شيء كان ومنه يتبين أن منهم من غلب يكون معه لأن من عنده كان القدر معه والمقدور عنده هو محبوب الحق فاذا غلب الكفار كانوا معهم واذا غلب المسلمون كانوا معهم واذا كان الرسول منصورا كانوا معه واذا غلب أصحابه كانوا مع الكفار الذين غلبوهم وهؤلاء الذين يصلون الى هذا الحد منهم لا يعرف وعد الآخرة فان من آمن بوعد الآخرة وانه للكفار لم يمكنه أن يكون معاونا للكفار مواليا لهم على ما يوجب وعد الآخرة

لكن قد يقولون بسقوطه مطلقا وقد يقولون بسقوطه عمن شهد

توحيد الربوبية وكان في هذه الحقيقة القدرية وهذا تقوله طائفة من شيوخهم كالشيخ المذكور وغيره فلهذا يوجد هؤلاء الذين يشهدون القدر المحض وليس عندهم غيره الا ماهو قدر أيضا من امم أهل الطاعة وعقوبة أهل المعصية لايأمرون بمعروف ولا ينهون عن منكر ولا يجاهدون في سبيل الله ولا يدعون الله بنصر المؤمنين على الكفار بل لما رأى احدهم من يدعو قال الفقير والمحقق أو العارف ماله وهذا يفعل الله مايشاء وينصر من يريد فان عنده ان الجميع واحد بالنسبة الى الله وبالنسبة اليه أيضا فانه ليس له غرض في نصر احدى الطائفتين لامن جهة ربه فانه لافرق على رأيه عند الله تعالى بينهما ولا من جهة نفسه فان حظوظه لاتنقص باستيلاء الكفار بل كثير منهم تكون حظوظه الدنيوية مع استيلاء الكفار والمنافقين وعامة اعظم وعامة من معهم من الخفراء هم من هذا الضرب فان لهم حظوظا ينالونها باستيلائهم لاتحصل لهم باستيلاء المؤمنين وشياطينهم تحب تلك الحظوظ المذمومة وترتع في اطانهم وتخاطبهم الشياطين بأمور يظنون كشفها يصيبونه من جهة الله وان الله هو أمرهم ونهاهم وبه حصل لهم من المكاشفة ما يحصل لاولياء الله المتقين ويكون ذلك كله من الشيطان وهم لايفرقون بين الاحوال الرحمانية والشيطانية لان الفرق مبنى على شهود الفرق من جهة الرب تعالى وعندهم لافرق بين الامور الحادثة كلها من جهة الله تعالى انما هو مشيئة محضة ليس لاشيء بسبب ولا لاحد ولا يحب شيئا ولا يبغض شيئا وهذا الشرك هؤلاء في جنس

السماع الذي يهز في النفوس من الحب والوجد والذوق ويثير من قلب كل أحد حبه وهواه وأهواؤهم متفرقة فإنهم لم يجمعوا على محبة محبة الله ورسوله اذ كان محبوب الحق على أصل قولهم هو ما قدره موقع وإذ اجتمعت أهواؤهم في الوجد اجتمعت أهواء شياطينهم فقد يقتل بعضهم بعضاً بشياطينه لأنها أقوى من شياطين ذلك

وقد يسلبه ما معه من الحال الذي هو التصرف والمكاشفة الحاصلة له بسبب شياطينهم فتكون شياطينه هربت من شياطين ذلك فضعف أمره وسلب حاله كمن كان ملكا له أعوان فاجتمعت أعوانه وبقي ذليلا لا ملك له

وكثير من هؤلاء كملوك الظلمة الذين يعتدي بعضهم على بعض إما مقتول وإما مأسور ومقهور ومنهم من يأسر غيره فيبقى تحت تصرفه ومنهم من يأسره غيره فيبقى تحت أمره كما قد يقع وهذا كله من نوع من حيث هو في حزب الشيطان

فتخلص من هذا كله من يحبه الله ويحب الأمور ويبغض بعضها ويرضى بعضها ويسخط بعضها وينهى عن بعضها وفرح بعضها وسخطا بعضها كما جاءت به الرسل ونطقت به الكتب وهذا هو الذي يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله والمراد بالتوحيد الذي بعثت به الرسل أن يعبد الله وحده لا شريك له ويعبد لله دون ماسواه

وعبادته تجمع كمال محبته وكمال الذل له كما قال تعالى (وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له) وقد جعل قلبه إلى الله وأسلم له واتبع ملة إبراهيم حنيفا

ومن احسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم
حنيفا واتخذ الله ابراهيم خليلا) ويعلمون أن ما أمر الله ورسوله به فان الله
يحبه ويرضاه وما نهى عنه فانه يبغضه وينهى عنه ويعاقب عليه ويسخط
على فاعله فهؤلاء يشهدون الفرق من جهة الحق تعالى ويعلمون ان الله تعالى
يجب أن يعبد وحده لا شريك له ويبغض من يجعل له اندادا يحبونهم
كحب الله وان كانوا مقرين بتوحيد الربوبية كمشركي العرب وغيرهم
وبين هؤلاء القدرية الجبرية الجهمية الذين غلوا في توحيد الربوبية
حتى نفوا قولهم من جنس قول المشركين الذين قالوا (لو شاء الله ما أشركنا
ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء) قال الله تعالى (كذلك كذب الذين من
قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا
الظن وان أنتم الا تخرصون قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين)
فان هؤلاء المشركين انكروا ما بعثت به الرسل من الأمر والنهي
وأنكروا التوحيد الذي هو عبادة الله وحده لا شريك له وهم يقرون
بتوحيد الربوبية وبأن الله خالق كل شيء فما في عندهم من فرق من
جهة [illegible] بين مأمور ومحظور

[illegible] لو شاء الله ما أشركوا ولا آباؤهم ولا حرموا من شيء وهذا
حق فان الله لو شاء لم يكونوا هم مشركين لكن أي حجة لهم في هذا
[illegible] قد كان مقدرا ان
يكون [illegible] ولا علم عندهم [illegible] ولا رضيه
ان [illegible] على ظن وخرص

فان احتجوا بالمدروا هدر عام لا يحص خالهم وان قالوا نحن نحب هذا ونسخط هذا فنحن نفرق الفرق الطبي لانتماء الفرق من جهة الحق تعالى ومن علم عندكم باسماء الفرق من جهة الله تعالى

والجهمية المدة للشرع تقول بان الفرق الثابت هو ان التوحيد قرن به النعم والشرك قرن به العذاب وهو الفرق الذي جاءت به الرسول وهو عندهم يرجع الى علم الله بما يكون واخباره

بل هؤلا لا يرجع الفرق عندهم الى محبة منه لهذا وبغض لهذا وهؤلاء يوافقون المشركين في بعض قولهم لا في كله كما ان القدرية من الامة الذين هم مجوس الامة يوافقون المجوس المحضة في بعض قولهم لا في كله والا فالرسول قد دعاهم الى عبادة الله وحده لاشريك له والى محبة الله دون ما سواه والى أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما والمحبة تتبع الحقيقة فان لم يكن المحبوب في نفسه محبوبا لان يحب لم يحز الامر بحبه فضلا عن ان يكون أحب اليه من كل ما سواه واذا دل محبته محبة عبادته وطاعته قيل محبته لعبادته وطاعته فرع على محبة ذاته والمطاع وكل من لم يحب في نفسه لم تحب عبادته وطاعته

ولهذا كان الناس يعصون طاعة الشخص الذى يبغضونه ولا يمكنهم مع بغضه محبة طاعته الا لغرض آخر محبوب مثل عوض يعطيهم على طاعته فيكون المحبوب في الحقيقة هو ذلك العوض ولا يكون الله ورسوله أحب اليهم مما سواهما الا بمعنى أن العوض الذى يحصل على

ذلك من المخلوقات أحب اليهم من كل شيء ومحبة ذلك العوض مشروط بالشعور به فلا يشعر به تتبع محبته

وإذا قيل هم قد وعدوا على محبة الله ورسوله بأن يعطوا أفضل محبوباتهم المخلوقة

قيل لا معنى لمحبة الله ورسوله عندكم إلا محبة ذلك العوض والعوض غير مشهور فحتى يحب وإذا قيل بل إذا قال من لا يحب ذاته لغيره إن فعلت كذا أعطيتك أعظم ما تحبه صار محباً لذلك الآمر له قيل ليس الأمر كذلك بل يكون فاعله فاعلا من محبة ذلك الأمر وإنما هو معلق بوعده من العوض على عمله كالفعلة الذين يعملون من البناء والخياطة والنساجة وغير ذلك ما يطلبون به أجورهم فهم قد لا يعرفون صاحب العمل أولا يحبونه ولا لهم غرض فيه إنما غرضهم في العوض الذي يحبونه

وهذا أصل قول الجهمية القدرية والمعتزلة الذين ينكرون محبة الله تعالى ولهذا قالت المعتزلة ومن أتبعها من الشيعة ان معرفة الله وجب لكونها لطفاً في أداء الواجبات العقلية جعلوا أعظم المعارف تبعاً لما دونه وجعلوها تبعاً للعمل وهم ينكرون محبة الله والنظر إليه فصاروا عن لذة النظر

وابن عقيل لما كان في كثير من كلامه طائفة من كلام المعتزلة سمع رجلا يقول اللهم إني أسألك لذة النظر إلى وجهك فقال هذا هب أن له وجهاً فتتلذذ بالنظر إليه وهذا النقص مأثور عن النبي صلى الله عليه

وسلم في الحديث الذي رواه النسائي وغيره عن عمار عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في الدعاء اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما كانت الحياة خيراً لي وتوفني اذا كانت الوفاة خيراً لي اللهم اني أسألك خشيتك في الغيب والشهادة وأسألك كلمة الحق في الغضب والرضا وأسألك القصد في الفقر والغنى وأسألك نعيما لا ينفد وأسألك قرة عين لا تنقطع وأسألك الرضا بعد القضاء وبرد العيش بعد الموت وأسألك لذة النظر الى وجهك الكريم والشوق الى لقائك من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة اللهم زينا بزينة الايمان واجعلنا هداة مهتدين

وقد روي هذا اللفظ من وجه آخر عن النبي صلى الله عليه وسلم أيضا من رواية زيد بن ثابت ومعناه في الصحيح من حديث صهيب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل أهل الجنة الجنة نادى مناد يا أهل الجنة ان لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه فيقولون ما هو ألم يبيض وجوهنا ويثقل موازيننا ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار قال فيكشف الحجاب فينظرون اليه فما أعطاهم شيئا أحب اليهم من النظر اليه وهي الزيادة في قوله للذين أحسنوا الحسنى وزيادة فقد أخبر أنه ليس فيما أعطوه من النعيم أحب اليهم من النظر اليه واذا كان النظر اليه أحب الاشياء اليهم علم أنه نفسه أحب اليهم ولولا ذلك لم يكن النظر أحب أنواع النعيم اليهم فان محبة الرؤية تبع لمحبة المرئي وما لا يحب ولا يقصد في نفسه لا تكون رؤيته أحب الى الانسان من جميع أنواع النعيم

وفي الجنة وانكار الرؤية والمحبة والكلام معروف من كلام

للجهمية والمعتزلة ومن وافقهم من الأشعرية ومن تابعهم يوافقونهم على نفي المحبة ويخالفونهم في إثبات الرؤية ولكن الرؤية التي يثبتونها لا حقيقة لها

وأول من عرف عنه في الإسلام أنه أنكر أن الله يتكلم وأن الله يحب عباده الجعد بن درهم ولهذا أنكر أن يكون اتخذ الله إبراهيم خليلا أو كلم موسى تكليما فضحى به خالد بن عبد الله القسري وقال ضحوا أيها الناس تقبل الله ضحاياكم فإني مضح بالجعد بن درهم إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلا ولم يكلم موسى تكليما تعالى الله عما يقول الجعد علوا كبيرا ثم نزل فذبحه

وأما الصوفية فهم يثبتون المحبة بل هذا أظهر عندهم من جميع الأمور وأصل طريقتهم إنما هي الإرادة والمحبة وإثبات محبة الله مشهور في كلام أولاهم وأخراهم كما هو ثابت بالكتاب والسنة واتفاق السلف

ولفظ المحبة جنس تحته أنواع كثيرة وكل عابد فهو محب للمعبود والمشركون يحبون آلهتهم كما قال تعالى (ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله) وفيه قولان أحدهما يحبونهم كحب المؤمنين لله والثاني يحبونهم كما يحبون الله لأنه قد قال (والذين آمنوا أشد حبا لله) فلم يكن أن يقال إن المشركين يحبون آلهتهم كما يحب المؤمنون الله بل كما يحبونه لله فإنهم يعدلون آلهتهم برب العالمين كما قال (ثم الذين كفروا بربهم يعدلون) وقال (تالله إن كنا لفي ضلال مبين إذ نسويكم برب العالمين) وقد قال من نصر القول الأول والجواب عن حجة القول الثاني قال المفسرون قوله (والذين آمنوا

أشد حباً لله) أي أشد حباً لله من المشركين لآلهتهم ويقال له ماقاله هؤلاء المفسرون مناقض لقولك فانك تقول انهم يحبون الانداد كحب المؤمنين لله وهذا يناقض أن يكون المؤمنون أشد حباً لله من المشركين لاربابهم فتبين ضعف هذا القول وثبت ان المؤمنين يحبونهم أكثر من محبة المشركين لله ولآلهتهم لان أولئك أشركوا في المحبة والمؤمنون أخلصوها كلها لله وأيضاً فقوله كحب الله أضيف فيه المصدر الى المحبوب المفعول وحذف فاعل الحب فهو يقتضي أنهم يحبونهم كما يحب الله من غير تعيين فاعل فبقي عاماً في حق الطائفتين وهذا نص قوله (والذين آمنوا أشد حباً لله واما أن يراد كحبهم لله ولا يجوز أن يراد كما يحب غيرهم لله اذ ليس في الكلام مايدل على هذا بخلاف حبهم فانه قد دل عليه قوله ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله فأضاف الحب المشبه اليهم وكذلك الحب المشبه به اذ كان سياق الكلام يدل عليه اذا قال يحب زيد كحب عمرو أو يحب علياً كحب أبي بكر أو يحب صالحين من غير أهله كحب الصالحين من أهله أو قيل يحب الباطل كحب الحق أو يحب سماع المكاء والتصدية كحب سماع القرآن وامثال ذلك لم يكن المفهوم الا أنه هو الحب المشبه والمشبه به فانه يحب هذا كما يحب هذا لا يفهم منه انه يحب هذا كما يحب غيره هذا اذ ليس في الكلام مايدل على محبة غيره أصلاً

وأيضاً فان محبته تكون لحبه إلهاً من دون الله وقد قال تعالى (أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم) فمن كان يعبد

ما يهواه فقد اتخذ إلهه هواه فهو لا يأله من يعلم أن يستحق التأله بل يأله ما يهواه وهذا المتخذ إلهه هواه له محبة كمحبة المشركين لآلهتهم ومحبة عباد العجل له وهذه محبة مع الله لا محبة لله وهذه محبة أهل الشرك والنفوس قد تدعي محبة الله وتكون في نفس الأمر محبة شرك تحب ما تهواه وقد أشركته في الحب مع الله وقد يخفى الهوى على النفس فإن حبك الشيء يعمي ويصم

وهكذا الأعمال التي يظن الإنسان أنه يعملها لله وفي نفسه شرك قد خفي عليه وهو يعمله إما لحب رياسة وإما لحب مال وإما لحب صورة ولهذا قالوا يا رسول الله الرجل يقاتل شجاعة وحمية ورياء فأي ذلك في سبيل الله فقال من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله

فلما صار كثير من الصوفية النساك المتأخرين يدعون المحبة ولم يزنوها بميزان العلم والكتاب والسنة دخل فيها نوع من الشرك واتباع الأهواء والله تعالى قد جعل محبته موجبة لاتباع رسوله فقال (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) وهذا لأن الرسول هو الذي يدعو إلى ما يحبه الله وليس شيء يحبه الله إلا والرسول يدعو إليه وليس شيء يدعو إليه الرسول إلا والله يحبه فصار محبوب الرب ومدعو الرسول متلازمين بل هذا هو هذا في ذاته وإن تنوعت الصفات وكل من ادعى أنه يحب الله ولم يتبع الرسول فقد كذب ليست محبته لله وحده بل إن كان يحبه فهي محبة شرك فإنما يتبع ما يهواه كدعوى اليهود والنصارى محبة الله فإنهم لو أخلصوا له المحبة لم يحبوا إلا ما أحب فكانوا يتبعون الرسول

فلما أحبوا ما أبغض الله مع دعواهم حبه كانت محبتهم من جنس محبة المشركين وهكذا أهل البدع فمن قال إنه من المريدين لله المحبين له وهو لا يقصد اتباع الرسول والعمل بما أمر به وترك ما نهى عنه فمحبته فيها شوب من محبة المشركين واليهود والنصارى بحسب ما فيه من البدعة فإن البدع التي ليست مشروعة وليست مما دعا إليه الرسول لا يحبها الله فإن الرسول دعا إلى كل ما يحبه الله فأمر بكل معروف ونهى عن كل منكر.

وأيضا فمن محبة الله ورسوله بغض من حاد الله ورسوله والجهاد في سبيله لقوله تعالى (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه) وقال تعالى أيضا (ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون) وقال تعالى (قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده)

فأمر المؤمنين أن يتأسوا بإبراهيم ومن معه حيث أبدوا العداوة والبغضاء لأهل الشرك حتى يؤمنوا بالله وحده فأين هذا من حال من لا يحب حسنة ولا يبغض سيئة وهؤلاء سلكوا طريق الإرادة والمحبة مجملا من

عن الاعتصام بالكتاب والسنة كما سلك اهل الكلام والرأى طريق النظر والبحث من غير اعتصام بالكتاب والسنة فوقع هؤلاء فى ضلالات وهؤلاء فى ضلالات كما قال تعالى (فاما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى) وقال (وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) وقال (ان هذا القرآن يهدى للتي هي أقوم) وقال (قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها) ومثل هذا كثير فى القرآن وقد بسط الكلام على هذا الاصل في غير هذا الموضع

فان قال صاحب الفناء فى توحيد الربوبية قد شهدت أن الرب خالق كل شيء وقد يكون من باب الحكمة فيقول انما خلق المخلوقات لحكمة وهو يحب تلك الحكمة ويرضاها وانما خلق مايكرهه لما يحبه والذين فرقوا بين المحبة والارادة قالوا ان المريض يريد الدواء ولا يحبه وانما يحب ما يحصل به وهو العافية وزوال المرض فالرب تعالى خالق الاشياء كلها بمشيئته فهو مريد لكل مخلوق وما خلقه من الحكمة وان كان لايحب بعض المخلوقات من الاعيان ولا الافعال لكنه يحب الحكمة التى خلق لاجلها فالعارف اذا شهد هذا أحب أيضاً أن يخلق لتلك الحكمة وتكون الاشياء مراده محبوبة له كما هي للحق فهو وان كره الكفر والفسوق والعصيان لكن ما خلقه الله فانه خلقه لحكمة واراده فهو

مراد محبوب باعتبار غايته لا باعتباره في نفسه

فمن شهد هذا المشهد فهو يستحسن ما حسنه الله وأحبه ورضيه ويستقبح ما كرهه الله وسخطه ولكن اذا كان الله خلق هذا المكروه لحكمة يحبها فالعارف هو أيضاً كرهه وسخطه كما كرهه الله ولكن يحب الحكمة التي خلق لأجلها فيكون حبه وبغضه موافقاً لعلم الله وحبه لا يخالف والله عليم حكيم

فهو يرى الأشياء على ما هي عليه وهو حكيم فيما يحبه ويريده ويتكلم به ويأمر به وينهى عنه. وقد كان يظن أن الفعل الملائم والشيء الملائم متصفاً هو بما يوجب استحقاقه للبغض والكراهة كان من حكمته أن يبغضه ويكرهه واذا كان يعلم ان في وجوده حصول حكمة محبوبة محمودة كان من حكمته أنه يخلقه ويريده لأجل تلك الحكمة المحبوبة التي هي وسيلة الى حصوله واذا قيل ان هذا الوسط يحب باعتبار ما اتصف به من الصفات المحمودة كان هذا حسنا كما تقول ان الانسان قد يبغض الدواء من وجه ويحبه من وجه وكذلك أمور كثيرة تحب من وجه وتبغض من وجه

وأيضاً يجب الفرق بين أن يكون مضرا بالشخص مكروهاً له بكل اعتبار وبين أن يكون الله خلقه لحكمة في ذلك واذا كان الله خالق كل شيء لحكمة له في ذلك فاذا شهد العبد أن له حكمة ورأى هذا مع الجمع الذي يشترك فيه المخلوقات فلا بد مع ذلك أن يشهد ما بينهما من الفرق الذي فرق الله به بين أهل الجنة وأهل النار بل لا بد من شهود

الفرق في ذلك الجمع وهذا الشهود مطابق لعلم الله وحكمته والله أعلم

وقد قال الله تعالى (قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين)

فاخبر أن من كان محبوبه أحب إليه من الله ورسوله والجهاد في سبيله فهو من أهل الوعيد وقال في الذين يحبهم ويحبونه (فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم) فلا بد لمحب الله من متابعة الرسول والمجاهدة في سبيل الله بل هذا لازم لكل مؤمن قال تعالى (إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون) فهذا حب المؤمن لله

وأما المحبة الشركية فليس فيها متابعة للرسول ولا بغض لعدوه ومجاهدة له كما يوجد في اليهود والنصارى والمشركين يدعون محبة الله ولا يتابعون الرسول ولا يجاهدون عدوه

وكذلك أهل البدع المدعون للمحبة فهم من الإعراض عن اتباع الرسول بحسب بدعتهم وهذا من حبهم لغير الله وتجدهم من أبعد الناس عن موالاة أولياء الرسول ومعاداة أعدائه والجهاد في سبيله لما فيهم من البدع التي هي شعبة من الشرك والذين ادعوا المحبة من الصوفية وكان قولهم في القدر من جنس قول الجهمية المجبرة هم في آخر الأمر

لا يشهدون أن الرب يحبونه إلا ما وقع وقدر وكل ما وقع من كفر وفسوق وعصيان فهو يحبونه عندهم فلا يبقى في هذا الشهود فرق بين موسى وفرعون ولا بين محمد وأبي جهل ولا بين أولياء الله وأعدائه ولا بين عبادة الله وحده وعبادة الأوثان بل هذا كله عند الفاني في توحيد الربوبية سواء ولا يفرق بين حدث وحدث إلا من جهة ما يهواه هو ومتألهه ويحب ما يهواه وهو وإن كان عنده محبة الله فقد اتخذ من دون الله أنداداً يحبهم كحب الله وهم من هواه هذا ما دام فيه محبة الله وقد ينسلخ منها حتى يصير إلى تعطيل كفرعون وأمثاله الذي هو أسوأ حالا من مشركي العرب

ولهذا هؤلاء يحبون بلا علم ويبغضون بلا علم والعلم ما جاء به الرسول كما قال (فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم) وهو الشرع المنزل

ولهذا كان الشيوخ العارفون كثيراً ما يوصون المريدين باتباع العلم والشرع كما قد ذكرنا قطعة من كلامهم في غير هذا الموضع لأن الإرادة والمحبة إن كانت بغير علم وشرع كانت من جنس محبة الكفار وإرادتهم فهؤلاء السالكون المريدون الصوفية والفقراء الزاهدون العابدون الذين سلكوا طريق المحبة والإرادة إن لم يتبعوا الشرع المنزل والعلم الموروث عن النبي صلى الله عليه وسلم ويحبون ما يحبه الله ورسوله ويبغضون ما أبغض الله ورسوله وإلا أفضى بهم الأمر إلى شعب من شعب الكفر والنفاق

ولا يتم الإيمان والمحبة لله الا بتصديق الرسول فيما اخبر وطاعته فيما أمر ومن الايمان بما أخبر الايمان بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله فمن نفى الصفات فقد كذب خبره

ومن الايمان بأمره فعل ما أمر وترك ما حظر ومحبة الحسنات وبغض السيئات ولزوم هذا الفرق الى الممات

فمن لم يستحسن الحسن المأمور ولم يستقبح الشيء المنهي عنه لم يكن معه من الايمان شيء كما قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان

وكما قال في الحديث الصحيح عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من نبي بعثه الله في امته قبلي الا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ثم انها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن وليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل رواه مسلم

فأضعف الايمان انكار القلب بغضه الله ورسوله فمن لم يكن في قلبه بغض المنكر الذي يبغضه الله ورسوله لم يكن معه من الايمان شيء

وهذا يوجد لدى الذين يدعون الذين يدعون المحبة المشتركة التي تضاهي محبة المشركين يكرهون من ينكر عليهم شيئا من أحوالهم

ونقولون فلان ىنكر وفلان ينكر

وقد ستلون كثيرا عن ينكر مامعهم من حق وباطل ويصير هذا نشبه النصراني الذي نصدق بالحق والباطل ويحب الحق والباطل كالمشرك الذي يحب الله ويحب الانداد وهذا كاليهودي الذي يكذب بالحق والباطل ويبغض الحق والباطل فلا يحب الله ولا يحب الانداد بل يستكبر عن عبادة الله كما استكبر فرعون وأمثاله وهذا موجود كثير في أهل البدع من أهل الارادة والبدع من أهل الكلام هؤلاء يقرون بالحق والباطل مضاهاة للنصارى وهؤلاء يكذبون بالحق والباطل مضاهاة لليهود وانما دين الاسلام وطريق أهل القرآن والايمان انكار ما يبغضه الله ورسوله ومحبة ما يحبه الله ورسوله والتصديق بالحق والتكذيب بالباطل فهم في تصديقهم ومحبتهم معتدلون يصدقون بالحق ويكذبون بالباطل ويحبون الحق ويبغضون الباطل يصدقون بالحق الموجود ويكذبون بالباطل المفقود ويحبون الحق الذي يحبه الله ورسوله وهو المعروف الذي أمر الله ورسوله به ويبغضون المنكر الذي نهى الله ورسوله عنه وهذا هو الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين لا طريق المغضوب عليهم الذين يعرفون الحق فلا يصدقون به ولا يحبونه ولا الضالين الذين يعتقدون ويحبون مالم ينزل الله به سلطانا

والمقصود هنا ان المحبة الشركية البدعية هي التي أوقعت هؤلاء في ان آل أمرهم الى أن لا يستحسنوا حسنة ولا يستقبحوا سيئة لطم

ان الله لايحب مأموراولا يبغض محظورا فصاروا فى هذا من جنس من أنكر ان الله يحب شيئا ويبغض شيئا كما هو قول الجهمية نفاة الصفات وهؤلاء قد يكون أحدهم مثبتا لمحبة الله ورضاه في أصل اعتقاده باثبات الصفات لكن اذا جاء الي القدر لم يثبت شيئا عن الارادة الشاملة وهذا وقع فيه طوائف من مثبتة الصفات تكلموا فى القدر بما يوافق رأي جهم والاشعرى فصاروا مناقضين لما أثبتوه من الصفات كل صاحب منازل السائرين وغيره

وأما ائمة الصوفية والمشايخ المشهورون من القدماء مثل الجنيد بن محمد وأتباعه ومثل الشيخ عبد القادر وأمثاله فهؤلاء من أعظم الناس لزوما للامر والنهي وتوصية باتباع ذلك وتحذيرا من المشي مع القدر كما مشى أصحابهم أولئك وهذا هو الفرق الثاني الذي تكلم فيه الجنيد مع أصحابه والشيخ عبد القادر كلامه كله يدور على اتباع المأمور وترك المحظور والصبر على المقدور ولا يثبت طريقا تخالف ذلك أصلا لاهو ولا عامة المشايخ المقبولين عند المسلمين ويحذر عن ملاحظة القدر المحض بدون اتباع الامر أو النهي كما أصاب أولئك الصوفية الذين شهدوا القدر وتوحيد الربوبية وغابوا عن الفرق الالهي الديني الشرعي المحمدي الذي فرق بين محبوب الحق ومكروهه ونفي أنه لا اله لا هو وهذا من أعظم مايجب رعايته على أهل الارادة والسلوك فانه كثير من المتأخرين من زاغ عن فصل سوء السبيل وانما يعرف هذا من توجه قلبه وتكلمت به حقائق الامور وصار يشهد الربوبية

العامة والقيومية العامة فإن لم يكن معه نور الإيمان والقرآن الذي
يحصل به الفرقان حتى يشهد الفرق بين أهل التوحيد والشرك
وبين محبوبه لله وبين مبغضه وبين مأمور به الرسول وبين ما هي
عنه وإلا خرج عن دين الإسلام بحسب خروجه عن هذا فإن الربوبية
العامة قد أقر بها المشركون الذين قال فيهم (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا
وهم مشركون) وإنما يصير الرجل مسلماً حنيفاً موحداً إذا شهد أن لا إله
إلا الله فعبد الله وحده بحيث لا يشرك معه أحداً في تألهه ومحبته له
وعبوديته وإنابته إليه وإسلامه له ودعائه له والتوكل عليه والموالاة فيه
والمعاداة فيه ومحبة ما يحب وبغض ما يبغض ويفنى بحق التوحيد عن
باطل الشرك

وهذا فناء يقرن بالبقاء فيفنى عن تأله ما سوى الله بتأله الله تحقيقاً
لقوله لا إله إلا الله فيفنى من قلبه تأله ما سواه ويبقى في
قلبه تأله الله وحده وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في الصحيح من
مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة

وفي حديث آخر من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة

وقال في الصحيح لقنوا موتاكم لا إله إلا الله فهي حقيقة دين
الإسلام فمن مات عليها مات مسلماً والله تعالى قد أمرنا أن لا نموت
إلا على الإسلام في غير موضع كقوله تعالى (اتقوا الله حق تقاته ولا
تموتن إلا وأنتم مسلمون) وقال إبراهيم ويعقوب يا بني إن الله اصطفى
لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون وقال الصديق توفني مسلماً

وألحقني بالصالحين

والصحيح من القولين أنه لم يسأل الموت ولم يتمنه وإنما سأل أنه إذا مات يموت على الإسلام فسأل الصفة لا الموصوف كما أمر الله بذلك

وأمر به خليله إبراهيم وإسرائيل وهكذا قال

غير واحد من العلماء منهم ابن

عقيل وغيره والله

أعلم بالصواب

تمت الرسالة السادسة

تليه الرسالة السابعة له أيضاً

— ١٠ — مجموعه — ى

بسم الله الرحمن الرحيم

سئل شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن تيمية رحمه الله

في قوله تعالى حق اليقين وعين اليقين وعلم اليقين فما معنى كل مقام منها وأي مقام أعلى (الجواب)

الحمد لله رب العالمين * للناس في هذه الأسماء مقالات معروفة

منها أن يقال علم اليقين ما علمه بالسماع والخبر والقياس والنظر وعين اليقين ما شاهده وعاينه بالبصر وحق اليقين ما باشره ووجده وذاقه وعرفه بالاعتبار * فالأول مثل من أخبر أن هناك عسلا وصدق المخبر أو رأى آثار العسل فاستدل على وجوده * والثاني مثل من رأى العسل وشاهده وعاينه وهذا أعلى كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ليس المخبر كالمعاين * والثالث مثل من ذاق العسل ووجد طعمه وحلاوته ومعلوم أن هذا أعلى مما قبله ولهذا يشير أهل المعرفة إلى ما عندهم من الذوق والوجد كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ومن كان يحب المرء لا يحبه إلا لله ومن كان يكره أن يرجع إلى الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار وقال صلى الله عليه وسلم ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد رسولا

والناس فيما يجده أهل الإيمان ويذوقونه من حلاوة الإيمان وطعمه على ثلاث درجات

الأولى من علم ذلك مثل من أخبره به شيخ له يصدقه أو بلغه

ما أخبر به العارفون عن أنفسهم أو يجد من آثار أحوالهم ما يدل على ذلك

والثانية من شاهد ذلك وعاينه مثل أن يعاين من أحوال أهل المعرفة والصدق واليقين ما يعرف به مواجيدهم وأذواقهم وإن كان هذا في الحقيقة لم يشاهد ما ذاقوه ووجدوه ولكن شاهد ما دل عليه لكن هو أبلغ من المخبر والمستدل بآثارهم

والثالثة أن يحصل له من الذوق والوجد في نفسه ما كان سمعه كما قال بعض الشيوخ لقد كنت في حال أقول فيها إن كان أهل الجنة في مثل هذا الحال إنهم لفي عيش طيب وقال آخر إنه ليمر على القلب أوقات يرقص فيها طربا وقال الآخر لأهل الليل في ليلهم ألذ من أهل اللهو في لهوهم

والناس فيما أخبروا به من أمر الآخرة على ثلاث درجات

إحداها العلم بذلك لما أخبرتهم الرسل وما قام من الأدلة على وجود ذلك

الثانية إذا عاينوا ما وعدوا به من الثواب والعقاب والجنة والنار

والثالثة إذا باشروا ذلك فدخل أهل الجنة الجنة وذاقوا ما كانوا يوعدون ودخل أهل النار النار وذاقوا ما كانوا يوعدون فالناس فيما يوجد في القلوب وفيما يوجد خارج القلوب على هذه الدرجات الثلاث وكذلك في أمور الدنيا فإن من أخبر بالعشق أو النكاح ولم يره ولم يذقه كان له علم به فإن شاهده ولم يذقه كان له معاينة له فإن ذاقه بنفسه كان له ذوق وخبرة به ومن لم يذق الشيء لم يعرف حقيقته فإن العبارة إنما تفيد التمثيل

والتجربة وأما معرفة الحقيقة فلا تحصل بمجرد العبارة الا لمن يكون
قد ذاق ذلك الشيء المعرفة وعرفه وخبره ولهذا يسمون أهل المعرفة
لأنهم عرفوا بالخبرة والذوق ما يعلمه غيرهم بالخبر والنظر

وفي الحديث الصحيح أن هرقل ملك الروم سأل أبا سفيان بن
حرب فيما سأله عنه من أمور النبي صلى الله عليه وسلم قال فهل يرجع
أحد منهم عن دينه سخطة له بعد أن يدخل فيه قال لا قال وكذلك
الايمان اذا خالطت بشاشته القلوب لا يسخطه أحد

فالايمان اذا باشر القلب وخالطه لا يسخطه القلب بل يحبه
ويرضاه فإن له من الحلاوة في القلب واللذة والسرور والبهجة ما لا يمكن
التعبير عنه لمن لم يذقه

والناس متفاوتون في ذوقه والفرح والسرور الذي في القلب له من
البشاشة ما هو بحسب ما يجده القلب منه قال تعالى (قل
بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) وقال تعالى (والذين
آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل إليك ومن الأحزاب من ينكر
بعضه) وقال تعالى (وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه
ايمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون) فأخبر سبحانه أنهم
يستبشرون بما أنزل من القرآن والاستبشار هو الفرح والسرور وذلك
لما يجدونه في قلوبهم من الحلاوة واللذة والبهجة بما أنزل الله واللذة
أبداً تتبع المحبة فمن أحب شيئاً ونال ما أحبه وجد اللذة به

والذوق هو إدراك المحبوب واللذة الظاهرة كالأكل مثلا حال الانسان

فيها أنه اشتهى اطعامه ويحبه ثم يدونه ويتناوله فيجد حينئذ لذته وحلاوته وكذلك النكاح وأمثال ذلك

وليس للخلائق محبة أعظم ولا أكمل ولا أتم من محبة المؤمنين لربهم وليس في الوجود ما يستحق أن يحب لذاته من كل وجه الا الله تعالى وكل ما يحب سواه فمحبته تبع لحبه فان الرسول عليه الصلاة والسلام انما يحب لاجل الله ويطاع لاجل الله ويتبع لاجل الله كما قال تعالى (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله)

وفي الحديث أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه وأحبوني لحب الله وأحبوا أهل بيتي لحبي وقال تعالى (قل ان كان آباؤكم) الى قوله (أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين)

وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من ولده ووالده والناس أجمعين

وفي حديث الترمذي وغيره من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الايمان وقال تعالى (ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله) فالذين آمنوا أشد حبا لله ومن كل محب لمحبوبه وقد بسطنا الكلام على هذا في مواضع متعددة

والمقصود هنا أن أهل الايمان يجدون بسبب محبتهم لله ولرسوله من حلاوة الايمان ما يناسب هذه المحبة ولهذا علق النبي صلى الله عليه

وسلم ما يجدونه بالمحبة فقال ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه الا لله وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار .

ومن ذلك ما يجدونه من ثمرة التوحيد والاخلاص والتوكل والالتجاء لله وحده فان الناس في هذا الباب على ثلاث درجات منهم من علم ذلك سماعا واستدلالا ومنهم من شاهد وعاين ما يحصل لهم ومنهم من وجد حقيقة الاخلاص والتوكل على الله والالتجاء اليه والاستعانة به وقطع التعلق بما سواه وجرب بنفسه ان التعلق بالمخلوقين ورجاءهم وطمع منهم أن يجلبوا له منفعة أو يدفعوا عنه مضرة فانه يخذل من جهتهم ولم يحصل مقصوده بل قد يبذل لهم من الخدمة والاموال وغير ذلك ما يرجو أن ينفعوه وقت حاجته اليهم فلا ينفعونه اما لعجزهم واما لانصراف قلوبهم عنه واذا توجه الى الله بصدق الافتقار اليه واستغاث به مخلصا له الدين أجاب دعاءه وأزال ضرره وفتح له أبواب الرحمة فهذا قد ذاق من حقيقة التوكل والدعاء لله ما لم يذق غيره

وكذلك من ذاق طعم الاخلاص لله وارادة وجهه دون ما سواه يجد من الاحوال والنتائج والفوائد ما لا يجده من لم يكن كذلك بل من اتبع هواه في مثل طلب الرياسة والعلو وتعلقه بالصور الجميلة أو جمعه للمال يجد في أثناء ذلك من الهموم والغموم والاحزان والآلام وضيق الصدر ما لا يعبر عنه وربما يطاوعه قلبه على ترك الهوى ولا يحصل

له ما يسره بل هو في خوف وحزن دائماً إن كان طالباً لما يهواه فهو قبل إدراكه حزين منه لم حيث لم يحصل فإذا أدركه كان خائفاً من زواله وفراقه

وأولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فإذا ذاق هذا أو غيره حلاوة الإخلاص لله والعبادة له وحلاوة ذكره ومناجاته وفهم كتابه وأسلم وجهه لله وهو محسن بحيث يكون عمله صالحاً ويكون لوجه الله خالصاً فإنه يجد من السرور واللذة والفرح ما هو أعظم من الداعي المتوكل الذي حصل بدعوته وتوكله ما نفعه من الدنيا أو اندفع عنه ما ضره فإن حلاوة ذلك هي بحسب ما حصل من النعمة أو اندفع عنه من المضرة

ولا أنفع للقلب من التوحيد وإخلاص الدين لله ولا أضر

عليه من الإشراك فإذا وجد حقيقة الإخلاص

التي هي حقيقة إياك نستعين كان هذا

فوق ما يجده كل أحد لم يجد

مثل هذا والله أعلم

تمت الرسالة السابعة

تم الرسالة السابعة

(كتاب بيان الهدى من الضلال في أمر الهلال)

(لشيخ الامام العامل العالم شيخ الاسلام أحمد بن تيمية رحمه الله)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب * وجعله تبيانا لكل شيء وذكرى لأولي الألباب * وأمرنا بالاعتصام به إذ هو حبله الذي هو أثبت الأسباب * وهدانا به إلى سبل الهدى ومناهج الصواب * وأخبر فيه أنه جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب * وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له رب الأرباب * وأشهد أن محمدا عبده ورسوله المبعوث بجوامع الكلم والحكمة وفصل الخطاب * صلى الله عليه وعلى آله صلاة دائمة باقية إلى يوم المآب

(وبعد) فإن الله قد أكمل لنا ديننا وأتم علينا نعمته ورضي لنا الاسلام دينا وأمرنا أن نتبع صراطه المستقيم ولا نتبع السبل فتفرق بنا عن سبيله وجعل هذه الوصية خاتمة وصايا عشر التي هي جوامع الشرائع التي تضاهي الكلمات العشر التي أنزلت على موسى في التوراة وإن كانت الكلمات التي أنزلت علينا أكمل وأبلغ ولهذا قال الربيع ابن خثيم من سره أن ينظر إلى كتاب محمد الذي لم يفض خاتمه بعده فليقرأ آخر سورة الأنعام (قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم) الآيات وأمرنا أن لا نكون كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأخبر رسوله أن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء وذكر أنه جعله على شريعة من الأمر أمره أن يتبعها ولا يتبع سبيل الذين لا يعلمون وقال تعالى (وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه

من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك فأمره أن لا يتبع أهواءهم عما جاءه من الحق وان كان ذلك شرعا أو طريقا لغيره من الانبياء فانه قد جعل لكل سنة وسبيلا وحذره أن يصرفوه عن بعض ما أنزل الله اليه فاذ كان هذا فيما جاءت به شريعة غيره فكيف بما لا يعلم انها جاءت به شريعة غيره بل هو طريقة من لا كتاب له وأمره وإيانا في غير موضع أن نتبع ما أنزل الينا دون ما خالفه فقال (كتاب أنزل اليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون) وبين حال الذين ورثوا الكتاب فخالفوه والذين استمسكوا به فقال (فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا) الى قوله (والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة انا لا نضيع أجر المصلحين) وقال (وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون أن تقولوا انما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا) الآيات وقال (يأيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين ان الله كان عليما حكيما واتبع ما يوحى اليك من ربك ان الله كان بما تعملون خبيرا) وقال (واعتصموا بحبل الله جميعا) وحبل الله كتابه كما فسره النبي

صلى الله عليه وسلم وقال (واتبع مايوحي اليك واصبر حتى يحكم الله)
الى غير ذلك من نصوص الكتاب والسنة التى أجمع المسلمون على
اتباعها وهذا مما لم يخالف المسلمون فيه جملة ولكن قد يقع التنازع
في تفصيله فتارة يكون بين علماء المؤمنين في مسائل الاجتهاد وتارة
يقع في قوم جهال متدينين أومتأولين أوسماعين للمنافقين فقد أخبر
الله سبحانه أن فيكم قوم سماعين للمنافقين يقبلون منهم كما قال (لو خرجوا
فيكم مازادوكم الا خبالا ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم
سماعون لهم) وليست عداه باللام لأنه متضمن معنى القبول والطاعة كما قال
الله على لسان عبده سمع الله لمن حمده أي استجاب لمن حمده وكذلك
سماعون لهم أي مطيعون لهم وذاكرين في الصحابة قوم مطيعون للمنافقين
فكيف بغيرهم وكذلك أخبر عمن يظهر الانقياد لحكم الرسول حيث
يقول (لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا
بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون
لقوم آخرين لم يأتوك) في قوله (سماعون للكذب أكالون للسحت) فان
السماعون هنا اللام لام التعدية كما في قوله أكالون للسحت أي قائلون
للكذب مرددون وسماعون مطيعون لقوم آخرين غيرك فلم يسوا
مفردين بطاعة الله ورسوله ومن قال ان اللام لام كي أي سمعون
ويكذبوا لأجل أولئك فلم يصب فان السياق يدل على ان الأول هو المراد
وكثيرا ما يصيب الحق من جهال الأميين وبين المخرفين بحكم الدين وهم
شبه ساق كما أخبر سبحانه عن أهل الكتاب حيث قال (أفتطمعون ان

لؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ماعقلوه وهم يعلمون) الى قوله (ومنهم أميون لايعلمون الكتاب الا أمانيّ) الآية ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم قد أخبر ان هذه الامة تتبع سنن من قبلها حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلوه وجب أن يكون فيهم من يحرف الكلم عن مواضعه فيغير معنى الكتاب والسنة فيما أخبر الله به أو أمر به وفيهم أميون لايفقهون معاني الكتاب والسنة بل ربما يظنون ان ماهم عليه من الاماني الذي هو مجرد التلاوة ومعرفة ظاهر من القول هو غاية الدين ثم قد ينظرون المحرفين وغيرهم من المنافقين أو الكفار مع علم أولئك بما لم يعلمه الاميون فاما أن يضل الطائفتان وتصير كلام هؤلاء فتنة على أولئك حيث يعتقدون ان ما يقوله الأميون هو غاية علم الدين ويصيروا في طرفي نقيض واما أن يتبع أولئك الأميون أولئك المحرفين في بعض ضلالهم وهذا من بعض أسباب تغيير الملل الا أن هذا الدين محفوظ كما قال تعالى (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) ولا تزال فيه طائفة قائمة ظاهرة على الحق فلم يتبه مثل غيره من الاديان من تحريف كتبها وتغيير شرائعها مطلقا لما ينطق الله به القائمين بحجة الله وبيانه الذين يحيون بكتاب الله الموتى ويبصرون به أهل العمى فان الارض لن تخلو من قائم لله بحجة لكيلا تبطل حجج الله وبيناته كان فيما تقدم هذه المقدمة في رأيت الدين في شهر صوفهم وفي غيره أيضا منهم من يصغي الى مايقوله بعض جهال أهل الحساب

من ان الهلال يرى أو لا يرى وبني على ذلك اما في باطنه وأما في باطنه وظاهره حتى بلغني ان من القضاة من كان يرد شهادة العدد من العدول لقول الحاسب الجاهل الكاذب انه يرى أو لا يرى فيكون ممن كذب بالحق لما جاءه وربما أجاز شهادة غير المرضي لقوله فيكون هذا الحاكم من السماعين للكذب فان الآية تتناول حكام السوء كما يدل عليه السياق حيث يقول سماعون للكذب أكالون للسحت وحكام السوء يقبلون الكذب ممن لا يجوز قبول قوله من مخبر أو شاهد ويأكلون السحت من الرشا وغيرها وما أكثر ما يقترن هذان ومنهم من لا يقبل قوله في المنجم لا في الباطن ولا في الظاهر لكن في قلبه حسيكة من ذلك وشبهة قوية لثقته به من جهة ان الشريعة لم تلتفت الى ذلك لا سيما ان كان قد عرف شيئا من حساب النيرين واجتماع القرصين ومفارقة أحدهما الآخر بعدة درجات وسبب الاهلال والابدار والاستسرار والكسوف والخسوف فجرى حكم الحاسب الكاذب بعض درجة هذا المجرى ثم هؤلاء الذين يخبرون من الحساب وصورة الأفلاك وحركاتها أمرا صحيحا قد يعارضهم بعض الجهال من الأميين المنتسبين الى الاسلام والى العلم أيضا ويراهم قد خاضوا الدين في العمل بالحساب في الرؤية أو في أسباب أحكام النجوم في الآثار المحمودة والمذمومة فيراهم قد خلطوا هذا وهو من محرمات في الدين صار كل ما يقولونه من هذا الضرب حق ولا يميز بين الحق لديه عنده السمع والعقل وبطل بجهته السمع والعقل مع ان هذا أحسن

جالا في الدين من القسم الاول لان هذا كذب شيء من الحق متأولا
جاهلا من غير تبديل لبعض أصول الاسلام والضرب الاول قد يدخلون
في تبديل الاسلام فانا نعلم بالاضطرار من دين الاسلام ان العمل في
رؤية هلال الصوم او الحج أو العدة أو الايلاء أو غير ذلك من الاحكام
المعلقة بالهلال بخبر الحاسب انه يرى أو لا يرى لا يجوز والنصوص
المستفيضة عن النبي صلى الله عليه وسلم بذلك كثيرة وقد أجمع المسلمون
عليه ولا يعرف فيه خلاف قديم اصلا ولا خلاف حديث الا أن بعض
المتأخرين من المتفقهة الحادثين بعد المائة الثالثة زعم انه اذا غم الهلال
جاز للحاسب أن يعمل في حق نفسه بالحساب فان كان الحساب دل على
الرؤية صام والا فلا وهذا القول وان كان مقيدا بالاغمام ومختصا
بالحاسب فهو شاذ مسبوق بالاجماع على خلافه فاما اتباع ذلك في
الصحو أو تعليق عموم الحكم العام به فما قاله مسلم وقد يقارب هذا
قول من يقول من الاسماعيلية بالعدد دون الهلال وبعضهم يروى
عن جعفر الصادق جدولا يعمل عليه وهو الذي يزعم عليه عبد الله
بن معاوية وهذه الأمور خارجة عن دين الاسلام وقد برأ الله منها
جعفرا وغيره ولا ريب أن أحدا منهم ما تمكنه مع ظهور دين الاسلام
أن يظهر التمسك بذلك الا أنه قد يكون به عمدة في الباطن في
قبول شهادة وردها وقد يكون عمدته في كون الشهر فلم يحكم
به وأنا إن شاء الله أبين ذلك وأوضح ما جاءت به الشريعة دليلا وتعليلا
شرعا وعقلا قال الله تعالى يسألونك عن الاهلة قل هي مواقيت للناس

وحج فاختبر انها مواقيت للناس وهذا عام في جميع أمورهم وخص الحج بالذكر تمييزا له ولان الحج تشهده الملائكة وغيرهم ولانه يكون في آخر شهور الحول فيكون علما على الحول كما أن الهلال علم على الشهر ولهذا يسمون الحول حجة ويقولون له سنون حجة وأقما خمس حجج فجعل الله الاهلة مواقيت للناس في الاحكام الثابتة بالشرع ابتداء أو سببا من العباد وللاحكام التي تثبت بشروط العبد فما ثبت من المؤقتات بشرع أو شرط فالهلال ميقات له وهذا يدخل فيه الصيام والحج ومدة الايلاء والعدة وصوم الكفارة وهذه الخمسة في القرآن قال الله تعالى (شهر رمضان) وقال تعالى (الحج أشهر معلومات) وقال تعالى (للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر) وقال تعالى (فصيام شهرين متتابعين) وكذلك قوله (فسيحوا في الارض أربعة أشهر) وكذلك صوم النذر وغيره وكذلك الشروط من الاعمال المتعلقة بالثمن ودين السلم والزكاة والجزية والعقل والخيار والايمان وأجل الصداق ونجوم الكتابة والصلح عن القصاص وسائر ما يؤجل من دين وعقد وغيرهما وقال تعالى (والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم) وقال تعالى (هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق) فقوله لتعلموا متعلق والله أعلم بقوله وقدره لا بجعل لان كون هذا ضياء وهذا نورا لا تأثير له في معرفة عدد السنين والحساب وانما يؤثر في ذلك انتقالهما من برج الى برج ولان الشمس

لم يعلق لنا بها حساب شهر ولا سنة وانما علق ذلك بالهلال كما دلت عليه تلك الآية ولانه قد قال (إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها أربعة حرم) فاخبر ان الشهور معدودة اثنا عشر والشهر هلالي بالاضطرار وعلم ان كل واحد منها معروف بالهلال وقد بلغني ان الشرائع قبلنا أيضا انما علقت الاحكام بالاهلة وانما بدل من اتباعهم كما يفعله اليهود في اجتماع القرصين وفي جعل بعض أعيادها بحساب السنة الشمسية وكما تفعله النصارى في صومها حيث راعى الاجتماع القريب من أول السنة الشمسية وتجعل سائر أعيادهم دائرة على السنة الشمسية بحسب الحوادث التي كانت للمسيح وكما تفعله الصابئة والمجوس وغيرهم من المشركين في اصطلاحات لهم فان منهم من يعتبر بالسنة الشمسية فقط وهم اصطلاحات في عدد شهورها لانها وان كانت طبيعية فشهورها عددي وضعي ومنهم من يعتبر القمرية لكن يعتبر اجتماع القرصين وما جاءت به الشريعة هو أكمل الامور وأحسنها وبينها وأصحها وأبعدها من الاضطراب وذلك ان الهلال أمر مشهود مرئي بالابصار ومن أصح المعلومات ما شوهد بالابصار وهذا سموه هلالا لان هذه المادة تدل على الظهور والبيان اما سمعا واما بصرا كما تقول أهل بالعمرة وأهل بالذبيحة اذا رفع صوته فقال بسم الله وقيل استهل الصبي اذا استهل صارخا وقيل ان أصله رفع الصوت ثم لما كانوا يرفعون أصواتهم عند رؤيته سموه هلالا ومنه قوله

يهل بالفرقد ركبانها * كما يهل الراكب المعتمر

وهل الوجه مأخوذ من استدارة الهلال

فالمقصود أن المواقيت حددت بأمر ظاهر بين يشترك فيه الناس ولا يشترك الهلال في ذلك شيء فان اجتماع الشمس والقمر الذي هو تشابههما لكان قبل الهلال أمر خفي لا يعرف إلا بحساب ينفرد به بعض الناس مع تعب وتضييع زمان كثير واشتغال عما يعني الناس وما لا بد له منه وربما وقع فيه الغلط والاختلاف

وكذلك كون الشمس حاذت البرج الفلاني أو الفلاني هذا أمر لا يدرك بالأبصار وإنما يدرك بالحساب الخفي الخاص المشكل الذي قد يغلط وقد يعلم ذلك بالإحساس تقريبا فانه إذا انصرم الشتاء ودخل الفصل الذي تسميه العرب الصيف ويسميه الناس الربيع كان وقت حصول الشمس في نقطة الاعتدال الذي هو أول الحمل وكذلك مثله في الخريف والذي يدرك بالإحساس الشتاء والصيف وما بينهما من الاعتدال بالتقريب فأما حصوله في برج بعد برج فلا يعرف إلا بالحساب وما يذكرونه عن منزلة منه فهو حدوثه

فتبين أنه ليس من المواقيت حد ظاهر عام المعرفة إلا الهلال

وقد انقسمت عادات الأمم في شهرهم وسنتهم قسمة عقلية وذلك أن كل واحد من الشهر والسنة إما أن يكون عدديا أو طبيعيا أو الشهر طبيعيا والسنة عددية أو بالعكس فمنهم من يعدونهما مثل من يجعل الشهر ثلاثين يوما والسنة اثنى عشر شهرا ومنهم من يجعلونهما طبيعيين مثل من جعل الشهر قمريا والسنة شمسية ويلحق في آخر الشهور

الايام القاوتة من سنتين من السنة القمرية ثلاثمائة واربعة وخمسون
يوما ونصف يوم خمس وسدس و [illegible] ل فيها ثلاثمائة وستون يوما [illegible]
يكسر في [illegible] عدة العرب في تكميل ما ينقص من التاريخ في اليوم
والشهر والحول وأما السنة الشمسية فثلاثمائة وخمسة وستون يوما ونصف يوم
رابع يوم وهذه كان التفاوت بينهما أحد عشر يوما الا قليلا
يكون سنة في كل ثلاثة وثلاثين سنة وأشار إليه وهو قوله تعالى (ولبثوا
في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا) قيل معناه ثلاثمائة سنة شمسية
وازدادوا تسعا بحساب السنة القمرية [illegible] هذه عدة كثير من الامم
من أهل الكتاب من [illegible] وهذه كانت عدة المجوس أيضا وأما
من يجعل السنة طبيعية والشهر عدديا فهذا حساب الروم والسريانيين
والقبط ونحوهم من الصابئين والمشركين من يعد شهر كانون ونحوه
عددا ويعتبر السنة بسير الشمس فاما القسم الرابع فأن يكون الشهر
طبيعيا والسنة عددية فهو سنة المسلمين ومن وافقهم ثم الذين يجعلون
السنة طبيعية لا يعتمدون على فرضها كما تقدم بل لابد من الحساب
والعدد [illegible] يجعلون شهرها عدديا ويعتمدون على الاجتماع
لابد من [illegible] محسوبة [illegible]
الناس مع كثرة ومشقة [illegible]

فهذي [illegible] كل الامور المعروفة الشهر [illegible]
[illegible] ولا [illegible]
عن شيء من [illegible] ولا يكون لاحد طريق

الى ا ميس في دين الله كما نقل بعض علماء أهل الملل عنهم

وأما الحول فلم يكن له حد يحده في السما وكان لابد فيه من الحساب والعدد وكان عدد الشهور الهلالية أظهر وأعم من ان يحسب سير الشمس وتكون السنة مطابقة للشهور ولأن السنين اذا اجتمعت ولا بد من عددها في عادة جميع الامم إذ ليس للسنين اذا تعددت حد سماوي يعرف به عددها وكان عدد الشهور موافقاً لعدد الشهور ثم حدث سنة في عدد شهر عدد يحتاج الى كمال دور الشمس فيها شمسية فان دار القمر فهو كل دارة سوية ويرسم كله بين معي دوبه (وقدره منازل) لمعر عدد سنين وحساب في عدد شهور سنة وعدد السنة منه سنة أصله عدد من منازل وكان معروف الحساب في حساب بعض شهر يحتاج اليه من الاجل ونحوها الما يكون هلال وكان فيه من لبس موقت من وجه

فظهر انه كان ما كانه يوقت شهر وسنة وبه من حيث يقوم منه هلال به شهوره وشهور أعداد في عدة وسير ذلك وعموده وغير ذلك من المصالح عليه عن ساعد

ومن عرف ما حدث في هذا كما من في صابئة والمجوس وغيرهم في غير دينهم وعدد تهم وتوجيههم وغير ذلك من موسم من الاصطرلاب وحرج وغير ذلك من مدة في ذكره من هذه الرسالة مع علمهم أن الانبياء لم شرعوا شيئاً من ذلك وما دخل عليهم ذلك من جهة المتفلسفة الصابئة الذين دخلوا في ملتهم وشرعوا هذا من الدين ما لم

يأذن به الله فاهتدا ذكرنا ما ذكرنا حفظاً لهذا الدين عن ادخال المبتدعين
فإن هذا مما يخاف تغييره فإنه قد كانت العرب في جاهليتها قد غيرت
ملة إبراهيم بالنسيء الذي ابتدعته فزادت به في السنة شهراً جعلوها كبيساً
لأغراض لهم وغيروا به ميقات الحج والأشهر الحرم حتى كانوا يحجون
تارة في المحرم وتارة في صفر حتى يعود الحج الى ذي الحجة حتى بعث
الله المقيم لملة إبراهيم فوافى حجه صلى الله عليه وسلم حجة الوداع وقد
استدار الزمان كما كان ووقعت حجته في ذي الحجة فقال في خطبته المشهورة
في الصحيحين وغيرهما إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات
والأرض السنة اثنا عشر شهراً منها أربعة حرم ثلاث متواليات ذو القعدة
وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان وكان قبل
ذلك الحج لا يقع في ذي الحجة حتى حجة أبي بكر سنة تسع كانت في
ذي القعدة وهذا من أسباب تأخير النبي صلى الله عليه وسلم الحج وأنزل
الله تعالى (إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم
خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم) فأخبر تعالى
أن هذا هو الدين القيم ليبين أن ما سواه من أمر النسيء وغيره من
عوائد الأمم ليس قيماً لما يدخله من الانحراف والاضطراب وغير ذلك من
السنة القمرية والأسبوع فبين أن مقاديرها مرتبطة بطلوع الشمس وغروبها وأن
الأسبوع فهو عددي من أجل الأيام الستة التي خلق الله فيها السموات
والأرض ثم استوى على العرش فوقع التعديل بين الشمس والقمر
اليوم والأسبوع بسبب الشمس والشهر والسنة بسبب القمر وبهما ثم

الحساب وبهذا قد يوجه قوله لتعلموا الى جعل وكون جعل الشمس والقمر لهذا كله فاما قوله تعالى (وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا) فقد قيل هو من حساب وقيل بحسبان كحسبان الرحى وهو دوران الفلك فان هذا مما لا خلاف فيه بين اهل الكتاب والسنة واجمع علماء الامة على مثل ما ... من ... ان الافلاك مستديرة لا مسطحة

(فصل) ... الى الأهلة وحسبان تكون المواقيت كلها ... فلا خلاف بين المسلمين ... الحكم في الهلال حيث شهورنا هلالية ... ان يصوم ... في هلال محرم او نذر ... او تزوج امرأة في هذا محرم او يولى من امرأته في هلال المحرم او ... الهلال في شهرين ... من جميع الشهور ... وان كان ... او جمعها ... في ... الشهر ... الشهور كلها ... في ... أسماء المحرم عدد ... الى ستة أشهر عدد مائة وثمانين يوما ... محرم ... في العشرين من محرم وقيل بل يكمل شهر ... رواتان عن أحمد وغيره ... في ... هذا الاول ... أحدهم انه يحسب شهر ... شهور هلالية وذلك لا ... في منتصف محرم حسب ... كل شهر ... منه ... عشر يوما ... ستة عشر يوما من ... الاولى وهذا بقوله

طائفة من أصحابنا وغيرهم والمفسر الثاني وهو الصواب الذي عليه عمل المسلمين قديماً وحديثاً أن الشهر الأول ان كان كاملاً كمل ثلاثين يوما وان كان ناقصاً حصل تسعة وعشرين يوما فمتى كان الايلاء في منتصف المحرم كمل الاشهر الاربعة في منتصف جمادى الاولى وهكذا سائر الحساب وعلى هذا القول وتخريج هلال ولا حاجة الى أن تقول بالعدد [illegible] اليوم الذي هو المبدأ من الشهر الاول ويكون النهاية مثله من الشهر الآخر فمن كان في أول ليلة من الشهر الاول كانت النهاية في مثل تلك الساعة من [illegible] الشهور وهو أول ليلة [illegible] الشهور وان كان في اليوم [illegible] من [illegible] على [illegible] الشهور محسوبة وهذا هو الحق [illegible] لا محيد عنه [illegible] قوله [illegible] هو [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] الشهور أضعاف أضعاف ما يقع في أوائلها فلو لم يكن ميقاتا الا ما يقع في أولها لما كان ميقاتا الا لاقل من ثلث عشر أمور الناس ولأن الشهر اذا كان [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وهذا سواء والتسوية معلومة [illegible] [illegible] تحكم محض [illegible] الذي [illegible] الشهر [illegible] ثلاثين [illegible] [illegible] [illegible] سهر هكذا وهكذا وهكذا [illegible] في [illegible] [illegible] الشهور سنة يكون ثلاثين [illegible] تسعة وعشرين [illegible] [illegible] في عاداتهم ومعاملاتهم [illegible] أحل حتى [illegible] كان [illegible] هلال المحرم [illegible] المحرم [illegible] الذي [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] المحرم [illegible] لا يعرف

المسنون عرفت ولا سون الا ايه ومن أحد ليرمد يوما لنقصان الشهر
لأول كان قد عبر علمهم مفطروا علسه من المعروف وأنهم عسكر
لا مرووبه تعلم أن هــذا سلط ممن وهمه من الفقهاء وسها عليه ليحذر
لوقوع فيه ولعلم به حقيقة قوله (قل هي مواقيت للناس) وان هذا العموم
محفوظ عظيم القدر لا سس سمـه سيء وكذلك قوله (هو الذي جعل
الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب)
وكذلك قوله وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل
وجعلنا آية النهار مبصرة لتعلموا عدد السنين
والحساب) ... عدد ...
والحساب ... بقدره منازل
و... والحكم

— تمت الرسالة الثامنة —

— ... الرسالة التاسعة ... —

بسم الله الرحمن الرحيم

سئل شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه عن الصلاة بعد الأذان الأول يوم الجمعة هل فعله النبي صلى الله عليه وسلم أو أحد من الصحابة أو التابعين والأئمة أم لا وهل هو منصوص في مذهب من مذهب الأئمة المتبوعين أم لا وقوله صلى الله عليه وسلم بين كل أذانين صلاة هل هو مخصوص بيوم الجمعة أم هو عام في جميع الأوقات

فأجاب رضي الله عنه: أما النبي صلى الله عليه وسلم فإنه لم يكن يصلي قبل الجمعة بعد الأذان شيئا ولا نقل هذا عنه أحد فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يؤذن على عهده إلا إذا قعد على المنبر ويؤذن بلال ثم يخطب النبي صلى الله عليه وسلم الخطبتين ثم يقيم بلال فيصلي بالناس فما كان يمكن أن يصلي بعد الأذان لا هو ولا أحد من المسلمين الذين يصلون معه صلى الله عليه وسلم ولا نقل عنه أحد أنه صلى في بيته قبل خروجه يوم الجمعة ولا وقت بقوله صلاة مقدرة قبل الجمعة بل ألفاظه صلى الله عليه وسلم فيها الترغيب في الصلاة إذا قدم الرجل المسجد يوم الجمعة من غير توقيت كقوله من بكر وابتكر ومشى ولم يركب وصلى ما كتب له وهذا هو المأثور عن الصحابة كانوا إذا أتوا المسجد يوم الجمعة يصلون من حين يدخلون ما تيسر فمنهم من صلى عشر ركعات ومنهم من يصلي ثنتي عشرة ركعة ومنهم من يصلي ثماني ركعات ومنهم من يصلي أقل من ذلك ولهذا كان جماهير الأئمة متفقين على أنه ليس قبل الجمعة سنة موقتة بوقت مقدرة بعدد لأن ذلك إنما يثبت بقول النبي صلى الله

عليه وسلم أو فعله وهو ليس في ذلك سنة لا بقوله ولا بفعله وهذا مذهب مالك ومذهب الشافعي وأكثر أصحابه وهو المشهور من مذهب أحمد وذهب طائفة من العلماء الى أن قبلها سنة فمنهم من جعلها ركعتين كما قاله طائفة من أصحاب الشافعي وأحمد ومنهم من جعلها أربعا كأبي حنيفة وطائفة من أصحاب أحمد وقد نقل عن الامام أحمد ما استدل به على ذلك وهؤلاء منهم من يحتج بحديث ضعيف ومنهم من يقول هي ظهر مقصورة وتكون سنة الظهر سنتها وهذا خطأ من وجهين * أحدهما أن الجمعة مخصوصة بأحكام تفارق بها ظهر كل يوم باتفاق المسلمين وان سميت ظهرا مقصورة فان الجمعة يشترط لها الوقت فلا تقضى والظهر تقضى والجمعة يشترط لها العدد والاستيطان واذن الامام وغير ذلك والظهر لا يشترط فيها شيء من ذلك فلا يجوز أن تتلقى أحكام الجمعة من أحكام الظهر مع اختصاص الجمعة بأحكام تفارق بها الظهر فانه اذا كانت الظهر تشارك الجمعة في حكم وتفارقها في حكم لم يكن الحاق مورد النزاع بأحدهما بأولى من الحاقه بالآخر فليس جعل السنة من موارد الاشتراك بأولى من جعلها من موارد الافتراق * الوجه الثاني أن يقال هب أنها ظهر مقصورة فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يصلي في السفر سنة الظهر المقصورة لا قبلها ولا بعدها وانما كان يصليها اذا أتم الظهر فصلى أربعا فاذا كانت سنته التي فعلها في الظهر المقصورة خلاف التامة كان ما ذكروه حجة عليهم لا لهم وكان السبب المقتضي لحذف بعض الفرض أولى بحذف السنة الراتبة كما قال بعض الصحابة لو كنت متطوعا لأتممت

الفريضة فإنه لو استحب للمسافر أن يصلى أربعاً لكان صلاة الظهر أربعاً أولى من أن يصلى ركعتين فرضاً وركعتين سنة وهذا لأنه قد ثبت بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم المتواترة أنه كان لا يصلي في السفر إلا ركعتين الظهر والعصر والعشاء وكذلك لما حج بالناس عام حجة الوداع لم يصل بهم في منى وغيرها إلا ركعتين وكذلك أبو بكر بعده لم يصل إلا ركعتين وكذلك عمر بعده لم يصل إلا ركعتين ومن نقل عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه صلى الظهر أو العصر أو العشاء أربعاً فقد أخطأ والحديث المروى في ذلك عن عائشة حديث ضعيف في الأصل مع ما وقع فيه من التحريف فإن لفظ الحديث أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم أفطرت وصمت وقصرت وأتممت فقال أصبت يا عائشة فهذا مع ضعفه وقيام الأدلة على أنه باطل روى أن عائشة روت أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يفطر ويصوم ويقصر ويتم فظن بعض الأئمة أن الحديث فيه أنها روت الأمرين عن النبي صلى الله عليه وسلم وهذا مبسوط في موضعه

والمقصود هنا أن السنة للمسافر أن يصلي ركعتين والأئمة متفقون على أن هذا هو الأفضل إلا قولا مرجوحا للشافعي وأكثر الأئمة يكرهون التربيع للمسافر كما هو مذهب أبي حنيفة ومالك وأحمد في أنص الروايتين عنه

ثم من هؤلاء من يقول لا يجوز التربيع كقول أبي حنيفة ومنهم من يقول بجوازه مع الكراهة كقول مالك وأحمد وقال لو كان الله

بخلاف المصلي في السفر ان يصلي ركعتين ثم ركعتين لكان يستحب له أن يصلي الفرض أولا فإن التقرب إليه بفعل الطهر أفضل من التقرب إليه بالتطوع مع الظهر ولهذا وجب ولو أراد المقيم أن يصلي ركعتين فرضا وركعتين تطوعا لم يجز له ذلك والله تعالى لا يوجب عليه وينهاه عن شيء إلا والذي أمره به خير من الذي نهاه عنه وعلم أن صلاة الظهر أربعا خير عند الله من أن يصلي ركعتين وركعتين تطوعا فلما كان يجوز له لم يستحب للمسافر تربيع خير الأمرين عنده فلأن لا يستحب التربيع بالأمر المرجوح عنده أولى

فثبت بهذا الاعتبار الصحيح أن فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم هو أكمل الأمور وأن هديه خير الهدي وأن المسافر إذا اقتصر على ركعتي الفرض كان أفضل له من أن يقرن بهما ركعتي السنة

وبهذا يظهر أن الجمعة ليست ظهرا مقصورة لكن من السنة أن يقرن بها سنة ظهر المقيم بل تجعل كالظهر السفر المقصورة وكان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي في السفر ركعتي الفجر والوتر ويصلي على راحلته قبل أي وجه توجهت به ويوتر عليها غير أنه لا يصلي عليها المكتوبة هذا لأن الفجر لم تقصر في السفر فبقيت سنتها على حالها بخلاف المقصورات في السفر والوتر مستقل بنفسه كما أن قيام الليل وهو أفضل الصلاة بعد المكتوبة وسنة الفجر تدخل في صلاة الليل من بعض الوجوه فلهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يصليه في السفر لاستقلاله وعدم تبعيته

والصواب أن يقال ليس قبل الجمعة سنة راتبة مقدرة ولو كان
الأذان على عهده فإنه قد ثبت عنه في الصحيح أنه قال بين كل أذانين صلاة
بين كل أذانين صلاة بين كل أذانين صلاة ثم قال في الثالثة لمن شاء كراهة
أن يتخذها الناس سنة فهذا الحديث الصحيح يدل على أن الصلاة
مشروعة قبل العصر وقبل العشاء الآخرة وقبل المغرب وأن ذلك
ليس بسنة راتبة وكذلك قد ثبت أن أصحابه كانوا يصلون بين أذاني
المغرب وهو يراهم فلا ينهاهم ولا يأمرهم ولا يفعل هو ذلك فدل على
أن ذلك فعل جائز وقد احتج بعض الناس على الصلاة قبل الجمعة بقوله
بين كل أذانين صلاة وعارضه غيره فقال الأذان الذي على المنابر لم يكن
على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن عثمان أمر به لما كثر
الناس على عهده ولم يكن يبلغهم الأذان حين خروج الإمام وقعوده
على المنبر ويتوجه عليه أن يقال هذا الأذان لما سنه عثمان واتفق عليه
المسلمون صار أذانا شرعيا وحينئذ فتكون الصلاة بينه وبين الأذان
الثاني جائزة حسنة وليست سنة راتبة كالصلاة قبل المغرب وحينئذ
فمن فعل ذلك لم ينكر عليه ومن ترك ذلك لم ينكر عليه وهذا أعدل
الأقوال وكلام الإمام أحمد يدل عليه وحينئذ فقد يكون تركها أفضل
إذا كان الجهال يعتقدون أن هذه سنة راتبة أو أنها واجبة لا سيما إذا داوم
الناس عليها فينبغي تركها أحيانا حتى لا تشبه الفرض كما استحب أكثر
العلماء أن لا يداوم على قراءة السجدة يوم الجمعة مع أنه قد ثبت في
الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم فعلها فإذا كان يكره المداومة

على ذلك فترك المداومة على ما لم يسنه النبي صلى الله عليه وسلم أولى ومن صلاها أحياناً بين الاذانين لا لأنها تطوع مطلق أو صلاة بين أذانين كما يصلي قبل العصر والعشاء لا لأنها سنة راتبة فهذا جائز وإن كان رجل مع قوم يصلونها فإن كان مطاعاً إذا تركها وبين لهم السنة لم ينكروا عليه بل عرفوا السنة فتركها حسن وإن لم يكن مطاعاً ورأى أن في صلاتها تأليفاً لقلوبهم إلى ما هو أنفع أو دفعاً للخصام والشر لعدم التمكن من بيان الحق لهم وقبولهم له ونحو ذلك فهذا أيضاً حسن فالعمل الواحد يكون مستحباً فعله تارة وتركه تارة باعتبار ما يترجح من مصلحة فعله وتركه بحسب الادلة الشرعية والمسلم قد يترك المستحب إذا كان في فعله فساد راجح على مصلحته كما ترك النبي صلى الله عليه وسلم بناء البيت على قواعد إبراهيم. وقال لعائشة لولا أن قومك حديثو عهد بجاهلية لنقضت الكعبة ولألصقتها بالارض ولجعلت لها بابين باباً يدخل الناس منه وباباً يخرجون منه والحديث في الصحيحين فترك النبي صلى الله عليه وسلم هذا الامر الذي كان عنده أفضل الأمرين للمعارض الراجح وهو حدثان عهد قريش بالاسلام لما في ذلك من التنفير لهم وكانت المفسدة راجحة على المصلحة ولذلك استحب الائمة أحمد وغيره أن يدع الامام ما هو عنده أفضل إذا كان فيه تأليف المأمومين مثل أن يكون عنده فصل الوتر أفضل بأن يسلم في الشفع ثم يصلي ركعة الوتر وهو يؤم قوماً لا يرون إلا وصل الوتر فإذا لم يمكنه أن يتقدم إلى الافضل كانت المصلحة الحاصلة بموافقته لهم بوصل

الوتر أرجح من مصافحته قصيه مع كراهيتهم لصلاة جامعه وكذلك لو كان ممن يرى المخافته بالبسملة أفضل أو الجهر بها وكان المأمومون على خلاف رأيه ففعل المفضول عنده لمصلحة الموافقة والتأليف التي هي راجحة على مصلحة تلك الفضيلة كان هذا جائزا حسنا وكذلك لو فعل خلاف الافضل لاجل بيان السنة وتعليمها لمن لم يعلمها كان حسنا مثل أن يجهر بالاستفتاح أو التعوذ أو بسملة ليعرف الناس أن فعل ذلك حسن مشروع في الصلاة كما ثبت في الصحيح أن عمر بن الخطاب جهر بالاستفتاح وكان يكبر ويقول سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك قال الاسود بن يزيد صليت خلف عمر أكثر من سبعين صلاة فكان يكبر ثم يقول ذلك رواه مسلم فى صحيحه ولهذا شاع هذا الاستفتاح حتى عمل به أكثر الناس وكذلك كان ابن عمر وابن عباس رضى الله عنهم يجهرون بالاستعاذة وكان غير واحد من الصحابة يجهر بالبسملة وهذا عند الائمة الجمهور الذين لا يرون الجهر بها سنة راتبة كان ليعلم الناس أن قراءتها في الصلاة سنة كما ثبت فى الصحيح أن ابن عباس صلى على جنازة فقرأ بأم الكتاب جهرا وذكر أنه فعل ذلك ليعلم الناس أنها سنة وتنازع الناس فى الصلاة على الجنازة على ثلاثة أقوال فمنهم من لا يرى فيها قراءة بحال كما قاله كثير من السلف وهو مذهب أبى حنيفة ومالك ومنهم من يرى القراءة فيها سنة كالشافعى وأحمد لحديث ابن عباس هذا وغيره ثم من هؤلاء من يقول القراءة فيها واجبة كالصلاة ومنهم من يقول بل هى سنة

مستحبة ليست واجبة وهذا أعدل الأقوال الثلاثة فإن السلف فعلوا هذا وهذا وكان كلا الفعلين مشهورا منهم كانوا يصلون على الجنازة بقراءة وبغير قراءة كما كانوا يصلون تارة بالجهر بالبسملة وتارة بغير جهر وتارة باستفتاح وتارة بغير استفتاح وتارة برفع اليدين في المواطن الثلاثة وتارة بغير رفع وتارة يسلمون تسليمتين وتارة تسليمة واحدة وتارة يقرؤون خلف الإمام بالسر وتارة لا يقرؤون وتارة يكبرون على الجنازة سبعا وتارة خمسا وتارة أربعا كان فيهم من يفعل هذا وفيهم من يفعل هذا كل هذا ثابت عن الصحابة كما ثبت عنهم أن فيهم من كان يرجع في الأذان وفيهم من لم يرجع فيه وفيهم من يوتر الإقامة وفيهم من كان يشفعها وكلاهما ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم

فهذه الأمور وإن كان أحدها أرجح من الآخر فمن فعل المرجوح فقد فعل جائزا وقد يكون فعل المرجوح أرجح لمصلحة راجحة كما يكون ترك الراجح أرجح أحيانا لمصلحة راجحة

وهذا واقع في عامة الأعمال فإن العمل الذي هو في جنسه أفضل قد يكون في مواطن غيره أفضل منه كما أن جنس الصلاة أفضل من جنس القراءة وجنس القراءة أفضل من جنس الذكر وجنس الذكر أفضل من جنس الدعاء ثم الصلاة بعد الفجر والعصر منهي عنها والقراءة والذكر والدعاء أفضل منها في تلك الأوقات وكذلك القراءة في الركوع والسجود منهي عنها والذكر هناك أفضل منها والدعاء في آخر الصلاة بعد التشهد أفضل من الذكر

وقد يكون العمل المفضول أفضل بحسب حال الشخص المعين لكونه عاجزاً عن الافضل أو لكون محبته ورغبته واهتمامه وتنفعه بالمفضول أكثر فيكون أفضل في حقه لما يقترن به من مزيد عمله وحبه وإرادته وانتفاعه كما أن المريض ينتفع بالدواء الذي يشتهيه مالا ينتفع بما لا يشتهيه وإن كان جنس ذلك أفضل ومن هذا الباب صار الذكر لبعض الناس في بعض الأوقات خيراً من القراءة والقراءة لبعضهم في بعض الوقت خيراً من الصلاة وأمثال ذلك لكمال انتفاعه به لا لأنه في جنسه أفضل

وهذا الباب باب تفضيل بعض الاعمال على بعض ان لم يعرف فيه التفضيل وان ذلك يتنوع بتنوع الاحوال في كثير من الاعمال والا وقع فيه اضطراب كثير فان من الناس من اذا اعتقد استحباب فعل ورجحانه يحافظ عليه ملا يحافظ على الواجبات حتى يخرج به الامر الى الهوى والتعصب والحمية الجاهلية كما تجده فيمن يختار بعض هذه الامور يراها شعاراً لمذهبه ومنهم من اذا رأى ترك ذلك هو الافضل يحافظ على هذا الترك اعظم من محافظته على ترك المحرم حتى يخرج به الأمر الى اتباع الهوى والحمية الجاهلية كما تجده فيمن يرى تركه شعاراً لمذهبه وأمثال ذلك وهذا كله خطأ

والواجب ان يعطى كل ذي حق حقه ويوسع ما وسعه الله ورسوله ويؤلف ما الف الله بينه ورسوله ويراعي في ذلك ما يحبه الله ورسوله من المصالح الشرعية والمقاصد الشرعية ويعلم ان خير الكلام كلام الله

وخير هدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وان الله بعثه رحمة للعالمين

انه سعادة الدنيا والآخرة في كل امر من الامور وان يكون مع

الانسان ميزان يحفظ به هذا الاجمال والا فكثير من الناس ينسد هذا

مجملا وندعه عند التفصيل اما جهلا واما ظلما واما ظنا واما اتباعا

للهوى ونسأل الله أن يهدينا الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله

عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك

رفيقا

(فصل) ومما ينبغي معرفته مما ثبت في الصحيح عن النبي

صلى الله عليه وسلم انه كان يصلي مع الجمعة ركعتين كما ثبت عنه في

الصحيحين أنه كان يصلي قبل الفجر ركعتين وبعد الظهر ركعتين وبعد

المغرب ركعتين وبعد العشاء ركعتين وأما الظهر ففي حديث ابن عمر

أنه كان يصلي قبلها ركعتين وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها

أنه كان يصلي قبلها أربعا وفي الصحيح عن أم حبيبة ان النبي صلى الله

عليه وسلم قال من صلى في يوم وليلة ثنتي عشرة ركعة تطوعا غير فريضة

بنى الله له بيتا في الجنة وجاء مفسرا في السنن أربعا قبل الظهر وركعتين

بعدها وركعتين بعد المغرب وركعتين بعد العشاء وركعتين قبل الفجر

فهذه هي السنن الراتبة التي ثبتت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه

وسلم بقوله وفعله مدارها على هذه الاحاديث الثلاثة حديث ابن عمر

وحديث عائشة وأم حبيبة

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقوم بالليل اما احدى عشرة واما

ثلاث عشرة ركعة ولكن مجموع صلاته بالليل والنهار فرضه ونفله نحوا
من أربعين ركعة

والناس في هذه السنن الرواتب على ثلاثة أقوال منهم من لا يوقت
في ذلك شيئاً كقول مالك فإنه لا يرى سنة إلا الوتر وركعتي الفجر وكان
يقول إنما يوقت أهل العراق ومنهم من يقدر في ذلك أشياء بأحاديث
ضعيفة بل باطلة كما يوجد في مذاهب أهل العراق وغيرهم من أتباعهم
من أصحاب الشافعي وأحمد فإن هؤلاء يوجد في كتبهم من الصلوات
المقدرة والأحاديث في ذلك ما يعلم أهل المعرفة بسنته أنه مكذوب على
النبي صلى الله عليه وسلم كمن روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه صلى
قبل العصر أربعاً أو أنه يقضي سنة العصر أو أنه صلى قبل الظهر ستاً
أو بعدها أربعاً أو أنه كان يحافظ على الضحى وأمثال ذلك من الأحاديث
المكذوبة على النبي صلى الله عليه وسلم

وأشد من ذلك ما يذكره طائفة من المصنفين في الرقائق والفضائل
في صلوات الأسبوع وحوليه كصلاة يوم الأحد والاثنين والثلاثاء
والأربعاء والخميس والجمعة المذكورة في كتاب أبي طالب وأبي حامد
وعبد القادر وغيرهم وكصلاة الألفية في أول رجب ونصف شعبان
والصلاة الاثني عشرية في أول ليلة جمعة من رجب والصلاة التي في
ليلة سبع وعشرين من رجب وصلوات أخرى تذكر في الأشهر
الثلاثة وصلاة ليلتي العيدين وصلاة يوم عاشوراء وأمثال ذلك من
الصلوات التي تروى عن النبي صلى الله عليه وسلم مع اتفاق أهل المعرفة

بحديثه على ان ذلك كذب عليه لكن باع ذلك أقواما من أهل العلم والدين فظنوه صحيحاً فعملوا به وهم مأجورون على حسن قصدهم واجتهادهم لا على مخالفة السنة

وأما من تبين له السنة فظن أن غيرها خير منها فهو ضال مبتدع بل كافر

والقول الوسط العدل هو ما وافق سنته الصحيحة الثابتة عنه صلى الله عليه وسلم وقد ثبت عنه انه كان يصلي بعد الجمعة ركعتين وفي صحيح مسلم عنه انه قال من كان منكم مصليا بعد الجمعة فليصل أربعاً

وقد روى الست عن طائفة من الصحابة جمعاً بين هذا وهذا

والسنة أن يفصل بين الفرض والنفل في الجمعة وغيرها كما ثبت في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه نهى أن توصل صلاة حتى يفصل بينهما بقيام أو كلام فلا يفعل ما يفعله كثير من الناس يصل السلام بركعتي السنة فان في هذا ارتكابا لنهي النبي صلى الله عليه وسلم

وفي هذا من الحكمة التمييز بين الفرض وغير الفرض كما يميز بين العبادة وغير العبادة ولهذا استحب تعجيل الفطور وتأخير السحور والأكل يوم الفطر قبل الصلاة ونهى عن استقبال رمضان بيوم أو يومين فهذا كله للفصل بين المأمور به من الصيام وغير المأمور به والفصل بين العبادة وغيرها وهكذا تتميز الجمعة التي أوجبها الله من غيرها وأيضاً كثيراً من أهل البدع كالرافضة وغيرهم لا ينوون الجمعة بل ينوون الظهر و يظهرون أنهم سلموا وما سلموا فيصلون ظهراً

ويظن الظان أنهم يصلون السنة فاذا حصل
تمييز بين الفرض والنفل كان في هذا
منعا لهذه البدعة وهذا له
نظائر كثيرة والله
سبحانه أعلم

﴿ تمت الرسالة التاسعة ﴾

﴿ ويليها الرسالة العاشرة له أيضا ﴾

تفسير المعوذتين لشيخ الاسلام تقي الدين ابن تيمية رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

قال شيخ الاسلام ناصر السنة قامع البدعة تقي الدين أحمد بن تيمية نفعنا المولى بعلومه وهو مما كتبه في القلعة

(فصل) في قل أعوذ برب الفلق قال تعالى فالق الحب والنوى وقال فالق الاصباح وجاعل الليل سكنا والفالق فعل بمعنى مفعول كالقبض بمعنى المقبوض وكل ما فلقه الرب فهو فلق قال الحسن الفلق كل ما انفلق عن شيء كالصبح والحب والنوى قال الزجاج وإذا تأملت الخلق تبين لك أن أكثره عن انفلاق كالارض بالنبات والسحاب بالمطر * وقد قال كثير من المفسرين الفلق الصبح فانه يقال هذا أبين من فلق الصبح وفرق الصبح * وقال بعضهم الفلق الخلق كله وأما من قال انه واد في جهنم أو شجرة في جهنم أو انه اسم من أسماء جهنم فهذا أمر لا نعرف صحته لا بدلالة الاسم عليه ولا بنقل عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا في تخصيص ربوبيته بذلك حكمة بخلاف ما اذا قال رب الخلق أو رب كل ما انفلق أو رب النور الذي يظهره على العباد بالنهار فان في تخصيص هذا بالذكر ما يظهر به عظمة الرب المستعاذ به واذا قيل الفلق يعم ويخص فبعمومه للخلق أستعيذ من شر الخلق وبخصوصه للنور النهاري أستعيذ من شر غاسق اذا وقب

فان الغاسق قد فسر بالليل كقوله أقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل وهذا قول أكثر المفسرين وأهل اللغة * قالوا ومعنى

وقب دخل في كل شيء قال الزجاج الغاسق البارد وقيل الليل غاسق لانه أبرد من النهار وقد روى الترمذي والنسائي عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم نظر الى القمر فقال يا عائشة تعوذي بالله من شره فانه الغاسق اذا وقب وروى من حديث أبي هريرة مرفوعا أن الغاسق النجم وقال ابن زيد هو الثريا وكانت الاسقام والطواعين تكثر عند وقوعها وترتفع عند طلوعها وهذا المرفوع قد ظن بعض الناس منافاته لمن فسره بالليل فجعلوه قولا آخر ثم فسروا وقوبه بسكونه قال ابن قتيبة ويقال الغاسق القمر اذا كسف واسود ومعنى وقب دخل في الكسوف وهذا ضعيف فان مقابل رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعارض بقول غيره وهو لا يقول الا الحق وهو لم يأمر عائشة بالاستعاذة منه عند كسوفه بل مع ظهوره وقد قال الله تعالى (وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة) فالقمر آية الليل وكذلك النجوم انما تطلع فترى بالليل فأمره بالاستعاذة من ذلك أمر بالاستعاذة من آية الليل ودليله وعلامته والدليل مستلزم للمدلول فاذا كان شر القمر موجودا فشر الليل موجود وللقمر من التأثير ما ليس لغيره فيكون الاستعاذة من شر الجنس فيه أقوى ويكون هذا مثل قوله عن المسجد المؤسس على التقوى هو مسجدي هذا مع أن الآية نزلت بسبب مسجد قباء قطعا وكذلك قوله عن أهل الكساء هؤلاء أهل بيتي مع أن القرآن يتناول نساءه فتخصيص الكون بخصوص أولى بوصف فالقمر أحق ما يكون بالليل بالاستعاذة والليل مظلم منتشر فيه شياطين الانس

والجن مالا تنتشر بالنهار ويجرى فيه من أنواع الشر مالا يجرى بالنهار من انواع الكفر والفسوق والعصيان والسحر والسرقة والخيانة والفواحش وغير ذلك فالشر دائماً مقرون بالظلمة ولهذا انما جعله الله لسكون الآدميين وراحتهم لكن شياطين الانس والجن تفعل فيه من الشر مالا يمكنها فعله بالنهار ويتوسلون بالقمر وبدعوته والقمر وعبادته وأبو معشر البلخى له مصحف القمر يذكر فيه من الكفريات والسحريات ما يناسب الاستعاذة منه

فذكر سبحانه الاستعاذة من شر الخلق عموماً ثم خص الأمر بالاستعاذة من شر الغاسق اذا وقب وهو الزمان الذي يعم شره ثم خص بالذكر السحر والحسد * والسحر يكون من الانفس الخبيثة لكن بالاستعانة بالاشياء كالنفث في العقد * والحسد يكون من الانفس الخبيثة أيضاً اما بالعين و ما بالظلم باللسان واليد وخص من السحر النفاثات في العقد وهن النساء والحاسد الرجال في العادة ويكون من الرجال ومن النساء نفسه والشر الذي يكون من الانس الخبيثة من الرجال والنساء وهو شر منفصل عن الانسان ليس هو في قلبه كالوسواس الخناس (١) وفي سورة الناس ذكر الوسواس الخناس وبه مبدأ الافعال المذمومة من الكفر والفسوق والعصيان ففيها الاستعاذة من شر مايدخل الانسان من الافعال التي ضره من الكفر والفسوق والعصيان وقد تضمن ذلك الاستعاذة من شر نفسه وسورة الفلق فيها الاستعاذة من شر المخلوقات

(١) من قوله وهن النساء الى قوله الخناس تشويش فى العبارة وقد أثبتناه كاصله فليحرر

عموما وخصوصاً ولهذا قيل فيها رب الفلق وقيل في هذه رب الناس
فان فالق الاصباح بالنور يزيل بما في نوره من الخير ما في الظلمة من
الشر وفالق الحب والنوى بعد انعقادهما يزيل ما في عقد النفاثات فان
فلق الحب والنوى أعظم من حل عقد النفاثات وكذلك الحسد هو
من ضيق الانسان وشحه لا ينشرح صدره لانعام الله عليه فرب الفلق
يزيل ما يحصل بضيق الحاسد وشحه وهو سبحانه لا يفلق شيئا الا بخير
فهو فالق الاصباح بالنور الهادي والسراج الوهاج الذي به صلاح العباد
وفالق الحب والنوى أنواع الفواكه والاقوات التي هي رزق الناس
ودوابهم والانسان محتاج الى جلب المنفعة من الهدى والرزق وهذا
حصل بالفلق والرب الذي فلق ما يحصل به منافعهم يستدفع به ما يضر
الناس ويطلب منه تمام نعمته بصرف المؤذيات عن عبده الذي ابتدأه بانعامه
عليه وفلق الشيء عن الشيء هو دليل على تمام القدرة واخراج الشيء
من ضده كما يخرج الحي من الميت والميت من الحي وهذا من نوع الفلق
فهو سبحانه قادر على دفع الضد المؤذي بالضد النافع

(فصل) في قل اعوذ برب الناس الى آخرها قوله من شر
الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس فيها
قولان ذكر ابن الجوزي القولين ولم يذكر الثالث وهو الصحيح
وهو أن قوله من الجنة والناس بيان للوسواس أي الذي يوسوس من
الجن ومن الناس في صدور الناس فان الله تعالى قد أخبر أنه جعل لكل
نبي عدواً شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول
غروراً والوحي هو الوسوسة وليس من شرط الموسوس أن يكون

مستتراً عن البصر كما قد يشاهد قال تعالى (فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوآتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين) وهذا كذلك من عرف قائله ليس شيئاً يلقى في القلب لا يدرى من هو والليس قد أمر بالسجود لآدم فأبى واستكبر فلم يكن من لا يعرفه آدم وهو وقبيله يرونه من حيث لا يرونهم وأما آدم فقد رآه

وقد يرى الشيطان وخلق كثير من الناس لكن لهم من الاحسان والافتقار ما ليس للناس وقد قال تعالى (وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم) وقال (لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إني بريء منكم) وفي التفسير أن الشيطان جاءهم في صورة شخص من الناس وكذلك قوله (كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين)

وفي حديث أبي ذر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تعوذ بالله من شياطين الانس والجن قلت أو للانس شياطين قال نعم شر من شياطين الجن

وأيضاً فالنفس لها وسوسة كما قال تعالى (ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه) فهذه الوسوسة هي نفسه كما قال في حديث الذي في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الله تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها ما لم

تكلم به أو تعمل به أخرجاه في الصحيحين

فالذي يوسوس في صدور الناس نفسه وشياطين الجن وشياطين الإنس

والوسواس الخناس يتناول وسوسة الجنة ووسوسة الإنس وإلا أي معنى للاستعاذة من وسوسة الجن فقط مع أن وسوسة نفسه وشياطين الإنس هي مما تضره وقد تكون أضر عليه من وسوسة الجن

والقول الثاني أن المراد من شر الوسواس الذي يوسوس في صدور الناس الصنفين من الجن والإنس والمعنى الجن سماهم ناسا كما سماهم رجالا وسماهم نفرا فهذا ضعيف فإن لفظ الناس أشهر وأظهر وأعرف من أن يحتاج إلى تنويعه إلى الجن والإنس وقد ذكر الله تعالى لفظ الناس في غير موضع وأيضا فكونه يوسوس في صدور الثقلين صفة توضيح وبيان والناس وسوسة الجن معروفة عند الناس والله يعرف هذا مجرد ولا حاجة هنا ثم قد قال من الجنة والناس فكيف يكون لفظ الناس عاما للجنة والناس وكيف يكون قسم الشيء قسيما له فهو يجعل الناس قسيم الجن ويجعل الجن نوعا من الناس وهذا كما يقول أكرم العرب من العجم والعرب فهل تكون هذه حجة وقد سماهم الله نفرا ورجالا لكن في هذا دليل على أنهم يسمون ناسا وإذا قدر أنهم يسمون ناسا من الجن فذلك مع التقييد كما يقال [illegible] من صنف [illegible] ولا يلزم من هذا أن يدخلوا في لفظ الناس عند الإطلاق فكيف إذا قرن بينهما [illegible] وكم بين خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها الناس كلهم مخلوقون من

دم وحواء مع أنه سبحانه يخاطب الجن والانس

والرسول صلى الله عليه وسلم مبعوث الى الجنسين لكن لفظ الناس

ثم قول الجن ولكن تقول يامعشر الجن والانس

وكذلك قول الزجاج ان المعنى من شر الوسواس الذى هو الجنة

ومن شر الناس فيه ضعف وان كان أرجح من الأول لان شر الجن

أعظم من شر الانس فكيف يطلق الاستعاذة من جميع الناس ولا يستعيذ

لا من بعض الجن وأيضا فالوسواس الخناس ان لم يكن الا من الجنة

فلا حاجة فى قوله من الجنة ومن الناس فماذا يخص الاستعاذة من

وسواس الجنة دون وسواس الناس

وأيضا فانه اذا تقدم المعطوف عليه كان عطفه على القريب أولى

كما يعود الضمير الى الأقرب أولى الا اذا كان هناك دليل يقتضى

العطف على البعيد فعطف الناس هنا على الجنة المذكورين به أولى من

عطفه على الوسواس

ويكفى ان المسلمين كلهم يقرؤن هذه السورة من زمن نبيهم ولم

ينقل هذان القولان الا عن بعض النحاة والاقوال المأثورة عن الصحابة

والتابعين لهم باحسان ليس فيها شئ من هذا بل انما فيها القول الذى

نصرناه كما فى تفسير معمر عن قتادة من الجنة والناس قال ان فى الجن

شياطين وان فى الانس شياطين نعوذ بالله من شياطين الانس والجن

فبين قتادة ان المعنى الاستعاذة من شياطين الانس والجن

وروى ابن وهب عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم فى قوله

الوسواس الخناس قال الخناس الذي يوسوس مرة ويخنس مرة من الجن والانس فيبين ان الوسواس الخناس من الصنفين وكان يقال شياطين الانس أشد على الناس من شياطين الجن شيطان الجن يوسوس ولا تراه وهذا يعاينك معاينة

وعن ابن جريج من الجنة والناس قال انهما وسواسان فوسواس من الجنة فهو الخناس ووسواس من نفس الانسان فهو قوله والناس وهذا القول الثالث وان كان يشبه قول الزجاج فهذا أحسن منه فانه جعل من الناس من الوسواس الذي في نفس الانسان فعناه احسن ذكر الاقوال الثلاثة ابن أبي حاتم في تفسيره

وأيضاً فانه ذكر في الآية رب الناس ملك الناس إله الناس فان كان المقصود ان يستعيذ الناس بربهم وملكهم والههم من شر ما يوسوس في صدورهم فانه هو الذي يطلب منه الخير الذي ينفعهم ويطلب منه دفع الشر الذي يضرهم والوسواس أصل كل شر يضرهم لانه مبدأ الكفر والفسوق والعصيان وغير ذلك والذنوب انما تكون على ذنوبهم وان لم يكن لاحدهم ذنب فكل من أصابه نعمة في حقه وبلي ثم ثوابه فان الله يرفع درجته ويأجره ان قدر عدم الذنوب مطلقاً لكن هذا ليس بواقع منهم فكل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون وقد قال تعالى (وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات) فعمه المؤمنين لانبياء

من دونهم هي التوبة قال الله تعالى (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم) وقال نوح (رب انى أعوذ بك ان أسألك ما ليس لى به علم والا تغفر لى وترحمنى اكن من الخاسرين) وقال ابراهيم واسمعيل (ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا انك أنت التواب الرحيم) وقال موسى (أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين) ودعاء سيدنا محمد مثل ذلك كثير معروف وكان الوسواس منه كل شر فان كانوا قد استعاذوا منهم وملكهم والههم من شره ومن دخل فى ذلك وسواس الجن والانس وسائر شر الانس انما يتبع ذنوبهم وهو جزء على أعم لهم كالشر الذى تقع من الجن بغير الوسواس وكما تحصل من لموت شهوة وهم قد استعاذوا هنا من شر المخلوقات مطلقا كما ... فى سورة الفلق من الشر الذى يكون منه في نفوسهم ولكن ذكر ... الناس ملك الناس اله الناس استعاذوا به ... ومنه ... يحصل عليه من شر الوسواس الموسوس فى صدور الناس فانه هو الذى يوسوس نظر الناس ... بعضا واعانه بعضهم بعضا على الاثم والعدوان

فما حصل لادمى شر من أحد الا كان مبدؤه من الوسواس الخناس والا فما يحصل من أذى بعضهم ... اذا لم يكن من الوسواس لم يكن من الوحي الذى بعث الله به الانبياء كان عدلا كاقامة الحدود وجهاد الكفار و ... من الظالمين فهذه الامور فيها ضرر وأذى

للضالين من الانس لكن هي بوحي الله لا من الوسواس وهي نعمة من الله في حق عباده حتى في حق المعاقب فانه اذا عوقب كان ذلك كفارة له ان كان مؤمناً والا كان تخفيفاً لعذابه في الآخرة بالنسبة الى عذاب من لم يعاقب في الدنيا

ولهذا كان محمد صلى الله عليه وسلم رحمة في حق العالمين باعتبار ما حصل من الخير امامه وما حصل للمؤمنين به من سعادة الدنيا والآخرة وباعتبار أنه في نفسه رحمة لمن قبلها وان كان هو الضار لنفسه وباعتبار أنه قمع الكفار والمنافقين فنقص شرهم وعجزوا عما كانوا يعملونه بدونه وقتل من قتل منهم فكان تعجيل موته خيراً من طول عمره في الكفر له ولمن [illegible] فكان محمد صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين بكل اعتبار ولا يستعاذ منه ومن أمثاله من الانبياء وأتباعهم المؤمنين وهم من الناس وان كانوا يفعلون باعدائهم ماهو أذى وعقوبة وألم لهم فلم تبق الاستعاذة من الناس الا مما يأتي به الوسواس منهم فيتبين [illegible] من [illegible] على هذا التقدير من شر الوسواس الذي يوسوس [illegible] من شر الوسواس الذي يوسوس [illegible] حتى لا يحصل منهم [illegible] فيكون [illegible] الا من الوسواس كان الاستعاذة من شر الذي يوسوس فهو يحصل المقصود وكان [illegible] السعادة و[illegible] وكل [illegible] لا [illegible] من شرهم وان قدر [illegible] الوسواس [illegible] يكون [illegible] لا يجري على الناس وهذا لا [illegible]

فان قيل فان كان أصل الشر كله من الوسواس الخناس فلا حاجة الى ذكر الاستعاذة من وسواس الناس فانه تابع لوسواس الجن

قيل بل الوسوسة نوعان نوع من الجن ونوع من نفوس الانس كما قال (ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه) فالشر من الجهتين جميعاً والانس لهم شياطين كما للجن شياطين والوسوسة من جنس الوشوشة بالشين المعجمة يقال فلان يوسوس فلانا وقد وشوشه اذا حدثه سراً في أذنه وكذلك الوسوسة ومنه وسوسة الحلي لكن هو بالسين المهملة أخص

ورب الناس الذي يربيهم بقدرته ومشيئته وتدبيره وهو رب العالمين كلهم فهو الخالق للجميع ولأعمالهم

وملك الناس الذي يأمرهم وينهاهم وذلك يتصرف بالكلام والجماد لاملك له فانه لايعقل الخطاب لكن له مالك وانما يكون الملك لمن يتفهم عنه والحيوان يفهم بعضه عن بعض كما قال علمنا منطق الطير وقالت نملة ياأيها النمل فلهذا كان له ملك من جنسه ومن غير جنسه كما كان سليمان مالكهم والاله هو المعبود الذي هو المقصود بالارادات والاعمال كلها كما قد بسط الكلام على ذلك

وقد قيل انما خص الناس بالذكر لانهم مستعيذون أو لانهم المستعاذ من شرهم ذكرهما أبو الفرج وليس لهما وجه فان وسواس الجن أعظم ولم يذكره بل ذكر الناس لانهم المستعيذون فيستعيذون بربهم الذي يصونهم وبملكهم الذي أمرهم ونهاهم وبالهم الذي يعبدونه من شر الذي يحول

فيهم وسوسة عادته ويستعيذون أيضاً من شر الوسواس الذي يحصل في نفوس الناس منهم ومن الجنة فإنه أصل الشر الذي يصدر منهم والذي يرد عليهم

(فصل) وهذا يتبين بعض هذه الاستعاذة والتي قبلها كما جاءت بذلك الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه لم يستعذ المستعيذون بمثلهما فإن الوسواس أصل كل كفر وفسوق وعصيان فهو أصل الشر كله فمن وقي الإنسان شره وقي عذاب جهنم وعذاب القبر وفتنة المحيا والممات وفتنة المسيح الدجال فإن جميع هذه إنما تحصل بطريق الوسواس ووقي عذاب الله في الدنيا والآخرة فإنه إنما يعذب على الذنوب وأصلها من الوسواس ثم إن دخل في الآية وسواس غيره بحيث يكون قوله من شر الوسواس استعاذة من الوسواس الذي يعرض له والذي يعرض للناس بسببه فقد وقي ظلمهم وإن كان إنما يريد وسواسه فهم إنما يسلطون عليه بذنوبه وهي من وسواسه قال تعالى (أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم) وقال وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم) وقال (ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك)

والوسواس من جنس الحديث والكلام ولهذا قال المفسرون في قوله ما توسوس به نفسه قالوا ما يحدث به نفسه وقد قال صلى الله عليه وسلم إن الله تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تكلم به أو تعمل به وهو نوعان خبر وإنشاء فالخبر إما عن ماض وإما عن مستقبل

فالماضي يذكره به والمستقبل يحدثه بأن يفعل هو أموراً او ان أموراً ستكون بقدر الله أو فعل غيره فهذه الاماني والمواعيد الكاذبة والانشاء أمر ونهي واباحة

والشيطان تارة يحدث بوسواس الشر وتارة بنسي الخير وكان ذلك نسياناً به من جنس الوسواس فقال تعالى (وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين) وقال في موسى (فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان) وقال تعالى (فأنساه الشيطان ذكر ربه)

وثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا أذن المؤذن ادبر الشيطان وله ضراط حتى لا يسمع الأذان فاذا قضي الأذان أقبل فاذا ثوب بالصلاة أدبر فاذا قضي التثويب أقبل حتى يخطر بين المرء ونفسه فيقول اذكر كذا اذكر كذا ما لم يذكر حتى يظل الرجل لم يدركم صلى فاذا شك في ذكره أمور مضت تحدث بها نفسه مما كان في نفسه من أعماله ومن غير أعماله فتلك الامور تنسي المصلي كم صلى ولم يدركم صلى فان النسيان أزال ما في النفس من الذكر وشغلها أمر آخر حتى نسي الأول وما أخبره مما يكون في المستقبل من المواعيد والاماني وكقوله وقال الشيطان لما قضي الأمر (ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم) وفي هذه الآية أمره ووعده وقال تعالى (ومن يتخذ الشيطان ولياً من دون الله فقد خسر خسراناً مبيناً يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غروراً أولئك مأواهم جهنم ولا يجدون

عنها محرضا، وقال تعالى (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم) فى هذه الآية أمره ووعده وقال موسى لما قتل القبطي (هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين) وقد قال غير واحد من الصحابة كأبي بكر وابن مسعود فيما تقولونه باجتهادهم إن كان صوابا فمن الله وإن يكن خطأ فمني ومن الشيطان فجعلوا ما ألقى فى النفس من الاعتقادات التي ليست مطابقة من الشيطان وإن لم يكن صاحبها آثما لأنه استفرغ وسعه كالإثم بالوسواس الذي يكون فى الصلاة من الشيطان ولا ما يحدث به نفسه وقد قال المؤمنون (ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا) وقد قال الله قد فعلت

والنسيان يحق أمن الشيطان والخطأ من الشيطان قال تعالى (وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين) وقد قال صلى الله عليه وسلم من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها إذا ذكرها ... ... فى غزوة خيبر قال لأصحابه ... ... فيه شيطان وقال ... شيطان ... ويحصل بهديه كما يهدي ... حتى ... ... لأن يوقظهم ... ... أمره ... من الشيطان وإن كان معفو عنه ... ... من الشيطان وكذلك الاحتلام فى ... من الشيطان ... ...

وقد ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال الرؤيا

ثلاثة رؤيا من الله ورؤيا من الشيطان ورؤيا مايحدث به المرء نفسه في اليقظة فيراه في النوم وقد قيل ان هذا من كلام ابن سيرين لكن تقسيم الرؤيا الى نوعين نوع من الله ونوع من الشيطان صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم لا ريب فيهذان النوعان من وسواس النفس ومن وسواس الشيطان وكلاهما معفو عنه فان الاثم قد يقع في القلب ووسواس الشيطان يغشى القلب كطيف الخيال فينسيه ما كان معه من الايمان حتى يعمى عن الحق ويقع في الباطل فاذا كان من المتقين كما قال الله ان الذين اتقوا اذا مسهم طيف من الشيطان تذكروا فاذاهم مبصرون) فان الشيطان مسهم بطيف منه يغشى القلب وقد يكون لطيفاً وقد يكون كثيفاً الا أنه غشاوة على القلب تمنعه ابصار الحق قال النبي صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا اذنب نكت في قلبه نكتة سوداء فان تاب ونزع واستغفر صقل قلبه وان زاد زيد فيها حتى تعلو قلبه فذلك الران الذي قال الله تعالى (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون)

لكن طيف الشيطان غير رين الذنوب هذا جزاء على الذنب والعين ألطف من ذلك كما في الحديث الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم قال انه ليغان على قلبي واني لاستغفر الله في اليوم سبعين مرة والشيطان يلقي في النفس الشر والملك يلقي الخير وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما منكم من أحد الا وقد وكل به قرينه من الملائكة وقرينه من الجن قالوا واياك يارسول الله قال واياي الا أن الله أعانني عليه فأسلم وفي رواية فلا يأمرني الا بخير أي استسلم وانقاد

وكان ابن عيينة يرويه فأسلم بالضم ويقول ان الشيطان لا يسلم لكن
قوله في الرواية الأخرى ولا يأمرني الا بخير دل على انه لم يبق يأمره
بالشر وهذا إسلامه وان كان ذلك كناية عن خضوعه وذلته لا عن إيمانه بالله
كما يقهر الرجل عدوه الظاهر ويأسره وقد عرف العدو المقهور ان
ذلك القاهر يعرف ما يشير به عليه من الشر فلا يقبله بل يعاقبه على ذلك
فيحتاج لاستهاره معه الى انه لا يشير عليه الا بالخير لذلته وعجزه لا لصلاحه
ودينه وهذا قال صلى الله عليه وسلم الا ان الله أعانني عليه فلا يأمرني
الا بخير وقال ابن مسعود ان للملك لمة وان للشيطان لمة فلمة الملك
ايعاد بالخير وتصديق بالحق ولمة الشيطان ايعاد بالشر وتكذيب بالحق
وقد قال تعالى (انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه) أي يخوفكم أولياءه
بما يقذف في قلوبكم من الوسوسة المرعبة كالشيطان الانسي الذي يخوف
من العدو فيرجف ويخذل وعكس هذا قوله تعالى (اذ يوحي ربك
الى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا
الرعب) وقال تعالى (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة
الدنيا وفي الآخرة) وقال تعالى (ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن
اليهم شيئا قليلا) وثبات حمل الانسان الامر وذلك بما يقويه
من التصديق بالحق والوعد بالخير كما قال ابن مسعود لمة الملك وعد
بالخير وتصديق بالحق فمتى علم الانسان ان ما يخبر به الرسول حق صدقه
واذا علم ان الله قد وعده تصدق بوعد الله ثبت فهذا مما يثبت
بالكلام كما يثبت الانسان في أمر قد اضطرب فيه بمن يخبره

تصدقه وبخبره عما يسر له أنه منصور فيثبت وقد يكون التثبت بالعمل
بأن يسدد العبد حتى يثبت كما يمسك الانسان الانسان حتى يثبت

وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم من سأل القضاء
واستعان عليه وكل إليه ومن لم يسأل القضاء ولم يستعن عليه
أنزل الله عليه ملكا يسدده فهذا الملك يحمله تسديد القول بما يلقي في
قلبه من التصديق بالحق والوعد بالخير وقد قال تعالى (هو الذي
يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور) فدل ذلك على
أن هذه الصلاة سبب خروجهم من الظلمات إلى النور وقد ذكر
اخراجه للمؤمنين من الظلمات إلى النور في غير آية كقوله (الله ولي
الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم
الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات) وقال (هو الذي ينزل على
عبده آيات بينات ليخرجكم من الظلمات إلى النور) وقال (كتاب
أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور باذن ربهم) وفي
الحديث إن الله وملائكته يصلون على معلمي الناس الخير وذلك أن
هذا تعليمه خير يخرج الناس من الظلمات إلى النور والجزاء من جنس
العمل وهذا كان جزاؤه حق الناس بكل هذه الصلاة كما قال تعالى
(إن الله وملائكته يصلون على النبي) والصلاة هي الدعاء بالخير
يتضمن الدعاء وما صيغته صيغة الدعاء فالملائكة يدعون للمؤمنين كما في الصحيح
عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال والملائكة تصلي على أحدكم ما دام
في مصلاه يقولون اللهم اغفر له اللهم ارحمه ما لم يحدث ومن أن صلاتهم قولهم

اللهم اغفر له اللهم ارحمه

وفي الأثر إن الرب يبتلي فيقول سبقت أو غلبت رحمتي غضبي وهذا كلامه سبحانه هو خبر وإنشاء يتضمن أن الرحمة تسبق الغضب وتغلبه وهو سبحانه لا يدعو غيره أن يفعل كما يدعوه الملائكة وغيرهم من الخلق بل صيغة أمره وقوله وقسمه كقوله لأفعلن كذا وقوله كن فيكون وقوله لأفعلن كذا قسم منه كقوله لأملأن جهنم منك وممن تبعك وقوله (ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) وقوله (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا) وقوله (كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز) وهذا وعد مؤكد بالقسم بخلاف قوله (إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا) فإن هذا وعد وخبر ليس فيه قسم لكنه مؤكد بإن ثم قد تكون بكون جواب قسم وقوله (وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها) وقوله (وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين) ونحو ذلك وعد مجرد

وقد قال تعالى (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء) فجعل التوحي إلى البشر تارة وحيا منه وتارة يرسل رسولا فيوحي إلى الرسول بإذنه ما يشاء

والملائكة رسل الله واسم الملك يتضمن معنى الرسالة فإن أصل

ا لكلمة ملاك على وزن مفعل لكن اكثره الاستعمال حذفت بأن ألقي حركة الهمزة على الساكن قبلها وحذفت الهمزة وملاك مأخوذ من ألك والألوك والملاك بتقديم الهمزة على اللام واللام على الهمزة وهو الرسالة وكذلك الألوكة بتقديم الهمزة على اللام قال الشاعر

ألكني اليها عمرك الله يا فتى * بآية ما جاءت الينا تهاديا

وهذا بتقديم الهمزة لكن الثانى هو بتقديم اللام على الهمزة وهذا أجود فان نظيره في الاشتقاق الأكبر لاك يلوك اذا لاك الكلام والحجام والشعير أدوى من الواو ويذهبه فى الأسنان فى الأوسط أكل يأكل فان الآكل يلوك ما يدخله في جوفه من الغذاء والكلام والعلم ما يدخل في الباطن ويغذى به صاحبه قال عبد الله بن مسعود ان كل آدب يحب أن تؤتى مأدبته وان مأدبة الله هو القرآن والأدب الضيف والمأدبة الضيافة وهو مثل من طعام الضيف ومن أن الله ضيف عباده بالكلام الذى أنزله اليهم فهو غذاء قلوبهم وقوتها وهو أشد اشتياقا به واحتياجا اليه من حسد بدنه

وقال على رضى الله عنه ان القلوب تمل كما تمل الأبدان فابتغوا لها طرائف الحكمة ويروونهم عليم وقد قال صلى الله عليه وسلم انى أبيت عند ربى يطعمنى ويسقينى وقد أخبر الله تعالى أن القرآن شفاء لما فى الصدور والناس الى العلم أحوج منهم الى الشفاء فى الموت والأبدان وفي الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم قال مثل ما بعثنى الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضا فكانت منها طائفة أمسكت الماء فانبتت الكلا

والعشب الكثير وكانت منها طائفة أمسكت الماء فشرب الناس وسقوا وزرعوا وكانت منها طائفة إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به من الهدى والعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به

وأخبر أن ما بعث به للقلوب كالماء للأرض تارة تشربه فينبت وتارة تحبسه وتارة لا هذا ولا هذا والأرض تشرب الماء وينبت به حتى يعمل الخير وقد أخبر الله تعالى أنه روح تحيا به القلوب فقال (وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم) وقد كان هو يوحيه إلى عبده تارة يكون بوساطة ملك وتارة بغير وساطة فهذا للمؤمنين كلهم مطلقاً لا يختص به الأنبياء قال تعالى (وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه) وقال تعالى (وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون) وإذا كان قد قال وأوحى ربك إلى النحل لآية قد ذكر أنه يوحي لهم فإلى الإنسان أولى وقد قال تعالى (وأوحى في كل سماء أمرها) وقد قال تعالى (ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها) فهو سبحانه يلهم الفجور والتقوى لكن الفجور يكون بوساطة الشيطان وهو إلهام وسوسة والتقوى بوساطة ملك وهو إلهام وحي هذا يأمر بالفجور وهذا يأمر بالتقوى والأمر لا بد أن يقترن به خبر

وقد صار في العرف لفظ الإلهام إذا أطلق لا يراد به الوسوسة

وهذه الآية مما دل على أنه يفرق بين الهام الوحي وبين الوسوسة فالمأمور به إن كان تقوى الله فهو من الهام الوحي وإن كان من الفجور فهو من وسوسة الشيطان

فيكون الفرق بين الالهام المحمود وبين الوسوسة المذمومة هو الكتاب والسنة فإن كان مما ألقى في النفس مما دل الكتاب والسنة على أنه تقوى لله فهو من الالهام المحمود وإن كان مما دل على انه فجور فهو من الوسواس المذموم وهذا الفرق مطرد لا ينقض وقد ذكر أبو حازم في الفرق بين وسوسة النفس والشيطان فقال ما كرهته نفسك لنفسك فهو من الشيطان فاستعذ بالله منه وما أحبته نفسك لنفسك فهو من نفسك فانهها عنه

وقد تكلم النظار في العلم الحاصل في القلب عقب النظر والاستدلال وذكروا فيه ثلاثة أقوال كما ذكر ذلك أبو حامد في مستصفاه وغيره قول الجهمية وقول المعتزلة وقول الفلاسفة وكثير من أهل الكلام لا يذكر الا هذين قول الجهمية وقول المعتزلة

وذلك انهم يذكرون في كتبهم ما يعرفونه من الأقوال من يعرفونه تكلم في هذا وهم لا يعرفون الا هؤلاء والمسئلة هي من فروع القدر فان الحاصل في النفس حادث فهم يقولون فيه كالأقوال في أمثاله

ومذهب جهم ومن وافقه كأبي الحسن الاشعري وكثير من المتأخرين المثبتة هو مذهب أهل السنة والجماعة ان الله خالق كل شيء وان الله خلق أفعال العباد لكن لا يثبتون لا قدرة مؤثرة ولا حكمة

لفعل الرب فأنكر الطبائع والقوى التي في الأعيان وأنكر الأسباب والحكم فلهذا لم يجعل لشيء سببا بل يقول هذا حاصل بخلق الله وقدرته ولم يذكروا لهذا وهم صادقون في إضافته إلى قدرته وأنه خلقه خلافه بقدرته لكن من تمام المعرفة اثبات الأسباب ومعرفتها * وأما القدرية من المعتزلة وغيرهم فبنوه على أصلهم وهو ان كل ما تولد من فعل العبد فهو فعله لا يضاف إلى غيره كالشبع والري وزهوق الروح ونحو ذلك فقالوا هذا العلم متولد عن نظر العبد أو تذكر النظر والمتفلسفة بنوه على أصلهم في أن كل محدث من صور هو من فيض العقل عند استعداد القوابل وأنه إنما يحصل في نفوس البشر من فيض العقل الفعال عند استعدادها بتأثير الحركات الفلكية وهذا قول خطأ والذي قبله أقرب منه والأول أقرب وليس في شيء منها تحقيق الأمر في ذلك

وحقيقته ان الله وكل بالإنس ملائكة وشياطين يلقون في قلوبهم الخير والشر والعلم الصادق من الخير والعقائد الباطلة من الشر كما قال ابن مسعود لمة الملك تصديق بالحق ولمة الشيطان تكذيب بالحق وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الماضي أنزل الله عليه ملكا يسدده وكما أخبر الله ان الملائكة توحي إلى البشر ما توحيه وإن كان البشر لا يشعر بأنه من الملك كما لا يشعر بالشيطان الموسوس لكن الله أخبر أنه يكلم البشر وحيا ويكلمه بملك يوحي بإذنه ما يشاء والثالث التكليم من وراء حجاب وقد قال بعض المفسرين المراد بالوحي هنا الوحي في المنام و-

يذكر أبو الفرج عنه وليس الامر كذلك فان المنام تارة يكون من الله وتارة يكون من النفس وتارة يكون من الشيطان وهكذا ما يلقى في اليقظة والانبياء معصومون في اليقظة والمنام ولهذا كانت رؤيا الانبياء وحيا كما قال ابن عباس وعبيد بن عمير وقرأ قوله اني أرى في المنام أني أذبحك وليس كل من رأى رؤيا كانت وحيا وكذلك ليس كل من ألقى في قلبه شيء يكون وحيا ولا يسوغ لاحد أن يكون نفسه في يقظته أكمل منها في نومه كالمصلي الذي يناجي ربه فاذا جاز أن يوحي اليه في حال النوم فلماذا لا يوحي اليه في حال اليقظة كما أوحي الى أم موسى والحواريين والى النحل لكن ليس لاحد أن يطلق القول على ما يقع في نفسه انه وحي لا في يقظة ولا في المنام الا بدليل يدل على ذلك دون الوسواس
عن الناس
والله أعلم

﴿ تمت الرسالة العاشرة ﴾

﴿ ويليها الرسالة الحادية عشر ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

قال شيخ الاسلام علامة الانام أبو العباس تقي الدين أحمد بن تيمية رضي الله عنه

(فصل فيمن أوقع العقود المحرمة ثم تاب قال الله تعالى في الربا (وان تبتم فلكم رؤس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون) وقد بسط الكلام على هذا في موضعه وقد قال تعالى لما ذكر الخلع والطلاق وقال في الخلع (ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا الا أن يخافا ألا يقيما حدود الله فان خفتم أن لا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون) الى قوله (واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه) وقال تعالى (اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة واتقوا الله ربكم لاتخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن الا أن يأتين بفاحشة مبينة تلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا فاذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف وأشهدوا ذوي عدل منكم وأقيموا الشهادة لله ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرا)

فالطلاق المحرم كالطلاق في الحيض وفي طهر قد أصابها فيه حرام

بالنص والاجماع وكالطلاق الثلاث عند الجمهور وهو تعد لحدود الله وفاعله ظالم لنفسه كما ذكر الله تعالى انه من يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه والظالم لنفسه اذا تاب تاب الله عليه لقوله (ومن يعمل سوأ أو يظلم نفسه ثم استغفر الله يجد الله غفوراً رحيما) فهو اذا استغفره غفر له ورحمه وحينئذ يكون من المتقين فيدخل في قوله (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب)

والذين ألزمهم عمر ومن وافقه بالطلاق المحرم كانوا عالمين بالتحريم وقد نهوا عنه فلم ينتهوا فلم يكونوا من المتقين فهم ظالمون لانفسهم مستحقون للعقوبة وكذلك قال ابن عباس لبعض المستفتين ان عمك لم يتق الله فلم يجعل له فرجا ومخرجا ولو اتقى الله لجعل له فرجا ومخرجا وهذا انما يقال لمن علم ان ذلك محرم وفعله فمن لم يعلم بالتحريم لا يستحق العقوبة ولا يكون متعديا فاذا عرف أن ذلك محرم وتاب من عوده اليه والتزم أن لا يفعله والذين كان النبي صلى الله عليه وسلم يجعل ثلاثهم واحدة في حياته كانوا يتوبون فيصيرون متقين ومن لم يتب فهو الظالم كما قال (بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون) فحصر الظلم فيمن لم يتب فمن تاب فليس بظالم فلا يجعل متعديا لحدود الله بل وجود قوله كعدمه ومن لم يتب فهو محل اجتهاد فعمر عاقبهم بالالزام ولم يكن هناك تحليل فكانوا لاعتقادهم ان النساء يحرمن عليهم لا يقعون في الطلاق المحرم فانكفوا بذلك عن تعدي حدود الله فاذا صاروا يوقعون الطلاق المحرم ثم يردون النساء بالتحليل المحرم صاروا يفعلون

المحرم مرتين ويتعدون حدود الله مرتين بل ثلاثا بل أربعاً لأن الطلاق
الاول كان تعديا لحدود الله وكذلك نكاح المحلل لها ووطؤه لها فصار
بذلك ملعونا هو والزوج الاول فقد تعدى حدود الله هذا مرة اخرى
وذاك مرة والمرأة ووليها لما علموا بذلك وفعلوه كانوا متعدين لحدود
الله فلم يحصل بالالزام في هذه الحال الانكفاف عن تعدي حدود الله بل
زاد التعدي لحدود الله فترك الزامهم بذلك وان كانوا ظالمين غير آثمين
خير من الزامهم فذلك الذي يعود الى تعدي حدود الله مرة بعد مرة
واذا قيل فمن استفتى ابن عباس ونحوه لو قيل له تب لتاب ولهذا
كان ابن عباس يفتي احيانا بترك اللزوم كما نقله عنه عكرمة وغيره

وعمر ما كان يجعل الخلع والبتة الا واحدة رجعية ولما قال عمر
(ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيراً لهم وأشد تثبيتاً) واذا كان
الالزام عاما ظاهراً كان تخصيص البعض بالاعانة بخلاف ذلك ويبقى سوية

فالمراتب أربعة أما اذا كانوا يتقون الله ويتوبون فلا ريب ان ترك
الالزام كما كان في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر خير وان كانوا
لا [illegible] ويتعدون حدوده ولا يوقعون محرما ولا يحتاجون الى
تحليل فيهم هو مصلحة [illegible] في زمانها وفيهم عمر و [illegible] خير
[illegible] تحليل محرم [illegible] خير و [illegible] [illegible] لا يتقون بل
يوقعون محرما ويحتاجون الى التحليل فهنا [illegible] في [illegible] فائدة لا
[illegible] يجب [illegible] تقوى الله وحفظ حدوده [illegible] حرمت
[illegible] [illegible] وحرمت [illegible] [illegible] شرع [illegible] فيوجب حرمة

الدماء وتخريب الديار بل ترك التزامهم بذلك اقل فساداً وان كانوا اذ دفعوا فهم معذورون على التقديرين لكن تخريب الديار أكثر فساداً والله لا يحب الفساد واما ترك الالزام فليس فيه الا أنه أذنب ذنباً بقوله فلم يتب منه وهذا اقل فساداً من الفساد الذي قصد الشارع دفعه ومنعه بكل طريق

وأصل المسئلة أن النهي يدل على أن المنهي عنه فساده راجح على صلاحه ولا يشرع التزام الفساد من يشرع دفعه ومنعه

وأصل هذا أن كل ما نهى الله عنه وحرمه في بعض الاحوال وأباحه في حال أخرى فان الحرام لا يكون صحيحاً نافذاً كالحلال يترتب عليه الحكم كما يترتب على الحلال ويحصل به المقصود كما يحصل وهذا معنى قولهم النهي يقتضي الفساد وهذا مذهب الصحابه والتابعين لهم باحسان وأئمة المسلمين وجمهورهم * وكثير من المتكلمين من المعتزلة والاشعرية يخالف في هذا لما ظن ان بعض ما نهى عنه ليس بفاسد كالطلاق المحرم والصلاة في الدار المغصوبة ونحو ذلك

قالوا لو كان النهي موجباً للفساد لزم انتقاض هذه العلة فدل على أن الفساد حصل بسبب آخر غير مطلق النهي

وهؤلاء لم يكونوا من أئمة الفقه العارفين بتفصيل أدلة الشرع فقيل لهم بأي شيء تعرف أن العبادة فاسدة والعقد فاسد قالوا بأن يقول الشارع هذا صحيح وهذا فاسد وأن هذا شرط في صحة كذا وكذا فاذا وجد المانع انتفت الصحة

وهؤلاء وأمثالهم لا يكادون يجدون الادلة شرعية لواقعة وهي الادلة التي

جعلها الله ورسوله أدلة على الأحكام الشرعية بل يتكلمون في أمور يقدرونها في أذهانهم أنها أدلة وهب هل يستدل بها أم لا استدل والكلام في ذلك لا فائدة فيه

وهذا لا يمكنهم أن ينتفعوا بما يقدرونه من أصول الفقه في الاستدلال بالأدلة المفصلة على الأحكام فإنهم لم يعرفوا نفس أدلة الشرع الواقعة بل قدروا أشياء قد لا تقع وأشياء ظنوا أنها من جنس كلام الشارع ووجد من هذا الباب

فإن الشارع لم يدل الناس قط بهذه الألفاظ التي ذكروها ولا يوجد في كلامه شروط البيع أو النكاح كذا وكذا ولا هذه العبادة أو العقد صحيح أو ليس بصحيح ونحو ذلك مما جعلوه دليلا على الصحة والفساد بل هذه كلها عبارات أحدثها من أحدثها من أهل الرأي والكلام

وأما الشارع فدل الناس بالأمر والنهي والتحليل والتحريم وبقوله في عقود هذا لا يصلح فيعلم الصلاح المضاد للفساد فإذا قال لا يصلح علم أنه فاسد كما قال في بيع مدين بمد تمرا لا يصلح والصحابة والتابعون وسائر أئمة المسلمين كانوا يحتجون على فساد العقود بتحريم الشارع كما احتجوا على فساد نكاح ذوات المحارم بالتحريم المذكور في القرآن وكذلك على فساد عقد الجمع بين الأختين ومنهم من توقف لما تعارض فيه عنده فتوقف وقيل إن بعضهم أباح الجمع

وكذا نكاح المطلقة ثلاثا استدلوا على فساده بقوله (فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره)

وكذلك الصحابة استدلوا على فساد نكاح الشغار بالنهي عنه وكذلك عقود الربا وغيرها

وهم قد علموا أن ما نهى الله عنه فهو من الفساد ليس من الصلاح فإن الله لا يحب الفساد ويحب الصلاح فلا ينهى عما يحبه وإنما ينهى عما لا يحبه

فعلموا أن ما نهى عنه فيه فساد ليس صلاح وإن كان فيه مصلحة فمفسدته أرجح من مصلحته

وقد علموا أن مقصود الشرع رفع الفساد ومنعه لا إيقاعه والإلزام به فلو ألزموا بموجب العقود المحرمة لكانوا مفسدين غير مصلحين وأنه لا يصلح عمل المفسدين وقوله (وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض) أي لا تعملوا بمعصية الله فكل من عمل بمعصية الله فهو مفسد والمحرمات معصية لله فالشارع ينهى عنها ليمنع الفساد ويدفعه

ولا يوجد قط في شيء من صور النهي صورة ثبت فيها الصحة بنص ولا إجماع فالطلاق المحرم والصلاة في الدار المغصوبة فيها نزاع وليس على الصحة نص يحتج به مع المحتج بها حجة لكن من البيوع ما نهى عنه لما فيه من ظلم أحدهما للآخر كبيع المصراة والمعيب وتلقي السلع والنجش ونحو ذلك ولكن هذه البيوع لم يجعلها الشارع لازمة كالبيوع الحلال بل جعلها غير لازمة والخيرة فيها إلى المظلوم إن شاء أبطلها وإن شاء أجازها فإن الحق في ذلك له والشارع لم ينه عنها لحق مختص بالله كما نهى عن الفواحش بل هذه إذا علم بعده

بالخيار في ابتداء العقد مثل ان علم بالعيب و بالتدليس و لتصرية ويعلم السعر اذا كان قدماء السعر و رضي بان يعطيها ابى جاز ذلك وكذلك اذا علم بعد العقد ان رضي اجاز وان لم يرض كان له الفسخ وهذا يدل على ان تصرف غير لازم بل موقوف على الاجازة ان شاء أجازه صاحب الحق وان شاء رده وهذا في بيان بيع المعيب مما فيه شرط السلامة من العيب ... على الاجازة فهو لازم ان كان على صفة وغير لازم ان كان على صفة واما اذا كان غير لازم مطلقا هو موقوف على رضا المحرم ... وأكثر ... يقولون بوقف العقود وهو ... وغيرهما وعليه أكثر نصوص أحمد وهو ... اكثر أصحابه كالخرقي وغيره كما هو مبسوط في موضعه

المقصود هنا ان هذا النوع بحسب طلبه من الناس ... حماه ... ثم تقول طائفة من الناس ... لا يجب أن ... الفساد ... حش ...

... كالنجش ... ... من ... ... في ... من صحيح كما ... على ... ... لا ...

والتحقيق ... ... حرمت والصدقات ... ... حق ... ...

صاحب السلعة يغش ورضي بذلك جاز وكذلك اذا علم ان غيره يغش وكذلك المخطوبة في اذن الخاطب الاول فيها جاز ولما كان النهي هنا لحق الآدمي لم يجعله الشارع صحيحا لازما كالحلال بل اثبت حق المظلوم وسلطه على الخيار فان شاء امضى وان شاء فسخ فالمشتري مع الغش ان شاء رد المبيع فحصل بهذا مقصوده وان شاء رضي به اذا علم بالغش فاما كونه فاسدا مردودا وان رضي به فهذا لاوجه له وكذلك الرد بالعيب والتدليس والتصرية وغير ذلك وكذلك المخطوبة ان شاء الخاطب أن يفسخ نكاح هذا المتعدي عليه وتزوجها برضاها فله ذلك وان شاء أن يمضي نكاحه فله ذلك وهو اذا اختار فسخ نكاحه عاد الامر الى ما كان فان شاءت نكحته وان شاءت لم تنكحه اذ مقصوده حصل بفسخ نكاح الخاطب والاول هو غير قلب المرأة عليه قيل ان ثبت عاقبناه على هذا [illegible] نكاحه ويكون هذا قصاصا لظلمه [illegible] وان شاء [illegible] عنه [illegible] نكاحه

وكذلك الصلاة في الدار المغصوبة والذبح بآلة مغصوبة وطبخ الطعام بحطب مغصوب و[illegible] البناء بحطب مغصوب كل هذا انما حرم لما فيه من ظلم الانسان [illegible] المغصوب حقه فان أعطاه بدله [illegible] من [illegible] عنه فاعطاه كراء الدار [illegible] حطب [illegible] من [illegible] فقد برئ من حق [illegible] حق [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

أجرة ذبحه لحرم الشاه كلها وكان لصاحب الدار أجرة داره لاتحبط صلاته كلها لاجل هذه الشبهة وهذا اذا أكل الطعام ولم يوفه ثمنه كان بمنزلة من أحد طعاما لغيره فيه شركة ليس فعله حراما ولا هو حلالا محضا فان نصح الطعام صاحب او قود فيه شركة وكذلك الصلاة متى عليه أثم الظلم ينقص من صلاته بقدره فلا تبرا ذمته كبراءة من صلى صلاة تامة ولايعاقب كعقوبة من لم يصل بل يعاقب على قدر ذنبه

وكذلك آكل الطعام يعاقب على قدر ذنبه والله تعالى يقول (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) وانما قيل في الصلاة في الثوب المحرم والمكان المغصوب بخلاف هذا لانه هنا لاسبيل له الى براءة ذمته لا بالاعادة وهنا يمكنه ذلك بارضائه المظلوم ولكن الصلاة في الثوب الحرير هي من ذلك فهم الحق فيه لله لكن نهي عن ذلك في الصلاة وغير الصلاة لم ينه عنه في الصلاة فقط

وقد تنازع الفقهاء في مثل هذا فمنهم من يقول النهي هنا لمعنى في غير ... يتوب ... في الدار المغصوبة ...

... في ... و ... وشو ... و ...

... حنيفة ... في ... على ...

... على ... الصلاة

... على ... وجلا ... أو ...

... في ثوب ...

... الاخص ... بل هو ...

بين الصلاة و[illegible] فهذا [illegible] فان [illegible] وقت الداء [illegible] لا
[illegible] عن الصلاة [illegible] وجود في [illegible] لاشخص [illegible]
[illegible] في صلاة [illegible] هلاك [illegible]
[illegible] وبذلك خرج عن [illegible]
[illegible] من محرمات [illegible] الاضافة [illegible]
عنها [illegible] لا [illegible] لا اضافة الى [illegible] والتطيبة
[illegible] خرج عن [illegible] حرما وحلالا [illegible] عمل
الشيطان لان [illegible] والتنازع العداوة والبغضاء
وهو [illegible] خرج عن [illegible] لان [illegible] لى أكل
[illegible] باطل وذلك خرج عن [illegible]

[illegible] لا بد أن [illegible] عن [illegible] لمي
[illegible]
[illegible]
[illegible] في [illegible] وكذلك في [illegible]
[illegible] الدرمة [illegible] مفسدة
[illegible] وعن [illegible] ونحو
[illegible]
[illegible]

[illegible]
يكون [illegible] في [illegible] من قبل [illegible]

فيـدل على صحته كالنهي عن صوم يومي العيدين قالوا هو نهى عنه لوصف العيدين لا لجنس الصوم فاذا صام صح لانه سماه صوما وقال لهم وكمنهي عن صوم في أيام الحيض وكذلك الصلاة الا طهارة والى غير القبلة حيث مشروع وانما نهى لوصف خاص وهو الحيض والحدث والذي لا عن القبلة ولا نعرف من هذا وهذا فرق معقول له تأثير في الشرع فان فان قيل الحيض والحدث صفة في الحائض والمحدث وذلك صفة في الزمن قيل والصفة في محل الفعل زمنه ومكانه كالصفة في فاعله فانه لو وقف في عرفة في غير وقتها أو في غير عرفة لم يصح وهو صفة في الزمن والمكان وكذلك لو رمى الجمار في غير أيام منى أو في غير منى وهو صفة في الزمن والمكان والاستقبال غير القبلة هو الصفة في الجهة لا فيه ولا يجوز ولو صام الليل لم يصح وان كان هذا زمنا فقد ثبت ان الليل ليس محل للصوم شرعا فقيل ويوم العيد ليس محل للصوم شرعا كما أن زمان الحيض ليس محل للصوم شرعا

فالفرق بين المتماثلين لا بد أن يكون فرقا شرعيا فيكون معقولا ويكون مما جاء به الشرع مؤثرا في الحكم حيث تعلق به حل أو حرمة لذي يخص احد الصنفين

وكثير من الفقهاء من يذكر فروقا لا حقيقة لها ولا تأثير لها في الشرع ولهذا يقولون في القياس انه قد يمنع في الوصف الذي في الاصل أو الشرع أو يمنع تأثيره في الاصل وذلك انه قد يذكر وصفا يجمع به بين الاصل والفرع ولا يكون ذلك الوصف مشتركا بينهما بل قد يكون منفيا عنهما

أو عن أحدهما وكذلك الفرق قد يفرق بوصف يدعى اختصاصه بإحدى
الصورتين ليس هو مختصا بها بل هو مشترك بينهما وبين الأخرى
وهو الذي نهي في ... عنه وذلك المعنى في غيره أو ذلك المعنى في
وصفه دون أصله ولكن قد يكون النهي عن مختص بالعبادة والمعقود قد
يكون لمعنى مشترك بينها وبين غيرها كما نهي المحرم عما يختص بالاحرام
مثل حلق الرأس ولبس العمامة وغير ذلك من الثياب المنهي عنها ونهى
عن نكاح امرأة ونهى عن صيد البر ونهى مع ذلك عن الربا وعن
ظلم الناس فيما ملكوه من الصيد وحينئذ فالنهي عن المشترك أعظم
ولهذا لو قتل المحرم صيدا مملوكا وجب عليه الجزاء لحق الله ووجب
عليه بدله لحق المالك ولو زنى لأفسد إحرامه كما يفسده بنكاح امرأته
ولا يستحق حد الزنا مع ذلك وعلى هذا فمن لبس في الصلاة ما يحرم
فيها وفي غيرها كالثياب التي فيها خيلاء وفخر كالمسبل والحرير كان أحق
ببطلان الصلاة من ثوب النجس في الحديث الذي في السنن إن الله
لا يقبل صلاة مسبل

وثوب النجس فيه نزاع وفي قدر النجاسة نزاع والصلاة في الحرير
للرجال من غير حاجة حرام بالنص والإجماع وكذلك البيع بعد النداء
إذا كان قد نهي عنه وهو يشغل عن الجمعة كان ذلك أوكد في النهي
وكل ما يشغل عنها فهو شر وفساد لا خير فيه والملك الحاصل بذلك كالملك
الذي لم يحصل إلا بمعصية الله ومعصية رسوله ومحادته كالذي لا يحصل إلا بغير
ذلك من المعاصي مثل الكفر والسحر والكهانة والفاحشة وقد قال

النبي صلى الله عليه وسلم حلوان الكاهن خبيث ومهر البغي خبيث

فإذا كنت لا أعطيك السلامة إن لم أترك الصلاة المفروضة كان حصول المال

بسبب ترك الصلاة كان حصول الحلوان والمهر بالكهانة والبغاء وكما لو

قيل له إن تركت الصلاة اليوم أعطيتك عشرة دراهم فإن ما يأخذه على

ترك الصلاة خبيث كذلك ما يملكه بالمعاوضة على ترك الصلاة خبيث ولو

استأجر أجيرا شرط أن لا يصلي كان هذا الشرط باطلا وكان

ما يأخذه عن العمل الذي يعمله بمقدار الصلاة خبيث مع أن جنس

العمل بالأجرة جائز كذلك جنس المعاوضة جائز لكن شرط أن

لا يتعدى على فرض الله وإذا حصل البيع في هذا الوقت وتعذر الرد

فله نظير ثمنه الذي أداه ويتصدق بالربح والبائع نظير سلعته ويتصدق

بالربح إن كان ربح ولو رضيا بذلك بعد الصلاة لم يسقط ذلك حق

الله فهو كما لو تراضيا بمهر البغي وهناك يتصدق به على أصح القولين

لا يعطى للزاني وكذلك في الخمر ونحو ذلك مما أخذ صاحبه منفعة

محرمة فلا يجمع له العوض والمعوض فإن ذلك أعظم إثما من بيعه فإذا

كان لا يحل أن يبيع خمرا بثمن فكيف إذا أعطى خمرا وأعطي الثمن

وإذا كان لا يحل للزاني أن يزني فكيف إذا أعطي وكيف يعطى ثمنا

وإن قيل لم يجب إخراج هذا لأن ذلك كان هو المصالح مشتركة

وكذلك هنا إذا كان قد دفع السلعة وقبض الثمن أربح واحد وأخذ سلعته

فإنه يتصدق بالربح ولم يعطه للمشتري فيكون إعانة له على الشراء

والمشتري إذا أخذ الثمن وبعد السلعة فإن باعها بربح تصدق به ولم يعطه

لانه يكون قد جمع [illegible] وقد تنازع الفقهاء

في [illegible] أولا [illegible] او

[illegible] لا [illegible] كما هو

[illegible] في [illegible] موضع

تمت الرسالة الحادية عشر

ويليه الرسالة الثانية عشر له أيضا

بسم الله الرحمن الرحيم

سئل شيخ الإسلام ابن تيمية رضي الله عنه عما يقع في كلام كثير من الفقهاء من قولهم هذا خلاف القياس لما ثبت بالنص أو قول الصحابة أو بعضهم وربما كان حكما مجمعا عليه

فمن ذلك قولهم تطهير الماء إذا وقع فيه نجاسة خلاف القياس بل وتطهير النجاسة على خلاف القياس والوضوء من لحوم الإبل على خلاف القياس والفطر بالحجامة على خلاف القياس والسلم على خلاف القياس والإجارة والحوالة والكتابة والمضاربة والمزارعة والمساقاة والقرض وصحة صوم المفطر ناسيا والمضي في الحج الفاسد كل ذلك على خلاف القياس وغير ذلك من الأحكام فهل هذا القول صواب أم لا وهل يعارض القياس الصحيح النص أم لا

فأجاب الحمد لله رب العالمين * أصل هذا أن تعلم أن لفظ القياس لفظ مجمل يدخل فيه القياس الصحيح والقياس الفاسد فالقياس الصحيح هو الذي وردت به الشريعة وهو الجمع بين المتماثلين والفرق بين المختلفين الأول قياس الطرد والثاني قياس العكس وهو من العدل الذي بعث الله به رسوله

{ فالقياس الصحيح } مثل أن تكون العلة التي علق بها الحكم في الأصل موجودة في الفرع من غير معارض في الفرع يمنع حكمها ومثل هذا القياس لا تأتي الشريعة بخلافه قط وكذلك القياس بإلغاء الفارق وهو أن لا يكون بين الصورتين فرق مؤثر في الشرع فمثل هذا القياس

لا في الشريعة بخلافه وحيث جاءت الشريعة باختصاص بعض الانواع بحكم يفارق به نظائره فلا بد أن يختص ذلك النوع بوصف يوجب اختصاصه بالحكم ويمنع مساواته لغيره لكن الوصف الذي اختص به قد يظهر لبعض الناس وقد لا يظهر وليس من شرط القياس الصحيح المعتدل أن يعلم صحته كل أحد فمن رأى شيئاً من الشريعة مخالفاً للقياس فانما هو مخالف للقياس الذي انعقد في نفسه ليس مخالفاً للقياس الصحيح الثابت في نفس الامر

وحيث علمنا ان النص جاء بخلاف قياس علمنا قطعاً انه قياس فاسد بمعنى ان صورة النص امتازت عن تلك الصور التي يظن انها مثلها بوصف أوجب تخصيص الشارع لها بذلك الحكم فليس في الشريعة ما يخالف قياساً صحيحاً لكن فيها ما يخالف القياس الفاسد وان كان من الناس من لا يعلم فساده

ونحن نبين أمثلة ذلك مما ذكر في السؤال فلمن قولهم المضاربة والمساقاة والمزارعة على خلاف القياس ظنوا أن هذه العقود من جنس الاجارة لانها عمل بعوض والاجارة يشترط فيها العلم بالعوض والمعوض فلما رأوا العمل في هذه العقود غير معلوم والربح فيها غير معلوم قالوا تخالف القياس وهذا من غلطهم فان هذه العقود من جنس المشاركات لا من جنس المعاوضات الخاصة التي يشترط فيها العلم بالعوضين والمشاركات جنس غير جنس المعاوضة وان قيل ان فيها شوب المعاوضة وكذلك المقاسمة جنس غير جنس المعاوضة المحضة وان كان فيها شوب معاوضة

حتى ظن بعض الفقهاء انها بيع يشترط فيها شروط البيع الخاص

﴿وايضاح هذا﴾ ان العمل الذي يقصد به المال ثلاثة أنواع * أحدها أن يكون العمل مقصودا معلوما مقدورا على تسليمه فهذه الاجارة اللازمة * والثاني أن يكون العمل مقصودا لكنه مجهول أو غرر فهذه الجعالة وهي عقد جائز ليس بلازم فاذا قال من رد عبدي الآبق فله مائة فقد يقدر على رده وقد لا يقدر وقد يرده من مكان قريب وقد يرده من مكان بعيد فلهذا لم تكن لازمة لكن هي جائزة فان عمل هذا العمل استحق الجعل والا فلا ويجوز أن يكون الجعل فيها اذا حصل بالعمل جزأ شائعا ومجهولا جهالة لا تمنع التسليم مثل أن يقول أمير الغزو من دل على حصن فله ثلث ما فيه ويقول للسرية التي يسريها لك خمس ما تغنمين أو ربعه وقد تنازع العلماء في سلب القاتل هل هو مستحق بالشرع كقول الشافعي أو بالشرط كقول أبي حنيفة ومالك على قولين هما روايتان عن أحمد فمن جعله مستحقا بالشرط جعله من هذا الباب ومن هذا الباب اذا جعل جعلا على شفاء المريض جاز كما أخذ أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لدى جعل لهم قطيع على شفاء سيد الحي فرقاه بعضهم حتى برئ فأخذوا القطيع فان الجعل كان على الشفاء لا على القراءة ولو استأجر طبيبا اجارة لازمة على الشفاء لم يجز لان الشفاء غير مقدور له فقد يشفيه الله وقد لا يشفيه فهذا ونحوه مما تجوز فيه الجعالة دون الاجارة اللازمة ﴿وأما النوع الثالث﴾ فهو ما لا يقصد فيه العمل بل المقصود المال وهو المضاربة فان رب المال ليس له

قصد في نفس عمل العامل كما للجاعل والمستأجر قصد في عمل العامل ولهذا لو عمل ما عمل ولم يربح شيئاً لم يكن له شيء وان سمي هذا جعالة بجزء مما يحصل من العمل كان نزاعا لفظيا بل هذه مشاركة هذا بنفع بدنه وهذا بنفع ماله وما قسم الله من ربح كان بينهما على الاشاعة ولهذا لا يجوز أن يخص أحدهما بربح مقدر لأن هذا يخرجهما عن العدل الواجب في الشركة وهذا هو الذي نهى عنه صلى الله عليه وسلم من المزارعة

فانهم كانوا يشترطون لرب المال زرع بقعة بعينها وهو ما ينبت على المياريب واقبال الجداول ونحو ذلك فنهى النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك ولهذا قال الليث بن سعد وغيره ان الذي نهى عنه صلى الله عليه وسلم هو أمر اذا نظر فيه ذو البصر بالحلال والحرام علم أنه لا يجوز أو كما قال فبين أن النهي عن ذلك موجب القياس فان مثل هذا لو شرط في المضاربة لم يجز لان مبنى المشاركات على العدل بين الشريكين فاذا خص أحدهما بربح دون الآخر لم يكن هذا عدلا بخلاف ما اذا كان لكل منهما جزء شائع فانهما يشتركان في المغنم وفي المغرم فان حصل ربح اشتركا في المغنم وان لم يحصل ربح اشتركا في الحرمان وذهب نفع بدن هذا كما ذهب نفع مال هذا ولهذا كانت الوضيعة على المال لان ذلك في مقابلة ذهاب نفع العامل ولهذا كان الصواب أنه يجب في المضاربة الفاسدة ربح المثل لا أجرة المثل فيعطي العامل ما جرت به العادة أن يعطاه مثله من الربح اما نصفه واما ثلثه واما ثلثاه وأما أن يعطي شيئا مقدر

مضمونا في ذمة المستأجر كما في الإجارة والحوالة وهذا غلط ممن قاله وسبب الغلط ظنه أن هذه إجارة فيجب أن يكون فيها عوض معلوم كما يجب في المسمى الصحيح * ومما يبين خطأ هذا القول أن العامل قد يعمل عشر سنين أو أكثر فلو أعطي أجرة المثل لأعطي أضعاف رأس المال وهو في الصحيحة لا يستحق إلا جزءاً من الربح إن كان هناك ربح فكيف يستحق في الفاسدة أضعاف ما يستحقه في الصحيحة

وكذلك من ظن أن المزارعة والمساقاة ونحوهما إجارة بعوض مجهول فيكون فاسداً وصححها منهم من صححها استحساناً كالمساقاة على الشجر لعدم إمكان إجارتها بخلاف الأرض فإنه يمكن إجارتها وجوزوا من المزارعة ما يكون تبعاً للمساقاة إما مطلقاً وإما إذا كان البياض الثلث وهذا كله بناء على هذا الأصل الذي ظنوه وهو أن هذه إجارة بعوض مجهول ومن أعطى النظر حقه علم أن المزارعة أبعد من الظلم والقمار من الإجارة بأجرة مسماة مضمونة في الذمة فإن المستأجر إنما يقصد الانتفاع بالزرع النابت في الأرض فإذا وجبت عليه الأجرة ومقصوده من الزرع قد يحصل وقد لا يحصل كان في هذا حصول أحد المتعاوضين على مقصوده دون الآخر وأما المزارعة فإن حصل الزرع اشتركا فيه وإن لم يحصل شيء اشتركا في الحرمان فلا يختص أحدهما بحصول مقصوده دون الآخر فهذا أقرب إلى العدل وأبعد عن الظلم من الإجارة والأصل في العقود جميعها هو العدل فإنه بعث به الرسل وأنزل الكتب قال تعالى لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم

الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط) والشارع نهى عن الربا لما فيه من الظلم وعن الميسر لما فيه من الظلم والقرآن جاء بتحريم هذا وهذا وكلاهما أكل المال بالباطل وما نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم من المعاملات كبيع الغرر وبيع الثمر قبل بدو صلاحه وبيع السنين وبيع حبل الحبلة وبيع المزابنة والمحاقلة ونحو ذلك هي داخلة إما في الربا وإما في الميسر فالإجارة بالأجرة المجهولة مثل أن يكريه الدار بما يكسبه المكري في حانوته من المال هو من الميسر فهذا لا يجوز وأما المضاربة والمساقاة والمزارعة فليس فيها شيء من الميسر بل هو من أقوم العدل وهذا مما يبين لك أن المزارعة التي يكون فيها البذر من العامل أحق بالجواز من المزارعة التي يكون فيها من رب الأرض ولهذا كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يزرعون على هذا الوجه وكذلك عامل النبي صلى الله عليه وسلم أهل خيبر بشطر ما يخرج منها من ثمر وزرع على أن يعمروها من أموالهم والذين اشترطوا أن يكون البذر من رب الأرض قاسوا ذلك على المضاربة فقالوا في المضاربة المال من واحد والعمل من آخر وكذلك ينبغي أن يكون في المزارعة وجعلوا البذر من رب المال كالأرض وهذا قياس مع أنه مخالف للسنة ولأقوال الصحابة فهو من أفسد القياس وذلك أن المال في المضاربة يرجع إلى صاحبه ويقتسمان الربح فهو نظير الأرض في المزارعة وأما البذر الذي لا يعود نظيره إلى صاحبه بل يذهب كما يذهب نفع الأرض فإلحاقه بالنفع الذاهب أولى من إلحاقه بالأصل الباقي فالعامل إذا أخرج البذر ذهب عمله وبذره

ورب الأرض ذهب نفع أرضه وبذر هذا كأرض هذا فمن جعل البذر كالأصل كان ينبغي له أن يعيد مثل البذر إلى صاحبه كما قال مثل ذلك في المضاربة فكيف ولو اشترط رب البذر نظير عود بذره إليه لم يجوزوا ذلك وليس هذا موضع بسط هذه المسائل وإنما الغرض التنبيه على جنس قول القائل هذا يخالف القياس

(فصل) وأما الحوالة فمن قال تخالف القياس قال إنها بيع دين بدين وذلك لا يجوز وهذا غلط من وجهين أحدهما أن بيع الدين بالدين ليس فيه نص عام ولا إجماع وإنما ورد النهي عن بيع الكالئ بالكالئ والكالئ هو المؤخر الذي لم يقبض بالمؤخر الذي لم يقبض وهذا كما لو أسلم شيئاً في شيء في الذمة وكلاهما مؤخر فهذا لا يجوز بالاتفاق وهو بيع كالئ بكالئ وأما بيع الدين بالدين فينقسم إلى بيع واجب بواجب كما ذكرناه وينقسم إلى بيع ساقط بساقط وساقط بواجب وهذا فيه نزاع * الوجه الثاني أن الحوالة من جنس إيفاء الحق لا من جنس البيع فإن صاحب الحق إذا استوفى من المدين ماله كان هذا استيفاء فإذا أحاله على غيره كان قد استوفى ذلك الدين عن الدين الذي له في ذمة المحيل ولهذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم الحوالة في معرض الوفاء فقال في الحديث الصحيح مطل الغني ظلم وإذا أتبع أحدكم على مليء فليتبع فأمر المدين بالوفاء ونهاه عن المطل وبين أنه ظالم إذا مطل وأمر الغريم بقبول الوفاء إذا أحيل على مليء وهذا كقوله تعالى فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان أمر المستحق أن يطالب بالمعروف وأمر

المدين أن يؤدي بالحسان ووفاء الدين ليس هو البيع الخاص وان كان

فيه شوب المعاوضة وقد ظن بعض الفقهاء ان الوفاء انما يحصل باستيفاء

الدين بسبب أن عرضه اذا قبض الوفاء صار في ذمته للمدين مثله يتقاص

ما عليه وهذا تكلف انكره جمهور الفقهاء وقالوا بل نفس المال

الذي قبضه يحصل به الوفاء ولا حاجة أن يقدر في ذمته ثبوت دين

وأن يقدر أن يكون وفاء الدين بدين وهذا لا حاجة اليه بل الدين

من جنس المطلق الكلي والمعين من جنس المعين فمن ثبت في ذمته

دين مطلق كلي مقصوده منه نوع ذلك الكلي وجودة وأي معين استوفاه

حصل به المقصود من ذلك الدين المطلق

﴿ فصل ومن هذا القرض خلاف الدين ﴾ فان القرض هو نوع

تبرعه من غير قصد وهو عقد قرض من جنس التبرع بالمنافع

كالعارية وهذا سماه النبي صلى الله عليه وسلم منيحة فقال أو منيحة

ذهب أو منيحة ورق وهو عارية أصله أن يعطيه أصلا لينتفع

بما يستخلف منه ثم يعيده اليه فتارة يتمتع بالمنافع كما في عارية العقار وتارة

يمنحه ماشية ليشرب لبنها ثم يعيدها وتارة يعيره شجرة ليأكل ثمرها

ثم يعيدها فان هذه تستخلف شيئا بعد شيء بمنزلة المنافع ولهذا

كان في الوقف يجري مجرى المنافع وقرض يقرضه ما يقرضه لينتفع

به ثم يعيده اليه بدون عده الى مثل سوم منه من عده امين ولهذا يجب أن

يرده عينا على ذلك كما يشترط في العارية أن يرد مع الاصل غيره

وثمرة من منفعة سواء كان ولا لأن يع ديهم منه من كل وجه الى

أحل ولا يباع شيء بجنسه في أحل الا مع اختلاف الصفة أو القدر كما
يباع نقد بنقد آخر وصحيح بمكسور ونحو ذلك ولكن قد يكون الغرض
[illegible] كما في السفتجة [illegible] وهذا كرهها من كرهها والصحيح
أنها لا تكره لأن المقرض ينتفع بها أيضاً ففيها منفعة لهما جميعاً اذا أقرضه

(فصل) وأما قول من قال ان الاجارة على خلاف القياس
والنكاح على خلاف القياس ونحو ذلك فهو من أفسد الأقوال وشبهتهم
[illegible] الابدال [illegible] والنكاح فيه بذل المرأة وشرف [illegible]
[illegible] في الابدال وهذا [illegible] من مصاحبة شخص [illegible]
الانسان [illegible] الذي فيه من كون [illegible] يقوم على الذي هو من
الحكمة [illegible] مصاحبة [illegible] فضلاً عن نوع الانسان
ومثل هذا الابدال لا يبقي [illegible] كما لا يمنع ان يعوض [illegible]
اذا احتاج الى ذلك وان يأكل ويشرب وان كان [illegible] ذلك
أكثر [illegible] ما احتاج اليه الانسان وجعلت له فيه مصلحته وفيه لا يجوز
[illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

من قول الماء لا ينجس إلا بالتغير ومن سلم الأصل قال ليس جعل الإزالة
مختصة بالماء بأولى من جعل نجس بالماء مختصا بالقياس فإن سائر الأشياء
يقتضي ... لا ينجس كما أنها لا تزيلها حال الإزالة لا تنجس
فهذا ... أصح من ذلك ... والإجماع
وأما نجس الماء بملاقاة فمورد نزاع وكيف يجعل موقع النزاع حجة على
مواقع الإجماع والقياس أن تقاس موارد النزاع على مواقع الإجماع ثم
يقال الذي تقتضيه العقول أن الماء إذا لم تغيره النجاسة لا ينجس فإنه باق على
أصل خلقته وهو طيب داخل في قوله تعالى (ويحل لهم الطيبات ويحرم
عليهم الخبائث) وهذا هو القياس في عامة المائعات ... وقعت فيها نجاسة
فاستحالت حتى لا يظهر طعمها ولا لونها ولا ريحها أن لا ينجس وقد تنازع
الفقهاء هل القياس يقتضي نجاسة الماء بملاقاة النجاسة إلا ما استثناه الدليل
أو القياس يقتضي أنه لا ينجس إلا بالتغير على قولين والأول قول أهل
العراق والثاني قول أهل الحجاز وفقهاء الحديث منهم من يختار هذا
ومنهم من يختار هذا وهم أهل الحجاز وهو الصواب الذي تدل عليه
الأصول والنصوص والمعقول فإن الله تعالى أباح الطيبات وحرم الخبائث والطيب
والخبث يثبت بصفات قائمة بالشيء فما دام على حاله فهو طيب فلا وجه
لتحريمه وهذا ... [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

من قال الماء إذا كان في مورد التطهير لإزالة الخبث أو الحدث لم يثبت له حكم النجاسة ولا الاستعمال إلا إذا انفصل وما قبل الانفصال لا يكون مستعملا ولا نجساً وهذا حكاه مذهب ليس فيه حجة ومنهم من قال الماء في حال الإزالة جار والماء الجاري لا يحمل إلا بالتغير وهو مذهب أبي حنيفة ومالك وهو أنص الروايتين عن أحمد وهو القول القديم للشافعي ولكن إزالة النجاسة تارة تكون بالجريان وتارة تكون بدونه كما لو صب الماء على الثوب في الطست

والصواب أن مقتضى القياس أن الماء لا يحمل إلا بالتغير والنجاسة لا ريب به حتى يكون غير متغير وأما في حال مروره فهو يحمل لكن يخف به النجاسة وأما الإزالة فإذا حصل الماء لدى النجس تغير وهذا القياس في الماء هو القياس في المائعات كلها أنها لا تنجس إذا استحالت النجاسة فيها ولم يبق لها فيها أثر فإنها حينئذ من الطيبات لا من الخبائث وهذا القياس هو القياس في باب الماء وكثيره وقليل المائع وكثيره فمن قال [illegible]

[illegible]

وهذا [illegible] في [illegible] أهل المدينة و[illegible] أنه لا يحمل إلا [illegible] وهو إحدى الروايتين عن الإمام أحمد [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible]

[illegible]

اليه حكم الحاجة ونهيه صلى الله عليه وسلم عن البول في الماء الدائم
أو عن الاغتسال فيه لايدل على أنه صار نجساً بذلك بل قد نهى عنه
لما يفضي إليه البول بعد البول من افساده أو لما يؤدي الى الوسواس
كما نهى عن بول الرجل في مستحمه وقال عامة الوسواس منه ونهيه
عن الاغتسال قد جاء فيه انه نهى عن الاغتسال فيه بعد البول فيه
أشبه نهيه عن بول الانسان في مستحمه

(وقد) ثبت في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم انه سئل عن
فأرة وقعت في سمن فقال ألقوها وما حولها وكلوا سمنكم والطريق
يروى فيه ان كان جامداً فألقوها وما حولها وان كان مائعاً فلا تقربوه
عنه كما رواه البخاري والترمذي وغيرهما وهو من غلط معمر فيه وابن
عباس راويه أفتى في فأرة ماتت في سمن تلقى وما حولها وتؤكل فقيل له انها
قد دارت فيه فقال إنما كان ذلك وهي حية وإنما ماتت حيث وجدت رواه أحمد
في مسائل صالح وكذلك الزهري راوي الحديث أفتى في الجامد
والمائع والكثير والقليل سمناً كان أو زيتاً أو غير ذلك بأن تلقى وما
قرب منها وتؤكل بقيته واحتج بالحديث فكيف قد يكون روى
فيه الفرق

وحديث القلتين ان صح عن النبي صلى الله عليه وسلم يدل على
ذلك فانه قال فيه اذا بلغ الماء قلتين لم يحمل الخبث وفي لفظ آخر
لم ينجسه شيء وحمله الخبث هو كونه الخبث فيه محمولاً فمتى
كان مستهلكاً فيه لم يكن محمولاً فمفهوم الحديث وإنه لم يدل على ذلك

واما تخصيص القلتين بالذكر فانهم سألوه عن الماء يكون بأرض الفلاة وما ينوبه من السباع والدواب وذلك الماء الكثير في العادة فبين صلى الله عليه وسلم ان مثل ذلك لا يكون فيه خبث في العادة بخلاف القليل فانه قد يحمل الخبث وقد لا يحمله فان الكثرة تعين على احالة الخبث الى طبعه ومفهوم لا يجب فيه العموم فليس اذا كان القلتان لا تحمل الخبث يلزم أن ما دونهما يلزمه مطلقا على أن التخصيص وقع جوابا لأناس سألوه عن مياه معينة فقد يكون التخصيص لان هذه كثيرة لا تحمل الخبث والمثال كثير ولا يلزم أن لا يكون كثير الا القلتين ولا فلو كان هذا حدا فاصلا بين الحلال والحرام لذكره ابتداء ولان الحدود الشرعية تكون معروفة كنصاب الذهب والعشرات ونحو ذلك والماء الذي تقع فيه النجاسة لا يعلم كيله لا خرصا ولا تمكن كيله في العادة فكيف يفصل بين الحلال والحرام بما يتعذر معرفته على عامة الناس في غالب الاوقات وقد أطلق في غير حديث قوله الماء طهور لا ينجسه شيء والماء لا يجنب ولم يقدره مع ان [illegible] وقت الحاجة لا يجوز وما فوق هذا الحديث موافق [illegible] ومفهومه قد يدل عنده من ثبوت دلالة المفهوم اذ لم يكن هناك سبب يوجب تخصيص المذكور لاختصاصه بالحكم وهذا لا نعرفه

وحديث الامر باراقة الاناء من ولوغ الكلب لان الآنية في العادة [illegible] فيها الكلب في الغالب صغيرة ولعابه لزج يبقى في الاناء ويتصل بالماء ويرى الماء وغسل الاناء من ريقه الذي لم يستحل بعد بخلاف ما اذا وقع في

اناء كبير وقد نقل حرب عن أحمد في كتاب ولغ في حب كبير فيه زيت فأمره بأكله وبسط هذه المسائل له موضع آخر وانما المقصود التنبيه على مخالفة القياس ومواقعه

(فصل) وقول القائل ان تطهير النجاسة على خلاف القياس هو بناء على هذا الاصل الفاسد والاقرب من ذلك قول من قال ان النجاسة لا تزول الا بالنية فالقياس عنده تطهيره فان الحكم اذا ثبت بعلة زال بزوالها واذا كانت العلة المعنى قد زال التغير زالت النجاسة كما زالت لما كانت في الخمر الشدة المطربة فاذا زالت طهرت كيف والنجاسة في الماء واردة عليه كنجاسة الارض ولكن قد قال هذا مبني على مسئلة الاستحالة وفيها نزاع مشهور فيه مذهب مالك وأحمد قولان ومذهب أبي حنيفة وأهل الظاهر أنها تطهر بالاستحالة ومذهب الشافعي لا تطهر بالاستحالة وقول القائل بها تطهر بالاستحالة أصح فان النجاسة اذا صارت ملحاً أو رماداً فقد تبدلت الحقيقة وتبدل الاسم والصفة فالنصوص المتناولة بتحريم الميتة والدم ولحم الخنزير لا تتناول الملح والرماد والتراب لا لفظا ولا معنى والمعنى الذي لاجله كانت تلك الاعيان خبيثة معدوم في هذه الاعيان فلا وجه لقول بأنها خبيثة نجسة والذين فرقوا بين ذلك وبين الخمر قالوا الخمر نجست بالاستحالة فطهرت بالاستحالة فيقال لهم وكذلك البول والدم والعذرة انما نجست بالاستحالة فينبغي أن تطهر بالاستحالة

(فصل) ومن قول القائل ان التوضؤ من لحوم الابل على خلاف

القياس فهذا انما قاله لانه لحم والمحرم لا يتوضأ منه وصاحب الشرع
قد فرق بين لحم الغنم ولحم الابل كما فرق بين معاطن هذه ومبارك
هذه فأمر بالصلاة فى هذا ونهى عن الصلاة فى هذا فدعوى المدعى
أن هذا من التسوية بينهما من جنس قول الذين قالوا انما البيع مثل
الربا وأحل الله البيع وحرم الربا والفرق بينهما ثابت في نفس الامر
كما فرق بين أصحاب الابل وأصحاب الغنم فقال الفخر والخيلاء فى
الفدادين أصحاب الابل والسكينة فى أهل الغنم وروى فى الابل انها جن
خلقت من جن وروى على ذروة كل بعير شيطان فلابد فيها قوة
شيطانية والغاذى شبيه بالمغتذى ولهذا حرم كل ذى ناب من السباع
وكل ذى مخلب من الطير لانها دواب عادية فالاغتذاء بها تجعل فى خلق
الانسان من العدوان ما يضره فى دينه فنهى الله عن ذلك لان المقصود
أن يقوم الناس بالقسط والابل اذا أكل منها تبقى فيه قوة شيطانية وفى
الحديث الذى فى السنن عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال الغضب من
الشيطان والشيطان خلق من النار وانما تطفأ النار بالماء قال النبى صلى
الله عليه وسلم فاذا غضب أحدكم فليتوضأ فاذا توضأ بعد أكل لحوم
الابل كان فى ذلك من اطفاء القوة الشيطانية ما يزيل المفسدة بخلاف
من لم يتوضأ منها فان الفساد حاصل معه ولهذا كانت الاعراب
بأكلهم لحوم الابل مع عدم الوضوء منها صار فيهم من الحقد ما صار
وهذا أمر بالوضوء مما مست النار وهو حديث صحيح وقد ثبت في
أحاديث صحيحة أنه أكل مما مست النار ولم يتوضأ فقيل ان الاول

منسوخ لكن لم يثبت أن ذلك متقدم على هذا بل رواه أبو هريرة
وإسلامه متأخر عن تاريخ بعض تلك الأحاديث كحديث السواق الذي
كان يحميه فيه كان قبل إسلام أبي هريرة وقيل بل الأمر بالوضوء مما
مست النار استحباب كالأمر بالوضوء من الغضب وهذا أظهر القولين
وهما وجهان في مذهب أحمد فإن النسخ لا يصار إليه إلا عند تنافي
والتاريخ وكلاهما منتف بخلاف حمل الأمر على الاستحباب فإن له نظائر
كثيرة

وكذلك الوضوء من مس الذكر ومس النساء هو من هذا الباب
لما فيه من تحريك الشهوة فالتوضؤ مما يحرك الشهوة كالوضوء من
الغضب وما مسته النار هو من هذا الباب فإن الغضب من الشيطان والشيطان
من نار وأما لحم الإبل فقد قيل الوضوء منه مستحب لكن فرق النبي
صلى الله عليه وسلم بينه وبين لحم الغنم مع أن ذلك مسته النار والوضوء
منه مستحب دل على الاختصاص وما فوق الاستحباب إلا الإيجاب ولأن
الشيطنة في الإبل لازمة وفيما مسته النار عارضة ولهذا نهى عن الصلاة
في أعطانها لأنها مأوى الشياطين بخلاف الصلاة في مباركها في السفر
فإنه جائز لأنه عارض والحشوش محتضرة فهي أولى بالنهي من أعطان
الإبل وكذلك جاءت الشبهة في الوضوء من اللحوم الخبيثة عن
أحمد روايتان بناء على أن الحكم مما عقل معناه فيتعدى أو ليس كذلك
والخبائث التي تباح للضرورة كلحوم السباع أبلغ في الشيطنة من لحوم
الإبل فالوضوء منها أولى

وقد تنازع العلماء في الوضوء من النجاسة الخارجة من غير السبيلين كالفصاد والحجامة والجرح والقيء والوضوء من مس النساء لشهوة وغير شهوة والوضوء من مس الذكر والتوضؤ من القهقهة فمن أصحابه كان يتوضأ من مس الذكر كسعد وابن عمر وكثير منهم لم يكن يتوضأ منه والوضوء منه هل هو واجب أو مستحب فيه عن مالك وأحمد روايتان ووجهان قول الشافعي وعدم الايجاب مذهب أبي حنيفة وكذلك مس النساء لشهوة اذا قيل باستحبابه فهذا متوجه وأما وجوب ذلك فلا يقوم الدليل الا على خلافه ولا يقدر أحد قط أن ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يأمر أصحابه من مس النساء ولا من النجاسات الخارجة لعموم البلوى بذلك وقوله تعالى (أو لامستم النساء) المراد به الجماع كما فسره بذلك ابن عباس وغيره لوجوه متعددة وقوله صلى الله عليه وسلم للمستحاضة انما ذلك عرق وليس بالحيضة تعليل لعدم وجوب الغسل لا لوجوب الوضوء فان وجوب الوضوء لا يختص بدم العروق بل كان قد ظن أن ذلك الدم هو دم الحيض الذي يوجب الغسل فبين له النبي صلى الله عليه وسلم أن هذا ليس هو دم الحيض الذي يوجب الغسل فان ذلك يخرج من الرحم كما قال وانما هذا دم عرق انفجر في الرحم ودماء العروق لا توجب الغسل وهذه مسائل مبسوطة في مواضع أخر

والمقصود هنا التنبيه على فساد من يدعي النص في معاني الشريعة أو أخلاطها وزعم أن الشرع فرق بين متماثلين بل بينا

محمد صلى الله عليه وسلم بعث بالهدى ودين الحق بالحكمة والعدل
والرحمة فلا يفرق بين شيئين في الحكم إلا لافتراق صفاتهما المناسبة
للفرق ولا يسوى بين شيئين إلا لاشتراكهما في الصفات المناسبة للتسوية

والأظهر أنه لا يجب الوضوء من مس الذكر ولا النساء ولا
خروج النجاسات من غير السبيلين ولا القهقهة ولا غسل الميت فإنه
ليس مع الموجبين دليل صحيح بل الأدلة الراجحة تدل على عدم
الوجوب لكن الاستحباب متوجه ظاهر فيستحب أن يتوضأ من مس
النساء لشهوة ويستحب أن يتوضأ من الحجامة والقيء ونحوهما كما في
السنن أن النبي صلى الله عليه وسلم قاء فتوضأ والفعل إنما يدل على
الاستحباب ولم يثبت عنه أنه أمر بالوضوء من الحجامة ولا أمر
أصحابه بالوضوء إذا خرجوا مع كثرة الجراحات والصحابة فدل على
أن الوضوء لا يجب وكذلك القهقهة في الصلاة ذنب وتشرع لكل من
أذنب أن يتوضأ وفي استحباب الوضوء من القهقهة وجهان في مذهب
أحمد وغيره وأما الوضوء من الحدث الدائم لكل صلاة ففيه أحاديث
متعددة عن النبي صلى الله عليه وسلم قد صحح بعضها غير واحد من
العلماء فقول الجمهور الذين يوجبون الوضوء لكل صلاة أظهر وهو
مذهب أبي حنيفة والشافعي وأحمد والله أعلم

(فصل) وأما الحجامة فالذين اعتقدوا أن الفطر بها مخالف للقياس
من غير ... بالفطر خرج لاستدلال وهؤلاء أشكل عليهم القيء
والاحتلام ودم الحيض والنفاس وأما من تدبر أصول الشرع ومقاصده

فإنه رأى الشارع قد أمر بالصوم وأمر فيه بالاعتدال حتى كره الوصال
وأمر بتعجيل الفطر وتأخير السحور وجعل أعدل الصيام وأفضله
صيام داود وكان من العدل أن لا يخرج من الإنسان ما هو قيام قوته
كالقيء يخرج الغذاء والاستمناء يخرج المني والحيض يخرج الدم وبهذه
الأمور قوام البدن لكن فرق بين ما يمكن الاحتراز منه وما لا يمكن
ولا يمكن الاحتراز منه وكذلك من ذرعه القيء وكذا دم
الاستحاضة فإنه ليس له وقت معين بخلاف دم الحيض فإن له وقتاً معيناً
والمحتجم أخرج دمه وكذلك المفتصد بخلاف من خرج دمه بغير
اختياره كالجروح فإن هذا لا يمكن الاحتراز منه وكانت الحجامة من
جنس القيء والاستمناء والحيض وكان خروج دم الجرح من جنس
الاستحاضة والاحتلام وذرع القيء فقد تناسبت الشريعة وتشابهت ولم
تخرج عن القياس والأظهر أنه لا يفطر بالكحل ولا بمداواة المأمومة في
الإحليل ولا بابتلاع ما لا يغذي كالحصاة ولكن يفطر بالسعوط لقوله
وبالغ في الاستنشاق إلا أن تكون صائماً

فصل وأما قولهم السلم على خلاف القياس فقولهم هذا من
جنس ما رووا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا تبع ما ليس عندك
وأرخص في السلم وهذا لم يرو في الحديث وإنما هو من كلام بعض
الفقهاء وذلك أنهم قالوا البيع السلم بيع الإنسان ما ليس عنده ويكون مخالفاً
للقياس ونهي النبي صلى الله عليه وسلم حكيم بن حزام عن بيع ما ليس
عنده إما أن يراد به بيع عين معينة فيكون قد باع مال الغير قبل أن يشتريه

وفيه نظر واما ان يراد به بيع ملا يقدر على تسليمه وان كان في الذمة وهذا أشبه فيكون قد ضمن له شيئا لا يدرى هل يحصل أولا يحصل وهذا في السلم الحال اذا لم يكن عنده مايوفيه والمناسبة فيه ظاهرة فاما السلم المؤجل فانه دين من الديون وهو كالابتداع شيئ مؤجل فاي فرق بين كون احد العوضين مؤجلا في الذمة وكون العوض الآخر مؤجلا في الذمة وقد قال الله تعالى (اذا تداينتم بدين الى اجل مسمى فاكتبوه) وقال ابن عباس اشهد ان السلف المضمون في الذمة حلال في كتاب الله وقرأ هذه الآية فاذا هذا على وفق القياس لا على خلافه

﴿ فصل ﴾ واما الكتابة فمن قال هي خلاف القياس لكونها بيع ماله بماله وليس كذلك بل يبيعه نفسه بمال في الذمة والسيد لاحق له في ذمة العبد وانما حقه في بدنه فان السيد حقه مالية العبد في انسانيته فهو من حيث هو مؤمن وهي انسان مكلف ويلزمه الاعان والصلاة والصوم لانه انسان والذمة للعهد وانما يطالب العبد بالوفاء به بعد عتقه وحينئذ لا ملك للسيد عليه والكتابة بيعه نفسه بمال في ذمته ثم اذا اشترى نفسه كان كسبه له ونفعه له وهو حادث على ملكه الذي استحقه بعقد الكتابة لكن لا يعتق فيها الا بالاداء لان السيد لم يرض بخروجه من ملكه الا بان يسلم له العوض فمتى لم يحصل له العوض وعجز عنه كان له الرجوع في البيع وهذا هو القياس في المعاوضات ولهذا نقول اذا عجز المشترى عن الثمن الاول فانه كان له الرجوع في

المبيع فالعبد المكاتب مشترٍ لنفسه فيحرره عن أداء العوض كعجز
المشتري وهذا أساس في جميع المعاوضات إذا عجز المعاوض عما عليه
من العوض كان للآخر الرجوع في عوضه ويدخل في ذلك عجز
الرجل عن الصداق وعجز الزوج عن النفقة ويرده عجز الرجل
عن الوطء في الحال والصحيح [illegible]

﴿فصل﴾ وأما الإجارة فالذين قالوا هي على خلاف القياس قالوا
هي بيع معدوم لأن المنافع معدومة حين العقد وبيع المعدوم لا يجوز
ثم إن من الناس من جعل إجارة الظئر للرضاع في قوله تعالى (فإن أرضعن
لكم فآتوهن أجورهن) فإن كثيراً من الفقهاء يقولون إجارة الظئر للرضاع
على خلاف القياس لأن الإجارة عقد على منفعة وإجارة الظئر عقد
على اللبن واللبن من باب الأعيان لا من باب المنافع ومن العجب أنه ليس
في القرآن ذكر إجارة جائزة إلا هذه وقالوا هذه خلاف القياس والشيء
إنما يكون خلاف القياس إذا كان النص قد جاء في موضع بحكم وجاء في
موضع [illegible] خلاف [illegible] وليس
في القرآن ذكر الإجارة [illegible]
الإجارة [illegible]
[illegible] ولا في [illegible]
[illegible] الإجارة [illegible] التي هي [illegible]
[illegible]
هؤلاء أن الإجارة على خلاف [illegible]

على القياس الذي يعتمدونه تارة يعودون عليه فيها هو القائم الذي
أو وضعه في حجر أو نحو ذلك من المنافع التي هي مقدمات الرضاع
ومقصود الرضاع ... ليس مقصوداً بعقد الاجارة
ولا هي ... مقصود ولا معقود عليه ولا ...
أصلا وإنما هو كفتح الباب لمن أراد ... وكقعود ...
من أكرى داره ومقصوده هو السكنى ومقصود هذا هو الركوب
وإنما هذه الاعمال مقدمات ووسائل الى المقصود بالعقد ثم هؤلاء الذين
حملوا الاجارة الظئر على خلاف القياس طردوا ذلك في مثل ماء البئر
والعيون التي تنبع في الارض فقالوا أدخلناه ضمنا وتبعاً في الصحيح
ان العقد اذا وقع على عين البئر كالذي يعقد على عين تنبع لسقي بها
بستانه أو ليسوقها الى مكانه ليشرب منها ويتبع ماؤها قالوا المعقود عليه
الاجر في الارض أو نحو ذلك مما يتكلمون به وخرجوا الماء المقصود
بالعقود عن أن يكون معقوداً عليه

ونحن على هذين الأصلين على قول من جعل الاجارة على خلاف
القياس وعلى قول من جعل اجارة الظئر ونحوها على خلاف القياس
أما الاول فمقول قولهم الاجارة بيع معدوم وبيع المعدوم على خلاف
القياس مقدمتان ... قال قوم الاجارة بيع ان أرادوا
... أراد وا ...
... في ...
... لا في ...

ولما كان لفظ البيع يحتمل هذا وهذا تنازع الفقهاء في الاجارة هل تنعقد بلفظ البيع على وجهين والتحقيق أن المتعاقدين ان عرفا المقصود انعقدت بأي لفظ من الالفاظ عرف به المتعاقدان مقصودهما انعقدت به العقد وهذا عام في جميع العقود فان الشارع لم يحد في ألفاظ العقود حدا بل ذكرها مطلقة فكما تنعقد العقود بما يدل عليها من الالفاظ الفارسية والرومية وغيرهما من الالسن العجمية فهي تنعقد بما يدل عليها من الالفاظ العربية ولهذا وقع الطلاق والعتاق بكل لفظ يدل عليه وكذلك البيع وغيره وطرد هذا النكاح فان أصح قولي العلماء أنه ينعقد بكل لفظ يدل عليه لا يختص بلفظ الانكاح والتزويج وهذا مذهب جمهور العلماء كأبي حنيفة ومالك وهو أحد القولين في مذهب أحمد بل نصوصه تدل على هذا الوجه وأما الوجه الآخر من أنه لا ينعقد الا بلفظ الانكاح والتزويج فهو قول أبي عبد الله بن حامد وأتباعه كالقاضي أبي يعلى ومتبعيه وأما قدماء أصحاب أحمد وجمهورهم فلم يقولوا بهذا الوجه ونص أحمد في غير موضع على أنه اذا قال أعتقت أمتي وجعلت عتقها صداقها انعقد النكاح وليس فيه لفظ انكاح وتزويج وهذا ذكره ابن عقيل وغيره [illegible] على [illegible] النكاح [illegible] وابن حامد [illegible] [illegible] وجعلها [illegible] أبو [illegible] [illegible] من [illegible] النكاح [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] على [illegible] [illegible] [illegible] فهو

لا يرى اختصاصها بالصريح ومن أصله ان الكناية مع دلالة الحال

كالصريح لا تفتقر الى اظهار النية ولهذا قال بذلك في الطلاق والقذف

وغير ذلك والذين قالوا ان النكاح لا ينعقد الا بلفظ الانكاح والتزويج

من أصحاب الشافعي [illegible] بعض [illegible] والكناية لا يثبت

حكمها [illegible] والشهادة انما

تقع على سمع [illegible] أصحاب [illegible] عقد النكاح

بالعربية [illegible] أصول أحمد [illegible]

[illegible] هذه المذهب [illegible] على [illegible]

[illegible] كناية فاما [illegible] ان [illegible] ألفاظ الصريح والكناية [illegible] تعرف

[illegible] كما يقوله الشافعي ومن وافقه من أصحاب أحمد كالخرقي والقاضي

[illegible] وغيرهم [illegible] صريح [illegible] الطلاق هو الطلاق والفراق والسراح

[illegible] وغيرهما

[illegible] أصحاب أحمد [illegible] وغيرهم ولا

[illegible] من يقول الصريح هو لفظ الطلاق

[illegible] وغيرهما من أصحاب أحمد

و [illegible] أصحاب الشافعي [illegible] من يقول ان الصريح [illegible] من هذه

[illegible] وغيره من أصحاب أحمد

[illegible] المذكور من الصريح [illegible]

[illegible] صريحه في [illegible]

[illegible] في [illegible]

قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فمتعوهن وسرحوهن سراحاً جميلاً) فأمر بتسريحهن بعد الطلاق قبل الدخول وهو طلاق بائن لا رجعة فيه وليس التسريح هنا بطلاق [illegible] في المسلمين وقال تعالى (وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف) وفي الآية الأخرى (أو فارقوهن بمعروف) فالمفارقة والتسريح ليس المراد به هنا طلاق فإن المطلقة رجعية فهو مخير بين رجعتها وبين تخليتها [illegible] لا يحتاج [illegible]

وهذه [illegible] ولا بد من كون اللفظ صريحاً في خطاب الشارع أن يكون صريحاً في خطاب كل من يتكلم وسط هذا الموضع [illegible] والمقصود هنا [illegible] الآخرة [illegible] به النسخ خاص وهو الذي يفهم من لفظ النسخ عند الإطلاق فمن [illegible] فإن ذلك لا يعتمد على [illegible] أو معروفة في الأمة وإن [illegible]

[illegible] على الأعيان [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] في [illegible]

[illegible] وجودها

فلا يتصور ان يبع المنافع في حال وجودها كما يباع الاعيان في حال وجودها والشارع أمر الانسان أن يؤخر العقد على الاعيان التي لم تخلق الى أن تخلق فنهى عن بيع السنين وبيع حبل الحبلة وبيع الثمر قبل بدو صلاحه وعن بيع الحب حتى يشتد ونهى عن بيع المضامين والملاقيح وعن المجر وهو الحمل وهذا كله نهى عن بيع حيوان قبل أن يخلق وعن بيع الحب والثمر قبل أن يخلق وأمر بتأخير بيعه الى أن يخلق وهذا التفصيل وهو منع بيعه في الحال واجارته في حال عدمه منتف في المنافع فانه لا يمكن أن تباع الا هكذا فبقاء حكم الاصل مساويا لحكم الفرع الا أن يقال فانا أقيسه على بيع الاعيان المعدومة فيقال له هنا شيئان أحدهما يمكن بيعه في حال وجوده وحال عدمه فنهى الشارع عن بيعه الا اذا وجد وشيء لآخر لا يمكن بيعه الا في حال عدمه فالشارع نهى عن بيع ذلك حال عدمه ولابد أن قست عليه أن تكون العلة الموجبة للحكم في الاصل ثابتة في الفرع فلم قلت ان العلة في الاصل مجرد كونه معدوما ولم لا يجوز ان يكون بيعه في حال عدمه مع امكان تأخير بيعه الى حال وجوده وعلى هذا التقدير فالعلة مقيدة بعدم خاص وهو معدوم يمكن بيعه بعد وجوده وأنت لم تبين أن العلة في الاصل مجرد العدم فاذا كان كذلك فلست وحدا وهذا سؤال المطالبة وهو كاف في وجب قياسك لكن نحن نبين فساده فنقول ماذكرناه علة مطردة وما ذكرته علة منتقضة وذلك لانك ان علقت المنع بمجرد العدم انتقضت علتك بـ ... المنافع ... عدمه ما تمكن تأخير بيعه الى حال

وجوده أو عدمه هو غرر اطردت علة وأيضاً فالمناسبة تشهد لهذه العلة فإنه إذا كان له حال وجود وعدم كان بيعه حال العدم فيه مخاطرة وقمار وبها علل النبي صلى الله عليه وسلم المنع حيث قال أرأيت إن منع الله الثمرة فبم يأخذ أحدكم مال أخيه بغير حق بخلاف ما ليس له إلا حال واحدة والغالب فيه السلامة فإن هذا ليس مخاطرة فالحاجة داعية إليه ومن أصول الشرع أنه إذا تعارضت المصلحة والمفسدة قدم أرجحهما فهو إنما نهى عن بيع الغرر لما فيه من المخاطرة التي تضر بأحدهما وفي المنع مما يحتاجون إليه من البيع ضرر أعظم من ذلك فلا يمنعهم من الضرر اليسير بوقوعهم في الضرر الكثير بل يدفع أعظم الضررين باحتمال أدناهما ولهذا لما نهاهم عن المزابنة لما فيها من نوع ربا أو مخاطرة فيها ضرر أباحها لهم في العرايا للحاجة لأن ضرر المنع من ذلك أشد وكذلك لما حرم عليهم الميتة لما فيها من خبث التغذية أباحها لهم عند الضرورة لأن ضرر الموت أشد ونظائره كثيرة * فإن قيل فهذا كله على خلاف القياس * قيل قد تقدم أن الفرع إذا اختص بوصف أوجب الفرق بينه وبين الأصل فكان ذلك صحيحاً على خلاف القياس وإن لم يثبت أن الأصل والفرع سواء في المعنى الذي جمع وحتمت حكمهما فهذا باطل قطعاً فإن حكمة الشيء إذا شابه غيره في وصف وفارقه في وصف كان اختلافهما في الحكم باعتبار الفارق مخالفاً لاستوائهما باعتبار الجامع لكن هذا هو القياس الصحيح طرداً وعكساً وهو التسوية بين المتماثلين والفرق بين المختلفين وأما التسوية بينهما

في حكمهم [illegible] فهم فيما يوجب الحكم [illegible] وهذا قياس فاسد
وشرع [illegible] يصل [illegible] من الناس وقياس المشركين
[illegible] على [illegible] وقالوا
[illegible] ولا [illegible] في [illegible]
[illegible] قوم [illegible] المسيح على [illegible] فلو كانت هذه
تدخل [illegible] لأنها عبدت من دون الله فكذلك ينبغي أن يدخل المسيح
النار قال الله تعالى (ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون
وقالوا أآلهتنا خير أم هو ما ضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون)
وهذا كان وجه مخاصمة ابن الزبعرى لما أنزل الله إنكم وما تعبدون
من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها
وكل فيها خالدون) فإن الخطاب للمشركين لا لأهل الكتاب والمشركون
لم يعبدوا المسيح [illegible] قوله وما تعبدون
[illegible] المسيح لا نصا ولا معنى [illegible] من قبل أن
الآية [illegible] المسيح ولكن [illegible] علم [illegible] ولو كان
[illegible] صحيحا لكان حجة المشركين متوجهة [illegible]
[illegible] وطالما [illegible]
[illegible] ابن مريم [illegible]
[illegible] فقالوا لآلهة [illegible] وأوردوه
[illegible] معبودة وهذا المعنى
[illegible] وهو [illegible] وهي

لا تدخل النار وهذا قياس فاسد لظنهم أن العلة مجرد كونه معبوداً وليس
كذلك بل [illegible] أنه معبود ليس مستحقاً للثواب أو معبود لا ظلم في
إدخاله النار [illegible] والملائكة وغيرهم ممن عُبد من دون الله وهو
من عباد الله الصالحين وهو مستحق كرامة الله بوعد الله وعدله وحكمته
و[illegible] أخرى والمقصود بإلقاء الأصنام
في النار [illegible] وأولياء الله لهم كرامة دون الآلهة فهذا الفرق
[illegible] تعلق حكم بحيث الجمع والأقيسة الفاسدة من هذا
الجنس [illegible] تأتي [illegible] من هذا [illegible] فقد [illegible]
هذا من كمال الشريعة واشتمالها على العدل و[illegible] والحكمة التي بعث
الله بها رسوله ومن [illegible] من هذه الأقيسة الفاسدة أن سوى
بين الشيئين لاشتراكهما في أمر من الأمور لزمه أن يسوي بين كل
موجودين لاشتراكهما في مسمى الوجود فيسوي بين رب العالمين وبين
بعض المخلوقين فيكون من الذين هم بربهم يعدلون ويشركون وبهذا
من [illegible] القياس [illegible] فهؤلاء يسوون لله أنداداً كما في [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] كالأقيسة المشركين ومن [illegible] معرفة
[illegible] الأقيسة
والمتكلمين [illegible] الأقيسة الفاسدة [illegible] بين شيئين
لاشتراكهما في بعض الأمور مع أن بينهما من الفروق ما يوجب عظم

المخالفة واعتبر هذا بكلامهم في وجود الرب ووجود المخلوقات فان فيه من الاضطراب ماقد نبهناه في غير هذا الموضع وهذا الذي ذكرناه في الاجارة بناء على تسليم قولهم ان بيع المعدوم لا يجوز وهذه المقدمة فيها كلامهم من وجهين احدهما أن نقول لا نسلم صحة هذه المقدمة فليس في كتاب الله ولا سنة رسوله بل ولا عن أحد من الصحابة ان بيع المعدوم لا يجوز لا لفظ عام ولا معنى عام وانما فيه النهي عن بيع بعض الاشياء التي هي معدومة كما فيه النهي عن بيع بعض الاشياء التي هي موجودة وليست العلة في المنع لا الوجود ولا العدم بل الذي ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه نهى عن بيع الغرر والغرر مالا يقدر على تسليمه سواء كان موجودا أو معدوما كالعبد الآبق والبعير الشارد ونحو ذلك مما قد لا يقدر على تسليمه بل قد يحصل وقد لا يحصل هو غرر لا يجوز بيعه وان كان موجودا فان موجب البيع تسليم المبيع والبائع عاجز عنه والمشتري انما يشتريه مخاطرة ومقامرة فان أمكنه أخذه كان المشتري قد قمر البائع وان لم يمكنه أخذه كان البائع قد قمر المشتري وهكذا المعدوم الذي هو غرر نهى عن بيعه لكونه غررا لا لكونه معدوما كما اذا باع ما يحمل هذا الحيوان وما يحمل هذا البستان فقد يحمل وقد لا يحمل واذا حمل فالمحمول لا يعرف قدره ولا وصفه فهذا من القمار وهو من الميسر الذي نهى الله عنه ومثل هذا اذا أكراه دوابا لا يقدر على تسليمها أو عقارا لا يمكنه تسليمه بل قد يحصل وقد لا يحصل فهذه اجارة غرر

الوجه الثاني أن نقول بل الشارع صحح بيع المعدوم في بعض المواضع فإنه ثبت عنه في غير وجه أنه نهى عن بيع الثمر حتى يبدو صلاحه ونهى عن بيع الحب حتى يشتد وهذا من أصح الحديث وهو في الصحيح عن غير واحد من أصحابه فقد فرق بين ظهور الصلاح وعدم ظهوره فأحل أحدهما وحرم الآخر ومعلوم انه قبل ظهور الصلاح لو اشتراه بشرط القطع كما يشتري الحصرم ليقطعه حصرما جاز بالاتفاق وانما نهى عنه اذا بيع على أنه باق فدل ذلك على انه جوزه بعد ظهور الصلاح أن يبقيه على البقاء إلى كمال الصلاح وهذا مذهب جمهور العلماء كمالك والشافعي وأحمد وغيرهم ومن جوز بيعه في الموضعين بشرط القطع ونهى عنه بشرط التبقية أو مطلقا لم يكن عنده لظهور الصلاح فائدة ولم يفرق بين ما نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم وما أذن فيه وصاحب هذا القول يقول موجب العقد التسليم عقيبه فلا يجوز التأخير فيقال له لا نسلم ان هذا موجب العقد اما أن يكون ما أوجبه الشارع بالعقد أو ما أوجبه المتعاقدان على أنفسهما وكلاهما منتف فلا الشارع أوجب أن يكون كل مبيع مستحق التسليم عقب العقد ولا العاقدان التزما ذلك بل تارة يعقدان العقد على هذا الوجه كما في بيع معين بدين حال وتارة يشترطان تأخير التسليم كما في السلم وكذلك في الأعيان وقد يكون للبائع مقصود صحيح في تأخير التسليم كما كان جابر حين باع بعيره من النبي صلى الله عليه وسلم واستثنى ظهره الى المدينة ولهذا كان الصواب انه يجوز لكل عاقد أن يستثني من منفعة

المعقود عليه منه فيه غرض صحيح كما لو باع عقارا واستثنى سكناه مدة أو دوابه واستثنى ظهرها أو وهب مملوكا واستثنى منفعته أو أعتق العبد واستثنى خدمته مدة أو مدة حياة السيد أو وقف شيئا واستثنى غلتها لنفسه مدة حياته ونحو ذلك فهذه منصوص أحمد وغيره وبعض أصحاب أحمد قال لابد من ان يستثني منفعته لا تقع بين المستثنى منه في المنفعة ويأخذها بيسير وفي منفعة بناء على هذا الأصل الفاسد وهو انه لابد من استحقاق القبض عقيب العقد وهو قول ضعيف وعلى هذا الأصل قال من قال انه لا يجوز الاجارة لا منفعة في المستقبل وهؤلاء نظروا الى مايفعله الناس أحيانا فجعلوه لازما لهم في كل حال وهو من قياس الفاسد وعلى هذا بنوا اذا باع العين وأجره فمنهم من قال انه ينقض لكون المنفعة لاتدخل في البيع فلا يحصل التسليم ومنهم من قال هذه منفعة مستثناة بالشرع بخلاف المستثنى بالشرط * ولو باع الامة المزوجة صح باتفاقهم وان كانت منفعة البضع للزوج وقد فرق من فرق بينهما بما قد بسط في موضعه والمقصود هنا ان هذا كله تفريع على ذلك الأصل الضعيف وهو ان موجب العقد استحقاق التسليم عقبه والشرع لم يدل على هذا الأصل بل العقد في الأعيان والمنافع كالقبض في الدين تارة يكون موجب العقد قبضه عقبه بحسب الامكان وتارة يكون موجب العقد تأخير التسليم لمصلحة من المصالح وعلى هذا فالنبي صلى الله عليه وسلم جوز بيع الثمر بعد بدو الصلاح مستحق الابقاء الى كمال الصلاح وعلى البائع السقي والخدمة الى كمال الصلاح ويدخل في هذا ماهو

معدوم مخاطرة وهذا داخل في كل منزلة قبض العين المؤجرة فقبضه
يبيح له التصرف فيه في أظهر قولي العلماء وهو أصح الروايتين عن
أحمد وقبضه لا يوجب ضمان البائع له بل إذا تلف الثمر قبل تمكن
صاحبه كان من ضمان البائع كما هو مذهب أهل المدينة مالك وغيره وهو
مذهب أهل الحديث أحمد رضي الله عنه وغيره وهو قول معلق للشافعي وقد
ثبت في صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن بعت من أخيك ثمرة
فأصابتها جائحة فلا يحل لك أن تأخذ من مال أخيك شيئاً بم يأخذ أحدكم
مال أخيه بغير حق وليس مع المنازع دليل شرعي يدل على أن كل قبض
جوز التصرف ينقل الضمان وما يجوز التصرف لم ينقل الضمان بل قبض
العين المؤجرة يجوز التصرف ولا ينقل الضمان ومن هذا الباب بيع المقاثي
فمن العلماء من لم يجوز بيعها إلا لقطة لقطة لأنه بيع معدوم وجعلوا هذا
من بيع الثمر قبل بدو صلاحه ثم من هؤلاء قال إذا بيعت المقثأة
كان كبيع أصل الشجر مع الثمر وذلك يجوز قبل ظهور صلاحه
لكونه صار تابعاً [illegible] في [illegible] حق [illegible] [illegible] بالإجماع
أ[illegible] [illegible] [illegible] شر[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] يدخل في
البيع وهذا [illegible] [illegible] [illegible] الأصل وهذا يكون
حيلة في المشتري ومقصود [illegible] من يحتاج إلى الأصل
والمقصود في الغالب هو الثمر فلا يحتاج إلى الآخر ومن العلماء
من جوز بيع المقاثي كما هو قول مالك وغيره وهو قول في مذهب أحمد
وهذا أصح فإنه لا يمكن بيعها إلا على هذا الوجه إلا بضرر عظيم على

الحنطة ولا يباع الا على وجه واحد لا ينهى عن بيعه كما تقدم والنبي صلى
الله عليه وسلم انما نهى عن بيع الثمار التي يمكن تأخير بيعها حتى يبدو
صلاحها فلم يدخل شيء في نهيه ولهذا كثير من العلماء أدخلوا
ضمان البساتين في نهيه فقدّر أن ضمان الحديقة لمن يعمل عليها حتى
تثمر شيء معلوم كان هذا بيعاً للثمر قبل بدو صلاحه فلا يجوز ومن
الناس من حكى الاجماع على منع هذا وليس كما قال بل قد ثبت أن عمر
ابن الخطاب رضي الله عنه قبّل حديقة أسيد بن حضير ثلاث سنين
وتسلّف الضمان فقضى به ديناً كان على أسيد لأنه كان وصيه وقد
جوز ابن عقيل ضمانها مع الاراضي المؤجرة اذا لم يمكن افراد أحدهما
عن الآخر وجوز مالك ذلك تبعاً للارض في قدر الثلث وقصة عمر
ابن الخطاب مما يشتهر مثلها في العادة ولم ينقل ان أحدا من الصحابة
أنكره فالصواب ما فعله عمر بن الخطاب اذ الفرق بين البيع والضمان
هو الفرق بين البيع والاجارة ألا ترى أن النبي صلى الله عليه وسلم
نهى عن بيع الحب حتى يشتد ثم اذا استأجر أرضاً ليزرعها جاز هذا
مع ان المستأجر مقصوده الحب لكن مقصوده ذلك بعمله هو لا بعمل
البائع وكذلك الذي يستأجر البستان ليخدم شجره ويسقيها حتى تثمر
هو بمنزلة المستأجر ليس بمنزلة المشتري الذي اشترى ثمرا وعلى البائع
مؤنة خدمتها وسقيها * فان قيل هذه أعيان والاجارة لا تكون على الاعيان
* قيل الجواب من وجهين أحدهما ان الاعيان هنا حصلت بعمله هو من
الأصل المستأجر كما حصل الحب بعمل المؤجر في الأرض * واذا قيل الحب

حصل من بذره والثمر حصل من شجر المؤجر كان هذا فرقا لا أثر له في الشرع ألا ترى ان المساقاة كالمزارعة والمساقي يستحق جزأ من الثمرة الحاصلة من أصل المالك والمزارع يستحق جزأ من الزرع النابت في أرض المالك وإن كان البذر من المالك وكذلك إن كان البذر منه كما ثبت بالسنة واجماع الصحابة فالبذر يتلف لا يعود الى صاحبه وقد ثبت في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم عامل أهل خيبر بشطر ما يخرج من ثمر وزرع على أن يعمروها من أموالهم فالارض والنخل والماء كان للنبي صلى الله عليه وسلم واستحقوا بعملهم جزأ من الثمر كما استحقوا جزأ من الزرع وإن كان البذر منهم والشجر من النبي صلى الله عليه وسلم فعلم ان هذا الفرق لا أثر له في الشرع ودائم تؤثر في المساقاة والمزارعة التي يكون النماء مشتركا لم يؤثر في الاجرة بطريق الأولى فى استئجار الارض ليس فيه من النزاع ما في المزارعة فاذا كانت اجارتها أجوز من المزارعة فاجارة الشجر أجوز من المساقاة

الوجه الثاني أن يقول هذا كاجارة الظئر والبئر ونحو ذلك والكلام في هذا هو الكلام على الأصل الذي في الاجارة فيقول قول القائل ان اجارة الظئر على خلاف القياس ثبت هو لاعتقاده ان الاجارة لا تكون الا على منفعة ليست أعيان يستحق بها أعيان وهذا القدر لم يدل عليه كتاب ولا سنة ولا اجماع ولا قياس بل الذي دلت عليه الاصول ان الاعيان التي تحدث شيئا بعد شيء مع بقاء أصلها حكمها حكم المنافع كالثمر والشجر واللبن في الحيوان ولهذا سوى بين هذا

وهذا في وقف فان الأصل تحبيس الأصل وتسبيل الفائدة فلا بد أن يكون الأصل باقيا وأن تكون الفائدة تحدث مع بقاء الاصل فيجوز أن تكون وقف ... كالسكنى ويجوز أن تكون ثمره كوقف الشجر ويجوز أن تكون ... كوقف ... وكذلك ... فان ... هي عطاء ... ثم ردها ... عطاء الشيء ... ثم ردها و ... عطاء شجرة لمن يأكل ثمرها ثم يردها والسكنى اعطاء الدار لمن يسكنها ثم يردها وكذلك في الاجارة تارة تكون ... المنفعة التي ليست أعيان كالسكنى والركوب وتارة الاعيان التي تحدث شيئا بعد شيء مع بقاء الاصل كلبن الظئر ونقع البئر والعين فان الماء واللبن لما كان شيئا يحدث شيئا بعد شيء مع بقاء الأصل كان كالمنفعة والمسوغ للاجارة هو ما بينهما من القدر المشترك وهو حدوث المقصود بالعقد شيئا فشيئا ... وجهه حقيقة ... الأجسام أكمل من صفاتها ولا تكن العقد عليها الا كذلك وطرد هذا الكرش الظئر من الحيوان للارضاع ثم الظئر تارة تستأجر بأجرة مقدرة وتارة بطعامها وكسوتها وتاره يكون طعامها وكسوتها من جملة الأجرة وأما الماشية ... على ... بعوض فتارة يشتري ... على ... وتارة على أن ذلك على المشتري ... وهو الأجرة ... ثم ... بنتاجها أرضه بخلاف

من نقص ثمن فانه هنا قبض الثمن المعقود عليها وانه [illegible] هذا بيعا
وهذا أجاز [illegible] النص والاعتبار بالمقاصد ومن الفقهاء من يحمل
[illegible] في صحة [illegible] وفساده حتى ان من هؤلاء من
يصححها [illegible] دون [illegible] لا يجوز واذا
كان [illegible] جاز ويقول [illegible] على أن يكون [illegible]
من [illegible] وهذا قول بعض
أصحاب أحمد [illegible]
المعنى مقصود [illegible]
[illegible] دون [illegible] حكم [illegible] الآخر
فهذا له حكم آخر [illegible] هذا موضع [illegible] مسائل واذا مقصود
[illegible] موافق القياس [illegible]
شيئين كما سوى بين الاستئجار على الرضاع والخدمة [illegible] يفارق بينهما [illegible]
التأثير [illegible] وان فرق بين شيئين فلاختلاف
[illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible] في [illegible]
في [illegible] واحد
[illegible] معروف في مذهب أحمد
وغيره وعلى ذلك [illegible] دون [illegible]

بها فمن قال هي واجبة على المحاطب تحملا قال يجزئ ومن قال هي واحدة عليه ابتداء قال هي كاداء الزكاة عن الغير ولذلك تنازعوا في العقل اذا لم تكن عاقلة هل يجب في ذمة القاتل أم لا والعقل فارق غيره من الحقوق في أسباب اقتضت اختصاصه بالحكم وذلك ان دية المقتول مال كثير والعاقلة انما تحمل الخطأ لا تحمل العمد بلا نزاع وفي شبه العمد نزاع والأظهر انها لا تحمله والخطأ مما يعذر فيه الانسان فايجاب الدية في ماله فيه ضرر عظيم به من غير ذنب تعمده ولا بد من ايجاب بدل المقتول فالشارع أوجب على من عليهم موالاة القاتل ونصره ان يعينوه على ذلك فكان هذا كايجاب النفقات التي تجب للقريب أوجب للفقراء والمساكين وكايجاب فكاك الاسير من بلد العدو فان هذا أسير بالدية التي تجب عليه وهي لم تجب باختيار مستحقها ولا باختياره كالديون التي تجب بالقرض والبيع وليست أيضا قليلة في الغالب كابدال المتلفات فان الاتلاف مال كثير يقدر بدية خطأ نادر جدا بخلاف قتل النفس خطأ فانه يقع كثيرا في نفس أو مال فالمتلف ظالم مستحق فيه للعقوبة ونسبة الخطأ في الاموال قليل في العادة بخلاف الدية ولهذا كان عند الاكثرين لا تحمل العاقلة الا ما له قدر كثير فعند مالك وأحمد لا تحمل ما دون الثلث وعند أبي حنيفة ما دون السن والموضحة فكان ايجابها من جنس ما أوجبه الشارع من الاحسان الى المحتاجين كابن السبيل والفقراء والمساكين والاقارب المحتاجين ومعلوم ان هذا من أصول الشرائع التي بها قيام مصلحة العالم فان الله لما قسم خلقه الى غني وفقير

ولا تتم مصلحتهم الا بسد خلة الفقراء وحرم الربا الذي يضر بالفقراء فكان الامر بالصدقة من جنس النهي عن الربا ولهذا جمع الله بين هذا وهذا في مثل قوله تعالى (يمحق الله الربا ويربي الصدقات) وفي مثل قوله تعالى (وما آتيتم من ربا ليربو في أموال الناس فلا يربو عند الله وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون) وقد ذكر الله في آخر البقرة أحكام الاموال وهي ثلاثة أصناف عدل وفضل وظلم فالعدل البيع والظلم الربا والفضل الصدقة فمدح المتصدقين وذكر ثوابهم وذم المربين وبين عقابهم وأباح البيع والتداين الى أجل مسمى فالعقل من جنس ما أوجبه من الحقوق لبعض الناس على بعض كحق المسلم وحق ذي الرحم وحق الجار وحق المملوك والزوجة

(فصل) والاحكام التي يقال انها على خلاف القياس نوعان نوع مجمع عليه ونوع متنازع فيه فما لا نزاع في حكمه تبين انه على وفق القياس الصحيح وينبني على هذا ان مثل هذا هل يقاس عليه أم لا فذهب طائفة من الفقهاء الى ان ما ثبت على خلاف القياس لا يقاس عليه ويحكى هذا عن أصحاب أبي حنيفة والجمهور انه يقاس عليه وهذا هو الذي ذكره أصحاب الشافعي وأحمد وغيرهم وقالوا انما نعتبر في شروط القياس ان تعلم علته فالحقنا به ما شاركه في العلة سواء قيل انه على خلاف القياس أو لم يقل وكذلك ما علم انتفاء الفارق فيه بين الاصل والفرع والجمع بدليل العلة كالجمع بالعلة وأما اذا لم يقم دليل على ان الفرع كالاصل فهذا لا يجوز فيه القياس سواء قيل انه على وفق القياس

وجب [illegible] وهذا كان الصحيح ان العرايا ملحق بها ما كان في معناها
وحديثة الأمر انه لم يشرع شيء على خلاف القياس صحيح بل ما قيل
انه على خلاف القياس فلا بد من اتصافه بوصف امتاز به عن الامور
التي خالفها واقتضى مفارقته لها في الحكم واذا كان كذلك فذلك الوصف
ان شاركه غيره فيه فحكمه كحكمه والا كان من الامور المفارقة له وأما
[illegible] فيه فمثاله في حديث خلاف أمر ويقول القائلون هذا خلاف
[illegible] وهذه له أمثلة من أشهرها المصراة
قال [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible] ولا الغنم فمن ابتاع
مصراة فهو [illegible] مسكها وان سخطها
ردها وصاعا من تمر وهو حديث صحيح [illegible] قالوا هذا يخالف قياس
الاصول من وجوه [illegible] ومنها
ان الخراج بالضمان [illegible] عند المشتري غير مضمون عليه
فلا يضمنه ومنها ان اللبن من ذوات الامثال فهو مضمون [illegible]
ومنها [illegible] له يضمن بالقيمة من النقد وهنا ضمنه بالتمر ومنها
ان المال المضمون يضمن بقدره لا بقدر بدله بالشرع وهنا قدر بالشرع
فقال المثبتون للحديث بل ما ذكرتموه خطأ والحديث موافق الاصول
ولو خالفها لكان هو أصلا كما أن غيره أصل فلا يضرب الاصول بعضها
ببعض بل يجب اتباعها كلها فانها كلها من عند الله أما قولهم رد بلا عيب
ولا فوات صفة فليس في الاصول ما يوجب انحصار الرد في هذين
الشيئين بل التدليس نوع ثبت به الرد وهو من جنس الخلف في الصفة

دن اسع بره تدهر صفاته بالقول وتارة بالعمل فاذا ظهر انه على صفة وكان على خلافه فهو تدليس وقد أثبت النبي صلى الله عليه وسلم الخيار للركبان اذا تلقوا واشترى منهم قبل أن يهبطوا السوق ويعلموا السعر وليس كذلك واحد من الامرين ولكن فيه نوع تدليس * وأما قوله الخراج بالضمان فقولا حسب المصراة أصح منه باتفاق أهل العلم مع أنه لا منافاة بينهما فان الخراج ما يحدث في ملك المشتري ولفظ الخراج اسم للغلة مثل كسب العبد وأما اللبن ونحوه فلحق بذلك وهنا كان اللبن موجوداً في الضرع فصار جزأ من المبيع ولم يجعل الصاع عوضاً عما حدث بعد العقد بل عوضاً عن اللبن الموجود في الضرع وقت العقد وأما تضمين اللبن بغيره وتقديره بالشرع فلان لبن المضمون قد اختلط باللبن الحادث بعد العقد وتعذرت معرفة قدره فلهذا قدر الشرع البدل قطعاً للنزاع وقدر بغير الجنس لان التقدير بالجنس قد يكون أكثر من الاول أو أقل فيفضي الي الربا بخلاف غير الجنس [illegible] تعذرت معرفة قدره بالصاع من تمر [illegible] وهو مكيل مطعوم [illegible] [illegible] [illegible] الاصناف بخلاف حنطة وشعير فيه [illegible] [illegible] كانوا [illegible] وقد كان من موارد الاجتهاد [illegible] الامصار [illegible] من تمر أو يكون [illegible] من قوت البلد فهذا من موارد الاجتهاد كما في صدقة الفطر بصاع من شعير أو تمر ومن

ذلك قول بعضهم ان أمره للمصلي خلف الصف وحده بالاعادة على خلاف القياس فان الامام يقف وحده والمرأه تقف خلف الرجال وحدها كما جاءت به السنة وليس الامر كذلك فان الامام يسن في حقه التقدم بالاتفاق والمؤتمون يسن في حقهم الاصطفاف بالاتفاق وكيف يشبه هذا بهذا وذلك لان الامام يؤتم به فاذا كان امامهم رأوه وكل منهم يؤتم به لكن وأما المرأه فانها تقف وحدها اذا لم يكن هناك امرأة غيرها تقف معها في حقها الاصطفاف لكن وقفة المرأه تدل على شيئين تدل على انه لا يجوز للرجل ان يقف خلف الصف من يقوم معه وعذر الرجل في صف يصلي وحده للحاجة وهذا هو قياس فان الواجبات تسقط للحاجة وأمره بأن يصاف غيره من الواجبات فاذا تعذر ذلك سقط للحاجة كما سقط غير ذلك من فرائض الصلاة للحاجة في مثل صلاة الخوف محافظة على الجماعة وطرد ذلك لم يمكنه أن يصلي مع الجماعة الا قدام الامام فانه يصلي هنا لاجل الحاجة امامه وهو قول طوائف من أهل العلم وهو أحد الوجهين في مذهب أحمد وان كانوا لايجوزون التقدم على الامام اذا أمكن ترك التقدم عليه وفي الجملة فليست المصافة اوجب من غيرها فاذا سقط غيرها للعذر في الجماعة فهي أولى بالسقوط *ومن الاصول الكلية ان المعجوز عنه في الشرع ساقط الوجوب وان المضطر اليه بلا معصية غير محظور فلم يوجب الله ما يعجز عنه العبد ولم يحرم مايضطر اليه العبد ومن ذلك قول بعضهم في الحديث الصحيح الذي فيه ان الرهن مركوب ومحلوب وعلى الذي

يركب ويحلب الفقه أنه على خلاف القياس وليس كذلك فإن الرهن
إذا كان حيواناً فهو محترم في نفسه ولمالكه فيه حق وللمرتهن فيه حق
وإذا كان بيد المرتهن فلم يركب ولم يحلب ذهبت منفعته باطلة وقد قدمنا
أن اللبن يجري مجرى المنفعة فإذا استوفى المرتهن منفعته وعوض عنها
نفقة كان في هذا جمع بين المصلحتين وبين الحقين فإن نفقته واجبة على
صاحبه والمرتهن إذا أنفق عليه أدى عنه واجباً وله فيه حق فله أن
يرجع ببدله ومنفعة صالحة أن تكون بدلا فأخذه خير من أن
تذهب على صاحبها وتذهب باطلا وقد تنازع الفقهاء فيمن أدى عن
غيره واجباً بغير إذنه كالدين فمذهب مالك وأحمد في المشهور عنه أن
يرجع به عليه ومذهب أبي حنيفة والشافعي ليس له ذلك وإذا أنفق
نفقة تجب عليه مثل أن ينفق على ولده الصغير أو عبده فبعض أصحاب
أحمد قال لا يرجع وفرقوا بين النفقة والدين والمحققون من أصحابه
سووا بينهما وقالوا الجميع واجب ولو افتداه من الأسر كان له مطالبته
بالفداء وليس ذلك ديناً عليه والقرآن يدل على هذا القول فإن الله قال
فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن فأمر بإيتاء الأجر بمجرد الإرضاع ولم
يشترط عقداً ولا إذن الأب وكذلك قال وعلى المولود له رزقهن ولكن
حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن
وكسوتهن بالمعروف فأوجب ذلك عليه ولم يشترط عقداً ولا إذناً ونفقة
الحيوان واجبة على ربه والمرتهن والمستأجر له فيه حق فإذا أنفق عليه
النفقة الواجبة على ربه كان أحق بالرجوع من الإنفاق على ولده فإذا

قدر أن الراهن قال لم آذن لك في النفقة قال هي واجبة عليك وأنا أستحق أن أطالبك بها لحفظ المرهون والمستأجر وإذا كان المنفق قد رضي بأن يعتاض بمنفعة الرهن التي لا يطالبه بطعم النفقة كان قد أحسن إلى صاحبه فهذا خير محض مع الراهن وكذلك لو قدر أن المؤتمن على حيوان الغير كالمودع والشريك والوكيل أنفق من مال نفسه وعوض بمنفعة ... هذا أحسن إلى صاحبه إذا لم ينفق عليه صاحبه ... لحديث عن القياس حديث الذي في السنن عن الحسن عن قبيصة بن حريث عن سلمة بن المحبق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى في رجل وقع على جارية امرأته إن كان استكرهها فهي حرة وعليه لسيدتها مثلها وإن كانت طاوعته فهي له وعليه لسيدتها مثلها وقد روى في لفظ آخر وإن كانت طاوعته فهي ومثلها من ماله لسيدتها وهذا الحديث تكلم بعضهم في إسناده لكنه حديث حسن وهم يحتجون بما هو دونه في القوة ولكن لاشكاله قوي عندهم تضعيفه وهذا الحديث يستقيم على القياس مع ثلاثة أصول هي صحيحة كل منها قول طائفة من الفقهاء أحدها أن من غير مال غيره بحيث يفوت مقصوده عليه فله أن يضمنه إياه بمثله وهذا كما إذا تصرف في المغصوب بما أزال اسمه ففيه ثلاثة أقوال في مذهب أحمد وغيره أحدها أنه باق على ملك صاحبه وعلى الغاصب ضمان النقص ولا شيء له في زيادته كقول الشافعي والثاني يملكه الغاصب بذلك ويضمنه لصاحبه كقول أبي حنيفة والثالث يخير المالك بين أخذه وتضمين النقص

وبين المطالبة بالبدل وهذا أعدل الأقوال وأقواها فإن فوت صفاته
المعروفة مثل أن ينسيه صناعته أو يضعف قوته أو يفسد عقله ودينه
فهذا أيضاً يخير المالك بين تضمين النقص وبين المطالبة بالبدل ولو
قطع ذنب بغلة القاضي فعند مالك يضمنها بالبدل ويملكها لتعذر
مقصوده على المالك في العادة أو يخير المالك وكذلك السلطان إذا قطع
آذان فرسه ونحوه ﴿الأصل الثاني﴾ أن جميع المتلفات تضمن بالجنس
بحسب الإمكان مع مراعاة القيمة حتى الحيوان كما أنه في القرض يجب
فيه رد المثل وإذا اقترض حيوانا رد مثله كما اقترض النبي صلى الله عليه
وسلم بكرا ورد خيرا منه وكذلك في المغرور يضمن ولده بمثلهم كما
قضت به الصحابة وكذلك الجاني رأس الجاني ولهذا فإن الصحابة
قضوا بشرائه أي برأس مثله في القيمة وهذا أحد القولين في مذهب
أحمد وغيره وقصة داود وسليمان عليهما السلام من هذا الباب فإن
الماشية كانت قد أتلفت حرث القوم وهو بستانهم وكان عنبا والحرث
اسم مشجر وزرع فقضى داود بالغنم لأصحاب الحرث كأنه ضمنهم ذلك
بالقيمة ولم يكن لهم مال إلا الغنم فأعطاهم الغنم بالقيمة وقضى سليمان
بحكم أن أصحاب الماشية يقومون على الحرث حتى يعود كما كان
فضمنهم إياه بالمثل وأعطاهم الماشية يأخذون منفعتها عوضا عن المنفعة
التي فاتت من غلة الحرث إلى أن يعود وبذلك أفتى الزهري
لعمر بن عبد العزيز فيمن كان أتلف له شجرا فقال يغرسه حتى يعود
كما كان وقيل ربيعة وأبو الزناد قالا عليه القيمة فغلط الزهري القول

فيهما وهذا موجب الأدلة فان الواجب ضمان المتلف بالمثل بحسب الامكان قال تعالى (وجزاء سيئة سيئة مثلها) وقال (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) وقال (وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ماعوقبتم به) وقال (والحرمات قصاص) فاذا أتلف نقدا أو حبوبا ونحو ذلك أمكن ضمانها بالمثل وان كان المتلف ثيابا أو آنية أو حيوانا فهنا مثله من كل وجه وقد تعذر فالأمر دائر بين شيئين اما ان تضمنه بالقيمة وهي دراهم مخالفة له في الجنس والصفة لكنها مساويه في المالية واما ان تضمنه بثياب من جنس ثيابه أو آنية من جنس آنيته أو حيوان من جنس حيوانه مع مراعاة القيمة بحسب الامكان ومع كون قيمته مقدرة فهنا تكون القيمة مساوية كما في النقد وامتاز هذا بالمشاركة في الجنس والصفة فكان ذلك أمثل من هذا وما كان أمثل فهو أعدل فيجب الحكم به اذا تعذر المثل من كل وجه ونظير هذا ما ثبت بالسنة واتفاق الصحابة من القصاص في اللطمة والضربة وهو قول كثير من السلف وقد نص عليه أحمد في رواية اسماعيل ابن سعيد الشالنجي التي شرحها الجوزجاني في كتابه المسمى بالمترجم فقال طائفة من الفقهاء المساواة متعذرة في ذلك فيرجع الى التعزير فيقال لهم ماجاءت به الآثار هو موجب القياس فان التعزير عقاب غير مقدر الجنس ولا الصفة ولا القدر والمرجع فيه الى اجتهاد الوالي ومن المعلوم الأمر بضرب تقارب ضربته وان لم نعلم انه مساو له أقرب الى العدل والمماثلة من عقوبة تخالفه في الجنس والوصف غير

مقدرة أصلا واعلم أن التماثل من كل وجه متعذر حتى في المكيلات فضلا عن غيرها فإنه إذا [illegible] صاعا من بر فصمن صاع من بر لم يعلم أن أحد الصاعين فيه من الحب ما هو مثل الآخر بل قد يزيد أحدهما على الآخر ولهذا قال تعالى (وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا إلا وسعها) فإن تحديد الكيل والوزن مما قد يعجز عنه البشر ولهذا [illegible] هذا أمثل من هذا إذا كان أقرب إلى المماثلة فإنه إذا لم يحصل المماثلة من كل وجه [illegible] الأصل [illegible] من [illegible] عدة [illegible] عليه وهذا مذهب مالك وأحمد وغيرهم وقد جاءت بذلك آثار مرفوعة عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه كعمر بن الخطاب كما قد ذكر في غير هذا الموضع فهذا الحديث موافق هذه الأصول [illegible] بالأدلة الموافقة للقياس [illegible] فإذا طاوعته فقد [illegible] على سيدها [illegible] مع المطاوعة تبقى زانية وذلك ينقص قيمتها ولا يمكن سيدها من استخدامها لما كانت تمكن قبل ذلك لمعصيتها ولطمع الخارجة في السيد والاستشراف [illegible] لا سيما وتعير على سيدها [illegible] يطؤها كما كانت تبيعه وإذا صرف [illegible] ينقص قيمته [illegible] مصلحته [illegible] ومعلوم [illegible] لو رضيت أن [illegible] ينقص من قيمتها لم [illegible] من ذلك [illegible] ولكن موجب هذا أن الأمة إذا أفسدها رجل على أهلها حتى طاوعت على الزنا فلأهلها أن يضمنوه [illegible] واجب مثلها [illegible] على أن المثل يجب في كل مضمون بحسب الإمكان وأما إذا [illegible] فإن هذا من باب المثلة فإن الإكراه على الوطء

مثـلة فان الوطء يجرى مجرى الاتلاف ولهذا قيل ان من استكره عبده علي اللوط به عتق عليـه ولهـذا لايخلو من عقر أو عقوبة لاتجرى مجرى منفعة الخدمة فهي لما صارت له بافسادها على سيدها أوجب عليه مثلها كما في المطوعة واعتقها عليه لكونه مثل بها وقد قال انه يلزم على هذا اذا استكره عبده على الفاحشة عتق عليه ولو استكره أمة الغير على الفاحشة عتقت وضمنها عمالها لان فرق بين أمة امرأته ومن غيره في كل منهما فرق شرعي والاقوى حسب القياس المنوية وأمثاله عروحل ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان أردن تحصناً لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم) ولما انهى عن اكراههن على كسب المال بالبغاء كما قيل ان ابن أبي الا فق كان له من الاماء مكرهن على البغاء وليس هو استكراهها للامة على أن يزني هو بها فان هذا بمنزلة التمثيل بها وذاك الزام لها بأن تذهب فتزني بنفسها مع انه قد يمكن أن يقال العتق بالمثلة لم يكن مشروعا عند نزول الآية ثم شرع بعد ذلك والكلام على هذا الحـديث من أدق الامور فان كان ثابتاً فهـذا الذي ظهر في توجيهه وتخريجه على الاصول الثابتة وان لم يكن ثابتاً فلايحتاج الى الكلام عليه وبالجملة فمـا عرفت حـديثاً صحيحاً الا ويمكن تخريجه علي الاصول الثابتة وقد تدبرت ما امكنني من أدلة الشرع فمـارأيت قياساً صحيحاً يخالف حديثاً صحيحاً كما أن المعقول الصريح لايخالف المنقول الصحيح بل متى رأيت قياساً يخالف اثراً فلا بد من ضعف أحدهما لكن التمييز

من صحيح القياس وفساده مما يخفى كثير منه على أفاضل العلماء فضلا عمن هو دونهم فإن ادراك الصفات المؤثرة في الاحكام على وجهه ومعرفة الحكم والمعاني التي تضمنتها الشريعة من أشرف العلوم فمنه الجلي الذي يعرفه كثير من الناس ومنه الدقيق الذي لا يعرفه الا خواصهم فلهذا صار قياس كثير من العلماء يرد مخالفا للنصوص لخفاء القياس الصحيح عليهم كما يخفى على كثير من الناس ما في النصوص من الدلائل الدقيقة التي تدل على الاحكام

(فصل) واما قولهم ان المضي في الحج الفاسد على خلاف القياس فليس الامر كذلك فان الله أمر باتمام الحج والعمرة فعلى من شرع فيهما أن يمضي فيهما وان كان متطوعا بالدخول باتفاق الأئمة وهم متنازعون فيما سوى ذلك من التطوعات هل تلزم بالشروع فقد وجب عليه بالاحرام أن يمضي الى حين يتحلل وأن لا يطأ في الحج فاذا وطئ في الحج لم يسقط وطؤه ما وجب عليه من اتمام الحج ونظير هذا الصائم في رمضان يجب عليه الامساك ثم لو أفطر لم يسقط عنه فطره ما وجب من الامساك الى غروب الشمس وقضاء يوم مكانه وهذا لأن الصلاة لها حد محدود وهو غروب الشمس كما للحج وقت مخصوص وهو يوم عرفة وما بعده ومكان مخصوص وهو يوم عرفة وما بعده ومكان مخصوص وهو عرفة ومزدلفة ومنى فلا يمكنه الاحلال قبل وصوله الى مكانه كما لا يمكنه حلال الصائم الذي لا يكون معذورا كالمحصر فهذا كالمعذور في الفطر

وهذا بخلاف الصلاة اذا أفسدها فانه يتمها لان الصلاة يمكنه فعلها فى اثناء الوقت والحج لا يمكنه فعله فى أثناء الوقت

(فصـل) وأما الاكل ناسياً فالذين قالوا هو خلاف القياس قالوا هو من باب ترك المأمور ومن ترك المأمور ناسياً لم تبرأ ذمته كما لو ترك الصلاة ناسياً أو ترك نية الصيام ناسياً لم تبطل عبادته الا من فعل محظور ولكن من يقول هو على وفق القياس يقول القياس ان من فعل محظوراً ناسياً لم تبطل عبادته لان من فعل محظوراً ناسياً فلا اثم عليه كما دل عليه قوله (ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا) وقد ثبت فى الصحيح ان الله قال قد فعلت وهذا مما لا ينازع فيه العلماء ان الناسي لا يأثم لكن يتنازعون في بطلان عبادته فيقول القائل اذا لم يأثم لم يكن قد فعل محرما ومن لم يفعل محرماً لم تبطل عبادته فان العبادة انما تبطل بترك واجب أو فعل محرم فاذا كان ما فعله من باب فعل المحرم وهو ناس فيه لم تبطل عبادته وصاحب هذا القول يقول القياس أن لا تبطل الصلاة بالكلام في الصلاة ناسياً وكذلك يقول القياس ان من فعل شيئاً من محظورات الاحرام ناسياً لا فدية عليه وقيل الصيد هو من باب ضمان المتلفات كدية المقتول بخلاف الطيب واللباس فانه من باب الترفه وكذلك الحلق والتقليم هو فى الحقيقة من باب الترفه لا من باب متلف له قيمة فانه لا قيمة لذلك فلهذا كان أعدل الاقوال أن لا كفارة في شيء من ذلك الا فى جزاء الصيد وطرد هذا ان من فعل المحلوف عليه ناسياً لا يحنث سواء حلف بالطلاق والعتاق أوغيرهما لان من فعل المنهى

عنه ناسياً لم يعص ولم يخالف والحنث في الأيمان كالمعصية في الأمر والنهي وكذلك من باشر النجاسة في الصلاة ناسياً فلا إعادة عليه لأنه من باب فعل المحظور بخلاف ترك طهارة الحدث فإنه من باب المأمور * فإن قيل الترك في الصوم مأمور به وهذا يشترط فيه النية بخلاف الترك في هذه المواضع فإنه ليس مأموراً به فإنه لا يشترط فيه النية * قيل لا ريب أن النية في الصوم واجبة ولولا ذلك لما أثيب لأن الثواب لا يكون إلا مع النية ومن ترك الأمور إذا قصد تركها لله أثيب على ذلك أيضاً وإن لم يحضر بقلبه قصد تركها لم يثب ولم يعاقب ولو كان ناوياً تركها لله وفعلها ناسياً لم يقدح نسيانه في أجره بل يثاب على قصد تركها لله وإن فعلها ناسياً كذلك الصوم وما فعله الناسي لا يضاف إليه بل فعله الله به من غير قصده ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم من أكل أو شرب ناسياً فليتم صومه فإنما أطعمه الله وسقاه فأضاف إطعامه وإسقاءه إلى الله لأنه لم يتعمد ذلك ولم يقصده وما يكون مضافاً إلى الله لا ينهى عنه العبد فإنما ينهى عن فعله والأفعال التي ليست اختيارية لا تدخل تحت التكليف ففعل الناسي كفعل النائم والمجنون والصغير ونحو ذلك من ذلك أن الصائم إذا احتلم في منامه لم يفطر ولو استمنى باختياره أفطر ولو ذرعه القيء لم يفطر ولو استدعى القيء أفطر ولو كان ما يوجد بغير قصده كما يوجد بقصده لأفطر بهذا وهذا فإن قيل فيحصل الفطر مثل من يأكل يظن أنه الليل ثم تبين أنه طلع الفجر أو يأكل يظن غروب الشمس ثم تبين له أن الشمس لم تغرب * قيل هذا فيه نزاع بين السلف

والخلف والذين فرقوا بين الناسي والمخطئ قالوا هذا يمكن الاحتراز منه بخلاف النسيان وقاسوا ذلك على ما إذا أفطر يوم الشك ثم تبين أنه من رمضان ونقل عن بعض السلف أنه يقضي في مسألة الغروب دون طلوع الفجر كما لو استمر الشك والذين قالوا لا يفطر في الجميع قالوا حجتنا أقوى ودلالة الكتاب والسنة على قولنا أظهر فان الله قال (ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا) فجمع بين النسيان والخطأ ولأن من فعل محظور الحج والصلاة مخطئا كمن فعله ناسيا وقد ثبت في الصحيح أنهم أفطروا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ثم طلعت الشمس ولم يذكر في الحديث أنهم أمروا بالقضاء ولكن هشام ابن عروة قال لا بد من القضاء وأبوه أعلم منه وكان يقول لا قضاء عليهم وثبت في الصحيحين أن طائفة من الصحابة كانوا يأكلون حتى يظهر لأحدهم الخيط الأبيض من الخيط الأسود وقال النبي صلى الله عليه وسلم لأحدهم إن وسادك لعريض إنما ذلك بياض النهار وسواد الليل ولم ينقل أنه أمرهم بقضاء وهؤلاء جهلوا الحكم فكانوا مخطئين وثبت عن عمر بن الخطاب أنه أفطر ثم تبين النهار فقال لا نقضي فانا لم نتجانف لاثم وروى عنه أنه قال لا نقضي ولكن إسناد الأول أثبت وصح عنه أنه قال الخطب يسير فتأول ذلك من تأوله على أنه أراد خفة أمر القضاء لكن اللفظ لا يدل على ذلك وفي الجملة فهذا القول أقوى أثرا ونظرا وأشبه بدلالة الكتاب والسنة والقياس وبه يظهر أن القياس في الناسي أنه لا يفطر ولا يقضي ما يدل عليه الكتاب والسنة أن من فعل

محظورا لأنه لم يكن قد فعل منها عنه فلا يبطل بذلك شيء من العبادات
ولا فرق بين الوطء وغيره سواء كان في إحرام أو صيام

﴿ فصل ﴾ وأما قول القائل إنهم يقولون ذلك فيما روي عن
بعض الصحابة فهذا باب واسع والذي يفرقه إنما كان من أقوال
الصحابة فعل بعضهم بقول وقال بعضهم بخلافهم فقد يكون أحد
القولين مخالفا للقياس الصحيح بل وللنص الصريح ومعنى لا ريب فيه
أنه حجة ما كان من سنة الخلفاء الراشدين الذي سنوه للمسلمين ولم
ينقل أن أحدا من الصحابة خالفهم فيه فهذا لا ريب أنه حجة بل
إجماع وقد دل عليه قول النبي صلى الله عليه وسلم عليكم بسنتي وسنة
الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ
وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة [illegible] حكم عمر
وعثمان رضي الله عنهما للأرضين المفتوحة وترك قسمها على الغانمين
فمن قال إن هذا لا يجوز قال لأن النبي صلى الله عليه وسلم قسم خيبر
وقال إن الإمام [illegible] حكمه [illegible] سنة وهذا القول
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

أرسل اليهم أحدا يصالحهم بل خرج أبو سفيان يتحسس الاخبار وأخذه العباس وقدم به كالاسير وغايته أن يكون العباس أمنه فصار مستأمنا ثم أسلم فصار من المسلمين وكيف يتصور أن يعقد عقد صلح الكفار بعد اسلامه من دون اذنهم [illegible] ان النبي صلى الله عليه وسلم علق الامن بأسباب [illegible] من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن ومن أغلق بابه فهو آمن فأمن من لم يقاتله فلو كانوا [illegible] وسماهم النبي صلى الله عليه وسلم طلقاء لانه أطلقهم بعد القدرة عليهم كما يطلق الاسير [illegible] من [illegible] وأيضا فانه أذن في قتل جماعة منهم [illegible] وأيضا فقد ثبت عنه في الصحاح انه قال في خطبته ان مكة لم تحل لاحد قبلي ولا تحل لاحد بعدي وانما أحلت لي ساعة من نهار وهذا صريح في أنها فتحت عنوة وعلى رأسه المغفر [illegible] ولو كانوا قد صالحوه لم يكن [illegible] مدينة من مدائن الصلح لم يكن قد أحلت فكيف تحل له [illegible] وأيضا فقد قاتلوا خالدا وقتل جماعة منهم وفي الحملة من تدبر الآثار المنقولة علم بالاضطرار أن مكة فتحت عنوة وقول [illegible] النبي صلى الله عليه وسلم لم يقسم أرضها كما لم يسترق رجالها فتح خيبر عنوة وقسمها وفتح مكة عنوة ولم يقسمها [illegible] وللناس في هذا الباب ثلاثة مذاهب [illegible] وجوب قسمه [illegible] وجوب [illegible]

[illegible]

حنيفة وأبي عبيد وهو ظاهر مذهب أحمد وغيره كالقولين الأولين ومن
أشكل ما أشكل على الفقهاء من أحكام الخلفاء الراشدين أمر المفقود
فإنه قد ثبت عن عمر بن الخطاب أنه أجل امرأته أربع سنين وأمرها
أن تتزوج بعد ذلك ثم قدم المفقود فخيره عمر بين امرأته وبين مهرها
وهذا مما اتبعه فيه الإمام أحمد وغيره وأما طائفة من متأخري أصحابه
فقالوا هذا يخالف الأصول والقياس ثم [illegible] على كلام الأول لا أن
قول الفرقة تنفذ ظاهرا وباطنا فهي زوجة الثاني والأول قول الشافعي
والثاني قول مالك وآخرون متوقفون في ذلك حتى قالوا لو حكم
حاكم بقول عمر نقض حكمه لمخالفته القياس وآخرون أخذوا
ببعض قول عمر وتركوا بعضه فقالوا إذا تزوجت فهي زوجة الثاني
وإذا لم تتزوج فهي زوجته ولا ترد إلى الأول ومن خالف عمر لم
يهتد إلى ما اهتدى إليه عمر ولم يكن له من الخبرة بالقياس الصحيح مثل
خبرة عمر فإن هذا مبني على أصول وهو وقف العقود إذا تصرف
الرجل في حق الغير بغير إذنه هل يقع تصرفه مردودا أو موقوفا على
إجازته على قولين مشهورين هما روايتان عن أحمد أحدهما [illegible]
[illegible] على [illegible] ورب مصلحة قوية [illegible] موقوف
وهو مذهب أبي حنيفة ومالك وهذا في النكاح والبيع والإجارة وغير
ذلك [illegible] مذهب أحمد [illegible] تصرف ذلك المفقود [illegible]
من الأصيل [illegible] على [illegible]
[illegible] يمكن [illegible] في [illegible] فالأول

مثل من عنده أموال لا تعرف أصحابها كالغصوب والعواري ونحوهما
اذا تعذرت عليه معرفة أرباب الأموال ويئس منها فمن مذهب أبي
حنيفة ومالك وأحمد أنه يتصدق بها عنهم فإن ظهروا بعد ذلك كانوا
مخيرين بين الامضاء وبين التضمين وهذا كما جاءت به السنة في
اللقطة فإن الملتقط أخذها بعد التعريف ويتصرف فيه ثم إن جاء
صاحبها كان مخيرا بين امضاء تصرفه وبين المطالبة بها فهو تصرف
موقوف لكن تعذر الاستئذان لدعاء الحاجة الى التصرف وكذلك
الموصى بما زاد على الثلث وصيته موقوفة على اجازة الورثة عند
الأكثرين و [illegible] عند موت في مسعود فمنع [illegible]
[illegible] أن [illegible] لا تعود الا ذات زوج الى أن
تصير عجوزا وتموت وما لم يعلم خبره و [illegible] لم تأت بمثل هذا فلما
حلت أربع سنين ولم ينكشف حاله حكم بموته ظاهرا وإن قيل
[illegible] أن يفرق بينهما للحاجة فإذا ذلك [illegible] موقوف و لا
[illegible] حيث لم يكن مفقودا كما في التصرف في الأموال التي تعذر
معرفة أصحابها [illegible] كما اذا ظهر صاحب
[illegible] في زوجته [illegible] ويبقى هذا التفريق موقوفا
على [illegible] صار كالفرق
[illegible] يفرق بينهم [illegible]
[illegible]
[illegible] المجهول

كالمعدوم كما في اللقطة فإنه إذا ظهر مالكها لم يحصل ما تقدم قبل ذلك وتكون موقوفة على إجازته من حين إجازتها ويكون زوجته فيكون المالك مخيراً بين إجازة تصرفه لأمر وبين رده وإذا أجازه فقد أخرج البضع عن ملكه وخروج البضع من ملك الزوج متقوم عند الأكثرين كمالك والشافعي وأحمد في أنص الروايتين عنه وهو مضمون بالمسمى كما يقوله مالك وأحمد في إحدى الروايتين عنه والشافعي يقول هو مضمون بمهر المثل ونزاعهم فيما إذا شهد شهود بطلاق امرأته ثم رجعوا عن الشهادة فقيل لا شيء عليهم بناء على أن خروج البضع من ملك الزوج غير متقوم وهو قول أبي حنيفة وأحمد في إحدى الروايتين اختارها متأخرو أصحابه كالقاضي أبي يعلى وأصحابه وقيل عليهم مهر المثل وهو قول الشافعي وهو وجه في مذهب أحمد وقيل عليهم المسمى وهو مذهب مالك وهو أشهر في نصوص أحمد وقد نص على ذلك فيما إذا أفسد نكاح امرأته برضاع أنه يرجع بالمسمى والكلام [illegible] على [illegible]

مثل قصة [illegible] المفقود في صدقه عن [illegible] أخباره الى الفقهاء فليمن

الذي كان له [illegible] عرب عليه معروفه وكذلك تصدق [illegible]

[illegible] من حشى وقرر [illegible] في ذلك وغير ذلك

من [illegible] مع أن القول وقف المفقود [illegible] هو الأصل في حجة

وهو قول الجمهور ليس ذلك ضرراً أصلا بل صلاح بلا فساد فإن

الرجل قد يرى أن [illegible] ويبيعه أو يستأجره أو يوجب له

ثم شاوره فيرضى ولا [illegible] وكذلك في تزويج مولياته

ونحو ذلك وأما مع احتجاجه ولكن [illegible] في مسألة المفقود هل [illegible]

يقف [illegible] على أن تزويج [illegible] كما يقف تصرف الملتقط

على [illegible] والأول رد المهر [illegible] زوج امرأته من ملكه

ولكن [illegible] يرجع [illegible] هو أو ما أعطاها

[illegible] يرجع [illegible] هو [illegible]

[illegible] وأما المهر الذي أصدقها [illegible] فلا حق له [illegible]

الأول [illegible] المهر فهل يرجع [illegible] فيه روايتان احداهما يرجع

لأنه الذي أخذته والثاني قد [illegible] المهر الذي عليه فلا يضمن مهرين

بخلاف المرأة فإنها [illegible] اختار [illegible] الأول [illegible] فيسع أن ترد

المهر [illegible] والثانية لا يرجع [illegible] المرأة تستحق [illegible]

[illegible] تستحل من فرجه [illegible] زوج [illegible] من ملكه

[illegible] المهر [illegible] في مسألة المفقود هو

[illegible]

أئمة الفقهاء فيه مقال وهو مع هذا أصح الاقوال وأجراها على القياس
وكل قول قيل سواه فهو خطأ فمن قال انها تعاد الى الاول وهو
لا يختارها ولا يريدها وقد فرق بينه وبينها تفريقاً سائغاً في الشرع وأجاز
هو ذلك التفريق فانه وان كان الامر في الباطن بخلاف ما اعتقده
فالحق في ذلك للزوج فاذا أجاز ما فعله الامام زال المحذور وأما كونها
زوجة الثاني بكل حال مع ظهور زوجها ومع ان الامر بخلاف ما فعل
فهو خطأ أيضاً فانه مفرق امرأته وانما فرق بينهما لسبب ظهر انه لم
يكن كذلك وهو يطلب امرأته فكيف يحال بينه وبينها وهو لو طلب ماله
أو بدله رد اليه فكيف لا ترد اليه امرأته وأهله أعز عليه من ماله وان
قيل تعلق حق الثاني بها قيل حقه سابق على حق الثاني وقد ظهر
انتقاض السبب الذي به استحق الثاني أن تكون زوجة له وما الموجب
لمراعاة حق الثاني دون حق الاول . فالصواب ما قضى به أمير المؤمنين
عمر بن الخطاب ولهذا [illegible] الصحابة في مثل هذه مشكلات
[illegible] حكمه [illegible] شيء [illegible] أن يكون [illegible]
[illegible] هؤلاء فرق [illegible]
[illegible] الصحابة [illegible]
[illegible]
[illegible] الصحابة
هو أصح الاقوال [illegible] وعليه يدل
القياس [illegible] وكل قول سوى [illegible] في [illegible] منصوص

وكذلك في مسائل غير هذه مثل مسألة الكلالة ومسألة ميراث
الجد وما شاكلها من مسائل [illegible] لا قول فيها لا لاقوال
[illegible] عن الصحابة [illegible] هذه علمت قولا قاله الصحابة ولم
يجمعوا فيه لا وكان [illegible] لكن علم صحيح [illegible]
أجل العلوم ومما يعرف ذلك من كان خبيرا بأسرار الشرع ومقاصده
وما اشتملت عليه شريعة الإسلام من المحاسن التي فوق التعداد
وما تضمنته من مصالح العباد في المعاش والمعاد وما فيها من
الحكمة البالغة والرحمة السابغة والعدل التام
والله أعلم بالصواب وإليه
المرجع والمآب

كتاب السماع والرقص

جمعه

الشيخ محمد بن محمد بن محمد المنبجي الحنبلي من كلام الأئمة
والعلماء المعتبرين وقد نقلت هذه
النسخة عن أصل مسودته
رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

سئل شيخ الاسلام بحر العلوم تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية رضي الله عنه عن صفة سماع الصالحين ما هو وهل سماع القصائد الملحنة بالآلات المطربة هو من القربات والطاعات أم هو محرم أو مباح

فأجاب الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم

* أصل هذه المسألة أن يفرق بين السماع الذي ينتفع به في الدين وبين ما يرخص فيه رفعاً للحرج وبين سماع المتقربين وسماع المتلعبين فأما السماع الذي شرعه الله لعباده وكان سلف الامة من الصحابة والتابعين وتابعيهم يجتمعون عليه لصلاح قلوبهم وزكاة نفوسهم فهو سماع آيات الله وهو سماع النبيين والمؤمنين وأهل العلم وأهل المعرفة قال الله تعالى لما ذكر من ذكره من الانبياء عليهم السلام في قوله (أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية ابراهيم واسرائيل وممن هدينا واجتبينا اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكيا) وقوله تعالى (انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون) وقوله تعالى (ان الذين أوتوا العلم من قبله اذا تتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا) وقوله تعالى (واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق) وهذا السماع أمر

الله تعالى في قوله (وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون) وعلى أهله أثنى تعالى كما في قوله تعالى (فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه) وقال تعالى في الأخرى (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) فالقول الذي أمروا بتدبره هو الذي أمروا بسماعه وقال تعالى (كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته) وكما أثنى تعالى على هذا السماع ذم تعالى المعرضين عن هذا السماع فقال تعالى (وإذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقرا) وقال تعالى (وقالوا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون) وقال تعالى (وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا) وقال تعالى (فما لهم عن التذكرة معرضين كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة) وقال تعالى (وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب) وقال تعالى (وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا) وهذا هو السماع الذي شرعه الله للمسلمين في صلواتهم وخطبهم كصلاة الفجر وصلاة العشاءين وفي غير ذلك وعلى هذا السماع كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يجتمعون وكانوا إذا اجتمعوا أمروا واحدا منهم يقرأ والباقي يستمعون فكان عمر يقول لأبي موسى ذكرنا ربنا فيقرأ وهم يستمعون

وهذا هو السماع الذي كان النبي صلى الله عليه وسلم يشهده مع أصحابه

ويستدعيه منهم كما في الصحيحين عن عبد الله بن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له اقرأ علي قال قلت أأقرأ عليك وعليك أنزل قال اني أحب أن أسمعه من غيري فقرأت عليه سورة النساء حتى وصلت الى هذه الآية فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا قال حسبك فإذا عيناه تذرفان

وهذا هو الذي كان النبي صلى الله عليه وسلم يسمعه وأصحابه كما قال تعالى (لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة) والحكمة هي السنة وقال تعالى (قل انما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرمها وله كل شيء وأمرت أن أكون من المسلمين وأن أتلو القرآن فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فقل انما أنا من المنذرين) وكذلك غيره من الرسل صلوات الله عليهم قال تعالى (يا بني آدم إما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) وكذلك يحتج عليهم يوم القيامة كما قال تعالى (يا معشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا وغرتهم الحياة الدنيا) الآية وقال تعالى (وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا حتى اذا جاؤها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى) الآية

وقد حرمت طائفة من المتصوفة بهذا السماع مهيجا لمعالج والمرض

ضال شقي قال الله تعالى (فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا
يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره
يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى) الآية وقال تعالى (ومن
يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين)

وذكر الله يراد به تارة ذكر العبد ربه ويراد به الذكر الذي
أنزله الله كما قال تعالى (وهذا ذكر مبارك أنزلناه) وقال تعالى (أوعجبتم أن
جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم) وقال (يا أيها الذي نزل
عليه الذكر إنك لمجنون) وقال تعالى (وما يأتيهم من ذكر من ربهم
محدث إلا استمعوه وهم يلعبون) وقال تعالى (وإنه لذكر لك ولقومك)
وقال تعالى (إن هو إلا ذكر للعالمين) وقال تعالى (وما علمناه الشعر وما
ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين) وهذا السماع له آثار إيمانية
من المعارف القدسية والأحوال الزكية ما يطول شرحها ووصفها وله
في الجسد آثار محمودة من خشوع القلب ودموع العين واقشعرار
الجلد وهذا مذكور في القرآن وهذه الصفات موجودة في الصحابة
ووجدت بعدهم آثاره من الاضطراب والصراخ والإغماء والموت
في التابعين

وبالجملة فهذا السماع هو أصل الإيمان فإن الله تعالى بعث محمدا
صلى الله عليه وسلم إلى الخلق أجمعين ليبلغهم رسالات ربهم فمن سمع
ما بلغه الرسول فآمن به واتبعه اهتدى وأفلح ومن أعرض عن ذلك
ضل وشقي

وأما سماع المكاء والتصدية والتصدية هي التصفيق بالأيدي والمكاء مثل الصفير ونحوه فهذا سماع المشركين الذي ذكره الله تعالى في قوله (وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية) فأخبر الله تعالى عن المشركين أنهم كانوا يتخذون التصفيق باليد والتصويت بالفم قربة ودينا ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه يجتمعون على مثل هذا السماع ولا حضروه قط ومن قال إن النبي صلى الله عليه وسلم حضر ذلك فقد كذب عليه باتفاق أهل المعرفة بحديثه وسنته والحديث الذي ذكره محمد بن طاهر المقدسي في مسئلة السماع في صفة الصوفية ورواه من طريقه الشيخ أبو حفص عمر السهروردي صاحب عوارف المعارف أن النبي صلى الله عليه وسلم أنشده اعرابي

قد لسعت حية الهوى كبدي * فلا طبيب لها ولا راقي

الا الحبيب الذي شغفت به * فعنده رقيتي وترياقي

وأنه تواجد حتى سقطت البردة عن منكبيه فقال معاوية ما أحسن لهوكم فقال مهلا يامعاوية ليس بكريم من لم يتواجد عند ذكر الحبيب هو حديث مكذوب موضوع باتفاق أهل العلم بهذا الشأن وأظهر منه كذبا حديث آخر يذكرون فيه أنه لما بشر الفقراء بسبقهم للاغنياء الى الجنة تواجدوا وخرقوا ثيابهم وأن جبريل نزل من السماء فقال يامحمد ان ربك يطلب نصيبه من هذه الخروق فأخذ منه خرقة فعلقها بالعرش وأن ذلك هو زيق الفقراء * وهذا وأمثاله مما يرويه من هو من أجهل

الناس بحال النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ومن بعدهم معرفة بالإيمان والاسلام وهو شبيه برواية من روى ان أهل الصفة قاتلوا مع الكفار لما انكسر المسلمون يوم حنين أو غير يوم حنين وانهم قالوا نحن مع الله من كان معه كنا معه ومن روى أن صبيحة المعراج وجد أهل الصفة يتحدثون بشيء كان الله أمر نبيه أن يكتمه فقال لهم من أين لكم هذا فقالوا الله علمنا إياه فقال يارب ألم تأمرني أن لا أفشيه فقال أمرتك أنت أن لا تفشيه ولكن أنا علمتهم إياه ونحو هذه الاحاديث التي يرويها طوائف منتسبون الى الدين مع فرط جهلهم بدين الاسلام وبنوا عليها من النفاق والبدع ما يناسبها تارة يسقطون بتوسط الرسول وانهم يصلون الى الله من غير طريق الرسول مطلقاً وهذا أعظم من كفر اليهود والنصارى فان أولئك أسقطوا واسطة رسول واحد وهؤلاء أسقطوا وساطة الرسل مطلقاً وهؤلاء اذا أسقطوا واسطة الرسل مطلقاً عن أنفسهم كان هذا أغلظ من كفر أولئك لكنهم يقولون لا تسقط الوساطة الا عن الخاصة لا عن العامة فيكونون أكفر من أهل الكتاب من جهة هذه الساقطة مطلقاً عنهم وفي بعض الاحوال وأهل الكتاب أكفر من جهة سقوط الساقطة مطلقاً عن أهل الكتاب بغير ... يقولون انه رسول الى الاميين دون أهل الكتاب خير من هؤلاء من أولئك أخرجوا عن رسالته من لم يكن منهم وهؤلاء يخرجون عن رسالته من لا يتبعه بالحالات ووساوس وظنون أنها تنبيه شيطان مع ظنه انه من خواص أولياء الله وهو من أبعد أعداء الله وتراهم يحتجون بهذه

الآثار المختلفة حجة فيما يفترونه من أمور تخالف دين الاسلام ويدعون انها من أسرار الخواص كما يفعله الملاحدة والقرامطة والباطنية وتارة يجعلونه حجة في الاعراض عن كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يفعله من اتخذ دينهم لهوا ولعباً

وبالجملة قد علم بالاضطرار من دين الاسلام أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يشرع لصالحي أمته وعبادهم وزهادهم أن يجتمعوا على استماع الابيات الملحنة مع ضرب بالكف أو ضرب بالقضيب أو الدف كما لم يبح لاحد أن يخرج عن متابعته واتباع ما جاء به من الكتاب والحكمة لا في باطن الامر ولا في ظاهره لا لعامي ولا لخاص ولكن رخص النبي صلى الله عليه وسلم في أنواع من اللهو في العرس ونحوه كما رخص للنساء أن يضربن بالدف في الاعراس والافراح وأما الرجال على عهده فلم يكن أحد منهم يضرب بدف ولا يصفق بكف بل قد ثبت عنه في الصحيح انه قال انما التصفيق للنساء والتسبيح للرجال ولعن المتشبهات من النساء بالرجال والمتشبهين من الرجال بالنساء ولما كان الغناء والضرب بالدف والكف من عمل النساء كان السلف يسمون من يفعل ذلك مخنثاً ويسمون الرجال المغنين مخانيث وهذا مشهور في كلامهم ومن هذا الباب حديث عائشة رضي الله عنها لما دخل عليها أبو بكر في أيام العيد وعندها جاريتان من الانصار تغنيان بما تقاولت به الانصار يوم بعاث فقال أبو بكر أبمزمور الشيطان في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان النبي صلى الله عليه وسلم معرضا عنهما مقبلا

بوجهه الى الحائط فقال دعهما يا أبا بكر فان لكل قوم عيدا وهذا عيدنا
أهل الاسلام ففي هذا الحديث بيان ان هذا لم يكن من عادة النبي صلى
الله عليه وسلم وصحابه الاجتماع عليه ولهذا سماه الصديق أبو بكر
رضي الله عنه مزمور الشيطان والنبي صلى الله عليه وسلم أقر الجواري
عليه معللا ذلك بانه يوم عيد والصغار يرخص لهم في اللعب في الاعياد
كما جاء في الحديث ليعلم المشركون ان في ديننا فسحا وكما كان يكون
لعائشة لعب تلعب بهن وتجيء صواحباتها من صغار النسوة يلعبن معها
وليس في حديث الجاريتين أن النبي صلى الله عليه وسلم استمع الى
ذلك والأمر والنهي انما يتعلق بالاستماع لا بمجرد السماع كما في الرؤية
فانه انما تتعلق بقصد الرؤية لا بما يحصل منها بغير الاختيار كذلك في
اشتمام الطيب انما ينهى المحرم عن قصد الشم فاما اذا شم ما لم يقصده
فانه لا اثم عليه وكذلك في مباشرة المحرمات كالحواس الخمس من السمع
والبصر والشم والذوق واللمس انما يتعلق الأمر والنهي في ذلك بما للعبد
فيه قصد وعمل واما ما يحصل بغير اختياره فلا أمر فيه ولا نهي وهذا
مما وجه به الحديث الذي في السنن حديث ابن عمر انه كان مع النبي
صلى الله عليه وسلم فسمع صوت زمارة راع فعدل عن الطريق وقال
هل تسمع حتى انقطع الصوت فمن من الناس من يقول بتقدير صحة
الحديث لم يأمر ابن عمر بسد أذنه فيجاب بان ابن عمر لم يكن يستمع
وانما كان يسمع وهذا لا اثم فيه وانما النبي صلى الله عليه وسلم عدل طلبا
الاكمل والافضل كمن اجتاز بطريق فسمع قوما يتكلمون بكلام

محرم فسد أذنه كيلا يسمعه فهذا حسن ولو لم يسد اذنه لم يأثم بذلك اللهم الا أن يكون في سماعه ضرر ديني لا يندفع الا بالسد

وجماع هذه مسألة السماع كلام هؤلاء كثير من المتأخرين في السماع هل هو محظور أو مكروه أو مباح وليس المقصود بذلك رفع الحرج بل مقصودهم بذلك أن يتخذ طريقا الى الله يجتمع عليه أهل الديانات لصلاح القلوب والتشويق الى المحبوب والتخويف من المرهوب والحزن على فوات المطلوب يستنزل به الرحمة ويستجلب به النعمة ويحرك به مواجيد أهل الايمان ويستجلي به مشاهد أهل العرفان حتى يقول بعضهم انه أفضل لبعض الناس أو للخاصة من سماع القرآن من عدة وجوه وحتى يجعلونه قوتا للقلوب وغذاء للارواح وحاديا للنفوس يحدوها الى السير الى الله عز وجل ويحثها على الاقبال عليه ولهذا يوجد من اعتاده واغتذى به لا يحن الى القرآن ولا يفرح به ولا يجد في سماع الآيات كما يجد في سماع الابيات بل اذا سمعوا القرآن سمعوه بقلوب لاهية وألسن لاغية واذا سمعوا سماع أهل المكاء والتصدية خشعت الاصوات وسكنت الحركات وأصغت القلوب وتعاطت المشروب فمن تكلم في هذا هل هو مكروه أو مباح وشبهه بما كان النساء يغنين به في الاعياد والافراح لم يكن قد اهتدى الى الفرق بين طريق أهل الخسارة والفلاح ومن لم يتكلم في هذا هل هو من الدين ومن سماع المتقين ومن أحوال المقربين والمقتصدين ومن أعمال أهل اليقين ومن طريق المحسنين المحبوبين ومن أفعال

السالكين الى رب العالمين كان كلامه فيه من وراء وراء بمنزلة من سئل
عن علم الكلام المجلب فيه هل هو محمود أو مذموم فأخذ يتكلم في
حد الكلام وأقسامه الى الاسم والفعل والحرف أو يتكلم في مدح
الصمت أو في أن الله أباح الكلام وأمثال ذلك مما لا يمس المحل
المشتبه المتنازع فيه ولا عرف هل

ولما لم يكن في القرون الثلاثة المفضلة لا بالحجاز ولا بالشام ولا باليمن
ولا مصر ولا المغرب والعراق وخراسان من أهل الدين والصلاح والزهد
والعبادة من يجتمع على مثل سماع المكاء والتصدية لا بدف ولا بكف
ولا بقضيب وإنما أحدث هذا بعد ذلك في أواخر المائة الثانية فلما رآه
الأئمة أنكروه فقال الشافعي خلفت ببغداد شيئا أحدثته الزنادقة يسمونه
التغبير يصدون به الناس عن القرآن وقال يزيد بن هارون ما يغبر إلا
فاسق ومتى كان التغبير وسئل عنه أحمد فقال أكرهه هو محدث قيل
أنجلس معهم قال لا وكذلك سائر أئمة الدين كرهوه وأكابر الشيوخ
الصالحين لم يحضروه فلم يحضره ابراهيم بن أدهم ولا الفضيل بن
عياض ولا معروف الكرخي ولا أبو سليمان الداراني ولا أحمد بن
أبي الحواري ولا السري السقطي وأمثالهم والذين حضروه من
الشيوخ المحمودين تركوه في آخر أمرهم وأعيان المشايخ عابوا أهله
كما فعل ذلك الشيخ عبد القادر والشيخ أبو البيان وغيرهما من الشيوخ
وما ذكره الشافعي رضي الله عنه من أنه من إحداث الزنادقة من
كلام إمام خبير بأصول الإسلام فإن هذا السماع لم يرغب فيه ويدعو

إليه في الأصل إلا من هو متهم بالزندقة كابن الراوندي والفارابي وابن سينا وأمثالهم كما ذكر أبو عبد الرحمن السلمي في مسألة السماع عن ابن الراوندي أنه قال اختلف الفقهاء في السماع فأباحه قوم وكرهه قوم وأنا أوجبه أو قال وأنا آمر به فخرق إجماع العلماء في الأمر به وأبو نصر الفارابي كان بارعاً في الغناء الذي يسمونه الموسيقا وله فيه طريقة عند أهل صناعة الغناء وحكايته مع ابن حمدان مشهورة لما ضرب فبكاهم ثم أضحكهم ثم نومهم ثم خرج وابن سينا ذكر في إشاراته في مقامات العارفين من الترغيب فيه وفي عشق الصور ما يناسب طريقة أسلافه الفلاسفة الصابئين المشركين الذين كانوا يعبدون الكواكب والأصنام كما كان يصنعه سلفهم أرسطو ومن معه كثرفلس وثامسطيوس والإسكندر الأفروديسي وكان يصورون ويزعمون أن الإسكندر بن فيلبس المقدوني الذي تؤرخ به اليهود والنصارى وكان من أتباع أرسطو تلميذه هو ذو القرنين المذكور في القرآن الذي بنى السد فكان قبل هؤلاء بزمن طويل وأما الإسكندر الذي وزر له أرسطو فإنه إنما بلغ بلاد خراسان ونحوها ودولة فارس لم يصل إلى السد وهذه الأمور مبسوطة في غير هذا الموضع وابن سينا أحدث فلسفة ركبها من كلام سلفه اليونان ومما أخذه من أهل الكلام المبتدعين الجهمية ونحوهم وسلك طريق الملاحدة الإسماعيلية في كثير من أمورهم العلمية والعملية ومزجه بشيء من كلام الصوفية وحقيقته تعود إلى كلام إخوانه الإسماعيلية القرامطة الباطنية فإن أهل بيته كانوا من الإسماع

الحكم الذي كان بمصر وكانوا في زمانه ونحوهم من أصحاب رسائل
اخوان الصفا وأمثالهم من أئمة منافقي الأمم الذين ليسوا مسلمين ولا
يهود ولا نصارى وكان الفارابي قد حذق في حروف اليوناني التي هي
تعليم أرسطو وأتباعه من الفلاسفة المشائين وفي أصولهم صناعة الغناء
ففي هذه الطوائف من يرغب فيه ويجعله مما يزكي به النفوس وترتاض
به وتهذب به الأخلاق

وأما الحنفاء أهل ملة ابراهيم خليل الله الذي جعله الله للناس إماما
وأهل دين الاسلام الذي لا يقبل الله من أحد دينا غيره المتبعون لشريعة
خاتم الرسل محمد صلى الله عليه وسلم تسليما فهؤلاء ليس فيهم من
يرغب في ذلك ولا يدعو اليه وهؤلاء هم أهل القرآن والايمان والهدى
والرشاد والسعادة والفلاح وأهل المعرفة والعلم واليقين والاخلاص لله
والحب له والتوكل عليه والخشية منه والانابة اليه

ولكن قد حضره أقوام من أهل الارادة وممن له نصيب في المحبة
لما فيه من تحريك محبوبهم ولم يعلموا غائلته ولا عرفوا مغبته كما دخل
قوم من متفقهة أهل الرأي في حديثه رسول صلى الله عليه وسلم
في نوع من كلامه ونفسه يحسب من الأسماء فيه حق
موافق وما عموا غائلته ولا عرفوا مغبته اذ المحقق لدين علما
وقوة وذوقا وخبرة لا يستقبل ما أكثر الناس ولكن لما تبين
خبيئة هؤلاء الا بعد الكتب والسنة فلما قرر وحل بعث محمد صلى
الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله

سهيدا وقد قال تعالى: (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا) وقال تعالى (وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا وخط خطوطا عن يمينه وشماله ثم قال هذا سبيل الله وهذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه ثم قرأ (وأن هذا صراطي مستقيما) ومن كان له خبرة بحقائق الدين وأحوال القلوب ومعارفها وأذواقها ومواجيدها عرف أن سماع المكاء والتصدية لاجلب للقلب منفعة ولا مصلحة الا وفي ضمن ذلك من الضلال والمفسدة ما هو أعظم منه فهو للروح كالخمر للجسد يفعل في النفوس فعل حميا الكؤوس ولهذا يورث أصحابه سكرا أعظم من سكر الخمر ويجدون لذة كما يجد شارب الخمر بل يحصل لهم أكثر وأكبر مما يحصل لشارب الخمر ويصدهم ذلك عن ذكر الله وعن الصلاة أعظم مما يصدهم الخمر ويوقع بينهم العداوة والبغضاء أعظم من الخمر حتى قتل بعضهم بعضاً من غير مس بيد بل بما يقترن بهم من الشياطين فانه يحصل لهم أحوال شيطانية بحيث تنزل عليهم الشياطين في تلك الحال ويتكلمون على ألسنتهم كما تتكلم الجن على لسان المصروع اما كلاما من جنس كلام الاعاجم الذين لا يفقه كلامهم كلسان الترك أو الفرس أو غيرهم ويكون الانسان الذي لبسه الشيطان عربيا لا يحسن أن يتكلم بذلك بل يكون الكلام من جنس كلام من يكون لذلك الشيطان من خوانهم وأما كلاما لا يعقل

ولا يفهم له معنى وهذا يعرفه أهل المكاشفة شهودا وعيانا وهؤلاء
الذين يدخلون النار مع خروجهم عن الشريعة هم من هذا النمط
فإن الشياطين تلبس أحدهم بحيث يسقط إحساس بدنه حتى إن
المصروع يضرب ضرباً عظيماً وهو لا يحس ولا يؤثر في بدنه فكذلك
هؤلاء تلبسهم الشياطين فتدخل بهم النار وقد تطير بهم في الهواء وإنما
يلبس أحدهم الشيطان مع تغيب عقله كالمصروع وبأرض المشرق ضرب من
الزط يقال لأحدهم المصلي يلبسه الشياطين وتدخله النار ويطير في الهواء
ويفعل أشياء أبلغ مما يفعله هؤلاء وهم من الزط الذين لا خلاق لهم
والجن تخطف كثيراً من الناس وتغيبه عن أبصار الناس وتطير به في
الهواء وقد باشرنا من هذه الأمور ما يطول وصفه وكذلك هؤلاء
المتولهون الذين يكونون في بعض الشيوخ قد تحصل لهم وجد عند
سماع المكاء والتصدية منهم من يصعد في الهواء ومنهم من يدخل النار
ويأخذ الحديد المحمى بالنار فيضعه على بدنه وأنواع من هذا الجنس
ولا تحصل لهم هذه الحال عند الصلاة ولا عند الذكر ولا عند قراءة
القرآن لأن هذه عبادات شرعية إيمانية نبوية محمدية تطرد
الشياطين وتلك عبادات بدعية شركية شيطانية فلسفية تستجلب
الشياطين

وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ما تركت
شيئاً يقربكم إلى الجنة إلا وقد حدثتكم به ولا شيئاً يبعدكم عن النار إلا وقد
حدثتكم به وإن هذا السماع لو كان مصلحة لشرعه الله ورسوله فإن الله

بقوله (اليوم أكملت لكم دينكم) الآية وإذا وجد السامع به منفعة لقلبه ولم يجد شاهد ذلك من كتاب الله ولا من سنة رسوله لم يلتفت إليه كما أن الفقيه إذا رأى قياساً لا يشهد له الكتاب والسنة لم يلتفت إليه

وفصل النزاع في حكم مسألة السماع ثلاث قواعد من أهم قواعد الإيمان والسلوك فمن لم يبن عليها وإلا فبناؤه على شفا جرف هار ﴿ القاعدة الأولى ﴾ أن الذوق والحال والوجد هل هو حاكم أو محكوم عليه فحاكم آخر أو متحاكم إليه فهذا منشأ ضلال من ضل من المفسدين لطريق القوم الصحيحة حيث جعلوه حاكماً يتحاكمون إليه فيما هو صحيح وفاسد فجعلوه حكماً بين الحق والباطل فنبذوا الكتاب والسنة ولم يحكموا العلم والنصوص وحكموا الأذواق والمواجيد فعم المصاب وطمست معالم الإيمان والسلوك المستقيم وسببه أنهم دخلوا في الرياضات والمجاهدات والزهد ليتجردوا عن حظوظ النفس وشهواتها فانتقلوا من شهوات إلى شهوات أكبر منها ومن حظوظ إلى حظوظ أعظم منها وكان حظهم في الشهوات التي انتقلوا عنها أكمل وخيراً من هؤلاء لأنهم لم يعارضوا بها العلم ولا قدموها على النصوص ولا جعلوها قربة ودينا وغايتها أنها حظوظهم من الله دون نهايتها عن مراد الله وأما زهاد في حظ إلى حظ أعلا منه وتركوا شهوة لشهوة فليتدبر اللبيب هذا في نفسه وفي غيره فكل من جانب مراد الله الديني من العبد فهو حظه وشهوته دنيا كان أو حالاً أو وجداً أو علماً أو صورة ونحو ذلك ثم قدمه على مراد الله فهو أسوأ حالاً ممن اعترف بأنه يعصي ونجسه وإن

مراد الله أولى بالتقديم منه وأنه يجب التوبة منه

﴿القاعدة الثانية﴾ أنه إذا وقع النزاع في حكم فعل من الأفعال أو حال أو ذوق هل هو صحيح أو فاسد أو حق أو باطل وجب الرجوع فيه إلى الحجة المقبولة عند الله من كتاب الله وسنة رسوله فهذا هو الأساس ومن لم يبن على هذا الأصل فعلمه وسلوكه ليس على شيء

﴿القاعدة الثالثة﴾ إذا أشكل على الناظر أو السالك حكم شيء هل هو الإباحة أو التحريم فلينظر إلى مفسدته وثمرته وغايته فإن كان مشتملا على مفسدة راجحة ظاهرة فإنه يستحيل على الشارع الأمر به أو إباحته بل يقطع أن الشرع يحرمه لاسيما إذا كان طريقه مفضيا إلى ما يبغضه الله ورسوله فكيف يظن بالحكيم الخبير أن يحرم مثل رأس الإبرة من المسكر لأنه يسوق النفس إلى السكر الذي يسوقها إلى المحرمات ثم يبيح ما هو أعظم منها سوقا للنفوس إلى المحرم بكثير فإن الغناء كما قال ابن مسعود هو رقية الزنا وقد شاهد الناس أنه ما عاناه صبي إلا وفسد ولا امرأة إلا وبغت ولا شاب ولا شيخ إلا وقع في محذور

وقد سبح الإسلام في تتمة فصل الخطاب في هذا الباب لمن كان ينظر في مذهبه شيء ثم يطلق عليه التحريم أو الكراهة أو غير ذلك والمسمى ثم يطلق على أشياء منها غناء الحجيج فإنهم ينشدون أشعارا يصفون فيها الكعبة وزمزم والمقام وغير ذلك فسماع تلك الأشعار مباح وفي معنى هؤلاء الغزاة فإنهم ينشدون أشعارا يحرضون بها على الغزو وفي هذا المعنى إنشاد المتبارزين للقتال وقد قال الرسول صلى الله عليه

وسلم لحاديه رويدك سوقا بالقوارير وقال عبد الله بن رواحة يمدح النبي صلى الله عليه وسلم

وفينا رسول الله يتلو كتابه * اذا انشق معروف من الفجر ساطع
يبيت يجافي جنبه عن فراشه * اذا استثقلت بالمشركين المضاجع
أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا * به موقنات أن ما قال واقع

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه خرج على أهل الصفة وفيهم واحد يقرأ والباقي يستمعون فجلس معهم

وقال الشيخ في موضع ولكن تكلموا في الغناء المجرد عن آلات اللهو هل هو حرام أو مكروه أو مباح وذكر أصحاب أحمد لهم في ذلك ثلاثة أقوال وذكروا عن الشافعي قولين ولم يذكروا عن أبي حنيفة ومالك في ذلك نزاعا وذكر زكريا بن يحيى الساجي وهو أحد الائمة المتقدمين من المائلين الى مذهب الشافعي أنه لم يخالف من الفقهاء المتقدمين الا ابراهيم بن سعد من أهل المدينة وعبيد الله بن الحسن العنبري من أهل البصرة وما ذكره أبو عبد الرحمن السلمي وأبو القاسم القشيري وغيرهما عن مالك وأهل المدينة في ذلك فغلط وانما وقع به لان بعض أهل المدينة كان يحضر السماع الا أن هذا ليس قول أئمتهم وفقهائهم

وقال شيخ الاسلام أيضا وجماع الامر في ذلك أنه اذا كان الكلام في السماع وغيره هل هو طاعة وقربة فلابد من دليل شرعي يدل على ذلك واذا كان الكلام هل هو محرم أو غير محرم فلابد من دليل شرعي

يدل على ذلك اذ لا حرام الا ما حرمه الله ولا دين الا ما شرعه الله والله تعالى سبحانه ذم المشركين على انهم ابتدعوا في الدين ما لم يأذن به الله وأنهم حرموا ما لم يحرمه الله قال الله تعالى أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله وقال تعالى واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها الآية

قال أبو سليمان الداراني انه لتمر بي النكتة من نكت القوم فلا أقبلها الا بشاهدين الكتاب والسنة وقال أيضا ليس لمن ألهم شيئا من الخير أن يعمله حتى يسمع فيه بأثر فاذا سمع بأثر كان نورا على نور وقال الجنيد علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة فمن لم يقرأ القرآن ويكتب الحديث لا يصلح له أن يتكلم في علمنا وقال سهل بن عبد الله التستري كل وجد لا يشهد له الكتاب والسنة فهو باطل وقال كل عمل على اقتداء فهو عذاب على النفس وكل عمل بلا اقتداء فهو عيش النفس وقال أبو عثمان النيسابوري من أمر السنة على نفسه قولا وفعلا نطق بالحكمة ومن أمر الهوى على نفسه قولا وفعلا نطق بالبدعة

وقال أبو الفرج بن الجوزي اعلم أن سماع الغناء يجمع شيئين أحدهما أن يلهي القلب عن التفكر في عظمة الله والقيام بخدمته والثاني أن يميله الى اللذات العاجلة ويدعو الى استيفائها من جميع الشهوات الحسية ومعظمها النكاح وليس تمامه الا في المحدثات ولا سبيل الى كثرة المحدثات من الحل فلذلك يحث على الزنا فبين الغناء والزنا تناسب من جهة أن الغناء لذة الروح والزنا أكبر لذات النفس

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية في موضع من كلامه في السماع وأما أبو حنيفة ومالك والثوري ونحوهم فهم أعظم كراهة وانكارا لذلك من الشافعي وأحمد

وقال في موضع آخر ولم يحضره مثل ابراهيم بن أدهم ولا الفضيل ابن عياض ولا معروف الكرخي ولا السري السقطي ولا أبو سليمان الداراني ولا مثل الشيخ عبد القادر والشيخ عدي والشيخ ابي البيان والشيخ حياة وغيرهم بل في كلام طائفة من هؤلاء مثل الشيخ عبد القادر وغيره النهي عنه وكذلك أعيان المشايخ وقد حضره من المشايخ جماعة وشرطوا له المكان والامكان والخلان والشيخ الذي يحرس من الشيطان وأكثر الذين حضروه من المشايخ المعروفين ثم رجعوا عنه في آخر عمرهم كالجنيد فانه كان يحضره وهو شاب وتركه في آخر عمره وكان يقول من تكلف السماع فتن به ومن صادف السماع استراح به فقد ذم من يجتمع له ورخص فيمن يصادفه من غير قصد ولا اعتماد للجلوس له وسبب ذلك انه مجمل ليس فيه تفصيل فان الابيات المتضمنة لذكر الحب والوصل والهجر والقطيعة والشوق والصبر على العزل واللوم ونحو ذلك هو قول مجمل يشترك فيه محب الرحمن ومحب الاوثان ومحب الصلبان ومحب الاخوان ومحب الاوطان ومحب النسوان ومحب الصبيان فقد يكون فيه ما يهيج الباطن أثار الساكن وكان ذلك مما يحبه الله ورسوله لكن تكون فيه مضرة راجحة على نفعه كما في الخمر والميسر فان فيهما اثما كبيرا ومنافع للناس وإثمهما

أكثر من نفعهما فلهذا لم يأت به الشريعة فإن الشريعة لم تأت إلا بالمصلحة الخالصة أو الراجحة وأما ما تكون مفسدته غالبة على مصلحته فهو بمنزلة من يأخذ دونهما بدينار أو يسرق خمسة دراهم يتصدق منها بدرهمين وذلك أنه يهيج الوجد المشترك فيعرفون النفس كثوا من نصرة آثارها ويعدي النفس ويقيتها به فتعتاض به عن سماع القرآن حتى لا تبقى فيها محبة لسماع القرآن ولا يلتذ به ولا يستطيبه بل قد يبقى في النفس بغض لذلك واستثقال به كمن يستعمل نفسه بتعلم التوراة والإنجيل وعلوم أهل الكتابين والصابئين واستفادة العلم والحكمة منها فأعرض بذلك عن كتاب الله وسنة رسوله إلى أشياء أخر يطول ذكرها

فما كان هذا السماع لا يعطي بنفسه ما يحبه الله ورسوله من الأحوال والمعارف بل قد يصد عن ذلك ويعطي ما لا يحبه الله ورسوله بل ما يبغضه الله ورسوله لم يأمر الله به ولا رسوله ولا سلف الأمة ولا أعيان مشايخها

والصوت يؤثر في النفس بحسب الأوقات تارة فرحا وتارة حزنا وتارة غضبا وتارة رضا وإذا قوى السكر بصوت اللذة المطربة فهي عن تمييز كما يحصل للنفس إذا سكرت بالصور وقد يحصل لها سكر الطعام والشراب فإن السكر هو الطرب الذي يورث لذة بلا عقل فلا تقوم منفعة تلك اللذة بما يحصل من غيبة العقل التي صدت عن ذكر الله وعن الصلاة وأورثت العداوة والبغضاء .

وأما الرقص فلم يأمر الله عز وجل به ولا رسوله ولا أحد من

الأئمة بل قال الله تعالى (ولا تمش في الارض مرحا) والرقص شيء من هذا وقال تعالى (واقصد في مشيك) وقال تعالى (وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا) أي بسكينة ووقار

وإنما عادة المسلمين الركوع والسجود بل الرقص والرقص في الطريق لم يأمر الله به ولا رسوله ولا أحد من سلف الامة بل أمروا في الصلاة بالسكينة والوقار ولو ورد على الانسان حال يغلب فيها حتى يخرج الى حالة خارجة عن المشروع وكان ذلك الحال بسبب مشروع كسماع القرآن الكريم ونحوه لسلم اليه ذلك كما تقدم فاما الذي اذا تكلف من الاسباب ما لم يؤمر به مع علمه بانه يوقعه فيما لا يصلح له فهو بمنزلة من شرب الخمر مع علمه انها تسكره واذا قال ورد على حال وانا سكران قيل له اذا كان السبب محظورا لم يكن صاحبه معذورا فهذه الاحوال الفاسدة من كان فيها صادقا فهو مبتدع ضال من جنس خفراء التتر وأعوان الظلمة من ذوي الاحوال الفاسدة الذين صاروا عباد النصارى والمشركين ببعض ما لهم من الاحوال ومن كان كاذبا فهو منافق ضال

(فصل) وقد يستدل قوم على اباحة السماع بامور أخصها ذلك منها انه مستلذ طيب تلتذ به النفوس وتستريح اليه وان الطفل يسكن الى الصوت الطيب بل بعض الصغار للانسان حتى تحدوله القافلة بامره والابل تنسى تعب السير ومشقة الحمولة ويهون عليها بالحداء

ومنها أن الصوت الطيب نعمة من الله على صاحبه وزيادة في خلقه

وقد يستدلون عليه بقوله (يزيد في الخلق ما يشاء) وقال الله تعالى ذم الصوت الفظيع (ان أنكر الاصوات لصوت الحمير) فتال

ومنها ان الله وصف أهل الجنة انهم في روضة يحبرون وان ذلك هو السماع الطيب وكيف يكون حراما وهو في الجنة

ومنها ماثبت ان الله تعالى ما أذن لشيء كاذنه أي كاستماعه لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن

ومنها ان أبا موسى الاشعري استمع النبي صلى الله عليه وسلم لصوته وأثنى على حسن الصوت وقال لقد أوتي هذا مزمارا من مزامير آل داود وقال له أبو موسى لو أعلم انك استمعت لحبرته لك تحبيرا أى زينته وحسنته

ومنها قوله صلى الله عليه وسلم زينوا القرآن باصواتكم وقوله ليس منا من لم يتغن بالقرآن والصحيح انه من التغني وهو تحسين الصوت به كذا ذكره العلامة ابن القيم وصححه ويعضده ما فسره الامام أحمد فقال يحسن صوته ما استطاع

ومنها أنه صلى الله عليه وسلم أقر عائشة على غناء القينتين يوم العيد وقال لابي بكر دعهما فان لكل قوم عيدا وهذا عيدنا أهل الاسلام

ومنها أنه صلى الله عليه وسلم أذن في العرس بالغناء وسماه لهوا

ومنها انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الحداء وأذن فيه

ومنها انه كان يسمع انشاد الصحابة وكانوا يرتجزون بين يديه

في حفر الخندق

نحن الذين بايعوا محمدا * على الجهاد ما بقينا أبدا

ودخل مكة وهو يحرز بين يديه بشعر عبد الله بن رواحة وحدا به الحادي في منصرفه من خيبر فجعل يقول

والله لولا الله ما اهتدينا * ولا تصدقنا ولا صلينا

فأنزلن سكينة علينا * وثبت الاقدام ان لاقينا

ان الالى قد بغوا علينا * اذا أرادوا فتنة أبينا

فدعا له

ومنها انه سمع قصيدة كعب بن زهير وأجازه

ومنها انه استنشد الاسود بن سريع قصائد حمد بها ربه واستنشد من شعر أمية بن أبي الصلت مائة قافية وأنشد لاعشى شيئا من شعره فسمعه

ومنها انه صدق لبيدا في قوله

الا كل شيء ما خلا الله باطل * وكل نعيم لا محالة زائل

ودعا لحسان بن ثابت أن يؤيده الله بروح القدس مادام ينافح عنه وكان يعجبه شعره وقال له اهجهم وروح القدس معك وأنشدت عائشة رضي الله عنها قول أبي كبير الهذلى

واذا نظرت الى أسرة وجهه * برقت كبرق العارض المتهلل

وقالت أنت أحق بهذا البيت فسر بقولها

ومنها انهم ادعوا انه رخص فيه عبد الله بن عمر وعبد الله بن

جعفر وأهل المدينة وفلان كذا وكذا وولي الله جعفر وغيره وسمعوه فمن حرمه فقد قدح في هؤلاء السادة القدوة الاعلام

ومنها ان السماع سماع منعقد على اباحة أصوات الطيور المطربة الشجية وهذا سماع صوت لآدمي أولى بالاباحة أو مساوية ولان السامع يجد وروح السامع وقلبه الي نحو محبوبه فان كان محبوبه حراما كان السماع معينا له على الحرام وهو حرام في حقه وان كان مباحا كان السماع في حقه مباحا وان كانت محبته رحمانية كان السماع في حقه قربة وطاعة لانه يحرك المحبة الرحمانية ويهيجها ومن التلذذ بالاذن بالصوت الطيب كالتلذذ بالعين بالمنظر الحسن وبالشم بالروائح الطيبة وبالذوق بالطعم الطيب فان كان هذا حراما كانت هذه اللذات والادراكات محرمة

والجواب عن ذلك وبالله التوفيق فيما قدمنا من كلام شيخ الاسلام ابن تيمية والعلامة ابن القيم وغيرهم كفاية وقد ذكرنا ما عن المقصود ونعود الى محل النزاع فان جهة كون الشيء مستلذا للحاسة ملائما لها لا يدل على اباحته ولا تحريمه ولا كراهته ولا استحبابه فان هذه اللذة تكون في الاحكام الخمسة وكيف يستدل بها على الاباحة من يعرف شروط الدليل ومواقع الاستدلال وهل هذا الا بمنزلة من يستدل على اباحة الزنا بما يجده فاعله من اللذة وبانه لا ينكرها ذو طبع سليم وهل يستدل بوجود اللذة والملاءمة على حل اللذيذ الملائم أحد وهل جاءت الشريعة بمحرمات من اللذات وهل أصناف المعازف التي صح عن النبي صلى الله عليه وسلم تحريمها ومن في معناها مستحسنها

فاصبح لساند وأجمع أهل العلم على تحريم بعضها وقال بعضهم تحريم
جميعها وقد حكى ابن الصلاح الاجماع على تحريم الغناء مع الدف والشبابة
يعني ذكر منه آية هو وهل استدلال والطفل بالصوت الطيب
ذلك من اباحته وتحريمه وتعجب من هذا الاستدلال على الاباحة
فان الله تعالى خلق صوت الطيب وهو زيادة نعمة منه لصاحبه وقال
والصورة الحسنة نعمة ليست زيادة في النعمة والله تعالى خالقها ومعطي
حسنها أو بين دلت على اباحة التمتع بها ولا استدلالهم على الاطلاق
وهل هذا الا مذهب اهل الاباحة الجارين على رسوم الصوفية وهل في
دلالة صوت ... على حسنة الاصوات مطربات بالنغمات
أمور ... ولا ... من صور المستحسنات أنواع المصائد
المستحسنات تدعو ولسنا ... بضحك المتحدث وأعجب من
هذا الاستدلال على الاباحة بسماع اهل الجنة أمرها في روضة يحبرون
فيخرج صاحب هذا الاستدلال فان هذا كمن يستدل على اباحة
الخمر بان في الجنة خمرا وعلى اباحة لبس الحرير بان لباس أهل الجنة
الحرير وعلى حل أواني الذهب والفضة والتحلي بها للرجال فان هذا
كله مباح لاهل الجنة

فان قيل قام الدليل على تحريم هذا ولم يقم على تحريم السماع
قيل هذا الاستدلال آخر على الاستدلال على اباحته لاهل الجنة
فعلم ان استدلالك باباحته لاهل الجنة استدلال باطل وقولك لم يقم
دليل على تحريم السماع فيقال أي السماعات تعني وأي المسموعات

تريدون منه المحرم والمكروه والمباح والواجب والمستحب فمن نوعا
يقع الكلام فيه هنا وثم [illegible]

فإن قلت سماع القصائد المتضمنة مدح الله ورسوله وكتابه وهجو
أعدائه فهذا لم يزل المسلمون يروونه ويسمعونه [illegible] وهي
التي سمعها الرسول وأصحابه وأثاب عليها [illegible] حسان عليها وهي
التي عرف أصحاب السماع [illegible] ويكون هذا
والسنة كلام والبدعة كلام والتسبيح كلام والغيبة كلام [illegible] هل
سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه سماعكم هذا المشتمل
على قريب من مائة مفسدة [illegible] عن الرسول
استحسن الصوت الحسن وأن فيه كما [illegible] من حديث أبي موسى
الأشعري وغيره فقلتوا هذا الاستحسان إلى [illegible]
وغيرهم بالغناء المقرون بالدفوف [illegible] الشبابات [illegible] وغير
ذلك من المعازف وذكر [illegible] والخدود ووصف
[illegible] وذكر الوصل [illegible]
ولاشتياق والعشق [illegible]
ذكر الخمر والكأس [illegible] سكرة [illegible]
صحبة [illegible] الأخرى [illegible] سكرة
الشراب [illegible] في ذكر السماع
وتأثيره في [illegible]

مكابرة [illegible] فكيف يحمي الأديب والمريض عما يشوش عليه صحته
ويبيح له ما فيه أعظم [illegible] و[illegible] من وجد لا من فقد وأعجب
من هذا من [illegible] من [illegible] من أدلة الاجتماعية
اجتماع [illegible] [illegible] صبية في يوم عيد
وفرح بأبيات [illegible] في وصف [illegible]
والشيم فأين هذا من هذا والعجب أن هذا من أكبر احتجاجهم في
[illegible] ذلك من مزمور الشيطان وأقره على هذه التسمية مرخصا
فيه [illegible] غير [illegible] ولا [illegible] ولا في استماعه أفيدل
هذا [illegible] من استماع [illegible] وأعجب من هذا كله
الاستدلال على [illegible] يشتمل على الحق
والتوحيد [illegible] و[illegible] وأعجب
استدلالهم بإباحته على [illegible] أصوات [illegible] هذا لأن
[illegible] في الذين [illegible] مثل [illegible] و[illegible] صوت [illegible]
[illegible] والمردان والأوتار والعيدان والغناء [illegible]
الأرواح والقلوب [illegible] كل محبوبة ومحبوب وأين [illegible]
هو من [illegible] إلى [illegible] صوت القمري والبلبل والهزار والشحرور
ونحوها وأعجب من هذا من [illegible] ينكره وقد أنكر على كذا
[illegible] شيخة [illegible] على أولياء الله فقد أنكر
[illegible] الله من هو أكثر منهم عددا وأعظم عند الله [illegible]
[illegible] الله في صدق [illegible] [illegible] أقصهم الى

بعض كان يفعله كبار أهل الجنة الى الجنة وكون ولى الله يرتكب المكروه أو المحظور متأولا أو عاصيا لايمنع ذلك الانكار عليه ولا يخرجه عن أصل ولايته لله وهيهات هيهات أن يكون أحد من اولياء الله المتقدمين حضر هذا السماع المحدث المشتمل على هذه الهيئة التي تفتن القلوب أعظم فتنة

وذكر شيخ الاسلام ابن تيمية في موضع من كلامه قال اسحق ابن موسى الطباع سألت مالكا عما يرخص فيه أهل المدينة من الغناء فقال انما يفعله عندنا الفساق وهذا النص عن مالك معروف في كتب أصحابه مشهور وهم أعرف بمذهبه وغلط من ينقل عنه اباحته وعن أهل المدينة من طائفة فيعرق لاسيما بمذاهب الفقهاء ومن ذكر عن مالك انه ضرب بعود فقد افترى عليه وانما نبهت على هذه لان فيما جمعه أبو عبد الرحمن السلمي ومحمد بن طاهر المقدسي في ذلك حكايات وآثارا يظن من لاخبرة له بالعلم وأحوال السلف انها صدق ولكن ان [illegible] [illegible] [illegible] وجه من جرح والعدول ومن وصول [illegible] [illegible] من كلام شيخ ولا [illegible] [illegible] [illegible] بصورة كل مختصر فقد [illegible] في [illegible] من [illegible] [illegible] وكلامه [illegible] في [illegible] ووجدتهم [illegible] [illegible] [illegible] وكلام [illegible] [illegible] من [illegible] وبعض الناس توقف في روايته حتى [illegible] [illegible] [illegible] عنه [illegible] أبو عبد الرحمن من أصل [illegible] وكذلك الحكايات [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] صاحب [illegible] [illegible]

فإنه كان أجمع شيوخه لكلام الصوفية ومحمد بن طاهر له فضيلة جيدة
في معرفة الحديث ورجاله وهو من حفاظ وقته لكن كثير من
المتأخرين أهل الحديث وأهل الزهد وغيرهم إذا صنفوا في باب ذكروا
ما روي من غث وسمين ولم يميزوا ذلك انتهى كلامه

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في موضع آخر ذكر من
صنف في السماع ومن روى فيه من الأحاديث الموضوعة والمكذوبة
ثم قال وكثير من المتأخرين أهل الحديث وأهل الزهد وأهل الفقه
والتصوف وغيرهم إذا صنفوا في باب ذكروا ما روي فيه من غث
وسمين ولم يميزوا ذلك كما يوجد في كثير ممن صنف في الأبواب مثل
المصنفين في فضائل الشهور والأوقات وفضائل الأعمال والعبادات
وفضائل الأشخاص وغير ذلك من الأبواب مثل ما صنف بعضهم في
فضائل صيام رجب وغيره وفي فضائل صلوات الأيام والليالي صلاة
يوم الأحد وصلاة يوم الاثنين والثلاثاء وصلاة أول جمعة في رجب
وألفية أول رجب ونصف شعبان وإحياء ليلة العيدين وصلاة يوم
عاشوراء وكل هذا كذب باتفاق أهل العلم بالحديث وأجود حديث
روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في صيام رجب ما رواه ابن ماجه عن
النبي صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن صيام رجب وقد ثبت بالإسناد
الصحيح عن عمر بن الخطاب أنه كان يضرب أيدي الناس في رجب
حتى يفطره ويقول لا تشبهوه برمضان وكان يكره إفراده بالصوم غير
واحد من السلف والأئمة وأجود ما روي من هذه الصلوات حديث

صلاة التسبيح وقد رواه أبو داود والترمذي وغيرهما ومع هذا فلم يقل به أحد من الأئمة الأربعة بل الإمام أحمد ضعف الحديث وقال لا يصح ولم يستحب هذه الصلاة وأما ابن المبارك فالمنقول عنه فليس مثل الصلاة المرفوعة فإن تلك فيها قعدة طويلة بعد السجدة الثانية وهذا يخالف الأصول فلا يجوز أن تثبت بمثل هذا الحديث ومن تدبر الأصول علم أنه موضوع وأمثال هذه الأحاديث فإنها كلها أحاديث موضوعة مكذوبة عند أهل المعرفة مع أنها توجد في مثل كتاب أبي طالب وكتاب أبي حامد وكتب الشيخ عبد القادر وتوجد في مثل أمالي أبي القاسم بن عساكر وفيما صنفه أبو حفص بن شاهين وعبد العزيز الكتاني وأبو علي بن البنا وأبو الفضل بن ناصر وغيرهم وكذلك أبو الفرج بن الجوزي ذكر منها في كتب فضائل الشهور ويذكر في الموضوعات أنه كذب موضوع

والذين جمعوا الأحاديث في الزهد والرقائق يذكرون ما روي في هذا الباب ومن أجل ما صنف في ذلك كتاب الزهد لعبد الله بن المبارك وفيه أحاديث واهية وكذلك كتاب الزهد لهناد بن السري ولوكيع وكذلك الزهد لأسد بن موسى والزهد لأحمد ومصنف في ذلك كتاب الزهد للإمام أحمد كتبه مرتب على الأسماء وزهد ابن المبارك على الأبواب وهذه الكتب يذكرون فيها زهد الأنبياء والصحابة والتابعين ثم المتأخرون على طريقتين منهم من يذكر زهد المتقدمين والمتأخرين كأبي نعيم في الحلية وأبي الفرج في صفوة الصفوة

ومنهم من اقتصر على ذكر المتأخرين من حين حدث اسم الصوفية كما فعل أبو عبد الرحمن السلمي في طبقات الصوفية وصاحبه أبو القاسم القشيري في رسالته ثم الحكايات التي يذكرها هؤلاء ونحوهم كأبي نعيم وغيره وأمثاله يذكرون حكايات مرسلة بعضها صحيح وبعضها باطل قطعاً والله أعلم

وقول الشيخ رحمه الله ومقصوده بما يذكور عن سلف الامة وأنها من الاصول التي لا ... صحيحه وبعضه كما يبنى على ذلك في معقولات ... المكاشفات والمخاطبات فمن كان ... من هذه الاصول الا انه فيها حق وباطل فلا بد من التمييز بين هذا وهذا وجماع ذلك أن ما وافق كتاب الله وسنة رسوله الثابتة عنه وما كان عليه صحابته فهو حق وما خالف ذلك فهو باطل فان الله تعالى يقول يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم الآية

(فصل) وأما من زعم ان الملائكة والانبياء تحضر سماع المكاء والتصدية محبة له ورغبة فيه فهو كاذب مفتر بل انما تحضره الشياطين وهي التي تنزل عليهم وتنفخ فيهم كما روى الطبراني وغيره عن ابن عباس مرفوعا ان الشيطان قال رب اجعل لي بيتا قال بيتك الحمام قال اجعل لي قرآنا قال قرآنك الشعر قال اجعل لي مؤذنا قال مؤذنك المزمار وقد قال الله تعالى للشيطان (واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك) وقد فسر ذلك بصوت الغناء

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إنما نهيت عن صوتين
أحمقين فاجرين صوت لهو ولعب ومزامير الشيطان وصوت لطم
خدود وشق جيوب ودعاء بدعوى الجاهلية وقد كوشف جماعات
من أهل المكاشفات بحضور الشياطين في مجمع السماعات الجاهلية
ذات المكاء والتصدية وكيف تدور الشياطين عليهم حتى يتواجدوا
الوجد الشيطاني حتى إن بعضهم صار يرقص فوق رؤس الحاضرين
ورأى بعض الشيوخ المكاشفين أن شيطانه قد احتمله حتى رقص به فلما
صرخ شيطانه هرب وسقط ذلك الرجل وهذه الأمور لها أسرار
وحقائق لا يشهدها إلا أهل البصائر الإيمانية والمشاهد الإيقانية ولكن
من اتبع ما جاءت به الشريعة وأعرض عن السبل المبتدعة فقد حصل
له الهدى وخير الدنيا والآخرة وإن لم يعرف حقائق الأمور بمنزلة
من سلك السبيل إلى مكة خلف الدليل الهادي فإنه يصل إلى مقصوده
ويجد الزاد والماء في مواطنه وإن لم يعرف كيف حصل ذلك وسببه
ومن سلك خلف غير الدليل الهادي كان ضالا عن الطريق فإما أن
يهلك وإما أن يشقى مدة ثم يعود إلى الطريق والدليل الهادي هو
الرسول الذي بعثه الله إلى الناس بشيرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه
وسراجا منيرا وهاديا إلى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في
السموات وما في الأرض وآثار الشيطان تظهر على أهل السماع
الجاهلي مثل الإزباد والإرغاء والصرخات المنكرة ونحو ذلك مما
يضارع أهل الصرع الذين يصرعهم الشيطان وكذلك يجدون في

هو سهم من نوران مراد الشيطان بحسب الصوت اما وجد فى الهوي
مذموم وام غضب وعدوان على من هو مظلوم واما لطم وشق ثياب
وصياح كصياح المحزون محروم فى غير ذلك من الآثار الشيطانية
و معنى أهل الاجتماع على شرب الخمر د سكره به دون السكر
بالصوت صية قد صير من جنس سكر بالاشربة المطربة فتصدهم
عن ذكر الله وعن الصلاة وتمنع قلوبهم حلاوة القرآن وفهم معانيه
واتباعه فيصيرون مضارعين لمن يشترون لهو الحديث يضلوا عن
سبيل الله ويوقع بينهم العداوة والبغضاء حتى تقتل بعضهم بعضا
بأحواله الفاسدة الشيطانية كما نقل عن من اصابه نصيبه وهذا قال
من قال من العلماء ان هؤلاء تجب عليهم القود والدية اذ عرف انهم
قتلوا بالاحوال الفاسدة لانهم ظالمون وهم انما يتصدون بما يعدونه
من مراداتهم المحرمة كما يتسلط الظالمة المسلطون ومن هذا الجنس
حال فقراء الكافرين والمتدعين والصابئين فهم قد يكون لهم زهد
وعبادة ومحبة كما يكون للمشركين وأهل الكتاب وكما كان للحوارج
المارقين الذين قال فيهم النبى صلى الله عليه وسلم يحقر أحدكم صلاته
مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم وقراءته مع قراءتهم يقرؤن القرآن
لايجاوز حناجرهم الحديث وقد يكون لهم مع ذلك أحوال طيبة كما يكون لهم
مملكة ظاهرة وسلطان ظاهر مضاهئ لسلطان الطاهر ولا يكون من
أولياء الله الا من كان من الذين آمنوا وكانوا يتقون وما فعلوه من
ذلك على الظلم يستحقون العقاب عليه بقدر الذنوب بالقدرة والتمكن

ظاهراً وباطناً ليس مسلماً ولا ولياً لله بل قد يكون ولياً لله متمكناً ذا سلطان وقد يكون مستضعفاً الى أن ينصره الله وقد يكون عدو الله مستضعفاً وقد يكون مسلطاً الى أن ينتقم الله منه فخفراء التتر في الباطن من جنس التتر في الظاهر هؤلاء في العباد وهؤلاء في الأجناد وأما الغلبة فان الله قد يديل الكافرين كما كان يكون لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عدوهم لكن العاقبة للمتقين فان الله يقول (إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد) واذا كان في المسلمين ضعف وكان العدو مستظهراً عليهم كان ذلك بسبب ذنوبهم وخطاياهم اما لتفريطهم في أداء الواجبات باطناً وظاهراً وأما لعدوانهم بتعدي الحدود باطناً وظاهراً قال الله تعالى (إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا) وقال تعالى (أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم) وقال تعالى (ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز الذين ان مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور)

وقال الشيخ في موضع آخر وأما مجرد نقر القضيب والضرب بالدفوف والتصفيق في الشبابة والاجتماع على ذلك ديناً وطريقاً الى الله فهذا ليس من دين الإسلام وليس مما شرعه لهم نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم ولا أحد من خلفائه ولا استحسن ذلك أحد من أئمة المسلمين بل ولم يكن أحد من أهل الدين يفعل ذلك على عهد رسول

الله صلى الله عليه وسلم ولا عهد أصحابه ولا بإحسان ولا تابعي التابعين بل لم يكن أحد من أهل الدين من الاعصار الثلاثة لا بالحجاز ولا بالشام ولا باليمن ولا العراق ولا خراسان ولا المغرب ولا مصر يجمع على مثل هذا السماع وانما ابتدع في الاسلام بعد القرون الثلاثة ولهذا قال الشافعي لما رأى ذلك خلفت ببغداد شيئاً أحدثته الزنادقة

سئل شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله عن رجل يحب السماع والرقص فأنكر عليه رجل فقال هذه الأبيات

أنكروا رقصنا وقالوا حرام * فعليهم من أجل ذلك سلام

اعبد الله بالفقيه وصل * والزم الشرع فالسماع حرام

بل حرام عليك ثم حلال * عند قوم أحوالهم لا تلام

مثل قوم صفوا وبان لهم من * جانب الطور جذوة وكلام

فاذ قولك السماع بلهو * حرام على الجميع حرام

أجاب الحمد لله رب العالمين هذا الشعر تضمن منكرا من القول وزورا بل أوله يتضمن مخالفة الشريعة وآخره يفتح باب الزندقة والالحاد المخالفة للحقيقة الالهية الدينية النبوية وذلك أن قول القائل مثل قوم صفوا وبان لهم من جانب الطور جذوة وكلام يتضمن تمثيل هؤلاء بموسى بن عمران الذي نودي من جانب الطور ولما رأى النار قال لاهله امكثوا اني آنست نارا لعلي آتيكم منها بقبس أو جذوة من النار لعلكم تصطلون وهذا قول طائفة من الناس يسلكون طريق

الرياضة والتصفية وبصون أنهم بذلك يصلون الى أن يخاطبهم الله كما خاطب موسى بن عمران وهؤلاء ثلاثة أصناف

صنف يدعون أنهم يخاطبون أعظم مما خوطب به موسى بن عمران كما يقول ذلك من يقوله من أهل الوحدة والاتحاد القائلين بأن الوجود واحد كصاحب الفصوص وأمثاله فان هؤلاء يدعون أنهم أعلى من الانبياء وأن الخطاب الذي يحصل لهم من الله أعلى مما يحصل لابراهيم وموسى وعيسى ومحمد * ومعلوم ان هذا الكفر أعظم من كفر اليهود والنصارى الذين يفضلون الانبياء على غيرهم لكن يؤمنون ببعض الانبياء ويكفرون ببعض

والنوع الثاني من يقول ان الله يكلمه مثل كلام موسى بن عمران كما يقول ذلك من يقوله من المتفلسفة ومتصوفيهم الذين يقولون ان تكليم موسى فيض فاض على قلبه من العقل الفعال ويقولون ان النبوة مكتسبة

والنوع الثالث الذين يقولون ان موسى أفضل لكن صاحب الرياضة قد يسمع الخطاب الذي سمعه موسى ولكن موسى مقصود بالكلام دون هذا كما يوجد هذا في الاحياء وصاحب مشكاة الانوار وكتب بعض مسلكه صاحب خلع النعلين وأمثالهما ويدعونه في أول الشعر لمن يخاطبه برم الشرع يتقيه وصل شعر بت أنت مع الشرع وأما نحن فلنا الى الله طرق غير الشرع ومن ادعى أن له في الله طريقا يوصله الى رضوان الله وكرامته وثوابه غير الشريعة التي بعث الله بها

رسوله فانه أيضا كافر يستتاب فان تاب والا ضربت عنقه كطائفة استغطوا

وزعموا ان العبد يصل الى الله بلا متابعة الرسل وطائفة يظنون ان الخواص من الاولياء يستغنون عن متابعة محمد صلى الله عليه وسلم كما استغنى الخضر عن متابعة موسى وجهل هؤلاء ان موسى لم يكن مبعوثا الى الخضر ومحمد صلى الله عليه وسلم رسول الى كل أحد ظاهرا وباطنا مع أن القصة الخضر ما خالف شريعة موسى بل وافقها ولكن الاسباب المبيحة لذلك لم يكن موسى علمها فلما علمها تبين أن الافعال توافق شريعته لا تخالفها

سئل شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله عن مؤذن يصعد الى المأذنة ينشد أبياتا يذكر فيها الفراق والبين ونحو ذلك ذكر فانكر عليه رجل فقال له لا تفعل هذا وعليك بالتسبيح والتحميد والقصائد الزهدية فهل أصاب أم لا

أجاب رضي الله عنه الحمد لله نعم ينهى المؤذن أن ينشد الابيات التي هي من جنس النياحة والرثاء وكذلك ما كان من جنس الغزل فان في ذلك مفاسد كثيرة وليس ذلك من ذكر الله المشروع للمؤذن ولا بأس بالابيات المتضمنة لذكر الآيات والاحاديث والتوبة والاستغفار والله أعلم

(فصل) دفع ان شاء الله لمن يدبره في دوله تعالى (فطرة الله التي فطر الناس عليها) قال العلماء من المفسرين والنحاة معناه الزموا واتبعوا دين الله الذي خلق الناس له ولهذا نصب على المصدر ومعنى ذلك فطر الله الناس على تلك فطرة وفطر الناس عليها أي لها وهذه الفطرة أضافها الله اليه اضافة مدح لا اضافة ذم فعلم بها فطرة محمودة لا مذمومة يبين ذلك قوله؛ فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها ، فهذا نصب على المصدر الذي دل عليه الفعل الاول عند سيبويه وأصحابه فدل على ان اقامة الوجه للدين حنيفا هو فطرة الله التي فطر الناس عليها مثل قوله كتاب الله عليكم وسنة الله فهو عندهم منصوب بفعل مصدر لازم اضماره دل عليه الفعل المتقدم كانه قال كتب الله عليكم وسن الله ذلك لكم وكذلك فطر الله الناس على ذلك

ثم اختلف العلماء والمفسرون في تفسير الفطرة على أقوال وكذلك الخلاف

رسالة في الكلام على الفطرة ومعرفة الله عز وجل

جمع الشيخ محمد

ابن حمد بن محمد المنجي

رحمه الله تعالى

في قول النبي صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ثم يقول أبو هريرة اقرؤوا إن شئتم (فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله) رواه البخاري ومسلم فالفطرة المراد بها الإسلام قاله أبو هريرة وابن شهاب * وسئل مجاهد عن الفطرة فقال هي الإسلام وكذلك قاله قتادة ثم قال مجاهد (لا تبديل لخلق الله) قال لا تبديل لدين الله وقاله سعيد بن جبير وقتادة والنخعي وروي عن ابن عباس وعكرمة في إحدى الروايتين عنهما والقول بأن الفطرة الإسلام هو إحدى الروايات عن الإمام أحمد وقاله ابن عبد البر في التمهيد وقال آخرون والفطرة ههنا الإسلام قال وهو المعروف عند عامة السلف وأهل التأويل قاله في تفسير هذا الحديث بعينه * ثم قال وأما قوله فطرة الله التي فطر الناس عليها فقد أجمعوا على أن قالوا دين الإسلام انتهى وليس كما قال وذكر القرطبي في تفسيره أقوالا في الفطرة منها أنها الإسلام وهو المعروف عند عامة السلف قال ومعنى هذا أن الطفل خلق سليما من الكفر على الميثاق الذي أخذه الله على ذرية آدم حين أخرجهم من صلبه وأنهم إذا ماتوا قبل أن يدركوا في الجنة أولاد مسلمين كانوا أو أولاد كفار انتهى

وقد أنكر [illegible] أهل القول في الفطرة فقيل على ملة [illegible] ثم ذكر القرطبي

وقد احتج لهذا القول بأدلة

منها حديث أبي هريرة الذي في الصحيحين وقد تقدم

ومنها مائبت في صحيح مسلم عن عياض بن حمار المجاشعي عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل خلقت عبادي حنفاء مسلمين فاجتالتهم الشياطين وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي مالم أنزل به سلطانا

ومنها مارواه [illegible] عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل مولود [illegible] ولد كافر أو مسلم يولد على فطرة الاسلام ولكن [illegible] فيهودانه وينصرانه ويمجسانه وأمرتهم أن [illegible]

ومنها مافي الصحيحين خمس من الفطرة [illegible] الاسلام وفي مسلم ورواه أحمد وأبو داود عشر من الفطرة [illegible] عشر من سنن الاسلام

وقال جماعة من الفقهاء والمفسرين كل مولود يولد على الفطرة التي خلق عليها في المعرفة بربه عز وجل معرفة مخالفة لخلقة البهائم التي لا تصل بخلقتها الى معرفته والفاطر الخالق وقوله تعالى (ومالي لا أعبد الذي فطرني) يعني الذي خلقني ووجهوا هذا بقوله كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء يعني سالمة هل تحسون فيها من جدعاء مقطوعة الاذن قالوا ففي هذا الحديث تمثيل أولاد بني آدم وأولاد البهائم لانقص فيهم

وقال شيخ الاسلام ابن تيميه يرد على من قال كل مولود يولد

على ما سبق له في علم الله أنه صائر إليه

قال الشيخ ومعلوم أن جميع المخلوقات بهذه المثابة فجميع البهائم هي مولودة على ما سبق في علم الله لها وحينئذ فيكون كل مخلوق مخلوقا على الفطرة وأيضا فلو كان المراد بذلك لم يكن لقوله فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه معنى فإنهما فعلا به ما هو الفطرة التي ولد عليها فلا فرق بين التهويد والتنصير

ثم قال بعد أسطر فتمثيله صلى الله عليه وسلم بالبهيمة التي ولدت جمعاء ثم جدعت يبين أن أبويه غيرا ما ولد عليه

ثم قال بعد ذلك وقولكم خلقوا خاليين من المعرفة والإنكار من غير أن تكون الفطرة تقتضي واحدا منهما بل يكون القلب كاللوح الذي يقبل كتابة الإيمان والكفر وليس هو لأحدهما أقبل منه للآخر فهذا قول فاسد جدا فحينئذ لا فرق بالنسبة إلى الفطرة بين المعرفة والإنكار والتهويد والتنصير والإسلام وإنما ذلك بحسب الأسباب فكان ينبغي أن يقال فأبواه يسلمانه ويهودانه وينصرانه فلما ذكر أن أبويه يكفرانه وذكر أنه يولد على الملة دون الإسلام علم أن حكمه في حصوله بسبب منفصل عن حكم الكفر

ثم قال بعد ذلك وفي الجملة ثم كل قلب صحيح ونفس على السواء لا يستحق مدحا ولا ذما والله تعالى يقول (فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها) فأخبر أن هذه الفطرة الحق فطر الناس عليها

وأيضا فالنبي صلى الله عليه وسلم شبهها بالبهيمة المجتمعة الخلق وشبه مايطرأ عليها من الكفر بجدع الانف ومعلوم ان كمالها محمود ونقصها مذموم فكيف تكون قبل النقص لامحمودة ولامذمومة اه

وقد ذكر الخلال في جامعه في كتاب أحكام الملل باب الحكم المترتب على الفطرة

وذكر المروزي أن أبا عبد الله قال في سبي أهل الحرب انهم مسلمون اذا كانوا صغارا وان كانوا مع أحد الابوين ويحتج بالحديث وذكر عنه نصوصا كثيرة في هذا الباب

وقد سئل الزهري عن رجل عليه رقبة مؤمنة أيجزيه رضيع عتقه قال نعم لانه ولد على الفطرة وهي الاسلام وقال الزهري ايصلى على كل مولود متوفى وان كان لغية لانه ولد على فطرة الاسلام والاسلام هو قول لااله الا الله وحدث في قوله تعالى (أفمن شرح الله صدره للاسلام) قال ابن عباس وأكثر المفسرين لقول لااله الا الله ولهذا كان معلوما بالفطرة أنه لابد لكل موجود من موجد ولكل مصنوع من صانع كماقال تعالى أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون يقول اخلقوا من غير خالق خلقهم أم خلقوا أنفسهم مع اعترافهم(ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله) قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله)الآيات الثلاث

ولما كان علم النفوس بحاجتهم وفقرهم الى الرب قبل علمهم بحاجتهم الى الاله المعبود وقصدهم لدفع حاجاتهم العاجلة قبل الآجلة

كان اقرارهم بالله اقرارا فطريا من جهة ربوبيته أسبق من اقرارهم به من جهة ألوهيته ولهذا بعث الله الرسل تدعوهم الى عبادة الله وحده لاشريك له فصاحب الامر والنهي يعرف من جهة الرسل

وأما الرب تعالى فهو معروف بالفطرة (قالت رسلهم أفي الله شك) فالمشركون من عباد الاصنام وغيرهم من أهل الكتاب معترفون بالله مقرون بأنه ربهم وخالقهم ورازقهم وانه رب السموات والارض والشمس والقمر وانه المعبود الاعظم ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي حصين كم اله تعبد اليوم قال سبعة في الارض وواحد في السماء قال فأيهم تعد لرغبتك ورهبتك قال الذي في السماء رواه الترمذي [illegible] خلق من خلق [illegible] مصطلحا لايفهم شيئا مما يجب [illegible] ولا يلهج بلسانه باكثر من اسمه المقدس فطرة تامة

[illegible]

وتحميده وتنزيهه لطفا لا يفهمه الا الذي أنطقها به قال تعالى (تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شئ الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم انه كان حليما غفورا) قال شيخنا ابن قاضي الجبل في هذه الآية قال تسبيحهم تسبيح حقيقي ولهذا قال انه كان حليما غفورا أي اذ كانت المخلوقات التي لا تسبح بحمد خالقها فهو حليم غفور اذ لم يعاجل بعضهم بعض كلمات العقوبة في حقهم بالعقوبة وقال تعالى (ألم تر أن الله يسبح له من في السموات والارض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه) الآية وقال تعالى (سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم) وقال تعالى (يسبح لله ما في السموات وما في الارض) والآيات كثيرة في هذا الباب وقد أتي بلفظ الماضي الدال على وقوع التسبيح وصدوره بلفظ المضارع الدال على استمرار التسبيح وتجدده كل وقت ولا يستنكر معرفتها خالقها وتسبيحها بحمده اذ قد فطرها عليه كما فطر بني آدم على الاقرار بربوبيته ألست بربكم قالوا بلى لم يختلف منهم أحد وكما أخبر الله عن عباده أنهم يسبحونه بكرة وعشيا في قوله تعالى (في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال) وقال تعالى (فأوحى اليهم أن سبحوا بكرة وعشيا) وقال تعالى (اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا) وكما أخبر سبحانه عن الجبال أنها تسبح مع داود في حق داود (انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق) وقال أبو هريرة كان داود اذا سبح جاوبته الجبال والطير

بالتسبيح والذكر وقال أبو الفرج ابن الجوزي قد روى أن داود كان
إذا وجد فترة أمر الجبال فسبحت حتى ينشط وهو يسبح وقد ثبت
في صحيح مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بجبل جمدان فقال هذا
جمدان سبق المفردون قالوا وما المفردون يارسول الله قال الذاكرون
الله كثيرا والذاكرات فقد جعل سبق المفردين بذكر الله إلى ذكر
الله [illegible] وقد أخبر سبحانه أنه خاطب الجمادات فقال تعالى (ولقد آتينا
داود منا فضلا يا جبال أوبي معه والطير) والتأويب هو ترجيع التسبيح
وأخبر سبحانه عن الحجارة أن منها لما يهبط من خشية الله وهذا يدل
على أنها تعرف ربها معرفة تليق بها فتخشاه بسبب هذا العلم بخشيته
وكذلك قوله (ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا
طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين) وهذا خطاب من يعرف ربه ويطيع
أمره وليس هذا خطاب تكوين لمعدوم فإنه خاطبهما بعد وجودهما
وكذلك قوله (إذا السماء انشقت وأذنت لربها وحقت) ومعنى أذنت
سمعت واستمعت لربها وأمره وكذلك خبره عن الأرض يومئذ
[illegible] يومئذ تحدث أخبارها [illegible] عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال أتدرون ما أخبارها قالوا الله ورسوله أعلم قال أن تشهد على كل
عبد [illegible] على ظهرها [illegible] وهذه شهادة تتعلق [illegible]
من شهادة في هذه الدار [illegible] قال بأن ربك أوحى
لها وكذلك خبره سبحانه وتعالى عن سجود المخلوقات له فقال تعالى
(ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس

والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ولو كان سجودها هو مجرد دلالتها على الصانع كما يقوله من المفسرين [illegible] من الناس بل جميع العالم دال على صانعه ومثل هذا كثير في القرآن وما كان بهذه المثابة كيف يستنكر معرفته ربه وسجوده له وتسبيحه بحمده ولو لم يكن في هذه الآيات إلا قوله [illegible] لله ما في السموات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم [illegible] هذه السور [illegible] سبحانه [illegible] أولي العلم قطعا [illegible] ولا يصح حمل ما ذكر من الآيات على أولي العلم وتخصيصها [illegible] ولو أريد ذلك لجيء بلفظ من لتخصيصه [illegible] في القرآن ما لا يعقل ومن لا يعقل فيه [illegible] ليس [illegible]

والمقصود [illegible] معرفة ربها [illegible] والانسان أشرف [illegible] على معرفته ربه [illegible] العقل والتمييز والقدرة [illegible] على الأمانة والاسلام [illegible] الاستسلام [illegible]

(فصل) [illegible]

[illegible]

[illegible]

متنازعون في أصل المعرفة بالصانع هل هي فطرية أو نظرية وأن شيخ
الإسلام ابن تيمية فصل ويقول يختلف باختلاف الناس ولكن الصحيح
أنها فطرية لأنه قد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم قال كل مولود يولد
على الفطرة ولكن قد يعرض للفطرة ما يفسدها فيحتاج حينئذ إلى
النظر فهي في الأصل ضرورية وقد تكون نظرية ثم المعرفة الواحدة
لا يتفق فيها الناس بل قد تحصل ضرورية لشخص النفس وباختيارهن
أعظم الأسباب في حصول المعرفة الضرورية ولكن قد يحتاج إلى أمور
تحث الإنسان فيتوقف على النظر فيجب النظر ضرورياً على الفطرة
من ... فإن كون هذا الحادث لا بد له من صانع وخالق ومدبر فهذا
ضروري فكونه لا يعرف هذا إلا طريق النظر فيه نظر وأي نظر
بل هو معلوم عقلاً وواجب عقلاً وقد ذكره الله تعالى في فطرة
مخلوقاته من تحركها وسكناتها وصفاتها حيوان وجماد كما تقدم
أنها مسبحة بحمده عارفة به وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد
ومع دلالتها على وحدانيته مسبحة بحمده معترفة به ساجدة له وأن
جميع المخلوقات كلا تقدر تعدل تسبيح بحمده ويسبح كل شيء
حسب قوله وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم
الجن ولا العامة لا يدري معنى ... ذكره ... على عظمته

وقد روى في حديث في كتاب المذكور له بسنده عن ابن
مسعود رضي الله عنه قال إن الجبل ينادي الجبل باسمه هل مر
بك اليوم أحد ذكر الله عز وجل فإن قال نعم فيقول ها أنا لك ماس

علي اليوم أحد يذكر الله

وروى أيضا باسناده عن أنس رضي الله عنه قال مامن صباح ولا رواح الا تنادى بقاع الارض بعضها بعضا ياجارة هل مر بك اليوم عبد فصلى عليك لله أو ذكر الله عليك فمن قائلة لا ومن قائلة نعم فاذ قالت نعم رأت بذلك لها فضلا فكل فطرة سليمة لم تجتالها الشياطين ولم تفسد عليها فطرتها تصدق بذلك وتقر به وتزداد ايمانا ولا يقول هذه أخبار آحاد وآثار لا تفيد شيئا في هذا الباب وانما هذه من باب الفرحة والمطايبة

فلنا يكفينا ما تقدم بيانه من اخبار الله تعالى في القرآن من الدليل القطعي عن الحجارة ان منها لما يهبط من خشية الله وهذا يدل على انها تعرف ربها معرفة تليق بها والا لما هبطت من خشيته فان الخشية تستلزم العلم بالمخشي وقد تقدم ذلك

قال ابن عبد السلام للعلماء في الحجارة وانها تهبط من خشية الله ثلاث مذاهب قالت الصوفية هي حيوان وفيها حرس حي تسبح الله تعالى وتخر له وتسجد له وقال آخرون هذا من مجاز التشبيه وقال الاشعرى الله تعالى يخلق لها حياة عند ارادة ذلك منها نحو جبل الطور انتهى كلامه ذكره في النكت

قلت ما ذكره من هذه الاقوال * أما القول الاول فهو قول بعض جهلة الصوفية والا فكون الحجارة حيوانا مما يعلم بالفطرة بطلانه وأما القول بكونه من مجاز التشبيه فان هذا مما تشهد

الكتاب والسنة بطلانه أما الكتاب فما تقدم لنا من الآيات على تسبيح كل شيء بحمده وأما السنة فتسبيح الحصى في كف النبي صلى الله عليه وسلم ثم في كف غيره من الصحابة تسبيحا يسمعه الحاضرون وقال النبي صلى الله عليه وسلم انى لاعرف حجرا كان يسلم على قبل أن أبعث فهذا الحجر عرف ربه وعرف رسوله ولولم ينطق بكلام مسموع مفهوم مخصوص بذكر معين لما أخبر عنه ولهذا أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن جبل حمدان فقال هذا جبل يحبنا ونحبه وكذلك أخبر عن أحد أنه يحبنا ونحبه وهذا حمل يعمنا ومعنى

قال ابن عباس لما أراد الله تعالى أن يتجلى لموسى تطاولت الجبال ليتجلى لها وتواضع الطور فتجلى له وهذا يدل على انها تعرف ربها

وروى ابن الجوزى عن معاوية بن قرة عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله وحملت الجبال قال صار لعظمته ستة أجبال فوقعت ثلاثة بالمدينة أحد وورقان ورضوى ووقعت بمكة ثلاثة [illegible] وحراء [illegible]

بل هو سبحانه وتعالى قد حض [illegible] بقوله تعالى (انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان) فهذا الاباء والاشفاق انما كانا لمعرفتها بالله وعلمت بحرها

وليس المقصود ذلك وإنما المقصود أن الانسان عرف عبد الله

وأعظم من الجمال حتى من الميت لما روى ابن ماجه عن ابن عمر قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يطوف بالكعبة ويقول ماأطيبك وأطيب ريحك وأعظم حرمتك والذى نفس محمد بيده لحرمة المؤمن أعظم عند الله حرمة منك

ثم شرف الانسان لاركب الله في فطرته وتمهيد ما عرفه ربه من غير دليل نظرى يحتاج فهمه الى فكر وقد ينقص عليه أو اشككه فيه من هو أخلى مححته منه

هذا الهدهد طير من الطيور وفي غير عصمة ممن اصبح كغيره من الطيور فخص سليمان بعلم التوحيد وعلمه بعبرذلك (فقال أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين) الي قوله (الله لا اله الا هو رب العرش العظيم) هذه كله كلام الهدهد كما اتفق على ذلك المفسرون فمعرفه الله تعالى فطرية قد فطر الله عليها جميع المخلوقات

فان أريد بالمعرفة المعرفة التامه وهي معرفة صفات الكمال ونعوت الجلال وما يليق ولا يليق ومعرفة أسمائه وما أمر به وما نهى عنه وما أخبر به وما أراده من عباده شرعا وما كرهه منهم ولم يرضه ولم يرد وقوعه فهذا ما لم لا سمع من جهة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وعبادة الله تعالى ولاتكون به الا بما يحب بالسمع والشرع بالاتباع

ان الامام أحمد في رواية المروزى معرفة الله تعالى في القلب تتفاضل وتزيد وهذا يدل على ان معرفة أصلها في القلب فطريه ثم انها

تزيد وتمكن تصلح الأدلة والقاضي أبو يعلى في المعتمد استدل بهذه
الرواية على انها كسبية وقال لانها لو كانت فطرية لم تزد وقال في رواية
يعقوب ان المعرفة لا تزيد ولا تنقص وهذه الرواية عكس الاولى وحملها
القاضي على انه أراد بالمعرفة هنا الاقرار بالاسلام وهو لا يزيد ولا
ينقص لانه موقوف على الشهادتين وفيما قاله نظر لانه صدر في أول
استدلاله بل معرفة الله تحصل بدلائله الظاهرة وحججه البينة وهي أفعاله
والسموات والأرض وما بينهما وذلك ان [illegible] لان هذه
الاشياء تدل على صانع صنعها ومنشئ انشأها ذكره في المعتمد

قال شيخ الاسلام ابن تيمية في الكلام على سورة اقرأ وذكر أن
أول ما أوجب الله على عبده وفرضه عليه [illegible] ثم قال
هذا الكلام [illegible] يبين ان الاقرار بالاعتراف بالخالق فطري ضروري
في نفوس الناس وان كان بعض الناس قد يحصل له ما يفسد فطرته حتى
يحتاج الى نظر تحصل له به المعرفة وهذا قول جمهور الناس وعليه حذاق
النظار ان المعرفة تحصل ضرورية وقد تحصل بالنظر لمن فسدت فطرته
كما عرف [illegible] حذاق من النظار المتكلمين انتهى

وقال الشيخ [illegible] في شرح الاصفهانية [illegible]
[illegible] الخلاف [illegible] في الاقرار
[illegible] هل هو فطري أو نظري [illegible] من قال انه فطري [illegible]
كل مولود يولد على الفطرة [illegible]
له من شبهة ويستدل على ذلك بالأدلة الكثيرة التي [illegible] وهذا [illegible]

وكل محدث فلا بد له من محدث أو هذا ممكن وكل ممكن فلا بد له من موجب أو هذا موجود وكل موجود فلا بد له من موجد أو هذا مخلوق وكل مخلوق فلا بد له من خالق أو هذا مصنوع وكل مصنوع فلا بد له من صانع ونحو ذلك فهذا صحيح معلوم بالفطرة وقد يقول من يحذق ذهنه وتبهر أذهان الناس بالفساد وتركن الى ذهنه وعقله فيقول هذا يدل على محدث مطلق وواجب مطلق وواحد مطلق لا يمتنع تصوره من وقوع الشركة فيه فلهذا يكله الله تعالى الى ذهنه ووهمه وعقله فما يرشده الله الى الصواب ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا فمن يهد الله فهو المهتد

فمن طلب الهداية من الله عز وجل واعترف بالعجز وعرف ربه بالقدرة ونفسه بالعجز وعلم أنه لا بد أن ينتهي الى فاعل قديم لا يكون الا واحدا وواجب بنفسه لا يكون الا واحدا فهو واحد مطلق عندنا ليس هو معينا في نفس الامر وآيات الله سبحانه وتعالى دالة على نفسه المقدسة المعينة فهذا وأمثاله ممن فسدت فطرته لاسيما في معرفة ربه فلابد من النظر ولهذا قدمنا أنها فطرية وان الشيخ رحمه الله قال وقد يعرض لبعض الناس من الشبه ما يفسد فطرته فلا بد له من النظر وهذا الذي عرض هو ما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم في نفس الحديث ان كل مولود يولد على فطرة الاسلام ولكن الشياطين أتتهم فاجتالتهم عن دينهم فمنهم من هوده ومنهم من نصره ومنهم من مجسه ونحول ومنهم من وسوس له الشيطان فشككه في ربه وقد أخبر الله عن رسله انهم قالوا

لقولهم أفي الله شك فاطر السموات والارض بمعنى خالق السموات والارض ومالي لا أعبد الذي فطرني أي خلقني أي الخالق سبحانه وقد قال هل من خالق غير الله

قال شيخ الاسلام ابن تيمية ذهب طوائف من النظار الى أن معرفة الله واجبة ولا طريق اليها الا بالنظر فأوجبوا النظر على كل أحد وهذا القول انما اشتهر في الامة عن المعتزلة ونحوهم ولهذا قال أبو جعفر السمناني وغيره من أصحاب الاشعري النظر في المعرفة بقية بقيت عليه من الاعتزال وقد دخل في هذا القول طوائف من الفقهاء من أصحاب الائمة الاربعة كالقاضي أبي يعلى وأتباعه مثل أبي الفرج الشيرازي وأبي الخطاب وابن عقيل وغيرهم ومع هذا فقد اختلف كلام الاشعري وأصحابه في ايجاب النظر فقال أبو اسحق الاسفرايني من اعتقد ما يجب اعتقاده هل يكتفي به اختلف الاصحاب فيه ثم ذكر كلامه وكلام الاشعري وأصحابه مطولا وذكر في المسألة قولين عنهم حتى ان أبا اسحق نسبه الى ما في كلامه ثم قال واختلفوا أيضا في النظر في قواعد الدين هل هو من فروض الاعيان أو من فروض الكفايات والذين أوجبوا النظر منهم من قال لا يصح الايمان الا به ومنهم من قال يصح الايمان بدونه لكن تاركه عاص وهذه الاقوال كلها مذمومة الدليل من الكتاب والسنة لا على نقيضها

ورجح محققو بعض الفضلاء من أصحابنا وقول طوائف من العلماء النظر لا يجب على أحد لان الواجب الاعتقاد الجازم دون المعرفة

وذلك لا يحتاج الى نظر وأما لأن أمره فيها طرق غير النظر فتحصل ضرورة وقد تحصل الهاما وقد تحصل بالتصفية وهو قول طوائف من الصوفية وفقهاء وأهل الحديث والصوفية وغيرهم. وهو قول طائفة من أصحاب أحمد والشافعي وغيرهما والله اعلم

وقال بعض العلماء يجب النظر في حال دون حال وعلى شخص دون شخص فوجوبه من العوارض التي تجب على بعض الناس في بعض الأحوال فمن لم يؤمن ... وجب ولم يحصل الا بالنظر وجب ... وأما ... حصل ضرورة أو حصل العلم بدون النظر أو لم يكن ... كل ... واحد

وذكر شيخ الاسلام ابن تيمية في موضع من مصنفاته هذا الكلام وقال هو ... وكلام الأئمة وليس ... يدل عليه والذين أوجبوا النظر ليس معهم ... على عمومه وجوبه ... يدل على أنه قد يجب فيهم قوما ... لا يخص ... (قل انظروا ماذا في السموات والأرض وما تغني الآيات والنذر) الآية وقوله (قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى) وقوله (فلينظر الانسان مم خلق) فهذه نصوص ... من ... ... فأمروا بالنظر ليعرفوا الحق ويقروا به ... على هؤلاء والذين ... في وجوب النظر ... ولا ... وجوب المعرفة ولا ... طريقها في النظر

والمقصود أن الذين أوجبوا لله على عباده أن يؤمنوا بالله ورسوله

وأن يطيعوا الله ورسوله فهذا فرض على كل أحد ، ووجوب الإيمان بالله معلوم بالاضطرار من دين الإسلام ونصوص القرآن فمعرفته والعلم بوجوده أنه ضرورية ولو كان نظرياً لكان يجب على الرسل أن يدعوهم إلى النظر وهذا مما علم فساده من دين الإسلام فإن كل كافر إذا أراد الدخول في دين الإسلام أول ما يؤمر به بالشهادتين ولو قال إنه أقر بالخالق لم يكن بذلك مسلماً ولو قال إني أعرف الله أنه رب العالمين ورازقهم ومدبرهم لم يصر بذلك مسلماً فمعرفة الله فطرية حاصلة لجمهور الخلق

فإن قيل إذا كانت معرفته سبحانه فطرية ضرورية وهي ثابتة في فطرة كل أحد فكيف ينكر ذلك كثير من نظار المسلمين أو غيرهم وفي زعمهم أنهم بذلك يقومون بالحجة عن حقيقة الأدلة

فيقال أول من عرف في الإسلام بإنكار هذه المعرفة هم أهل الكلام الذين اتفق السلف على ذمهم من الجهمية والقدرية وهم عند [illegible] الإسلام [illegible] في فطرة كل أحد [illegible]

وقد علم أن [illegible] القرآن الذي لا يحصل إلا بتدبره وتفهمه وكذلك يجب النظر في مسائل النزاع التي لا يعلم الحق فيها إلا بالنظر فمن أراد معرفة الحق فيها وجب

عليه المقصر فقد أجهد غاية الاجتهاد وبذل وسعه وأداه النظر إلى غير الحق فيها فخطؤه مغفور له وله أجر جهاده وإن أصاب الحق فله أجران فالله تعالى يلهمنا رشاده * ويوفقنا لسداده * في أقوالنا وأفعالنا إنه مجيب من دعاه ويفعل ذلك بمن شاء من المؤمنين آمين وهو ولي ذلك والقادر عليه والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم

(وهذا ما أجاب به شيخ الإسلام ابن تيمية

عن معنى قوله صلى الله عليه وسلم

إذا زنى العبد خرج منه

الإيمان الخ)

ما قول السادة العلماء أئمة الدين رضى الله عنهم أجمعين فى معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم اذا زنى العبد خرج منه الايمان فكان فوق رأسه كالظلة فاذا خرج من ذلك العمل عاد اليه الايمان رواه الترمذى وأبو داود وهل يكون الزانى فى حالة زناه مؤمنا أو غير مؤمن وهل جاء حديث فى تكفيره أحد من الأئمة أو أجمعوا على تكفيره أفتونا مأجورين.

أجاب شيخ الاسلام ابن تيمية رضى الله عنه الحمد لله رب العالمين الناس فى الفاسق الملى مثل الزانى والسارق والشارب ونحوهم على ثلاثة أقسام طرفين ووسط

أحد الطرفين انه ليس بمؤمن بوجه من الوجوه ولا يدخل فى عموم الأحكام المعلقة باسم الايمان ثم من هؤلاء من يقول هو كافر كاليهودى والنصرانى وهو قول الخوارج ومنهم من يقول ننزله منزلة بين المنزلتين وهى منزلة الفاسق وليس هو بمؤمن ولا كافر وهم المعتزلة وهؤلاء يقولون ان أهل الكبائر يخلدون فى النار وان أحدا منهم لا يخرج منها وهذا من مقالات أهل البدع التى دل الكتاب والسنة واجماع الصحابة والتابعين لهم باحسان على خلافه قال تعالى (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا الى قوله انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم) فسماهم مؤمنين وجعلهم اخوة مع الاقتتال وبغى بعضهم على بعض وقال فى تحرير رقبة مؤمنة ولو أعتق مذنبا أجزأ عتقه باجماع العلماء ولهذا يقول علماء السنة فى وصفهم الاعتقاد لا نكفر أحدا

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

سئل شيخ [illegible] عن حديث عن النبي صلى الله

عليه وسلم [illegible]

*ثم [illegible]

أجاب الحمد لله [illegible] صحيح لكن لا يعرف له اسناد ثابت

*ومما يروونه عنه صلى الله عليه وسلم انه قال (لو كان المؤمن في ذروة جبل لقيض الله له من يؤذيه أو شيطانا يؤذيه)

أجاب الحمد لله ليس هذا معروفا من كلام النبي صلى الله عليه وسلم *ومما يروونه عنه صلى الله عليه وسلم انه قال (لو كانت الدنيا دما عبيطا كان قوت المؤمن منها حلالا)

أجاب الحمد لله ليس هذا من كلام النبي صلى الله عليه وسلم ولا يعرف عنه اسناد ولكن المؤمن لابد أن يبيح الله له من الرزق ما يغنيه ولا يبيح في الشرع أن يحرم على المؤمن مالا يجد منه بدا فانه لا يوجب على المؤمنين مالا يستطيعونه ولا حرم عليهم ما يضطرون إليه من غير معصية منهم وبسط ذلك [illegible]

*ومما يروونه عنه صلى الله عليه وسلم عن الله (ما وسعني سمائي ولا أرضي ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن)

أجاب الحمد لله هذا مذكور في الاسرائيليات ليس له اسناد معروف عن النبي صلى الله عليه وسلم ومعنى وسعني قلبه الايمان بي [illegible]

ويحيى ومعروف ولابن قانع [illegible] فقد حكى في [illegible] من [illegible] من

الصاري حصول ذلك بالشيخ [illegible]

ومما رووه عنه أنه [illegible] (اللهم [illegible])

أجاب [illegible] هذا كلام من جنس الذوق والحال [illegible] لا [illegible]

بالله ومعرفته ومحبته وليس هذا من كلام النبي صلى الله عليه وسلم

ومما رووه عنه [illegible] (من كان للأعمى [illegible] عرف

خمسين حجة [illegible]

أجاب ليس هذا من كلام النبي صلى الله عليه وسلم ولا يعرف به

[illegible] صحيح ولا ضعيف

ومما رووه عنه صلى الله عليه وسلم أن عمر بن الخطاب رضي

الله عنه قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] يتكلم مع أبي بكر

كنت كالزنجي بينهما لا أفهم)

أجاب الحديث [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible]

ومما رووه [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible]

[illegible]

أجاب هذا حديث [illegible] موضوع [illegible]

[illegible] الله [illegible] وغيره [illegible]

ومما رووه عن النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] الله [illegible]

يوم القيامة [illegible] وحلالي [illegible] هذا كله [illegible]

حـ ـ حمد لله هـ كذب ورووه عن عمر وهو كذب

ومـ ـ رووه عن عمر رضي الله عـ ـ قال ـه

حـ ـ هذا كذب ـ عمر رضي الله عنه مات في الجاهلية قبل

ـ ـ صلى الله عليه وسلم

ومـ ـ رووه ـ ـ صلى الله عليه وسلم كنت ـ وآدم بين ـه

ـ ـ ـ ولا ـه ولا ـ لا صين

حـ ـ حمد ـه هذا ـه كذب باطل ولكن اللفظ المأثور الذي

رواه الترمذي وغيره ـه قيل رسول الله متى كنت ـ قال وآدم

ـ ـ ـ وفي ـ عن العرباض بن سارية ـه قال اني عند

الله ـ ـ خاتم ـ ـ ـ وان آدم لمنجدل في طينته

ومـ ـ رووه ـ ـ ـ ـ ـ ومسكين رجل بلا

مرأة ومسكينة مرأة ـ ـ

حـ ـ الحمد لله هذا ـ من كلام ـ ـ الله ـ ـ ـ ـ

ـ ـ مرويه ـ ـ ـ

ومـ ـ رووه ـ ـ راهيم عليه السلام ـ ـ ـ ـ صلى في ـ

ـ ـ ـ ـه ـ ـ الله تعالى اليه يا ابراهيم فصل من هذا ـ

ـ ـ ـ ـ سورة

حـ ـ الله هذا كذب ـ ـ ليس هو من كتب المسلمين

ومـ ـ رووه ـ ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال ـ ـ ـ ابراهيم

ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ اذا ذكرت أنا ولا نبيا غيره

فصلوا على ثم صلوا عليهم

أجاب الحمد لله هذا لا يعرف من كتب أهل الحديث ولا عن أحد من العلماء المعروفين بالحديث

ومما يروونه عنه صلى الله عليه وسلم من أكل مع مغفور له غفر له

أجاب الحمد لله هذا ليس له إسناد عند أهل العلم ولا هو في شيء من كتب المسلمين وإنما يرويه عن ... وليس معناه صحيحا على الإطلاق فقد يأكل مع المسلمين الكفار والمنافقون

ومما يروون أيضا من أشبع جوعة ... صدقة له خبزة

أجاب الحمد لله هذا لا يعرف عن النبي صلى الله عليه وسلم

ومما يروون لا تكرهوا الفتن فإن فيها حصاد المنافقين

أجاب الحمد لله هذا ليس معروفا عن النبي صلى الله عليه وسلم

ومما يروون أصحابي ... لا ...

أجاب الحمد لله هذا كذب على النبي صلى الله عليه وسلم وقد قال ... لا ... شريعته ... ذلك من ...

ومما يروون من ... حديث ... من ... الله ... حديث ...

أجاب الحمد لله هذا كذب ليس في شيء من كتب أهل العلم

ومما يروون عنه آية من القرآن خير من محمد وآله

أجاب الحمد لله القرآن كلام الله غير مخلوق فلا تشبه بالمخلوقين واللفظ المذكور غير مأثور

ومما يروون عن النبي صلى الله عليه وسلم من [illegible]

أجاب الحمد لله هذا ليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم

ومما يروونه عنه اللهم أحيني مسكينا وأمتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين

أجاب هذا يروى لكنه ضعيف لا يثبت ومعناه أحيني خاشعا متواضعا لكن اللفظ لم يثبت

ومما يروون عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال إذا سمعتم عني حديثا فاعرضوه على الكتاب والسنة فإن وافق فاروه وإن لم يوافق فلا

أجاب الحمد لله هذا مروي ولكنه ضعيف عن غير واحد من الأئمة كالشافعي وغيره

ومما يروون عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال يا علي اتخذ لك نعلين من حديد وأفنهما في طلب العلم

أجاب الحمد لله ليس هذا ولا هذا من كلام النبي صلى الله عليه وسلم

ومما يروون عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال يقول الله تعالى [illegible] بنياتكم ولا بالأقوال [illegible] بأعمالكم

أجاب الحمد لله ليس هذا اللفظ معروفا عن النبي صلى الله عليه وسلم

ومما يروون عن النبي صلى الله عليه وسلم من قدم أخرة موصى فكأنما قدم حوت مسرجة محجوبة في سبيل الله

أجاب هذا ليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم ولا أعرف في شيء من كتب الحديث المعروفة

ومما يروون عنه صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن ... من مسلم
بيده لا من عز من شاهق في شاهق

أجاب أيده الله هذا الخبر ليس بمعروف عن النبي صلى الله عليه
وسلم

ومما يروون عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال حسنات الأبرار
سيئات المقربين

أجاب أيده الله هذا كلام بعض الصوفية وليس هو من كلام النبي
صلى الله عليه وسلم

ومما يروون عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال سرور من أتحفني
هديه العمل والتوفيق حجة

أجاب أيده الله هذا لفظ لا يعرف عن النبي صلى الله عليه وسلم

ومما يروون عنه صلى الله عليه وسلم إذا شجر بين أصحابي فأمسكوا
وإذا وصلتم إلى القدر فأمسكوا

أجاب أيده الله هذا مأثور سنده صحيح ومعناه ...

ومما يروون عنه صلى الله عليه وسلم ... الحسنة
... أمن

أجاب أيده الله هذا لفظ لا يعرف

ومما يروون عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال من مات في حرمة
... بات في عصب ...

أجاب أيده الله هذا ليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم

ومما يروون عنه صلى الله عليه وسلم أنه أمر النساء بالصبح لأرواحهن عند الخلاء

حديث ليس [illegible] صلى الله عليه وسلم

ومما يروونه عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال من كثر [illegible] وجهه

حسن [illegible] أن من [illegible] وهذا [illegible] ليس بمعروف

عن النبي صلى الله عليه وسلم وكان من الكلام كونه صحيحا لكن يمكن

أن يقال عن الرسول صلى الله عليه وسلم منه يقدح إذ هذا اللفظ ليس

عطلق في كسر قلوب الكفار والمنافقين إذ به إقامة الملة والله أعلم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين

وعلى آله وصحبه وأزواجه والتابعين

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

سئل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في رجل حنفي صلى
في جماعة ورفع يديه في كل تكبيرة فأنكر عليه فقيه الجماعة وقال له إن
هذا لا يجوز في مذهبك وأنت مبتدع فيه فهل ما فعله ينقص في صلاته
ومخالف للسنة وللإمامة أم لا

فأجاب الحمد لله أما رفع اليدين مع كل تكبيرة حتى في السجود
فليس هو سنة ولا كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعلها ولكن الأئمة
متفقة على أن الرفع عند افتتاح التكبير مشروع وأما رفعهما عند الركوع
والاعتدال من الركوع فلم يعرفه أكثر فقهاء الكوفة كإبراهيم النخعي
وأبي حنيفة والثوري وغيرهم وأما أكثر فقهاء الأمصار وعلماء
الآثار فإنهم عرفوا ذلك لما أنه استفاضت به السنة عن النبي صلى الله
عليه وسلم كالأوزاعي والشافعي وإسحق وأحمد بن حنبل وأبي عبيد
وهي إحدى الروايتين عن مالك فإنه قد ثبت في الصحيحين من
حديث ابن عمر وغيره أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يرفع يديه إذا
افتتح الصلاة وإذا ركع وإذا رفع رأسه من الركوع ولا يفعل ذلك بين
السجدتين وثبت هذا عن النبي صلى الله عليه وسلم في الصحيح من
حديث مالك بن الحويرث ووائل بن حجر وأبي حميد الساعدي في
عشرة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أحدهم أبو قتادة وهو
معروف من حديث علي بن أبي طالب وأبي هريرة وغيرهما من كثير من
الصحابة عن النبي صلى الله عليه وسلم وكان ابن عمر إذا رأى من

يصلي ولا يرفع يديه في الصلاة جملة وفي حديث عقبة بن عامر له بكل
اشارة عشر حسنات والكوفيون حجتهم ان عبد الله بن مسعود لم
يكن يرفع يديه وهم معذورون فيه قبل أن تبلغهم سنة صحيحة فإن
عبد الله بن مسعود هو فقيه الذي بعثه عمر بن الخطاب رضي الله عنه
ليعلم أهل الكوفة السنة لكن قد خفي عليه الرفع عن النبي صلى الله عليه
وسلم حتى كان من صحابته وابن مسعود نفسه صح أن النبي صلى الله
عليه وسلم روي لا أول مرة لأنه رآه يصلي ولا يرفع إلا أول
مرة والإنسان قد ينسى وقد يذهل وقد خفي على ابن مسعود التطبيق
في الصلاة فكان يطبق وقد ترك التطبيق من بعده كما كانوا يفعلون أول
الإسلام ثم إن التطبيق نسخ بعد ذلك وأمر بالركب وهذا لم يحفظه
ابن مسعود في الرفع [illegible] من وقت صلاته لم يجوز
أن يصلي بلا رفع وإن رفع كان أفضل وأحسن وإن كان الرجل متبعا
لأبي حنيفة أو مالك أو الشافعي أو أحمد ورأى في بعض المسائل أن
مذهب غيره أقوى فاتبعه كان قد أحسن في ذلك ولم يقدح في عدالته
ودينه الإرتداد عن مذهبه بل هذا أولى بالحق وأحب إلى الله ورسوله فإن
التعصب لواحد معين غير النبي صلى الله عليه وسلم كمن يتعصب لمالك
والشافعي وأحمد وأبي حنيفة ويرى أن قول هذا المعين هو الصواب
الذي ينبغي اتباعه دون قول الإمام الذي خالفه فمن فعل هذا كان
جاهلا ضالا بل قد يكون كافرا فإنه متى اعتقد أنه يجب على الناس
اتباع واحد بعينه من هؤلاء الأئمة دون الإمام الآخر فإنه يجب أن

[illegible] والا [illegible] انه يسوغ [illegible] او
يجب على [illegible] أن [illegible] و [illegible] ولا عمر [illegible] وأما
[illegible] يقول قائل [illegible] امة فلان وفلان او فلان فهذا لا يقوله
[illegible] واحدا منهم فيما يصيب له [illegible]
موافق للسنة فهو محسن في ذلك هذا أحسن حالا من غيره ولا [illegible]
[illegible] على وجه [illegible] المذبذب المذموم الذي لا يكون
[illegible] ولا مع [illegible] مؤمن بوجه [illegible] بوجه
[illegible] يخادعون الله وهو خادعهم واذا
قاموا [illegible] يراءون [illegible] ولا يذكرون الله إلا قليلا
مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد
له سبيلا) وقال [illegible]
بين [illegible] هؤلاء مرة و [illegible] هؤلاء [illegible]
المذبذبون وهم الذين ذمهم الله ورسوله [illegible]
المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد
ان المنافقين لكاذبون) وقال في حقهم (ألم تر الى الذين تولوا قوما غضب
الله عليهم ما هم منكم ولا منهم ويحلفون على الكذب وهم يعلمون)
فهؤلاء المنافقون الذين تولوا اليهود الذين غضب الله عليهم ما هم من
اليهود ولا [illegible] من أظهر الاسلام من اليهود والنصارى
وغيرهم [illegible] مع طائفة فلا هو مؤمن محض ولا هو كافر ظاهر
و باطنا فهؤلاء المذبذبون الذين ذمهم الله ورسوله وأوجب على [illegible]

أن يكونوا لا كفارا ولا مسلمين بل يطيعون الله ويعصون الله ويعبدون الله ويعبدون [illegible] الله قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم) إلى قوله (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون) وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق) وقال تعالى (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو [illegible]) الآية وقال تعالى (إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم) وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر) وفي الصحيحين عنه أنه قال (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وشبك بين أصابعه) وفي الصحيحين عنه أنه قال (والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) وفي صحيح مسلم عنه أنه قال (والذي نفسي بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم) وقد أمر الله المؤمنين بالاجتماع والائتلاف ونهاهم عن الفرقة والاختلاف فقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعا

ولا ... واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا) إلى قوله (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) قال ابن عباس تبيض وجوه أهل السنة والجماعة وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة ... على منهاج الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ... [illegible] ... والأهواء ... السنة والجماعة أنهم مذمومون ... [illegible] ... فلا قدره في ... [illegible] ... يكون ... [illegible]

ـ عه وهم مع ىاك معه ـ لامهم لاعاب تهما مدمدس ل أنو
ح مه وعـىره من لانه مون موب ىه سس ه لحجه في حـلاقه
فيقوب م ولا يدـ به ممدب في الاسـب لابرل هب العلم
و لا ـب ود سن ه من مره كل حوا عده مه ويس هـذا
ـمسب ن هد مهم ر مه الله هدى وقد ف على اوثار ردى
عه و و حب على كل مؤمن مو لا ه مع ى ب مع ـ حق ويده
حسب وحده ، ، ىومن ح ، ه مهم ا ه ب به حر ـ ومن حهم
مهم فحمد فيه حن لا ـ م د وحدوه معلوم ه وعى فيه ب
ـ مو ممهم د ىعن ميسون ت ى مى لله عده ه سلم قب
حمل لامه قوم ه وسو ء رفع سيه وه برو مده لامح دنث في
صلاة ولا صه لاعه في حـدوه ولا ما بلا ـ هي ولا حم
وو ىع لامموب نموم و نموم دون لامه مـدح في صلاة
وحد مهم ووو رفع الرحل مص الاوقات دون مص ه يمدح ذلك
في صلاته ومن ـ ـب حدود ـ معن مه مه ر موحب ـ عه
ى ب ه ه ح ات ه ـ ه ـ كل محدب به ـ ـ ـة نهو ـ مع
من مـ ـ ه ، لامه ا ـ ـ في محـدث ـ في حسن مه مه
هـ ه مر نه ـ شمع لا ـ ر ه ـ بر لامه و ـ ـ عه في
صح حـ به شهـ حـور ه لامه شـده مد كان في مع
لامه هـ حسن ومن أراده لله حسن ومن برحب هـذا
ـوب هـ نهه شحي صـ ـ مهن و ن ن يعمل هد دورهد

تجرد دينه وهو مخطئ مصيب وبلاد الشرق من أسباب تسليط الله التتر عليها كثرة التفرق والفتن بينهم في المذاهب وغيرها حتى تجد المنتسب إلى الشافعي يتعصب لمذهبه على مذهب أبي حنيفة حتى يخرج عن الدين والمنتسب إلى أبي حنيفة يتعصب لمذهبه على مذهب الشافعي وغيره حتى يخرج عن الدين والمنتسب إلى أحمد يتعصب لمذهبه على مذهب هذا وهذا وفي المغرب تجد المنتسب إلى مالك يتعصب لمذهبه على هذا وهذا وكل هذا من التفرق والاختلاف الذي نهى الله ورسوله عنه وكل هؤلاء المتعصبين بالباطل المتبعين الظن وما تهوى الأنفس المتبعين لأهوائهم بغير هدى من الله مستحقون للذم والعقاب وهذا باب واسع لا تحتمل هذه الفتيا لبسطه فإن الاعتصام بالجماعة والائتلاف من أصول الدين والفرع المتنازع فيه من الفروع الخفية فكيف يقدح في الأصل بحفظ الفرع وجمهور المتعصبين لا يعرفون من الكتاب والسنة إلا ما شاء الله بل يتمسكون بأحاديث ضعيفة أو آراء فاسدة أو حكايات عن بعض العلماء والشيوخ قد تكون صدقا وقد تكون كذبا أو كانت صدقا فليس صاحبها معصوما يتمسكون بنقل غير مصدق عن قائل غير معصوم ويدعون النقل المصدق عن القائل المعصوم وهو ما نقله الثقات الأثبات من أهل العلم ودونوه في الكتب الصحاح عن النبي صلى الله عليه وسلم فإن الناقلين لذلك مصدقون باتفاق أئمة الدين والمنقول عنه معصوم لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى قد أوجب الله تعالى على جميع الخلق طاعته واتباعه وقال تعالى (فلا وربك

لا يؤمنون حتى [illegible] لا [illegible]
[illegible] ويسلموا [illegible] وقال تعالى ([illegible]
[illegible]) [illegible]
واحوالا [illegible] و [illegible]
[illegible]

[illegible] الشيخ الإمام العلامة

[illegible] وقد [illegible] و شركاه

في [illegible] الحليم

[illegible]

[illegible] وأ[illegible]

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

قال شيخ الإسلام عمدة الأعلام ناصر السنة ومحي البدعة تقي الدين أبو العباس أحمد بن شهاب الدين عبد الحليم ابن الإمام مجد الدين عبد السلام بن عبد الله بن تيمية رضي الله عنه الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا أما بعد فقد تكرر السؤال من كثير من المسلمين أن أكتب في بيان مناسك الحج ما يحتاج إليه غالب الحجاج في غالب الأوقات فإني كنت قد كتبت منسكا في أوائل عمري فذكرت فيه أدعية كثيرة ووقفت في الأحكام من اتبعه قبلي من العلماء وكتبت في هذا ما تبين لي من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم مختصرا مبينا ولا حول ولا قوة إلا بالله

فصل أول ما يفعله قاصد الحج والعمرة إذا أراد الدخول فيهما أن يحرم بذلك وقبل ذلك فهو قاصد الحج أو العمرة ولم يدخل فيهما بمنزلة الذي يخرج إلى الصلاة فله أجر الساعي ولا يدخل في الصلاة حتى يحرم بها وعليه إذا وصل إلى الميقات أن يحرم والمواقيت خمسة ذو الحليفة والجحفة وقرن المنازل ويلملم وذات عرق ووقت النبي صلى الله عليه وسلم وقال هن لأهلهن ولمن مر عليهن من غير أهلهن ممن يريد الحج والعمرة ومن كان منزله دونهن فمهله من أهله حتى أهل

مكة [illegible] من مكة فذو الحليفة هي أبعد المواقيت منها وبين مكة عشر
مراحل أو أقل أو أكثر بحسب اختلاف الطرق [illegible] لجهة مكة [illegible]
[illegible] وادي [illegible] ومسجده يسمى مسجد الشجرة وبها بئر
[illegible] وهو كذلك [illegible]
[illegible] من أرضها حتى [illegible] ولا [illegible]
[illegible] الجحفة
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] في هذه
الأوقات [illegible]
[illegible]
[illegible] من مكة [illegible] وليس [illegible]
[illegible] العمرة لا بالإحرام وإن قصد مكة لتجارة أو لزيارة
[illegible] الميقات في أشهر الحج
[illegible] ثلاثة [illegible] وهي [illegible] ولا [illegible]
[illegible] العمرة [illegible] وهو [illegible]
[illegible] العمرة [illegible] الحج [illegible]
[illegible] تمتع في [illegible] والسنة
[illegible] وهو [illegible]

وهذا في الأفضل من ذلك والتحقيق في ذلك أنه نوع اختلاف
حال الحاج فإن كان يسافر سفرة للعمرة وللحج سفرة أخرى أو يسافر
إلى مكة قبل أشهر الحج ويعتمر ويقيم بها حتى يحج فهذا الإفراد
له أفضل باتفاق الأئمة الأربعة والإحرام بالحج قبل أشهره ليس مسنونا
بل مكروه وإذا فعله فهل يصير محرما بعمرة أو بحج فيه نزاع وأما إذا فعل
ما يفعله غالب الناس وهو أن يجمع بين العمرة والحج في سفرة واحدة
ويقدم مكة في أشهر الحج وهن شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة
فهذا إن ساق الهدي فالقران أفضل له وإن لم يسق الهدي فالتحلل
من إحرامه بعمرة أفضل فإنه قد ثبت بالنقل المستفيض الذي لم يختلف
في صحته أهل العلم بالحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم لما حج حجة
الوداع هو وأصحابه أمرهم جميعهم أن يحلوا من إحرامهم ويجعلوها عمرة
إلا من ساق الهدي فإنه أمره أن يبقى على إحرامه حتى يبلغ الهدي محله
وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد ساق الهدي هو وطائفة من أصحابه وقرن
هو بين العمرة والحج فقال لبيك عمرة وحجا ولم يعتمر بعد الحج أحد
ممن كان مع النبي صلى الله عليه وسلم إلا عائشة وحدها لأنها كانت قد
حاضت فلم يمكنها الطواف لقوله صلى الله عليه وسلم تقضي الحائض
المناسك كلها إلا الطواف بالبيت فأمرها أن تهل بالحج وتدع أفعال العمرة لأنها
كانت متمتعة ثم إنها طلبت من النبي صلى الله عليه وسلم أن يعمرها فأرسلها
مع أخيها عبد الرحمن فاعتمرت من التنعيم والتنعيم هو أقرب الحل إلى مكة
وبه اليوم المساجد التي تسمى مساجد عائشة ولم تكن هذه على عهد النبي

صلى الله عليه وسلم وإنما بنيت بعد ذلك علامة على المكان الذي أحرمت منه عائشة وليس دخول هذه المساجد ولا الصلاة فيها لمن اجتاز بها محرما لا فرضا ولا سنة بل قصد ذلك واعتقاد أنه يستحب بدعة مكروهة لكن من خرج من مكة ليعتمر فإنه إذا دخل واحدا منها وصلى فيه لأجل الإحرام فلا بأس بذلك ولم يكن على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه [illegible] أحد يخرج من مكة ليعتمر إلا لعذر لا في رمضان ولا في غير رمضان والذين حجوا مع النبي صلى الله عليه وسلم ليس فيهم من اعتمر بعد الحج من مكة إلا عائشة كما ذكر ولا كان هذا من فعل الخلفاء الراشدين والذين استحبوا الإفراد من الصحابة إنما استحبوا أن يحج في سفرة ويعتمر في أخرى ولم يستحبوا أن يحج ويعتمر عقب ذلك عمرة مكية بل هذا لم يكونوا يفعلونه قط اللهم إلا أن يكون شيئا نادرا وقد تنازع السلف في هذا هل يكون متمتعا عليه دم أم لا وهل تجزئه هذه العمرة عن عمرة الإسلام أم لا وقد اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم بعد هجرته أربع عمر * عمرة الحديبية وصل إلى الحديبية والحديبية وراء الجبل الذي بالتنعيم عند مساجد عائشة عن يمينك وأنت داخل إلى مكة فصده المشركون عن البيت فصالحهم وحل من إحرامه وانصرف * وعمرة القضية اعتمر من العام القابل * وعمرة الجعرانة فإنه كان قد قاتل المشركين بحنين وحنين من ناحية المشرق من ناحية الطائف وأما بدر فهي بين المدينة و [illegible] من [illegible] ستين [illegible] ولكن قريشا [illegible] لما [illegible] الله [illegible] فيهم الملائكة نصر النبي صلى الله عليه وسلم

والمؤمنون في غزاة ثم ذهب لحصار مشركين بالطائف ثم رجع
وقسم غنائم حنين بالجعرانة فلما قسم غنائم حنين اعتمر من جعرانة
داخلا إلى مكة لا خارجا منها للإحرام. والعمرة الرابعة مع حجته فإنه
قرن بين العمرة والحج باتفاق أهل المعرفة بسنته وباتفاق أصحابه على
ذلك ولم ينقل عن أحد من أصحابه أنه تمتع تمتعا حل فيه بل كانوا
يسمون القران تمتعا ولا نقل عن أحد من الصحابة أنه لما قرن
طاف طوافين وسعى سعيين وعامة المنقول عن الصحابة في صفة حجته
ليست متناقضة وإنما اشتبه على من لم يعرف مرادهم وجميع الصحابة
الذين نقل عنهم أنه أفرد الحج كعائشة وابن عمر وجابر قالوا إنه تمتع
بالعمرة إلى الحج فقد ثبت في الصحيحين عن عائشة وابن عمر بإسناد
أصح من إسناد الإفراد ومراد هؤلاء بالتمتع القران كما ثبت ذلك في
الصحاح أيضا فإذا أراد الإحرام فإن كان قارنا قال لبيك عمرة
وحجا وإن كان متمتعا قال لبيك عمرة وإن كان مفردا قال لبيك
حجة أو قال اللهم إني أوجبت عمرة وحجا أو أوجبت عمرة أو أوجبت
حجا أو أريد الحج أو أريدهما أو أريد التمتع بالعمرة إلى الحج فمهما
قال من ذلك أجزأه باتفاق الأئمة ليس في ذلك عبارة مخصوصة
ولا يجب شيء من هذه العبارات باتفاق الأئمة كما لا يجب التلفظ بالنية
في الطهارة والصلاة والصيام باتفاق الأئمة بل متى لبى قاصدا
للإحرام انعقد إحرامه باتفاق المسلمين ولا يجب عليه أن يتكلم
قبل التلبية بشيء ولكن تنازع العلماء هل يستحب أن يتكلم

[illegible] في الصلاة والصوت

[illegible] صلى الله عليه وسلم

[illegible] شيء من

[illegible]

[illegible] يحيى من الأرض [illegible]

[illegible] وصححه الترمذي [illegible] أرد

[illegible] يحيى من الأرض [illegible]

[illegible] في صحيحين

[illegible]

[illegible] شيء [illegible] وكان [illegible]

[illegible] وكان [illegible] من [illegible]

ومن أهل [illegible] ومن أهل [illegible] ومن أهل

[illegible] ومن أهل [illegible]

[illegible] ومن [illegible] فهله من أهله والاهلال هو التلبية وهذا هو

[illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible] في ابتداء الحج والعمرة

[illegible] مشروع [illegible]

[illegible]

[illegible] ولا يعرف [illegible]

[illegible] ولا قصد [illegible]

[illegible]

[illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible]

[illegible]

[illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible]

[illegible] على [illegible] كان [illegible]

أن [illegible] كل [illegible]

[illegible]

[illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible]

[illegible]

[illegible] الحج [illegible] العمرة و [illegible] الحج و [illegible] العمرة وهو [illegible]

[illegible] الحج [illegible] الحج ولا [illegible] ولا

[illegible] ولا [illegible] في [illegible] في صحيحيهما [illegible] الحج

[illegible]

على [illegible] فلا رفث ولا فسوق [illegible]

[illegible]

[illegible] الحج [illegible]

[illegible] في [illegible]

[illegible] الحج [illegible]

[illegible]

[illegible] قد [illegible]

[illegible] في الحج [illegible]

وكالحذف في الحلق بعد ما بين واسطة المسوق يتفاوت محرمه الله تعالى
ولا يختص بالسبب وان كان سبب السلم مسوقا فالمسوق يوهذا وغيره
* والزوث هو خمس وانس في المحصورات مد مسد الحج الا حس
[illegible] وبه من [illegible] مسوق * [illegible] محصورت كانس
[illegible] ولا [illegible] حج [illegible]
[illegible] محرم [illegible] وكان [illegible]
[illegible] ولا [illegible] محرما [illegible]
[illegible] حج [illegible] في [illegible] من [illegible]
[illegible] محرم [illegible] هو الصحيح من القولين
و [illegible] لاحرام واليس [illegible] ولو احرم
وعليه [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible]
[illegible] وعليه [illegible] محصور

* فصل * يستحب ان يحرم عقب صلاة اما فرض واما تطوع
ان كان وقت تطوع في احد القولين وفي الآخر ان كان يصلي فرضا
احرم عقبه والا فليس للاحرام صلاة تخصه وهذا أرجح * ويستحب
أن يغتسل للاحرام ولو كانت نفساء وحائضا ان احتاج في التنظف
كتقليم الاظفار وقص الشارب وحلق العانة ونحو ذلك فعل ذلك
وهذا ليس من خصائص الاحرام وكذلك لم يكن له ذكر فيما نقله
الصحابة لكنه مشروع بحسب الحاجة وهكذا يشرع لمصلي الجمعة والعيد
على هذا الوجه ويستحب أن يحرم في ثوبين نظيفين فان كانا أبيضين

فيه قولان ويجوز أن يحرم في جميع أجناس الثياب المباحة من القطن

والكتان والصوف [illegible] أن يحرم في [illegible] ورداء [illegible] نظيفين

أو غير [illegible] لأنه و[illegible] يحرم في غيرهما جاز [illegible] كان ثم

يجوز لبسه ويجوز أن يحرم في أبيض وغيره من الألوان الجائزة

وإن كان ملونا ولا [illegible] يحرم في نعلين [illegible] على أي

[illegible] من جنس واسع [illegible] أن يقطعهما

دون الكعبين [illegible] النبي صلى الله عليه وسلم أمر [illegible] ولا [illegible] يرخص

[illegible] في عرفات في لبس السراويل [illegible] إزارا ورخص في

لبس الخفين [illegible] و[illegible] رخص في القطع أولا لأنه [illegible]

[illegible] الكعبين وهذا كان الصحيح أنه يجوز أن يلبس [illegible] الكعبين

[illegible] والمداس [illegible] ذلك [illegible] كان [illegible]

[illegible] ولا [illegible] مقامهما [illegible]

والمداس ونحو ذلك [illegible] أن [illegible] ولا [illegible] وكذلك [illegible]

[illegible] ولا [illegible] قولي [illegible]

صلى الله عليه وسلم [illegible] في [illegible] في عرفات [illegible]

[illegible] يلبس [illegible] من [illegible]

[illegible] والقميص ونحو ذلك [illegible] الأئمة

[illegible] علاه [illegible]

[illegible] لا حاجة [illegible] صلى [illegible]

[illegible] أن [illegible]

رأس المحرم [illegible] وأمر من احرم في جبة أن ينزعها عنه فما
كان من هذا الجنس فهو في معنى ما نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم فما
كان في معنى القميص فهو مثله وليس له أن يلبس القميص لا بكم ولا
[illegible] أو مخروق
[illegible]
[illegible] وقد صرح الفقهاء
[illegible] وهذا معنى قول الفقهاء
لا يلبس المخيط [illegible] على قدر العضو وكذلك
لا يلبس ما في معنى الخف كالموق والجورب ونحو ذلك ولا يلبس
ما كان في معنى السراويل [illegible] ونحوه [illegible] إلى عقبه
[illegible]
احتاج الى عقده فقد رأى [illegible] وهل يجوز عقده
مع كراهة أو يحرم فيه نزاع [illegible]
عن ابن عمر رضي الله عنه فمنهم من قال هو كراهة تنزيه كأبي حنيفة
وغيره ومنهم من قال كراهة تحريم وأما الرأس فلا يغطيه لا بمخيط
ولا غيره فلا يغطيه بعمامة ولا قلنسوة ولا كوفية ولا ثوب يلصق به
ولا غير ذلك وله أن يستظل تحت السقف والشجر ويستظل في الخيمة ونحو
ذلك باتفاقهم وأما الاستظلال بالمحمل كالمحارة التي لها رأس في حال السير فهذا
فيه نزاع والأفضل للمحرم أن يضحي لمن أحرم له كما كان النبي صلى الله
عليه وسلم وأصحابه يحجون وقد رأى ابن عمر رجلا ظلل

[illegible] فقال أيها المحرم اضح لمن أحرمت له ولهذا كان السلف يكرهون القباب على المحامل وهي المحامل التي لها رأس وأما المحامل المكشوفة فلم يكرهها إلا بعض النساك وهذا في حق الرجل وأما المرأة فإنها عورة فلذلك جاز لها أن تلبس الثياب التي تستتر بها وتستظل بالمحمل لكن نهاها النبي صلى الله عليه وسلم أن تنتقب أو تلبس القفازين والقفازان غلاف يصنع لليد كما يفعله حملة البزاة ولو غطت المرأة وجهها بشئ لا يمس الوجه جاز بالاتفاق وإن كان يمسه فالصحيح أنه يجوز أيضاً ولا تكلف المرأة أن تجافي سترتها عن الوجه لا بعود ولا بيد ولا غير ذلك فإن النبي صلى الله عليه وسلم سوى بين وجهها ويديها وكلاهما كبدن الرجل لا كرأسه وأزواجه صلى الله عليه وسلم كن يسدلن على وجوههن من غير مراعاة المجافاة ولم ينقل أحد من أهل العلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إحرام المرأة في وجهها وإنما هذا قول بعض السلف لكن النبي صلى الله عليه وسلم نهاها أن تنتقب أو تلبس القفازين كما نهى المحرم أن يلبس القميص والخف مع أنه يجوز له أن يستر يديه ورجليه باتفاق الأئمة والبرقع أقوى من النقاب فلهذا ينهى عنه باتفاقهم ولهذا كانت المحرمة لا تلبس ما يصنع لستر الوجه كالبرقع ونحوه فإنه كالنقاب وليس للمحرم أن يلبس شيئاً مما نهى النبي صلى الله عليه وسلم عنه إلا لحاجة كما أنه ليس للصحيح أن يفطر إلا لحاجة والحاجة مثل البرد الذي يخاف أن يمرضه إذا لم يغط رأسه أو مثل مرض نزل به يحتاج معه إلى تغطية رأسه فيلبس قدر الحاجة

هذا [illegible] عنه [illegible] أن يفتدي [illegible] صيام ثلاثة أيام وأما نسك
شاة أو إطعام [illegible] مساكين لكل مسكين نصف صاع من تمر أو
شعير [illegible] حنطة [illegible] ويكون رطلين بالعراقي
[illegible] أن يكون [illegible]
[illegible] وهو أفضل من
[illegible]
[illegible] ثم يكون
[illegible] وواجب في ذلك كله
[illegible] عشرة مساكين من أوسط ما يطعمون
أهليهم أو كسوتهم [illegible] على إطعام المساكين من أوسط
[illegible] العلماء [illegible] ذلك [illegible] الشرع
أو يرجع [illegible] في [illegible]
والراجح في هذا كله أن يرجع [illegible] قوله [illegible]
يطعمون أهليهم [illegible] كان [illegible] ونحوه [illegible]
النبي صلى الله عليه وسلم أن يطعم فرقا من التمر بين ستة مساكين
[illegible] وهذه الفدية يجوز أن يخرجها إذا
[illegible] العصور قبله و[illegible] ويجوز أن يذبح النسك قبل أن
يصل إلى مكة ويصوم الأيام الثلاثة متتابعة إن شاء ومتفرقة إن شاء
[illegible] له عذر [illegible] ولا تحل فعله [illegible]
[illegible] الفدية [illegible] واحدة في أشهر قولي العلماء

(فصل) [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم

[illegible] والعمرة [illegible]

[illegible] أو [illegible]

[illegible] كان الصحابة [illegible] ورسول الله صلى الله عليه

وسلم [illegible] وكان هو [illegible] ولو من [illegible]

[illegible] دابة أولم يركبها [illegible] والسنة هي

[illegible] على [illegible]

والذي هو [illegible] وأحد [illegible]

[illegible] مميعون لامر [illegible]

مرة [illegible] والسنة [illegible]

[illegible] الصوت

[illegible] لا يجهد نفسه والمرأة ترفع صوتها بحيث تسمع رفيقتها

ويستحب الاكثار [illegible] الاحوال [illegible] الصلوات

[illegible] أو [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible] الله [illegible] واسته

[illegible]

[illegible] أو [illegible]

والسمن ونحوه إذا لم يكن فيه طيب فيه نزاع مشهور وتركه أولى
ولا يقلم أظفاره ولا يقطع شعره وله أن يحك بدنه إذا حكه ويحتجم
في رأسه وغير رأسه وإن احتاج أن يحلق شعرا لذلك جاز فإنه قد
ثبت في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم احتجم في وسط رأسه
وهو محرم ولا يمكن ذلك إلا مع حلق بعض الشعر وكذلك إذا اغتسل
وسقط شيء من شعره بذلك لم يضره وإن تيقن أنه انقطع بالغسل
ويفتصد إذا احتاج إلى ذلك وله أن يغتسل من الجنابة بالاتفاق
وكذلك لغير الجنابة ولا ينكح المحرم ولا ينكح ولا يخطب ولا يصطاد
صيدا بريا ولا يتملكه بشراء ولا اتهاب ولا غير ذلك ولا يعين على صيد
ولا يذبح صيدا فأما صيد البحر كالسمك ونحوه فله أن يصطاده ويأكله
وله أن يقطع الشجر لكن نفس الحرم لا يقطع شيء من شجره وإن كان
غير محرم ولا من نباته المباح إلا الإذخر وأما ما غرسه الناس أو زرعوه
فهو لهم وكذلك ما يبس من النبات يجوز أخذه ولا يصطاد به صيدا
وإن كان من الماء كالسمك على الصحيح بل ولا ينفر صيده مثل
أن يقيمه ليقعد مكانه وكذلك حرم مدينة رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو ما بين لابتيها واللابة هي الحرة وهي الأرض التي فيها
حجارة سود وهو بريد في بريد والبريد أربع فراسخ وهو من عير
إلى ثور وعير هو جبل عند الميقات يشبه العير وهو الحمار وثور هو
جبل من ناحية أحد وهو غير جبل ثور الذي بمكة فهذا الحرم أيضا
لا يصاد صيده ولا يقطع شجره إلا لحاجة كآلة الركوب والحرث ويؤخذ

من حشيشه ما يحتاج إليه للعلف فإن النبي صلى الله عليه وسلم رخص
لأهل المدينة في هذا لحاجتهم إلى ذلك إذ ليس حولهم ما يستغنون به
عنه بخلاف الحرم المكي وإذا أُدخل عليه صيد لم يكن عليه إرساله
وليس في الدنيا حرم لا بيت المقدس ولا غيره إلا هذان الحرمان ولا
يسمى غيرهما حرما كما يسمي الجهال فيقولون حرم المقدس وحرم
الخليل فإن هذين وغيرهما ليسا بحرم باتفاق المسلمين والحرم المجمع
عليه حرم مكة * وأما المدينة فلها حرم أيضا عند الجمهور كما استفاضت
بذلك الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يتنازع المسلمون في
حرم ثالث إلا وجا وهو واد بالطائف وهو عند بعضهم حرم وعند
الجمهور ليس بحرم * وللمحرم أن يقتل ما يؤذي بعادته الناس كالحية والعقرب
والفأرة والغراب والكلب العقور وله أن يدفع ما يؤذيه من الآدميين
والبهائم حتى لو صال عليه أحد ولم يندفع إلا بالقتال قاتله فإن النبي صلى
الله عليه وسلم قال من قتل دون ماله فهو شهيد ومن قتل دون دمه
فهو شهيد ومن قتل دون دينه فهو شهيد ومن قتل دون حرمته فهو
شهيد وإذا قرصته البراغيث والقمل فله إلقاؤها عنه وله قتلها ولا
شيء عليه وإلقاؤها أهون من قتلها وكذلك ما يتعرض له من الدواب
فينهى عن قتله وإن كان في نفسه محرما كالأسد والفهد فإذا قتله فلا
جزاء عليه في أظهر قولي العلماء وأما التفلي بدون التأذي فهو من
الترفه فلا يفعله ولو فعله فلا شيء عليه ويحرم على المحرم الوطء
ومقدماته ولا يطأ شيئا سواء كان امرأة ولا غير امرأة ولا يتمتع بقبلة

[illegible]

﴿ فصل ﴾ فإذا أتى مكة جاز أن يدخل مكة والمسجد من جميع الجوانب لكن الأفضل أن يأتي من وجه الكعبة اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم فإنه دخلها من وجهها من الناحية العليا التي فيها اليوم باب المعلاة ولم يكن على عهد النبي صلى الله عليه وسلم لمكة ولا للمدينة سور ولا أبواب مبنية ولكن دخلها من الثنية العليا ثنية كداء بالفتح والمد المشرفة على المقبرة ودخل المسجد من الباب الأعظم الذي يقال له باب بني شيبة ثم ذهب إلى الحجر الأسود فإن هذا أقرب الطرق إلى الحجر الأسود لمن دخل من باب المعلاة ولم يكن قديما بمكة بناء يعلو على البيت ولا كان فوق الصفا والمروة والمشعر الحرام مساجد ولا كان بمزدلفة مسجد ولا عند الجمرات مساجد بل كل هذه محدثة بعد الخلفاء الراشدين ومنها ما أحدث بعد الدولة الاموية ومنها ما أحدث بعد ذلك فكان البيت يرى قبل دخول المسجد وقد ذكر ابن جرير أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا رأى البيت رفع يديه وقال اللهم زد هذا البيت تشريفا وتعظيما وتكريما ومهابة وبرا وزد من شرفه وكرمه ممن حجه أو اعتمره تشريفا وتعظيما فمن رأى البيت قبل دخول المسجد فعل ذلك وقد استحب ذلك من استحبه عند رؤية البيت ولو كان بعد دخول المسجد لكن النبي صلى الله عليه وسلم

بعد أن دخل المسجد بدأ بالطواف ولم يصل قبل ذلك تحية المسجد
ولا غير ذلك بل تحية المسجد الحرام هو الطواف بالبيت وكان صلى الله
عليه وسلم يغتسل لدخول مكة كما كان يبيت بذي طوى وهو عند الآبار
التي يقال لها آبار الزاهر فمن تيسر له المبيت بها والاغتسال ودخول
مكة نهارا وإلا فليس عليه شيء من ذلك وإذا دخل المسجد بدأ بالطواف
فيبتدئ من الحجر الأسود يستقبله استقبالا ويستلمه ويقبله إن
أمكن ولا يؤذي أحدا بالمزاحمة عليه فإن لم يمكن استلمه وقبل يده وإلا
أشار إليه ثم ينتقل للطواف ويجعل البيت عن يساره وليس عليه أن
يذهب إلى ما بين الركنين ولا يمشي عرضا ثم ينتقل للطواف بل ولا
يستحب ذلك ويقول إذا استلمه بسم الله والله أكبر وإن شاء قال اللهم
إيمانا بك وتصديقا بكتابك ووفاء بعهدك واتباعا لسنة نبيك محمد صلى
الله عليه وسلم ويجعل البيت عن يساره فيطوف سبعا ولا يخترق الحجر
في طوافه لما كان أكثر الحجر من البيت والله أمر بالطواف به
لا بالطواف فيه ولا يستلم من الأركان إلا الركنين اليمانيين دون الشاميين
فإن النبي صلى الله عليه وسلم إنما استلمهما خاصة لأنهما على قواعد
إبراهيم والآخران هما في داخل البيت فالركن الأسود يستلم ويقبل
واليماني يستلم ولا يقبل والآخران لا يستلمان ولا يقبلان والاستلام
هو مسحه باليد وأما سائر جوانب البيت ومقام إبراهيم وسائر ما في
الأرض من المساجد وحيطانها ومقابر الأنبياء والصالحين كحجرة نبينا
صلى الله عليه وسلم ومغارة إبراهيم ومقام نبينا صلى الله عليه وسلم الذي

كل مصلى وكذلك ما يبنى من مقابر الأنبياء والصالحين وصخرة بيت
المقدس [illegible] ولا [illegible] لأنه وأما الطواف بذلك فهو من
أعظم البدع المحرمة ومن اتخذه دينا يستتاب فإن تاب وإلا قتل ولو
وضع يده على الشاذروان الذي يربط فيه أستار الكعبة لم يضره ذلك
في أصح قولي العلماء وليس الشاذروان من البيت بل جعل عمادا
للبيت ويستحب له في الطواف الأول أن يرمل من الحجر إلى الحجر
في الأطواف الثلاثة والرمل مثل الهرولة وهو مسارعة المشي مع
تقارب الخطى فإن لم يمكن الرمل للزحمة كان خروجه إلى حاشية المطاف
والرمل أفضل من قربه إلى البيت بدون رمل وأما إذا أمكن القرب
من البيت مع إكمال السنة فهو أولى ويجوز أن يطوف من وراء قبة
زمزم وما وراءها من السقائف المتصلة بحيطان المسجد ولو صلى المصلي
في المسجد والناس يطوفون أمامه لم يكره سواء مر أمامه رجل أو
امرأة وهذا من خصائص مكة وكذلك يستحب أن يضطبع في هذا
الطواف والاضطباع هو أن يبدي ضبعه الأيمن فيضع وسط الرداء
تحت إبطه الأيمن وطرفيه على عاتقه الأيسر وإن ترك الرمل والاضطباع
فلا شيء عليه * ويستحب له في الطواف أن يذكر الله تعالى ويدعوه بما
يشرع وإن قرأ القرآن سرا فلا بأس وليس فيه ذكر محدود عن
النبي صلى الله عليه وسلم لا بأمره ولا بقوله ولا بتعليمه بل يدعو فيه
بسائر الأدعية الشرعية وما يذكره كثير من الناس من دعاء معين
تحت الميزاب ونحو ذلك فلا أصل له وكان النبي صلى الله عليه وسلم

يختم طوافه بين الركنين بقوله ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة
حسنة وقنا عذاب النار كما كان يختم سائر دعائه بذلك وليس في ذلك
ذكر واجب بنوع الأئمة والطواف بالبيت كالصلاة إلا أن الله أباح فيه
الكلام فمن تكلم فيه فلا يتكلم إلا بخير ولهذا يؤمر الطائف أن يكون
متطهراً الطهارتين الصغرى والكبرى ويكون مستور العورة مجتنب
النجاسة التي يجتنبها المصلي والطائف طاهراً لكن في وجوب الطهارة في
الطواف نزاع بين العلماء فإنه لم ينقل أحد عن النبي صلى الله عليه وسلم
أنه أمر بالطهارة للطواف ولا نهى المحدث أن يطوف ولكنه طاف
طاهراً لكنه ثبت عنه أنه نهى الحائض عن الطواف وقد قال النبي صلى
الله عليه وسلم مفتاح الصلاة الطهور وتحريمها التكبير وتحليلها التسليم
فالصلاة التي أوجب لها الطهارة ما كان يفتتح بالتكبير ويختم بالتسليم كالصلاة
التي فيها ركوع وسجود كصلاة الجنازة وسجدتي السهو وأما الطواف
وسجود التلاوة فليسا من هذا والاعتكاف يشترط له المسجد ولا
يشترط له الطهارة بالاتفاق والمعتكفة الحائض تنهى عن اللبث في المسجد
مع الحيض وإن كانت تلبث في المسجد وهي محدثة. قال أحمد بن حنبل
في مناسك الحج لابنه عبد الله حدثنا سهل بن يوسف أنا شعبة عن
حماد ومنصور قال سألتهما عن الرجل يطوف بالبيت وهو غير متوضئ فلم
يريا به بأساً قال عبد الله سألت أبي عن ذلك فقال أحب إلي أن لا يطوف
بالبيت وهو غير متوضئ لأن الطواف بالبيت صلاة وقد اختلفت
الرواية عن أحمد في اشتراط الطهارة فيه ووجوبها كما هو أحد قولي

في مذهب أبي حنيفة لكن لا يخالف مذهب أبي حنيفة أنها ليست
شرط [illegible] في [illegible] وجوه [illegible] من [illegible]
أو [illegible]
[illegible]
[illegible] لكن لا [illegible] ما يجب [illegible] المنونة فإذا طاف
إلى ذلك كان حسنا [illegible] القول الذي [illegible] مخالفة السنة حتى كمن
تيمم [illegible] في صلاة المكتوبة وصلاة الجنازة خوفا من أن يكون
فيهما نجاسة [illegible] النبي صلى الله عليه وسلم
كان يصلي في نعليه وقال إن اليهود لا يصلون في نعالهم فخالفوهم وقال
إذا أتى المسجد أحدكم فلينظر في نعليه فإن كان فيهما أذى فليدلكهما
في التراب فإن التراب لهما طهور وكما يجوز أن يصلي في نعليه فكذلك
يجوز أن يطوف في نعليه وإن لم يمكنه الطواف ماشيا فطاف راكبا أو
محمولا أجزأه بالاتفاق وكذلك ما يعجز عنه من واجبات الطواف مثل
من كان به نجاسة لا يمكنه إزالتها كالمستحاضة ومن به سلس البول فإنه
يطوف ولا شيء عليه باتفاق الأئمة وكذلك لو لم يمكنه الطواف إلا
عريانا فطاف بالليل كما لو لم يمكنه الصلاة إلا عريانا وكذلك المرأة الحائض
إذا لم يمكنها طواف الفرض إلا حائضا بحيث لا يمكنها التأخر عنه في أحد
قولي العلماء الذين يوجبون الطهارة على الطائف إذا طافت حائضا
أو جنبا أو محدثا أو حاملا لنجاسة مطلقا أجزأه الطواف وعليه
دم إما شاة وإما بدنة مع الحيض والجنابة وشاة مع الحدث الأصغر

ومنع الحائض من الطواف قد يعلل بأنه يشبه الصلاة وقد يعلل بأنها
ممنوعة من المسجد كما تمنع منه للاعتكاف وكما قال تعالى لإبراهيم
صلى الله عليه وسلم وطهر بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود
فأمر بتطهيره لهذه العبادات فمنعت الحائض من دخوله وقد اتفق
العلماء على أنه لا يجب للطواف ما يجب للصلاة من تحريم وتحليل
وقراءة وغير ذلك ولا يبطله ما يبطلها من الأكل والشرب والكلام
وغير ذلك ولهذا كان مقتضى تعليل من منع الحائض لحرمة المسجد
أنه لا يرى الطهارة شرطاً بل مقتضى قوله أنه يجوز لها ذلك عند الحاجة
كما يجوز لها دخول المسجد عند الحاجة وقد أمر الله بتطهير بيته
للطائفين والعاكفين والركع السجود والعاكف فيه لا يشترط له
الطهارة ولا يجب عليه الطهارة من حدث الأصغر باتفاق المسلمين ولو
اضطرت العاكفة الحائض إلى لبثها فيه لحاجة جاز ذلك وأما الركع
السجود فهم المصلون والطهارة شرط للصلاة باتفاق المسلمين والحائض
لا تصلي لا قضاء ولا أداء يبقى الطائف فلحوقه بالعاكف أشبه
أو يكون قسماً ثالثاً [illegible] وقوله الطواف بالبيت
صلاة لم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم ولكن هو ثابت عن ابن
عباس وقد روي مرفوعاً ولفظ بعض الرواة عن ابن عباس أنه قال
[illegible] وهو حسب عليه ولا ريب أن المراد بذلك أنه شبيه
بالصلاة من بعض الوجوه ليس المراد أنه نوع من الصلاة التي يشترط لها
الطهارة وهكذا قوله في تحية المسجد ولا [illegible]

فه في صلاة وقوله إن أحدكم في صلاة ما كانت الصلاة تحبسه وما دام يعمد صلاة وما كان يعمد الى الصلاة ونحو ذلك ولا يجوز لحائض أن تطوف لا صغرة ولا كبرة ولا ان أمكنها ذلك بعد قضاء مناسكها، ولو قدمت المرأة حائضا لم تطف بالبيت لكن تقف بعرفة وتفعل سائر المناسك كلها مع الحيض الا الطواف فإنها تنتظر حتى تطهر ان أمكنها ذلك ثم تطوف وان اضطرت الى الطواف فطافت أجزأها ذلك على الصحيح من قولي العلماء فاذا قضى الطواف صلى ركعتين للطواف وان صلاهما عند مقام ابراهيم فهو أحسن ويستحب أن يقرأ فيهما سورتي الاخلاص قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد ثم اذا صلاهما استحب له أن يستلم الحجر ثم يخرج الى الطواف بين الصفا والمروة ولو أخر ذلك الى بعد طواف الافاضة جاز فإن الحج فيه ثلاثة أطوفة طواف عند الدخول وهو يسمى طواف القدوم والدخول والورود والطواف الثاني هو بعد التعريف ويقال له طواف الافاضة والزيارة وهو طواف الفرض الذي لا بد منه كما قال تعالى ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق والطواف الثالث هو لمن أراد الخروج من مكة وهو طواف الوداع واذا سعى عقيب واحد منها أجزأه فاذا خرج للسعي خرج من باب الصفا وكان النبي صلى الله عليه وسلم يرقى على الصفا والمروة وهما في جانب جبلي مكة فيكبر ويهلل ويدعو الله تعالى واليوم قد بنى فوقهما دكتان فمن وصل الي أسفل البناء أجزأه السعي وان لم يصعد فوق البناء فيطوف بالصفا

ويرد منها بقدر ما استطاع ويختم بالمروة ويستحب أن يسعى في بطن
الوادي من العلم إلى العلم وهما معلمان هناك وإن لم يسع في بطن الوادي
بل مشى على هيئته جميع ما بين الصفا والمروة أجزأه باتفاق العلماء
ولا شيء عليه ولا صلاة عقيب الطواف بالصفا والمروة وإنما الصلاة عقيب
الطواف بالبيت بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم واتفاق السلف
والأئمة فإذا طاف بين الصفا والمروة حل من إحرامه كما أمر النبي
صلى الله عليه وسلم أصحابه لما طافوا بهما أن يحلوا إلا من كان معه
هدي فلا يحل حتى ينحره والمفرد والقارن لا يحلان إلا يوم النحر
ويستحب له أن يقصر من شعره ليدع الحلق للحج وكذلك أمرهم
النبي صلى الله عليه وسلم وإذا أحل حل له ما حرم عليه بالاحرام

﴿ فصل ﴾ فإذا كان يوم التروية أحرم وأهل بالحج فيفعل كما
فعل عند الميقات وإن شاء أحرم من مكة وإن شاء من خارج مكة
هذا هو الصواب وأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إنما أحرموا كما
أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم من البطحاء والسنة أن يحرم من
الموضع الذي هو نازل فيه وكذلك المكي يحرم من أهله كما قال النبي
صلى الله عليه وسلم من كان منزله دون مكة فمهله من أهله حتى أهل
مكة يهلون من مكة والسنة أن يبيت الحاج بمنى فيصلون الظهر والعصر
والمغرب والعشاء والفجر ولا يخرجون منها حتى تطلع الشمس كما فعل
النبي صلى الله عليه وسلم وأما الإيقاد فهو بدعة مكروهة باتفاق
العلماء وإنما الإيقاد بمزدلفة خاصة بعد الرجوع من عرفة وأما الإيقاد

منى أو عرفة ومدعة بها ويسيرون منها إلى نمرة على طريق ضب من
يمين الطريق ونمرة كانت قرية خارجة عن عرفات من جهة اليمين
فيقيمون بها إلى الزوال كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم ثم يسيرون
منها إلى بطن الوادي وهو موضع النبي صلى الله عليه وسلم الذي صلى
فيه الظهر والعصر وخطب وهو في حدود عرفة ببطن عرنة وهنا
مسجد يقال له مسجد إبراهيم وإنما بني في أول دولة بني العباس فيصلي
هناك الظهر والعصر قصرا كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم ويصلي
خلفه جميع الحجاج أهل مكة وغيرهم قصرا وجمعا يخطب بهم الإمام كما
خطب النبي صلى الله عليه وسلم على بعيره ثم إذا قضى الخطبة أذن
المؤذن وأقام ثم يصلي كما جاءت بذلك السنة ويصلي بعرفة ومزدلفة
ومنى قصرا ويقصر أهل مكة وغير أهل مكة وكذلك يجمعون الصلاة
بعرفة ومزدلفة ومنى كما كان أهل مكة يفعلون خلف النبي صلى الله
عليه وسلم بعرفة ومزدلفة ومنى وكذلك كانوا يفعلون خلف أبي بكر
وعمر رضي الله عنهما ولم يأمر النبي صلى الله عليه وسلم ولا خلفاؤه
أحدا من أهل مكة أن يتموا الصلاة ولا قالوا لهم بعرفة ومزدلفة ومنى
أتموا صلاتكم فإنا قوم سفر ومن حكى ذلك عنهم فقد أخطأ ولكن
المنقول عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ذلك في غزوة الفتح لما
صلى بهم بمكة وأما في حجته فإنه لم ينزل بمكة ولكن كان نازلا خارج مكة
وهناك كان يصلي بأصحابه ثم لما خرج إلى منى وعرفة خرج معه أهل
مكة وغيرهم ولما رجع من عرفة رجعوا معه ولما صلى بمنى أيام منى

[illegible] ويوم [illegible] هم [illegible] الملائكة [illegible] ويوم [illegible] ويوم محمد النبي صلى الله

عليه وسلم السفر [illegible] ولا [illegible] ولم يكن في أحد [illegible] كذلك في [illegible]

وقد [illegible] من [illegible] ولكن [illegible] في خلافة عثمان

و [illegible] ذلك [illegible] الصلاة لأنه كان يرى [illegible] من [illegible]

[illegible] بعد ذلك يذهب إلى عرفات [illegible] كان في هذه

الأوقات لا يكاد يذهب أحد إلى نمرة ولا [illegible] يصلي [illegible]

[illegible] يدخلون عرفات بطريق [illegible] فيخرجون [illegible]

ومنهم من يدخلها [illegible] قبل الغروب وهذا [illegible]

[illegible] كله [illegible] الحج [illegible] كان فيه [illegible]

[illegible] بين الصلاتين [illegible] واحد [illegible] كل صلاة

والإيقاد [illegible] بدعة مكروهة وكذلك [illegible]

وقد يكون الإيقاد [illegible] حصة في الرجوع و [illegible] عرفات [illegible]

غروب الشمس ولا يخرجون منها حتى تغرب الشمس و [illegible]

[illegible]

[illegible] غروب الشمس والله [illegible]

[illegible] ويجتهد في [illegible]

[illegible] في [illegible] ولا أحمر ولا [illegible] ولا [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] والوقوف [illegible] لا يصل

فمختلف . بخلاف الناس فان كان من اذا ركب رآه الناس لحاجتهم اليه
أو كان يشق عليه ترك الركوب وقف راكبا فان النبي صلى الله عليه وسلم
وقف راكبا وهكذا الحج فان من الناس من يكون حجه راكبا أفضل
ومنهم من يكون حجه ماشيا أفضل ومبيته في منى ليلة عرفة وسنة
لم يفعله ولا ذكر عن بعض رجل بالناس لادعيته المشروعة
وكذلك بكبر ويهلل ويذكر الله تعالى حتى تغرب الشمس والاغتسال
لعرفة قد روى في حديث النبي صلى الله عليه وسلم وروى عن
ابن عمر وغيره ولم ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن
أصحابه في الحج الا ثلاثة أغسال غسل الاحرام والغسل عند
دخول مكة والغسل يوم عرفة وما سوى ذلك كالغسل لرمي الجمار
وللطواف والمبيت بمزدلفة فلا أصل له لا عن النبي صلى الله عليه
وسلم ولا عن أصحابه ولا استحبه جمهور الائمة لامالك ولا ابو
حنيفة ولا أحمد وان كان قد ذكره طائفة من متأخري أصحابه
بل هو بدعة الا أن يكون هناك سبب يقتضي الاستحباب مثل أن يكون
عليه رائحة تؤذي الناس بها فيغتسل لازالتها وعرفة كلها موقف ولا
يقف ببطن عرنه وأما صعود الجبل الذي هناك فليس من السنة
ويسمى جبل الرحمة ويقال له الال على وزن هلال وكذلك القبة التي
فوقه يقال لها قبة آدم لايستحب دخولها ولا الصلاة فيها والطواف
بها من الكبائر وكذلك المساجد التي عند الجمرات لايستحب دخول
شيء منها ولا الصلاة فيها وأما الطواف بها أو بالصخرة أو بحجرة النبي

صلى الله عليه وسلم أو ما كان على أسباب الفسق فهو من أعظم البدع المحرمة

﴿ فصل ﴾ فاذا أفاض من عرفات ذهب الى المشعر الحرام على طريق المأزمين وهو طريق الناس اليوم وانما قال الفقهاء على طريق المأزمين لانه الى عرفة طريق أخرى تسمى طريق ضب ومنها دخل النبي صلى الله عليه وسلم الى عرفات وخرج على طريق المأزمين وكان صلى الله عليه وسلم في المناسك والاعياد يذهب من طريق ويرجع من أخرى فدخل من الثنية العليا وخرج من الثنية السفلى ودخل المسجد من باب بني شيبة وخرج بعد الوداع من باب حزورة اليوم ودخل الى عرفات من طريق ضب وخرج من طريق المأزمين وأتى الى جمرة العقبة يوم العيد من الطريق الوسطى التي يخرج منها الى خارج منى ثم يعطف على يساره الى الجمرة ثم لما رجع الى موضعه بمنى الذي نحر فيه هديه وحلق رأسه رجع من الطريق المتقدمة التي يسير منها جمهور الناس اليوم ويؤخر المغرب الى أن يصليها مع العشاء بمزدلفة ولا يزاحم الناس بل ان وجد خلوة أسرع فاذا وصل الى المزدلفة صلى المغرب قبل تبريك الجمال ان أمكن ثم اذا بركوها صلوا العشاء وان أخر العشاء لم يضر ذلك ويبيت بمزدلفة ومزدلفة كلها يقال لها المشعر الحرام وهي ما بين مأزمي عرفة الى بطن محسر فان بين كل مشعرين حدا ليس منهما فان بين عرفة ومزدلفة بطن عرنة وبين مزدلفة ومنى بطن محسر قال النبي صلى الله عليه وسلم عرفة كلها

[illegible] بطن عرنة ومزدلفة كلها موقف وارفعوا عن
بطن محسر ومنى كلها منحر وفجاج مكة كلها طريق والسنة أن يبيت
بها إلى أن يطلع الفجر فيصلي بها الفجر في أول الوقت ثم يقف
بالمشعر الحرام إلى أن يسفر جدا قبل طلوع الشمس وإن كان من
ضعفة كالنساء والصبيان ونحوهم فإنه يتعجل من مزدلفة إلى منى إذا
غاب القمر ولا ينبغي لأهل القوة أن يخرجوا من مزدلفة حتى يطلع
الفجر فيصلوا بها الفجر ويقفوا بها ومزدلفة كلها موقف لكن الوقوف
عند قزح أفضل وهو جبل الميقدة وهو المكان الذي يقف فيه الناس
اليوم قد بني عليه بناء وهو المكان الذي يخصه كثير من الفقهاء باسم
المشعر الحرام فإذا كان قبل طلوع الشمس أفاض من مزدلفة إلى منى
فإذا أتى محسرا أسرع قدر رمية بحجر فإذا أتى منى رمى جمرة العقبة
بسبع حصيات ويرفع يده في الرمي وهي الجمرة التي هي آخر الجمرات
من ناحية منى وأقربهن من مكة وهي الجمرة الكبرى ولا يرمي يوم
النحر غيرها يرميها مستقبلا لها يجعل البيت عن يساره ومنى عن يمينه
هذا هو الذي صح عن النبي صلى الله عليه وسلم فيها ويستحب أن يكبر
مع كل حصاة وإن شاء قال مع ذلك اللهم اجعله حجا مبرورا وسعيا
مشكورا وذنبا مغفورا ويرفع يده في الرمي ولا يزال يلبي في ذهابه
من مشعر إلى مشعر مثل ذهابه إلى عرفات وذهابه من عرفات إلى
مزدلفة حتى يرمي جمرة العقبة فإذا شرع في الرمي قطع التلبية فإنه
حينئذ يشرع في التحلل والعلماء في التلبية على ثلاثة أقوال منهم من

يكون مقصودها ... وصل ... عرفة و... من ... أي عرفة وغيرها الى ... الحرة والقول الثالث ... اذا فاض من عرفة الى مزدلفة ... اذا أفاض من مزدلفة الى منى وهكذا صح عن النبي صلى الله عليه وسلم

﴿ فصل ﴾ وأما الهدي في وقوفه بعرفة ومزدلفة فلم ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد نقل عن خلفائه الراشدين وغيرهم ... لكن لا ... الا ... الحرة ... ولم ... كان ... هدي ويجب أن ... من ... مقبوله ... ومع ... على ... ومن ... ويقول ... والله ... حالات ... من ... في حرمه ... هدي ... كان من الابل أو البقر أو الغنم ... أضحية ... يوم النحر بالحل فهذه أضحية وليس بهدي وليس في ... فهو أضحية ... لا ... هدي من عرفة ... في ... فهو هدي ... ان ... من حرم المذهب ... في ... هدي ... مذهب مالك ... ليس بهدي وهو منقول ... ومذهب الثلاثة أنه هدي ... منقول ... ولا ... حدي من ... لكن لا يرمي ... ان ... من ... وذون ... أفضل من ... من الحل

ثم يحلق رأسه أو يقصره والحلق أفضل من التقصير وإذا قصره جمع
الشعر وقص منه بقدر الأنملة أو أقل أو أكثر والمرأة لا تقص أكثر
من ذلك [illegible] وإذا فعل ذلك فقد تحلل
[illegible]
[illegible] ولا يبقى عليه من
الخصوصيات الا [illegible] ويصنع ذلك بدخول مكة ويطوف طواف الإفاضة
إن أمكنه ذلك يوم النحر وإلا فبعده لكن ينبغي أن يكون في
أيام التشريق فإن تأخيره عن ذلك فيه نزاع ثم يسعى بعد ذلك سعي
الحج وليس على المفرد إلا سعي واحد وكذلك القارن عند جمهور العلماء
وكذلك المتمتع في أصح قولي العلماء وهو أصح الروايتين عن أحمد وليس
عليه إلا سعي واحد فإن الصحابة الذين تمتعوا مع النبي صلى الله عليه
وسلم لم يطوفوا بين الصفا والمروة إلا مرة واحدة قبل التعريف فإذا
اكتفى المتمتع بالسعي الأول أجزأه ذلك كما يجزي المفرد والقارن
وكذلك قال عبد الله بن أحمد بن حنبل قيل لأبي المتمتع كم يسعى بين
الصفا والمروة قال إن طاف طوافين يعني بالبيت وبين الصفا والمروة
فهو أجود وإن طاف طوافا واحدا فلا بأس وإن طاف طوافين فهو
أعجب إلي وقال أحمد حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا الأوزاعي عن عطاء
عن ابن عباس أنه كان يقول المفرد والمتمتع يجزئه طواف بالبيت وسعي
بين الصفا والمروة وقد اختلفوا في الصحابة المتمتعين مع النبي صلى الله
عليه وسلم مع اتفاق الناس على أنهم طافوا أولا بالبيت وبين الصفا

والمروة ولم يرجعوا من عرفة قبل ثم سعوا أيضا بعد طواف
الإفاضة وقيل لم يسعوا وهذا هو الذي ثبت في صحيح مسلم عن جابر
قال لم يطف النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه بين الصفا والمروة إلا
طوافا واحدا طوافه الأول وقد روي في حديث عائشة أنهم طافوا
مرتين لكن هذه الزيادة قيل إنها من قول الزهري لا من قول عائشة
وقد احتج بها بعضهم على أنه يستحب طوافان بالبيت وهذا ضعيف
والأظهر ما في حديث جابر ويؤيده قوله دخلت العمرة في الحج إلى
يوم القيامة فالمتمتع من حين أحرم بالعمرة دخل بالحج لكنه فصل
بتحلل ليكون أيسر على الحاج وأحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة
ولا يستحب للمتمتع ولا غيره أن يطوف للقدوم بعد التعريف بل
هذا الطواف هو السنة في حقه كما فعل الصحابة مع النبي صلى الله عليه
وسلم فإذا طاف طواف الإفاضة فقد حل له كل شيء النساء وغير النساء
وليس بمنى صلاة عيد بل رمي جمرة العقبة لهم كصلاة العيد لأهل
الأمصار والنبي صلى الله عليه وسلم لم يصل جمعة ولا عيدا في السفر
لا بمكة ولا عرفة بل كانت خطبته بعرفة خطبة نسك لا خطبة جمعة ولم
يجهر بالقراءة في الصلاة بعرفة

﴿فصل﴾ ثم يرجع إلى منى فيبيت بها ويرمي الجمرات الثلاث
كل يوم بعد الزوال يبتدئ بالجمرة الأولى التي هي أقرب إلى مسجد
الخيف ويستحب أن يمشي إليها يرميها بسبع حصيات ويستحب له
أن يكبر مع كل حصاة وإن شاء قال اللهم اجعله حجا مبرورا وسعيا

مشكور ... و ... ان ... ن يتقدم ... الى
موضع ... مستقبل القبلة ... يديه
... تكبيرة ... كتب ...
على ... يرمي ... ويمشي حمرة
العقبة ... في ...
ثم ... في الاول ... في اليوم الثالث
وهو الاصل وان ... في اليوم الذي ... الشمس
كما قال ... في ... ولا ... الآية فاذا ... الشمس
الشمس وهو ... مع الناس في اليوم ... ولا ...
الامام ... في ... اليوم الثالث
والسنة للامام أن ... ويخرج ... النوم * ... يستحب
أن لا يدع الصلاة في مسجد ... وهو مسجد الخيف مع ... النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر كانوا ... ولا
جمع ... الناس كلهم ... أهل مكة وغير أهل مكة وانما
روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يا أهل مكة ... صلاتكم
... الناس ... على صلى
الرحمن ... والمسجد ... صلى الله عليه وسلم ... على
عهده ... المحصب وهو الابطح وهو ما بين
... في ... قال النبي صلى الله عليه وسلم
... ومكة ... ودع ... وقال

لا ينفرن أحد حتى يكون آخر عهده بالبيت فلا يخرج الحاج حتى
يودع البيت فيطوف طواف الوداع حتى يكون آخر عهده بالبيت ومن
أقام بمكة فلا وداع عليه وهذا الطواف يؤخره الصادر من مكة حتى يكون
بعد جميع أموره فلا يشتغل بعده بتجارة ونحوها لكن إن قضى
حاجته أو اشترى شيئاً في طريقه بعد الوداع أو دخل إلى المنزل الذي هو
فيه ليحمل المتاع على دابته ونحو ذلك مما هو من أسباب الرحيل
فلا إعادة عليه وإن أقام بعد الوداع أعاده وهذا الطواف واجب عند
الجمهور لكن يسقط عن الحائض وإن أحب أن يأتي الملتزم وهو ما بين
الحجر الأسود والباب فيضع عليه صدره ووجهه وذراعيه وكفيه
ويدعو ويسأل الله تعالى حاجته فعل ذلك وله أن يفعل ذلك قبل
طواف الوداع فإن هذا الالتزام لا فرق بين أن يكون حال الوداع وغيره
والصحابة كانوا يفعلون ذلك حين يدخلون مكة وإن شاء قال في دعائه
الدعاء المأثور عن ابن عباس اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك
حملتني على ما سخرت لي من خلقك وسيرتني في بلادك حتى بلغتني
بنعمتك إلى بيتك وأعنتني على أداء نسكي فإن كنت رضيت عني
فازدد عني رضا وإلا فمن الآن فارض عني قبل أن تنأى عن بيتك داري
فهذا أوان انصرافي إن أذنت لي غير مستبدل بك ولا ببيتك ولا راغب
عنك ولا عن بيتك اللهم فأصحبني العافية في بدني والصحة في جسمي
والعصمة في ديني وأحسن منقلبي وارزقني طاعتك ما أبقيتني واجمع
لي بين خيري الدنيا والآخرة إنك على كل شيء قدير ولو وقف عند

[illegible] ... قد ولى لا يقف ولا

يلتفت ولا يمشي ... [illegible] ... القهقرى مشبهة

[illegible] ... رجع فودع

[illegible] ... عن ... [illegible]

[illegible] ... صلاة ... [illegible]

[illegible] ... على ... وعلى المتمتع هدي بدنة

أو بقرة أو شاة أو ... في دم ... هدي ... ثلاثة أيام قبل

يوم النحر وسبعة إذا رجع وله أن يصوم الثلاثة من حين أحرم

بالعمرة في أشهر الحج ... وهو إحدى الروايتين عن أحمد وقيل

له صومها قبل الاحرام بالعمرة وقيل لا يصومها إلا بعد الاحرام

بالحج والأفضل صومها من حين الاحرام بالعمرة وهو الأرجح وقد

قيل إنه يصومها بعد التحلل من العمرة لأنه حينئذ شرع في الحج

ولكن دخلت العمرة في الحج كما دخل الوضوء في الغسل قال النبي

صلى الله عليه وسلم دخلت العمرة في الحج الى يوم القيامة وأصحاب

رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا متمتعين معه وانما أحرموا بالحج

يوم التروية وحينئذ فلا بد من صوم بعض الثلاثة قبل الاحرام بالحج

ويستحب أن يشرب من ماء زمزم ويتضلع منه ويدعو عند شربه بما

شاء من الأدعية الشرعية ولا يستحب الاغتسال منها * وأما زيارة

المساجد التي بمكة غير المسجد الحرام كالمسجد الذي تحت الصفا

وما في سفح أبي قبيس ونحو ذلك من المساجد التي بنيت على آثار

النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه كمسجد المولد وغيره فليس قصد
شيء من ذلك من السنة ولا استحبه أحد من الأئمة وإنما المشروع
إتيان المسجد الحرام خاصة والمشاعر عرفة ومزدلفة والصفا والمروة
وكذلك قصد الجبال والبقاع التي حول مكة غير المشاعر عرفة
ومزدلفة ومنى مثل جبل حراء والجبل الذي عند منى الذي يقال إنه
كان فيه قبة الفداء ونحو ذلك فإنه ليس من سنة رسول الله صلى الله
عليه وسلم زيارة شيء من ذلك بل هو بدعة وكذلك ما يوجد في
الطرقات من المساجد المبنية على الآثار والبقاع التي يقال إنها من الآثار
لم يشرع النبي صلى الله عليه وسلم زيارة شيء من ذلك بخصوصه ولا زيارة
شيء من ذلك ودخول الكعبة ليس بفرض ولا سنة مؤكدة بل
دخولها حسن والنبي صلى الله عليه وسلم لم يدخلها في الحج ولا في
العمرة لا عمرة الجعرانة ولا عمرة القضية وإنما دخلها عام فتح مكة
ومن دخلها استحب له أن يصلي فيها ويكبر الله ويدعوه ويذكره
فإذا دخل مع الباب تقدم حتى يصير بينه وبين الحائط ثلاثة أذرع
والباب خلفه فذلك هو المكان الذي صلى فيه النبي صلى الله عليه
وسلم ولا يدخلها إلا حافيا والحجر أكثره من البيت من حيث
ينحني حائطه فمن دخله فهو كمن دخل الكعبة وليس على داخل الكعبة
ما ليس على غيره من الحجاج بل يجوز له من شيء ما يجوز لغيره وغير ذلك
يكون العمرة ولا الإكثار من الطواف بالبيت من الأعمال الصالحة فهو
أفضل من أن يخرج الرجل من الحرم ويأتي بعمرة مكية فإن هذا لم

يكن من أمته [illegible] ولا ينصر ولا رغب
فيه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فإنه من رغب عنه [illegible]

وإذا دخل المدينة قبل الحج أو بعده فإنه يأتي مسجده
فيصلي فيه والصلاة فيه خير من ألف صلاة
فيما سواه إلا المسجد الحرام ولا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد
الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى هكذا ثبت في الصحيحين من حديث أبي
هريرة وأبي سعيد وهو مروي من طرق أخر ومسجده كان أصغر
مما هو اليوم وكذلك المسجد الحرام لكن زاد فيهما الخلفاء الراشدون
ومن بعدهم وحكم الزيادة حكم المزيد في جميع الأحكام ثم يسلم على
النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبيه فإنه قد قال «ما من رجل يسلم علي
إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام» رواه أبو داود وغيره
وكان عبد الله بن عمر يقول إذا دخل المسجد السلام عليك يا رسول
الله السلام عليك يا أبا بكر السلام عليك يا أبت ثم ينصرف وهكذا
كان الصحابة يسلمون عليه ويسلمون عليه مستقبلي الحجرة مستدبري
القبلة عند أكثر العلماء كمالك والشافعي وأحمد وأبو حنيفة قال يستقبل
القبلة فمن أصحابه من قال يستدبر الحجرة ومنهم من قال يجعلها عن
يساره واتفقوا على أنه لا يستلم الحجرة ولا يقبلها ولا يطوف بها ولا
يصلي إليها وإذا قال في سلامه السلام عليك يا رسول الله يا نبي الله يا خيرة
الله من خلقه أكرم الخلق على ربه إمام المتقين فهذا كله من صفاته
بأبي هو وأمي صلى الله عليه وسلم وكذلك إذا صلى عليه مع السلام

عليه فهذا مما أمر الله به ولا يدعوه هناك مستقبل الحجرة دون القبلة
كما نص على ذلك الأئمة ومالك من أعظم الأئمة كراهية لذلك
والحكاية المروية عنه أنه أمر المنصور أن يستقبل الحجرة وقت الدعاء
كذب على مالك ولا يقف عنده للدعاء لنفسه فإن هذا بدعة ولم
يكن أحد من الصحابة يقف عنده يدعو لنفسه ولكن كانوا يستقبلون
القبلة ويدعون في مسجده فإنه صلى الله عليه وسلم قال اللهم لا تجعل
قبري وثنا يعبد وقال لا تجعلوا قبري عيدا ولا تجعلوا بيوتكم قبورا
وصلوا علي حيثما كنتم فإن صلاتكم تبلغني وقال أكثروا علي من
الصلاة يوم الجمعة وليلة الجمعة فإن صلاتكم معروضة علي فقالوا كيف
تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت فقال إن الله حرم على الأرض
أن تأكل أجساد الأنبياء فأخبر أنه يسمع الصلاة والسلام من القريب
وأنه يبلغ ذلك من البعيد وقال لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور
أنبيائهم مساجد يحذر ما فعلوا قالت عائشة ولولا ذلك لأبرز قبره ولكن
كره أن يتخذ مسجدا وهم دفنوه صلى الله عليه وسلم في حجرة عائشة
التي كانت هي وسائر الحجر خارج المسجد من قبليه وشرقيه
لكن لما كان في زمن الوليد بن عبد الملك عمر هذا المسجد
وغيره وكان نائبه على المدينة عمر بن عبد العزيز فأمر أن تشترى
الحجر ويزاد في المسجد فدخلت الحجرة في المسجد من ذلك الزمان
وبنيت منحرفة عن القبلة مسنمة لئلا يصلي أحد إليها فإنه قال صلى الله
عليه وسلم لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها * رواه مسلم عن أبي

[illegible] والله أعلم * وزيارة القبور على وجهين زيارة شرعية
وزيارة بدعية * فالشرعية المقصود بها السلام على الميت والدعاء له كما يقصد
الصلاة على جنازته فزيارته بعد موته من جنس الصلاة عليه فالسنة أن
يسلم على الميت ويدعو له سواء كان نبيا أو غير نبي كما كان النبي صلى
الله عليه وسلم يأمر أصحابه إذا زاروا القبور أن يقول أحدهم السلام
عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون
ويرحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين نسأل الله لنا ولكم
العافية اللهم لا تحرمنا أجرهم ولا تفتنا بعدهم واغفر لنا ولهم وهكذا
يقول إذا زار أهل البقيع ومن به من الصحابة أو غيرهم أو زار
شهداء أحد وغيرهم وليست الصلاة عند قبورهم أو قبور غيرهم
مستحبة عند أحد من أئمة المسلمين بل الصلاة في المساجد التي ليس
فيها قبر أحد من الأنبياء والصالحين وغيرهم أفضل من الصلاة في
المساجد التي فيها ذلك باتفاق أئمة المسلمين بل الصلاة في [illegible]
على القبور إما محرمة وإما مكروهة * والزيارة البدعية أن يكون مقصود
الزائر أن يطلب حوائجه من ذلك الميت أو يقصد الدعاء عند قبره
أو يقصد الدعاء به فهذا ليس من سنة النبي صلى الله عليه وسلم ولا
استحبه أحد من سلف الأمة وأئمتها وقد كره مالك وغيره أن يقول
القائل زرت قبر النبي صلى الله عليه وسلم وهذا اللفظ لم ينقل عن
النبي صلى الله عليه وسلم بل الأحاديث المذكورة في هذا الباب مثل
قوله من زارني وزار أبي إبراهيم في عام واحد ضمنت له على الله الجنة

وقوله من زارني بعد مماتي فكأنما زارني في حياتي ومن زارني بعد مماتي حلت عليه شفاعتي ونحو ذلك كلها أحاديث ضعيفة بل موضوعة ليست في شيء من دواوين الإسلام التي يعتمد عليها ولا نقلها إمام من أئمة المسلمين لا الأئمة الأربعة ولا نحوهم ولكن روى بعضها البزار والدارقطني ونحوهما بإسناد ضعيف ولأن من عادة الدارقطني وأمثاله يذكرون هذا في السنن ليعرف وهو وغيره يبينون ضعف الضعيف من ذلك فإذا كانت هذه الأمور التي فيها شرك وبدعة نهي عنها عند قبره وهو أفضل الخلق فالنهي عن ذلك عند قبر غيره أولى وأحرى * ويستحب أن يأتي مسجد قباء ويصلي فيه لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال من تطهر في بيته وأحسن الطهور ثم أتى مسجد قباء لا يريد إلا الصلاة فيه كان له كأجر عمرة * رواه أحمد والنسائي وابن ماجه وعن النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة في مسجد قباء كعمرة قال الترمذي حديث حسن والسفر إلى المسجد الأقصى والصلاة فيه والدعاء والذكر والقراءة والاعتكاف مستحب في أي وقت شاء سواء كان عام الحج أو بعده ولا يفعل فيه وفي مسجد النبي صلى الله عليه وسلم إلا ما يفعل في سائر المساجد وليس فيها شيء يتمسح به ولا يقبل ولا يطاف به هذا كله ليس لأحد إلا في المسجد الحرام خاصة ولا تستحب زيارة الصخرة بل المستحب أن يصلي في قبلي المسجد الأقصى الذي بناه عمر بن الخطاب للمسلمين ولا يسن أن يأخذ ليقبض منه بركات ولا السفر للوقوف بالمسجد الأقصى ولا الوقوف عند قبر أحد لا من الأنبياء ولا المشايخ ولا غيرهم

[illegible] في [illegible] لا [illegible] أحد [illegible] من

[illegible] من كل [illegible] ممن اختار

[illegible] ليس لأحد [illegible]

[illegible] إن

الدين مبني على أصلين أن لا نعبد إلا الله وحده لا شريك له ولا نعبده إلا بما شرع لا نعبده بالبدع كما قال تعالى (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) وهذا كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول في دعائه اللهم اجعل عملي كله صالحا واجعله لوجهك خالصا ولا تجعل فيه لأحد شيئا وقال الفضيل بن عياض في قوله تعالى (ليبلوكم أيكم أحسن عملا) قال أخلصه وأصوبه قال إن العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل حتى يكون خالصا صوابا والخالص أن يكون لله والصواب أن يكون على السنة وقد قال الله تعالى (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله) والمقصود بجميع العبادات أن يكون الدين كله لله وحده فالله هو المعبود والمسؤول الذي يخاف ويرجى ويسأل ويعبد فله الدين خالصا وله أسلم من في السموات والأرض طوعا وكرها والقرآن مملوء من هذا كما قال تعالى (تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين ألا لله الدين الخالص) إلى قوله (قل الله أعبد مخلصا له ديني) إلى قوله (أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون) وقال تعالى (ما كان لبشر أن

يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله» الآية . وقال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا) الآية

﴿فصل﴾ قالت طائفة من السلف كان أقوام يدعون الملائكة والأنبياء كالمسيح وعزير فأنزل الله تعالى هذه الآية وقال تعالى (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول) الآيات ومثل هذا في القرآن كثير بل هذا مقصود القرآن وهو مقصود دعوة الرسل كلهم وله خلق الخلق كما قال (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) [illegible] من جنس الصلاة ونحوها من [illegible] الله [illegible] لا يشرك به وأن الصلاة على الجنازة [illegible] للأموات من جنس الدعاء لهم [illegible] الخلق من جنس المعروف والإحسان إليهم من جنس الزكاة والعبادات التي أمر الله بها توحيده [illegible] وبدعة [illegible] [illegible] العبادات التي أمر [illegible] فإنه ليس من [illegible] كل [illegible] من [illegible] المكروه [illegible] وهذا في [illegible] غير مشروع [illegible] من [illegible] لا تقصر الصلاة لأنه سفر [illegible] وكذلك من يقصد [illegible] من مخلوق [illegible] كالمروة [illegible] ونحو ذلك [illegible] وبدعة [illegible] النصارى [illegible]

هذه الأمة حتى يجعلون الحج والصلاة من جنس ما يفعلونه من الشرك
والبدع وهذا قد نهى النبي صلى الله عليه وسلم لما ذكرت له بعض أزواجه
كنيسة بأرض الحبشة وذكرت له من حسنها وما فيها من التصاوير فقال
أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه
تلك التصاوير أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة وهذا اتفق العلماء
على أنه لا يجوز ما حرمه الله ورسوله لمن يبني على قبر من الأنبياء أو الصالحين مثل
من كان بالرقة وسلمية وغيرهما على قبر نبي أو صالح أو مسجد لقبر أو دعوة
أو رغب إليه فهذا فإنه لا يجوز بناء المساجد على القبور لأن النبي صلى
الله عليه وسلم قال قبل أن يموت بخمس ليال إن من كان قبلكم كانوا
يتخذون القبور مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن
ذلك * رواه مسلم وقال لو كنت متخذا من أهل الأرض خليلا لاتخذت
أبا بكر خليلا وهذه الأحاديث في الصحاح وما يفعله بعض الناس من
أكل التمر في المسجد أو تعليق الشعر في القناديل فبدعة مكروهة * ومن
حمل شيئا من ماء زمزم جاز فقد كان السلف يحملونه وأما التمر
الصيحاني فلا فضيلة فيه بل غيره من التمر البرني والعجوة خير منه
والأحاديث إنما جاءت عن النبي صلى الله عليه وسلم في مثل ذلك
كما جاء في الصحيح من تصبح بسبع تمرات عجوة لم يضره ذلك اليوم
سم ولا سحر ولم يجيء عنه في الصيحاني شيء وقول بعض الناس أنه
صاح بالنبي صلى الله عليه وسلم جهل منه بل إنما سمي بذلك ليبسه
فإنه يقال صوح التمر إذا يبس وهذا كقول بعض الجهال إن عجوة

الزرقاء جاءت معه من مكة ولم يكن بالمدينة على عهد النبي صلى
الله عليه وسلم عين جارية إلا الزرقاء ولا عيون حمزة ولا غيرهما بل
كل هذا مستخرج بعده ورفع الصوت في المساجد منهي عنه وقد
ثبت أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأى رجلين يرفعان أصواتهما
في المسجد فقال لو أعلم أنكما من أهل البلد لأوجعتكما ضربا إن
الأصوات لا ترفع في مسجده فما يفعله بعض جهال العامة من رفع
الصوت عقيب الصلاة من قولهم السلام عليك يا رسول الله بأصوات
عالية من أقبح المنكرات ولم يكن أحد من السلف يفعل شيأ من ذلك
عقيب السلام بأصوات عالية ولا منخفضة بل ما في الصلاة من قول
المصلي السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته هو المشروع كما أن
الصلاة عليه مشروعة في كل زمان ومكان وقد ثبت في الصحيح أنه
قال من صلى علي مرة صلى الله عليه بها عشرا وفي المسند أن رجلا
قال يا رسول الله أجعل عليك ثلث صلاتي قال إذا يكفيك الله ثلث
أمرك قال أجعل نصف صلاتي قال إذا يكفيك الله ثلثي أمرك
قال أجعل صلاتي كلها عليك قال إذا يكفيك الله ما أهمك من أمر
دنياك وأمر آخرتك وفي السنن عنه أنه قال لا تتخذوا قبري عيدا
وصلوا علي حيثما كنتم فإن صلاتكم تبلغني وقد رأى عبد الله بن حسن
شيخ الحسن في زمنه رجلا ينتاب قبر النبي صلى الله عليه وسلم
للدعاء عنده فقال يا هذا إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تتخذوا
قبري عيدا وصلوا علي حيثما كنتم فإن صلاتكم تبلغني فما أنت ورجل

بالاندلس الا سواه ولهذا كان السلف يكثرون الصلاة والسلام عليه في كل مكان وزمان ولم يكونوا يجتمعون عند قبره لاقراءة ختمة ولا ايقاد شمع واطعام واسقاء ولا انشاد قصائد ولا نحو ذلك بل هذا من البدع بل كانوا يعملون في مسجده ماهو المشروع في سائر المساجد من الصلاة والقراءة والذكر والدعاء والاعتكاف وتعليم القرآن والعلم وتعلمه ونحو ذلك وقد علموا أن النبي صلى الله عليه وسلم له مثل أجر كل عمل صالح تعمله أمته فانه صلى الله عليه وسلم قال من دعا الى هدى فله من الاجر مثل أجور من اتبعه من غير أن ينقص من أجورهم شيأ وهو الذي دعا أمته الى كل خير وكل خير تعمله أحد من الامة فله مثل أجره فلم يكن صلى الله عليه وسلم يحتاج ان يهدى اليه ثواب صلاة أو صدقة أو قراءة من كان له مثل اجر ما يعملونه من غير أن ينقص من أجورهم شيأ وكل من كان له أطوع واتبع كان أولى الناس به في الدنيا والآخرة قال تعالى (قل هذه سبيلي ادعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني) وقال صلى الله عليه وسلم ان آل أبي فلان ليسوا لي بأولياء انما وليي الله وصالح المؤمنين وهو أولى بكل مؤمن من نفسه وهو الواسطة بين الله وبين خلقه في تبليغ أمره ونهيه ووعده ووعيده فالحلال ما حلله والحرام ما حرمه والدين ما شرعه والله هو المعبود المسؤل المستعان به الذي يخاف ويرجى ويتوكل عليه قال تعالى (ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فاولئك هم الفائزون) فجعل الطاعة لله والرسول كما قال تعالى (من يطع الرسول فقد أطاع الله)

وجعل الخشية والتقوى لله وحده لا شريك له فقال تعالى (ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله انا الى الله راغبون) فأضاف الايتاء الى الله والرسول كما قال تعالى (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) فليس لأحد أن يأخذ الا ما أباحه الرسول وان كان الله آتاه ذلك من جهة القدرة والملك فانه يؤتى الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ولهذا كان صلى الله عليه وسلم يقول في الاعتدال من الركوع وبعد السلام اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد أي من آتيته جدا وهو البخت والمال والملك فانه لا ينجيه منك الا الايمان والتقوى وأما التوكل فعلى الله وحده والرغبة فاليه وحده كما قال تعالى (وقالوا حسبنا الله) ولم يقل ورسوله وقالوا (انا الى الله راغبون) ولم يقولوا هنا ورسوله كما قال في الآية الأخرى نظير هذا قوله (فاذا فرغت فانصب والى ربك فارغب) وقال تعالى (الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) وفي صحيح البخاري عن ابن عباس انه قال حسبنا الله ونعم الوكيل قالها ابراهيم حين ألقي في النار وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل وقد قال تعالى (يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين) أي الله وحده حسبك وحسب المؤمنين الذين اتبعوك ومن قال (ان الله والمؤمنين حسبك) فقد ضل بل قوله من جنس الكفر فان الله وحده هو حسب كل مؤمن به والحسب

الكافي كما قال تعالى (أليس الله بكاف عبده) ولله تعالى حق لا يشركه فيه
مخلوق كالعبادات والاخلاص والتوكل والخوف والرجاء والحج والصلاة
والزكاة والصيام والصدقة والرسول له حق كالايمان به وطاعته
واتباع سنته وموالاة من يواليه ومعاداة من يعاديه وتقديمه في المحبة
على الاهل والمال والنفس كما قال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي
بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من ولده ووالده والناس
أجمعين بل يجب تقديم الجهاد الذي أمر به على هذا كله كما قال تعالى
(قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال
اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم
من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله
لا يهدي القوم الفاسقين) وقال تعالى (والله ورسوله أحق
أن يرضوه ان كانوا مؤمنين) وبسط مافي هذا المختصر
وشرحه مذكور في غير هذا الموضع والله سبحانه
وتعالى أعلم وصلى الله وسلم على سيدنا
محمد وآله وصحبه وسلم والحمد
لله رب العالمين
آمين

يقول مصححه راجي عفو ربه الكريم * ابن الشيخ حسن الفيومي ابراهيم

لك اللهم أحمدك حق حمدك يا واحد وأستمطرك غيث عفو كريم واحد وأستهديك هداية السالكين العابدين وأصلي وأسلم على سيد الخلائق أجمعين سيدنا محمد الرحمة المهداة لسائر الثقلين وآله وصحبه ومن بهديه اهتدى صلاة وسلاما دائمين أبدا * وبعد * فقد تم طبع مجموع الرسائل لشيخ امام الأئمة الجهابذة الاماثل شيخ الاسلام والمسلمين خادم سنة سيد المرسلين من لا سبيل الى الوقوف له على ثاني سيدي أحمد بن تيمية الحنبلي الحراني قدس الله روحه ونور ضريحه وكان طبعها الزاهي الزاهر وتمثيل شكلها الفائق الباهر بالمطبعة العامره الشهيرة الشرفيه ذات الادوات الكاملة البهيه التي محل ادارتها بشارع الخرنفش من مصر المعزيه العربية لمالكها ومديرها (حضرة السيد حسين أفندي شرف) تولاه الله وأولاه وبالغ في كل الامور لطف آمين وقد بدر بدر التمام وفاح مسك الختام اواخر الثاني من الربيعين من سنة ١٣٢٤ من هجرة سيد الثقلين عليه صلاة الله وسلامه مابدا شيء وراق ختامه وآله وصحبه وسائر جنده

آمين

ترجمة المؤلف رضي الله عنه

رسالة الفرقان بين الحق والباطل وهي الاولى

١٤ ذكر معتقد أهل الضلال والرد عليهم

[illegible] فصل وكل من خالف ما جاء به الرسول الخ

٦٣ مطلب صرع الجن للانس لاسباب ثلاثة الخ

١٨٠ الرسالة الثانية معارج الوصول

٢١٨ الرسالة الثالثة التبيان في نزول القرآن

٢٣١ الرسالة الرابعة في الوصية في الدين والدنيا الخ

٢٤١ الرسالة الخامسة في النية في العبادات وفيها مباحث

٢٥٧ الرسالة السادسة تتضمن السؤال عن العرش هل هو كري أم لا والجواب عن ذلك

٢٦٣ الرسالة السابعة وتسمى الوصية الكبرى فيما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم وبيان فضل أمته على سائر الامم

٣١٨ الرسالة الثامنة وتسمى الارادة والامر وفيها مباحث مهمة ينبغي التفطن لها والبحث عنها ومعرفتها

٣٨٧ الرسالة التاسعة وفيها بيان اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة الى قيام الساعة وهم أهل السنة والجماعة وتسمى العقيدة الواسطية

صحيفة

٣٦١ الرسالة العاشرة وتسمى المناظرة في العقيدة الواسطية

٤٠٠ الرسالة الحادية عشر وتسمى العقيدة الحموية الكبرى

٤٠٧ الرسالة الثانية عشر تتضمن السؤال عن الاستغاثة برسول الله صلى الله عليه وسلم هل جائزة أو محرمة والجواب عن ذلك



فهرس الجزء الثاني من مجموع الرسائل الكبرى لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله

صحيفة

٣ الرسالة الأولى وهي المسماة رسالة الإكليل في المتشابه والتأويل

٣٦ الرسالة الثانية في الجواب عن قول القائل أكل الحلال متعذر لا يمكن وجوده في هذا الزمان

٥٣ الرسالة الثالثة في قوله صلى الله عليه وسلم لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد وفي زيارة بيت المقدس

٦٤ الرسالة الرابعة مراتب الارادة

٨ الرسالة الخامسة في القضاء والقدر

٨١ الرسالة السادسة في الاحتجاج بالقدر

١٤٦ الرسالة السابعة في درجات اليقين

١٥٢ الرسالة الثامنة بيان الهدى من الضلال

١٦١ الرسالة التاسعة في سنة الجمعة

١٨ الرسالة العاشرة تفسير المعوذتين

٢٠٣ الرسالة الحادية عشر بيان العقود المحرمة

٢١١ الرسالة الثانية عشر في معنى القياس

٢٨ الرسالة الثالثة عشر في حكم السماع والرقص

٣٠٨ الرسالة الرابعة عشر في الكلام على الفطرة

صحيفة

٣٢٣ الرسـاله الخامسة عشر في الكلام على [illegible]

٣٢٤ الرســالة السادســه عشر في الكلام على رفع الامام [illegible]
في الصلاة

٣٤٥ الرسالة السابعه عشر في مناسك الحج



کآنچه را نام کرده وجدان	چیست جز یاد کرده در انسان
یك شکر بدو که بی کم و بیش	چون هرسه است وآب دیده سپس
چون کشی رسن احمق است درار	ور رها شد درارس بدو عار
شیر ر غُرم چون برد دندان	هیچ دانی چه گویدش وجدان
گوید ای شاهِ دد هماره زی	نوش خور نوش وشاد خواره زی
ز آنکه زین غُرم گول اسیر دل	چون کسی طعمه ای شه عادل
عملی هضم در معدهٔ شاه	سیر ساری کند از این رو ماه
کار صید از تو بره بار نیست	بلکه از دام شاهِ دد سار نیست
زن حولا حو بر کشد بکاس	بار وجدان بدو زند ساناس
گویدش کای نگارِ جانانه	اندر آن سگ و بار وبرانه
به خورش داشتی به جامهٔ گرم	شوی بر از رحش بردی شرم
هر دو رسید از این جوانمردی	این یك از درد و آن ز بی دردی
آری این اوستا سپهر سرنگ	ز نکی حم بر آورد ده رنگ
زرد از او حوی و زعفرانی س	سرح از او حواه و ارغوانی س
دهدت زین حم ارکند آهنگ	سر بالا بر از سیاهی رنگ
گر بفصل قدیم صورت خوش (٢)	داد اورد بآدم از این بس
این سیرت عدیل دیو رجیم	صورت خود دهد ...
محکمی را حو او کند باویل	بل از ... سارد از ... بل
تا بد آنجا که گفت ره زن گرد	گرنه می کیشس به خود می مرد

دهخدا

انصاف بالای طاعت است • رجوع به اسکندر رومی را سود

انصاف شیوه ایست که بالای طاعت است • رجوع به اسکندر رومی سود

انصاف نصف ایمان است • رجوع به اسکندر رومی سود

انصر اخاك ظالما و مظلوما • یاد رخویش را در ستمکاری و ستمدیدگی یاری ده مثل روی عن النبی صلی الله علیه وآله انه علیه السلام قال هذا فقیل یا رسول الله ننصره مظلوما فکیف ننصره ظالما فقال علیه السلام رده عن الظلم

انظر الی ماقیل ولا تنظر الی من قال • گفتار نگر نه گوینده ...

مرد باید که گیرد اندر گوش	ور نوشته است پند بر دیوار
غلط است اینکه مدعی گوید	خفته را خفته کی کند بیدار (١)

سعدی

(١) ظاهرا جمله (خفته را خفته کی کند بیدار) از زمانهای قدیم مثلی سائر بوده است وبظن نسخ اصل در اینجا شعر حضرت سنائی علیه الرحمه نیست که میفرماید

ای بدیدار فته چون طاووس	وی بگفتار غره چون کفتار
عالمی غافل است و تو غافل	خفته را خفته کی کند بیدار

(٢) ان الله تعالی خلق آدم علی صورته حدیث

باید مباع سکو دکان ر هر که باسد

مهره بکر گو مباش افعی مردم گرای ناقه طلب گو مباس آهوی صحرانشین

سحن کان ار دماع هوشمند اسب گر ار بحت الثری آید لمد است نظامی

چه کنی رس و سلب مابی چون بدیدی عجائب ار سگ سنائی

سحنی کر حصور گردد فاش (کذا) فائلس هرکه هست گو می باش اوحدی

ان عداً لناظره قریب • رحوع به آلیس الصبح ، سود

انفکاك سیئی ار بعس محال اسب • فاعده فلسفی اسب که گوید هیچ حبر حر حودِ او ساند بود

ان فی التأحیر آفات • سور کاری را آهو ها راند رحوع به ار امروز کاری بفردا ممان ، سود

انقوره‌درقندحورایدن • بصورب وُظاهری نیک‌کسی را ربان وآسیبی‌رساندن مثّل ر شیرین کاری شیرین دلبند فراوان حورده بود انقوره درقند امیرحسرو

بطیر سیر در لورینه داسن

انکار پس ار افرار مسموع نباسد • تمثل

دگر مگوی که من‌ترک عسق حواهم‌کرد که فاصی ارنس افرار بسنود انکار سعدی

حاکم سحن روستای کبرد اما رها کند

ان کبیرا لصبح یهجم‌علی کبیرالظلمه • حون درسد مالغب رود سوبده گمان بد برد

انك لاتسمع الموتی ولاتسمع الصم الدعاء • قرآن‌کریم سوره ۲۷ آیهٔ ۸۲ بی‌گمان تو مردگانرا سنوا نوانی‌کرد رکران گوسا را سوسا ندانی‌ساحب رحوع به آه سعدی ، سود

انك لا تهدی من احبب ولکن‌الله یهدی من یساء • قرآن کریم سوره ۲۸ آیه ۵۶ براستی هر که را و حواهی راهنمائی نوانی کرد لکن ایرد تعالی آ‌ نرا که حواهد راهنمائی فرماید

انك مسئول یوم القیمه بما دا اکتسب لا بمن انتسبت • در قیامب ارتو برسند عملب حیسب و نگویند بدرب کیسب سعدی رحوع به تا بجاکه بزرگ بادب بود ، شود

ان کیدکن عظیم قرآن کریم سوره ۱۲ آیه ۲۸ راستی فسون وبرفند سما ربان سیار باسد افساس

روح را ار عرس آرد در حطیم لا حرم مکر ربان باسد عظیم مولوی

رحوع به آلنساء حبائل السیطان ، سود

انگار میکنم که ور بحستم • مردی بردی ار یکسوی بر حرحسب تا سوار سود و ار دیگر سوی سقاد حسب برحاسب گرد سفشاند وگفب انگار میکنم که ور بحستم مراد مَثَل